



مرکز تحقیقات علوم و کامپیوتر اسلامی

هَدَىٰكَ الْعِزَّةَ الْمَظَّةَ
الْمُتَّعَةَ



مرکز تحقیقات کامپیوتر علوم اسلامی

هَذَا كِتَابُ الْحَقِّ وَالنُّورِ

إِلَى آخِرَاتِ الْأَصُولِ

تأليف الشيخ

محمد بن عبد علي بن عبد الجبار

المتوفى بعد سنة ١٢٥٠ هـ

الجزء السادس

مكتبة جامعة آل البيت
مركز تحقيقات الكمبيوتر علوم إسلامي
٥٢٩٥٨
ش - اموال:

مُشْرِفُ التَّحْقِيقِ
مُصَاطَفِي الشَّيخِ عَبْدِ الرَّحْمَنِ بْنِ مُحَمَّدٍ

آل عبدالجبار قطيفي ، محمد بن عبد علي ، قرن ١٣ ق.
هدى العقول الى احاديث الاصول / محمد بن عبد علي آل عبد
الجبار؛ مشرف التحقيق مصطفى عبدالحميد آل مرهون.
قم: ذوى القربى، ١٣٨٨.
٥١٦٨ ص.

دوره ٩ جلدی 1 - 253 - 518 - 964 - 978 ISBN:

فهرست نویسی بر اساس اطلاعات فیچا.
کتابنامه بصورت زیر نویس.

١. اصول فقه شيعه - قرن ١٣ ق. - احاديث. احاديث شيعه -
قرن ١٣ ق، الف. آل مرهون، مصطفى عبدالحميد، محقق.
رده بندي كنگره: ٥٣ / ١٧٥٩ BP
رده بندي ديويي: ٣١٢ - ٢٩٧



مرکز تحقیقات علوم اسلامی



■ اسم الكتاب: هدى العقول الى احاديث الاصول ج ٦

■ المؤلف: الشيخ محمد بن عبد علي آل عبدالجبار

■ الناشر: ذوى القربى

■ الطبعة: الأولى

■ تاريخ الطبع: ١٤٣١ هـ ق

■ الكمية: ١٠٠٠

■ المطبعة: سليمانزاده

■ شابك دوره: ١ - ٢٥٣ - ٥١٨ - ٩٦٤ - ٩٧٨

■ شابك (ج ٦): ٣ - ٢٥٩ - ٥١٨ - ٩٦٤ - ٩٧٨

■ مركز التوزيع: قم - پاساژ قدس - الطابق الاول - رقم ٥٩ - تليفون: ٧٧٤٤٦٦٣ - ٢٥١ - ٩٨ +

کتابخانه

مرکز تحقیقات کامپیوتری علوم اسلامی

۳۷۷۵۸

شماره ثبت:

تاریخ ثبت:

الله

الله

الله محمد بن عبد الله

الله

الله

رموز التحقيق

- []: في حديث الأصل تعني: من المصدر.
| : إضافة تقويم أو توضيح
[]: جملة أو كلمة غريبة تركت على وضعها
[.....]: فراغ في الاصل



مركز بحوث وتطوير علوم الحاسوب

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

الحمد لله الأحدا لعقود الممن عن المصاحبه والولدا المتوحد في توحيد والمتعالي في
عظيم عظمه الذي بعد فلا يرى وقرب فهذا التجوي والسر واغنى وصل الله على
محمد وآله ذري الشرف والعلو وبعد فيقول محمد بن عبد علي العبد الخبار هذا
المجلد السادس من شرح الاصول المسمى بهدي العقول وفقنا الله لانمامه وتبو
سل بوسيلته في بده وختامه واختصرت في مواضع كثير منه استجبالا
المعنى ذيل العلم الظاهر والفضل المشتمر والعلم الناشر ثمة الاسلام محمد بن
يعقوب الكليني باب معاني الالهام واشتقاقها اوله هذا هو المسمى
الباب لتاس عشر من كتاب لتوحيد واحاديثه احد عشر ولتقدم قبل
الشروع في شرح الاحاديث مقدمه كما هو المسمى فيما سبق فنقول الغرض من
هذا التبايان معنى مما انه لتعرفانها الالهام ولا اله الا حاطه فليست موضوعه
على لذات مطابقه ولا دلالتها عليه ما نرجح في وكذا اشتقاقها ليس من الذات
وتعرف ايضا عدم كونها جامد وسبق في المجلدات ابوقر ومثما ايضا على بيانها
يجوز عليه وما لا يجوز فنقول معاني الالهام ما تدل عليه ودلالتها على الذات لا
لذات استدل من مقام الاشتقاق وهو الفعل وتلاحظ ايضا دلالتها على المعنوي
الاحد لكن من حيث ظهور الذات بالفعل فانها لتظهر للتخالف ولها حاطه بل
دلاله وهي وجدانها عندهم ووجدانهم لها واذا اردت الاسم جهة الموضوعية
والشبيه يكون بين المسمى والذات الاحد بتابع لتعالها عن المفهوم ولا
اشتقاق والتعدد والتشبيه والمسمى ونحو ذلك بل انما يجري ذلك في الصفات
الاضافية وان اردت بمعنى الاسم مفهومه العام او المتصور ولذات به هذا
الاسم فهو عين المسمى قطعا وهو بهذا المعنى وبما سبق ليس عين الذات بل
الاحد

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ بِرَبِّهِ

الحمد لله الواحد الصمد المنتزه عن الصانحة والوجه المتردد في جهة والمضالفة عظمه الذي
لعبت له في ولرب فهذا الغوي والسر واخوه صلافة على عهد والرهوى الشريف ما لهذا ولرب
فمنقول محمد بن عبد الجبار هذا المجلد الثامن من شرح الاصول المسمى بحمدى القول
مفصلاً عن كتابه ونحوه في بابه وخاتمه واحتمت في وضع كثير من استقالات
قال الله في العلم الظاهر والفضل المشهور ما علم الناقد ثقة الاسلام محمد بن يعقوب الكوفي
باب معاني الاسماء اشتقاقها اول هذا هو الباب الثامن عشر من كتاب الذريعة
احدها ولقد تم قبل الشرح في شرح الاخلاص مقدمة كما هو المسمى فيها فيقول الغزالي
الباب بيان معنى اسما يعرف انها اسما لا للاحاطة فليت مرسومة على الكتاب
ولا ذكر بنا عليها من حيث هو وكذا اشتقاقها من الذات وهو ما ينعهم كما جاء
وسبق في المجلد الثامن ويشتمل على بيان ما يورد عليه وما لا يورد فيقول معاني الاسماء
ما يدل عليه لا لتأخر الذات ولا لاستدلال من معاني اشتقاق وهو الفصل الثاني
الاسماء لا لتأخر المعنى الاحكام من حيث ظهور الذات بالفضل فانها لا تظهر لظهور
بل لا لوجودها عند وجودها فانها اذا كانت الائمة حجة الموضوع والاشارة يكون
عن المسار لا عينها الاصله السابع لتعالها من المعنى والاشارة والمقدمة

بسم



الحمد لله الأحد الصمد، المنزه عن الصاحبة والولد، المتوحد في توحيده، والمتعالي في عظيم عظمته، الذي بعد فلا يرى، وقرب فشهد النجوى، والسر وأخفى، وصلّى الله على محمد وآله، ذوي الشرف والعلو.

وبعد، فيقول محمد بن عبد علي آل عبد الجبار: هذا المجلد السادس من شرح الأصول، المسمى بـ «هدي العقول»^{*} وفقنا الله لإتمامه، ونتوسل بوسيلته في بدته وختامه، واختصرت في مواضع كثيرة منه استعجالاً.

قال المصنّف ذو العلم الظاهر، والفضل المشتهر، والعلم الناشر، ثقة الإسلام محمد

بن يعقوب الكليني:

(*) يحتوي هذا المجلد على تعليقات قيمة لساحة الشيخ إبراهيم بن مهدي آل عرفات، القديحي القطيفي، المتوفى عام ١٢٦٩ هـ على الأرجح. من مؤلفاته: «الكشكول»، «الردود والنقود» وهو حواشي وردود على «الفتوحات المكية». انظر: «الكشكول» ص ٢٤ - ٢٥، «الذريعة» ج ١٠، ص ٢٣٨، الرقم: ٧٦١. وقد وردت هذه التعليقات في حاشية المخطوط «أ» الذي اصطلحنا عليه: «نسخة عرفات»، ويرمز للتعليقة بـ «إبراهيم» تارة، وتارة: «ب». وقد أحببنا نشرها لما تشتمل عليه من فوائد.



مرکز تحقیقات کامپیوتر علوم اسلامی

الباب السادس عشر

معاني الأسماء
والألقاب



مرکز تحقیقات کامپیوتر علوم اسلامی

أضواء حول الباب

أقول هذا هو الباب السادس عشر من كتاب التوحيد، وأحاديثه [اثنا عشر]^(١)، ولنقدّم - قبل الشروع في شرح الأحاديث - مقدّمة، كما هو المجري فيما سبق، فنقول:

الغرض من هذا الباب: بيان معنى أسمائه؛ لتعرف أنّها أسماء دلالة لا إحاطة، فليست موضوعة على الذات مطابقةً، ولا دلالتها عليها من حيث هي، وكذا اشتقاقها ليس من الذات. وتعرف - أيضاً - عدم كونها جامدة، وسبق في المجلد السابق^(٢). ومشمّل أيضاً على بيان ما يجوز عليه وما لا يجوز.

فنقول: معاني الأسماء: ما تدلّ عليه، ودلالتها على الذات دلالة استدلال، من مقام الاشتقاق وهو الفعل، وتلاحظ أيضاً دلالتها على المعبود الأحد، لكن من حيث ظهور الذات بالفعل، فإنّها لم تظهر للخلق ظهور إحاطة، بل دلالة، وهي وجدانها عندهم ووجدانهم لها.

وإذا أردت من الاسم جهة الموضوعية والتسمية يكون عين المسمّى، لا عين الذات الأحادية الساذج؛ لتعاليتها عن المفهوم والاشتقاق والتعدّد والتسمية والمسمّى، ونحو ذلك، وإنما يجري ذلك في الصفات الإضافية.

(٢) «هدي القول» ج ٥، باب حدوث الأسماء.

(١) في النسختين: «أحد عشر».

وإن أردت بمعنى الاسم مفهومة العام أو المتصور، أو أردت به هذا الاسم، فهو [غيراً] ^(١) المسمى قطعاً، وهو بهذا المعنى - وبما سبق - ليس عين الذات البحت، الأحدية المنزهة عن حدود الفؤاد، والسرّ والعقل والنفس والخيال والأجسام، وبالجملة: عن عالم الإمكان، ذاتاً وصفةً، ولو بحسب الصلوح والمقابلة.

فلا نقول: مجرد عن حدود النفوس والأرواح والمثال والأجسام، وكذا عن حدود العقول؛ فإنه يوجب نوع * مقابلة وتحديد.

نعم، نقول: مجرد عن حدود الإمكان، وهو تحديد للممكن وراجع له، فلا مقابلة، فوجوده تعالى وتجرده بما هو موجود.

نعم، إذا لاحظت الموجودات أحدثت لك الدلالة عليه، والصفات التنزيهية ووصفه بالكمال لنفي ما تستعمله وتحذره الأوهام الشيطانية فيه تعالى.

ومن بعض الأحاديث ^(٢) - وسبق - [استفاد] ^(٣) جواز إطلاق المعنى عليه تعالى، والوجود الحق، لكن لا يراد بالمعنى المفهوم العام، ولا المحدود بوجه، ولو بمقابلة. ولا تنوهم ما ينافي ذلك من قوله: ﴿ وَأَنْ إِلَى رَبِّكَ الْمُنْتَهَى ﴾ ^(٤) أن الاشتقاق من الذات، بجعل المنتهى للذات، [فإن للرب] ^(٥) معاني غير الذات الأحدية.

وأيضاً الرجوع لفعله - ومحل أمره [القائم] ^(٦) به - رجوع * له، وأضافه لنفسه، تنزيهاً

(١) في «أ»: «عين».

(*) «إنما أوجب الفرد من الممكن نوعاً من المقابلة، دون مطلق الممكن، لأنه ينهم يادي الرأي من ذكر خصوص الفرد ونفي حدوده، مقابلته بتجويز كونه قابلاً لحدود فرد آخر يقابله، بخلاف الممكن المطلق، فقولنا: ليس في الواجب حدود الممكن، لا يكون إلا بعد معرفة حدود الممكن، فيكون غيره تحديد للممكن، لا تحديد للواجب بنفي حدود الممكن عنه، والمعنى دقيق مستفاد من الحديث: (وغيره تحديد لما سواه) [«عيون أخبار الرضا» ج ١، ص ١٥٦، ح ٥١]، «إبراهيم» [حاشية «أ»].

(٢) «الكافي» ج ١، ص ٨٤، باب إطلاق القول بأنه شيء، ح ١٦، ص ٨٧، باب المعبود، ح ٢.

(٣) ليست في «ب».

(٤) «النجم» الآية: ٤٢.

(٥) في «ب»: «وللرب».

(٦) في «أ»: «القديم».

(*) «فيه إشارة إلى اعتقاد حدوث المشيئة، والرد على من قال بأنها قديمة، وإطلاق القدم عليها، نظراً إلى ورود ذلك في نصوصهم ^(١)، كما في الدعاء الوارد عنهم ^(٢): (يا قديم الإحسان) [«البلد الأمين» ص ٤٢٠] إشارة إلى رفع تعطيل الذات وقتاً عن الفيض الخلقى، فإنه تعالى كل يوم هو في شأن، فقدم المشيئة إنما يتحقق به تعالى، فتكون المشيئة حينئذ حادثة بالذات، ولا يلزم تعدد القدماء، «إبراهيم» [حاشية «أ»].

وتعظيماً وتشريفاً، ونحوه كثير في الكتاب والسنة والعربية، والعرف العام والخاص، وأين ظاهر الربوبية والألوهية والرحمانية والذات القدسية؟
ولكن لما لم يكن لها ظهور إلا بظهور الذات بها - ولألم تكن مصنوعة ولا ظاهرة - هجر بها عن الذات، تعبير دلالة، ودلت عليها بجهة وحدتها الظاهرة، كما أنه لكمال الاتصال الفعلي وعدم الفاصلة قيل: (نن فصل عنه كما ين فصل الضوء عن الضوء)، لا أنه بطريق لزوم للذات، أو اضطرار وانفصال، والضوء انفصاله بتجلُّ وإشراق فعلي أيضاً، لا بنفس الذات في الذات.

وعن النبيوع لابن الكاشاني، عنهم عليه السلام: (نن فصل عنه كما ين فصل النور من الشمس) ^(١). وفي كتاب رياض الجنان للفارسي، بإسناده إلى جابر بن يزيد الجمفي، عن أبي جعفر عليه السلام قال: قال: (يا جابر كان الله تعالى ولا شيء غيره، ولا معلوم ولا مجهول، فأول ما ابتدأ من خلق خلقه أن خلق محمداً عليه السلام، وخلقنا أهل البيت معه من نوره وعظمته، فأوقفنا أظلة خضراء بين يديه، حيث لا سماء ولا أرض، ولا مكان، ولا ليل ولا نهار، ولا شمس ولا قمر، يفصل نورنا من نور ربنا كشعاع الشمس من الشمس، نستبح الله تعالى ونقدسه ونحمده ونعبده حتى عبادته، ثم بدا لله تعالى عز وجل أن يخلق ^(٢) عليه السلام ربي مصباح الأنوار ^(٣) لأبي الحسن البكري - أستاذ الشهيد - عن أمير المؤمنين عليه السلام، قريب منه.

وهذا يبيِّن مبدأ الاشتقاق أيضاً، وسيأتي من الباب - وسبق - أنه فعله، وهو نور عظمته، وهو غير ذاته، وستأتي زيادة إن شاء الله تعالى.
وقد ظهر لك أن المعنى يطلق على معانٍ متعدّدة، فميّزها بحسب المقامات، واللفظ - بحسب الدلالة -: معنى ومسمّى ومصدوق ومفهوم، وقد يُطلق أحدها على الآخر في مقام الاجتماع، وله نظائر، كالإسلام والإيمان، والمشينة والإرادة، والمسكين والفقير.
فالمعنى: ما يقصد من اللفظ بأصل الوضع وبحسب الدلالة، وهذا متأخر عن اللفظ، ويدلُّ عليه قول الرضا عليه السلام لعمران الصابي: (ليس للحروف في أنفسها معنى غير نفسها، فإذا

(١) المصدر غير متوفر لدينا في الوقت الحاضر.

(٢) عنه في «بحار الأنوار» ج ٢٥، ص ١٧، ح ٣١ صحّناه على المصدر.

(٣) المصدر غير متوفر لدينا.

أردت تأليفها لمعنى ألفتها لمعنى مُحدث، لم يكن قبل ذلك (١) هذا معناه.

والمعنى للفظ كالروح للجسد، ويظهر بالمقابلة.

والمستى: ما وضع الاسم بإزائه.

واختلف العلماء في الموضوع له، هل هو المعنى الذهني أولاً، وللخارجي تبعاً، أو بالعكس، أو للطبيعة الكلية المطلقة لا بشرط شيء؟ ولكل حجة لا تقطع النزاع، ذكرناها في محل آخر.

ولا يبعد القول بأن [وضعه] (٢) للخارجي، لكن بحسب وجه من وجوهه؛ لأن جهة التسمية ليست حقيقة الذات - كما عرفت - بل بجهة الشبح المثالي الفعلي الدال عليها، والالتفات إليه يغيب الشبح، ويظهر حكم الذات والوصف الظهوري.

وقال الصادق (عليه السلام): (يا هشام، الخبز اسم للمأكل، والماء اسم للمشروب، والثوب اسم للملبوس) الحديث (٣)، وله معنى آخر أيضاً.

ومصدق اللفظ: ما يصدق عليه، سواء كان لفظاً شائعاً أو نادراً، وله تفاصيل تذكر في موضعها.

والمفهوم: ما دل عليه اللفظ في محل النطق بلفظه مطابقة، أو تضمناً، على الأرجح في الثاني، وينقسم إلى: مفهوم موافقة، ومفهوم مخالفة، والتفصيل في محل آخر.

ووضع اللفظ لمعنى يوجب سبق المعنى وتصوره قبل، فهو أول في نفس الأمر، هذا بوجه، وبوجه - عليه ما في الذهن [المطابق] (٤) لما في نفس الأمر [في] (٥) الخارج - الوضع مساوق.

وأهلن ما يقصد من اللفظ المعنى، وهو مبدأ اشتقاق الأسماء والصفات، لا الذات البحث - كما سبق - فـ «قائم» و«عالم» و«قاعد» مشتق من الفعل بجهة الفاعلية، لا من الذات الأحدية، أو قل: منها بجهة فاعليتها وظهورها، وليست حقيقة ذاتها الأحدية، والمزدي واحد، فالاستناد إليها بظهورها الفعلي، وتتعدد الجهات للمشتقات من هذه الجهة، فالاسم

(١) «هيون أخبار الرضا» ج ١، ص ١٧٤، ح ١، نقله بالمعنى.

(٢) في النسختين: «وصفه».

(٣) «الكافي» ج ١، ص ٨٧، باب المعبود، ح ٢، ص ١١٤، باب معاني الأسماء واشتقاقها ح ٢، وسيأتي في ح ٢ من هذا الباب.

(٤) في النسختين: «المطلق».

(٥) ليست في «ب».

اسم لتلك الصفة بهذه الجهة، فـ«عالم» للعالمية الحاصلة بفعله، أو قل: الظاهر بها، الدالة عليه، و«القائم» اسم لفاعلية القيام ومنسوب إليه، وإذا عبرت بها عن الذات فبمعنى آخر سبق، وهو لا ينافي هذا.

ومثال المشتق أشعة السراج، ومبدأ الاشتقاق شمعة السراج، أو قل: الكلام وفعل المتكلم الذي قام به الكلام، وهو الحركة، وأمثاله كثيرة، وستأتي جملة منها، فالأسماء اللفظية أسماء للأسماء، وهي أسماء أيضاً.

والذي أوقع أهل الأصول في | ما وقعوا فيه، وناهوا به عن الحق، ظنهم أن مبدأ الاشتقاق الذات، ودلائلها مطابقة، والمشتق صادق عليها، فتحيروا في القيام بمبدأ الاشتقاق: هل الذات أو غيرها؟

وتمسك كلُّ بأدلة استقرائية غير نامة، ولو تأملوا الآيات الوجودية الدالة - كما عرفت - لم يقولوا بقيامها بالذات، ولم ينفوا قيام المشتق بمبدأ الاشتقاق.

ولمّا عرفت اشتقاقها من فعله، فيه قامت قيام صدور وتحقق ركني، لا بالله، إلا قيام افتقار وصدور في مقامها، فإنه لم يظهر لها إلا بها، وليست بحالة في ذاته ولا حارضة، ولا لازمة ولا منفصلة بتجزئة، ولا بنسخ، ولا تبسط عليها.

فميز ذلك، فهو أصل عظيم ينفك في عدة مسائل من التوحيد، ويُبطل كثيراً من مسائل أهل النظر والكلام في المبدأ، وكالاتراك في الوجود وغيره، ويتضح لك الأمر في معاني الأسماء، والفرق بين الأسماء والصفات، وإن كانت بوجه: الاسم (صفة لموصوف) ^(١) وسبق، ويأتي إن شاء الله تعالى، وبه يتضح لك ما في كلام الشراح هنا من الهفوات، وسيأتي بعضها.

□ الحديث رقم ﴿ ١ ﴾

قوله: ﴿عن عبد الله بن سنان، قال: سألت أبا عبد الله عليه السلام عن تفسير ﴿بسم الله الرحمن الرحيم﴾، قال: الباء بهاء الله، والسين سناء الله، والميم مجد الله.

(١) «الكافي» ج ١، ص ١١٣. باب حدوث الأسماء، ح ٣، وسبق في «هدي القول» ج ٥، باب ١٥، ح ٣.

وروى بعضهم: السيم ملك الله، والله إله كل شيء، الرحمن بجميع خلقه،
والرحيم بالمؤمنين خاصة».

أقول: قال الملا الشيرازي في شرح الحديث: «أما تفسيره ﷻ للحروف الواحداً^(١) التي في ﴿بسم الله﴾ فذلك بالتوقيف، لا سبيل للعقل إليه»^(٢).

أقول: كل شيء لا بد وأن يكون في الشريعة أصل له، ودليل يدل عليه، ولا تدرك العقول شيئاً لا دليل عليه [منها]^(٣)، وإن خالف بعض في ذلك، لكن تنفاوت العقول في ظهور ذلك لديها، فشريعة النبي ﷺ - خصوصاً - الخاتمة لا بد من كونها جامعة، ولا يمكن أكمل منها في الكون؛ لأنها متممة ومبينة لما لا يدرك عقلاً.

وقوله بأنه: «لا سبيل للعقل إليه» حكم على غيره بما في نفسه، وكذب بما قصر عنه، ولم يأت تأويل بيانه، ولو عرف جامعية القرآن، وأنواع بطونه وتأويلاته ومتشابهه وعمومه، لعرف وجهه العقلي، لكنه بمعزل عنه، وإنما يعرف تأويل كلام ابن عربي وأمثاله*.

قال: «وأما قوله: (والله إله كل شيء) يرجع قول من قال: إنه مشتق، وقد مر ذكر الأقوال في معناه»^(٤).

أقول: أما كونه وجميع أسماء الله مشتقة، فمقطوع به، وخلافه شاذ - وسبق^(٥) - لكن ليس منشؤه وما أصل عليه مسلماً له، كما سبق.

قال: «وقوله: (الرحمن بجميع خلقه، والرحيم بالمؤمنين خاصة) اعلم أنهما اسمان بنيا للمبالغة، من: رحم يرحم، كالغضبان من: غضب، والعليم من: علم.

والرحمة - في اللغة - قيل: إنها رقة القلب، وانعطاف يقتضي التفضل والإحسان. والحق أنها فينا حالة نفسانية تكون مع رقة القلب، وبها نفع المودة والإحسان، كما أن الغضب حالة نفسانية تكون في الأكثر مع قساوة القلب وجموده، تصدر منها الإساءة والجور،

(١) كذا في المصدر، وفي النسختين: «الواحدة». (٢) «شرح أصول الكافي» ج ٣، ص ٢٦٠.

(٣) ليست في «ب».

(٤) «لا ينبغي للشارح المعاصر هذا الطعن المتكرر في مجلدات شرحه، خصوصاً لشرح أصول الكافي من الشيعة، كملأ صدراً وتلامذته، فإنهم وإن فرض غلطهم، لكن اللائق الذب عنهم بما أمكن، فإنهم لو علموا أنه مذهب أهل العصمة لم يخالفوه قط، وكان اللائق أن يظن بالدليل، فإنه أقرب لهداية الناظر وأجمل». «إبراهيم» [حاشية «أ»].

(٤) «شرح أصول الكافي» ج ٣، ص ٢٦٠.

(٥) «هدي العقول» ج ٣، باب المعبود.

وهكذا العلم، والحلم، والحياء، والصبر، والعفة، والمحبة، وغيرها، فينا صفات نفسانية، يناسبها أحوال القلب ومزاج البدن، وهي مبادئ الأفعال وآثار يناسبها.

وإذا أطلق بعض هذه الصفات على الله، فلا بد أن يكون هناك على وجه أعلى وأشرف؛ لأن صفات كل موجود على حسب وجوده، لصفات الجسم كوجوده جسمانية، وصفات النفس نفسانية، وصفات العقل عقلانية، وصفات الله إلهية^(١).

أقول: قوله: «اعلم»... إلى آخره، ما ذكره من الخلاف مشهور عند أهل اللغة والنظر، والأقوى الأول، لكن إن [خصوه]^(٢) بالممكن، ولم يجعلوا غيره مجازاً، أمكن صحته، وإلا فلا.

وقوله: «وإذا أطلق بعض هذه الصفات»... إلى آخره، إذا أطلقت الرحمة عليه فليس على سبيل المجاز، كما قيل^(٣)، ولا أنها بهذا المعنى - بما يناسبه تعالى - مجردة عن الرقة وعن الحالة النفسانية، بل بمعنى الهداية والحياة، وهي حقيقة في الله، حين ذاته، ولغيره مجاز وطريق لذلك، وإن كانت حقيقة في مقامها، قال الله تعالى: ﴿فَانظُرْ إِلَى آثَارِ رَحْمَةِ اللَّهِ كَيْفَ يُحْيِي الْأَرْضَ بَعْدَ مَوْتِهَا﴾^(٤) ويدل عليه بعض الأحاديث كما رواه الصدوق، ولا يحضرنى موضعه، وقول الصدر هنا بأنها ثابتة لله على وجه أعلى، ساقط مع ما فيه من الإجمال.

قال: «لا كما عليه كثير من أهل التمييز، من أن ينكر هذه الصفات في حق الله رأساً، ويقال: إن أسماء الله إنما تطلق باعتبار الغايات التي هي أفعال، دون المبادي التي تكون انفعالات، وهذا من قصور العلم، وضيق الصدر، وعدم سعة التعقل؛ حيث لم يدركوا مقامات الوجود ومواطنه، ومعارجه ومنازله وأحواله، في كل موطن ومقام، فوقعوا في هذا التعطيل الخالي عن التحصيل»^(٥).

أقول: إن كان معناها الحقيقي الرقة، فالمناسب لإطلاقها عليه ما ذكره، ويكون من قبيل المجاز، وهو أرجح من قوله لو تقابلا، وإن كانا في الضعف مشتركين. وهذا الضيق أقل قبحاً من سعته، كما لا يخفى من أقواله المنقولة قبل وبعد.

(١) «شرح أصول الكافي» ج ٣، ص ٢٦٠. (٢) في «ب»: «حضوره».

(٣) «تفسير الكشاف» ج ١، ص ٨. (٤) «الروم» الآية: ٥٠.

(٥) «شرح أصول الكافي» ج ٣، ص ٢٦٠. باختصار ما، صحناه على المصدر.

قال: «وبالجملة العوالم متطابقة، فما وجد من الصفات الكمالية في الأدنى يكون في الأعلى على وجه أرفع وأبسط وأشرف، فافهم هذا التحقيق واغتنم، فإنه عزيز جداً»^(١).
أقول: قد عرفناه، فإذا هو خالٍ عن التحقيق، بل يوجب الضيق والضلال البعيد؛ لابتناؤه على أن بسيط الحقيقة كل الوجود، وأن كل ما في الممكن من كمال ثابت لله، وحاصل في الأزلية وفي مقام الأعيان، وهذا ضلال نعوذ بالله منه، كما سبق ويأتي. وتطابق العوالم لا يوجب أن يكون ما فيها في الله أو معه، تعالى الله علواً كبيراً.

قال: «ثم إن (الرحمن) أشدُّ مبالغة من (الرحيم)؛ لأنَّ زيادة البناء تدلُّ على زيادة المعنى، كما ذكره الزمخشري^(٢) وغيره، وذلك إنما يعتبر تارةً باعتبار الكمية، وأخرى باعتبار الكيفية. فعلى الأول قيل: (يا رحمن الدنيا) لأنه يعمُّ المؤمن والكافر، (ورحيم الآخرة)^(٣) لأنه يخصُّ المؤمن، وعلى الثاني قيل: (يا رحمن الدنيا والآخرة، ورحيم الدنيا) لأنَّ النعم الآخورية كلها جسام عظام، وأما النعم الدنيوية فتكون جليلة وحقيرة»^(٤).

أقول: زيادة المباني تدلُّ على زيادة المعاني، وهو في (الرحمن) ظاهر، ويجري في (الرحيم) بوجه، فورد: (رحيم الدنيا والآخرة)^(٥) وتعمُّ الكافر في الدنيا، توفيةً لنصيبه، واستظهاراً عليه في الحجة وكمال التخليفة، وكمال ظهور العظمة، ومن بقي له نصيب وفي يوم القيامة أو بعده، بما لا يظهر لهم تحقيق عذاب، ولكن الموضوع مختلف فيهما، فلا تنافي.

وعلى تفسير الرحمة كما سمعت - بأنها الهداية والحياة، أو إفاضة الرزق، وهذا داخل فيما سبق - يظهر لك عموم وخصوص فيهما، إذ مقام (الرحمن) مقام النبوة والرسالة، و(الرحيم) مقام الولاية، و(الله) مقام البيان - المشار له في حديث جابر^(٦) وغيره - والتوحيد، فقد جمعت البسمة الثلاثة.

قال: «وإنما قُدِّم، والقياس يقتضي الترقِّي من الأدنى إلى الأعلى؛ لتقدُّم مرحمة الدنيا على مرحمة الآخرة، ولأنَّه صار كالقلم، من حيث إنه لا يوصف به غيره من الصفات؛ لأنَّ معناه: المنعم الحقيقي، البالغ في الرحمة غايتها، وذلك لا يصدق على غيره، لأنَّ ما عداه

(١) «شرح أصول الكافي» ج ٣، ص ٢٦٠ - ٢٦١. (٢) «تفسير الكشاف» ج ١، ص ٦.
(٣) «بحار الأنوار» ج ٨٨، ص ٣٥٥، ح ١٩. (٤) «شرح أصول الكافي» ج ٣، ص ٢٦١.
(٥) «إقبال الأعمال» ص ٧٤٤، «باختلاف». (٦) «بحار الأنوار» ج ٢٦، ص ١٣، ح ٢.

مستفيض، وهو مفيض»^(١)... إلى آخره.

[أقول:]^(٢) في الإثبات لا ينافي ذلك خصوصاً، والمقصود هنا من (الرحيم) غير المقصود من (الرحمن) فلا منافاة، وعدم إطلاق (الرحمن) على غير الله لا يوجب صيرورته علماً، أو كالعلم، وقيل بأنه علم للغلبة، وهو ساقط، ومن الخلق من جمعت له الرحمتان، وسيأتي زيادة بسط في البسطة إن شاء الله تعالى.

وقال محمد صادق: «أقول: البهاء بمعنى الحُسن، والسناء بمعنى الضوء، والمجد هو العظمة والكبرياء، والعظمة والكبرياء إشارة إلى مرتبة الأحدية، وتلك المرتبة هي الذات الأقدس مع صفة واحدة، وهو العلم، وقد يُعبر عنه بالنور، والذات الأقدس مخفية عن القلوب، كما هي مخفية عن الأبصار، والظاهر فيها هو صفة العلم.

والسناء الذي بمعنى الضوء، والبهاء الذي هو بمعنى الحسن، إشارة إلى تلك الصفة، التي هي جمال للأحد وحسن له، وفي الباء والسين والميم هذه الإشارات».

أقول: ليس المراد كما قال، بل المجد مراد به المُلْك، فتطابقت الروايتان، ولا يُعبر عن الذات الأحدية بذلك، ولا صفة علم معها. والبهاء عالم العقل، والسناء عالم النفس، أو قل: الجبروت والملكوت، ولك جعلها إشارة إلى عالم الأمر والجبروت، بما يشمل أوله ووسطه وآخره، أي المجرد، والمُلْك عالم المواد.

قال: «و(الله) هو تلك الذات الأحدية، مع جميع الصفات والكمالات، ومظهرها جميع المخلوقات، من أزل الأزال إلى أبد الآباد، وهاتان المرتبتان هما الحقيقة المحمدية، ويعبر عن المرتبة الثانية بـ ﴿قَاب قَوْسَيْن﴾، وعن المرتبة الأولى بـ ﴿أَوْ أَدْنَى﴾».

أقول: بل الألوهية هي باعتبار استيلائها على ما دق وجل، وهي الألوهية إذ مألوه، وهي صفة فعل قائمة به قيام صدور، ولم تظهر الذات الأحدية بها، وإلا عدم الألوهية والعبادة وغيرها، ومبدأ المخلوقات من المشيئة والأزل الإضافي، لا أزل الأزال الذاتي، وكذا في قوله: «أبد الآباد»، لكنه يشير إلى قواعد صوفية وأحكام خيالية، وليس للمخلوق تحقق - بوجه - في مقامه ورتبته.

ومرتبة ﴿قَاب قَوْسَيْن﴾ مرتبة عقل الكل، و﴿أَوْ أَدْنَى﴾ مقام المشيئة، وهي مرتبة ظهوره ﷺ بحقيقة العبودية، التي هي الربوبية إذ مرهوب إمكاناً، وهي رتبة الأولية، ورتبة

(١) «شرح أصول الكافي» ج ٣، ص ٢٦٦. (٢) من «ب».

محمد ﷺ الأولية هي الأمر المفعولي، مخلوق بأمره، وهذا كلام لا يفهمه إلا أقل القليل .
قال: «ثم إنَّ (الرحمن) هو الذات المستجمع لجميع الصفات الجمالية الثبوتية، على
سبيل الإجمال والكلية، ومظهرها هو العقل الأول؛ لأنه مجمل جميع الممكنات،
والصفات الجلالية السلبية تابعة للظاهر، من قبيل تبعية اللازم للملزوم، وكلٌّ من اللازم
والملزوم داخل في حقيقة العقل الأول» .

أقول: الصفات الظاهرة صفات فعل، وظهور الذات بها - بوجه - هو نفس الظهور، لا
بأحديتها، وصفات الجلال والجمال، هل الأولى للثبوتية، والثانية للسلبية، أو بالعكس؟
خلاف .

والصفات إن أريد بها الذاتية فلا كلام فيها بوجه، ولا يقال: ظهرت الذات بها، والفعلية
قائمة بفعله وبه، قيام صدور، ومقام الرحمة العامة: المشيئة. وجعل (الرحيم) للذات مع
الصفات الثبوتية تفصيلاً، وجعل رحمة (الرحيم) تشمل الكافر والمؤمن دنياً، وتخصُّص
بالمؤمن في الآخرة، وكلُّه تخمين خطأ، وبقي له كلام في البسمة خفيف الوزن، لا فائدة
في نقله .

والكاشاني - بعد أن قال في الحديث بأنه إشارة إلى علم الحروف، وأنه علم شريف،
يستنبط منه جميع العلوم والمعارف، وهو مكنون عند أهله - قال: «وكان (الرحمن) إنما هو
من الرحمة التي وسعت كل شيء، و(الرحيم) من الرحمة التي يختص بها من يشاء من
عباده» .

وقال: «قال أستاذنا^(١) - بعد تحقيق معنى الرحمة على ما يفهمه الجمهور - : وإذا
أطلق بعض هذه الصفات على الله» إلى قوله: «واختتم فإنه عزيز جداً»^(٢) انتهى، وسماعته .
أقول: وما فيه من المفاسد والبطلان، وما وصف به علم الحروف، فكذلك، وهو منه
نقل .

وقوله بأنه مكنون عنه أهله، حق، وكذا جميع العلوم، وبرز منه بعض - كثيره - وعرفه
من عرفه ومن يتبهم .

(١) «شرح أصول الكافي» ج ٣، ص ٢٦٠ .

(٢) «الوافي» المجلد ١، ص ٤٦٩ - ٤٧٠، صححناه على المصدر .

وأني لأتعجب من هذا الكاشاني أشدَّ عجب في الفقهيات - في سفينة النجاة^(١)، وأول الروافي^(٢) والمفاتيح^(٣) - يشنع على الفقهاء بالزور والبهتان، بأنهم يتركون الأحاديث ويستمعون العامة، والتبس عليهم بمدخلتهم الأمر، فأدخلوا في الدين ما ليس فيه. وهو قد أبطل الأصول وأحاديثه، بما اعتقده وأخذه من ابن عربي، وأستاذه الملا تلميذ ابن عربي، كما يظهر لمراجع كتبه، وأوقفناك على جملة منها متفرقاً، وقد [نكتفي]^(٤) بعبارة أستاذه الملا، فإنه لا يخرج عنه، والحاصل: أنه لا يمرج عليه، ولا يلتفت إلى قوله، لا في أصول ولا فروع، فإنه متصوَّف.

تحقيق المؤلف

واعلم أن الاشتقاق اقتطاع كلمة من أخرى، بزيادة حركة أو نقصانها، أو هما كذلك، أو تقديرًا، ولا بدَّ من مناسبة بينه والمبدأ، ولهذا قلنا: اشتقاق أسماء الفاعلين والمفعولين - وسائر المتعلقات - من الفعل، بحسب مقارناته وما يعرض له، لا بذاته، ولا بدَّ من المناسبة بينه وبين ما اشتقَّ منه، كما يدل عليه ما دلَّ على اشتقاق أسمائهم عليهم السلام من أسمائه^(٥) تعالى، وعليه جماعة من العلماء الأعلام. وهذا يدل على أن الاشتقاق ليس من الذات الأحدية، كما عرفت.

والمصدر هو الأثر الحاصل من الفعل، وهو هيئته والأقرب إليه، ولهذا يؤكد به، وهو تابع له جارٍ عليه. والفعل هو التأثير والإحداث، وسبق لك: (مشيئته إحدائه)^(٦). واسم الفاعل ظهور الذات بالأثر، ومادته نفس الظهور، وصورته حقيقة الأثر، ولا يصح كونه هو الذات البحت، من حيث ظهور الأثر والصفة، كما يدل عليه قول من سمعت من المتصوِّفة، إذ لا ظهور لذات زيد القائم قبل القيام، أي لم يوصف به، وليست ذاتية له؛ لأنه لم يوصف به ثم وصف، فهي فعلية وُصفت به عند ظهورها بفعلها في ذلك الأثر، فهو يدلُّ عليه تعريفًا ومعرفة؛ لأنه أثر، ومرجعه لفعله.

(١) المصدر غير متوفر لدينا. (٢) «الروافي» المجلد ١، ص ١٤ - ١٥.

(٣) انظر: «مفاتيح الشرائع» ج ١، ص ٤. (٤) في «ب»: «تكييف».

(٥) «معاني الأخبار» ص ٥٥، ح ٣.

(٦) «الكافي» ج ١، ص ١٠٩، ح ٣، وسبق لي: «هدى العقول» ج ٥، باب الإرادة...، ح ٣، وفيه: «إحدائه».

والأثر - من حيث هو - هو المفعول المطلق، ونفس الأثر - من حيث تعلّقه بالحدود الستة: الزمان، والمكان، والجهة، والمرتبة، والكمّ، والكيف - هو المفعول به، فالمضروب ما حدث بفعل الفاعل، وإنما كان الفعل أصلاً في العمل والاشتقاق لحكم الهيئة [واسرار] (١)، واللفظ يدور على المعنى، ولا استحق اللفظ [للعمل] (٢) إلا لاقتضاء معناه وأصله له.

ودليله فيك: تقوم جميع شؤونك وأفعالك بفعلك، وهي حركتك المطلقة التي بها تحدث الآثار الظاهرة والباطنة، وجميع الشؤون بالنسبة لك ولغيرك، و[هي] (٣) في نفسه مجرد عنها، وتلحقه بحسب مقارناته، وما يطرأ عليه من جهة السفلى، وسيأتي زيادة في ذلك إن شاء الله تعالى.

وعرفت - ممّا سبق ويأتي - أنّ ما ذكره ﷺ من المعاني فهي معاني دلالة معلومة، بجهة ظهورها لنا بنا، ودالة على المجهول المطلق بجهة وحدتها، لا بجهة مظهرها وتركيبها، فظهوره بها ظهور دلالة بجهة وحدتها، ونفس الظهور، لا ظهور إحاطة، فإذا قلت: مقام السناء أو مفهومه، أو الجمال، أو الألوهية، أو الولاية، أو [الهوان] (٤)، وأمثال ذلك من معاني الصفات والأسماء، فكلّها معانٍ ومفهومات حادثة، وليست مع الله، ولا تصدق على الذات مطابقة ولا تضمناً، ولا تُحمل عليه إلا حمل دلالة، نسبتها له كنسبة الكعبة والبيت والروح له، وهي دالة عليه؛ لأنها صفة فعله وأثره الذي أُلقي فيه الدلالة عليه، وإلا لم يكن خالقاً لها، فتكون النسبة له مجازية فعلية؛ للشرف والتنويه والرفعة، لا أنّ ضمير الذات - بأحديتها - استكنّ فيها.

وعُرف من الحديث - وما سيأتي - أنّ مبدأ اشتقاق كلّ اسم ما يدلُّ عليه، وجميع الأسماء والصفات مشتقة من الفعل، وإن قيل بالاشتقاق من المصدر فهو من الفعل، فعاد إليه، وهو أيضاً الأصل في العمل، فعاد إليه الأمر، ولا ينتهي الممكن إلا إلى ممكن، والله منزّه عن جميع المفاهيم والاعتبار. وما تضمّنه الحديث والعنوان متواتر معنى. وروي في التوحيد (٥)، والعياشي (٦) مثل حديث الأصل.

(١) كذا في النسختين. (٢) «في»: «ب»: «لعمل».

(٣) ليست في «ب».

(٤) في «أ»: «المواد». وبشير بالهوان إلى قوله ﷺ الآتي في هذا السياق: (هوان لمن خالف محمداً)...

(٥) «التوحيد» ص ٢٣٠، ح ٢. (٦) «تفسير العياشي» ج ١، ص ٣٦، ح ١٨ - ١٩.

وفي التوحيد، عن أبي عبد الله عليه السلام، أنه سُئل عن ﴿بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ﴾، فقال: (الباء بهاء الله، والسين سناء الله، والميم ملك الله) قال: قلت: الله؟ قال عليه السلام: (الألف آلاء الله على خلقه من النعيم بولايتنا، واللام لزوم الله خلقه ولايتنا) قلت: فالحاء؟ قال عليه السلام: (هوان لمن خالف محمداً وآل محمد صلوات الله عليهم) قال: قلت: الرحمن؟ قال: (بجميع العالم) قلت: الرحيم؟ قال: (بالمؤمنين خاصة) ^(١).

بيان: التفسير بالحروف بهذه الطريقة - بالكناية عن الكلمة بالحروف - وارد في أوائل السور، وغيرها كثير، وهو من بعض بطون التأويل، ويجري في باقي البسملة أيضاً، وربما يأتي دليله.

وفيه: عن أبي الحسن: معنى الله (استولى على ما دقَّ وجلَّ) ^(٢). وفي العياشي ^(٣) مثله. وفي التوحيد، عن الحسن بن علي عليه السلام في قول الله عزَّ وجلَّ: ﴿بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ﴾ قال: (الله هو الذي يتأله إليه عند الحوائج والشدائد كل مخلوق، عند انقطاع الرجاء من كل مَنْ هو دونه، وتقطع الأسباب من جميع ما سواه، يقول: بسم الله، أي أستمين على أموري كلها بالله، الذي لا تحقُّ العبادة إلا له، المُعْتَبَرُ إذا استُغِيثَ، والمُعْجَبُ إذا دُهِمَ) ^(٤).

وهو ما قال رجل للصادق عليه السلام: يا رسول الله صلى الله عليه وآله، دلني على الله ما هو؟ فقد أكثر المجادلون عليَّ وحَيروني، فقال له: (يا عبد الله، هل ركبت سفينة قط؟ قال: بلى، فقال: هل كُسرَت بك، حيث لا سفينة تُنجيك، ولا سباحة تُغنيك؟ قال: بلى، قال: هل تعلق قلبك هنالك أن شيئاً من الأشياء قادرٌ على أن يخلصك من ورطتك؟ قال: بلى، قال الصادق عليه السلام: فذلك الشيء هو الله، القادر على الإنجاء حين لا منجى، وعلى الإغاثة حين لا مغيث).

وقال الصادق عليه السلام: ولربما ترك في الانتاح أمر بعض شيعتنا: ﴿بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ﴾، فيمتحنه الله عزَّ وجلَّ بمكرره؛ لينبئه على شكر الله تعالى والثناء عليه، ويمحو عنه وصمة تقصيره عند تركه قول: ﴿بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ﴾ ^(٥).

وقام رجل إلى علي بن الحسين عليهما السلام، فقال: أخبرني ما معنى ﴿بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ﴾

(١) «التوحيد» ص ٢٣٠، ح ٣، صححناه على المصدر.

(٢) «التوحيد» ص ٢٣٠، ح ٤.

(٣) «تفسير العياشي» ج ١، ص ٣٦، ح ١٥، عن الصادق عليه السلام.

(٤) «التوحيد» ص ٢٣٠، ح ٥.

(٥) «التفسير المنسوب للإمام العسكري» ص ٢٢، ح ٦ - ٧، صححناه على المصدر.

الرحيم ﴿١﴾، فقال علي بن الحسين عليه السلام: (حدثني أبي، عن أخيه، عن أمير المؤمنين عليه السلام أن رجلاً قام إليه، فقال: يا أمير المؤمنين، أخبرني عن ﴿بسم الله الرحمن الرحيم﴾، ما معناه؟ فقال عليه السلام: إن قولك: الله، أعظم اسم من أسماء الله عز وجل، وهو الاسم الذي لا ينبغي أن يتسم به غير الله، ولم يتسم به مخلوق.

فقال الرجل: فما تفسير قوله تعالى: ﴿الله﴾؟ قال عليه السلام: هو الذي يتأله إليه عند الحوائج والشدائد كل مخلوق، عند انقطاع الرجاء من جميع من دونه، وتقطع الأسباب من كل من سواه، وذلك أن كل مترئس في هذه الدنيا أو متعظم فيها، وإن عظم عناؤه وطغيانه، وكثرت حوائج من دونه إليه، فإنهم سيحتاجون حوائج لا يقدر عليها هذا المتعظم، وكذلك هذا المتعظم يحتاج حوائج لا يقدر عليها، فينتقل إلى الله عند ضرورته وفاقته، حتى إذا كفي همه عاد إلى شركه، أما تسمع الله عز وجل يقول: ﴿قُلْ أَرَأَيْتُمْ إِنْ أَتَاكُمْ عَذَابُ اللَّهِ أَوْ أَتَتْكُمُ السَّاعَةُ أَهَيَّرَ اللَّهُ تَدْعُونَ إِنْ كُنْتُمْ صَادِقِينَ﴾ بل إياه تَدْعُونَ لِيَكْشِفَ مَا تَدْعُونَ إِلَيْهِ إِنْ شَاءَ وَتَنْسَوْنَ مَا تُشْرِكُونَ ﴿١١﴾.

فقال الله تعالى لعباده: أيها الفقراء إلى رحمتي، إنني قد ألزمتكم الحاجة إلي في كل حال، وذلة العبودية في كل وقت، فإني فافزها في كل أمر تأخذون به وترجون تمامه وبلوغ غايته، فإني إن أردت أن أعطيك لم يقدر غيري على منعمكم، وإن أردت أن أمنعكم لم يقدر غيري على إعطائكم، فأنا أحق من سئل، وأولى من تضرع إليه، فقولوا عند افتتاح كل أمر صغير أو عظيم: بسم الله الرحمن الرحيم، أي استعين على هذا الأمر بالله الذي لا تحق العبادة لغيره، المُجيب إذا دُعي، المُغيث إذا استُغيث، الرحمن الذي يرحم ببسط الرزق علينا، الرحيم بنا في أدياننا ودياننا وآخرتنا، خَفَّفَ علينا الدين، وجعله سهلاً خفيفاً، وهو يرحمنا بتمييزنا من أعدائه.

ثم قال رسول الله صلى الله عليه وآله: من أحزنه أمر تعاطاه، فقال: بسم الله الرحمن الرحيم، وهو مخلص له عز وجل، ويقبل بقلبه إليه، لم ينفك من إحدى الثنتين: إما بلوغ حاجته في الدنيا، وإما ما يعدله عنده ويدخر لده، وما عند الله خير وأبقى للمؤمنين ﴿١٢﴾.

وفي تفسير العسكري عليه السلام، قال: (قال الصادق عليه السلام: ولربما ترك في افتتاح أمر بعض شيعةنا: بسم الله الرحمن الرحيم، فيمتحنه الله بمكروه؛ لينبئه على شكر الله تعالى والثناء عليه، ويمحو عنه وصمة تقصيره عند ترك قول: ﴿بسم الله الرحمن الرحيم﴾).

(١) «الأنعام» الآية: ٤٠ - ٤١.

(٢) «التفسير المنسوب للإمام العسكري» ص ٢٧ - ٢٨، ح ٩، بتفاوت، صححناه على المصدر.

لقد دخل عبد الله بن يحيى على أمير المؤمنين عليه السلام، وبين يديه كرسي، فأمره بالجلوس، فجلس عليه، فمال به حتى سقط على رأسه، فأوضح من عظم رأسه وسال الدم، فأمر أمير المؤمنين عليه السلام بماء، فغسل منه ذلك الدم، ثم قال: ادن مني، فدنا منه، فوضع يده على موضحته - وقد كان يجد من ألمها ما لا صبر له معه - ومسح يده عليها وتفل فيها، فاندمل وصار كأن لم يصبه شيء قط .

ثم قال أمير المؤمنين عليه السلام: يا عبد الله، الحمد لله الذي جعل تمحيص ذنوب شيعتنا في الدنيا بمحنتهم؛ لتسلم لهم طاعتهم ويستحقوا عليها ثوابها، فقال عبد الله بن يحيى: يا أمير المؤمنين، وأنا لا نجازي بذنوبنا إلا في الدنيا؟ فقال عليه السلام: نعم، أما سمعت قول النبي صلى الله عليه وآله وسلم: الدنيا سجن المؤمن وجنة الكافر، إن الله يطهر شيعتنا في الدنيا من ذنوبهم بما يبتليهم به من المحن، وبما يفره لهم، فإنه يقول: ﴿ وَمَا أَصَابَكُمْ مِنْ مُصِيبَةٍ فَبِمَا كَسَبَتْ أَيْدِيكُمْ وَيَعْفُو عَنْ كَثِيرٍ ﴾ (١).

وإن أهداء محمد وأعداءنا يجازيهم على طاعة تكون في الدنيا منهم، وإن كان لا وزن لها، لأنه لا إخلاص معها؛ حتى إذا وافوا القيامة، حُمِلت عليهم ذنوبهم، فلقنوا لذلك في النار.

فقال عبد الله بن يحيى: يا أمير المؤمنين قد ألدنتني وعلمتني، فعرفني ذنبي الذي امتحنت به في هذا المجلس، حتى لا أعود إلى مثله، فقال: تركك حين جلست أن تقول: بسم الله الرحمن الرحيم، فجعل الله ذلك - لسهوك عما نذبت إليه - تمحيصاً بما أصابك .

أما علمت أن رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم حدثني عن الله تعالى، أنه قال: كل أمر ذي بال لم يذكر فيه: بسم الله، فهو أتر؟ فقلت: بلى يا أباي أنت وأمي، لا أتركها بعد، قال: إذن تحظي بذلك وتسمد .

ثم قال عبد الله بن يحيى: يا أمير المؤمنين، ما تفسير ﴿ بسم الله الرحمن الرحيم ﴾ ؟ قال عليه السلام: إن العبد إذا أراد أن يقرأ أو يعمل عملاً، ويقول: بسم الله، أي بهذا الاسم أحمل هذا العمل، فكل عمل عمله يبدأ فيه: بـ ﴿ بسم الله الرحمن الرحيم ﴾، فإنه يبارك له فيه (٢).

[بيان: لا يقال: ترك المستحب لا يوجب العقاب والمؤاخظة عليه، وإلا كان واجباً، وليس كذلك نقلاً وعقلاً وإجماعاً، والبسمة هنا مستحبة؛ لجواز أن يكون هذا استخفافاً منه، ولهذا قال له عليه السلام: (أما علمت)، فيخرج عن الموضوع، أو منافياً لكمال الإيمان لا في تمامه، وتصحح المؤاخظة فيه على ترك المستحب، ووردت المؤاخظة على ترك

(١) «الشورى» الآية: ٣٠.

(٢) «التفسير المنسوب للإمام المسكري» ص ٢٢ - ٢٥، ح ٧، بتفاوت، صححناه على المصدر.

المستحبات، كما يظهر للمتبع الفطن، أو أن هذا فرد خاص، فتدبر^(١).
ويقع الكلام على البسمة في مقامات:

المقام الأول: لا خلاف عند الإمامية، قديماً وحديثاً، على أنها آية من كل سورة تامة لفظاً ومعنى، وعليه الإجماع المتواتر، والنص كذلك، كما يظهر لمن راجع كتب المحمّدين الثلاثة^(٢) وغيرهم، وكتب مفسريهم^(٣) قديماً وحديثاً.

وتكرار لفظها غير ضائر، ولا لزم سقوط مثل: ﴿لَبَّيْكَ يَا رَبُّ﴾^(٤) وغيرها من الآي، ولا قائل به، مع أنه لا ضير من اختلاف المعاني، وكيف تكون [للفاصلة]^(٥) خاصة، مع أنها لم تنزل مع براءة، ثم وتحصيل الفاصلة بها غير موجب لإسقاطها، ولرسمها في المصاحف المجردة من الزوائد، قديماً وحديثاً، [حتى في المصاحف التي وصلتنا بخطهم عليه السلام، فوقفنا على مصاحف في خزانة الرضا عليه السلام بخط عليه السلام والحسن والحسين عليه السلام وعلي بن الحسين والصادق عليه السلام].

وفي الكتابة معاجز تدل على صحة النسبة، لا يسع ذكرها، وكلها مجردة حتى من النقط والإعراب، إلا البسمة، فإنها موجودة مع كل سورة^(٦) ولا حاجة إلى نقل رواياتنا، وما أنكرته أئمتنا عليهم؛ لظهورها كالشمس، ولكن الكلام معهم، حيث إن الشافعي يراها آية، ومالك^(٧) يسقطها أصلاً، وغيره يخفيها^(٨).

فتقول: فصارى ما شبه به المخالف^(٩)، وشيد به باطله، بما روي عن أبي هريرة: أن

(١) ليست في «ب».

(٢) «الكافي» ج ٣، ص ٣١٢ - ٣١٣، باب قراءة القرآن، ح ١ - ١٣ «أمالى الشيخ الصدوق» ص ١٤٨، ح ١، ٢ «تهذيب الأحكام» ج ٢، ص ٦٩، ح ٢٥١، ٢٥٢.

وانظر: «وسائل الشريعة» ج ٦، ص ٥٧، باب ١١ من أبواب القراءة في الصلاة.

(٣) «التيان» ج ١، ص ٢٤، «مجمع البيان» ج ١، ص ١٩.

(٤) «الرحمن» الآية: ١٣، ١٦، ١٨، ٢١.

(٥) في «ب»: «المفاضلة».

(٦) ليست في «ب».

(٧) «المدونة الكبرى» ج ١، ص ١٦٢.

(٨) انظر: «الأم» ج ١، ص ١٠٧، «الخلاص» ج ١، ص ٣٢٨ - ٣٢٩، وفيه: «وقال الشافعي: إنها آية من أول الحمد»؛ «التفسير الكبير» ج ١، ١١٦٠، «الجامع لأحكام القرآن» ج ١، ص ٩٣.

(٩) انظر: «التفسير الكبير» ج ١، ١١٦٥، «الجامع لأحكام القرآن» ج ١، ص ٩٤.

النبي ﷺ قال: (قال الله عز وجل: قَسَمْتُ الصَّلَاةَ بَيْنِي وَبَيْنَ عَبْدِي نِصْفَيْنِ، وَلِعَبْدِي مَا سَأَلَ، فَإِذَا قَالَ الْعَبْدُ: ﴿ الْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ ﴾ قال الله تعالى: حمدني عبدي) ... إلى آخره، ولم يذكر البسملة، والتنصيف إنما يحصل إذا أسقطت.

ورُدَّ بطعن جماعة منكم* في أبي هريرة، ومعارض بأن الشيخ أبا إسحاق الثعلبي روى بإسناده: أَنَّ النَّبِيَّ ﷺ لَمَّا ذَكَرَ هَذَا الْحَدِيثَ هَدَى ﴿ بِسْمِ اللَّهِ ﴾ ... إلى آخره، آية تامة منها^(١)، وكذا ابن عربي في فتوحاته^(٢) أورد هذا الحديث بالبسملة.

وروى أبو داود السجستاني، عن القعنبى، عن مالك، عن العلاء بن عبدالرحمن، عن أبيه، عن أبي هريرة: أَنَّ النَّبِيَّ ﷺ قَالَ: (يَقُولُ الْعَبْدُ: ﴿ مَالِكِ يَوْمَ الدِّينِ ﴾ يَقُولُ اللَّهُ عَزَّ وَجَلَّ: مَجْدُنِي عَبْدِي، يَقُولُ الْعَبْدُ: ﴿ إِيَّاكَ نَعْبُدُ وَإِيَّاكَ نَسْتَعِينُ ﴾ يَقُولُ اللَّهُ: وَهَذِهِ بَيْنِي وَبَيْنَ عَبْدِي)^(٣).

فقرله: (بيني وبين عبدي) يعني القسمة، وأنه ثلاث آيات قبل، وثلاث بعد، فحصل التنصيف لفظاً، مع احتمال أن يُراد به معنى، كما يقال: الفرائض نصف العلم، لما يبحث عن أحوال الموتى، والموت والحياة قسمان، وأيضاً عدم ذكرها في التقسيم لخصوصية - مثلاً - لا يدل على إسقاطها أصلاً.

وبما رووا^(٤) عن عائشة: أَنَّهُ ﷺ قَرَأَ الْفَاتِحَةَ وَلَمْ يَبْسِمْ.

وروى البخاري في صحيحه^(٥)، عن أنس: أَنَّهُ صَلَّى خَلْفَ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ وَأَبِي بَكْرٍ وَعُمَرُ وَعِثْمَانُ، فَكَانُوا يَفْتَتِحُونَ الْقِرَاءَةَ بِـ ﴿ الْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ ﴾.

ورواه مسلم أيضاً في صحيحه^(٦)، وفيه: أَنَّهُمْ لَا يَذْكُرُونَ بِسْمِ اللَّهِ ... إلى آخره، وفي رواية أخرى: «فلم يجهر أحد منهم بها»^(٧).

إلا أنه غير خفي عدم دلالة ذلك على السقوط، لجواز الإخفاء بها، ولو رووا أنه ﷺ قال: إنها ليست بآية، لصحَّ لهم في الجملة، وإن لم تلزمنا، مع أنها آحاد.

(*) كذا في النسختين.

(٢) «الفتوحات المكية» ج ١، ص ٤٢٢.

(٣) «سنن أبي داود» ج ١، ص ٢١٦، ح ٨٢١، وانظر: «التفسير الكبير» ج ١، ص ١٦٦، بتفاوت، صححناه على المصدر الأول.

(٤) «صحيح مسلم» ج ١، ص ٢٩٩، ح ٤٩٨، «سنن أبي داود» ج ١، ص ٢٠٨، ح ٧٨٣.

(٥) «صحيح البخاري» ج ١، ص ٢٥٩، ح ٧١٠، نقله بالمعنى وعنه في: «التفسير الكبير» ج ١، ص ١٦٨، صححناه على المصدر.

(٦) «صحيح مسلم» ج ١، ص ٢٥١، ح ٣٩٩.

(٧) «التفسير الكبير» ج ١، ص ١٦٩، باختصار.

مع أن الاسفرائيني روى^(١) هنا عن أنس ست روايات، ثلاثاً عرفتها.
والرابعة: رواية معاوية^(٢) - ورواها الشافعي^(٣) أيضاً - وذلك أن معاوية لما قدم المدينة
صلى بهم، ولم يقرأ ﴿بسم الله الرحمن الرحيم﴾، ولم يكبر عند الخفض إلى الركوع
والسجود، فلما سلم ناداه المهاجرون والأنصار: يا معاوية سرقت من الصلاة، أين البسمة
والتكبير؟ ثم أعادها.

وقال الشافعي: «إنه كان عظيماً شديد الشوكة، فلولا أن الجهر بها هو المتقرر عند
الصحابة، ما قدروا على الإنكار عليه»^(٤).

الخامسة: أنه عليه السلام وأبا بكر وعمر كانوا يجهرون بها^(٥).

السادسة: أنه سُئل عن الجهر بها، فقال: لا أدري، فاختبعت الرواية عنه^(٦)، بل النظر لها
يدل على حمل رواياته الأول على الإخفات بها، فهي محط خلافهم.

وذكر الرازي^(٧) وغيره: أن علياً عليه السلام كان يبالي في الجهر بها، فلما وصلت الدولة لبني
أمية بالغوا في إخفاتها؛ عناداً منهم وبغضاً، فعمل أنس أخاف منهم، مع أن في سنن
البيهقي^(٨): أن علياً وابن عباس وابن عمر وأبا هريرة وغيرهم، رووا عنه عليه السلام الجهر بها،
وهؤلاء أقرب من أنس.

ويدل على أنها آية، ما رووا عن ابن عباس أنه قال: «من ترك البسمة، فقد ترك مائة
وثلاث عشرة آية من كتاب الله»^(٩) وهذا عدد سوره، وروي مثله عن ابن عمر وأبي
هريرة^(١٠).

وروا عن إبراهيم بن يزيد، قال: قلت لعمر بن دينار: إن الفضل الرقاشي يزعم أن
﴿بسم الله الرحمن الرحيم﴾ ليس من القرآن، فقال: سبحان الله، ما أجراً هذا الرجل!

(١) انظر: «التفسير الكبير» ج ١، ص ١٦٩. (٢) انظر: «التفسير الكبير» ج ١، ص ١٦٨.

(٣) «الأم» ج ١، ص ١٠٨. (٤) انظر: «التفسير الكبير» ج ١، ص ١٦٨، باختصار.

(٥) «التفسير الكبير» ج ١، ص ١٦٩. (٦) «التفسير الكبير» ج ١، ص ١٦٩.

(٧) «التفسير الكبير» ج ١، ص ١٦٩.

(٨) «السنن الكبرى» ج ٢، ص ٦٩، ح ٢٣٩٧، ٢٣٩٨، ص ٧٠، ح ٢٤٠٣، وعنه في: «التفسير الكبير» ج ١، ص ١٦٨.

(٩) «المجموع» ج ٢، ص ٢٩٧ عن ابن عباس، «المغني» ج ١، ص ٤٨٠، «التفسير الكبير» ج ١، ص ١٧٠ عن

عبد الله بن المبارك، باختلاف. (١٠) انظر: «التفسير الكبير» ج ١، ص ١٧٠.

(١١) من المصدر.

سمعت سعيد بن جبير يقول: سمعت ابن عباس يقول: كان النبي ﷺ إذا أنزل عليه ﴿ بسم الله الرحمن الرحيم ﴾ علم أن تلك السورة قد ختمت، وفتح غيرها^(١). فهذا يدل على أنها آية من السورة.

وروى الدارقطني^(٢) أيضاً: أنها آية.

في بيان عدد آيات الفاتحة

وأيضاً قد حصل الاتفاق على أن الفاتحة سبع آيات، وأنها السبع المثاني، فمن جعلها آية منها، قال: إن قوله: ﴿ صِرَاطَ الَّذِينَ أَنْعَمْتَ عَلَيْهِمْ خَيْرٌ مِنَ الْمَغْضُوبِ عَلَيْهِمْ وَلَا الضَّالِّينَ ﴾ آية تامة، ومن أسقطها من السورة قال: قوله: ﴿ صِرَاطَ الَّذِينَ أَنْعَمْتَ عَلَيْهِمْ ﴾ آية، والباقي آية أخرى.

و | القول | الأول | أولى | من | وجوه:

الوجه الأول: إن مقطع قوله: ﴿ صِرَاطَ الَّذِينَ أَنْعَمْتَ عَلَيْهِمْ ﴾ لا يشابه مقطع الآيات المتقدمة ولا يقاربه.

الوجه الثاني: أنا إذا جعلنا قوله: ﴿ خَيْرٌ مِنَ الْمَغْضُوبِ عَلَيْهِمْ ﴾ ابتداء آية فقد جعلنا أول الآية لفظ ﴿ غير ﴾، وهذا اللفظ إما أن يكون صفة لما قبله، أو استثناء عما قبله، والصفة مع الموصوف كالشيء الواحد.

الوجه الثالث: ولأن المبدل منه في حكم المحذوف، فيكون التقدير: اهدنا صراط الذين أنعمت عليهم، وهو لا يتم، فثبت أنه لا يفصل قوله: ﴿ صِرَاطَ الَّذِينَ أَنْعَمْتَ عَلَيْهِمْ ﴾ عن قوله: ﴿ خَيْرٌ مِنَ الْمَغْضُوبِ عَلَيْهِمْ ﴾ فالكل آية^(٣).

ونقل عن الحسن البصري أنه كان يقول: «هذه السورة ثمان آيات»^(٤) وهو قول مطروح عند الفريقين، فثبت كونها آية من كل سورة، ولم يبق للمانع إلا العناد وتكذيب طريق الرشاد.

المقام الثاني: في فضلها، ولا خفاء فيه مما سمعت، كيف وهي الآية التي نزل^(٥) فيها

(١) التفسير الكبير ج ١، ص ١٧٠. (٢) «سنن الدارقطني» ج ١، ص ٢٣٨، باب ٢٩.

(٣) انظر: «التفسير الكبير» ج ١، ص ١٦٦ - ١٦٧، باختصار، صححناه على المصدر.

(٤) «التفسير الكبير» ج ١، ص ١٦٦.

(٥) «تفسير العياشي» ج ٢، ص ٣١٧ - ٣١٨، ح ٨٥ - ٨٧.

﴿ وَإِذَا ذَكَرْتَ رَبَّكَ فِي الْقُرْآنِ وَخِذَهُ وَلَوْ أَعْلَىٰ أذْبَارِهِمْ تُفُورًا ﴾^(١)

وروى الشيخ وابن بابويه: ﴿ بسم الله الرحمن الرحيم ﴾ أقرب إلى اسم الله الأعظم من سواد العين إلى بياضها^(٢).

وفي جامع الأخبار، عن ابن مسعود، عن النبي ﷺ أنه قال: (مَنْ قَرَأَ ﴿ بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ ﴾ كَتَبَ اللَّهُ لَهُ بِكُلِّ حَرْفٍ أَرْبَعَةَ آلافِ حَسَنَةٍ، وَمَعَهَا مِنْ أَرْبَعَةِ آلافِ سَيِّئَةٍ، وَرَفَعَ لَهُ أَرْبَعَةَ آلافِ دَرَجَةٍ)^(٣).

وعن النبي ﷺ: (مَنْ قَالَ: ﴿ بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ ﴾ بَنَى اللَّهُ لَهُ فِي الْجَنَّةِ سَبْعِينَ أَلْفَ قَصْرٍ مِنْ ياقوتة حمراء، فِي كُلِّ قَصْرِ سَبْعُونَ أَلْفَ بَيْتٍ مِنْ لؤلؤة بيضاء، فِي كُلِّ بَيْتٍ سَبْعُونَ أَلْفَ سُرِيرٍ مِنْ زبرجدة خضراء، فَوْقَ كُلِّ سُرِيرٍ سَبْعُونَ أَلْفَ فِرَاشٍ مِنْ سُنْدُسٍ وَاسْتَبْرَقٍ، وَعَلَيْهِ زَوْجَةٌ مِنَ الْحُورِ الْعِينِ، وَلَهَا سَبْعُونَ أَلْفَ ذَوَابَةٍ مَكَلَّلَةٌ بِالذَّرِّ وَالْيَاقُوتِ، مَكْتُوبٌ عَلَيْهَا خِذْهَا الْأَيْمَنُ: مُحَمَّدٌ رَسُولُ اللَّهِ، وَعَلَيْهَا خِذْهَا الْأَيْسَرُ: عَلِيُّ وَلِيُّ اللَّهِ، وَعَلَيْهَا جَبِينُهَا: الْحَسَنُ، وَعَلَيْهَا ذَقْنُهَا: الْحُسَيْنُ، وَعَلَيْهَا شَفْتَيْهَا: بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ، قُلْتُ: يَا رَسُولَ اللَّهِ، لِمَنْ هَذِهِ الْكِرَامَةُ؟ قَالَ: (لِمَنْ يَقُولُ بِالْحَرَمَةِ وَالتَّعْظِيمِ: بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ)^(٤).

أقول: وسبق عن علي عليه السلام ما يدل على شرفها، كيف وما نزل كتاب من السماء إلا وأوله البسمة^(٥) ويستحب الابتداء بها مطلقاً، وإن وجبت في بعض، كما في الفاتحة والسورة على المشهور، فلا تجري الإياحة في قراءتها أصلاً، وقول بعض بجرانها فيها بوجه لا وجه له، والدال على خلافه ظاهر من الروايات السابقة.

وفي جامع الأخبار أيضاً، عن ابن مسعود، عن النبي ﷺ: (مَنْ أَرَادَ أَنْ يَنْجِيَهُ اللَّهُ تَعَالَىٰ مِنَ الزَّبَانِيَةِ التَّسْعَةِ عَشَرَ فَلْيَقْرَأْ بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ، فَإِنَّهَا تَسْعَةُ عَشَرَ حَرْفًا، لِيَجْعَلَ اللَّهُ كُلَّ حَرْفٍ مِنْهَا جَنَّةً مِنْ وَاحِدٍ مِنْهُمْ)^(٦).

(١) «الإسراء» الآية: ٤٦.

(٢) «تهذيب الأحكام» ج ٢، ص ٢٨٩، ح ١١٥٩، بتفاوت سير، «هيون أخبار الرضا» ج ٢، ص ٥، ح ١١.

(٣) «جامع الأخبار» ص ١٢٠، ح ٢١٦.

(٤) «جامع الأخبار» ص ١٢٠، ح ٢١٧، صححناه على المصدر.

(٥) «الكافي» ج ٣، ص ٣١٣، باب قراءة القرآن، ح ٣، وفيه: (أَوَّلُ كُلِّ كِتَابٍ نَزَلَ مِنَ السَّمَاءِ ﴿ بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ ﴾).

(٦) «جامع الأخبار» ص ١١٩، ح ٢١٥، صححناه على المصدر.

وروى العياشي وغيره، عن أبي جعفر عليه السلام قال: (سرقوا أكرم آية في كتاب الله: ﴿بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ﴾) (١).

وفيه: عن الصادق عليه السلام، قال: (إذا أمَّ الرجل القوم جاء شيطان إلى الشيطان الذي هو قريب الإمام، فيقول: هل ذكر الله؟ يعني: هل قرأ: ﴿بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ﴾؟ فإن قال: نعم، هرب منه، وإن قال: لا، ركب هتق الإمام، ودلن رجله في صدره، فلم يزل الشيطان إمام القوم، حتى يفرغوا من صلواتهم) (٢).

كيف وقد روي عنهم عليهم السلام: (سَرَّ القرآن في الفاتحة، وسَرَّها في البسمة، وسَرَّ البسمة في الباء) (٣) وقال علي عليه السلام: (أنا النقطة تحت الباء) (٤) وليس هنا بيان موضع ذلك، وشكلها نافع حمله لدفع الآفات، والحفظ، وغير ذلك.

المقام الثالث: في الكلام على تفسيرها ومعناها، ويقع في مسائل:

المسألة الأولى: الباء فيها للاستعانة، كما سمعت عن أمير المؤمنين عليه السلام، وروي عن الصادق عليه السلام في التوحيد (٥)، والمعاني (٦)، وكذا رواية العسكري عليه السلام عنه عليه السلام (٧). ولا شك أنها أبلغ من المصاحبة، مع حصولها في الاستعانة، من حيث التخلُّق والتوجُّه القلبي، ولمناسبتها لقوله: ﴿وإياك نستعين﴾.

وروي في الكتابين: أن المراد بها المصاحبة أو الإلصاق، والأول أرجح لما سبق، وللأمر بابتغاء الوسيلة، بل لا ينال إلا بها، فوجب الاستعانة بها، ولأنه أكمل في التعظيم، بخلاف الآخرين، والمرجحات اللغوية - أيضاً - مع الأول، ولا بدُّ لها من متعلِّق، إذ حرف الوصل وجوده في غيره كالعرض، فهو إما متقدم - حيث لم يذكر لفظاً - وإما متأخر خاص أو عام، اسم أو فعل، فهذه احتمالات ثمانية، ذهب إلى كلِّ قائل، والأقوى أنه فعل، إذ هو الأصل، ومنه اشتقت المشتقات، حتى المصدر - على الأرجح - متأخر؛ لتقديم ما هو أهم، وحيث كانت الأهمية القراءة قدّمت في: ﴿اقرأ باسم

(١) «تفسير العياشي» ج ١، ص ٢٣، ح ٤. (٢) «تفسير العياشي» ج ١، ص ١٣٤، ح ٧.
 (٣) انظر: «مشارك أنوار اليقين» ص ٢٣، باختلاف. (٤) «جامع الأسرار» ص ١٥٦٣، «المجلى» ص ٤٠٥.
 (٥) «التوحيد» ص ٢٣١، ح ٥. (٦) «معاني الأخبار» ص ٤، ح ٢.
 (٧) «التفسير المنسوب للإمام العسكري» ص ٢٢، ح ٦.

رَبِّكَ ﴿^(١)﴾ إن لم تجعل ﴿اقرأ﴾ جملة تامة و ﴿باسم﴾ ابتداء، فإنها أول سورة نزلت، كما رواه محمد بن يعقوب^(٢) وابن بابويه^(٣).

أما الرواية الدالة على أن أول سورة نزلت سورة الأهل، فضعيفة سنداً وامتناً، لتضمنها لنيان النبي ﷺ، فهي مخالفة لمتواتر السنة ومحكم النص، معارضة لما هو أشهر وأصح، وتحصيلاً للبرهان اللامي، ولقصر الاستعانة على اسمه تعالى، قصرأ حقيقياً أو إضافياً، رذأ على المشركين، حيث قالوا: باسم اللات والعزى، وتحصيلاً لكمال الامتثال؛ لقوله ﷺ: (كل أمر ذي بال لا يبدأ فيه) ^(٤)... إلى آخره، ولذكرة مؤخرأ في: (باسم ربي وضعت جنبي) ^(٥)، وفي سورة ﴿اقرأ﴾ على الوجه الثاني، وليوافق تقديم الاسم لفظاً على ما سواه تقديم المسمى على ما دونه، وتقديره مؤخرأ خاص مختلف، حسب إرادة المستمعين وعمله، قراءة أو حفظاً أو غيره، لعدم ظهور الفعل إلا مقيداً بالمفعول، وإن كان في الأصل عاماً مطلقاً، لكن لا يظهر في اللفظ - وبحسب القصد - إلا خاصاً، ومطلق الابتداء لا يظهر بجهة العموم، كما توهم، فهو مستقر عام، وإن كان [لا] ^(٦) يظهر إلا خاصاً، فلا تنافي.

وقال الشهيد الثاني في الروضة: «البناء للملاسة، والظرف: مستقر، حال من ضمير أبتدئ الكتاب، كما في: دخلت عليه بثياب السفر، أو للاستعانة، والظرف لغو، كما في: كتبت بالقلم، والأول أدخل في التعظيم، والثاني لتمام الانقطاع، لإشعاره بأن الفعل لا يتم بدون اسمه تعالى» ^(٧) انتهى.

أقول: ومعنى المستقر - بفتح القاف - ما كان متعلقه عاماً، واجب الحذف، كالوابع خبراً أو صفة؛ لاستقرار الضمير فيه، والأصل: مستقر فيه، وإنما وجب حذفه هنا لقيام القرينة مقامه، وسد الظرف مسده، ولا يقال: زيد كائن في الدار، وجوزة ابن جني ^(٨).

(١) «المعلق» الآية: ١.

(٢) «الكافي» ج ٢، ص ٦٢٨، باب النوادر من كتاب فضل القرآن، ح ٥.

(٣) «عيون أخبار الرضا» ج ٢، ص ٦، ح ١٢.

(٤) «الدرر المتثور» ج ١، ص ٣١ «كنز العمال» ج ١، ص ٥٥٥، ح ٢٤٩١.

(٥) «الغنية» ج ١، ص ٣١٤، باب ٧٣، وفيه: (باسم الله)...

(٦) ليست في «ب».

(٧) «الروضة البهية» ج ١، ص ٦ - ٧.

(٨) انظر: «شرح الرضي على الكافية» ج ١، ص ٢٤٤.

وهن بعض: أنه لا شاهد له، وهرفت ما هو أتم في التعظيم.
واختلف النحويون في أنه إذا حُذِفَ العامل الذي تعلق الظرف به، فهل حذف الضمير معه، أو هو وحده، وانتقل الضمير إلى الظرف فاستقر فيه؟ فالسيراقي^(١) على الأول، وأبو علي^(٢) وأتباعه على الثاني.

وكُسرت الباء لأنها نقطة، واستقام [أول بارز] ففيها كسرة الانفعال.
وذكرت الباء دون سائر الحروف؛ لأنها مبدأ الكثرات، وأقرب الحروف إلى الألف [القائمة]^(٣)؛ لأنها النفس المنبسطة، ومدّها عرضاً عن الألف، فحذف الألف إشارة إلى كونها مطلقة، وإنما تظهر في مقام الحروف بصورة خاصة، في كل حرف بما يناسبه، وهكذا عالم المشيئة والمخلوق، أي الوجودات المقيّدة، من العقل إلى الشئ، وخلق الإبداع الأول، وإن كان ساكناً، لا يوصف بالسكون، كما في حديث الصابي^(٤)، وقد سمعته، إلا أنه لا يظهر في مقام التقييد إلا متحرّكاً، فلذا امتنع النطق بالسكون، وإن كان هو أول رتبة.
وتحقيقاً: فإنّ الإبداع الأول هو روح محمد ﷺ، ولا أقرب منه إليه تعالى، فهو ساكن لا يوصف بالسكون، فتأمل.

وظهرت الهمزة في: ﴿سَبِّحْ اسْمَ رَبِّكَ الْأَعْلَى﴾^(٥) و﴿اقْرَأْ بِاسْمِ رَبِّكَ﴾^(٦) كتابة، إعلماً بأنّها ليست عدماً محضاً، وأنّ له مظهراً شخصياً أيضاً، في كل مقام وعالم حرفي، كان أو [يكون]^(٧)، فتدبّر.

الباء: حرف إشارة إلى النفس المنبسطة، ونقطة وحركة، وهي إشارة إلى ظهور الغيب شهادةً، والنقطة إلى الجبروت، فقد اشتملت على كليات العالم.
ولكونها مقابل أول صادر، فسرها الإمام عليه السلام على بطن التأويل، كما سمعت: أنّ الباء مراد بها: (بهاء الله)، على طريقة الحروف، وعلمها علم متسع، إمّا لأنّ أول الكلمة الباء - وكذا في تفسير السين بالسنة، والميم بالمجد - فقوة الكلمة في أولها، أو إشارة إلى بقاء البداية: عالم المشيئة، وسين الوسطية، وهو ظاهرها: عالم الجبروت، وميم المنتهى وهو:

(١) انظر: «شرح الرضي على الكافية» ج ١، ص ٢٤٦.
(٢) «شرح الرضي على الكافية» ج ١، ص ٢٤٦. (٣) ليست في «ب».
(٤) «هيون أخبار الرضا» ج ١، ص ١٧٥، ح ١، «التوحيد» ص ٤٣٨، ح ١.
(٥) «الأعلى» الآية: ١.
(٦) «العلق» الآية: ١.
(٧) في: «ب»: «تكويني».

عالم الملك ومقام المجد والتقديس للواجب عمًا لا يليق به، وهو التقديس الثانوي، وهي مراتب الغيب، وظاهر [ظاهره] (١) وهي الشهادة، فاشتملت على ترتيب كليات العوالم مرتين.

والروايتان في تفسير الميم بالملك (٢) أو المجد (٣) منطبقتان، فظهر حينئذٍ تفسير (٤) لفظ الجلالة بـ (آلاء الله)، والزامه وهوان أهدانهم، فإن معناه (استولى على ما دقَّ وجلَّ) (٥) كما سمعت في أخرى، وهذا يقتضي كمال الإنعام والزام كلِّ بما يستحقُّه، وتخليته واختياره، الذي هو كمال العدل، الذي به قامت السماوات والأرض.

وكذا الرواية الأخرى (٦) المفسرة له بأنه الذي يُقصد في الحوائج، فالمستولي - الذي يقصر كلُّ استيلاء عنه - هو المقصد لا غيره، وكذا المعبود الحقيقي يلزم أن لا يُقصد غيره، وإنما هو المقصد بأسمائه الحسنی، فإنه الطريق الذي دلُّ عليه وحرف به، فتدبر، ولا تُفتك الإشارة، وما احتوت عليه قليل العبارة.

فظهر الوجه في تفسير هذه الحروف بهذه المعاني، فإن للقرآن بطوناً، كما روي (٧) متواتراً معنئ، وفسر المعصوم أيضاً حروف التهجي - كما هو ظاهر من التوحيد (٨) والعيون (٩) - على هذا النهج، وذلك لأنَّ عالم الحروف منطبق على جميع النسب الوجودية والارتباطات الكونية، وفسروا به أيضاً بعض فواتح السور، كما يظهر للمتتبع، كما ورد (١٠) أن لهم في الحروف المقطعة علوماً جمّة.

فروى ابن بابويه، عن سفيان الثوري، قال: قلت لجعفر بن محمد عليه السلام: يا ابن رسول الله، ما معنى قول الله عز وجل: ﴿الم﴾؟ قال: (أما ﴿الم﴾ في أول البقرة فمعناه أنا الله الملك) (١١).

(١) في «ب»: «هذه».

(٢) «الكافي» ج ١، ص ١١٤، ذيل ح ١١ «التوحيد» ص ٢٣٠، ح ٣.

(٣) «الكافي» ج ١، ص ١١٤، ح ١١ «التوحيد» ص ٢٣٠، ح ٢.

(٤) «التوحيد» ص ٢٣٠، ح ٣. (٥) التوحيد، ص ٢٣٠، ح ٤.

(٦) «التوحيد» ص ٢٣٠، ح ٥.

(٧) «تفسير العياشي» ج ١، ص ٢٢، ح ٢، ص ٢٣، ح ٨، «المحاسن» ج ٢، ص ٧، ح ١٠٧٦.

(٨) «التوحيد» ص ٢٣٢ - ٢٣٤، ح ٢، ١. (٩) «عيون أخبار الرضا» ج ١، ص ١٢٩، ح ٢٦.

(١٠) «تفسير العياشي» ج ٢، ص ٨، ح ٢، وفيه: (إن في حروف القرآن المقطعة لعلماً جمّاً).

(١١) «معاني الأخبار» ص ٢٢، ح ١، صححناه على المصدر.

وحديث المخزومي^(١) في الفوائح مشهور، كما أنها بحسب الظاهر إشارة إلى أن هذا القرآن - الذي عجز عن معارضته الكل - مركب من هذه الحروف المقطعة .

وروى ابن بابويه في ﴿ كهيعص ﴾ عن الصادق عليه السلام: (معناه: أنا الكافي، الهادي، الولي، العالم، الصادق الوعد)^(٢).

وعنه في حديث آخر: (كاف: كاف لشيئتنا، ها: هادي لهم، يا: ولي لهم، عين: عالم بأهل طاعتنا، صاد: صادق لهم وعدم، حثي يبلغ بهم المنزلة التي وعدنا إيتاهم في بطن القرآن)^(٣).
والرواية الأولى على باطن التأويل، والثانية على التأويل.

وفي حديث آخر طويل: ﴿ كهيعص ﴾ فالكاف: اسم كربلاء، والهاء: هلاك العترة، والياء: يزيد وهو ظالم الحسين عليه السلام، والعين: عطشه، والصاد: صبره.

فلما سمع ذلك زكريا لم يفارق مسجده ثلاثة أيام^(٤) الحديث، وهذا على تفسير الباطن.
وروى علي بن إبراهيم، عن الصادق عليه السلام: (وأما قوله: ﴿ كهيعص ﴾ قال: الله هو الكافي الهادي العالم، ذو الأيادي، الصابر على الأهادي، الصادق ذو الأيادي العظيم، وهو قوله كما وصف نفسه تبارك وتعالى)^(٥).

وروى ابن بابويه رغيره: (وأما طه فاسم من أسماء النبي صلى الله عليه وآله، ومعناه: يا طالب الحق، الهادي إليه)^(٦).

وروي أيضاً: أن ﴿ حم ﴾ معناه: (الحميد المجيد)^(٧)، وروي^(٨) أنه اسم محمد صلى الله عليه وآله، و ﴿ حمسق ﴾: (الحليم المثيب، العالم السميع، القادر القوي)^(٩). و ﴿ يس ﴾: (اسم له صلى الله عليه وآله، ومعناه: يا أيها السامع للوحي)^(١٠)، ومثل ذلك كثير.

وسره أن القرآن له بطون، وهي جارية في كل آية، بل كل كلمة، بل كل حرف، فلذلك اختلفت، مع أنك لو تأخذ الحرف ببعض بطون الجفر، أو بالزبر والبيئات، تجده يطابق

(١) «تفسير العياشي» ج ٢، ص ٨، ح ٣. (٢) «معاني الأخبار» ص ٢٢، ح ١.

(٣) «معاني الأخبار» ص ٢٨، ح ٦، صحته على المصدر.

(٤) «كمال الدين وتمام النعمة» ج ٢، ص ٤٦١، ح ٢١، صحته على المصدر.

(٥) «تفسير علي بن إبراهيم القمي» ج ٢، ص ٤٧، صحته على المصدر.

(٦) «معاني الأخبار» ص ٢٢، ح ١. (٧) «معاني الأخبار» ص ٢٢، ح ١.

(٨) «مناقب آل أبي طالب» ج ١، ص ١٩٦. (٩) «معاني الأخبار» ص ٢٢، ح ١.

(١٠) «معاني الأخبار» ص ٢٢، ح ١، نقله بالمعنى.

لبعض، وبيان ذلك يخرج بنا إلى التطويل، والإشارة كافية للمستبصر.

المسألة الثانية: في الاسم.

قد سبق^(١) لك معناه - وأنه لا اختصاص له باللفظي، وأنه غير المسمّى، وأن ما وضع لدلالاتنا عليه، كسائر الموجودات أو غير ذلك - متفرّفاً خلال الأحاديث.

وفي التوحيد، والمعاني، مسنداً عن ابن فضال، عن أبيه، قال: سألتُ الرضا عليه السلام عن معنى: بسم الله، قال: (معنى قول القائل: بسم الله، أي أسم على نفسي سمة من سمات الله عز وجل، وهي العبادة) قال: فقلت له: ما السمة؟ قال: (العلامة)^(٢).

وهو مختار الكوفيين^(٣)؛ لأنه مشتق من السمو، وهو العلو؛ لعلوه على قسيميه: الفعل والحرف، هذا بلسان الظاهر اللغوي.

ومحض الحق حاكم بأن الاسم لفعل الله، مع موافقة قولنا للأصل المقصود من وضع الأسماء، حتى لغة، فإن المقصود تمييز المسمّى ومعرفة، لا تسميته، ويعلوه.

وعلى طريقة اللغة نقول: هو - أيضاً - دائماً معمول، فلا يكون أعلى من قسيميه، ولا يجبر وقوعه ركني الإسناد، مع أنه لا يقع هاملاً إلا إذا شابه الفعل، فلا علو له بوقوعه في ركنيه.

مركز تحقيق كتب التراث

مع أننا إذا قلنا: مشتق من السمة، لا حاجة لنا إلى جعل المتحرك ساكناً، وإدخال همزة الوصل كما [هو]^(٤) لازم [للبريين^(٥)]، حيث جعلوه مشتقاً من السمو؛ لتصرفه على أسماء، وسمّي، وسميت، دون أوسام، ووسيم، ووسمت، ولعل التصريف لتنزيل الهمزة منزلة الأصل؛ لكثرة الاستعمال، فكأنها أصل - وأن التصريف إنما وقع بعد القلب والحذف والابتداء بالهمزة - وأبقي، فلا دليل لهم في التصريف.

وفي الصحاح: «وَسَمَّتهُ وَسَمًّا وَسِمَةً»^(٦).

وأما تعويض الهمزة في المصدر - كما اخترناه تبعاً للعرب العرباء، لا الكوفية - فغير

(١) «هدي العقول» ج ٣، باب المعبود.

(٢) «التوحيد» ص ٢٢٩، ح ١، «معاني الأخبار» ص ٣، ح ١، بتفاوت يسير، صححناه على المصدر.

(٣) انظر: «الإنصاف في مسائل الخلاف» ج ١، ص ١٦، «التفسير الكبير» ج ١، ص ٩٥.

(٤) ليست في «ب».

(٥) انظر: «الإنصاف في مسائل الخلاف» ج ١، ص ٦.

(٦) في «أ»: «البصرية»، وفي «ب»: «البرية». (٧) «الصحاح» ج ٥، ص ٢٠٥، «وسم».

[عزيز] (١) في الكلمات، بل كثير، فافهم.

تشبيهه : في إدخال الباء على الاسم فوائد جمّة:

منها: كمال الرّد على المشركين، حيث يقولون: باسم اللّات والعزّى.

ومنها: أنّ الشائع الاستعانة بالأسماء، فهم الوسائط، فلا ينال شيء مطلقاً إلا بواسطة.

ومنها: الإحلام بعدم اختصاصها باسم دون آخر، لترتب الكل، ورجوعها إلى اسم

واحد، هو الوسطة الكلية للكل في الكل.

ومنها: الإحلام بأنّه تعالى - باهتبار كنه ذاته - مجهول، وأتما يعرف بوجه، وهو الذي بينه

وعرف به في مقامات شهوده ومظاهر تجلّيه في أحلام الوجود، فحصل التكثر من جهة

هياكل التوحيد وآثاره، قال تعالى: ﴿ أَنْزَلَ مِنَ السَّمَاءِ مَاءً فَسَالَتْ أَوْدِيَةٌ بِقَدَرِهَا ﴾ (٢) وبهذا كل

إنما يدعو بالمقام الغالب عليه، حتّى المظهر الكلي، فإنه مقيد بالإطلاق، وإطلاقه بالنسبة

لمن دونه.

وأما ﴿ إِيَّاكَ تَعْبُدُ ﴾ (٣) فليس للإحلام بأنّ تصوّر ذاته واكتناهاها [غير] (٤) ممكن لأحد،

كما وقع لبعض، بل إما إشارة إلى المقام المطلق، أو للإحلام بظهوره في المظاهر ودلالاتها

عليه، فمعرفة بها معرفته، والتوجّه نحوها التوجّه إلى جهته التي لا يُعرف إلا منها.

ومنها: إظهار افتقار الكل له، فلو دخلت على اسم دون آخر، فلربما توهم الاختصاص.

ومنها: بيان أنّ ما يصعد وينزل مرجعه للوسطة الكلية.

إلى غير هذه الوجوه التي لم تسنح بالمخاطر.

المسألة الثالثة: في لفظ الجلالة - ومعناه مرّ لك - وكذا اشتقاقه وعدم كونه علماً،

والخلاف فيه مرّ في باب المعبود (٥).

ولكون هذا الاسم من مقام الجمع اختصّ بمزايا:

منها: رجوع الأسماء إليه، أي لا يقع تابعاً لغيره، ولهذا نسب له محمد ﷺ.

ومنها: وبعدم تسمية أحد به، فهو مختصّ به لفظاً، وإن كان لا اشتراك [بين] (٦) الواجب

والممكن في شيء أصلاً، ولكن للإحلام في العالم اللفظي، والتشبيه على مزايا الوجوب

(١) في «ب» : «عشرين» . (٢) «الرعد» الآية: ١٧ .

(٣) «الفاتحة» الآية: ٥ . (٤) ليست في «ب» .

(٥) «هدى العقول» ج ٣، باب: ٥ . (٦) ليست في «ب» .

المحض، تعالى شأنه.

ومنها: وجواز حذف (يا) من أوله، وتعويض ميم مشددة في آخره.

ومنها: والجمع بين (ال) والنداء فيه، ولم يجز في غيره إلا ضرورة.

ومنها: وبقائه تام المعنى بعد حذف كل حرف حرف منه على الترتيب، فـ ﴿هُوَ تِلْكَ

السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ﴾^(١) ﴿وَلَهُ مَا فِي السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ﴾^(٢) و ﴿هُوَ اللَّهُ أَحَدٌ﴾^(٣).

وحيث كانت الواو إشارة إلى الغائب لا تظهر إلا بحجاب، وهي الواو، فهي إشارة له، مع تولدها من الإشباع، ولما سبق أضيف الاسم إلى الله دون باقي الأسماء.

وقال الشهيد في الروضة: «إضافة الاسم إلى الله دون باقي أسمائه؛ لأنها معانٍ وصفات، وفي التبرك بالاسم أو الاستعانة به كمال التعظيم للمسمى، فلا يدل على اتحادهما، بل ربما دللت الإضافة على تغايرهما»^(٤) انتهى.

أقول: وعرفت وجه الإضافة له خاصة، لا لما قال، والاسم غير المسمى، واللفظ والإضافة يدلان عليه، إن أردت بالمسمى الذات من حيث هي، وإن كانت الذات بجهة التسمية، وهي جهة الظهور - أي الذات المسماة - فهي [غير] المسمى، وهذه جهة حدوث قائمة بالحدوث، لا الذات بأحديتها، فلا عينيتها لها بوجه.

المسألة الرابعة: ﴿الرحمن﴾ صفة عامة، باعتبار المتملق وشمول لا زمها - كما يظهر من قول الإمام عليه السلام قبل - بجميع الخلق والعالم، قال تعالى: ﴿وَرَحْمَتِي وَسِعَتْ كُلَّ شَيْءٍ﴾^(٥)، وفي الدعاء: (يا رحمن الدنيا والآخرة)^(٦).

وعن الصادق عليه السلام: (﴿الرحمن﴾ اسم خاص بصفة عامة)^(٧) والرحيم بالعكس، فعمت القبضتين، ولها كان مقام النبوة والرسالة، فكانت إنما [تحكم]^(٨) بالظاهر، ليوفى كل نصيبه غير منقوص، إذ كل جمال فيه جلال، وبالعكس - ولذا ورد في بعض الأدعية: (ورحيمهما)^(٩) - وجمال الجلال بتوفية النصيب في الدنيا، قال تعالى: ﴿وَكُلُوا أَنْ يَكُونَ

(١) «المائدة» الآية: ١٢٠، «الشورى» الآية: ٤٩. (٢) «النحل» الآية: ٥٢.

(٣) «الإخلاص» الآية: ١. (٤) «الروضة البهية» ج ١، ص ٧، بتفاوت يسير.

(٥) في النسختين: «عين». (٦) «الأعراف» الآية: ١٥٦.

(٧) «الكافي» ج ٢، ص ٥٥٧ باب الدعاء للكرب والهيم... ج ٦.

(٨) «مجمع البيان» ج ١، ص ٢٢. (٩) في «أ»: «لحكم».

(١٠) «الكافي» ج ٢، ص ٥٥٧ باب الدعاء للكرب والهيم... ج ٦.

النَّاسِ أُمَّةً وَاحِدَةً ﴿١﴾ الآية ﴿كُلًّا نُسَبِّحُ هُوًّا﴾ ﴿٢﴾ الآية ﴿وَأَنَا لَسَمَوَاتُهُمْ نَسِيبُهُمْ هَبِيرٌ مِّنْقُوسٍ﴾ ﴿٣﴾ | وقال عليه السلام: | (الدنيا سجن المؤمن، وجنة الكافر) ﴿٤﴾ وقال عليه السلام: (حُفَّتِ الْجَنَّةُ بِالْمَكَارِهِ، وَحُفَّتِ النَّارُ بِالشَّهَوَاتِ) ﴿٥﴾.

ومقام ﴿الرحيم﴾: الولاية، فلذا كانت خاصة بالمؤمنين، ولا يقام وزن يوم القيامة لغير من والاهم وأقر بولايتهم ديناً وحر فهم، بل ترى وجوهاً عاملة في الدنيا بأنواع العبادات، ناصبة العداوة، تصلى ناراً حامية، مخلدين فيها ﴿لا يَقْضَىٰ عَلَيْهِمْ فِتْنَتُهُمْ وَلَا يَحْتَفِلُ فِيهِمْ مِنْ عَذَابِهَا كَذَلِكَ نَجْرِي كُلَّ قَوْمٍ﴾ وَهُمْ يَصْطَرِحُونَ لِيهَا زَيْنًا أَخْرَجْنَا نَفْسًا صَالِحًا هَبِيرٌ الَّذِي كُنَّا نَعْمَلُ أَوْلَمَ نَعْمَرْتُمْ مَا يَتَذَكَّرُ فِيهِ مَنْ تَذَكَّرَ وَجَاءَتْكُمْ السَّيْرُ لَدُونُوا فَمَا لِلظَّالِمِينَ مِنْ لَّعِينٍ ﴿٦﴾.

وليس الأولى تقديم ﴿الرحيم﴾ هنا على ﴿الرحمن﴾ ليكون من قبيل الترقى من الأدنى إلى الأعلى، حيث إن الرحيم خاص، والرحمن عام، كما قيل ﴿٧﴾ وگوهم؛ لأنه إنما يكون فيما إذا دخل الأدنى في الأعلى، ليكون ذلك الأدنى بعد لغواً، وليس هنا كذلك، بل كل للرحمة، فقدم ﴿الرحمن﴾ للأهمية، ولكونه مقام النبوة، التي هي قبل الولاية الاستخلافية التي بعدها، فيذكر ﴿الرحيم﴾ بعد.
وأما بيت اللغوي:

[سموت بالمجديا بن الأكرمين أبا] ﴿٨﴾ فانت غيبك الوزي لا زلت رحماناً ﴿٩﴾

لغوي كقول أهل الإمامة ﴿١٠﴾ لمسيمة: «رحمن الإمامة» لكفرهم، ولا شك أن نجداً محل الفتن، ومنها تظهر.

واختار بعض علمائنا جواز إطلاق ﴿الرحمن﴾ على غيره تعالى، والظاهر - على ما في

(١) «الزخرف» الآية: ٣٣. (٢) «الإسراء» الآية: ٢٠.

(٣) «هود» الآية: ١٠٩. (٤) «معاني الأخبار» ص ٢٨٩، ج ٣.

(٥) «صحيح مسلم» ج ٤، ص ١٧٢٤، ح ١٢٨٢٢ «سنن الترمذي» ج ٤، ص ٦٩٣، ح ٢٥٥٩.

(٦) «فاطر» الآية: ٣٦ - ٣٧. (٧) انظر: «تفسير الكشاف» ج ١، ص ٨.

(٨) من المصدر.

(٩) البيت لرجل من بني حنيفة يمدح فيه مسيمة الكذاب. انظر: «تفسير الكشاف» ج ١، ص ٧.

(١٠) انظر: «تفسير الكشاف» ج ١، ص ٧.

حفظني الحاضر - أن منهم: الشيخ أحمد بن فهد في عدة الداهي^(١)، لا لبيت اللغوي، بل نظراً إلى أن ما يطلق عليه تعالى لا يُطلق على غيره أصلاً، وإن أُطلق لفظاً، كما في (عالم) و(حي) و(قادر)، وباقي الأسماء.

والاشتراك اللفظي غير ضائر ومؤثر، فلا مشاركة، إذ تلزم أن لو كانت في المعاني، وإذ ليس فليس، ومستسمع في حديث الجرجاني: (إنما التشبيه في المعاني، فأما في الأسماء فهي واحدة، وهي دالة على المسمى) الحديث^(٢)، وفي غيره دال عليه أيضاً، كما يظهر لمراجع أحاديث هذه الأبواب، مع أن في الممكن أثر رحمة، وهي حقيقة بالنسبة إلى الممكن، وإن تنزه عنها الواجب، كما هو ظاهر، فصح الإطلاق، إلا أنه لا يخلو بعد عن شيء. واستثنى هذه اللفظة للحديث السابق، والآجري في الألوهية، إذ مطلق الطاعة - بمعناها اللغوي - ثابتة لغيره، وهي طاعة من أمر تعالى بطاعته.

وقال عليه السلام: (من أصغى إلى ناطق فقد عبده)^(٣) الحديث، وغير ذلك، وليس هو - حينئذ - معبوداً من دون الله أو شريكاً له، فلا يلزم شرك ولا كفر، مع أنه لا يصح إطلاقه على غيره أصلاً، إجمالاً.

فإذن كما أنه وجب أن يكون لفظ دال - في عالم الحرفي - على أن الكمال الذاتي له، وأنه مستحق له، وأنه الموجد ولا يوجد غيره، ولا ينافي هذا الشرط والسبب لبعض، فإنه لنقص المعلوم، وتسببت بلطفه الأسباب، فهي من لطفه ومعلولة له عقلاً، فلا توقف من جهته تعالى، ولا نقص يعود إليه، فالكل يرجع لهذين الأمرين، فلا بد وأن يُقام في كل مقام - حتى في عالم الحرفي - مزايا واختصاص خاص به تعالى، ولتوافق الظاهر والباطن.

هذا، والحروف - في أسمائه تعالى وكلماته - تدل على ما تدل عليه في غيره، وكذا ما يلزمها من الحكم، في مثل وجوب [تجنبها]^(٤) عن النجاسات - وعدم مس المحدث لها ونظيرها - لذاتها، فتدبر، فلا خروج عن الحديث، ولا نقض بغيره من الأحاديث.

وفي تفسير الإمام العسكري عليه السلام: ﴿الرحمن﴾: العاطف على خلقه بالرزق، لا يقطع عنهم مواد رزقه، وإن انقطعوا عن طاعته^(٥).

(١) «عدة الداهي» ص ٣٠٣، وفيها قال ابن فهد: «وقد يسمي بالرحيم غيره تعالى، ولا يسمي بالرحمن سواه، لأن الرحمن هو الذي يقدر على كشف البلوى، والرحيم من خلقه قد لا يقدر على كشفها».

(٢) «الكافي» ج ١، ص ١١٩، ح ١، وسيأتي في الباب اللاحق، ح ١.

(٣) «هيون أخبار الرضا» ج ١، ص ٣٠٤، ح ٦٣. (٤) في النسختين: «اجتنابها».

(٥) «التفسير المنسوب للإمام العسكري» ص ٣٤، ح ١٢.

وفيه: عن أمير المؤمنين عليه السلام: ﴿الرحمن﴾: هو العاطف على خلقه بالرزق . قال: ومن رحمته أنه لما سلب الطفل قوة النهوض والتغذي، جعل تلك القوة في أمه، ورققها عليه، لتقوم بتربيته وحضنته، فإن قسا قلبها وجب تربيته على المؤمنين . ولما سلب من بعض الحيوانات قوة التربية لأولادها والقيام بمصالحها، جعل تلك القوة في الأولاد؛ لتنهض حين تولد، وتسير إلى رزقها المسبب لها .

قال عليه السلام: وتفسير قوله عز وجل: ﴿الرحمن﴾: أن قوله: ﴿الرحمن﴾ مشتق من الرحمة، سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول: قال الله تعالى: أنا الرحمن، وهي من الرحم، شقت لها اسماً من اسمي، فمن وصلها وصلته، ومن قطعها قطعته .

ثم قال علي عليه السلام: أو تدري ما هذه الرحم التي من وصلها وصله الرحمن، ومن قطعها قطعته الرحمن؟ فقيل: يا أمير المؤمنين، حث بهذا كل قوم أن يكرموا أقرباءهم، ويصلوا أرحامهم، فقال لهم: أيحسبهم على أن يصلوا أرحامهم الكافرين، وأن يعظّموا من حقره الله تعالى وأوجب احتقاره من الكافرين؟ .

قالوا: لا، ولكن عن المؤمنين، قال: فقال: أوجب حقوق أرحامهم لائصالهم بأبائهم وأمهاتهم؟ قلت: بلى يا أخا رسول الله صلى الله عليه وسلم، قال: فهم إذن إنما يقضون فيهم حقوق الآباء والأمهات، قلت: بلى يا أخا رسول الله صلى الله عليه وسلم، قال: فأبائهم وأمهاتهم إنما أخذوهم في الدنيا ووقوهم مكارهاها، وهي نعمة زائلة، ومكروه ينقضي، ورسول ربهم ساقطهم إلى نعمة دائمة لا تنتضي، ووقاهم مكروهاً لا يبديد، فأبي النعمتين أعظم؟ قلت: نعمة رسول الله صلى الله عليه وسلم أعظم وأجل وأكبر .

قال: فكيف يجوز أن يحث على قضاء حق من صقر الله حقه، ولا يحث على قضاء حق من كبر حقه؟ قلت: لا يجوز ذلك، قال: لحق رسول الله صلى الله عليه وسلم من حق الوالدين، وحق رحمه أيضاً أعظم من حق رحمهما، فالويل كل الويل لمن قطعها، والويل كل الويل لمن لم يعظّم حرمتها . أما علمت أن حرمة رحم رسول الله صلى الله عليه وسلم حرمة رسول الله، وأن حرمة رسول الله حرمة الله تعالى، وأن الله أعظم حقاً من كل منعم سواء، وأن كل منعم سواء إنما أنعم حيث قيضه لذلك ربه، ووفقه له؟ أما علمت ما قال الله تعالى لموسى بن عمران عليه السلام: .

ثم أخذ في البيان إلى أن قال: (ثم قال أمير المؤمنين عليه السلام: إن الرحم التي اشتقها الله تعالى من رحمته بقوله: أنا ﴿الرحمن﴾، هي رحم محمد صلى الله عليه وسلم، وإن من أعظام الله إعظام محمد صلى الله عليه وسلم،

وَأَنَّ مِنْ إِعْظَامِ مُحَمَّدٍ ﷺ إِعْظَامَ رَحِمِ مُحَمَّدٍ ﷺ، وَإِنْ كُلُّ مُؤْمِنٍ وَمُؤْمِنَةٍ مِنْ شِيَعَتِنَا هُوَ مِنْ رَحِمِ مُحَمَّدٍ ﷺ، وَإِنْ إِعْظَامُهُمْ مِنْ إِعْظَامِ مُحَمَّدٍ ﷺ، فَالْوَيْلُ لِمَنْ اسْتَخَفَ بِشَيْءٍ مِنْ حَرَمَةِ مُحَمَّدٍ ﷺ، وَطَوَّيْنِ لِمَنْ عَظَّمَ حَرَمَتَهُ وَأَكْرَمَ رَحِمَهُ ﷺ وَوَصَلَهَا^(١).

أقول: وهذا على تفسير باطن التأويل، فافهم.

المسألة الخامسة: ﴿الرَّحِيمُ﴾ مرٌّ لك معناه، وأنه خاص، قال تعالى: ﴿وَكَانَ بِالْمُؤْمِنِينَ رَحِيمًا﴾^(٢) ﴿فَسَأَلْتُهَا لِلَّذِينَ يَتَّقُونَ﴾^(٣) ﴿كَتَبَ رَبُّكُمْ عَلَى نَفْسِهِ الرَّحْمَةَ أَلَهُ مَنْ عَمِلَ مِنْكُمْ سُوءًا بِجَهَالَةٍ ثُمَّ تَابَ مِنْ بَغْيِهِ وَأَصْلَحَ قَالَهُ هُوَ رَحِيمٌ﴾^(٤).

وفي تفسير الإمام ﷺ: (قال أمير المؤمنين ﷺ: رحيم بعباده المؤمنين، ومن رحمته أنه خلق مائة رحمة، وجعل منها رحمة واحدة في الخلق كلهم، فيها يتراحم الناس، وترحم الوالدة ولدها، وتحنو الأمهات من الحيوانات على أولادها، فإذا كان يوم القيامة أضاف هذه الرحمة الواحدة إلى تسعة وتسعين رحمة، فيرحم بها أمة محمد ﷺ، ثم يشفعهم فيمن يحبون له الشفاعة من أهل الملة) الحديث^(٥).



إشارة وإبطال

غير خفي دلالة البسمة - حتى أنه وصف نفسه بالرحمن الرحيم - والأمر بالاستعانة على بطلان مذهب الجبرية، إذ كيف يكون الواجب تعالى كذلك، وقد خلق الكفر وخلد صاحبه في النار، وأمر بالإيمان وصد عنه وعاقب؟

وكذا مذهب المفوضة، إذ كيف يأمر بالاستعانة، ويبطل الخبر الاستعانة أيضاً، ولأرجعت إلى الأمر بالاستعانة في إيجاد فعل، هو الموجد له، أو هو المستعين لنفسه بنفسه، وكذا وصفه بالرحمة، والطاهات رحمة ولازم الوجود، فتكون الطاهة منه، فيبطل التفويض. وعنهم ﷺ: (أني أولن بحسناتك منك، وأنت أولن بسيئاتك مني) الحديث^(٦).

(١) «التفسير المنسوب للإمام المسكري» ص ٣٤ - ٣٧، ح ١٢، بتفاوت، صحته على المصدر.

(٢) «الأحزاب» الآية: ٤٣. (٣) «الأعراف» الآية: ١٥٦.

(٤) «الأنعام» الآية: ٥٤.

(٥) «التفسير المنسوب للإمام المسكري» ص ٣٧، ح ١٢، صحته على المصدر.

(٦) «الكافي» ج ١، ص ١٦٠، ح ١٢، وسيأتي في: «هدي العقول» ج ٧، باب الجبر والقدر، ح ١٢.

وستسمعه مع بسط هذه المسألة فيما سيأتي، إن شاء الله تعالى.

ولا ينافي وصفه بالرحمن الرحيم، وأن رحمته ﴿ وَسِعَتْ كُلَّ شَيْءٍ ﴾^(١)، كما قال تعالى، وقال: ﴿ وَلَا يَزَالُونَ مُخْتَلِفِينَ * إِلَّا مَن رَّحِمَ رَبُّكَ وَلِذَلِكَ خَلَقَهُمْ ﴾^(٢).

وفي الكافي، في صحيح أبي عبيدة، عن أبي جعفر عليه السلام: (ولرحمته خلقهم)^(٣).

وفي التوحيد: (خلقهم ليفعلوا ما يستوجبوا به رحمته ليرحمهم)^(٤)، وفي العياشي^(٥) مثله.

وفي تفسير علي بن إبراهيم: (ولذلك خلقهم ﴿ أَيُّ لِرَحْمَةٍ ﴾)^(٦).

وقال عليه السلام: (الخير كله بيدك، والشر ليس إليك)^(٧).

تعذيبه * الكافر وتخليده وغضبه عليه، إذ ليس ذلك [للتشفي]^(٨)، وإنما هي أعمالهم رُدَّتْ إليهم ﴿ إِنَّمَا تُجْرَزُونَ مَا كُنْتُمْ تَعْمَلُونَ ﴾^(٩) ﴿ سَيَجْزِيهِمْ وَصْفَهُمْ ﴾^(١٠).

فالشر مراد عرضاً لا ذاتاً، فباعتبار النظام الجملي والإرادة العزيمة دخل في النشاطين، مع سبق الرحمة لهم، فتدبر، وسينكشف لك إن شاء الله تعالى.

إشارة وإشارة

قد اشتهر على لسان اللغويين^(١١)، وبين المفسرين^(١٢) - وأخذ إلى ذلك جيل كثير - أن الرحمة حقيقة رقة القلب، وهو معناها في الممكن، وحيث لم يمكن إجراؤها ذلك في

(١) «الأعراف» الآية: ١٥٦. (٢) «هود» الآية: ١١٨ - ١١٩.

(٣) «الكافي» ج ١، ص ٤٢٩، ح ٨٣، صححه على المصدر.

(٤) «التوحيد» ص ٤٠٣، ح ١٠.

(٥) «تفسير العياشي» ج ٢، ص ١٧٣، ح ٨٢، وفيه: (فأولئك أولياؤنا من المؤمنين، ولذلك خلقهم من الطيبة الطيبة).

(٦) «تفسير علي بن إبراهيم القمي» ج ١، ص ٣٦٧، وفيه: (يعني أهل رحمة لا يتخلفون في الدين).

(٧) «المصباح» ص ٢٣، من الصادق عليه السلام، بتفاوت «بحار الأنوار» ج ٨١، ص ٣٦٦.

(٨) فاعل قول المؤلف: «ولا ينافي وصفه بالرحمن الرحيم».

(٩) في «ب»: «للتشي». (١٠) «الأنعام» الآية: ١٣٩.

(١١) انظر: «المصباح» ج ٥، ص ١١٩٢٩ «لسان العرب» ج ٥، ص ١٧٣، «رحم» «القاموس المحيط» ج ٤، ص ١٦٥.

(١٢) انظر: «تفسير البيضاوي» ج ١، ص ١٧، «الدر المنصور» ج ١، ص ٦٠.

الواجب؛ لاقتضائه للانفعال والتجدد والتشبيه وغير ذلك، وهو منفي عنه تعالى، غير ممكن إجراؤه في جناب القدس، مع تطابق الدليل العقلي والنقلي على وصفه تعالى بها، فارتطم عليهم الأمر، وضاق عليهم المفرد، فقالوا: إطلاقها عليه من قبيل المجاز المرسل، لأنه سبب انعطاف القلوب، أو على سبيل الاستعارة؛ لعمله [بكمال] (١)، إحسانه، عمل [المطوف] (٢) وعمل ما يعمله الرؤوف.

قال العلامة السامغاني في شرحه للباب الحادي عشر: «وهذا أشبه للتدقيق وأقرب للتحقيق، لكن يلزم منه أن لا يكون (الرحمن) مستعملاً على سبيل الحقيقة، وذلك ظاهر؛ لاختصاص إطلاقه بذات الله تعالى، ولا بأس به؛ لأنّ الوضع لا يستلزم استعمال اللفظ فيما وضع له» (٣) انتهى.

ولمّا جعل كثير من علماء الأصول وغيرهم أنها حقيقة في رقة القلب، وهو عليه محال - والحقيقة استعمال فيما وضع له أولاً، والمجاز استعمال في غيره ثانياً - قالوا: إن المجاز لا يستلزم الحقيقة [لاستعمال الرحمن] (...)، ولم يسبقه وضع، واستدلوا به، لكنها مصادرة، ومن أين علموا أن حقيقتها كذلك مطلقاً، وفي الممكن خاصة، لا توجب المجازية فيه، ولو تأملوا في ذلك لدلّ على نفي المجازية، فيكون من الحقائق، فتأمل (٤).

وقال الشيخ بهاء الدين، في تفسيره المسمى بالعروة الوثقى: «الرحمة رقة في القلب، وتأثر يقتضي التفضل والإحسان، ويوصف بها سبحانه باعتبار غايتها التي هي فعل، لا باعتبار مبدئها الذي هو انفعال؛ لتنزهه جل شأنه عنه، وأكثر أسمائه تعالى تؤخذ بهذا الاعتبار، كالرحمن والرحيم» (٥) انتهى.

ومثله في تفسير البيضاوي (٦).

(١) في «أ»: «بكل».

(٢) في «ب»: «المطوف».

(٣) المصدر غير متوفر لدينا.

(٤) في «ب»: «فإن استعمال الرحمن هنا لم يسبقه وضع، لكن هذا ينفي مجازيته لا يشبهتها، وإلا خرج من التعريف، ولم يوجد. والاستدلال بالرحمة هنا على ذلك مصادرة، ومن أين علم أن حقيقتها الرقة؟ وكونها كذلك في الممكن لا يدل عليه مطلقاً، فجاز كونه حقيقة بعد حقيقة، وسيأتي زيادة».

(٥) «العروة الوثقى» ضمن «رسائل الشيخ بهاء الدين» ص ٣٩٦، صححناه على المصدر.

(٦) «تفسير البيضاوي» ج ١، ص ٧.

وجوه ضعف لسان أهل العرفان

وقد اشتهر على لسان أهل العرفان: أخذ الغايات واطرک المبادئ [ولا يخفى ما فيه من ضعف، من وجوه:

الوجه الأول: أن الاستناد إلى قول: «أخذ الغايات واطرک المبادئ»^(١) غير مفيد، فإن كان المراد إثبات غاياتها ولوازم الصفات وترك الأول، فليكن كذلك في كل الصفات، ولم يسلكوه، مع إرادة جواز ترك المبادئ، التي استدلت بها على إثبات الصفات، حيث إنها ممكنة، والممكن دال عليه بما أقام فيه وأظهر فيه من الدلالة، فخذ غايته، وهو إثبات الكمال له بما هو كمال، من غير أن يصحبه نقص، فالنهايات بدايات باعتبار، وأين هذا وما توهموه فيما اشتهر عنهم، مع أننا نرجع معكم إلى النص والبرهان الحكمي، إن قبلتم الإنصاف؟

الوجه الثاني: أن [استقراء]^(٢) الممكن دال على أن الرحمة معناها كذلك، كما أن الحياة والعلم له معنى فيه، ولكن من أين حصل أنه إذا لم يكن في الواجب تعالى ذلك المعنى ممكناً، كان مجازاً، ولا يكون له معنى آخر حقيقة بالنسبة له تعالى كالعلم لما انتهى كمال الممكن في شأنه تعالى، بل الاستقراء لا يعدو موضعه [والألزم مجازية وصفه بالصفات الذاتية لقولهم السابق، وهي عندهم عين ذاته.

فإن قالوا: لعدم معرفة حقيقة علمه.

قلنا: كذا هنا.

فإن قالوا: لمعلوميته من النص والاعتبار.

قلنا: فكذا هنا، والفرق تحكّم^(٣).

الوجه الثالث: أن الله يقول: ﴿كَتَبَ عَلَى نَفْسِهِ الرَّحْمَةَ﴾^(٤) ﴿كَتَبَ اللَّهُ عَلَيْهِمُ الْجَلَاءَ﴾^(٥)

(١) ليست في «ب». (٢) في «أ»: «استقرار».

(٣) في «ب»: «يلزم كون وصفه بالعلم مجازاً، لاستحالة وصفه تعالى بعلم الممكن، وكذا في القدرة والحياة، مع أنكم تقولون: هي عين ذاته، فإن قلتم هنا لا تعرف حقيقة علمه، فكذا قولوا في حقيقة رحمته، لما

تقولون هناك يلزمكم هنا». (٤) «الأنعام» الآية: ١٢.

(٥) «الحشر» الآية: ٣.

ولم يلزم أن يكون مجازاً، لكون الكتاب - بالمعنى اللغوي - غير جارٍ فيه، بل يطلق على مطلق التصوير والإيجاد والحكم.

الوجه الرابع: كيف يكون الممكن أصلاً لاشتقاق اسم الواجب ووصفه، والموجود ورحمته منه تعالى؟ حتى إنه يكون لهم الحقيقة وله المجاز، وبمعناه - عندهم - يصح السلب، فهو لازم المجازية، [لم لا احتملوا المجاز لرقّة القلب، لخلق الله لها، ونسيتها بالرحمة، وهي آية لما في -]، وليست بذاتية لها، وتكون فيه مشابهة، لأنها آيته ودليله [١] أو لا سمعوا قوله تعالى: ﴿فَانظُرْ إِلَى آثَارِ رَحْمَةِ اللَّهِ﴾ [٢] الآية؟.

فرقة القلب من آثار رحمته، والله مائة رحمة وغيره. فكما حقيقة الشيئية له، وهي لهم بجعله، فهي لهم مجازاً، وإن كانت حقيقة بالنسبة لهم، لا بالمعنى المجازي اللغوي الذي يعنونه، فكذلك الرحمة حقيقتها له تعالى، وهي عبارة عن نفس الهداية والحياة والعلم، وهو كذلك بذاته قبل خلق قلوبهم، ورقتها الدالة على أنه رحيم.

والرقّة مجاز، أي دليل على كونه رحيماً بذاته، أي طريق، فإذا أراد إجراء رحمة على عبد لعبد، جرت بعض الآثار الدالة، كما قال: ﴿فَإِذَا أَنْزَلْنَا عَلَيْهَا الْمَاءَ اهْتَزَّتْ﴾ [٣] وغيرها، غير مفاضة منه، وهو الجواد، ومفيض الجود أولي به، ولم تحدث رحمته بعد خلقهم، فتفطن.

وأقول لك: هل أتصف بالرحمة بذاته، قبل خلق الخلق وصفاتهم؟ أو لم يتصف إلا بعد خلقهم ورقتهم؟ واشتق اسم مختص به من قلوبهم؟ فهو فاقد كمال مستكمل، كيف ووجودهم بسبب رحمته لهم؟ والثاني باطل، فتعين الأول: ﴿إِنَّ فِي ذَلِكَ لَذِكْرٍ لِمَنْ كَانَ لَهُ قَلْبٌ أَوْ أَلْقَنَ السَّمْعَ وَهُوَ شَهِيدٌ﴾ [٤].

ولا نقل بما قيل بغير تفطن وتفكر، وتتبع الشهرة بعد البيان: إنها حقيقة في رقة القلب، وهي لله مجاز، بل الأمر بالعكس، ولكن المجازية كما أشرنا لك في معناها، لا على ما هو المشهور في عرفهم اللغوي.

[فإن قيل: الإجماع على أن الرحمة فينا حقيقة، ولا تجوز على الله.

قلنا: لا يلزم منها كونها في الله مجازاً، وإن فرّخوا على ذلك، والمفايرة لا توجب

(٢) «الروم» الآية: ٥٠.

(٤) «ق» الآية: ٣٧.

(١) من «ب».

(٣) «الحج» الآية: ٥.

المجازية، فجاز كونها حقيقة بعد حقيقة، ولا تقولون في علمنا وسمعنا وحياتنا ونحوها، التي هي فينا حقائق، فيه تعالى بالمجازية، وكذا في أن لنا حقيقة وله حقيقة، ولا تحكموا على ما لا تعرفون بالمجازية^(١).

الوجه الخامس: على قولهم: إذا كان الرحمن مختصاً به، وموضوعاً للرقّة، ولم يستعمل فيه، فما فائدة الوضع؟ وهو تخصيص لفظ بمعنى، وأصل الأشياء للاستعمال؟ فإن قيل: لتصحيح المجازية.

قلنا: هو الخروج، ولا يكون إلا بعد استعمال.

ثم وما فسروا به، من أن الوضع لا يستلزم الاستعمال - وأن المجاز لا يستلزم الحقيقة للفظ الرحمن، ليس غيرها - مصادرة ظاهرة، بل لقائل أن يقول: هي حقيقة في معناها الذي قالوا بمجازيته، ويدل على عدم وضعها لغيره عدم استعمالها لغيره، وإلا استعملت بالنسبة له تعالى من الواضع خاصة، ولو حين الوضع، [أو]^(٢) يكون الواجب تعالى أراد ذلك منها، حين ألقى على الرسول الوحي القرآني، وسماجته ظاهره.

بل ويلزمهم - أيضاً - جعل جميع أسمائه تعالى مجازات، فإن معانيها في الممكن لا تجري فيه، وهو حقيقتها، واستعملت فيها، فهي في تلك مجازات، وإن قالوا غير ذلك لزمهم هنا.

الوجه السادس: الأصل في الاستعمال الحقيقية، كما عليه جماعة^(٣)، [وعلى القول بأنه أهم ليس محل النزاع منه، ولا يخفى على الفطن إمكان رفع النزاع]^(٤) بين المرتضى وغيره.

وفي توحيد الصدوق^(٥) - أو معاني الأخبار - عن أحدهم **عليه السلام** ما يدل على تفسيره

(١) من: «ب». (٢) في «أ»: «بأن».

(٣) انظر «الدرية إلى أصول الشريعة» ج ١، ص ١٠ - ١١، «معارج الأصول» ص ٥١، «مبادئ الوصول» ص ٧٣، «الواقية» ص ٦١.

(٤) في «ب»: «وليس بل الكل، وهو هنا سابق، وليس هو من قبيل أن الاستعمال أهم للخروج، وحيث فلا نزاع...».

(٥) «التوحيد» ص ٢٣٢، ح ٥، وفيه: (الرحمن الذي يرحم بيسط الرزق علينا، الرحيم بنا في أدياننا ودنيانا وأخرتنا)...

بالنسبة له تعالى بمعنى الهداية والحياة [لا كما قالوا] ^(١)، فتكون فيه حقيقة، فتأمل.

□ الحديث رقم ﴿ ٢ ﴾

قوله ﴿ عن هشام بن الحكم، أنه سأل أبا عبد الله عليه السلام عن أسماء الله واشتقاقها: الله متى هو مشتق؟ فقال: يا هشام، الله مشتق من إله، وإله يقتضي مألوها، والاسم غير المستنى، فمن عبد الاسم دون المعنى فقد كفر، ولم يعبد شيئاً، ومن عبد الاسم والمعنى فقد أشرك وعبد النين، ومن عبد المعنى دون الاسم فذاك التوحيد، أفهمت يا هشام؟

قال: قلت: زدني، قال: [إن] ^(٢) لله تسعة [وتسمين] ^(٣) اسماً، فلو كان الاسم هو المستنى لكان كل اسم منها إلهاً، ولكن الله معنى يدل عليه بهذه الأسماء، وكلها غيره.

يا هشام، الخبز اسم للمأكل، والماء اسم للمشروب، والثوب اسم للملبوس، والنار اسم للمحرق، أفهمت يا هشام فهما تدفع به وتناضل [به] أعداءنا الملحدين ^(٤) مع الله عز وجل غيره؟ قلت: نعم، فقال: نفعلك الله به، وثبتك يا هشام، قال [هشام] ^(٥)؛ فوالله ما قهرني أحد في التوحيد حتى قمت مقامي هذا.

أقول: قد سبق لك هذا الحديث في باب المعبود ^(٦) سنداً وامتناً، مشروحاً، إلا أن هناك (والإله يقتضي مألوها) وهنا (والله يقتضي مألوها) فلر جرّد النظر عمّا هناك أمكن قراءته هنا: (والله) بلفظ الماضي، فراجع ما سبق فيه. وفي نسخة الاحتجاج: (المتخذين مع الله) ^(٧) ولا تفاوت معنى.

(١) من «ب».

(٢) ليست في المصدر.

(٣) في «أ» والمصدر: «تسمون».

(٤) في المصدر: «المتخذين».

(٥) ليست في المصدر.

(٦) «هدي العقول» ج ٣، الباب الخامس، ح ٢.

(٧) «الاحتجاج» ج ٢، ص ٢٠٣، وفيه: (والمتخذين)...

ومرُّ لك أيضاً في باب المعبود تعداد التسعة والتسعين | اسماً |، نقلاً عن التوحيد^(١)،
والملا^(٢) أحال | ما | هنا على ما سبق، وسمعت ما فيه.

وقال محمد صادق في شرحه هنا: «التناضل: التنازع، وقوله: (مع الله عز وجل غيره) أي
يقولون: مع الله غيره، والحق أن أختيار الله كل منها هو الوجود مع التعيين الذي به امتياز
الوجود عن غيره، وما به الامتياز يجب أن يكون غير الوجود، وإن كان عين الوجود فيكون
هو هو، فلا يمتاز عن غيره، [مع أن كل وجود من الممكنات يمتاز عن غيره]^(٣)، وإذا كان
غير الوجود فهو عدم، فكل من الممكنات مركب من الوجود والعدم المجاور للوجود،
والمركب من الشيء وغيره غير هذا الشيء، فكل ممكن غير الوجود من هذا الوجه.

فعلى هذا، كل اسم وصفة غير المسمّى وغير الموصوف من وجه، لا مطلقاً،
فقوله ﷺ: (الاسم غير المسمّى) يعني من وجه، لا مطلقاً، وهذه المغايرة - من وجه - تمنع
عبادة الاسم دون المعنى، أو عبادة الصفة دون الموصوف؛ لأن المعبود وجود واحد من
جميع الوجوه، والتعدد - وكذا العدم - ينافي المعبودية، ولو كان العدم من وجه.

أقول: كله ضلال، والتعيين عنده والاعتبار عدم اعتباري [من]^(٤) ملاحظة الأعيان
الاعتبارية، فالممكن عنده مركب من حقيقة الوجود والعدم الاعتباري، ولذا قال
بالمغايرة، أي اعتباراً، إذ الحقيقة واحدة، وهذا مفرّع على قواعد أهل التصوف وضلالهم،
بل الاسم غير الذات مطلقاً، ولا اعتبار له في مقامها مطلقاً، وليست الحقيقة واحدة، وليس
غير وجود الواجب عدماً.

نعم، وجود الممكن عدم في رتبة الواجب، بمعنى لا اعتبار له، وهو وجوده الإمكانية،
ومعلوم أنه لا اعتبار للموجود فوق مقامه ورتبته، فتدبر.

□ الحديث رقم ﴿ ٣ ﴾

قوله: ﴿ [الحسن بن راشد] عن أبي الحسن موسى بن جعفر ﷺ، قال:
سئل عن معنى الله، فقال: استولى على ما دقّ وجلّ ﴾.

(٢) «شرح أصول الكافي» ج ٣، ص ٢٦٢.

(١) «التوحيد» ص ١٩٤، ح ٨.

(٤) من «ب».

(٣) ليست بي «ب».

ومعناه ظاهر مما سبق، ولما كانت الألوهية تقتضي العموم، ولفظ (الله) دال على الذات بجميع صفاتها - وهي مستولية على الكل، استيلاء تاماً متعالياً، كل في مقامه بفعله، كما قال تعالى: ﴿وَمِنْ آيَاتِهِ أَنْ تَقُومَ السَّمَاءُ وَالْأَرْضُ بِأَمْرِهِ﴾^(١) وقال تعالى: ﴿وَاللَّهُ مِنْ وَرَائِهِمْ مُحِيطٌ﴾^(٢) و﴿بِكُلِّ شَيْءٍ مُحِيطٌ﴾^(٣) - فسر به، وسينكشف لك معنى هذا الاستيلاء بوجه، في الكلام على ﴿الرَّحْمَنُ عَلَى الْعَرْشِ اسْتَوَى﴾^(٤) إن شاء الله تعالى.

□ الحديث رقم ﴿٤﴾

قوله: ﴿عن العباس بن هلال، قال: سألت الرضا عليه السلام عن قول الله تعالى: ﴿اللَّهُ نُورُ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ﴾^(٥) فقال: هادٍ لأهل السماء، وهادٍ لأهل الأرض.

وفي رواية البرقي: هدى من في السماء، وهدى من في الأرض.

وفي التوحيد^(٦) مثلهما، وكذا في المعاني^(٧).

وفي التوحيد، مسنداً عن صالح بن سهل الهمداني، قال: قال أبو عبد الله عليه السلام: في قول الله تعالى: ﴿اللَّهُ نُورُ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ مِثْلُ نُورِ كَوْكَبَةٍ﴾^(٨)؛ (فاطمة عليها السلام) فيها مصباح؛ الحسن عليه السلام) المصباح في زجاجة؛ الحسين عليه السلام) الزجاجية كأنها كوكب دري؛ فاطمة عليها السلام) كوكب دري بين نساء أهل الدنيا؛ ﴿توقد من شجرة مباركة﴾ إبراهيم عليه السلام) زيتونة لا شرقية ولا غربية؛ لا يهودية ولا نصرانية؛ ﴿يكاذ زيتها يضيء﴾ يكاد العلم ينفجر بها؛ ﴿ولو لم تمسسه نارٌ نورٌ على نور﴾ إمام منها بعد إمام؛ ﴿يهدى الله لثوره من يشاء﴾ يهدي الله للأئمة من يشاء؛ ﴿ويضرب الله الأمثال للناس﴾ الحديث^(٩).

(٢) «البروج» الآية: ٢٠.

(١) «الروم» الآية: ٢٥.

(٤) «طه» الآية: ٥.

(٣) «فصلت» الآية: ٥٤.

(٦) «التوحيد» ص ١٥٥، ح ١، ص ٢٣٠، ح ٤.

(٥) «النور» الآية: ٣٥.

(٧) «معاني الأخبار» ص ٤، ح ١، ص ١٥، ح ١٦. (٨) «النور» الآية: ٣٥.

(٩) لم نثر عليه في «التوحيد»، وثرنا عليه في «الكافي» ج ١، ص ١٩٥، ح ٥. صححناه على المصدر.

وفيه مسنداً عن جابر، عن أبي جعفر عليه السلام، قال: (إن رسول الله صلى الله عليه وآله وضع العلم الذي كان عنده عند الوصي، وهو قول الله عز وجل: ﴿الله نُورُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ﴾ يقول: أنا هادي السماوات والأرض، مثل العلم الذي أعطيت - وهو نوري الذي يهتدى به - مثل المشكاة، فيها المصباح، فالمشكاة قلب محمد صلى الله عليه وآله، والمصباح: النور الذي فيه العلم، وقوله: ﴿المصباح في رُجَاجَةٍ﴾ يقول: إني أريد أن أقبضك، فأجعل الذي عندك عند الوصي، كما يجعل المصباح في الرجاجة ﴿كأنها كوكبٌ دُرِّيٌّ﴾ فأعلمهم فضل الوصي ﴿توقدُ من شَجَرَةٍ مُّبَارَكَةٍ﴾ فأصل الشجرة المباركة إبراهيم عليه السلام، وهو قول الله عز وجل: ﴿رَحْمَةُ اللهِ وَبَرَكَاتُهُ هَلْ لَكُمْ مِنَ الشَّجَرَةِ الَّتِي إِذْ قَالَ اللهُ لَهَا خَتْمٌ عَلَيْهَا لَهَا مُطْرَقَتٌ فَلْيَقْبِضُوا مِنْهَا مِن دُونِ الْحَبْلِ﴾ وهو قول الله عز وجل: ﴿إِنَّ اللهَ اصْطَفَى آدَمَ وَنُوحًا وَآلَ إِبْرَاهِيمَ وَآلَ عِمْرَانَ عَلَى الْعَالَمِينَ﴾ ذُرِّيَّةً بَعْضُهَا مِنْ بَعْضٍ وَاللهُ سَمِيعٌ عَلِيمٌ ﴿١٣١﴾.

﴿لا شَرِيقِيَّةٌ وَلَا هَرَبِيَّةٌ﴾ يقول: لستم بيهود لتصلوا قِبَلَ المَغربِ، ولا نصارى فتصلوا قِبَلَ المَشرقِ، وأنتم على ملة إبراهيم عليه السلام، وقد قال الله عز وجل: ﴿مَا كَانَ إِبْرَاهِيمُ يَهُودِيًّا وَلَا نَصْرَانِيًّا وَلَكِنْ كَانَ حَنِيفًا مُسْلِمًا وَمَا كَانَ مِنَ الْمُشْرِكِينَ﴾ ﴿١٣٢﴾.
وقوله عز وجل: ﴿يَكَادُ زَيْتُهَا يُضِيءُ وَلَوْ لَمْ تَمْسَسْهُ نَارُ نُورٍ عَلَيَّ نُورٍ يَهْدِي اللهُ لِنُورِهِ مَنْ يَشَاءُ﴾ ﴿١٣٣﴾ يقول: مثل أولادكم الذين يولدون منكم، كمثل الزيت الذي يعصر من الزيتون.
﴿يَكَادُ زَيْتُهَا يُضِيءُ وَلَوْ لَمْ تَمْسَسْهُ نَارُ نُورٍ عَلَيَّ نُورٍ يَهْدِي اللهُ لِنُورِهِ مَنْ يَشَاءُ﴾، يقول: يكادون أن يتكلموا بالنبوة، ولو لم ينزل عليهم ملك ﴿١٣٤﴾.

وبسنده عن الفضيل بن يسار قال: قلت لأبي عبد الله الصادق عليه السلام: ﴿الله نُورُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ﴾؟ قال: (كذلك الله عز وجل) قال: قلت: ﴿مَثَلُ نُورِهِ﴾؟ قال: (محمد صلى الله عليه وآله)، قلت: ﴿كَمُشْكَاةٍ﴾؟ قال: (صدر محمد صلى الله عليه وآله) قال: قلت: ﴿فيها مصباحٌ﴾؟ قال: (فيه نور العلم، يعني النبوة) قلت: ﴿المصباح في رُجَاجَةٍ﴾؟ قال: (علم رسول الله صلى الله عليه وآله صدر إلى قلب علي عليه السلام) قلت: ﴿كأنها﴾؟ قال: (لأبي شيء تقرأ: ﴿كأنها﴾)؟ قلت: فكيف جعلت فذلك؟ قال: (كأنه ﴿كوكبٌ دُرِّيٌّ﴾) قلت: ﴿يوقدُ من شَجَرَةٍ مُّبَارَكَةٍ زَيْتُونَةٍ لَا شَرْقِيَّةٍ وَلَا غَرْبِيَّةٍ﴾ قال: (ذلك أمير المؤمنين علي بن أبي طالب عليه السلام، لا يهودي ولا نصراني) قلت:

(١) «هود» الآية: ٧٣. (٢) «آل عمران» الآية: ٣٣ - ٣٤.

(٣) «آل عمران» الآية: ٦٧. (٤) «التور» الآية: ٣٥.

(٥) «الكافي» ج ٨، ص ٣١١ - ٣١٢، ح ٥٧٤، صححناه على المصدر.

﴿ يَكَادُ زَيْتُهَا يُضِيءُ وَلَوْ لَمْ تَمْسَسْهُ نَارٌ ﴾ ؟ قال: (يكاد العلم يخرج من فم العالم من آل محمد من قبل أن ينطق به)، قلت: ﴿ نُورٌ عَلَى نُورٍ ﴾ ؟ قال: (الإمام في إثم الإمام)^(١).

وروي أخرى^(٢) عن | محمد بن | علي بن الحسين عليهما السلام بتفاوت غير مؤثر، إلا أنه لا تعرض فيها للفظ: ﴿ اللهُ نُورُ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ ﴾ .

وروي عن جابر، عن أبي جعفر عليه السلام، في قوله: ﴿ اللهُ نُورُ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ مِثْلُ نُورِهِ كَمِشْكَاةٍ ﴾ (المشكاة صدر نبي الله صلى الله عليه وآله وسلم، فيه المصباح، والمصباح هو العلم في الزجاج، والزجاج أمير المؤمنين عليه السلام، وعلم النبي صلى الله عليه وآله وسلم عنده)^(٣).

وروي مرسلًا، عن الصادق عليه السلام: أنه سئل عن: ﴿ اللهُ نُورُ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ ﴾ إلى ﴿ مصباح ﴾ فقال: (هو مثل ضربه الله لنا)^(٤).

وروي علي بن إبراهيم بسنده، عن صالح بن سهل الهمداني، مثله^(٥).

وروي عن طلحة بن زيد، عن الصادق عليه السلام في هذه الآية: ﴿ اللهُ نُورُ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ ﴾ قال: (بدأ بنور نفسه تعالى. ﴿ مِثْلُ نُورِهِ ﴾ مثل هداه في قلب المؤمن ﴿ كَمِشْكَاةٍ لِيهَا مِصْبَاحٌ الْمِصْبَاحُ ﴾ والمشكاة جوف المؤمن، والقنديل قلبه، والمصباح النور الذي جعله الله في قلبه ﴿ يُوَقَّدُ مِنْ شَجَرَةٍ مُبَارَكَةٍ ﴾ قال: الشجرة المؤمن ﴿ زَيْتُونَةٍ لَا شَرْقِيَّةٍ وَلَا غَرْبِيَّةٍ ﴾ قال: علي سواء الجبل، لا غربية أي لا شرق لها، ولا شرقية أي لا غرب لها، إذا طلعت الشمس طلعت عليها، وإذا غربت الشمس غربت عليها ﴿ يَكَادُ زَيْتُهَا يُضِيءُ ﴾ يكاد النور الذي جعله الله في قلبه يضيء، وإن لم يتكلم ﴿ نُورٌ عَلَى نُورٍ ﴾ فريضة علي فريضة، وسنة علي سنة ﴿ يَهْدِي اللهُ لِنُورِهِ مَنْ يَشَاءُ ﴾ يهدي الله لفرائضه وسننه من يشاء ﴿ وَيَضْرِبُ اللهُ الْأَمْثَالَ لِلنَّاسِ ﴾ لهذا مثل ضربه الله للمؤمن .

قال: فالمؤمن يتقلب في خمسة من النور) - وفي نسخة: من خمسة من النور - (مدخله نور، ومخرجه نور، وعلمه نور، وكلامه نور، ومصيره يوم القيامة إلى الجنة نور).

قلت لجعفر بن محمد عليه السلام: جعلت فداك يا سيدي، إنهم يقولون: مثل نور الرب ؟ قال:

(١) «التوحيد» ص ١٥٧، ح ٣، صحناه على المصدر.

(٢) «التوحيد» ص ١٥٨، ح ٤. (٣) «التوحيد» ص ١٥٩، ح ٥، صحناه على المصدر.

(٤) «التوحيد» ص ١٥٧، ح ٢. (٥) «تفسير علي بن إبراهيم القتيبي» ج ٢، ص ١٠٣.

(سبحان الله، ليس لله مثل، قال الله تعالى: ﴿ لَا تُضْرِبُوا لَهُ الْأَمْثَالَ ﴾^(١))^(٢).

ومثل هذه الرواية روى محمد بن العباس^(٣)، وفي الاختصاص^(٤) وغيرهما، بل روى المخالف أيضاً، كما رواه الشافعي ابن المغازلي في كتاب المناقب^(٥).

والكلام هنا يقع في مسائل:

المسألة الأولى: غير خفي وصفه تعالى بالنور، من القرآن والنص كثير، وفي الأدعية: (يا نور النور)^(٦).

وفي التوحيد، في باب صفات الذات والأفعال، بإسناده عن الصادق عليه السلام، قال عليه السلام: (هو عز وجل مثبت موجود لا مبطل) إلى أن قال عليه السلام: (والله نور لا ظلام فيه، وحي لا موت له، وعالم لا جهل فيه) الحديث^(٧).

وفيه في حديث آخر، عن هشام بن سالم، قال: دخلتُ على أبي عبد الله عليه السلام، فقال لي: (أتنتعُ الله؟) فقلت: نعم، قال: (هات)، فقلت: هو السميع البصير، قال: (هذه صفة يشترك فيها المخلوقون)، قلت: فكيف تنتعته، فقال: (هو نور لا ظلمة فيه، وحياة لا موت فيه، وعلم لا جهل فيه، وحق لا باطل فيه) فخرجت من عنده، وأنا أعلم الناس بالتوحيد^(٨). ومثله كثير. ولا شك أن النور والظهور شيء واحد، فكُلُّما اشتد الشيء ظهوراً اشتد نوراً، ولا شك أن الواجب تعالى ظاهر، غني مطلق، ومُظهِر لغيره، بل لا ظهور أظهر منه، حتى إنه سبب الخفاء، فسبحان من احتجب بغير حجاب.

وفي الدهاء: (يا باطناً في ظهوره، وظاهراً في بطونه)^(٩)، وظهر بما بطن وبالعكس. فإذا كان كذلك، فهو أحق الأشياء باسم النور، كيف وبه استنار الوجود وزال ظلامه

(١) «النحل» الآية: ٧٤.

(٢) «تفسير علي بن إبراهيم القتي» ج ٢، ص ١٠٣ - ١٠٤، صححه على المصدر.

(٣) «تأويل الآيات الظاهرة» ص ٣٥٧، «تفسير البرهان» ج ٣، ص ١٣٦، ح ١١ - ١٢.

(٤) «الاختصاص» ضمن «سلسلة مؤلفات الشيخ المفيد» ج ١٢، ص ٢٧٨.

(٥) «مناقب علي بن أبي طالب» ص ٣١٦، ح ٣٦١.

(٦) «مهج الدعوات» ص ٣٦٧، «بحار الأنوار» ج ٩٢، ص ١٧٠، الدهاء: ٢٢.

(٧) «التوحيد» ص ١٤٠، ح ٤.

(٨) «التوحيد» ص ١٤٦، ح ١٤، صححه على المصدر.

(٩) «مصباح المتجهد» ص ٧٤٠.

واهتدى الكل؟ ومعلوم أن النور به الاهتداء، وهو الهادي، وهو هادٍ لأهل السماوات والأرض؛ ولهذا استغنى عن التعريف؛ لشدة الظهور كالوجود.

فلا مجاز في وصفه بالنور، بعد أن تعرف أنه والظهور شيء واحد، وتعرف - بما سبق - أنه نور كذلك، وأنه هاد، ومعلوم أنه هاد، فهو نور، وكذا من هذه الروايات. ولم يعم دليل عقلي ولا نقلي على أن النور حقيقة في هذا العرض الحال في الأجسام، الظاهر بالشمس، المنسلخ بغيوبها خاصة، وإن توهم بعض فارتكب المجاز، لما خفي عليه الأمر، وحاو كيف ولم [يسم] ^(١) هذا نوراً إلا لما فيه من الظهور، وغيره أشد فيه، فهو أولى بالنورية.

وورد عنهم عليه السلام - وسمعت بعضه -: أنهم عليهم السلام خلقوا من نور الله ^(٢). وعنهم عليهم السلام : (نحن أنوار الله في البلاد) ^(٣) ولا شك في ذلك، وأنه حقيقة، وورد ^(٤) بأن الله خلق أنواراً قبل خلق السماوات.

ومعلوم بديهية أن ليس المراد منها هذا الحادث بعد خلق الشمس، وإلا لم يكن قبل مستقلاً بنفسه، ويعبد الله ويسبحه، وكذا نوره، وهو وجود المشيئة.

والسبب في الغلط في مثل هذه المواضع قصر النظر على المعنى اللغوي، وإجراؤهم كلماتهم والقرآن - ذا البطون والوجوه - عليها ليس إلا، وحينئذ فلا إشكال يرد في كونه نوراً، حتى يحتاج إلى التخطفات الوهمية، فهو تعالى نور لا ظلمة فيه، فتدبر بنورك، وانظر به ترشد.

ثم وتفسير الإمام عليه السلام للآية بقوله: (هادٍ) و(هدي) - على بعض النسخ - ليس بدال على أنه ليس بنور بذاته، بل النور هو الظاهر بذاته، المظهر للغير، كما نقول مثلاً: نور النهار بالشمس لا يدل على أنها في نفسها ليست بمستنيرة، بل الأمر بالعكس، بل أقول لك: من أسمائه النور، فهل استحق هذا الوصف بعد خلق العالم، وخلق له للأسماء الحادثة لنا، أمّا قبل خلقه فلا؟ أو بالعكس، وإنما كان اللفظ دليلاً ودالاً على المعنى، كما سمعت؟ والأول

(١) في «ب»: «يسلم».

(٢) «بهار الأنوار» ج ٢٥، ص ٢٦، ح ٣٤.

(٣) لم نعتز عليه بهذا اللفظ، وفي «بهار الأنوار» ج ٩٧، ص ٣٤٥، ح ٣٢، ما لفظه: (يا أنوار الله في أرضه)...

(٤) «بهار الأنوار» ج ٢٥، ص ٢٦، ح ٣٤، وفيه: سأل المفضل الصادق: ما كنتم قبل أن يخلق الله السماوات والأرضين، قال عليه السلام: (كنّا أنواراً).

باطل، والثاني تمّ به المقصود.

هذا، ومن راجع كتب المتألهين وجدها مصرّحة بأنّ النور هو الظهور، وإطلاق عالم الأنوار على المجرّدات، كما صرّحت به الروايات، وأكّه [لا اختصاص] ^(١) بالنور على الحسّي العرضي، كيف والعلم نور وهم أنوار؟ والمؤمن (مدخله نور) ^(٢) إلى آخره، كما مرّت الإشارة.

فليس سبب التخصيص إلاّ القصور، وتوهم أن تفسير الآية بهذا يخرجها عمّا نقول، وليس كذلك، بل نؤكد، فلا ظلمة أشدّ من العدم، ولا ضياء ونور أشدّ من الوجود.

ومن أكثر [ذكر] ^(٣) «النور» نور الله قلبه، وله مربع جليل القدر يوضع في شرف الشمس، فيفيد ملكاً دائماً، ووضعه مع (نافع) في مربع يفيد الحياة باطناً، والملك ظاهراً، وسيأتي زيادة بيان عن قريب.

المسألة [الثانية] ^(٤): خير خفي عليك - ممّا مر - ما في عبارة جماعة من القصور.

قال ملا خليل في الشرح: «إنّ بين لفظ الحديث، ووصف الله به، من قبيل المجاز المرسل في النسبة، نظير: زيد حياة عمر».

وقال الشارح محمد صالح: «النور وهو ينكشف به الأشياء، ويظهر وجودها عند الحس، إمّا جسم - كما ذهب إليه جماعة من المحققين - أو عرض، كما قيل. وعلى التقديرين لا بدّ من تأويل الآية، إلاّ عند المجسّمة والمصوّرة، القائلين بأنّه تعالى نور، وتأويلها على وجوه:

منها: ما ذكره عليه السلام، وهو أنّ المراد بالنور الهداية؛ لاشتراكهما في الايصال إلى المطلوب. ومنها: الله خالق نورهما.

ومنها: الله منور قلوب من في السماوات والأرض لرؤية الآثار الألوهية، والحقائق الربوبية.

ومنها: أنّ الله ذو البهجة والجمال، وهو يرجع إلى الثاني، أي خالقهما ^(٥) انتهى.

لأقول: احتاجت الآية إلى تأويل، وكان فيها تشبيه لما خصّصت النور بالحسّي العارض،

(١) في «أ»: «الاختصاص».

(٢) «تفسير علي بن إبراهيم القمي» ج ٢، ص ١٠٤.

(٣) في النسختين: «الثالثة».

(٤) في «أ»: «ذلك».

(٥) «شرح المازندراني» ج ٤، ص ٩ - ١٠، صحّناه على المصدر.

مع أنه لا [قائل] ^(١) - لا قديم ولا حادث - يقول بأنه تعالى هو هذا النور الحادث على الأجسام، الذي يغيب ويطلع، كما يدل عليه ظاهر العبارة.
 أمّا الثبوت فعبّروا به عن قديم فاعل للخير والظلمة، بالمعكس كما مر ^(٢)، والمشبهون يقولون: إنه جسم نوري مصمت، أو بعضه مجوّف، وتقوم الحوادث به، ولا يقولون: هو هذا النور الحسي العرضي خاصة.

ومن له أدنى سرّ ظهر له خلاف ذلك، كما يظهر له خلاف ما عزاه للمحققين من القول بجسمية النور، وما ظنّ الخوارج به عن الحقيقة، وسلكه في المجاز اللغوي، عرفت ما فيه، مع أنّ أكثر تأويلاته ليست مخرجة - عن كونه نوراً - إلى المجازية، وكذا الحمل على هداه أو كونه منور القلوب بما أودع فيها، وظهر لخلق غيباً وشهادةً، وكلّها حقائق مترتبة.

المسألة الثالثة: التقابل بين النور والظلمة تقابل العدم والملكة، لكن بعد اعتبار الظلمة تقابل تضاداً، إذ الجهل ضد العقل؛ لأنه أعطي فإبى وامتنع، فهو جاهل مركّب، فكُلُّ رتبة من رتب الوجود النورية لها ضد، إلا الواجب تعالى، لا ضده ولا نداء عدم ولا وجود؛ إذ ليس في رتبة أزل الأزال غيره، لا موجود ولا معدوم، وإنما يكون ظهوره وتنويره المعالم بأية ظهوره، واسمه الجامع: النور الخالص، الذي من شعاعه تنوّرت القوابل، وطردت الظلمات وحيي رسم الأموات وهدى به إلى أعلى الدرجات، بعد أن أنزل إلى أسفل الدركات، فكان الهدى والهادي لكل مهتدٍ وطالب، في قوسي البدء والعود، وهو نور محمد ﷺ الذي هو نور الله؛ لأنه اسمه الأتمّ الجامع الأعمّ، الذي به فعل ما فعل وشمّش الوجود، واستنار كاملاً مكملًا، من إقباله وإدباره.

والله فاعل بفعله، مثل خالق ورازق، وهذه أسماء فعل، ومبدأ اشتقاق هذه الأسماء [الفعل لا الذات] ^(٣)، فليست [بذاتية] ^(٤)، لقولك: خلق الإيمان ولم يخلق الكفر. والله حمّل محمداً وآله - لحقيقة ما هم عليه - الفاعلية، وملّكهم إياها، وهو المالك لما ملّكهم، ولم يستغنوا عنه بذلك، ولم يرفع يده عنهم، فهم أعظم آياته ونوره المضيء لخلقهم، وبه استضاء، واسمه الأعظم الذي وضعه على النهار فأضاء، وعلى الليل فأظلم.

(٢) «هدي العقول» ج ٣، باب حدوث العالم.

(٤) في النسختين: «بذاته».

(١) في «ب»: «قبل».

(٣) في «أ»: «العقل الذاتي».

وورد^(١) تفسير النور بهم، في قوله تعالى: ﴿ وَأَشْرَقَتِ الْأَرْضُ بِنُورِ رَبِّهَا ﴾^(٢) وتسميتهم النور في الزيارات الواردة عنهم - والقرآن وسائر الأخبار - كثيرة، أغنى ما سمعت عن نقل الزيادة.

فإذا كانوا كذلك فلا شك أن بهم خلق الخلق، ومن فاضل صورتهم ومادتهم، أو من ظلّ عكسهما يكون الخلق ويصوّر، وكانوا الغاية، فإن الخلق إذا كان نشر كمالهم، وظهور استنارتهم، كانوا الغاية، والمردّ لهم. والروايات بجميع ذلك متواترة معنى في الكافي وسائر كتب الحديث.

وإذا كان مختصر الأمر كذلك، فكانوا هدى السماوات والأرض ونوره، بحسب الوجود الأولي، في نزولهم من مقام الإمكان إلى مراتب الدهر والسماوات، والعناصر إلى التراب، ثم بعد راجعين إلى الأصلاب، ثم البرزخ، ثم القيامة، ثم ما بعدها إلى ما لا نهاية، [حتى يصلوا لمبدئهم، ويبقوا فيه في صعود بكمال الفيض الرضواني، إلى ما لا نهاية]^(٣) إذ لا نهاية له. ومجمع ذلك وأصله العلم، من مقام الفؤاد، واللب إلى مقام المعاني، والعقل إلى الصور والنفس، إلى [القوى]^(٤) والاحساس.

و ﴿ مَثَلُ نُورِهِ ﴾ هم، الذي [نسيه]^(٥) لذاته، فإنه ظهور الذات، والظاهر به، ولتشریفهم وتعظيمه، وهو نور محمد ﷺ.

﴿ كَمِشْكَاةٍ ﴾ - كما سمعت في النص - وهي قلب محمد ﷺ، ﴿ فِيهَا يَصْبَاحُ ﴾ وهو نور العلم، وهو عقل الكل - عقله ﷺ - .

وهذا ﴿ اليصباحُ في رُجَاةٍ ﴾ إمّا تُريد بها قلبه - أي العرش المركب من الأنوار الأربعة - وتجعل المشكاة أولاً نفسه و صدره، أو أنها نفس الرضي وما أودع فيه الرسول، كما هو ظاهر الروايات وسمعتها.

﴿ الرُّجَاةُ كَأَنَّهَا كَوْكَبٌ دُرِّيٌّ ﴾ أحسن الكواكب وأضوؤها، وهي مظاهر أسمائه، ومظهر حكمه وتقديره، فالدرّي منها: الأجمع الأتم في ذلك، وأعظم الأسماء مظهراً، في عالم التقدير والتكوين، إلى عالم الأجسام، ويعود كما بدأ مكتملاً ومستكتملاً.

(١) «تفسير علي بن إبراهيم القمي» ج ٢، ص ٢٥٦، وفيه: (رب الأرض يعني إمام الأرض).

(٢) ليست في «ب».

(٣) الزمر، الآية: ٦٩.

(٤) في «أ»: «نسيهم».

(٥) في النسختين: «النوي».

﴿ يُوقَدُ مِنْ شَجَرَةٍ مُبَارَكَةٍ ﴾ إبراهيم، في هذا العالم بأمر الله، وحقيقتها ترجع إلى مشيئة الأمرية، التي جعلته محلاً لحمل شؤون المشيئة، وتصدر الأمور منهم ﷺ وعندهم، وهم بأمره يعملون.

ولاشك في بركة هذه الشجرة؛ لأنها شجرة الوجود، وبها قام في عالم السرمد والدهور والأزمان، وملأت الكون ثماراً وأصصاناً وأوراقاً، وأواناً وأحاناً، وباقي أنواع الموجودات، من الجمادات وغيرها.

ولاشك في كونها في نهاية الاعتدال والاستواء؛ ولهذا كانت كذلك، وقامت بها السموات والأرض، وهما يشملان الكل؛ إما لأن لكل موجود سماة وأرضاً؛ أو لأن قيامهما يوجه فيما فيهما بطريق أولي، ولهذا وصفها بأنها ﴿ زَيْتُونَةٌ ﴾ مع قوة الحرارة المعتدلة فيها.

وليست شرقية المطالع ولا غربية، أو لا يجري عليها التغيير والأفول والشروق الزماني، أو لا يهودية ولا نصرانية.

﴿ يَكَادُ زَيْتُهَا يُضِيءُ ﴾ أي يظهر العلم، علم النبوة وغيرها، ويضيء زيتها، ﴿ وَلَوْ كَمْ تَمَسَّهُ ﴾ نور ﴿ نار ﴾ المشيئة، ويؤذن له، وذلك لشدة صفائها حتى لم يبق منها إلا ما يظهر به الوجود، إذ لا ظهور له إلا بالماهية، فلكمال المشابهة والاتحاد كاد يبرز العلم منها، ولو لم يمسس الزيت نار المشيئة، والزيت حقائقهم المقدسة.

وسمعت: (يكاد العلم يخرج من فم العالم) ^(١) وهو حقائقهم والزيت، من قبل أن ينطق به بالإذن ومس النار، وهو أحد المعاني في قوله تعالى: ﴿ وَلَا تَعْجَلْ بِالْقُرْآنِ مِنْ قَبْلِ أَنْ يُقْضَى ﴾ ^(٢) الآية.

﴿ نُورٌ عَلَى نُورٍ ﴾ إمام على أئمة إمام، وكذلك الأنوار [في] المتعاكسة على القلب، وعلى الزجاج المجمعولة في المشكاة، من استنارة الزيت، وما يقع عليه من مس النار والانعكاس من المشكاة والزجاج.

فتأمل في هذا المثل العظيم، فإنه لا تكذيب في المثل، وبريك العيان وتشعشع شعاعه، واستنارة المشكاة بجميع أجزائها وأحوالها، مثلاً لاستنارة الأفاق والعوالم، وإضاءتها،

(٢) «طه» الآية: ١١٤.

(١) «التوحيد» ص ١٥٨، ح ٣.

بتشعشع شعاعهم، وبروز العلم منهم ﷺ .

وإذن كان المبدأ من النور وشعاعهم، ولهذا ورد: (أَنْ مَخْرَجَ الْمُؤْمِنَ نُورًا، وَمَدْخَلَهُ نُورًا، وَتَقَلَّبَهُ فِي نُورٍ) (١) من أول نزوله من مكان الغيب، وتطوراته نزولاً، حتى انجمد ورجع في الأطوار وأنواع التقبضات (٢) [والتنقلات] (٣)، حتى كمل ورجع لمقامه الأولي، صاعداً إلى ما لا نهاية له فيه .

وهن الصادق عليه السلام: (إِنَّ اللَّهَ خَلَقَ الْمُؤْمِنَ مِنْ نُورِهِ) (٤) ولا نور له تعالى كذلك، إلا هم ﷺ، ولا يراد به الذات الأحادية، وإن قاله أهل التصوف ومن تبعهم متأ، فهو ضلال، ستعرفه إن شاء الله مع بداهته وضوحاً، عقلاً ونقلاً .

واعلم أن ما سمعت من تفسير الآية فهو على التأويل وباطنه، أو الباطن أو الظاهر، وعلى ما سمعت في بيانهم ونسبتهم من العالم، ونسبة العالم لهم كله فيهم ومنهم واليه، إما بحسب ذواتهم الأمرية، أو تطوراتهم الكونية، أو ظهوراتهم الفرعية، وتشعشع سرّجهم الوهاجة، التي ملأت الأكوان، فلا نور في الأكوان إلا نورهم، وهم حملة القرآن بكل مقام ومعنى، ولا يفارقونه، كل يدور على الآخر ومنه تفسير المشكاة بصدرة ﷺ أو قلبه، كما سمعت في الروايات، أو العرش في التأويل، أو الحسي الظاهر المعروف بين أهل العرف العام .

والملا الشيرازي، على قواعده - من جملة وجود الله كل الوجود، وأن [بسيط] (٥) الحقيقة كذلك، وأنه لا يشذ من وجوده وجود أصلاً، وما يسلب عنه إلا الأعدام - فسر (٦) هذا النور بالذات، فمعنى ﴿إِنَّ نُورَ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ﴾ أي وجود السماوات والأرض، ويلزم منه كونه هاديهم وهداهم، وبطلانه ظاهر، ولا يخفى حينئذ سقوط التمثيل لذاته، بما ذكر في الآية .

وذكر الملا تأويلاً للآية في كتابه أسرار الآيات، لا يناسب التأويل الوارد عنهم ﷺ،

(١) «تفسير علي بن إبراهيم القمي» ج ٢، ص ١٠٤، وفيه: (المؤمن يتقلب في خمسة من النور: مدخله نور، ومخرجه نور، وعلمه نور، وكلامه نور، ومصيره يوم القيامة إلى الجنة نور).

(٢) في «ب»: «التصفيات» .

(٣) من «ب» .

(٤) «بصائر الدرجات» ص ٨٠، ح ١ .

(٥) في «أ»: «سبأ» .

(٦) «أسرار الآيات» ص ٣٥ .

ويناسب طريقه .

قال: «معرفة الله في الإنسان، إذا حصلت كنور المصباح إذا اشتعل بالزيت» .

قال: «﴿الله نُورُ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ مِثْلُ نُورِ كَمِشْكَاتٍ﴾ في قلب المؤمن - كما في قراءة ابن مسعود - ﴿كَمِشْكَاتٍ فِيهَا مِصْبَاحٌ الْمِصْبَاحُ فِي زُجَاجَةٍ﴾^(١) الآية .

فالمشكاة: البدن، والزجاجة: الروح الحيواني الذي بمنزلة الروح، لصفاتها وقبولها لصور المحسوسات، التي هي عكوس الصورة الحقيقية وأشباحها المثالية .

والزيت: القوة القدسية، التي هي أفضل ضروب العقل الحيواني الهيلواني، وهو أول درجة النفس الناطقة، وآخر درجة النفس الحساسة، وهو بعينه القوة الخيالية عندنا؛ لأنها أيضاً مجردة عن البدن، موجهة لا إلى عالم الطبيعة، بل لما فوق هذا العالم .

والشجرة المباركة: القوة المفكرة، التي هي أفضل ضرب من القوة الخيالية؛ لأنها إذا قويت تصير مفكرة^(٢) ثم أخذ مطابقة الإنسان للعالم الكبير .

وأقول: لا يخفى ضعف التمثيل والمثال حينئذ، ففي الإنسان ما هو أعلى مما ذكر، وأشد في التمثيل وأقرب، والقوة الخيالية من أضعف القوى، ولا تنقلب قوة إلى حقيقة قوة أخرى وإن شابته الأهلئ منها، وضاع بتمثيله نكت حكمية، كما يظهر لمراجع النصوص السابقة وكلامه. والتأويل، وإن كان هو التصرف في الآية، بل الكلمة، بل الحرف، بحسب العالم الكبير والإنساني، لكن لا بد من ورود النص به .

وعرفت أن الوارد في بعض النصوص السابقة خلاف ما قال الصدر، وبه تحصيل المطابقة له في العالم الكبير .

تنبيه: وجب من كونهم النور ونور الوجود أنهم أئمة هدى، وعلم يضيء، ومصباح دجى في ظلمات العدم والشك والجهل، والمصباح هنا ظهور أثر السراج، وهو المركب من النار والزيت، إذا تلطف الدهن بالحرارة كان دخاناً، وظهر أثره شعلة .

وحقيقة النار - أي الحرارة واليبوسة - غيب في هذه، لانفس الشعلة، وهي نار المشيئة - كما عرفت - ومعها يراد به ظهورها، وهو ظهور الدلالة من اللفظ، والمعنى فيه قبل المس،

(١) «النور» الآية: ٣٥ .

(٢) لم نعتز عليه في «أسرار الآيات»، ووجدنا نحوه في «تفسير القرآن الكريم» ج ٤، ص ٣٥٠، ٣٧٨ .

كالمعنى الميت فيه، ﴿فَإِذَا أَنْزَلْنَا عَلَيْهَا الْمَاءَ﴾ - أي الوجود - ﴿اهْتَرَّتْ﴾^(١) وأثمرت بالأشعة والاستضاءة، وفي العالم الكبير بالعقل وما دونه، وكذا الاستضاءة من الدخان، لا ظهور له قبل تعلق مس النار به، وهو فعل النار؛ لتظهر الدلالة، فافهم.

تقرير المؤلف

ولنعيد لك الكلام والبيان ليتضح لك الحال، وسقوط كلام الملام وأمثاله في هذا المقال، فنقول: ليس لذات الله مثل - بالنسكين - ولا مثل - بالتحريك - .

نعم، له مثل، بمعنى الصفة الدالة عليه دلالة تعريف، لا دلالة اكتناه، ومثل فعله - والحامل له الظاهر به - مثل له ينسب بحسب الدلالة، وتشريفاً له وتعظيماً وتنويهاً به، في الممالك والعوالم، فإنها تنوّرت به واستنارت، وكلّ ما أُنصف بالوجود فهو نور مستنير، كلّ على مرتبته، فيها درجات متفاوتة، ومن عموم «النور» الممثل به يظهر عموم اسم النور لجميع أفراد الوجود، من الذرة إلى الدرّة، في كلّ واحد بحسبه، وكلّ موجود ظاهر لنفسه، ولمن دونه بحسب رتبته.

فجميع العوالم وأصولها ثلاثة أنوار مشرقة من نورهم ﷺ، وهم نور الأنوار، وإن كان بعض بحسب ضعفه يكون خاسقاً، لكنه مُنصف بالوجود، فهو نور، ولو بمقتضى الرحمة العامة، فيجامع الفسق والظلمة وهدم الرضا، وستعرف العموم من الرواية الآتية.

ودليل العموم أيضاً أنهم الواسطة لغيرهم مطلقاً، مادةً وصورةً، وغايةً، فعلاً كان أو مفعولاً، بلا واسطة أو بواسطة، أو وسائط، ولو من ظل [أشعتهم]^(٢)، ولا شك في كونهم حينئذ شعاعهم؛ لأنهم الفاعلون بأمر الله، وصفاتهم أيضاً، فيعمّمهم النور الحاصل من الاستنارة، وبهم استنار الكون بدءاً وعوداً، ونجّي من تمسك بهم وهدي.

وبين هذه الأنوار تفاضل وترتيب عليّة ومعلولية، وأشرفها ما صدر عن فعله، وكان الحامل له، وهو الأقرب إليه، وهو نور محمد ﷺ نور الأنوار، ومن به أضياء كلّ مستنير، وأظلم كلّ خاسق، وهو مقتضى العدل والحكمة والتمييز، فاختر الله لنفسه ذلك النور، فالأشرف أولئ به، ولا يقع الاختيار على غيره، والله أعلم حيث يجعل رسالته، فالله هادي الكلّ بنوره وهو محمد ﷺ، فإنه أقامه مقامه في تبليغ أحكام الوجودين، وعلني وآله

بتبعيته في ذلك، كما في خطبة علي في الجمعة والغدير^(١).

ومعلوم أن الاضافة والنسبة تقتضي المغايرة، فلا يراد من النور ذات الله، تعالى عما يقوله المشبهون والضالون، فهم نوره وهداه الذي هدى به وندب إلى نفسه به، وجعل به الهداية والتعريف والحجة البالغة، واستدل به وأظهر به الحجج، وبهم ملأ الوجود نوراً، بحسب الأئمة والعقول، والنفوس والمثال والمواد وسائر الأحوال، وكلها ترجع لحالاتهم، فإنها لهم، وهم أنوار شمعانية تضيء لكل.

﴿ يَكَادُ زَيْتُهَا يُضِيءُ وَلَوْ لَمْ تَمْسَسْهَا نَارٌ ﴾ [المشيئة، والعلل الفاعلية؛ لأنهم إذا شاؤوا شاء الله، لأن مشيئتهم لا تخالف مشيئته، ونسبها لنفسه، فيكون تبعاً]^(٢) لمشيئتهم؛ لأنهم أبواب الفيض والصعود، وهذا أحد مقاماتهم.

ولك تفسير النار بالقرآن، فإنه المشيئة الفاعلية الأمرية، ولا منافاة، فصح التمثيل له بمثال يطابق في الأقرب في جسده، وبيت العلم وبابه، أو في العالم الكبير، ويستمد منه، وإن كان في المؤمن على سبيل التبعية والاستنارة الفرعية، فكما عرفت في بعض الروايات، وما يطابق بيان النص للمثل، لا كما قاله الملا الشيرازي الذي يفرع عن ابن عربي، وهو يدور مدار أقواله وبياناته الظلمانية.

وروى عبد الله بن جندب، قال: كتبت إلى أبي الحسن الرضا عليه السلام، أسأل عن تفسير ﴿ الله نُورُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ ﴾^(٣) فكتب إلي الجواب: (أما بعد، فإن محمداً عليه السلام كان أمين الله في خلقه، فلما قبض عليه السلام كنا أهل البيت ورثته، فنحن أمناء الله في أرضه، عندنا علم المنايا والبلايا، وأنساب العرب ومولد الاسلام، وما من فئة تفضل مائة به وتهدي مائة به، إلا ونحن نعرف سائقها وقائدها وناعتها، وأنا لنعرف الرجل إذا رأيناه بحقيقة الإيمان وحقيقة النفاق، وإن شيعتنا لمكتوبون بأسمائهم وأسماء آبائهم، أخذ الله علينا وعليهم الميثاق، يردون مورداً، ويدخلون مدخلنا، ليس على ملة الاسلام غيرنا وغيرهم إلى يوم القيامة، نحن أخذون بحجزة نبينا عليه السلام، ونبينا أخذ بحجزة ربنا، والحجزة: النور، وشيعتنا أخذون بحجرتنا.

من فارقتنا هلك، ومن تبعنا نجا، والمفارق لنا والجاحد لولايتنا كافر، ومتبعنا وتابع أوليانا مؤمن، لا يحبنا كافر، ولا يبغضنا مؤمن، ومن مات وهو يحبنا كان حقاً على الله أن يبعثه معنا،

(١) «مصباح المتجهد» ص ٦٩٧، وفيه: (أقامه في سائر حاله في الأداء مقامه)...

(٢) «التور» الآية: ٣٥.

(٣) من «ب».

نحن نور لمن تبعنا وهدي لمن اهتدى بنا، ومن لم يكن منا فليس من الإسلام في شيء، بنا فتح الله الدين وبنا يختمه، وبنا أطعمكم الله حشب الأرض، وبنا أنزل الله قطر السماء، وبنا آمنكم الله من الفرق في بحركم، ومن الخسف في بركم.

مثلنا في كتاب الله كمثل مشكاة، والمشكاة ﴿ لِيَهِيَ بِصَبَاحِ الْبُصْبَاحِ ﴾ محمد ﷺ ﴿ في زُجَاجَةٍ ﴾ من عنصرة طاهرة ﴿ الرُّجَاجَةُ كَأَنَّهَا كَوْكَبٌ دُرِّيٌّ يُوقَدُ مِنْ شَجَرَةٍ مُبَارَكَةٍ زَيْتُونَةٍ لَا شَرْقِيَّةٍ وَلَا غَرْبِيَّةٍ ﴾ لا دحية ولا منكرة ﴿ يَكَادُ زَيْتُهَا يُضِيءُ وَلَوْ لَمْ تَمْسَسْهُ نَارٌ ﴾ القرآن ﴿ نُورٌ عَلَى نُورٍ يَهْدِي اللَّهُ لِنُورِهِ مَنْ يَشَاءُ وَيَضْرِبُ اللَّهُ الْأَمْثَالَ لِلنَّاسِ وَاللَّهُ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمٌ ﴾ فالنور علي ﷺ، يهدي الله لولايتنا من أحب، وحق علي الله أن يبعث ولينا مشرقاً وجهه، منيراً برهانه، ظاهرة عند الله حجته، حق علي الله أن يجعل أوليائنا مع النبيين والصديقين والشهداء والصالحين وحسن أولئك رفيقاً.

نشهداؤنا لهم فضل علي الشهداء بعشر درجات، ولشهاد شيعتنا فضل علي كل شهيد من غيرنا بتسع درجات.

نحن أفرط الأنبياء وأبناء الأوصياء، ونحن المخصوصون في كتاب الله، ونحن أولي الناس برسول الله ﷺ، ونحن الذين شرع الله لنا دينه، فقال في كتابه: ﴿ شَرَعَ لَكُمْ مِنَ الدِّينِ مَا وَصَّى بِهِ نُوحًا وَالَّذِي أَوْحَيْنَا إِلَيْكَ ﴾ - يا محمد - ﴿ وَمَا وَصَّيْنَا بِهِ إِبْرَاهِيمَ وَمُوسَى وَهَارُونَ ﴾ قد علمنا وبلغنا ما علمنا واستودعنا علمهم، فنحن ورثة أولي العزم من الرسل والأنبياء ﴿ أَنْ أَقِيمُوا الدِّينَ ﴾ كما قال الله: ﴿ وَلَا تَتَّبِعُوا فِيهِ ﴾ وإن ﴿ كَبُرَ عَلَى الْمُشْرِكِينَ مَا تَدْعُوهُمْ إِلَيْهِ ﴾^(١) من ولاية أمير المؤمنين ﷺ، [نفعكم الله في حياتكم وفي ثبورتكم، وفي محياكم وعند الصراط، وعند الميزان وعند دخولكم الجنان]^(٢)، وقد بعثت إليك بكتاب فيه هدى، ونور وشفاء لما في الصدور^(٣).

بيان: لا خفاء في تضمّن الحديث لمعاني النور المشار إليها قبل، ولعموم نورهم الوجود كمالاً، واستضاءته بنورهم.

وقوله ﷺ: (فلما قبض نبيه كُنَّا أهل البيت ورثته) أي النور بعده، بمعنى الهداية الفعلية،

(١) «الشورى» الآية: ١٣. (٢) ليست في المصدر.

(٣) «تفسير علي بن إبراهيم القمي» ج ٢، ص ١٠٤ - ١٠٦، و«تفسير البرهان» ج ٣، ص ١٢٥، ح ١٠، «بحار الأنوار» ج ٢٦، ص ٢٤١، ح ٥، بتفاوت، صححناه على المصدر.

وأهل التعريف والبيان ولسان الترجمان، وكون ولايتهم نجاة، وبغضهم وخلافهم هلاكاً، وهو لازم كونهم النور، إن لم نقل: إنه من معانيه، وكذا استنارة تابعهم. ولما اختصوا بنار القرآن، وهو وجه المشيئة، والحاملون لها هم، فيكادون ينطقون به ولو لم تمسهم ناره، قال تعالى: ﴿ وَلَا تَفْجَلْ بِالْقُرْآنِ ﴾^(١) الآية.

وللملا الشيرازي^(٢) هنا كلام طويل بغير طائل، ما فيه من صواب فظاهري، بحسب الأنوار الظاهرة، وحكم فيه بأن الله نور بذاته، فهو نور السماوات والأرض بالحقيقة الذاتية، وهداها كذلك، لكنه نفى فيها تركب النور، لا من نورين، ولا من ظلمتين، ولا من نور وظلمة، ونفى الثالث بلزوم تألف ماهية واحدة من ظلمة محضة ونور خالص، وهو محال، مع أنه قائل بتركب الممكن وحصوله من وجوب خالص وهدم خالص، تكوّن وظهر بالتميّن الذاتي الاعتباري، أو بالأصل [والشيخ]^(٣)، وهو يرد هنا، وهذا كلام الضال.

ومن هفوات محمد صادق ما قاله في شرح هذا الحديث: «الهداية إراءة الطريق، أو الإيصال إلى المطلوب، وكلّ منهما لا يصدر إلا عن الوجود؛ لأنّ غير الوجود عدم، والعدم في ذاته لا شيء محض، ولا يمكن أن يكون مصدراً لشيء، ولو كان يكون بالعرض وتبعية الوجود، ففاعل إراءة الطريق أو الإيصال إلى المطلوب ليس إلا الوجود، وقد علمت أنّ للوجود مراتب تشكيكية بالشدة والضعف، ويجب أن يكون الوجود الهادي أقوى من وجود المهتدي؛ لأنّ الأول أقرب إلى الله من الثاني وأنسب».

أقول: «هدى» يجيء لازماً ومتعدياً، ومختص بالدين، والهداية لا تجيء إلا متعدية، ولا تختص به، قال الله: ﴿ اهْدِنَا الصِّرَاطَ الْمُسْتَقِيمَ ﴾^(٤) ﴿ إِنَّ هَذَا الْقُرْآنَ يَهْدِي لِلَّتِي هِيَ أَقْوَمُ ﴾^(٥) وقال: ﴿ وَيَهْدِي مَنْ يَشَاءُ إِلَى صِرَاطٍ مُسْتَقِيمٍ ﴾^(٦).

ولا تحقق للعدم بوجه، مطلقاً كان أو مقيداً، والمقيد ليس بعدم، بل وجود، ومراتب التشكيك في الموجودات المشتركة في الوجود الإمكانية، على أحد الأقوال، ولا يدخل

(٢) «شرح أصول الكافي» ج ٣، ص ٢٦٣.

(١) «طه» الآية: ١١٤.

(٤) «الفاحة» الآية: ٦.

(٣) في «أ»: «السنخ».

(٦) «يونس» الآية: ٢٥.

(٥) «الإسراء» الآية: ٩.

(*) «ثم بين الكلامين تناقض، فإن الحكم بعدم تحقق المقيد يناقض الحكم بأن عدم المقيد وجود، إذ لا ريب في تحقق من كان له وجود ما ب.» [حاشية «أ»].

فيها وجود الواجب تعالى، ولا يشملها وإياها، لا شمول مواظاة ولا تشكيك، ولا عروض ولا بوجه أصلاً، إذ لا ذكر لغيره معه بوجه، ولا مشاركة بينهما كذلك، ولم يتغير بخلقه الخلق أو يحدث له حال غير ما كان عليه، والأكان ممكناً*.

قوله: «ويجب»... إلى آخره، سيأتي من كلامه المجتث ما ينافي هذا الكلام، ولهذا الكلام ظاهر صحيح، لكن مبناء على أصل مجتث.

قال: «والسر في احتياج الوجودات الضعيفة الجزئية إلى الهادي، هو أن كل وجود جزئي، من حيث أنه جزئي، يقتضي بالطبع أن يتحرك، إلى أن يصل إلى كنهه، وكثيراً ما يكون في سلوكه موانع، فيحتاج إلى هادٍ ومعين لرفع الموانع».

أقول: فيه من وجوه الضلال ما لا يحصى، ولا يقتضي الجزئي كذلك الوصول لكنهه، فإنه معلول ولا يصل لعنته وهو ظهورها، ووجه منها ظهوري، فلا يقتضيه بطبعه، ولا يمكن حصوله.

نعم، يكون من قبيل الدهاوي الباطلة في الدنيا، كدهوي أهداء محمد ﷺ مراتبهم، وليس من هذا القبيل، لكنه يقول برجوع الكل لذات الله، وهي القيامة الكبرى، والتكاليف إنما هي في الطريق، وبعد تنقطع، وذلك لحصول هوائى من التعينات في الطريق، فإذا أزيلت ليس إلا وجود الله، وهذا في كل جزئي، وتكون هداية الأنبياء والأوصياء إنما هو في بداية السير ووسطه، وبعد الوصول تنقطع الحاجة لهم، وكونهم هداة، بل يتساوون والأمم. فما أقبح هذا من كلام، ومن عقيدة، ومعتقدا

والشعاع إنما يدور مدار فعل الشمس، أو قل: الشمس، بما ظهر له به، لا بذاتها، فكيف يطلب الوصول لذاتها؟ بل بما ظهر له به، ولا يعدو مقامه، ويدور على جهتها الظاهرة بنفسه على نفسه، وكذا معرفة العبد لله وما يطلبه منه، وظهور الكلّي في جزئياته، فهي وجوه منه وجهات ظهوره، وليس عين حقيقة الجزئيات.

وهم ﷺ هدى ومصايح دجى، في كل عالم في هذا العالم، وفي السير إلى الله، وفي مقام باب الفيض؛ لكشفهم ظلمات العدم ونشر الوجود بهم، وبهم وقعت المعرفة والبيان

(*) «قصد الشارح إبطال الاشتراك في الوجود، واستدل بقوله: إذ لا ذكر له، لا مجرد التخطئة في الاشتراك، حتى يرد ما قيل: أجيبهم على مذهبي وخطؤوني على مذاهبهم، على أن محمد صادق هنا جعل التشكيك في الوجود الإمكانى، بدليل قوله: لأن الأول... إلى آخره وهو وجه كونه ظاهر الصحة كما صرح به الشارح. ب.»

والتبيين في بدء الوجود وهوده، فكيف يكون الأمر فيهم أو في الأمة كما قاله هذا الرجل؟
ومما أشرنا لك في الرد يظهر لك السر في حاجة المهتدي إلى الهادي، والضعيف إلى
القوي، وهو ضروري فطري.

قال: «وبالجملة: هادي السماوات والأرض الوجود، والوجود من حيث إنه وجود هو
الله تعالى، فهادي السماوات والأرض هو الله».

أقول: هو في الضلال كسابقه، والله هادي السماوات والأرض بفعله وبأنبيائه، وهم
هداة، ومرجمهم لمحمد ﷺ، لا لذاته، وليس الوجود حقيقته الله تعالى، بحيث يجمع
الكُل، لكنّه قائل بوحدة الوجود، بل من أكثر كلامه في شرح الأحاديث يلزمه وحدة
الموجود.

قال: «ثمّ النور بمعنى الوجود، فالله نور السماوات والأرض، بمعنى وجود يهدي
السماوات والأرض إليه».

أقول: ضلاله ظاهر، نعوذ بالله منه.
قال: «والوصول على قسمين: وصول فطري، وهو يحصل لكل شيء بوصوله إلى مرتبة
الإنسان».

أقول: كل شيء يصل إلى مبدأ اشتقاق وجوده وبدنه، فالمعدن لا يكون نباتاً، ولا
حيواناً، ولا هو إنسان، ولا هو إنسان كامل، ولا الملك إنسان، وهكذا، والموجودات
يمسك بعضها ببعض، وقائم بعضها ببعض، كما لا يخفى على حافل، فأين وصولها بفطرتها
إلى رتبة الإنسان، وخلق كثير من فاضل طبيته لا يوجب طلبه بفطرته الوصول لرتبته؛ لأنه
من شعاع الطينة، فيطلبه بما ظهر له به، لكنّه قال بهذا لما قال بأن جميع الموجودات وجود
الله، فالموجودات الله إذا جردت عن الموانع والغواشي، فتكون بحسب الفطرة كذلك؛ لأنّ
فطرتها على وجوده تعالى، وهي وجوده، نعوذ بالله من ذلك، ولكن للحق منار وحفظة لا
يضره ذلك.

قال: «وكل إنسان - بعد استيفاء أهل النار عذابه، وأهل الجنة نعماءه - يصل إلى الله
البتة، بالنصوص والبراهين القاطعة».

أقول: نطق الشيطان على لسانه، بل متواتر النصوص والآي على عكس ذلك، وهي في

الكافي والقرآن، لو عقل أو فهم ولم يتبع الضلال، فالمرء إلى ولي أمره وإليه الحساب^(١)، وتسكين أهل الجنة فيها وأهل النار فيها، وهم الباب لكل صاعد ونازل. ولا ينقطع عذاب أهل النار عن أهلها، ولا انقطع ثواب أهل الجنة عن أهلها^(٢)، ولا نهاية للنعيم والجحيم، بل ﴿خَالِدِينَ فِيهَا مَا دَامَتِ السَّمَوَاتُ وَالْأَرْضُ﴾^(٣) ولا يصل مخلوق لذات الله أبداً، فهو محال لا يخفى، وإن ضل أهل التصوّف، توهموا من بعض الألفاظ المبيّنة في النص والعقل، فلم تبق حجة لطالب.

نعم يصعدون من مرتبة الجنة إلى مراتب، يمكثون فيها أحقاباً، ويزدادون مقاماً في كل جمعة، بقدر ما عندهم، حتى يصلوا لمقام الرضوان، فيبقون فيه صاعدين إلى ما لا نهاية، وكلُّ داخل في قوله: ﴿عَطَاءٌ حَيْرٌ مَجْذُوزٌ﴾^(٤) ﴿وَمَا جِئْتُكُمْ بِشَيْءٍ مِّنْ لَّدُنِّي﴾^(٥) أي في فعله وخزانة الكون الكلية، لا في ذاته ﴿بَاقٍ﴾.

ومعنى: ﴿إِلَىٰ رَبِّكَ﴾^(٦) ﴿وَرُدُّوا إِلَىٰ اللَّهِ﴾^(٧)، ظاهر من القرآن والنصوص، فلا تتوهم منها ضلالة الحيران، ولكن من تبع ابن عربي وكان دليله، ألقاه في تيه الضلال وأضله، نعوذ بالله منه، وفيما حصل كفاية، وسيأتي بسطه في المجلدات الآتية.

قال: «ووصول كسبي، وهو لا يحصل إلا عن أئمة الطريقة والحقيقة، وهم الأنبياء، ثم الأوصياء وسائر الأولياء».

أقول: على قوله السابق الحاجة لهم في مبدأ السير ووسطه، لا مطلقاً، وشرك أيضاً بين الكل في ذلك، وليس كذلك، ولا يفارق الممكن هذا، في كل مقام بحسبه، حسن أو قبيح.

قال: «وقد علمت أنّ الرصاية ظاهرة - وهو أن يكون بنص كل نبي أو وصاية وصيه - ومعنوية: وهو كل من تخلّق بأخلاق الموصي، فهو على قدر تخلّقه وصيه، سواء وقع فيه النص أو لا، فكل ولي وصي معنوي، كما أنّه ولد معنوي».

أقول: ما فيه من الصواب جزافي جزئي، وما من الخطأ ظاهر.

قال: «فإن قيل: كيف يصل كل شيء إلى مرتبة الإنسان؛ ليصل به إلى الله؟ مع أن العقول

(١) في الحديث: (إلينا إياب هذا الخلق، وعلينا حسابهم) .. «الكافي» ج ٨، ص ١٤٢، ح ١٦٧.

(٢) «للتقابل، ب» [حاشية «أ»].

(٣) «هود» الآية: ١٠٨.

(٤) «النحل» الآية: ٩٦.

(٥) «النجم» الآية: ٤٢.

(٦) «يونس» الآية: ٣٠.

دائماً في تجرّدها، وكذا عالم المثال والسموات - أو كليات الأرض، وأكثر جزئياته - لا يصل إلى الإنسان، فلا يصل إلى الله تعالى.

قلنا: الإنسان باعتبار كليته مشتمل على جميع الموجودات، إمّا بذواتها أو بتجليها في الإنسان؛ لعلم الإنسان بجميعها بالتفصيل، وكلّ معلوم متحمل في العالم، وموجود فيه؛ مغاير لوجوده الخارجى، فليس موجود لا يكون معلوماً للإنسان، خصوصاً بالقوة، وخصوصاً بالفعل، وكلّ معلوم موجود في العالم بنحو من الوجود؛ فكلّ شيء في الإنسان. والإنسان يشتمل على كلّ شيء، ذاتاً أو علماً، والإنسان يصل إلى الله، فكلّ شيء يصل إلى الله بواسطة الإنسان، بوجوده العيني أو العلمي، وفي حين الوصول، وإن كان نفس الإنسان ساذجاً ممّا سوى الله تعالى، إلاّ أنّها باعتبار إحاطتها علم إجمالي، مجمل جميع الأشياء، فكلّ شيء يصل بوصوله إلى الله في ضمن الإجمال.

وأيضاً الإنسان باعتبار اشتماله على الكلّ يشمل العقول كلّها، وباعتبار اشتماله على نفس الكلّ يشمل النفوس كلّها، وباعتبار اشتماله على جسم الكلّ يشمل الأجسام كلّها، فالإنسان يشمل جميع الموجودات ذاتاً، مع قطع النظر عن اشتماله علماً.

أقول: أضل ضلاله وأمثاله هنا أنّهم فسروا النور بالوجود، وقالوا بوحدة الوجود، فقالوا في نور السماوات والأرض: إنه وجودها، وفسّروا عليه مسائل من مسائل الضلال. ولا يصل مخلوق لذات الله؛ لأنه لم يبرز منها، وانتهاء المخلوق إلى فعله ومحله*، وهذا يبطل التوحيد** وتنزيهه عن شوائب الظلمات والمقارنات، فلا يكون نوراً خالصاً لا ظلمة فيه بوجه لا ذاتاً ولا عرضاً، وهو خلاف قولهم***.

وكذا ما قالوه فيما يؤهم التشبيه: إنّ نسبتته إلى الذات بحسب ظهورها بذاتها في مرآيا

(*) «عمل فعله: محالّ المشيئة، حمد وآله. ب» [حاشية «أ»].

(**) «إنّما أبطل التوحيد والتنزيه، لأنه لا معنى لانتهاء ما سواه إليه تعالى، إلاّ مقارنته له وإتصاله به، إمّا على وجه الممازجة أو الاستجنان، كما قالوا: إنّ أهيان ما سواه مستجنّة في ذاته، كالصور العلمية بما سواه، وسجوها الأهيان الثابتة. ثمّ برزت منه بالايحاد، ثمّ رجعت إليه بعد فناؤها بفناء تعيّناتها، فعليه يلزمهم أنّه تعالى لا يكون نوراً لا ظلمة فيه، فإنّ ما سواه ظلمة لا نور فيه، وقد اتصل به واستجن فيه». [إبراهيم] [حاشية «أ»].

(***) «فإنهم قالوا: إنه تعالى نور لا ظلمة فيه» [حاشية «أ»].

الممكنات وتميّناتها، فهو يوجب ظلمة فيه تعالى، ومقارنة الإمكان، وصفته ظلمة، ولو بمقام من المقامات، فأين قولهم فيه تعالى بأنه محض النور الخالص، لا ظلمة فيه بوجه؟ فوصفه بالنور - بحسب حقيقته - لا يدرك، ولا تفارق غيرها، ولا تتحد به، ولا يعرف بذاته. ومعنى أنه نور السماوات والأرض، أي هاديها، بما بدا وظهر لها بها، وهو لم يبد بدوّ اكتناء وإحاطة، بل ظهور معرفة ودلالة، وبه هداهم، وما أقامه لهم وأخرجهم به من ظلمات الجهل إلى النور، جهل العلم وجهل العدم، وجهل التفصيل والتوصيل، والتسمين الشخصي، فهذا معنى كونه منوراً ومجلي دجاها، لا كما قال، وإلا كانت فيه ظلمة، ولم يكن [حقيقة] ^(١) النور الخالص، وبيان بطلان كلامه هنا لا يسعه المقام، ولا يحيط به، لكن نذكر بعضه.

قوله: «فإن قيل... إلى آخره، كل ما له مقام لا يتجاوزه ولا يعدوه، وإن كان ذا [جامعية] ^(٢) يبقى يتحرك في مراتبها، حتى يرجع مستديراً على نفسه؛ لأن هذا راجع إلى الحركة [الطولية] ^(٣)، ولا يجري فيها ذلك، إذ المعلول لا ينقلب حلة لعلة، ولا بالعكس. واشتمال الإنسان على الجامعية لا يدل على مقصوده، فله مرتبة أعلى منها، بها يكون جامعاً، وما سواه كل في مرتبته، لا ينقلب لذاته ويكون هو، والمتجلي له لا يكون حقيقة التجلي، ولا المعلوم العالم. نعم، يكون ذات العلم والتجلي، وهو عنده في مقامه، لا في مرتبة المتجلي له - بصيغة الفاعل - وذات العالم، والفرق بديهي، لكن هذا القول مفرّج على ذلك الأصل الباطل، وهذا من شبههم التي أوجبت القول بها.

والعلم نفس المعلوم ووجوده، حتى لو قلنا بالصورة في قوة من قوى النفس، فلا يكون عينها. ووصول الإنسان إلى ذات الله على حد غيره، وهو محال مطلقاً، فلا يصل أحد لذات الله، وإنما الوصول إلى فعله، والقرب الإمكانى بالقيام بحقيقة صفة العبودية والربوبية الظاهرة، لا الأحدية الذاتية، فيبطل جميع ما زخرفه من أنواع الضلال والمفالطات الشيطانية، والله يقول الحق ويهدي للتي هي أقوم.

وليس في عالم الله ذاته إجمال وتفصيل، لكن لعله يريد بالإجمال [استجنان] ^(٤)

(١) في «أ»: «حقيقته». (٢) في «أ»: «جاء فيه». (٣) في «أ»: «المعلولية». (٤) في «ب»: «استحسان».

الأعيان الثابتة في ذاته تعالى والصور العلمية، وصرّح به الكاشاني في كلماته المكنونة^(١)، وأستاذه وغيرهم من أهل التصوف.

□ الحديث رقم ﴿٥﴾

قوله: ﴿عن ابن [أبي] يعفور، قال: سألتُ أبا عبد الله عليه السلام عن قول الله عز وجل: ﴿هُوَ الْأَوَّلُ وَالْآخِرُ﴾^(٢) رقلت: أما الأول فقد عرفناه، وأما الآخر فبيّن لنا تفسيره، فقال: إنه ليس شيء إلا يببّد، أو يتغيّر أو يدخله التغيّر والزوال، أو ينتقل من [لون إلى لون]^(٣)، ومن هيئة إلى هيئة، ومن صفة إلى صفة، ومن زيادة إلى نقصان، ومن نقصان إلى زيادة، إلا رب العالمين، فإنه لم يزل ولا يزال بحالة واحدة، هو الأول قبل كل شيء، وهو الآخر على ما لم يزل، ولا تختلف عليه الصفات والأسماء، كما تختلف على غيره، مثل الإنسان الذي يكون تراباً مرة، ومرة لحماً ودماً، ومرة رفاتاً ورميماً، وكالتيسر الذي يكون مرة بلّحاً ومرة بسراً، ومرة رطباً، ومرة تمراً، فتتبدّل عليه الأسماء والصفات، والله جلّ وعزّ بخلاف [ذلك]^(٤)﴾.

أقول: قال محمد صادق في شرح الحديث: «فسّر عليه السلام ﴿الآخر﴾ بكونه تعالى غير متغيّر من حال إلى حال؛ لأنه تعالى إذا كان كذلك فأوّله حين آخره دائماً. أما ذاتاً فظاهر، فإن ذاته الأقدس واحد من جميع الوجوه، وليس شيء آخر معتبراً مع الذات.

وأما إحاطة فلأن الأشياء هي مراتب ذاته بذاته، لا بأمر خارج عن ذاته، فهي حين ذاته من وجه، وليس أغياراً في الوجود من وجه، فأوّله حين آخره، وليس مغايراً له، فهو تعالى أوّل كما هو آخر، وليس فيه فرق.

وبيان عدم تغييره في ذاته في الإحاطة معنى، أعني قولنا: ذاتاً، هو أنك قد علمت أنّ

(١) «كلمات مكنونة» ص ٢٤.

(٢) «المديد» الآية: ٣.

(٤) ليست في «ب».

(٣) في «أ»: «من كون إلى كون».

الحق كل كلي، في حد ذاته جزئي حقيقي، وله وحدة معنوية تسري في الجزئيات، وباعتبار سرايته يسمّى بالكلي، فكل كلي متعين الذات ومبهم المراتب، وتلك السراية لا يمكن أن تقع إلا بالتجرد.

فكلما كان التجرد أشد تكون فيه السراية أكثر، فاعتبر ذلك من زيد من مدينة البصرة، ومن محلة فلان، ومن دار فلان، فإذا أسقط تعين الدار يحتمل في العقل أن يكون من كل واحد من الدور التي في المحلة، وإذا أسقط المحلة يحتمل أن يكون محلته كلاً من محلات المدينة، وإذا أسقط المدينة يحتمل أن تكون مدينته كلاً من المدائن، وإذا أسقط تشخصه يحتمل أن يكون كل شخص من أشخاص بني نوع البشر، وإذا أسقط نوعه يحتمل كل نوع من أنواع الحيوان، وإذا أسقط جنسه القريب يحتمل أن يكون نوعاً من أنواع النبات وإذا أسقط فصل النبات يحتمل أن يكون [كل] ^(١) نوع من أنواع الجماد وهكذا كلما يسقط التعمين يزيد الشمول.

والله تعالى أشد تجريداً من جميع المجردات الممكنة؛ لأن كلاً منهم، وإن كان مجرداً من المادة، إلا أنه مقيد بتعين، والله تعالى مطلق عن الاطلاق والتقييد، فيكون شموله وإحاطته أكثر من جميع الممكنات، فإذا تغيرت الجزئيات التي تحت كلي لا يتغير الكلي، ألا ترى إلى الإنسان، فإن تغير أفراده لا يستلزم تغير الإنسانية التي هي مندرجة تحتها، فالله تعالى محيط بالممكنات أزلاً وأبداً، ولا يتغير بتغير الجزئيات المندرجة تحت إحاطته، فعدم التغير لا ينافي سرايته وإحاطته وحضوره عند كل موجود، فهو الأول والآخر والأوسط، مع عدم تغيره وتبدل كل منها من حال إلى حال.

وأيضاً رب العالمين هو الوجود من حيث إنه وجود، والممكنات ليست إلا الوجود مع التعمين، فهي كلها [غير] ^(٢) رب العالمين، والتغير فيها لا يستلزم التغير في الغير إلا بالعرض، وأما بالذات فلا.

فتأمل فيما ذكرناه في هذا الكتاب، لعل الله أن يحدث بعد ذلك أمراً، فإن أمر الله كان مفعولاً، فإني في أيام تحصيلي لِمَا رأيت الآراء المختلفة - والمذاهب الغير المؤتلفة في الاسلام، من مذاهب المتكلمين وآرائهم المختلفة بينهم، ومن المشائين والإشراقيين

(٢) لي «أ»: «عين».

(١) من «ب».

وأرائهم غير المؤتلفة بينهم، والصوفية - صرت مبهوتاً في أمري، بل نادماً في تحصيلي، وكنت هكذا مدة، حتى رأيت سيد المرشدين محمداً ﷺ في [الخلصة] (١) الملكوتية، وسألتُ عنه ﷺ حقيقة الأمر، فأرشدني إلى هذه الطريقة* التي رأيت، بعبارة صريحة لا تحتمل التأويل ولا الشك، والحمد لله الذي هدانا لهذا، وما كنا لنهتدي لولا أن هدانا الله» انتهى.

أقول: مفاسده كثيرة لا أحيط بها.

قوله: «فسر ﷺ الآخر»... إلى آخره، الذي جعله ﷺ حلة إلى كون آخرته حين أوليته، كما في بعض أدعية السحر: (أنت الله الأول في أوليتك، وعلى ذلك أنت دائم لا تزول) (٢) لأنه لا يدخله التغير [بوجه لا في الذات ولا الصفات، ولا من جهة الأفعال، كغيره مما سواه تعالى، فإنه يبدو ويعود عود ممازجة، أو كالسكران للصعود، أو يدخله التغير] (٣) في الذات أو الصفات بتغيير من صفة إلى أخرى، سواء في ذلك سكان الدنيا والآخرة، وهو في كل مقام بحسبه، حتى في المقامات التي فوق الجنة، إلى مقام الرضوان، ويبقون صاهدين فيه إلى ما لا نهاية، كلما ظهر لهم مبدأ بطلبهم أزيدوا بالطلب وهكذا، وكله في الإمكان، ولا خروج عنه لممكن أبداً.

وإذا كان الواجب كذلك كانت آخرته حين أوليته، هذا في الذاتية الأزلية، وكذا في الإضافة الفعلية، فالمبدأ فعله وإليه العود (وكل شيء قائم بأمره) (٤) كما قال علي ﷺ في الخطبة، قال الله: ﴿وَمِن آيَاتِهِ أَنْ تَقُومَ السَّمَاءُ وَالْأَرْضُ بِأَمْرِهِ﴾ (٥).

فتكون هذه الأولية أيضاً عين الآخرة، إذ خلق الأشياء كلها بالمشيئة وتقلبهم [فيها] (٦) بها، وكذا بمحلها البدء والعود، والبدء لكل موجود، والسائرون أمام كل سائر

(١) في «ب»: «الخاصة».

(٢) «هذه تشبه دعوى ابن عربي: أن فصوصه بإرشاد محمد ﷺ في مبشرة النوم، ومحمد صادق ادعى في خلسته أن طريقته في تصانيفه بإرشاد محمد ﷺ، عن بها طريقة التصوف». «إبراهيم» [حاشية «أ»].

(٣) «الصحيفة السجادية الكاملة» ص ١٤٦، دعاؤه بعد الفراغ من صلاة الليل.

(٤) من «ب».

(٥) «نهج البلاغة» الخطبة: ١٠٩، وفيها: (وكل شيء قائم به).

(٦) ليست في «ب».

(٥) «الروم» الآية: ٢٥.

ومريد لله بإقبال، وكذا بحسب الأثر لفعله متشابه، بحسب المصنوعية والدلالة، والله واحد و[صنعه] (١) واحد، وكذا بحسب المفهوم، فأولية الله الذاتية عين آخريته، وكذا الإضافية التعلقية الحادثة، القائمة بالغير.

ويحدث التغير في الحادث بحسب الترقى والصعود بالإمداد، وهو في الوحدة الأمرية والأولية الإمكانية، ولا نهاية لها. فهذا معنى أوليته الذاتية، والأولية الإحاطية القيومية للأشياء، وعلى الأشياء وفي الأشياء، وقيام الثابتة بالخلق، ومبدؤها من فعله وأمره الحادث، ولا نسبة له بها، ولا جهة ارتباط، ولأحدث له التغير، واختلفت عليه الأحوال، واستكمل بخلقه، وعرفت محالته.

وهو واحد من جميع الوجوه، فلا يقوم [به] (٢) شيء ولا يدانيه، ولا يستكمل بغيره بوجه أصلاً، ولا يكون كل الوجود، ولا الموجودات حاصلة له في أزله، ولأعاد الأول، وليس كما قال محمد صادق.

قوله: «أما ذاتاً... إلى آخره، على ما صرح به - قبل وهنا وسيأتي، من كونه كل الوجود، ومراتبه مراتب ذاتية له، عين الذات أو داخلته، والتعيينات أمور حادثة هدمية كالمرايا، أو المختفي فيه تعالى الظاهر بتعيينه - لا يكون واحداً من جميع الجهات، بل يكون مع الذات اعتباراً لآخر، وأقله اعتباره فرضاً في مقام التجلي والظهور، وهو مقام ملاحظة الخلق، فيعرض له الحاجة له والاستكمال به، وتختلف عليه الأحوال، [والفرضي] (٣) لا بد من كونه واقعياً، ولأكان كذباً.

قوله: «وأما إحاطة... إلى آخره، ليست الأشياء مراتب ذاته بذاته، ولأكانت مخفية فيها أولاً، فهو ذو ضمير، وفيه جهة قوة، وبعد تكون بالفعل، ويستكمل فيكون ممكناً، بعد أن كان أزلياً، واجب وجود لذاته، وهو محال، فيكون عين المراتب من وجه، وغيرها من آخر، وأقله اعتباراً، وهو ينافي الأحدية الواجبية والغناء الذاتي، وغير ذلك.

وأصل ضلالهم لما قالوا بالمناسبة والرابطة بينه وصنعه، وجعلوا هذا شرطاً في الخالقية والخلق، وقالوا بوحدة الوجود، وفرّوها على ذلك الفروع الباطلة، وضلاله وخروجه عن الحق ظاهر.

(١) في «أ»: «ووصفه».

(٢) في «ب»: «له».

(٣) في «أ»: «والرضي»، وفي «ب»: «والرضين».

قوله: «فأوله عين آخره»... إلى آخره، لا ينطبق مع قوله السابق في ذاته وإحاطته، بل تغاير أوليته وآخرته، وتختلف ذاته قبل خلقه الخلق وحال الخلق، كما لا يخفى من صريح كلامه السابق، ولما جعل وجوده كـل الوجود، وإحاطته بغيره بذاته، فهي المتجلية في الأشياء وبالأشياء، ولا وجود لغيرها مطلقاً.

ولو نفى أن يكون لغيره مطلقاً ملاحظة في الذات - ونفى الرابطة والمناسبة، وجعل التجلي بالفعل وبفاعليته، وهي دون ذاته - أصاب الحق وخرج عن ضيق الضلال، ومن تبع ابن عربي ضل عن الحق.

قوله: «بيان عدم تغييره في ذاته في الإحاطة معنى»... إلى آخره، لا يوصف الله بالكلية ولا بالجزئية، وليس [بسار] (١) في المخلوقات بذاته، تعالى عن ذلك، بل فعله وأمره*، ولا قيام له في رتبة الذات تعالى وتقدس، وقيامه به قيام صدور، في مقام الصدور، بما تجلئ له به، وبقي فيه من صفة الفاعلية الظهورية، ولا ظهور للكلّي وسريان - أيضاً - في جزئياته، وإنما له ظهور فيها بوجوهه، دون ذاته الكلية بحسب مقامها، كالوجه وصوره، وليست هي هو، ولا مناسبة ذاتية أو سبب متصل بينهما، وإنما هو بمحض المقابلة والتجلي، بلا كيف وحدّ، فتأمل في المثال بقدر الإمكان.

وليس كلّ كلي أيضاً جزئياً حقيقياً، وإن اشتهر عند أهل النظر (٢) ذلك، وليس هنا موضع بسط ذلك. وما يسري بذاته ممكن، تقوم به الحوادث والنسب الإضافية، وبطلان قوله - وما قاس به الواجب تعالى - لا خفاء فيه، فلتكتف بما سمعت.

قوله: «فاهتبر ذلك من زيد»... إلى آخره، مثال جزافي غير مطابق - كما عرفت - ومع تسليمه لا يجري في الواجب وظهوره تعالى. وعلى قوله يكون الله تعالى كالمادة للأشياء ولصورها، سبحانه وتعالى عما يصفون، فذرهم وما يفترون، ولنعرض عن مثاله لبداهة سقوطه هنا.

قوله: «والله تعالى أشدّ تجريداً»... إلى آخره، مراده أنّ الأشياء كالماهية المأخوذة

(١) في «ب»: «يشار».

(*) «أمره أي كن، وحيث لا قول، فهو فعله بلا فرق، والإضراب بـ«بل» يوجب ثبوت ما نفاه عن الذات في الفعل من الكلية والجزئية، والسريان بالذات. ب» [حاشية «أ»].

(٢) انظر: «شروح الشمسية» ج ١، ص ٣١١.

بشرط شيء، والله كالوجود لا بشرط شيء، فهو مطلق عن الإطلاق والتقييد، [فتضيف] (١) عليه تلك الأشياء، ويحيط بالكل بذاته، بأن تكون هي الوجودات لها.

قوله: «فإذا تغيرت الجزئيات التي تحت كلي»... إلى آخره. بل يلزم من جعل الإحاطة والتعيين بالذات، وكذا في المراتب، فتفاصيل التعينات إما داخلية في الذات مخفية، أو لازمة لها، بخلاف ما إذا نفيت ملاحظتها عنها مطلقاً، وكذا التجلي الذاتي فيها ولها، بل بالفعلي الظهوري والقيومية الظاهرة، ويكون قيام الأشياء به بفعله في مقاماتها، قيام صدور، لا قيام لزوم أو عروض، أو قيام ركني، كقيام الصورة بالمادة، أو الشخص بهما، فلا مناص لهذا المتصوّف من أحد الثلاثة الأخيرة، وهي قيام إكثاني، فالمستغاث بالله من هذا المتصوّف، كيف استطاع مع ابن عربي أن يجراً على الله بذلك، ويوصفه بما نزه عنه نفسه وأتباعه ١٩ ومع ذلك يقول بأنه الموحد، وستعرف رؤياه المفترى الباطل، فهذا ونحوه يبطله.

قوله: «ألا ترى إلى الإنسان»... إلى آخره، إن كان ظهور الإنسانية في أفرادها كما تقول يوجب التغيير قطعاً، وحيث لا تغير، فليس الظهور والتقويم والقيام كما توهمت وظننت، افتراءً وجهلاً.

قوله: «فالله محيط»... إلى آخره، نعم، هو محيط بها عقلاً ونقلاً، بما لا شك فيه، لكن لا بذاته، ولا بمعنى ثبوتها في أزله من قبيل الأعيان الثابتة، ولا بالصور العلمية، وإن كان الوجود واحداً والاختلاف بالاعتبار، ولا بمعنى كون وجوده كـ الوجود، والشيثيات ماهيات أعدام مراها له تعالى، أحب رؤية ذاته فيها، ولا نحوها من أقوال أهل التصوّف، ومن تبعهم منا اشتباهاً.

وعلى كل واحد من هذه الأقوال التي أوردها هذا الشارح، يلزم من تغيرها تغيره تعالى، ولو باعتبار ظهور الذات ولزومها له، ويلزم اختلاف الأحوال عليه بوجه، وهو كاف، فلا يكون هو الأول والآخر، لا بالذات ولا بالإحاطة القيومية على الأشياء، وهذا ظاهر.

قوله: «وأيضاً رب العالمين»... إلى آخره، لا يخفى خروج قوله - قبل - من الحق بأدنى تأمل، بل لا حاجة له لظهوره، والتغير بالعرض يوجهه بالذات، خصوصاً في الواجب

(١) في «أ»: «فبعثوا».

تعالى، وهو منزّه عنه بكلّ فرض واعتبار، فقد أبطل بإثباته التغيّر المرضي تغاير الأوليّة للأخرية فيه تعالى، والتغيّر وغير ذلك من المفسد، ومقام الربوبية إذ لا مربوب - بكلّ معنى واعتبار - غيرها إذ مربوب إمكاناً أو كوناً أو عيناً، وهو خلطٌ بينهما لما قال بوحدة الوجود، والمناسبة والارتباط، وهذا ظاهر.

قوله: «فتأمل فيما ذكرنا»... إلى آخره، تأملناه بأدنى تأمل، فلم نجد فيه حقاً، بل كله ضلال على طريقة أهل التصوّف - كما أشرنا لبعضه - وهو ظاهر لمن استنار قلبه، وحرف مرادهم ^(١) من كلامهم واستنار به - فهو نور لا ظلمة فيه - ولم يحرفه بقواهد أهل الباطل، وما يحدث إلا الصواب، وهو الذي دلّ عليه وبينه، وعرفته مكرراً، للتفهم والإيضاح.

قوله: «فإني في أيام تحصيلي لما»... إلى آخره، لا شك في اختلاف آراء الفرق التي ذكرها، وكثرة ضلالها، لما لم يتمسكوا بالمرورة الوثقى، ولم يأتوا باب مدينة العلم، فيدخلون منه، ومنه يحصلونه، ولا حق إلا ما خرج منهم. ولو نقلنا لك ما قالوا في الذات - وظهورها وصفاتها وأفعالها وأحوال المعاد - لخرجنا إلى التطويل هنا، ونسمعك إياه متفرقاً في الشرح إن شاء الله، وسمعت بعضه، وسيأتي زيادة إن شاء الله.

ولو كان طلبك نور الهدى مع مرشد هارف، بنفس غير متلوثة، لم تقع في حيرة وتيه وتأسف وندم، لو عد الله الهدى للمجاهد^(٢)، وهو ظاهر مشيد معلن لطالبه.

قوله: «حتى رأيت سيّد المرشدين»... إلى آخره، ليست هذه [الجلسة]^(٣) بجلسة ملكوتية، بل شيطانية، لما أخذ به الفكر والتردد بين هذه الآراء الضالّة، ونفسه - حينئذ - متلوثة، فرأى هذا الوسواس، ورجمه بأنه من محمّد ^(٤)، وكيف [يزين]^(٥) له ويلهمه ما كتابه وشريعته كمالاً تبطله؟ فهذه الصورة المتخيّلة له منه، لا من محمّد ^(٦)، وهذا لا ينافي ما ورد عنهم أن حكمهم في المنام واليقظة واحد^(٧)، وأن الشيطان لا يتمثل بصورتهم^(٨). ويجوز أنه أخبره بغير ما قال، لكنه تغيّر الإخبار من نفسه ومتخيّلاتها

(١) في قوله تعالى: ﴿وَالَّذِينَ جَاهَدُوا فِينَا لَنَهْدِيَنَّهُمْ سُبُلَنَا﴾. «العنكبوت» الآية: ٦٩.

(٢) في «أ»: «الحالة». (٣) في «ب»: «يدين».

(٤) «بحار الأنوار» ج ٢٥، ص ١٦٧، ح ٢٨، وفيه: (الأئمة حالهم في المنام حالهم في اليقظة، لا يغيّر النوم منهم شيئاً).

(٥) «رجال الكشي» ج ٢، ص ٥٩٣، الرقم ٥٤٨، «بحار الأنوار» ج ٦٩، ص ١٢٤، ح ٥.

الباطلة، فحكم بخلافه، ولم يميز بين الداهيين، [ولم يتبين] ^(١) لِمَا غلب عليه .
وكفى الكتاب وسنتهم والعقل السالم من [الأخبار] ^(٢) حَكَمًا، هَدَانَا اللهُ وَإِيَّاكُمْ لِمَا
اختلف فيه من الحقِّ بإذنه، والله يهدي من يشاء إلى سواء الطريق، وحاشاهم أن يخرجوا
من النور إلى الظلمات .

وقال المَلَأَ الشيرازي في شرح الحديث: «سئل ﷺ عن تفسير قوله تعالى: ﴿هُوَ الْأَوَّلُ
وَالْآخِرُ﴾ ^(٣) وَلَمَّا كَانَتْ أُولَىٰ تَه بوجه من الوجوه ظاهرة، بخلاف آخرته، إذ فيها إشكال؛
لأنها ليست بالذات ولا بالمعلولية، ولا بالشرف ولا بالمكان ولا بالزمان، إذ ليس تعالى
بزماني، كما ليس بمكاني، فاقتصر السائل على طلب الجواب عن إشكالها» ^(٤).

أقول: إن كانت الأولية بوجه ما ظاهرة، فكذا الآخرة، وإن لزم مراعاة [الغير] ^(٥) في
الآخرة، فكذا في الأولية، وإن روعيت الأولية من غير ملاحظة [الغير] ^(٦)، بل مجردة عنه
حتى في الملاحظة - وأنها ليست بزائدة على الذات، ولم يحدث ما يغيرها من الخلق -
كانت عين الآخرة أيضاً، لبقائها بلا تغيير بوجه، فتكون هي الآخرة . لكنه * إِمَّا لزيادة
جهله و[غباوته] ^(٧)، أو لأنه لما خلق الخلق، والخلق يوجب مناسبة ورجوع شيء له، فما
معنى الآخرة؟ ومتى تتحقق؟ هَذَا عَلَى زعم بعض فرق الضلال القائلين بالمناسبة؟

وأما كون الآخرة ليست بما ذكر فظاهر؛ لأنها مضافة [نسبية] ^(٨)، والله منزّه عنها، إلا
أن نفيه عنها الذاتية ليس بصواب، فإنها عين الذات - كما عرفت - فهو أخرجها عن بعض
أقسام الآخرة الحادثة، لا عن جميع أنواعها، ولم يجعل لها معنى ذاتياً .

قال: «فمَهْدٌ ﷺ أَوْلَىٰ قَاعِدَةٌ، وهي أنه ليس شيء من الموجودات غير الحقِّ تعالى، إلا
ويهلك أو يتغير». ثم أخذ في ذلك، إلى أن قال: «وأما الحقُّ تعالى فلا تغيير فيه أصلاً، لا
في ذاته ولا في صفة من صفاته، فهو لم يزل كهو لا يزال بحالة واحدة» ^(٩).

أقول: هذا حق، لكن لا يناسب قواعده، فإنه قائل بوحدة الوجود، وتجلّي الذات

(٢) في «أ»: «الاعتبار» .

(٤) «شرح أصول الكافي» ج ٣، ص ٢٦٥ .

(٥) يعني السائل .

(٨) في «أ»: «نسبه» .

(١) في «ب»: «وليتبين» .

(٣) «المديد» الآية: ٣ .

(٥) و(٦) في «أ»: «العين» .

(٧) في «أ»: «نهايته» .

(٩) «شرح أصول الكافي» ج ٣، ص ٢٦٥ .

بذاتها، ومغايرة الصفات لها اعتباراً فمراده بنفي التغير هنا: التغير الخارجي*، وهو باطل، فإنه منفي عنه مطلقاً، والتغير الاعتباري يوجب في نفس الأمر، إلا أن يقال بالعدم، وحينئذ هو كذب لا هبرة به؛ لاشتراط المطابقة إن كان صادقاً.

وكذا ما قاله في المتشابه، مثل وصف الله بالضجر والغضب، وكون سمع المحب له، ونحو ذلك، أنه من ظهوره وتجليه بذاته له، فيكون يد السالك وسمعه... إلى آخره، فيقول ذلك، فإن هذا يوجب له التغيير والمقارنة، إلى باقي مذاهبهم المجتثة.

قال: «ثم أشار إلى كونه أول كل شيء وآخره، بأنه لا شيء غيره إلا وآخره غير أوله، وأنه تختلف عليه الأسماء والصفات، كالإنسان وكالبشر^(١)، فكل ما سواه أوله غير آخره وبالعكس، والله أوله عين آخره، وآخره عين أوله من كل الوجوه، ولا شك أنه مع كل شيء في كل وقت وحال، فهو أول وقبل كل شيء، ولو باعتبار حاله واسمه المتأخر، وهو آخر وبعد كل شيء، ولو باعتبار حاله واسمه المتقدم، فتأمل فإنه وجه لطيف ذكره ﷺ^(٢)».

أقول: غيره تعالى لا شك في اختلاف الحالات عليه، وأنه متحرك مستكمل من أول نزوله وإدباره، إلى المراتب التي فوق الجنة، ثم إليها وإلى العناصر إلى التراب، وكذا في رجوعه متصاعداً مستكماً؛ لعدم إضاهة المراتب السابقة، إلى أن يعود إلى مبدئه وبدئه، وتفصيل ذلك مما يطول هنا.

فتكون آخرته [عين]^(٣) أوليته، لكن نعرف شيئاً هنا، وهو أن العود إلى البدء؛ لانخفاض المراتب الأول، فيعود لها بصيرورتها فيه بالفعل، بعد كسر وغسل وصوغ، حتى يفارق الأعراض والمنافيات الجسمية والجسدية، والمثالية النفسية والعقلية.

قال الله تعالى: ﴿كَمَا بَدَأَكُمْ تَعُودُونَ﴾^(٤) وفي خطبة علي عليه السلام اليتيمة: (اتهن المخلوق إلى مثله)^(٥) وقال الله: ﴿كَمَا بَدَأْنَا أَوَّلَ خَلْقٍ نُعِيدُهُ﴾^(٦) ونحوه كثير في الكتاب والسنة، والبرهان الوجودي والمقالي عليه قائمان.

فلا تنوهم من هذا كون بدئه وعوده واحداً، وكذا أوليته وآخرته، وإن كان كل رتبة في

(*) «أي لا الاعتباري فإنه يشبهه» [حاشية «أ»]. (١) البشر: ثم النخل قبل أن يُرطب.

(٢) «شرح أصول الكافي» ج ٣، ص ٢٦٥، باختصار.

(٣) في «ب»: «خير».

(٤) «الأعراف» الآية: ٢٩.

(٥) «شرح المرشدة» ج ٣، ص ٣٠١.

(٦) «الأنبياء» الآية: ١٠٤.

المرود نفس مقابلها، بسبب اختلاف الأحوال واحتوارها عليه، كما لا يخفى، وكونها بعدُ بالفعل، ومستكملاً بارزاً بالفعل ما كان بالقوة، فهي وحدة، ومغايرة كثيرة، فافهم .
وقول الملاً أخيراً غلط، فإنه تعالى مع كل شيء، لكن لا بذاته، بل بالإحاطة القيومية، التي أشرنا لها ثانياً قبل، كل في مقامه .

وقوله: «ولو باعتبار حاله واسمه المتأخر» يثبت ملاحظة الغير في أوليته، وكذا نقول في كونه آخر، كما قال، ولا لطف فيما قال، ولا أرادته الإمام، فلو كان لغير الله ملاحظة في أوليته وأخريته الذاتية، دخله التغير والمقايسة، وهو باطل، وكان فيه جهة قوة، وهو محال، فدع الهوسات الخيالية .

قال: «قال بعض حكماء الإسلام: هو تعالى أول من جهة أنه مبدأ يصدر منه كل وجود لغيره، وهو أول من جهة أنه أولى بالوجود، يعني به: أنه أكمل وجوداً وأشرف من غيره، وهو أول من جهة أن كل زماني ينسب إليه يكون معه، فقد وجد زمان لم يوجد معه ذلك الشيء الزماني، ووجد تعالى مع ذلك الزمان لا فيه .

وهو أول، لأنه إذا اعتبر كل شيء كان الذي فيه أولاً أثر قبوله، أراد به أن الممكن ما لم يجب به تعالى أولاً لم يوجد، وذلك وجه المنسوب إليه تعالى، فهو بهذا المعنى أول كل شيء لا بالزمان .

قال: وهو آخر؛ لأن الأشياء إذا نسبت إليها أسبابها وقعت عنده، أراد به أنك إذا نظرت إلى وجود شيء وفتشت عن سببه، ثم عن سبب سببه، وهكذا، فتنتهي بالآخرة إليه تعالى؛ لأنه آخر ما ينحل إليه اجتماع أسباب الشيء، وهو آخر؛ لأن الغاية الحقيقية في كل طالب، فالغاية مثل السعادة والخير في قولك: لِمَ شربت الماء؟ فتقول: لتغير المزاج، فيقال: لِمَ أردت أن يتغير المزاج؟ فتقول: للصحة، ثم هكذا حتى تصل إلى أن السعادة مطلوبة لذاتها .
فالحق الأول هو الذي يقبل إليه كل شيء ويتشوقه طبعاً وإرادة، بحسب طاقته على ما يعرفه الراسخون في العلم، بتفصيل الجملة وبكلام طويل، فهو المحبوب الأول، فلذلك هو آخر كل غاية، أول في الفكر، آخر في الحصول، هو آخر من جهة أن كل زماني يوجد زماناً يتأخر عنه، ولا يوجد زمان يتأخر عن الحق . انتهى كلامه .

ففيه أربعة وجوه، لكونه تعالى أول كل شيء، وثلاثة وجوه لكونه آخر كل شيء .
ويرد على الثاني من وجوه التأخر - وهو كونه تعالى غاية الأشياء - بأن الواجب الحق

متقدّم بالذات على جميع الأشياء، فليس معلولاً لشيء منها، فلا يكون غاية لشيء منها، لأن كونه غاية يقتضي التأخر والمعلولية، وهو ليس بآخر ولا معلول. وأجيب عنه بأنه آخراً وغاية في الحصول، ليس باعتبار وجوده في نفسه ليلزم استحالته، بل باعتبار وجود نسبة بينه وبين الطالب، كالتقرب منه والوصول إليه، هذا ما قيل.

ونحن قد أشرنا فيما سبق - من الكلام في إثبات كونه غاية - إلى وجه أقرب إلى التحقيق من هذا، فليرجع إليه من أراد^(١) انتهى كلام الملام.

وأقول: لا يخفى أن ما ذكره هذا الحكيم بقوله: من معاني الأول معانٍ إضافية ونسبية، ملاحظاً فيها الغير، وكان الله فيما لم يزل، ولا نسبة ولا إضافة، والأولية ثابتة له، ولو كانت بما ذكره لزم حدوث الكمال للذات، واستكمالها بخلقها، وهو محال.

وفي بعضها نسبة مصاحبة الزمان معه، وهو محال أيضاً، وهو وإن كان مع كل شيء، لكن لا بالذات، ومن غير ممازجة، ولم يظهر لخلقه اكتناهاً، بل توصيفاً. وليس للممكن وجوب سابق، وليس ذات الله الغاية، ولا تدخل في التصور، وكذا باقي معاني الآخرة ظاهراً ما يرد عليها.

وما دفع به الملام الإشكال الذي تصوره، ضعفه ظاهراً أيضاً، وما أشار له من معنى كونه تعالى الغاية - وأنه أقرب إلى التحقيق - حرفته، ويؤد عن الحق، وأنه قول بوحدة الوجود، فيكون وجوده [وجود] الكلى، وهو غايته.

تقرير المؤلف

ثم نرجع ونقول: وصف الله بالأولية والآخرة - وكذا بالقبليّة والبعديّة - من صفات الفعل، وليس كما يُظنّ ويُعرف منها في خلقه، ولا بالجمع بينهما، فإن هذه صفة إمكان ويقع التشبيه والمشابهة، لا بمعنى كون إحداها الأخرى من جهة واحدة، واجتماعهما هو ارتفاعهما وبالعكس، ولهذا فسّر الإمام عليه السلام ذلك بقوله: (فإنه لم يزل ولا يزال) ... إلى آخره. ومن حَقَّق هذه الإشارة عرف أن قول الحكماء والمتكلمين والمفسرين، في الأولية

(١) «شرح أصول الكافي» ج ٣، ص ٢٦٦ - ٢٦٧، باختصار، صححناه على المصدر.

(٢) ليست في «ب».

والقبلية والظاهرية ومقابلها - ومماثلها من المتقابلين - لم يصب الحق فيها، من حيث التنزيه، وبعدم إمكانه في الممكن، بل أخذوه بالمشابهة والمقابلة، ولهذا فرّقوا بينهما، وأقله اعتباراً، ولم يحضوا بمرادهم عليه السلام من مرامي كلامهم، فتأمل الإشارة، وسيأتي زيادة بحث فيها في جوامع التوحيد، وقد مر^(١) لك في باب النسبة بيان معنى أوليته تعالى وأخريته. واعلم أن السائل لو عرف معنى أوليته لعرف الآخرية، إذ لا فرق بينهما بوجه، ولهذا قال الإمام عليه السلام: (هو الأول قبل كل شيء، وهو الآخر على ما لم يزل) فهو عين أوليته، إذ ليس قبلية قبلية زمانية، ولا عبارة عن الأزمان المتطاولة، ولا بالرتبة ولا بالشرف ولا بالطبع، بل ذاتية وجوبية لا اعتبار معها، ولا شيء لا معلوم ولا مجهول، ولكن طلب زيادة البيان، والظاهر أنه فاضل.

واعلم أن الشيء لا يكون بالإضافة إلى شيء واحد أولاً وآخرأً بجهة واحدة، فإنهما متناقضان، وأقله المغابرة الاعتبارية من جهة ملاحظة الغير، وأولية الواجب ثابتة له بذاته لذاته، لا بملاحظة الغير الذي هو الحادث، فهذه الأولية الحادثة ليست بالذاتية؛ لأنها عبارة عن ظهور الظاهر بما ظهر به، وهي ظاهر تلك، فهي حادثة معلولة قائمة بالمحدث، كما هو شأن الصفة الحادثة، والمتكلمون يعنونها بهذا المعنى، ولا يتصورون لها غير هذا المعنى، ويمدونها من الصفات الإضافية المحضة الحاصلة بملاحظة الغير، فكيف تكون كذلك، وهي عين أخريته؟

فإن قالوا: ذاتاً، وغيرها اعتباراً، كما هو دأب محققهم والمشائي.

قلنا: جهة كونها ذاته وهينه هي أوليته الغير الإضافية، وجهة الغيرية الاعتبارية - أي اعتبار الحادث - حادثة، وغيره مطلقاً، فكيف تجعلون الغيري ذاتياً وبالعكس؟ ما هذا إلا تناقض، ولكن أقاموا مظاهر الصفات واعتباراتها الحادثة في الذات، والله مبرأ عنها وعن اعتبارهم وهذه الخيالات، إذ ليس [منذ]^(٢) أوجد الخلق استحق الأولية، ولا تثبت له الآخرية بعد، وإلا كان بعد الإيجاد معه شيء مما أوجد، وقد سمعت: (كان الله ولا شيء غيره، ولم يزل على ما كان، وهو الآن على ما كان)^(٣) من التوحيد وغيره.

(١) «هدي العقول» ج ٤، الباب السابع. (٢) في «ب»: «سند».

(٣) انظر: «شرح المضاهر» ص ٦٣٤، وفي «التوحيد» ص ١٧٩، ح ١٢، (إن الله تبارك وتعالى كان لم يزل بلا زمان ولا مكان، وهو الآن كما كان)...

وصرح به ﷺ في هذا الحديث، في قوله ﷺ: (وهو الآخر على ما لم يزل)، وقد كان ولا شيء غيره، وقد مرّ لك في خطبة علي عليه السلام كما في التوحيد، وغيره: (إن قيل: كان، فعلى تأويل أزلية الوجود، وإن قيل: لم يزل، فعلى تأويل نفي العدم)^(١).

ومعلوم تنزيهه تعالى عن الزمان والحدوث والانتقال، معنى «كان» ثبوت الأزلية له، فلا يصح نفي (وهو الآن على ما كان) كما وقع لبعض المعاصرين، أشباه الناس، عقله مخالف العقل والنقل المتواترين، وألا ارتفعت أزليته فيكون حادثاً، بل لا تكون له أزلية.

وبالجملة: فالمتكلم يقيم إضافات الصفات واعتبار المحدثات في الذات، وهو عنها مبرأ معزول، وكل ذلك نشأ من التشبيه ومقايسة الراجب بالممكن، وإن اختلفت المقايسة. وكذا إن فسرت أوليته باعتبار أنه أول الوجود، وآخريته باعتبار أن إليه منتهى السلوك والصعود.

فإن اعتبرت الأولية بذاته، فهي كونها على ما هي عليه أولاً، وهي عين الآخرة، لا كيف لها، ولا زمان، ولا مكان، ولا نسبة، ولا إضافة، ولا تكتنه، فحكمها حكم الذات.

وإن لاحظت الظاهر بما ظهر، فهي حادثة، قائمة به قيام صدور، لها اعتباران: اعتبار بالنسبة لما فوقه، وهو جاهله، واعتبار لمن دونه.

ولما ثبت لك في غير موضع - مبرهنات - أن الواجب تعالى لا ينقلب ذاتاً ولا يتغير صفة - سواء كانت الثانية أعلى، والأكان ناقصاً ذاتاً، أو آخر، والأكان كذلك أيضاً، مع عدم تصوّره في شأنه؛ للوجوب الذاتي، [وقهره]^(٢) لما سواه، ولفعليته المحضة من كل وجه، بحيث لا يمكن فيه أن منتظر ولا حال مرتقب، مع أن ما بالذات لا يزول - فلا يصح أن يقال: إن آخرته كآخرية الممكن، التي هي الانتهاء إلى حال لم يكن قبل، سواء كان بتغير الذات أو صفة من صفاتها، أو عارضة من عوارضها، كغناء الشيء باعتباره مقام أعلى، وانقطاعه دونه، أو يتغير كتغير النبات للحيوان، [والحيوان]^(٣) للإنسان، وهو للإنسان الكامل.

وكذا حال المادة والصور الجوهرية الطارئة عليها، أو كاتقال الشيء من سواد لحمرة، أو من لون إلى آخر، أو علم إلى جهل، أو بالعكس، أو من هيئة - أهم من كونها حسية أو غير حسية - إلى هيئة أخرى، أو من صفة إلى صفة أخرى، أهم من كونها ذاتاً - كالنمو

(١) «التوحيد» ص ٧٣، ح ٢٧، صحّناه على المصدر.

(٢) في «أ»: «وقوة». (٣) ليست لي «ب».

والذبول - في الذات، أو عرضاً كما في الأعراض، أو من الحرارة إلى البرودة وبالعكس .
فجميع هذه المعاني للآخريّة منفيّة عن الواجب تعالى، والأوليّة فيها [غير] الآخريّة
بديهية، فلا تكون لله، وإلا لزم ما عرفت، مع كونه متكرراً أيضاً، بل آخريته بمعنى كونه على
ما لم يزل، فهي معنى أوليته .

نعم الأوليات والآخريات الحادثة دلت على الانتهاء إلى أوليّة هي آخريّة وبالعكس،
والأكان لها انتهاء ومنتهى، فاحتجنا إلى إثبات أوليّة أخرى وكذا الآخريّة، فلا بدّ من كونهما
واحداً . فسبحان من تنزّه عن اختلاف الصفات والأسماء، وتنزّه عن مشابهة الممكن
واتخاذ الأبناء، والأقامت صفة المصنوع في الصانع، فلم يتميّز أو يستدلّ بالمصنوع على
الصانع .

قال الجوهري: «البَلْحُ - محرك اللام - قبل البسر؛ لأنّ أوّل التمر طَلَع، ثمّ خَلَّالٌ، ثمّ بَلَحٌ،
ثمّ بُسْرٌ، ثمّ رُطْبٌ، ثمّ تمر»^(٢) .

وهذا الحديث يدلّ على أنّ التمر مغاير للبسر، فلا زكاة في البسر، وكذا الرطب؛ لعدم
ورودهما في أحاديث الزكاة، وإنما الواردة فيها التمر، وهو بعد البسر .

وفي المصباح^(٣) والقاموس^(٤): «التمر جاف الرطب» .
فلمّا لم يجر عرض التغيير والتنقل له تعالى بوجه، فالآخريّة عين الأوليّة . ألا ترى أنّ
ما يتغيّر أحد هذه التغيّرات المذكورات تختلف عليه الصفات، وكذا الأسماء؛ فتارة بَلَحٌ،
وتارة اسمه بُسْرٌ، وتارة خَلَّالٌ، وتارة رطبٌ، وتارة تمرٌ، وتارة عظمٌ، فإذا بَلِيَ: رفاتاً - أي
بالي - ويقال لكل [ما نَعَم] ^(٥) أيضاً، إلاّ أنّه غالب في العظم، والبارد يسمّى به، فإذا احتزّ
قيل: حاز .

وكذا الإنسان، تارة ترابٌ، وتارة نطفةٌ، وتارة حلقةٌ، وتارة مضغةٌ، وتارة لحمٌ، وتارة
عظمٌ، وتارة إنسانٌ، ولا كذلك الواجب .

والأصل في جميع ذلك القبول، وعدم الفعلية المحضة، والله بخلاف جميع ذلك .

(١) في «أ»: «عين» . (٢) «المصباح» ج ١، ص ٣٥٦، «بلح»، بتفاوت يسير .

(٣) «المصباح المنير» ج ١، ص ٧٦، وفيه: «التمر: من ثمر النخل، كالزبيب من العنب، وهو اليابس» .

(٤) «القاموس المحيط» ج ١، ص ٧١٠، وفيه: «التمر: واحدة ثمرة... وتمر الرطب تتمريراً» .

(٥) في «ب»: «مانع» .

□ الحديث رقم ﴿٦﴾

قوله: ﴿عن ميمون البان، قال: سمعت أبا عبد الله عليه السلام وقد سُئل عن الأول والآخر، فقال: الأول لا عن أول قبله، ولا [عن] بدء سبقه، والآخر لا عن نهاية، كما يعقل من صفة المخلوقين، ولكن قديم أول آخر، لم يزل ولا [يزول] ^(١)، بلا بدء ولا نهاية، لا يقع عليه الحدوث، ولا يحول من حال إلى حال، خالق كل شيء﴾.

أقول: تأمل في حسن جواباتهم الحكيمية، والبراهين المحمّدية الإلهية، وتفكر فيما بينوا به معنى أوليته تعالى وأخريته، كباقي صفاته، يظهر لك بطلان ما قيل في جعلها أمراً اعتبارياً، كما ستسمع من عبارة الشارح ^(٢) وغيره، ومرّ نقله مجملاً، وبيان بطلانه أيضاً. فقال الإمام عليه السلام للسائل: هو الأول، لكن لا عن بدء، كأولية الحادث، فإن لها مبدأ، سواء كانت أولية زمانية، أو دهرية أو أمرية، والله بكلّ شيء محيط، ﴿أَحَاطَ بِكُلِّ شَيْءٍ عِلْمًا﴾ ^(٣)، ﴿وَهُوَ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ شَهِيدٌ﴾ ^(٤) فجميع هذه الأوليات ليست أوليات حقيقية، بل إضافية حادثة متناهية، لها غاية، والله غاية الغايات، وكذا هو آخره، لكن لا إلى نهاية، سواء كانت - أيضاً - نهاية زمانية أو دهرية أو أمرية، فكلّ أخرية منها وراهها غاية فليست بأخرية حقيقية، وليست أولية الواجب تعالى وأخريته بهذا المعنى، والأركان له بداية ونهاية، فيُحد ويحدّ، ويكون حادثاً، والآخريات الحادثة، وإن كانت عين الأوليات من وجه - حيث إن المعاد للمبدأ، وكلّ ذي حدّ مكاني أو رتبي لا يعدّاه ﴿كَمَا بَدَأَكُمْ تَعُودُونَ﴾ ^(٥) فأول الحب بذر، وكذا آخره (السميد من سعد) ^(٦)... إلى آخره، (كوني في الجنة، وكوني في النار) ^(٧) ثم قال تعالى: ﴿فَرِيقٌ فِي الْجَنَّةِ

(١) في النسختين: «يزال».

(٢) «شرح المازندراني» ج ٤، ص ١٣.

(٤) «سبأ» الآية: ٤٧.

(٣) «الطلاق» الآية: ١٢.

(٥) «الأعراف» الآية: ٢٩.

(٦) «تفسير علي بن إبراهيم القمي» ج ١، ص ٢٥٥ «بحار الأنوار» ج ١، ص ٩، ح ١٣.

(٧) «بحار الأنوار» ج ٥، ص ٢٣٠، ح ٦، وفيه: (هذه إلى الجنة ولا أبالي... وقال: هذه إلى النار ولا أبالي).

وَفَرِيقٌ فِي السَّمِيرِ^(١) مع أنها منقطعة - فلا يضر اتحادها، بل تكون حينئذٍ وراءها غاية .
بل رجوعها للاتحاد دليل اتحاد العلة الفاعلية والغائية في مبدع الكل، بطريق أولي،
فتكون أوليته وآخرته واحدة بالفعل، لا تكون في حال بالقوة، ولا تختلف عليه الصفات
في الرتب النزولية والصعودية، كالبذر إلى كونه بذراً، بعد كمال نموه وسنبله، وكذا الإنسان
من الذوات الثانية، إلى رجوعها لها بالفعل، وهكذا، فتدبر لما اختصرناه لك، واعتمادنا
على عقلك المستفاد بالفعل المطبوع، من الجهة التي أمرت بقصدها، وهي جهة الله تعالى
التي لا تفنى ولا تهلك .

بل أولية الواجب عين قدمه الذاتي، الذي هو عين الوجود الأحدي الواجب، وآخرته
هي هذه الأولية، فهو لم يزل قديماً أحدياً، ولا يزال بلا بداية ولا نهاية .
وعبر ﷺ عنها بالسلب، والإشارة إلى أنها كون الذات على ما هي عليه أولاً، بحيث لم
يحدث لها تغيير بوجه أصلاً؛ لأنها عين الذات الواجبة، غير الممكنة ولا المكيفة . وأشار
بقوله ﷺ: (لا يقع عليه الحدوث) ... إلى آخره، إلى البرهان المبطل لكون آخرته بمعنى
النهاية، أو الأولية بمعنى البداية، ولو كانت أوليته وآخرته كذلك وقع عليه الحدوث
والتغيير من حال إلى حال، كما هو اللازم، وهو ليس كذلك، بل هو الخالق لكل شيء، فكل
شيء سواء مخلوق له، والمخلوق له بغير خالقه، ولم يحدث له تعالى تغير في خلقه، وإلا
كان لقائل أن يقول: إن الخالق دخله التغير والاتقال، فقد استحال، فلم يؤمن عليه الفناء،
فليس هو بالواجب الذاتي، بل احتيج إلى إثبات مبدأ آخر، تعالى الله علواً كبيراً .

تحقيق حكيم

به يتضح ما في هذا الكلام والآتي من الإجمال الموجب للاشتباه، وبه يظهر بطلان قول
الأكثر هنا وغيره، وخلطهم بين صفات الفعل والذات .
فنقول: الأولية إن اعتبرتها ذاتية، فهي عينها، بغير اعتبار نسبة أو إضافة، إذ لا اعتبار مع
الذات، والمفهوم لنا منها نفي الحدوث، ولا مع الذات غاية، ولا تكون غاية للغير،
فرجوعه لفعله، والفاعل فاعل بالفاعلية وفعله، كما علم نصاً وعقلاً .
وإن اعتبرت بنسبة^(٢) أو مراعاة الغير، فهي صفة إضافة مردّها للفعل، وهو العلة

(٢) في «ب»: «نسبة» .

(١) «الشورى» الآية: ٧ .

الظاهرة والغاية، فـ «خالق» اسم للذات مع صفة، لا بأحديتها، وإلا لم يصح: لم يخلق ثم خلق، ولا: خالق وغير خالق، وإلا حدثت النسبة والإضافة في الذات، فيتغير ويتحول بخلقه، وهو لم يزل على ما كان، لم يتغير ويتحول بخلقه. فتكون صفة إضافية وتنسب له، بخلاف ما هي في خلقه.

فهو أول بما هو آخر من وجه واحد، فهو في أوليته آخر، بما هو أول بأخريته وبالعكس، فيجتمعان ويرتفعان بجهة واحدة، وهكذا في أمثالها، من القبلية والبعدية ونحوها، وليس في الممكن [كذلك] (١). ومرجع النسبة لفعله، والنسبة له مجازاً، تعظيماً له وتشريفاً، فافهم ذلك وابن عليه ما سيأتي من نظائره، ولا تنوهم خلافة من بعض ألفاظ جربنا فيها بمجرى أهل النظر الظاهري، فتدبر.

وحينئذ لا يخفى عليك ضعف ما قاله الشارح هنا، وما يرد عليه، حيث قال - بعدما نفى عنه تعالى صفات الزمان والمكان والتغيير والانتقال -: «فما هو أول هو بعينه آخر، بلا اختلاف ذاتاً وصفة، فإنه بريء من لحوق الوقت والمكان ووجوده في الحين والزمان، فأوليته وأخريته تعودان إلى ما تعتبره الأذهان له، من حالة تقدمه على وجود الأشياء، وحالة تأخره عنها بعد عدمها، فهما اعتباران ذهنيان له، بالقياس إلى مخلوقاته، وليس هناك أولية وأخرية، لأنهما فرع الوقت والزمان، ولا وقت ولا زمان في عالم القدس» (٢).

وأقول لك: يا شيخ إذا حكمت أولاً أنه بريء عن التغيير... إلى آخره، وأنهما فيه واحد، فكيف تقول أخيراً بأنهما اعتباران يعتبرهما العقل، وهو حادث؟ فالله أول، ولا اعتبار ولا معتبر، ولا [حرف] (٣) ولا صوت، وما تظنه في اعتبارك ليست الأولية فيه عين الأخرية، إذ ملاحظة الوجود أولاً غير ملاحظة الفناء أخيراً.

مع أن قولك: «بعد فناء الأشياء» (٤)، كأنه متوهم رجوع الأشياء إلى الفناء المحض، وستسمع بطلانه إن شاء الله تعالى في موضعه.

وأيضاً هذه الأولية والأخرية يمكن كونها في الممكن، فحصل الاشتباه، وكأنه متوهم

(١) ليست في «ب».

(٢) «شرح المازندراني» ج ٤، ص ١٣، باختصارٍ ما، صححناه على المصدر.

(٣) في «ب»: «ولا خوف».

(٤) يعني قوله: «وأخر باعتبار رجوع جميع الأشياء، وبفائه بعد فنائها». انظر: «شرح المازندراني» ج ٤، ص ١٣.

أن الآخرة له حال وجود العالم ليست حاصلة، فإذاً ليست حينها، إلا أن يقول: نعم، حينها في ذهني واعتباري، كما هو اللازم من جعلها اعتبارية، فإنها - حينئذٍ - من المعقولات الثانوية، وهي مخلوقة لنا مردودة علينا، تعالى الله علواً كبيراً.

ولو تأمل في قول الإمام عليه السلام: (ولكن قديم) ... إلى آخره، لم يعقل هذا القول، فما ذكره ممّا هو يعقل، وهو صفة المخلوقين، ولكن فليت عليهم كلمات أهل الكلام وخيالات أهل النظر، فقال بذلك، والجواد قد يكبو، وإلا فإننا نبرئ الامامية من الاعتقادات الباطلة، والإنسان محل النسيان.

وما نقله^(١) عن علي عليه السلام من أحد خطبه: (الحمد لله الذي لم تسبق له حال حالاً، فيكون أولاً قبل أن يكون آخراً، ويكون ظاهراً قبل أن يكون باطناً)^(٢) يبطل ما لفته في معنى الأوليّة، وأنها اعتبارية، فإذا حكم بأن ذاته وصفاته الكمالية لا يلحقها من الزمان وصفاته شيء، وكذا التغيير، كيف يقول ذلك؟ إلا أن يقول: إن الأوليّة ليست من صفاته الكمالية، [الذاتية بمعنى (...)]، بل إضافية مطلقاً^(٣) فيخالف النصوص والعقل، وإن الاعتبار ليس من صفات [الحادث]^(٤) وليس هو بحادث، وهو منزّه عن ذلك.

أمّا ما قاله الفزالي في تفسير الأسماء الحسينية^(٥)، فيطلانه أظهر من أن يشار له، بعد الإحاطة ببعض ما سمعت، مع أنه أحط قدراً من أن ننقل له كلاماً.

فائدة في العيون، مسنداً عن أحمد بن سليمان، قال: سألت رجل أبا الحسن عليه السلام، وهو في الطواف، فقال له: أخبرني عن الجواد، فقال: (إنّ لكلامك وجهين: فإن كنت تسأل عن المخلوق، فإنّ الجواد الذي يؤدي ما افترض الله تعالى عليه، والبخيل من يخل بما افترض الله تعالى عليه. وإن كنت تعني الخالق، فهو الجواد إن أعطى، وهو الجواد إن منع؛ لأنه إن أعطى عبداً أعطاه ما ليس له، وإن منع منع ما ليس له)^(٦).

ولا يخفى أنه معنى الغني المطلق.

(١) «شرح المازندراني» ج ٤، ص ١٤.

(٢) «نهج البلاغة» المطبوعة: ٦٥.

(٣) من «ب».

(٤) في «ب»: «الحادثات».

(٥) انظر: «المصباح» للكفعمي، ص ٤٢٩.

(٦) «عيون أخبار الرضا» ج ١، ص ١٤١، ح ٤١، صحّته على المصدر.

□ الحديث رقم ﴿٧﴾

قوله: ﴿عن أبي^(١) [هاشم]^(٢) الجعفري، قال: كنت عند أبي جعفر^(٣) الثاني، فسأله رجل، فقال: أخبرني عن الرب تبارك وتعالى، له أسماء وصفات في كتابه؟ وأسماء وصفاته هي هو؟﴾.

أقول: رواه الصدوق في التوحيد مسنداً، هكذا: «حدثنا علي بن أحمد بن محمد بن عمران الدقاق^(٤)، قال: حدثنا محمد بن أبي عبد الله الكوفي، قال: حدثني محمد بن بشر، عن أبي هاشم الجعفري، قال: كنت... الحديث^(٥)، وروي في الاحتجاج^(٦) أيضاً. وغرض السائل أن الواجب له أسماء وصفات، كما هو الظاهر من الكتاب المتفق عليه والسنة، وهي كثيرة، وأسماء وصفاته هي هو بلا خلاف، فكيف يكون الحال وبيانه، وهي متعددة، وهي عينه؟ مع أنه أحدي محض، أو أنه قال ذلك على سبيل الإخبار والاعلام للتصحيح، ولذا قال الامام^(٧) بعد: إن لكلامك معنيين ووجهين، وإن كان أحدهما له معنيان أيضاً كما ستسمع، ولكنهما مندرجان في وجه، قال الإمام^(٨) أولاً: لكلامك وجهان، والوجه الأول أرجح بدليل قوله: «أخبرني»، ويحتمل الاستفهام، أي أسماء عينه أم لا؟ وحذف لدلالة المقام.

وفي نسخة التوحيد: (فأسماءه) لكن باقي الرواية تنفي الاستفهام عن أسمائه، والاستفهام عن التعدد مع [العينية]^(٩)، مع احتمال.

قوله: ﴿فقال أبو جعفر^(١٠): إن لهذا الكلام وجهين، إن كنت تقول: هي هو، أي أنه ذو عدد وكثرة، فتعالى الله عن ذلك﴾.

(١) في المصدر: محمد بن أبي عبد الله، رفعه إلى أبي.

(٢) «التوحيد» ص ١٩٣، ح ٧، صححناه على المصدر.

(٣) في النسختين: «هاشم».

(٤) في النسختين: «الغيبة».

(٥) «الاحتجاج» ج ٢، ص ٤٦٧.

أقول: غير خفي لزوم كثرة فيه، ولو اعتباراً، وهو باطل؛ لأنه أحدي [مطلقاً] (١) [من كل جهة] (٢) ولا تختلف فيه الجهات، ولا تحل به الاعتبارات، وقد سبق مبرهنياً في الباب السابق والأول وغيرهما. وتوجب التغيير فيه تعالى، وكون وحدته عددية وغير ذلك، فلا يصح القول بأنها هو بهذا المعنى والتأويل، [بل] (٣) عند التأمل بأدنى فكرة لا تكون الصفات - حينئذ - هي هو، لاستحالة كون الجزء هو الكل، فلا يصح إطلاق هذه العبارة.

قوله: ﴿وإن كنت تقول: هذه الصفات والأسماء لم تنزل، فإن «لم تنزل» محتمل معنيين، فإن قلت: لم تنزل عنده في علمه، وهو مستحقها، فنعم، وإن كنت تقول: لم يزل تصويرها وهجاؤها وتقطيع حروفها، فمعاذ الله أن يكون معه شيء غير».

أقول: لا تتوهم من قوله **﴿لم تنزل﴾** (عنده في علمه) أن هناك علماً ومعلوماً، بل هو (عالم إذ لا معلوم) كما مرّ لك أول باب الصفات الذاتية (٤) [وما بعده يبطله] (٥)، ويأتي في الكلام على علمه بذاته وغيرهما، ومنها يظهر لك معنى كون صفاته حين ذاته، بل المراد أنها ذاته مطلقاً. وإن أردت الأزل الإضافي، فالمراد بها الصفة الكلية الأولية الحادثة، وهي عنده في ملكه، لم تخرج عنه، فلا دلالة على أن فيه ضميراً أو ممة قديم.

وفي خطبة الرضا في الميرون، وفي غيرها أيضاً: (له معنى الربوبية إذ لا مروب، وحقبة الإلهية إذ لا مألوه، ومعنى العالم ولا معلوم، ومعنى الخالق ولا مخلوق، وتأويل السمع ولا مسموع، ليس منذ خلق استحق معنى الخالق، ولا بإحداثه البرايا استفاد معنى البرائية، كيف ولا تغيبه «مذ»، ولا تدنيه «قد»، ولا يحجبه «لعل»، ولا توقته «متى»، ولا يشتمله «حين»، ولا تقاربه «مع»، إنما تحدد الأدوات أنفسها، وتشير الآلة إلى نظائرها، وفي الأشياء يوجد

(٢) من «ب».

(١) ليست في «ب».

(٣) من «ب».

(٤) «هدي العقول» ج ٥، باب صفات الذات، ح ١، وفيه: (والعلم ذاته ولا معلوم).

(٥) ليست في «ب».

أفعالها) (١) ... إلى آخره.

فتأمل في الكلمات العلية، والأنوار الإلهية القدسية، المطوية في الحروف الرقمية، وهذا جارٍ في [جميع] (٢) صفاته الذاتية، ولو كان استحقاقه لها إنما هو بعد إيجاده للموجودات الإمكانية، والصفات الإضافية، واللمحات الاعتبارية، لزم استفادته من البرائية، وتداخله الصفات الزمانية، والحالات التغييرية الانتقالية، وجميع ذلك باطل عقلاً ونقلاً. فوجب تنزيهه عن جميع ذلك، ولذا أردفه ﷻ بقوله: (وهو مستحقها).

فمعنى كونها عين ذاته هي كون الذات على ما هي عليه في أزل الأزال، فهي منشأ كمالها لذاتها بذاتها، لا بجهة أخرى بوجه أصلاً، حتى الاعتبار، فلا صفة وموصوف بوجه أصلاً، ولآجاء الالئينية؛ لدلالة كل صفة أنها غير الموصوف وبالعكس، فيلزم تحديده وتعيينه.

فكمال توحيده نفي الصفات عنه ولكن لا نفي تعطيل، تعالى الله، كيف وحقيقته الكمال، والكمال ذاته؟ ولكن حيث لم تكن مغايرة بوجه أصلاً، ولا فيه جهة كثرة - كما سمعت - وليس معه شريك بوجه أصلاً، كما سمعت وستسمع، فلا يقال. صفة وموصوف، بل ذات هي صفة وبالعكس، قصارى الأمر يلزم أطراح معنى اللغة، حيث ثبت فيها أن الصفة غير الموصوف، لبطلانه في الواجب واستلزامه التشبيه، بل نقول: هي لغة، لما ثبت له الصفة، لا ثبوت أمر لأمر، فلا محذور.

وأما قول جماعة من العلماء، من أن صفاته عين ذاته، وغيرها اعتباراً - كما سمعت (٣) في إبطال مذهب الأشاعرة بإبطال زيادة الصفات - فباطل عقلاً ونقلاً، ومثل ذلك مع الجواب عما ألجأهم إلى ذلك، وهو ما تصوروا من اختلاف معاني الأسماء والصفات، ومن [الحمل] (٤)، وهو ما يقتضي المغايرة، ومن الحاجة إلى إثبات الصفات بدليل غير دليل الذات.

وهو الذي الجأ الأشاعرة إلى المغايرة الذاتية، فهؤلاء لما رأوا عظم الشناعة، دفعوا المغايرة الذاتية وأثبتوا الاعتبارية، محافظة على ما ألفوا من القواعد اللغوية، من مغايرة

(١) «هيون أخبار الرضا» ج ١، ص ١٥٢، ح ٥١، صحته على المصدر.

(٢) من «ب» . (٣) انظر: «هدي العقول» ج ٥، باب صفات الذات.

(٤) في «أ»: «الحمل» .

المفاهيم، وتصحيح جهة الدليل والحملية. أو لا [علموا]^(١) تنزيهه تعالى من الجهات الاعتبارية واجب عقلاً؟ وأن فيما اعتبروه وأجروه تشبيهاً بالمحدثات الإمكانية، بلزوم الكثرة في الحقيقة الواجبة إن طبقت، أو لزوم الكذب والحكم عليها بما لا يصل لها، ومرر لك البيان.

مع أن جهة اختلاف المفاهيم إنما هو من جهة الدليل الدال عليه، وهو غيره، بل مفاهيم الصفات الذهنية هي من أنوارها المفاضة على الممكنات - على مراتبها - والنسب المتعلقة، وليس قيامها بالواجب إلا قيام المعلول بالعلّة، لا بالحلولية ولا العروضية ولا الموصوفية، بل عارضة لنا، إذ الحادث له الصفة الحادثة، [وأجراه]^(٢) موجوده؛ لدعوتنا، ولنعرّفه بها وندعوها بها، كما نعرّفه بسائر الموجودات.

ولا يلزمنا كون إثبات الصفات له حينئذ مجازاً لغوياً، فيصح السلب، [وكذا]^(٣) كيف وهي ذاته؟ وهي أحق الأشياء بالتحقيق، فلا يصح السلب، بل يكون حكم الذات والصفات واحداً.

وإن رمت أن تثبت له معنى مغايراً بوجه، فلا اثنين، بل ليس إلا النفي، وليس [هو]^(٤) حينئذ نفياً للحقيقة، بل للزيادة، حتى الاعتبارية الذهنية. فتدبر وتأمل في كلماتهم البرهانية.

وإن أبيت إلا الملاحظة الاعتبارية، قلنا: هي حادثة، وهي اعتبار مظاهر الصفات وأنوارها، التي هي أنوار الذات، وليست هي التي عين الذات، فإن للصفات ثلاث اعتبارات - كما مرّ في باب العلم - وليس الذاتي منها إلا واحداً، وهو مجهول الاكتناء، قل ما تشاء تغلب.

هلن أنا نقول لك: ليس مرادنا من قول: صفاته عين ذاته، وقولنا أيضاً: وجوده عينها، ممّا مائل هذه الألفاظ، أن ثمّ اثنين بوجه، هما شيء واحد، أو هي نفسه، أن نفسه بعض منه كحال الممكن، ولكن هذه العبارات لدفع الزيادة والمغايرة.

وقصارى العبارة في دفع ذلك والتعبير عنه ذلك، وإلا فليس المرجع إلا إلى الله الأحد

(١) في «ب»: «عم أنه» وفي «أ»: «عملوا» .

(٢) في النسختين: «وبجراه» .

(٤) من «ب» .

(٣) ليست في «ب» .

السميع البصير العليم، بلا اختلاف [في] ^(١) الذات والمعنى، وهو أجلّ ممّا تؤدبه الحروف ومفهوماتها، فليس للصفات مصداق غير الذات بوجه، وليس وجودها الرابطي الذي هو الانطباق، أو كونها بمعنى المعلوم والمسموع [بالذات] ^(٢)، بل دال عليها، وموجود متأصل بتأصل حقيقتها، مفتر له .

أما قول شارح المواقف، لمّا أبى عن أن يحكم على الواجب بغير ما يفهمه من نفسه - وأبى إلا المقايسة بالشاهد، فإنّه سبب كل ضلال - قال: «كيف يتصور كون الصفة عين الحقيقة الموصوفة، مع شهادة كل واحد من الموصوف والصفة بالمغايرة لصاحبه، وهل هذا إلّا كلام مخيل كسائر المخيلات! فلا حاجة إلى بيان بطلانه» ^(٣).

أقول: بل لا حاجة إلى بيان بطلان كلامك، وما شاهدت حق في الشاهد، لكن ليس بجار في الواجب، وإلّا لزم تعطيله ذاتاً من الكمال وغير ذلك، كما مرّ لك في إبطال مذهب الأشاعرة.

ونحن لا نقول: إنّ هنا مصداقاً للذات، ومصداقاً آخر للصفات، أحدهما عين الآخر، كما خيّل لك شيطان وهمك الساري فيك، كما عرفت وأوضحت، فذاته بذاته كافية في كمالها، غير محتاجة إلى ملاحظة جهة زائدة بوجه أصلاً، كما في الممكن المفتر.

ولا يلزم أيضاً، ممّا قرّرناه، كما توهمه ملا خليل في حاشية العدة ^(٤) وغيره: أنّ مرجع العينية إلى نفي الصفات وإثبات نتائجها، بل كيف تنفي وتثبت النتائج؟ إلّا أن يريد بالنفي كما قلناه، كيف والاتحاد - كما ظنّه صاحب المواقف من تخيّل - باطل؟ بل هو في نفسه مستحيل، فليس معنى العينية كحمل تمام الحقيقة النووية على أفرادها، ولا أنّ لها فرداً في ذاته تعالى، ويكون إطلاق المشتقات منها عليه إطلافاً لغوياً، وهي محمولة مواطاةً عرضياً، ولا أنّ فرداً ذاته، وإطلاق المشتقات عليه مجاز، وحملها مواطاةً حقيقي، ولا أنّ للمفهومات اعتباراً في القدم مغايراً، وإن لم يكن موجوداً، إلى غير هذه الهوسات الباطلة والتعمّلات الوهمية العاطلة، بل كما حققت لك في غير موضع .

قال المحشّي ملا ربيع رحمته عليه: «وإن كان أن هذه الأسماء والصفات له سبحانه لم تزل، فإن

(١) ليست في «ب» . (٢) في «أ»: «بالذات» .

(٣) «شرح المواقف» ج ٨، ص ٤٧، باختصار، صححناه على المصدر.

(٤) «حاشية عدة الأصول» مخطوط برقم: ١١٤٠، الورقة: ٦٧، من «شرح المواقف» ج ٨، ص ٤٧.

قلت: لم تزل هذه له بوجودها العلمي الظلي في علمه سبحانه، ولم يزل هو - بحيث إذا حُرِف حُرِف مستحقاً له - فنعم.

فإن قلت: لم يزل تصويرها، أي ثبوت حقائق الأسماء والصفات وهجاؤها، أي شكلها، أو تقطيع الكلمات بحروفها.

إلى أن قال: «يلزم أن يكون مع الله موجود هيني مغاير له، غير مسبوق بالعدم، ومعاذ الله أن يكون معه شيء مغاير له هيناً غير محدث، ولا كذلك الظليّات، فإنه لا تأصل لها في الوجود، حتى تكون موجودة ذاتاً، ومخرجة من العدم إلى الوجود، بل توابع»^(١).

أقول: ولا خفاء في بطلانه، إذ صريح العبارة [الزيادة]^(٢) وعدم صحة (عالم إذ لا معلوم) فإما أن يكون فيه ضمير، أو يقول بأن الثبوت أهم من الوجود، كراي أهل الأحوال^(٣). ومعاذ الله، ليس في رتبة أزل الأزال غير الذات، وما سواها مخلوق لها حادث، لا وجود له في رتبة الأزل، وبطلانه ظاهر كما سبق.

وإن أريد بالعينية - وأنها لم تزل الصفات - ما عرفت، فحق، ولا يلزم منه محذور أصلاً، ولا ثبوت كثرة بوجه.

وإن كنت أيها السائل تريد بقولك: لم تزل، أنه لم يزل تصوير مفهوماتها أو مصدقات لها آخر، وهو مع الذات، كقول الأشاعرة وأهل الأحوال، أو تقطيع حروفها قديماً، كمن قال بقدّم القرآن، وهو هذه الحروف المسموعة، ولا معنى لها، بنفسها - كما أثبتته الأشاعرة^(٤) - وهذا رأي الحنابلة^(٥) منهم، ومزّ بيان بطلانهما في صفة الكلام^(٦)، فمعاذ الله أن يكون معه شيء غيره، معلوماً أو مجهولاً.

وإرادتك من «لم تزل معه» أن معه شيئاً آخر يستلزم إثبات شريك معه في القدم، وهذا باطل عقلاً ونقلاً، مع لزوم كون لصفته حد محدود وأمير معدود، ويلزم كونه ذا كيفية، إلى

(١) «حاشية ملأ رفيع على الكافي» مخطوط برقم: ٣٧٨٤، الورقة ١٠٢، باختصار، صححناه على المصدر.

(٢) في «أ»: «الزائدة». (٣) انظر: «مطلع الخواص» ج ٢، ص ١٩٣.

(٤) انظر: «شرح المواصف» ج ٨، ص ٩٣، «شرح المقاصد» ج ٤، ص ١٤٤ «شرح تجريد الاعتقاد» للقوشجي ص ٣٥٤.

(٥) انظر: «شرح المواصف» ج ٨، ص ٩٢، «شرح المقاصد» ج ٤، ص ١٤٤ «شرح تجريد الاعتقاد»

(٦) «هدى العقول» ج ٥، باب صفات الذات. للقوشجي ص ٣٥٤.

غير ذلك .

فبطلت الثلاثة وجوه، وتعيّن أوّل وجهي الثاني، وهو الحق الموافق للعقل - الصافي من الغير - والنص، وقُفّ ولا تتوهم في ذاته الغير، وجولان الفكر ولحظات النظر، وتروم اكتناه الذات أو تعقلها أو تكيفها وتمثلها من حيث لا تشعر، فلا تزداد إلاّ بعداً وقصوراً .

قوله: ﴿بل كان الله ولا خلق، ثم خَلَقها وسيلةً بينه وبين خلقه، يتضرّعون بها إليه ويعبدونه، وهي ذكره، وكان الله ولا ذكر، والمذكور بالذكر هو الله القديم الذي لم يزل، والأسماء والصفات مخلوقات، والمعاني والمعنى بها هو الله تعالى، الذي لا يليق به الاختلاف ولا الائتلاف، وإنما يختلف ويأْتلف^(١) المتجزئ، فلا يقال: الله [مؤلف، ولا الله]^(٢) مؤتلف، ولا: الله قليل ولا كثير، ولكنه القديم في ذاته، [لأنّ ما سوى]^(٣) الواحد متجزئ، والله [واحد]^(٤) لا متجزئ، ولا متوهم بالقلّة والكثرة، [وكل متجزئ أو متوهم بالقلّة والكثرة]^(٥)، فهو مخلوق دالّ على خالق له .

[أقول:]^(٦) من المعلوم عقلاً ونقلاً أن الله أحدي الذات والمعنى من كل وجه، ولا يزيد وجوده على ذاته بوجه، ولا [أزله]^(٧) ولا معه غيره بوجه أصلاً، ولا حاجة إلى اسم معه، وما سواه عدم عنده، بغير عدمية، بل بمعنى عدم تحقق لغيره، إلاّ تحقّقه في مرتبة إمكانه، فلمّا أوجد الخلق بفعله، وألقى فيهم هوية معرفته - معرفة دلالة، لا معرفة إحاطة - سألوه وطلبوا منه، وعبدوه بالسنة مختلفة، ولغات متعدّدة .
فخلق لهم أسماء وصفات، بما ألقى في هوياتهم، بواسطة رسله، أسماء وصفات يعبدونه بها ويذكرونه، وكلّها صفات وأسماء أفعال، تفيد الدلالة لا الاكتناء، وهي ذكر له

(٢) ليست في المصدر .

(٤) في «أ»: «الواحد» .

(٦) في «ب»: «قوله» .

(١) في المصدر: (وتألف) .

(٣) في النسختين: «وما سواه» .

(٥) من «ب» والمصدر .

(٧) في «ب»: «أزل له» .

في كلِّ مقام، من الذكر الأوَّل وما بعده، فهي تدلُّ عليه بجهة وجودها الظهوري الدال، لا بما لها بحسب الذات والحدود وغيرها، وأنَّه تعالى لا يعرف بمجانسة ولا بمشابهة ولا بمماثلة، ولو لم تكن مخلوقة حادثة تدلُّ عليه دلالة ظهورية، لإحاطة شهودية، لزم تعدد ذاته تعالى؛ لتعدد ما وتعدد مفاهيمها.

فالعلم دون مفهوم القدرة، وكذا السمع والبصر والرحمة وغيرها، ولا تتعدَّد الذات، ولا يكون فيها تجزؤ واختلاف واتلاف، فلزم كونها من مقام الحدوث، ومن أسماء وصفات الفعل، لا الذات.

وهو أيضاً يوصف بالمتقابلين في المتقابلين منها، وبالخلو منهما وبجميعهما، وهو دليل أنها صفات أفعال، لا ذات.

وأيضاً كلها محدودة بحسب اللفظ والمعنى المفهومي، وكلُّ محدود مخلوق، فلا يكون مع القديم، ولا يصدق عليه صدق إحاطة، فإله من كمال رحمته وإتقانه صنعه - لَمَّا كان في فطرة الخلق الاضطرار إلى صانع غني مطلق، وفيهم الفقر، بل هم أهل الفقر إليه - جعل فيهم دلائل أسمائه وصفاته، وأوضحها لهم ليعرفوه بها، ويدعوه بلسان حالهم ومقالهم، ولولا ذلك ما عرفوا توحيده وعظموه، فلا يلحد في أسمائه، ويقام الدال مقام المدلول، ولا المعلول في مرتبة العلة.

ولابد وأن تكون الأسماء والصفات تدلُّ عليه كسائر الآثار، لوجوب دلالة الأثر على مؤثره، وهو يبطل الأثر ويرجب خالقاً آخر، وليس كذلك.

والواقع أيضاً دلالتها على غيرها، لا على نفسها، فليست هي بمعبودة، ولا مسمَّى وموصفاً، فوجب أنَّها خلقت لنا للتوجُّه بها في دعاء أو نداء وغير ذلك، فنعبده بإيقاع الأسماء عليه، بأسمائه وصفاته، كما بين، لا لكونها معه ولا من دونه، كما سبق في المجلد السابق.

ومن البديهي أنَّ دلالة الاسم دلالة تعريف وصفي، يفيد معرفة رسم المسمَّى [ونسبته الظاهرة، لا الإحاطة، فلا يكون معه قديم في الأزل، أو فيه مستجنة أو لازمة، ومن غير أن يكون فيها أو يتحد بها أو يرى بها، إلا رؤية معرفة الدلالة، وذهب إلى هذه أهل الضلال، ومن لا علم له.

وأيضاً هذه الأسماء والصفات مؤلفة متجزئة مختلفة مؤتلفة، بحسب صفات الحروف

وأقسامها، وبحسب مفهوماتها، فتكون دلالتها على الحدوث ومحدثة، فكيف تدلُّ على القديم، وليس هو تعالى بهذه الصفات، إلا أن تكون دلالة تعريف بغير إحاطة، هي دلالة الاسم على رسم المسمى^(١) والصفة على الموصوف بجهة الوصفية، وتلاحظ ذلك من جهة وحدتها وظهور الدلالة، كما عرفت، لا من جهة الحدوث وصفاته.

فإذا لاحظت بها الدلالة على الذات، معرضاً - حينئذٍ - عن هذه الصفات والأحوال، [وجدتها]^(٢) دالة على الوجود والكمال، لا الإحاطة، وعرفت المجهول المطلق، بما تعرف لك بك، من المعلوم لديك وبينك.

وفي بيان الرضا عليه السلام لعمران، قال عمران: فأبي شيء عرفناه؟ قال عليه السلام: (بغيره) قال: فأبي شيء غيره؟ قال الرضا عليه السلام: (مشيئته واسمه وصفته، وما أشبه ذلك، وكل ذلك محدث مخلوق مدبر)^(٣).

بيان: جميع ما سواه أسماؤه وصفاته الدالة [عليه]^(٤)، وما يعرف بذاته ممكن، والواجب بذاته لا يعرف إلا بغيره، ولا تكون إلا مغايرة صفة لا مغايرة عزلة، فلا يكون بينه وبين غيره من خلقه نسبة ورابطة بوجه، مع صدوره عنه، والمناسبة شرط، مع تنزه الذات عن النسب والأخبار، لكنه تعالى خلق الخلق بالمشيئة، وهي فعل محدث، وهو ظهوره به، والمناسبة بينه وبين الأثر، والذات منزّه.

ومعرفته ودهاؤه ونداؤه بها، وهي غيره، لا ينافي عدم الربط والمناسبة بوجه، فإنه لو كان مباينة عزلة لا مباينة صفة، ودلالة الأسماء مطلقاً عليه - بحقائقها، وجميع حالاتها - دلالة تعريف، وحاجزة عن الإحاطة، فدلُّ أيضاً على عدم المناسبة والربط، وبهذا بطل كلام الملا وتلامذته وأمثالهم، في كثير من مسائل التوحيد.

ومعنى: (يا من دلُّ على ذاته بذاته)^(٥) أي بظهور ذاته، فلم يدل عليها بغيرها، وهي دلالة تعريف، وعندهم عليه السلام: (صفة استدلال عليه لا صفة كشف).

ولو دلت هذه المعرفة - بالأسماء والصفات - على الإحاطة، أو المناسبة والارتباط، لم يقع فيها تزايد ومراتب، ولما كانت مغايرة صفة؛ لأنها كالشمس وشعاعها، ولا نسبة بينهما

(١) من «ب».

(٢) في النسختين: «وحدها».

(٣) «التوحيد» ص ٤٣٣، ح ١، «عيون أخبار الرضا» ج ١، ص ١٧١، ح ١.

(٤) ليست في «ب».

(٥) «الصحيفة العلوية» ص ١٧.

ورابطة، ولا دلالة إحاطية.

نعم، ومما [عَلِمَ] ^(١) عقلاً ونقلاً أَنَّ الله تعالى لا يوجد لخلقه، ولا عندهم بحقيقة، [وإنما يوجد] ^(٢) بصفة الدلالة، فلا ذكر للأثر عند الذات بوجه أصلاً، فلا تكون الأسماء والصفات معه أو فيه، أو مباينة عزلة.

ولا حقيقته تعالى حقيقة الخلق بغير مباينة، وإنما المباينة في صفة الوجود والإمكان العارضين، وليس الذات من حيث هي إلا الذات - كما فسّر الصدر به بينونة الصفة الواردة في كلام علي ^(٣) - فإنه باطل، بل بينونة الصفة كما عرفت.

وإذا تجلّبه صفاتي، وهو ظهوره للغير، لا يكون الغير قديماً، ولا ذكر للصفة عند الموصوف، بل الأشياء جميعاً عنده تعالى لا ذكر لها بوجه، إلا العدم، بمعنى عدم استحقاق الوجود إلا في مرتبتها، وهو معنى عدمها من غير ملاحظة عدم في مقام الذات، ويجب من ذلك أن لا يكون له ثانٍ في القدم، وإلا لما اختص به، وتجزأ، فيكون ممكناً.

وفي كلام الرضا ^(٤) لعمران الصابي، لما قال له: يا سيدي ألا تخبرني عن الله عز وجل، هل يوحد بحقيقة أو يوحد بوصف؟ قال ^(٥): (إن الله المبدئ الواحد الكائن الأول، لم يزل واحداً لا شيء معه، فرداً لا ثاني معه، لا معلوماً ولا مجهولاً، ولا محكماً ولا متشابهاً، ولا مذكوراً ولا منسياً، ولا شيئاً يقع عليه اسم شيء من الأشياء غيره، ولا من وقت كان، ولا إلى وقت يكون، ولا بشيء قام، ولا إلى شيء يقوم، ولا إلى شيء استند، ولا في شيء استكن، وذلك كله قبل خلقه الخلق، إذ لا شيء غيره، وما أوقعت عليه من الكل فهي صفات محدثة وترجمة يفهم بها من فهم) الحديث ^(٦).

القول: بيان ما فيه ظاهر ممّا سبق وفي بعض النسخ: (يوجد) - بالجيم المعجمة - وفي بعضها (يُوحد) - بالحاء المهملة - والمثال واحد.

قوله: ﴿فقلولك، إن الله قدير، خبّرت أنه لا يعجزه شيء، فنليت

(١) من «ب».

(٢) في «أ»: «وان يوجد» ولي «ب»: «وان لم يوجد».

(٣) «الاحتجاج» ج ١، ص ٤٧٥، وفيه: (وتوحيده تمييزه من خلقه، وحكم التمييز بينونة صفة لا بينونة عزلة).

(٤) «التوحيد» ص ٤٣٥، ح ١، «ميرن أخبار الرضا» ج ١، ص ١٧٢، ح ١، صحّناه على المصدر.

بالكلمة العجز، وجعلت العجز سواء، و[كذلك] ^(١) قولك: عالم، إنما نفيت
بالكلمة الجهل، وجعلت الجهل سواء، وإذا أفنى الله الأشياء أفنى الصورة
والهجاء والتقطيع، ولا يزال من لم يزل عالماً.

أقول: لمّا نفى عن الله تعالى - سابقاً - الاختلاف والائتلاف، والمشابهة والمشاركة،
ونحوها بجميع الأنحاء، أراد أن يدفع إشكالاً يرد هنا، يتشعب إلى شعب من جهة
[وصفنا] ^(٢) الله بالعلم والقدرة والسمع والبصر ونحوها، وجعله مفرّحاً على ما سبق، وإن
حرف ممّا سبق.

فقال: إنّنا إذا وصفناه بالعلم والقدرة، فليس المراد منه وصفها بالمفهوم وهو معه، أو
الحروف، ولا أنّه بما نجده من معنى صفة العلم فينا والقدرة، فإنّه تشبيه، ولا يُعرف الله
بصفات خلقه، بل بما أظهر فيها من الصفة الدالة [عليه، وهي صفة فعل، لا صفة ذات،
فنعرف صفات فعله الدالة بصفات] ^(٣) فعلنا، وفعلنا أثره الذي خلقه الله به.

ولم يتعرّف لنا بذاته، ولا بصفاته الذاتية؛ لأنها حينها، كما عرفت، بل بصفة الدلالة
الفعلية، فنعرفه بصفة الفعل، بحسب الدلالة، فإذا نظرنا إلى آثاره التي خلقها بفعله، وجدنا
الموصوف بالعلم يوصف بنفي الجهل، وبأنّه أيضاً عالم ليس بجاهل، فوصفنا الصانع
بالعلم ونفي الجهل؛ لخلق العلم فينا، وكذا في القدرة والحياة؛ لأنه أحدث الحياة فينا، كما
أن وجودنا دلّ على أنه موجود، وأنّا لم نوجد من عدم، وليس ما [عرّفنا] ^(٤) بصفات أفعاله
الدالة، بما عرّفنا في أنفسنا، هي ما عليه كنه ذاته؛ لأنها إنّما تدل على صفات الفعل، وهي
ظهوره، لا على الذات، بل بما ظهر لنا به، وهو بفعله، ولا نطبق معرفة ما لم يتبيّن لنا به فينا،
والله - بحسب ذاته - منزّه عن الفعل وصفاته، وعن الوصف والتوصيف والعبارة والتعبير،
لم يزل عالماً قادراً، وهو على ما كان لم يزل، ولم يتغيّر، سبحانه وتعالى عمّا يصفون.

قال الرضا ^(٥): (أسمائه تعبير، وأفعاله تفهيم) ^(٥) فعبر بها لنا وفهّمنا بها، وعرّفنا نفسه
بها، لندعوه ونعبده وتوسل إليه، والله أكبر وأجل من أن يوصف بها، إلّا بما بيّن لخلقها.

(١) في النسختين: «كذا».

(٢) في «ب»: «وصف».

(٣) ليست في «ب».

(٤) في «أ»: «من أفعال».

(٥) «عيون أخبار الرضا» ج ١، ص ١٥١، ح ٥١، بتفاوت يسير، صحّحناه على المصدر.

فلا تتوهم - من قول الإمام هنا، وفي نظائره - أن حقيقة صفاته الذاتية هي ما نعرفها، أو أنه هو السلب، أو الغاية منها السلب ليس إلّا، فإنه ضلال وجهل، كما عرفناك.

ولمحمد صادق في شرح هذا الحديث هفوات، لا يحصى ظاهرها، قد جمعت أنواعاً [-] من التشبيه والتعطيل وغيره، وفي نقله تطويل، فلنكتف بأخر ما قاله، وهو كاشف عن غيره.

قال: «وقوله ﷻ: (وإذا أنشئ الله الأشياء)... إلى آخره، ظاهره، والعلم الذي هو عين الذات، العلم بذاته، والعلم الذي هو بالنسبة إلى مخلوقاته تعالى هو وجوداتها، فهو من المخلوقات.

وإن وجودات الأشياء، على طريقة المحققين أهل المشاهدة، إذا كان هو الوجود من حيث إنه وجود مع قيد التعمين، فلا يخرج من كتم العدم إلى الوجود إلا تعيناته، فكل وجود مخلوق خارج^(١) من العدم إلى الوجود باعتبار التعمين.

وأما بذاته من حيث إنه وجود بلا قيد التعمين، فليس بمخلوق، فيصدق على مجموع الوجود والتعمين أنه خارج من العدم إلى التعمين بسبب أحد جزئيه، وهو التعمين.

أقول: كله ضلال، ونقول: إذا كان وجود الأشياء هو وجود الله من حيث هو وجود عند المحققين - ويعني بهم أهل التصوف - والتعمين اعتباري هو الإمكان، كان علمه بذاته وبالأشياء واحداً، وإن تغايراً اعتباراً، فلا هجرة به، كعلمه بذاته عندهم.

والمخلوق - على قوله - مخلوق من وجه، لا بحقيقة وجوده بلا قيد، [بل]^(٢) المخلوقية من جهة القيد اللاحق لوجود الله، فخروجه وتعمينه من أحد جزئيه، وهو قائم بذات [الله]^(٣)، وهو حد قائم به، فكل ما سواء محدود، فقد [ضاع]^(٤) بهذا التوحيد، والخالفية والمخلوقية، ولم يتمايز الوجود من الإمكان إلا تمايزاً مفهوماً، باعتبار المفهوم الطارئ عليه تعالى، بسبب القيد اللاحق لوجود الواجب، فالممكن هو الله مع هذا التعمين الاعتباري الموهوم، وكل ذلك [-] نعوذ بالله منه.

لقد اتضح لك بذلك الصفات، وجهة دلالتها ومبدأ اشتقاقها والغاية منها، وأنها صفات

(٢) ليست في «ب».

(١) في «ب»: «وخارج».

(٤) في «ب»: «ضاق».

(٣) من «ب».

فعلية مشتقة من فعله حادثة، ومن جهة الدلالة والبساطة تدل عليه، لا من جهة التركيب والهيئة والمحل، وبرحمته ولطفه أحدثها لخلقها، وسيلةً يتضرعون بها، فلا ترجع لذاته تعالى. نعم، المعني [بها] ^(١) هو عز وجل سلطانه كما عرفت.

أراد ﷻ أن يبين له المراد من إطلاقها بالنسبة لنا، وإن كان ظاهراً مما سبق من كلامه ضمناً، فقال: فقولك: إنه تعالى قادر - أي إذا وصفت الله بالقدر، وأطلقت عليه لفظ: (قادر) - ليس المراد أن هذه الحروف معه أو مفهومها المتعقل، أو معه تعالى ذاتاً أخرى قديمة دالاً عليها بهذه اللفظة مثلاً، ولكن المقصود نفي العجز عنه لما ترى في علمنا، وهو صفة فعل تدل عليه، فلا تجعله هو؛ لاستحالته، بل لنفي نقص وإثبات مطلق الكمال كما عرفت، فأنت في قولك هذا أخبرت على أنه تعالى غير عاجز، لا أنك ^(٢) تمثلك، أو تمثلت صفته تعالى؛ لاستحالة ذلك.

وكذا قول: عالم، نفيت عنه الجهل، وجعلته غيره، لا أنك أثبت لذاته المفهوم المتعقل ولو كلياً، ولا جعلته عين ذاته، فهذا معنى هذه الألفاظ وباقي صفات الذات؛ [لا أن] ^(٣) المقصود بها أمر غير ذلك؛ فحاشاه عن التمثيل والتصوير، وعن التوهم والتحويل؛ لأن جميع ذلك غيره تعالى. فإذا (أفنى الله الأشياء) فإنها فانية ذاتاً، حال وجودها؛ إذ لا شريك معه في الوجود، وليس في رتبة أزل الأزال مجهول ولا معلوم - فناء انقطاع وعدم ذكر، لا فناء وجود في وجوده - [أفنى] ^(٤) أيضاً جميع الصور والمفاهيم، وكذا الحروف الهجائية المتجزئات المؤلفات، (ولا يزال) الواجب تعالى كما كان، فجميعها ليست براجعة له تعالى، بل لفعله، فكما كان الله ولا شيء معه، فهو الآن على ما كان، ولم يزل كما كان، كما سمعت نصاً وحقلاً. وليس التعليق على (إذا) إلا باعتبار ظهور ذلك للممكن، بحركته الوجودية الرجوعية، وقطع الأسباب الظاهرية، وسينكشف لك في المعاد إن شاء الله تعالى.

وتوهم الشارح المازندراني ^(٥) أن قوله ﷻ هذا بيان لحقيقة صفاته تعالى، فقدرته عبارة عن نفي العجز عنه تعالى مطلقاً، وتوهمه غيره - كما سبق - حتى قيل: إن صفاته راجعة للسلب، وتعالى الله، وكيف ترجع له وهي ذاته؟ فإما ترجع ذاته للسلب، أو يقال بالتعطيل،

(١) ليست في «ب».

(٢) في «ب» «لأنك».

(٣) في «أ»: «ونى»، وفي «ب»: «وتنقى».

(٤) في النسختين: «لأن».

(٥) «شرح المازندراني» ج ٤، ص ٢٦.

وقد سبق^(١) لك بطلان هذا التوهم مع الكلام على هذه الفقرة .
ولو تأمل في قوله ﷺ: (فقولك: إن الله قدير خبرت) لم يقل برجوعها للسلب، حتى إنه
بين التفريع بـ «أنه ﷺ لما بين قبل أن الله كان ولم يكن معه شيء، وأنه قديم أحدي، لا
يتجزأ ولا يأتلف، ظهر أن صفاته تعالى راجعة إلى سلب أضدادها عنه، لا إلى إثبات أمر
له، لمنافاة ذلك لجميع الأمور المذكورة»^(٢)، بل ما سبق يبطل قوله .

نعم، هو يبطل القول بأن معنى صفاته ثبوت أمر لآخر، كما هو رأي الأشعري والمعتزلي .
أمّا أنها حقيقة ترجع لذلك فلا، كيف وإثبات أمر لآخر - كما عرفت - أهم من ثبوته له
بنفسه لنفسه من كل وجه، أو بواسطة ثبوت أمر لها، والثاني هو الباطل والذي يلزم منه
المحذورات السابقة، ولكن [جره]^(٣) إلى ذلك ما صرح به بهمنيار في التحصيل^(٤)، ونسبه
للإمامية قاطبة، فأول الحديث وفهم منه ذلك .

وليس الأمر كما ظنه وتوهمه، بل مراد الإمام ﷺ: أنك إذا قلت: قادر، خبرت عنه
بسلب المعجز، وكونه كاملاً بذاته؛ [لا أنك]^(٥) تصورت له مفهوماً - أو أثبتته له - غيره تعالى،
فليست بأزلية، وهو تعالى لم يزل عالماً قادراً، فتفعلن فيما سبق يظهر لك ما في كلام ملاً
رفيع - أيضاً - هنا من التدارك، في بعض المواضع، وكذا كلام محمد أمين الإسترآبادي .

قوله: ﴿ فقال [الرجل]^(٦)؛ فكيف ستينا ربنا سيعاً؟ فقال: لأنه لا يخفى
عليه ما يدرك [بالأسماع، ولم نصفه بالسمع المعقول في الرأس، وكذلك
ستيناه بصيراً؛ لأنه لا يخفى عليه ما يدرك بالأبصار]^(٧) من لون أو شخص
أو غير ذلك، ولم نصفه ببصر لحظة العين ﴾ .

(١) انظر: «هدي العقول» ج ٥، الباب ١٢ - ١٣ .

(٢) «شرح المازنداني» ج ٤، ص ٢١، باختصار، صححناه على المصدر .

(٣) في النسختين: «جراه» . (٤) «التحصيل» ص ٥٧١ - ٥٧٢ .

(٥) في «أ»: «لأنك» . (٦) ليست في «ب» .

(٧) ليست في «ب» .

أقول: قد سبق لك بيان معنى سمعه وبصره، في أول باب صفات الذات^(١)، وأنها عين علمه الذاتي، فراجعه.

قوله: ﴿ [وكذلك]^(٢) سَمِينًا لَطِيفًا، لَعَلِمَهُ بِالشَّيْءِ اللطِيفِ، مِثْلَ البَعْرُضَةِ وَأَخْفَى مِنْ ذَلِكَ، وَمَوْضِعَ النُّشْرَةِ مِنْهَا، وَالعَقْلَ، وَالشَّهْوَةَ لِلسَّفَادِ، وَالْحَدَبَ عَلَى نَسْلِهَا، وَأَقَامَ بَعْضَهَا عَلَى بَعْضٍ، وَنَقَلَهَا الطَّعَامَ وَالشَّرَابَ إِلَى أَوْلَادِهَا، فِي الْجِبَالِ وَالْمَفَاوِزِ وَالْأودِيَةِ وَالْقَفَارِ، فَعَلِمْنَا أَنَّ خَالِقَهَا لَطِيفٌ بِمَا كَيْفَ، وَإِنَّمَا الكَيْفِيَّةُ لِلْمَخْلُوقِ الْمَكْتُوفِ ۝﴾

أقول: عَرَفَ ﷻ أَنَّ تَسْمِيَتَهُ تَعَالَى (لَطِيفًا)، لَا كَمَا يَتَوَهَّمُ فِي الْمُمْكِنِ، بِمَعْنَى لَطَافَةِ جِسْمِهِ، أَوْ لَتْنَاهِيهِ فِي الصَّفَارَةِ، أَوْ فِي الْإِدْرَاكِ، بَلْ (لَعَلِمَهُ بِالشَّيْءِ اللطِيفِ، مِثْلَ البَعْرُضَةِ وَأَخْفَى) كَصَفَارِ النَّمْلِ، وَدَيْبِيهَا فِي اللَّيْلَةِ الظُّلْمَاءِ عَلَى الصَّخْرَةِ الصَّمَاءِ، وَكَذَا أَدْنَى الْخَطَرَاتِ، وَيَعْلَمُ أَيْضًا (مَوْضِعَ النُّشْرَةِ مِنْهَا) وَالْإِدْرَاكِ، وَشَهْوَاتِهَا (لِلسَّفَادِ)، وَهُوَ نَزْوُ الذِّكْرِ عَلَى الْأُنثَى.

ويعلم الحدب - بالتحريك - وهو العطف والميل على أولادها، يعني: موضع العطف منها، وكذا (نقلها الطعام والشراب) لها (فعلنا) بذلك (أن خالقها لطيف) لعلمه بها، لا أن لطفه بكيفية، فإنها إنما تكون للمخلوق، والواجب تعالى ليس بمخلوق.

وقال الصادق ﷻ [للهندي]^(٣) في حديث الأهليلة: (إنما سَمِينًا لَطِيفًا، لِلْمَخْلُوقِ اللطِيفِ، وَلَعَلِمَهُ بِالشَّيْءِ اللطِيفِ مِمَّا خَلَقَ، مِنْ البَعْرُضَةِ وَالدُّرَّةِ، وَمِمَّا هُوَ أَصْفَرُ مِنْهُمَا، لَا يَكَادُ تَدْرِكُهُ الْأَبْصَارُ وَالْعُقُولُ، لِصَفْرِ خَلْقِهِ، مِنْ عَيْنِهِ وَسَمْعِهِ وَصُورَتِهِ، لَا يُعْرَفُ مِنْ ذَلِكَ - لِصَفْرِه - الذِّكْرِ مِنَ الْأُنثَى، وَلَا الْحَدِيثِ الْمَوْلُودِ مِنَ الْقَدِيمِ الْوَالِدِ. فَلَمَّا رَأَيْنَا لَطْفَ ذَلِكَ لِي صَفْرَهُ - وَمَوْضِعَ الْعَقْلِ فِيهِ، وَالشَّهْوَةَ لِلْبَقَاءِ، وَالْهَرَبَ مِنَ الْمَوْتِ، وَالْحَدَبَ عَلَى نَسْلِهِ مِنَ وَلَدِهِ، وَمَعْرِفَةَ

(١) «هدي العقول» ج ٥، الباب الثاني عشر. (٢) في النسختين: (وكذا).

(٣) في النسختين: «للهندي».

بعضها بعضاً، وما كان منها في لجاج البحار، وأعنان السماء، والمفاوز والقفار، وما هو معنا في منزلنا، ويفهم بعضهم بعضاً من منطلقهم، وما يفهم من أولادها، ونقلها الطعام والماء إليها - علمنا أن خالقها لطيف، وأنه لطيف بخلق اللطيف، كما سميناه قوياً بخلق القوي^(١).

القول: وإن أردت الوقوف على عجائب الصنع، فراجع مثل حديث المفضل بن عمر^(٢) وما مثله، والخطب والكلمات. وغير خفي صراحة هذه الأحاديث في إثبات الإدراك لسائر ما دبّ وتحرك، والشهوة والشعور به، والروايات متواترة معنى، كما تواتر عليه البرهان، وليس هذا موضع البيان، فإنه مما يطول، لكن الظاهر أنه مرّ بعض الكلام فيها في الجزء الأول^(٣).

قوله: ﴿وكذلك سميناه ربنا قوياً، لا بقوة البطش المعروف من المخلوق، ولو كانت قوته قوة البطش المعروف من المخلوق، لوقع التشبيه، ولاحتمل الزيادة، وما احتمل الزيادة احتمل النقصان، وما كان ناقصاً كان غير قديم [وما كان غير قديم]^(٤) كان عاجزاً، فربنا تبارك وتعالى لا شبه له ولا ضد ولا نداء ولا كيف ولا نهاية، ولا [تبصار بصر]^(٥)، ومحزوم على القلوب أن تمثله، وعلى الأوهام أن تحده، وعلى الضمائر أن تكونه، جلّ هزء عن أداة خلقه، وسمات برئته، وتعالى عن ذلك هلوأ كبيراً﴾.

[أقول:]^(٦) أبطل الله كون معنى قوته بالمعنى المعروف في الشاهد ببرهانين [تشتمل على هدة براهين]:^(٧)

البرهان الأول: لزوم التشبيه بالمخلوق، فلا توحيد، بل يلزم التعطيل حينئذ، إذ القوة

(١) «بحار الأنوار» ج ٣، ص ١٩٤ - ١٩٥، صححناه على المصدر.

(٢) «بحار الأنوار» ج ٣، ص ٥٧.

(٣) «هدى العقول» ج ٣، باب حدوث العالم وإثبات المحدث.

(٤) ليست في «ب».

(٥) في «أ»: «ابصار يبصر»، وفي «ب»: «ولا بصار بصر».

(٦) من «ب».

(٧) من «ب».

في الممكن زائدة على ذاته، فهو بذاته غير قوي .

البرهان الثاني: لزوم احتمال قوته الزيادة، لأنها حينئذ تكون محدودة متناهية، وكل مناه يتحمل الزيادة، إذ له حد له انتهى، وكل ما احتمال الزيادة احتمال النقيصة، إذ لا مانع من نقصانه عن تلك الغاية، وكل ما احتمال النقيصة [حادث] ^(١)، بل وأحدهما أيضاً غير قديم، وكل ما هو غير قديم حادث، إذ لا واسطة، وكل حادث عاجز، فالواجب عاجز، وقد فرض أنه قوي، هذا خلف . فلو فرضت [قوته] ^(٢) بالمعنى المتعارف في الشاهد، بمعنى قوة الآلة مثلاً، لزم كونه عاجزاً ليس بقوي، وكل ما يلزم من فرضه رفعه مستحيل، فتكون قدرة الواجب كذلك محالاً، وإلا كان عاجزاً .

ولك ترتيب الأشكال هكذا: القوة الواجبية محتملة الزيادة، إذ الفرض أن قوته كالممكن، وكل محتملها محتمل النقيصة، فقوة الواجب محتملة النقيصة، وكل ناقص حادث؛ للتجدد والتغير، وغير ذلك من دلائل الحدوث، وكل حادث ليس بقوي؛ للحدوث المقتضي للعجز؛ لأنه معلول، فالواجب ليس بقوي .

فتبين لك وأنضح أن ربنا تعالى لا ضد له، ولا ند له، ولا شبه له، ولا كيف، ولا نهاية، ولا يبصر بإبصار - كما في المخلوق - فلا يصح في وصفه وأسمائه المذاهب الباطلة السابقة، وإلا لزم هذه المحاذير وحرام (على القلوب أن تمثله) فليس هو من جنس المعقول المتمثل، وإلا حُدَّ وكيف، وكان حادثاً، (وعلى الأوهام) متوهّمات النفوس، وما تكسبه من [الحسيات] ^(٣) (أن تحده) كما تحده محسوساتها، فنفى عنه تعالى قسمة التمثيل والاكتناه العقلي، بنفي العقلي والحسي، بنفي الحد الوهمي .

وعطف الضمائر؛ لأجل التعميم لجميع القوى، فلا يتوهم إحاطة شيء به، بل الله تعالى (احتجب عن العقول كما احتجب عن الأبصار) ^(٤)، وتجلّى لخلقه بخلقه، وبه احتجب عنهم، كما في خطبة الرضا عليه السلام في العميون ^(٥) وغيرها ^(٦) وسيأتيك حديث في معاني بعض

(١) من «ب» . (٢) ليست في «ب» .

(٣) في «ب»: «الحساب» .

(٤) «الأربعون حديثاً» للبهائي، ص ٨٠، «بحار الأنوار» ج ٦٦، ص ٢٩٢ .

(٥) «عميون أخبار الرضا» ج ١، ص ١٥٢، ح ٥١، وفيه: (لولا الكلمة... لما تجلّى صانعها للعقول، وبها احتجب

عن الرؤية)... (٦) «التوحيد» ص ٣٩ - ٤٠، ح ٢ .

هذه الأسماء أيضاً.

وفي بعض النسخ: (ولا ببصار ببصر) بزيادة الباء على البصار والبصر، وفي بعضها: (ولا تبصار بصر) على صيغة التفعال، وإضافته إلى البصر.

وفي نسخة التوحيد: (ولا كيف ولا نهاية ولا أقطار، محزوم على القلوب)^(١) وليس فيها هذه اللفظة، وفيها أيضاً بدل: (وعلى الضمائر أن تكونه) (وعلى الضمائر أن تكينه) والمثال واحد، وإن كان نسخة التوحيد أظهر.

□ الحديث رقم ٨ ﴿

قوله: ﴿عن أبي عبد الله عليه السلام، قال: قال رجل عنده: الله أكبر، فقال: الله أكبر من أي شيء؟ فقال: من كل شيء، فقال أبو عبد الله عليه السلام: حددته، فقال الرجل: كيف أقول؟ قال عليه السلام قل: [الله] أكبر من أن يوصف﴾.

□ الحديث رقم ٩ ﴿

قوله: ﴿عن جسيع بن سمير، قال: قال أبو عبد الله عليه السلام: أي شيء [الله] أكبر؟ فقلت: الله أكبر من كل شيء، فقال: وكان ثم شيء فيكون [الله]^(٢) أكبر منه؟ فقلت: وما هو؟ قال: الله أكبر من أن يوصف﴾.

أقول: وفي التوحيد^(٣) مثلهما، والبيان ظاهر لمن عرف الصفات الذاتية، فإن حقيقة معنى الكبير بالنسبة له ليس عبارة عن العظم، كما في الخلق، بل عن كمال الذات في نفسها، الذي هو كمال الوجود، بحيث يقصر كل شيء عنه، بل لا يماثله أو يضاده شيء، فلا يحسن أن يقال: أكبر من كل شيء، فإن هذا يقتضي أن يكون هنا قدر مشترك، أو كونه كبيراً إنما هو بالإضافة إلى الأشياء، فهي نسبة تعلقة لا ذاتية، فتكون حادثة، ويكون ثم في أزل الأزال اعتبار أكثر من واحد، وهو باطل، وليس في الأزل غيره، لا معلوم ولا مجهول

(٢) ليست في المصدر.

(١) «التوحيد» ص ١٩٤، ح ٧.

(٣) «التوحيد» ص ٣١٢ - ٣١٣، ح ١ - ٢.

ولا غير ذلك، فكبره تعظيم ذاتي لا [بحد] (١) أو لا تمثيلاً تخيلاً.

فظهر لزوم تحديده تعالى، وأن يكون معه غيره، لو قلنا بأن معناه: أكبر من كل شيء، ومعلوم أن ما مع الشيء لا يكون مخلوقاً له، فليس معنى: أكبر، كما يتبادر من معناها اللغوي، وهو التفضيل مع المشاركة، بل معناها (أكبر من أن يوصف) بأي صفة كانت، فإن توصيف الشيء بشيء يقتضي الزيادة والمغايرة، وهي تقتضي الالئبية، فليس ثم صفة وموصوف، بل ذات أحدية كلية ذاتاً، فقولنا مثلاً: كبير وعليم وقادر، وكذا أكبر، إنما هي صفات إقرار منا بأنه كذلك بذاته، لا صفات إحاطة، ولا مقتضية لإثبات أمر لأمر.

والحاصل: أنا نقول: ما ظهر لنا من الصفات صفات فعل، وتوصيف تفهيم بقدر ما نعرف ونحتمله، كالتملة تتوهم أن لربها زبائتين، لزمها أن ذلك كمال (٢)، ومعلوم أنه أزلاً منزّه عن جميع ذلك، وهو على ما كان، بغير مقابلة، فهو أجل وأكبر من الصفة، فإنها جهة قيد وتجل.

ولمحمد صادق هنا خبط أهرضنا عن نقله استعجالاً، نعوذ بالله منه.



□ الحديث رقم ﴿ ١٠ ﴾

قوله: ﴿ عن هشام بن الحكم، قال: سألت أبا عبد الله عليه السلام عن «سبحان الله» فقال عليه السلام: أنفة الله ﴾.

□ الحديث رقم ﴿ ١١ ﴾

قوله: ﴿ عن هشام الجواليقي، قال: سألت أبا عبد الله عليه السلام عن قول [الله عز وجل] ﴿٣﴾: ﴿سُبْحَانَ اللَّهِ﴾ (٤) ما يعني به؟ قال: تنزيهه ﴾.

أقول: أنف - من باب هَلِمَ - : استنكف عن الشيء، وشرف نفسه عنه، فهو والتنزيه شيء واحد، فمعناها تنزيهه تعالى ممّا لا يليق به، كمشابهة الخلق في صفة من صفاتهم، أو

(١) في «أ»: «تجد».

(٢) انظر: «الأربعون حديثاً» للبهائي، ص ٨٦.

(٣) من «ب» والمصدر.

(٤) «المؤمنون» الآية: ٩٦، «الحشر» الآية: ٢٣، وغيرها.

حالة من حالاتهم، كزيادة كماله ولو اعتباراً، أو قصور علمه، وغير ذلك .
 وحيث كان المقصود التنزيه المطلق حذف المتعلق، حذراً من توهم الاختصاص، فهو
 منزّه من كل نقص، محسوس أو معقول، ويجمع الكلّ الإمكان .
 وفي بعض النسخ: (تنزيه).

□ الحديث رقم ﴿ ١٢ ﴾

قوله: ﴿ عن أبي [هاشم] ^(١) الجعفري، قال: سألت أبا جعفر الثاني عليه السلام: ما
 معنى الواحد؟ فقال: إجماع الألسن عليه بالوحدانية، كقوله تعالى:
 ﴿ وَلَئِن سَأَلْتَهُم مَّنْ خَلَقَهُمْ لَيَقُولُنَّ اللهُ ﴾ ^(٢) .

أقول: ورواه الصدوق في باب معنى الواحد والتوحيد والموحد، من التوحيد ^(٣)،
 باختلاف ما لفظاً.

وروي فيه أيضاً، عن أبي هاشم الجعفري، قال: سألت أبا جعفر عليه السلام محمد بن علي
 الثاني عليه السلام: ما معنى الواحد؟ فقال: (المجتمع عليه بجميع الألسن بالوحدانية) ^(٤) .
 ومَرَّ لك هذا الحديث مع الكلام عليه آخر الباب الأول، في الكلام على الوحدة، في
 عبارة الشيخ يوسف عليه السلام، وعلى الآية، في الجزء الأول.

ونقول هنا: جميع الألسن الحالية بحسب فطرتها الأولى تدل على وحدة الله تعالى،
 [وأحديته] ^(٥) لا جنسية ولا نوعية ولا مشابهة، ولا غيرها من أقسام الوحدة العددية، وكذا
 لسان المقال، مالم يعرَّج عن مقتضى | الفطرة | الأولى، ولهذا تراه في الضرورة، إذا خمد
 شيطانه في اضطراب بحر، أو غلبت حجة، يلتجئ إلى الوحدة.

وهذه الوحدة الدالة هي وحدة صفة فعلية، بما أجراه الله على خلقه من الدلالة على
 توحيده، وللألسن مقامات اجتماعية، كلها في الإمكان، وأتى لها والمخرج عنه؟ كيف وهو
 مقام إقرار، يعقب سؤالاً، بعد إلقاء وإرشاد؟

(٢) «الزخرف الآية: ٨٧.

(٤) «التوحيد» ص ٨٢، ح ١، صححناه على المصدر.

(١) في النسختين: «هشام».

(٣) «التوحيد» ص ٨٣، ح ٢.

(٥) في «أ»: «وحدة حقيقة».

ولمحمد صادق هنا تحريف للحديث - كما هي عادته - على طريقة أهل الضلال، قال:
«المراد من الألسن: المخلوقات كلها، أزلاً وأبداً، واجتماعها: اتحادها في الوجود الواحد،
لسريانه في الكل، فمعنى الواحد: اتحاد الكل في الوجود، فالوجودات واحدة مستجمعة،
وثبت أن الكل كمالات الحق وصفاته، [فالواحد ذات]»^(١) مستجمعة للصفات، وهي مرتبة
الألوهية. والدليل على سراية وجوده في الكل: أن العوالم علل ومعلولات، وبينها اتحاد
من وجه؛ للتناسب والارتباط» إلى آخره كلامه.

أقول: وعلى ضلال المقرّ بالوحدة، لسان الوحدة السارية، وهو الله مع [التعين]»^(٢)،
ويلزم قيام الحدود بذاته للسريان، وغير ذلك ممّا سبق. ولبداهة بطلانه - مما مرّ مكرراً -
نعرض عن البحث معه هنا [وهو جعل صفة الصانع والوحدة الفعلية: الذات الأزلية،
فتدبر]»^(٣).



مركز تحقيقات كمبيوتر علوم إسلامي

(٢) في «أ»: «اليقين».

(١) في «أ»: «فالواحدات».

(٣) ليست في «ب».

الباب السابع عشر

باب آخر

وهو من الجواب الأول

مركز تحقيقات الكمبيوتر علوم إسلامي

إلا إن فيه زيادة وهو الفرق

ما بين المعاني التي تحك أسماء

الله تعالى وأسماء المخلوقين



مرکز تحقیقات کامپیوتر علوم اسلامی

أضواء حول الباب

أقول ووجه الاشتراك والافتراق ظاهر لمن راجع أحاديث البابين، إلا أن في بعض أحاديث الباب السابق الفرق - أيضاً - في بعض الأسماء بين معناها في الممكن والواجب تقدّس وتعالى، كحديث ميمون البان^(١)، في تبيان معنى (الأول) و(الأخر)، والفرق بينهما، وابن أبي يعفور^(٢) في (الأخر)، وكذا في حديث أبي هاشم الجعفري^(٣) [المبين]^(٤) لمعنى: (الله أكبر)، وغير ذلك. وبالجملة: فلا فرق بينهما، إلا أن الأمر هين.

فأعلم رحمك الله أن العقل والنقل قد تواتر على أنه لا يصح اشتراك الواجب تعالى والممكن في مفهوم أصلاً، أو معنى من المعاني، وكيف يُشارك، ولا مثل له ولا ضد له، وهو مبرراً عن التركيب؟ فلا شركة، وما سواء مخلوق معلول، فهو الحق الثابت، وما سواء باطل.

وبالجملة: أن ما هو لا شيء ذاتاً - وإنما كان شيئاً بجعله - لا يشارك جاعله، وأتى للمعلول أن يشارك علته المفيضه له، والموجدة إياه؟ وإلا لم يكن المعلول معلولاً، فهو لا

(١) يعني الحديث رقم (٦) من الباب السابق. (٢) يعني الحديث رقم (٥) من الباب السابق.

(٣) انظر: الحديث رقم (٨)، (٩) من الباب السابق، باختلاف الإسناد.

(٤) في «ب»: «المبني».

يكون شريكاً له، فإذاً لا عليّة ومعلولية، أو للمعلول ثبوت في أزل الأزال، وكلاً، أم بعد الحدوث صار شريكه، أو ضحوا المقال، ويُنوا الحال | بل البديهة حاكمة على أن ما لم يكن بالذات لا يشارك ما بها، وقد كان ولا شيء معه، وهو على ما لم يزل، فرداً صمدياً، وكذا الاشتراك في الصفات؛ لأنها فيه نفس الذات، فيعود الاشتراك فيها، مع أنه يوجب أن يكون محدوداً، وأن يشمل شيء آخر، وأن تقوم به الأعراض والمفاهيم العامة. وإن جعلت معلولة، فلا اشتراك ولا شمول وإطلاق.

إبطال وتحقيق

لقد غلب على المتكلم والحكيم، حيث جرى على ما يفهم من المفاهيم اللفظية، ويستخرجه بالأحكام الوهمية، حتى أجراه في الذات القدسية، فجعلوا للوجود مفهوماً عاماً مشتركاً فيه الواجب والممكن، بل صرح جماعة بالاشتراك في معنى الوجود، ومنهم من قال في مفهوم الصفات العامة، ولذا تراهم إذا أرادوا تقسيم الموجود، بحسب الوجود الخارجي، أوردوا القسمة على المفهوم العقلي.

قال العلامة في الباب الحادي عشر: «كل مفهوم فإما أن يكون واجب الوجود في الخارج لذاته، وإما ممكن الوجود لذاته، وإما ممتنع الوجود لذاته»^(١).

أقول: ويعنون بالمفهوم: الصورة الحاصلة في الذهن والماهية الكلية، وهو إذا لوحظ باعتبار الوجود الخارجي، فإما بحيث يجب له، أو يمكن، أو يمتنع.

وفي المنجى: «وقسمة المتصور إلى: الموجود والمعدوم، قسمة حاصرة، والأول واجب إن كان الوجود أولئ به، وممكن إن لم يكن، والثاني ممتنع إن كان المدم أولئ به، وإلا فممكن»^(٢).

أقول: وكذا عبارة التجريد^(٣) في تقسيمه المواد، وحكمه [بالشركة]^(٤) في الوجود. ومنشأ الاشتباه أنهم وجدوا مفاهيم عامة من الوجود وباقي الصفات، ووجدوا الاشتراك

(١) انظر: «النافع يوم الحشر» ص ٥، بتفاوت يسير.

(٢) انظر: «الجلي» طبعة حجرية، ص ٦٠ - ٦١، صححاء على المصدر.

(٣) «تجريد الاعتقاد» ص ١٠٦، ١١١. (٤) في «أ»: «الشركة».

في رتب، فظنوا أن هذا المفهوم عام، وأنه يوجب الشركة. أو لا علموا أنه أنوار الصفات والوجودات المعلولات؟ فلا يصح الشركة فيها معنى، وكلاً لا اشتراك، بل كما أنه لا نظير لذاته ولا مثيل، فكذا صفته، والمفهومات لا تشملها بوجه أصلاً.

فكان الحق ثابتاً، لا شيء غيره، ثم أوجد الموجود المطلق، وهو المشيئة والإبداع، وهو روح محمد ﷺ، الذي سطع من نوره الأنوار، ووجد كل شيء بواسطته، وهي الوجودات المقيّدة، فمن أين يحصل الاشتراك؟ بين لي أيها الجدلي والحكيم

فلما جعلوا الإبداع ودلالات الصفات - وهي دلالة - الذات [يحصل] (١) في البقاع والأصقاع، تاهوا بجدلهم، فقل لي: متى كان للمجمول ذلك، كما بيّنته لك هناك؟ أو لا نظرت فيما سبق (٢) وعدم صحة «أكبر من كل شيء»؛ للزوم اعتبار مفضول عليه ولو بحكم الإشارة، ولا غيره باعتبار ولا إشارة، فلا اعتبار لغيره، بل ملاحظة الذات الأحادية ولو وهماً، فأين الاشتراك الوجودي؟ قصارى ما يعنون - وما أثبت به جدلهم، في التجريد (٣) في أوله، وغيره، مع تسليمه - أن هنامفهوم وجود عام للممكنات.

ونقول: هو المشيئة المخلوقة بنفسها، وخلقت الأشياء بها، ونورها في كل شيء بحسبه، كما عرفت، وكذا حكايات الصفات - في الذهن وغيره - لحقيقة الذات، مفاضات معلولات دالات، فلا تكون مشتركة، بل الشركة - حينئذ - من تعمل الوهميات الكاذبة، حيث نظروا إفاضات الصفات، كوهبه العلم للعلماء وغيره، كما في الروايات (٤)، وجعلوها مشتركة عامة.

هذا، وقصاراكم أن تقتصروا بالمفهومات المتزعات مواضع [الانتزاع] (٥)، ولا يكون إلا في الممكنات.

فاتضح بيان الدراية النبوية: لا اشتراك في معنى الوجود، ولا في صفته، ولا في مفهوم اللفظ أصلاً، وإنما هي آثاره، كما في كلام علي عليه السلام لكميل (٦)، وأين الشركة؟

(١) من «ب» . (٢) يعني في شرح الحديث (٨)، (٩) من الباب السابق .

(٣) «تجريد الاعتقاد» ص ١٠٦ .

(٤) «شرح نهج البلاغة» للشيخ ميثم البحراني، ج ١، ص ١١٠، «علم اليقين» ج ١، ص ٧٣ .

(٥) في «ب» : «الانتزاعات» .

(٦) انظر: «جامع الأسرار ومنبع الأنوار» ص ١٧٠، «المجلى» طبعة حجرية، ص ١١٣، «كلمات مكتونة» ص ٣٠ .

وإذا أردت تقسيم المفهوم، فقل: المفهوم - من حيث دلالاته ومناط مصداقه - إن امتنع عن الانقسام من كل وجه أصلاً، فدالّ على الواحد الحقيقي، وهو الواجب تعالى، وإلا [فدالّ] ^(١) على الواحد العددي، وهو الممكن، [أما] ^(٢) المستحيل الذاتي فلا تأصل له في الوجود بوجه، ولا يتوجّه الذهن إليه، وليس هو بضد للوجوب الذاتي، إذ ليس معه شيء، لا معلوم ولا مجهول.

ومرادنا بالمفهوم الدالّ على الواجب الأحدي الحقيقي: هو النور المفاض [الدالّ عليه تعالى بوجه، وهو في كلّ [فرد] ^(٣) الفطرة التي فطر الناس عليها، والعقل المطبوع بوجه، وإن شئت قل: الدالّ] ^(٤) في أصل التقسيم. وأمّا المفهوم في غيره، فهو الضمير المطابق له إن كان صادقاً، وينقسم إلى كلي وجزئي، فلا عموم للمفهوم بما [هنوه] ^(٥). نعم، النور النفسي والعقل القدسي دالّ عليه، فلا يحسن جعله شاملاً له.

والحاصل: أنّ منشأ الغلط ألهم نظروا لأنوار الصفات في المخلفات، فجعلوها عامة، فاختلقت عليه الأحوال، وحيث لا شركة ذاتاً بين الحادث والقديم، فلا شركة بوجه أصلاً، وإلا لزمّت وهادت ذاتية، أو شمول الممكن له، فليس إلاّ اتحاداً في لفظ حروف: عين ألف لام اميم ا، من غير شركة في ذات أو مفهوم أصلاً، فتدبر.

والحكّم العقل المسموع، مع مراعاة الأصول البرهانية الإلهية والمحكمات النبوية، فلا مثل للوجود الحقّ، وكذا لا يشارك ما هو معدوم أزلاً، حتى حال وجوده في أمكنة حدوده وحدوده، فإنّه حينئذٍ ليس مع الله في رتبة الأزل، بل بذاته [لا].

ولمّا نظروا بالعقول الضعيفة للموجودات التقييدية، والأنوار الساطعة في القلوب، وغيرها الارتباطية، قالوا - تارة -: الوجود مشكك بين الكلّ، أو متواطئ.

نعم إذا لوحظت الأنوار الوجودية الساطعة، المنبجسة في مرتبة، شدة وضعفاً، مشتركة في وجود متفاوت ظهوره، وهو وجود حادث.

وتارة - هنا - مفهوم عام، وتارة - هنا - مفهوم صفاتي عام، [شامل] ^(٦) للكلّ، وكلّهما توهمات خيالية واعتبارات حادثة ذهنية، والله أكبر من جميع ذلك، فسبحان ربك ربّ

(٢) في «أ»: «و»، وفي «ب»: «أو».

(٤) ليست في «ب».

(٦) ليست في «ب».

(١) في «أ»: «فلا تدل».

(٣) في النسختين: «مفرد».

(٥) في «ب»: «عند».

المرة عما يصفون ويمثلون.

□ الحديث رقم ﴿١﴾

قوله: ﴿عن الفتح بن يزيد الجرجاني، عن أبي الحسن عليه السلام، قال: سمعته يقول: وهو اللطيف الخبير السميع البصير، الواحد الأحد الصمد، لم يلد ولم يولد، ولم يكن له كفواً أحد، لو كان كما يقول المشبهة، لم يعرف الخالق من المخلوق، ولا المنشئ من المنشأ، لكنه المنشئ، فترق بين من جسمه وصوره وأنشأه، إذ كان لا يشبهه شيء، ولا يشبهه هو شيئاً﴾.

أقول: لمحمد صادق في شرح هذا الحديث كلام طويل، لا حق فيه، فلننقل لك بعضاً منه؛ لتعرفه وباقيه، والاختصار أوجه.

قال: «(لم يعرف الخالق من المخلوق، ولا المنشئ من المنشأ) إشارة لطيفة إلى إحاطته تعالى بالأشياء بالمعلم الحضوري، ووجهه أن الخالق الوجود فيه من حيث إنه وجود، والمخلوق الوجود مع مرتبة من المراتب التشكيكية، وقبضات الوجود أو بسطياته. والمراتب بذات الوجود، لا من أمر خارج عن ذاته، فالمراتب - أيضاً من وجه - هي الوجود من حيث إنه وجود، ومن وجه غير الوجود، فالمخلوق من وجه لم يتميز عن خالقه، ومن وجه يتميز عنه، فشرع عليه السلام في بيان وجه الامتياز؛ لئلا يتوغل في التشبيه؛ لضيق وعاء الناس، فقال عليه السلام: (فرق بين من جسمه) ... إلى آخره».

أقول: كَلِّهِ ضلال، بل [—]، وكذا ما أسقطناه وما لم نقله، وأي موحد يجسر لسانه أن ينطق بهذا القول، من اتحاد العلة والمعلول وجوداً، وأن الخلق مخلوق من وجه [تعيني] ^(١) وهو عرضي، لا بأصل الوجود؟ وليس في الحديث إلا نفي [المشابهة] ^(٢) والمناسبة مطلقاً، وكذا غيره، والله خلّو من خلقه وبالمكس، لكن مباينة صفة. وفي ذلك - وما سبق - كفاية، وإلا فالمقام لا يسع بيان مفسده، ولا يحيط بها إلا الله.

أي لو كان وصفه تعالى بالصفات وإطلاق الأسماء عليه، كما تقول المشبهة: إن

(٢) في «أ»: «المشابهة»، وفي «ب»: «المشابهة».

(١) في «ب»: «تعين».

مصدوقها معانٍ متعددة خارجة، كالأشمري، أو مباينة له معنى، فهي غيره بوجه دون وجه، أو من قبيل الأحوال، أو أنّ لها تغايراً بوجه أصلاً، أو ليست فعلية محضة، إلى غير ذلك من الأوهام الحاصلة، الناشئة من المقايسة بالممكن والمشابهة به، كمن جعل له صاحبةً وولداً وشريكاً.

فلو كان كما قاله هؤلاء الضالون لم يعرف الخالق من المخلوق، لتساويهما في الصفة، ولقيام آية الصنع فيه، فلم يكن الخلق دالاً على خالقه؛ للتشابه، ولم يحصل فرق بين المنشئ والمنشأ.

والبدئية حاکمة بالمنافاة، وإلا فلا إنشاء، ومع التشابه ينتفي وتنتفي الدلالة أيضاً، وليس الأمر كذلك، فالفرق ظاهر بين من جسم الجسم - وصور الصورة - [وأنشأ] (١)، حيث إنه (لا يشبهه شيء)، وإلا لم يوجد ويجعله جسماً وصورة. ومنشأ الاستحالة الترجيح حينئذٍ، ولدخولهما تحت ماهية كلية، مع أنه (لا يشبهه شيء، ولا يشبهه هو شيئاً) فالله خلّو من خلقه؛ لأنه واجب غني ذاتي، وخلقه خلّو منه، لأنه فقير ذاتي ومعلول له. ومعاني هذه الأسماء ظاهرة من الأبواب السابقة.

وفي نسخة التوحيد بزيادة، بعد قوله: (ولم يكن له كفواً أحد، منشئ الأشياء، ومجسم الأجسام، ومصور الصور، لو كان كما يقولون لم يعرف الخالق من المخلوق، ولا المنشئ من المنشأ، لكنه المنشئ، فرق بين من جسمه وصوره وأنشأه، وبينه، إذ كان لا يشبهه شيء، ولا يشبهه هو شيئاً) (٢).

فقوله: (إذ كان لا يشبهه شيء) ... إلى آخره، حلة إلى ما حكم به قبل، من بطلان المشابهة، والفرق بين الذي جسمه والجسم، وهو ... إلى آخره، فلا يصح كونه جسماً أو صورة ... إلى آخره، وإلا فلا فرق.

والظاهر من الشارح المازندراني أنها (فرق) بالتشديد، قال: «(فرق بين من جسمه وصوره وأنشأه) أي فرق بين مجموعاته، وميّز بين مخلوقاته، بأن جعل بعضها جسماً وبعضها صورة، وبعضها غير ذلك، وميّز أيضاً بين الأجسام والصور، بحيث لا يشبه شيء منها بما يماثله من نظائره (إذ كان لا يشبهه شيء، ولا يشبهه هو شيئاً)، (إذ) متعلق بـ (فرق)

(٢) «التوحيد» ص ١٨٥، ح ١.

(١) لي «أ»: «وأنشأ».

وظرف له، يعني: أن الفرق المذكور وقع في وقت لم يكن معه - هزُّ شأنه - في ذلك الوقت شيء، حتى يقع بينهما التشابه والتماثل، وإذا لم يكن التشابه واقعاً في ذلك الوقت، لا يجوز أن يقع في وقت من الأوقات، وإلا لزم النقص فيه هزُّ وجلُّ، وأنه محال»^(١) انتهى.

أقول: ولا يخفى ما فيه من الضعف، فإنه حينئذٍ لا يحسن تفريع: (لكنه المنشئ) ... إلى آخره، على (يقول المشبهة)، وعدم معرفة الخالق من المخلوق.

نعم، إذا قلنا: لكنّه (فَرَّق) بينهما - بالتخفيف - حيث إنه لا يشبهه شيء وبالعكس، كما قلنا، ارتبط الكلام، فظهر بطلان اللّزام، فيبطل الملزوم، وقامت الحجّة البرهانية تامة، فلو صحَّ التشبيه لم يتميّز، لكنهما متميّزان، فلا تشبيه.

أمّا بيان لزوم عدم التمايز؛ فللاشتراك، وأمّا التمايز فلكونه (لا يشبهه) ... إلى آخره، ولا كذلك على قوله، بل ظاهره قطع هذا [عن] السابق، ولذا تراه ارتكب التعسف الغير الظاهر، مع أن ظاهر كلامه إثبات - مع الله - زمان موهوم، فيكون معه غيره، وهو باطل عقلاً وثقلاً، وكذا الزمان الموهوم.

ونسخة عيون أخبار الرضا^(٣) [مثلاً]^(٤) في التوحيد، ويحتمل السقط من نسخة الكافي.

أمّا ملاً محسن في الشرح^(٥)، فاحتمل في (فرق) التنوين، وكونه ماضياً، ولم يزد. وظاهر عبارة ملاً رفيع^(٦) أنها ماضٍ.

قوله: ﴿قلت: أجل، جعلني الله فداك، لكنك قلت: الأحد الصمد، وقلت: لا يشبهه شيء، والله واحد، والإنسان واحد، أليس قد تشابهت الوجدانية؟ قال: يا فتاح أحلت ثبّتك الله، إنما التشبيه في المعاني، فأما في الأسماء فهي واحدة، وهي دالة على المستن؟﴾

(١) «شرح المازندراني» ج ٤، ص ٣٧. (٢) في «ب»: «على».

(٣) «عيون أخبار الرضا» ج ١، ص ١٢٧، ح ٢٣. (٤) في النسختين: «مثلها».

(٥) «الوافي» المجلد ١، ص ٤٨٣.

(٦) «حاشية ملاً رفيع على الكافي» مخطوط برقم ٣٧٤٨، الورقة: ١١١.

أقول: لما توهم فتح من الاتحاد اللفظي لزوم الاشتراك في المعنى - وأقله الاشتراك في مفهوم عام، وهو مصحح الحمل في الموضوعين، كما يجرى ذلك في الممكن - اعترض، وسأل استكشافاً واسترشاداً، بأن كيف لا يشبهه شيء، ومثل «أحد» و«صمد» يسمّى به الممكن أيضاً؟ فحصلت المشابهة الموجبة للتشبيه الذي أبطلته!

فقال له **علامة**: (أحلت) أي أتيت بمحال [يا فتح] ^(١)، (ثبتك الله) عن الاضطراب بالشكوك والتوهمات، (إنما التشبيه في المعاني)، وأما الأسماء اللفظية فواحدة، ولا يلزم منها ذلك، وكلها حادثة (دالة على المسمى) وإن اختلفت الدلالة، وكيف لا يتحد لفظ حروف الأسماء، والحروف محصورة متناهية؟

بل يا سبحان الله، كيف توهم فتح ذلك، وهو يجد في الممكن التباين المعنوي، مع الاشتراك اللفظي؟ كما في المشترك وغيره، فاللفظي لا دلالة فيه على شيء أصلاً. وفي نسخة التوحيد: (وهي دلالة على المسمى) ^(٢) وفي بعض النسخ أيضاً، والمآل واحد.

ثم لا توهم من نفي الاشتراك المعنوي ثبوت الاشتراك اللفظي، بسبب اتحاد اللفظ، فهذه الشركة منفية أيضاً؛ لإيجابها المبينة والمقابلة، وإن تباينا معنى، والمبينة صفة إمكان، وهذا يوجبه في معنى عرضي، ولو بحسب الصلوح.

فإبطال الشركة في المعنى الموجب للتشبيه ينفي حتى الشركة اللفظية، كما يريدون، ولذا لم يصرح بالاشتراك اللفظي مع التباين، بل صرح بما ينفيه كما عرفت، وقال: الأسماء واحدة. وفيه معنى آخر أيضاً ينفي ذلك، وهو أن الأسماء كلها واحدة دالة عليه، ومقامها دون الذات، ومن الوحدة الفعلية، فلا اعتبار لها مع الذات بوجه أصلاً، فلا شركة بوجه، لا معنوية ولا لفظية، ومقام الدعاء - [والتسمية] ^(٣) والاسم والوضع - دون [مقام] ^(٤) الذات، ومرجعها لفعله. وحينئذ يظهر لك سقوط ما قاله كثير، من إثبات الاشتراك المعنوي أو اللفظي، والمعاني متباينة، كالقرء ^(٥) وحسرس ^(٦) ونحوها، وكذا أقوال كثير من أهل التصوف.

(١) ليست في «ب».

(٢) «التوحيد» ص ١٨٥، ج ١.

(٣) في «أ»: «والتشبيه».

(٤) من «ب».

(٥) القرء: الحيض والظهر، وهو من الأضداد. انظر: «الصحاح» ج ١، ص ٦٤، «قرأ».

(٦) حسرس الليل: أقبل ظلامه أو أدير. انظر: «القاموس المحيط» ج ٢، ص ٣٣٦.

وحديث يظهر لك ما في كلام محمد باقر في البحار من التدارك، قال: «قوله **إِنَّمَا** التشبه في المعاني) أي التشبيه الممنوع منه، إنما هو تشبيه معنى حاصل فيه تعالى بمعنى حاصل للخلق، لا محض إطلاق لفظ (واحد) عليه تعالى وعلى الخلق بمعنيين متغايرين، أو المعنى أنه ليس التشبيه في كنه الحقيقة والذات، وإنما التشبيه في المفهومات الكلية التي هي مدلولات الألفاظ، وتصدق عليه تعالى، كما مر تحقيقه»^(١) انتهى، فتأمل.

وكذا ما قاله الملا هنا، قال: «(إِنَّمَا التشبيه في المعاني) أي متماثلة معنى، وأما إذا كان الاسم واحداً والمفهوم مشككاً فلا، بأن يكون في بعضها أشد وأقوى، وفي آخر أضعف وأنقص، فلا تشبيه»^(٢) انتهى.

أقول: بل نفي غيره عنه ينفي هذا، ولا تجري على الذات صفات الممكن، ولا يتم ما استدل به الإمام، الأنبي في الخبر اللاحق، لو كان هذا حقاً، وكذا تجويزه وغيره الاشتراك المفهومي بينهما.

ولمحمد صادق في شرح هذا الحديث هفوات، أهرضنا عنها اختصاراً، وفيما نقله عنه كفاية.



مرکز تحقیقات فقه وعلوم اسلامی

قوله: ﴿وذلك أن الإنسان، وإن قيل: واحد، فإنه يخبر أنه جثة واحدة، وليس باثنين، والإنسان نفسه ليس بواحد؛ لأن أعضائه مختلفة وألوانه مختلفة، ومن ألوانه مختلفة غير واحد، وهو أجزاء مجزأة ليست بسواء، دمه غير لحمه، ولحمه غير دمه، وعصبه غير عروقه، وشعره غير بشره، وسواده غير بياضه، وكذلك سائر جميع الخلق، فالإنسان واحد في الاسم و [لا واحد]^(٣) في المعنى، والله جل جلاله هو واحد لا واحد غيره، لا اختلاف فيه ولا تفاوت، ولا زيادة ولا نقصان، فأما الإنسان المخلوق المصنوع المؤلف من أجزاء مختلفة، وجواهر شتى، غير أنه بالاجتماع

(١) «بحار الأنوار» ج ٤، ص ١٧٤، صححناه على المصدر.

(٢) «شرح أصول الكافي» ج ٣، ص ٢٨٢، بتفاوت، صححناه على المصدر.

(٣) في النسختين: «ليس واحداً».

شيء واحد. قلت: جعلت فداك، فرجت عني، فرج الله عنك ﴿١﴾.

أقول: بيان منه ﷺ لفتح الفرق المعنوي بما هو محسوس، حتى تبين له عدم الاشتراك المعنوي (وذلك أن الإنسان وإن قيل له (واحد) فهو واحد اجتماعي، وتكثره ظاهر، بحسب ألوانه ولحمه ودمه وغير ذلك، بل ونفسه وحقيقته مركبة من جواهر شتى، كالهولي والصورة في جسمه، وكذا له نفس وروح وعقل وقلب وبدن. ومعلوم أن من وحدته بوجه دون آخر ليس بواحد حقيقي، فلا مشابهة له بمن وحدته حقيقية من كل وجه (أحدي الذات والمعنى).

وكذلك جميع مخلوقاته تعالى ليست بأحادية المعنى، قال تعالى: ﴿وَمِنْ كُلِّ شَيْءٍ خَلَقْنَا زَوْجَيْنِ﴾ ^(١) وإن اختلفت بساطة بالنسبة، وبإضافة كل لمن دونه، فمثل المجرد وإن تجرد عن المادة وهذا التركيب الحسي، فهو مركب معني، إذ له ذات وجود، وفيه جهات مختلفة، ولوازم زائدة مفاضة، فلم يكن أحدي المعنى، فلا اشتراك.

وأنتى للمصنوع والقيام في رتبة الصانع؟ ولأناقلبت الذاتيات، وكم فرجوا من مشكل وأزاحوا معضل، وأناروا حنادس ليل مهمل.

وقال الصادق ﷺ في حديث الإهليلجة - بعد أن قال له الهندي: فكيف جاز للمخلق أن يتسموا بأسماء الله ؟ - : (إن الله جل ثناؤه وتقدست أسماؤه أباح للناس الأسماء وهبها لهم، وقد قال القائل من الناس للواحد: واحد، ويقول لله: واحد، ويقول: قوي، والله تعالى قوي، ويقول: صانع، والله تعالى صانع، ويقول: رازق، والله تعالى رازق، ويقول: سميع بصير، والله تعالى سميع بصير، وما أشبه ذلك، فمن قال للإنسان: واحد، فهذا له اسم وله شبيه، والله واحد وهو له اسم، ولا شيء له شبيه، وليس المعنى واحداً، وأما الأسماء فهي دلالتنا على المستن، لأننا قد نرى الإنسان واحداً، وإنما نخبر واحداً إذا كان مفرداً، فعلم أن الإنسان في نفسه ليس بواحد في المعنى، لأن أعضائه مختلفة، وأجزائه ليست سواء، ولحمه غير دمه، وعظمه غير عصبه، وشعره غير ظفره، وسواده غير بياضه، وكذلك سائر الخلق.

والإنسان واحد في الاسم، وليس بواحد في الاسم والمعنى والخلق، فإذا قيل لله، فهو الواحد الذي لا واحد غيره؛ لأنه لا اختلاف فيه، وهو تبارك وتعالى سميع بصير، وقوي وهزير، وحكيم

وعليم، فتعالى الله أحسن الخالقين^(١) انتهى.

أقول: ومما مرّ لك في الباب الأول، يظهر لك معنى الوحدة الحقيقية والإضافية، ولأن لم يصح نسبة الوحدة الإضافية المتجزئة - بوجه - له تعالى، ولأن تفاوتت ذاته وامتنع من الأزل معناه، وعاد له ما هو أبدأه، فلا اشتراك معنى أصلاً، وكذا علمه وقدرته ووجوده، لا اشتراك فيه - معنى - مع الغير بوجه أصلاً، كما يظهر للفتن، من هنا ومن باب صفات الذات، وكذب العادلون وضلّوا ضلالاً بعيداً، وخسروا خسراً مبيهاً.

قوله: ﴿فقولك: اللطيف الخبير فسرّه لي، كما فسرت الواحد، فإنني أعلم أنّ لطفه على خلاف لطف خلقه للفضل^(٢)، غير أنني أحب أن تشرح [ذلك لي]^(٣). فقال: يا فتى، إنما قلنا: اللطيف، للخلق اللطيف، ولعلمه بالشيء اللطيف، أو لا ترى - وفقك الله وثبتك - إلى أثر صنعه في النبات اللطيف وغير اللطيف، ومن الخلق اللطيف، ومن الحيوان الصغار ومن البعوض والجرّحس، وما هو أصغر منها، ما لا يكاد تستبينه العيون، بل لا يكاد يستهان لصفه الذكر من الأنثى، والحدث المولود من القديم. فلتنا رأينا صفر ذلك في لطفه، واهتداه للسفاد، والهرب من الموت، والجمع لما يصلحه، وما في نجح البحار، وما في إحياء الأشجار والمفاوز والقفار، وإفهام بعضها عن بعض منطقتها، وما يفهم به أولادها عنها، ونقلها الغذاء إليها، ثم تأليف ألوانها حمرةً مع صفرةً، وبياض مع حمرة، وأنه ما لا تكاد عيوننا تستبينه [لدمامة]^(٤) خلقها، لا تراه عيوننا، ولا تلمسه أيدينا، علمنا أنّ خالق هذا [الخلق] لطيف، لطف بخلق ما سميناها، بلا علاج ولا أداة ولا آلة، وأنّ كلّ صانع شيء فمن شيء صنع، والله الخالق

(١) «بحار الأنوار» ج ٣، ص ١٩٥ - ١٩٦، صححناه على المصدر.

(٢) في المصدر: «للفصل». (٣) في النسختين: «لي ذلك».

(٤) في «أ»: «لدمامته»، وفي «ب»: «لاماته».

اللطيف الجليل، خلق وصنع لا من شيء ﴿١﴾.

أقول: وفي بعض النسخ (للفصل) - بالصاد المهملة - والمعنيان متلازمان، بل مثالهما واحد، و(لحاء الأشجار) - بالحاء المهملة والمدّ -: قشر الشجرة. وأكثر نسخ الكافي، ونسخ العيون^(١): (ولعلمه بالشيء اللطيف) بالواو، فيكون [علة ثانية]^(٢) لتسميته لطيفاً.

وفي بعض نسخ الكافي (لعلمه) بغير واو، فيكون علة للتسمية، لكونه خلق اللطيف. والدُّمامة - بفتح الدال المهملة -: الحقارة، [والدميم]^(٣) - كالأمير -: الحقيق^(٤). وبيان الحديث ظاهر ممّا سبق.

وفي حديث الرضا للزندقي، الذي أدخله عليه خادمه، ومرّ لك في الباب الأول - وهو في العيون مروى أيضاً، بعد قوله ﷺ: (ومنشأ) - «قال الرجل: فلمَ احتجب؟ قال أبو الحسن ﷺ: (إنّ الحجاب على الخلق لكثرة ذنوبهم، فأما هو فلا يخفى عليه خافية في آناه الليل والنهار) قال: فلمَ لا يدركه حاسة الأبصار؟ قال: (للفرق بينه وبين خلقه، الذين تدركهم حاسة الأبصار منهم ومن غيرهم، ثم هو أجل من أن يدركه بصر أو يحيطه وهم، أو يضبطه عقل).

قال: فحدّه لي، قال: (لا حدّ له) قال: ولمَ؟ قال: (لأنّ كلّ محدود متناه إلى حد، وإذا احتمل التحديد احتمل الزيادة، وإذا احتمل الزيادة احتمل النقصان، فهو غير محدود ولا متزايد، ولا متناقص، ولا متجزئ، ولا متوهم) قال الرجل: فأخبرني عن قولكم: إنّه لطيف وسميع وحكيم وبصير وعليم، أيعون السميع إلّا بأذن، والبصير إلّا بالعين، واللطيف إلّا بالعمل باليدين، والحكيم إلّا بالصنعة؟

فقال أبو الحسن ﷺ: (إنّ اللطيف متا على حدّ اتخاذ الصنعة، أو ما رأيت الرجل يتخذ شيئاً بلطف في اتخاذه، فيقال: ما أطف فلاناً، فكيف لا يقال للخالق الجليل: لطيف، إذ خلق خلقاً لطيفاً وجليلاً، وركّب في الحيوان منه أرواحه، وخلق كلّ جنس متبايناً من جنسه في الصورة؟ لا يشبه بعضه بعضاً، فكُلّ له لطف من الخالق اللطيف الخبير في تركيب صورته، ثمّ نظرنا إلى الأشجار وحملها أطايبها المأكولة، فقلنا عند ذلك: إنّ خالقنا لطيف، لا كلطف خلقه

(١) «عيون أخبار الرضا» ج ١، ص ١٢٨، ح ٢٣. (٢) في «ب»: «علمة».

(٣) في النسختين: «والدميم». (٤) انظر: «لسان العرب» ج ٤، ص ٤١٠، «دميم».

في صنعتهم، وقلنا: إنه سميع لا يخفى عليه أصوات خلقه، ما بين العرش إلى الشرى، من الذرة إلى أكبر، منها في برها وبحرها، ولا يشتبه عليه لغاتها، فقلنا عند ذلك: إنه سميع لا بأذن، وقلنا: إنه بصير لا ببصراً لأنه يرى أثر الذرة السحماء في الليلة الظلماء على الصخرة السوداء، ويرى دبيب النمل في الليلة الدجنة، ويرى مضارها ومنافعها، وأثر سفاها وفراخها ونسلها، فقلنا عند ذلك: إنه بصير، لا كبصر خلقه) قال: فما برح حتى أسلم، وفيه كلام غير هذا^(١). أنتهى.

□ الحديث رقم ﴿ ٢ ﴾

قوله: ﴿ علي بن محمد، مرسلأ عن أبي الحسن الرضاؑ ﴾.

أقول: ورواه الصدوقؑ في التوحيد، مسنداً بطريق المصنف محمد بن يعقوب الكلينيؑ، قال: «حدّثنا علي بن محمد، عن محمد بن عيسى، عن الحسين بن خالد، عن أبي الحسن الرضاؑ، أنه قال»^(٢).

ورواه أيضاً في عيون أخبار الرضاؑ، مسنداً هكذا: «حدّثنا علي بن أحمد بن محمد بن عمران الدقاقؑ، قال: حدّثنا محمد بن يعقوب الكلينيؑ قال: حدّثنا علي بن محمد المعروف بعلان، عن محمد بن عيسى، عن الحسين بن خالد، عن أبي الحسن الرضاؑ أنه قال»^(٣) وهو صحيح متناً، متكرراً مضمونه - كنظائره - معنى.

قوله: ﴿ قال: قال: اعلم - هلئك الله الخير - أن الله تبارك وتعالى قديم، و[القدم]^(٤) صفته، التي دلت العاقل على أنه لا شيء قبله، ولا شيء معه في ديسوميته، فقد بان لنا بإقرار العامة معجزة الصفة أنه لا شيء قبل الله، ولا شيء مع الله في بقائه، وبطل قول من زعم أنه كان قبله أو كان معه شيء ﴾.

(١) «عيون أخبار الرضا» ج ١، ص ١٣٢ - ١٣٣، ح ٢٨، صححناه على المصدر.

(٢) «التوحيد» ص ١٨٦، ح ٢، صححناه على المصدر.

(٣) «عيون أخبار الرضا» ج ١، ص ١٤٥، ح ٥٠، صححناه على المصدر.

(٤) في «ب» : «القديم».

أقول: أثبت الله له أولاً صفة القدم المثق عليها، فقال: إنه قديم، وهذا لانزاع فيه لأحد، (والقدم صفة) لوصفه بها؛ ولكونه كذلك. ومعنى القديم: الذي لم يُسبق بالغير، ولم يكن معه غيره، وإلا لم يكن القدم صفة [خاصة] (١)، فقد بان وظهر بإقرار عامة الخلق بأنه قديم، وهو مقتضى لأن لا يكون قبله شيء ولا معه، فظهر بهذا (معجزة الصفة) أي غير مدركة، ولا متوهمة، فالمقول عاجزة؛ إذ لا شيء معه ولا قبله، وهو قديم لم يزل، وكذا الحكم في باقي صفاته، فلا شركة فيها ولا تُتصور بوجه.

فمن زعم أنه كان قبله شيء أو معه - كالثنوية والمنصوفة، ومن تبهم، ومثبي زيادة الصفات، وغيرهم من الآراء الضالة المضلة، كما سبق - باطل؛ لمنافاته لكون القدم صفة، إذ لا يجتمع - حينئذٍ - وشيء قبله أو معه.

والمراد بالإقرار فيه الإقرار الحالي العام، أو المقالي، فإن من جعل مع الله ثانياً، أو جعل لصفته مصدوقاً آخر قائماً به أو معه، فصار موهماً أو غير ذلك، يثبت له تعالى القدم، ولا يقول: هو حادث. وهذا الإثبات يبطل ذلك، كما سيظهر لك.

(معجزة) - بالرفع - فاعل (بان)، والباء للسببية.

وفي نسخة التوحيد (٢)، والعيون (٣): (فقد بان لنا بإقرار العائنة - مع معجزة الصفة - أنه لا شيء قبل الله [ولا شيء مع الله في بقائه]).

والمعنى: فقد بان [بإقرارهم] (٤) بكونه تعالى قديماً، مع إعجاز صفة، أنه لا شيء قبل الله... إلى آخره (٥)، ويفتح (أن) والمصدر فاعل (بان)، حينئذٍ لا فرق في المعنى، كما هو ظاهر للفظن.

فلا حاجة إلى ما تحمّله الشارح محمد صالح هنا، حيث قال: «(فقد بان لنا بإقرار العامة) أي عامة الموجودات كلها بلسان الحال والإمكان، وبعضها بلسان المقال والبيان. والإقرار إما من: أقر بالحق إذا اعترف به، أو من: أقر الحق في مكانه، فاستقر هو.

فقوله: (معجزة الصفة) على الأول منصوب بنزع الخافض، وهو الباء، وإن شذ نزعه في مثله. وعلى الثاني منصوب على المفعولية، والـ (معجزة) اسم فاعل من: أعجزته، بمعنى

(١) ليست في «ب».

(٢) «التوحيد» ص ١٨٦، ح ٢.

(٣) «عيون أخبار الرضا» ج ١، ص ١٤٥، ح ٥٠. (٤) في «أ»: «بإقراره».

(٥) ليست في «ب».

وجدته عاجزاً، أو من: أحجزه الشيء، بمعنى: فاتته، وأضافتها إلى الصفة، والمراد بها القدم، من باب إضافة الصفة إلى الموصوف، أي الصفة المعجزة.

وأما وصفها بالإعجاز، لأنها تجدهم أو تجعلهم - لبهاة شأنها - عاجزين عن إدراكهم كنهها وحقيقتها، أو عن اتصافهم بها، أو عن إقرارهم بأنه تعالى قديم، أو لأنها تفوتهم وهم فاقدون لها.

ويحتمل أن تكون المعجزة مصدر: عجز عن الشيء عاجزاً، و(معجزة) - بفتح الميم وكسر الجيم وفتحها - للإضافة والاتساق وأدنى ملابسة، أي إقرار العامة بمعجزهم عن تلك الصفة، وعدم قدرتهم على الاتصاف بها.

هذا الذي ذكرناه في حل هذه العبارة هو ملخص ما ذكره جمع من المتأخرين، منهم السيد الداماد رحمته الله، والمحقق الشوشتري، مع زيادات سنحت للخاطر.

وقال بعض الأفاضل: متعلق الإقرار محذوف، والمعجزة اسم مفعول من: أحجزه، إذا فاته، وصفة للعامة، ومضافة إلى الصفة، يعني بأن لنا بإقرار العامة، بفقدان تلك الصفة وفواتها فيهم، بأنه تعالى قديم.

وفيه: أن الأصل عدم الحذف، وأن الإضافة اللفظية لا تفيد تعريف المضاف، فلا تقع صفة للمعرفة^(١) انتهى.

أقول: وبعض ما أورده يرد عليه، مع ما فيه من التعسف الظاهر.

ومما احتمل ملاً رفيع^(٢) كون (معجزة) فاعل (بان)، وقوله: (أته لا شيء قبل الله) بياناً أو بدلاً للمعجزة (الصفة)، وهو الذي ذكره الشارح الكاشاني^(٣)، وبه يرتبط الكلام كمال الارتباط.

قوله: ﴿وذلك أنه لو كان معه شيء في بقائه، لم يجز أن يكون خالقاً له، لأنه لم يزل معه، فكيف يكون خالقاً لمن لم يزل معه، ولو كان قبله شيء كان الأول ذلك الشيء لا هذا، وكان الأول أولي بأن يكون خالقاً للأول﴾.

(١) «شرح المازندراني» ج ٤، ص ٥١ - ٥٢.

(٢) «حاشية ملاً رفيع على الكافي» مخطوط برقم: ٣٧٤٨، الورقة: ١١٢.

(٣) «الوالي» المجلد ١، ص ٤٨٧.

أقول: لما أثبت أولاً لله القدم المنافي للشركة بوجه، أو حدوثها للذات، بل هو على ما كان، بين هنا وأوضح الدليل على أنه لا يجوز أن يكون معه شريك بوجه، ببطلان كونه خالقاً له، لمنافاته للقدم، وليس إلا الله وخلقته، والقدم ثابت له تعالى كما عرفت، فلا مشاركة له فيها، فجميع ما سواء حادث مخلوق، ولا شيء معه أزلاً، لا بفرض ولا اعتبار، لا عدم ولا وجود، لمنافاة ذلك للقدم، لو كان معه شيء في أزل الأزال، ولا يصح كونه معلولاً له، وإلا تأخر عنه بديهته، مع أنه معه فلا يصح ذلك، ولو كان الواجب مسبوقاً بالغير كان الغير هو الخالق الواجب، وكان هو الخالق للأول - المفروض أولاً - أولى، بل يجب ذلك، فلا يكون الواجب، و [كلا] ^(١) الأمرين منافٍ للقدم الثابت، فبطلاً.

وفي بعض النسخ: (أن يكون خالقاً للثاني) والمعنى واحد.

قوله: ﴿ثُمَّ وَصَفَ نَفْسَهُ تَبَارَكَ وَتَعَالَى بِأَسْمَاءٍ دَعَا الْخَلْقَ - إِذْ خَلَقَهُمْ وَتَعَبَّدَهُمْ وَابْتَلَاهُمْ - إِلَى أَنْ يَدْعُوهُ بِهَا، فَسَمَى نَفْسَهُ سَمِيحاً بِصِيراً، قَادِراً قَالِماً، نَاطِقاً، ظَاهِراً، بَاطِئاً لَطِيفاً، خَبِيراً قَوِيّاً، هَزِيْزاً حَكِيْماً، [حَلِيْماً] ^(٢) هَلِيْماً، وَمَا أَشْبَهَ هَذِهِ الْأَسْمَاءَ، فَلَمَّا رَأَى ذَلِكَ مِنْ أَسْمَاءِ الْغَالُونَ ^(٣) الْمَكْذِبُونَ، وَقَدْ سَمِعُونَا نَحْدُثُ عَنْ اللَّهِ أَنَّهُ لَا شَيْءَ مِثْلَهُ، وَلَا شَيْءَ مِنَ الْخَلْقِ فِي حَالِهِ، قَالُوا: أَخْبِرُونَا - إِذَا زَعَمْتُمْ أَنَّهُ لَا مِثْلَ لِلَّهِ، وَلَا شَبَهَ لَهُ - كَيْفَ شَارَكْتُمُوهُ فِي أَسْمَاءِ الْحُسْنَى فَتَسَمَّيْتُمْ بِجَمِيعِهَا؟ فَإِنْ فِي ذَلِكَ دَلِيلاً عَلَى أَنَّكُمْ مِثْلُهُ فِي حَالَاتِهِ كُلِّهَا، أَوْ فِي بَعْضِهَا دُونَ بَعْضٍ، [إِذ] ^(٤) جَمَعْتُمْ الْأَسْمَاءَ الطَّيِّبَةَ.

أقول: دفع هنا الإشكال الحاصل من وصفه تعالى بهذه الأسماء والصفات، وأقله لزوم حدوث شيء في الذات لم يكن، فيشاركه أو يتغير، ووصفه تعالى بها ودلالاتها عليه لا نزاع فيه عقلاً ونقلًا، فأجاب عليه السلام ببيان كافٍ - لا كما قاله المنصوفة أو المشبهون - وهو أن هذه

(٢) ليست في المصدر.

(١) في «ب»: «كلا».

(٤) في النسختين: «إذا».

(٣) في المصدر: «القالون».

صفات دلالة حادثة، فترجع لفعله لا لذاته، فلا شركة فيها له بوجه، لاستحالة المشاركة بوجه بين العلة والمعلول، والأثر والمؤثر، بديهية في الأزل، وهو عين الذات القديمة الذي لا شيء معه حتى [اسم] (١) وتسمية ومسمى ظاهر، حتى بحسب الفرض والاهتبار، كيف والاسم [دال] (٢) وغير الذات، وإلا لم يكن اسماً، ولم ينسب له كما هرفت، فهو حادث ونهايته [للحدوث، وبه] (٣) اشتقاقه.

ويبين حلة ذلك، بأنه لما أوجد المخلوق بمشيئته، وهو [معه هو] (٤) مخلوق وذو جهات، وله حاجة، لا غنى له عن الواجب تعالى، فوضع له أسماء دعاه بها، وعرفه منها، فهي أسماء تعريف ودلالة، لا أسماء إحاطة وألصاف توهم.

ويبين ﷺ حلة وصف نفسه تعالى بها: خلقه الخلق، [وتعبده] (٥) لهم بأنواع التكليف، وابتلائهم بالشدائد وغيرها، واختبارهم ليظهر ما في قوتهم فعلاً، وبحوزون من الكمال الأهلئ، فسمي نفسه بهذه الأسماء وباقيها، وسبق لك معانيها متفرقاً، فهذا سبب التسمية. وليس الاقرار بالخالق موقوفاً على اكتناهاه وتوهمه، بل ذلك موضوع عنهم؛ لخروجه عن طاقتهم، بل يكفي في ذلك معرفته بوجه، هو وجه الدلالة بما تعرف لخلقه، وأظهر فيهم من مظاهر ودلالات صفاته وذاته، من الوجود والعلم والاتقان والإحكام، وغير ذلك من الدلالات، ووضع لنطقهم أسماء دالة أيضاً.

قال الصادق ﷺ للمفضل في أواخر الحديث: (وعلى حسب هذا أيضاً نقول: إن العقل يعرف الخالق من جهة توجب عليه الإقرار، ولا يعرفه بما يوجب له الإحاطة بصفته.

فإن قالوا: فكيف يكلف العبد الضعيف معرفته بالعقل اللطيف، ولا يحيط به؟

قيل لهم: إنما كلف العباد من ذلك ما في طاقتهم أن يبلغوه، وهو أن يوقنوا به، ويقنوا عند أمره ونهيه، ولم يكلفوا الإحاطة بصفته، كما أن الملك لا يكلف رهيته أن يعلموا أطويل هو أم قصير، أبيض هو أم أسمر، وإنما يكلفهم الإذعان لسلطانه، والانتهاه إلى أمره.

ألا ترى أن رجلاً لو آمن باب الملك، فقال: أعرض علي نفسك حتى اتقضى معرفتك، وإلا لم أسمع لك، كان قد أحل نفسه المقوبة، فكذا القائل: إنه لا يقتر بالخالق سبحانه، حتى يحيط بكنهه

(١) في «ب»: «اسمه».

(٢) في «أ»: «حال».

(٣) في «ب»: «بالحدوث وبده».

(٤) ليست في «ب».

(٥) في «ب»: «ويعبده».

متعرض لسخطه .

فإن قالوا: أوليس قد نصفه، فنقول: هو العزيز الحكيم الجواد الكريم؟

قيل لهم: كل هذه صفات إقرار، وليست صفات إحاطة، فإننا نعلم أنه حكيم، ولا نعلم بكنه ذلك منه، وكذلك قدير وجواد وسائر صفاته، كما قد نرى السماء ولا ندري ما جوهرها، ونرى البحر ولا ندري أين منتهاه، بل فوق هذا المثال بما لا نهاية له؛ لأن الأمثال كلها تقصر عنه، ولكنها تقود العقل إلى معرفته .

فإن قالوا: ولم يختلف فيه؟

قيل لهم: لقصر الأوهام عن مدى عظمته، وتمديها أقدارها في طلب معرفته، وأنها تروم الإحاطة به، وهي تعجز عن ذلك وما دونه (١) انتهى .

أقول: وأدلته $\frac{1}{2}$ له - أولاً - سلك له فيه مسالك الموعظة .

ثم أحلم أن الغالين المتجاوزين، كالمشبهة - وفي بعض النسخ: (القالون) من: قلبي، إذا بغض - لما قصرت أفهامهم وغلبت أوهامهم أحلامهم - ونظروا إلى الاتحاد في لفظ الحروف الرقمية، في أسماء الواجب والممكن، وقد سمعوا أنهم رويوا كما وافق القرآن وصحيح الاعتبار: أنه تعالى ليس كمثله شيء، ولا يشبهه شيء، لوجوب مباينة المخلوق الخالق وبالعكس، ذاتاً وفعلاً وصفةً، ولكن ليست بمزايلة كما مرّ - زعموا وقالوا: كيف يكون كذلك، والأسماء متحدة لفظاً؟ فحصل التشبيه والمماثلة، حيث تحققت أسماؤه تعالى في الممكن .

أو أنهم لما سمعوا وصفه بهذه الأسماء والصفات الدالة على النسبة والإضافة - ولم يعرفوا أصلها وسببها - أثبتوا بها الشركة، ولو بعد خلق الخلق، لما جهلوا السبب والغاية، وعرفته، وسيأتي دليل آخر .

ولمحمد صادق في شرح الحديث هفوات، كما هي عادته، أعرضنا عنها اختصاراً .

قوله: ﴿قيل لهم: إن الله تبارك وتعالى ألزم العباد أسماء من أسمائه على

اختلاف المعاني، وذلك كما يجمع الاسم الواحد معنيين [مختلفين] .

(١) «توحيد المفضل» ص ١١٨، «بحار الأنوار» ج ٣، ص ١٤٧، بتفاوت يسير، صححناه على المصدر .

والدليل على ذلك قول الناس الجائز عندهم الشائع، وهو الذي خاطب الله به الخلق، فكلمهم بما يعقلون، ليكون عليهم حجة في تضييع ما ضيعوا، فقد يقال للرجل: كلب وحمار وثور وسكرا وعلقمة وأسد، كل ذلك على خلافه وحالاته، [لم] (١) تقع الأسماء على معانيها التي كانت بُنيت عليها (٢)، لأن الإنسان ليس بأسد ولا كلب، فانهم ذلك رحمك الله ﴿.

أقول: عرفت بأن الاتحاد اللفظي غير ضائر؛ لما عرفت، ثم يبين له ذلك بدليل يعرفه، وهو الذي خاطب الله به خلقه؛ لتلا يكون عبثاً إن خاطبهم بما لا يعرفون، والله إنما تعرف لهم بهم. وعنه (٣): (ما كلم رسول الله ﷺ أحداً بكنه عقله قط) (٤)، وعنه (٥): (أمرنا أن نكلم الناس على قدر عقولهم) (٦) قال الله تعالى: ﴿ وَنَا أَرْسَلْنَا مِنْ رُسُولٍ إِلَّا بِلِسَانٍ قَوْمِهِ لِتُبَيِّنَ لَهُمْ ﴾ (٧) فيكون حملها عليه للدلالة وبحال، لا حمل مواطاة ولا اشتقاق.

وهذا الدليل [من] (٨) مقام الموعظة، وكان المخاطب - كذلك - ليس من أهل الحكمة، فأخذ به ويبين له بالمسلم (الشائع) - وفي نسخة العيون: (سائع) (٩) بالسين المهملة، والغين المعجمة - ليكون أقبل لهم ولظهوره، وإن كانت الأدلة عليه كثيرة، وهو ألهم يطلقون اللفظ على معنى، ويريدون به خلاف معناه [الأخر] (١٠) وإن كان في أحدهما حقيقة، والثاني مجازاً، كتسميتهم الشجاع: أسداً، وليس هو بصورته ولا مادته، ولكنه لما دل عليه بصفة فيه، هي [الشجاعة] (١١) مثلاً، وكذا تسمية البليد: حماراً، ومن غلب [عليه] (١٢) الفرواية: كلباً، إلى غير ذلك، فهذه الأسماء لم تقع على مواضعها الحقيقية، وإنما وقعت في غيره لجهة، والمعاني مختلفة واللفظ متحد، وهذا شائع.

(١) في النسختين: «لم لا». (٢) في المصدر: «عليه».

(٣) «الكافي» ج ١، ص ٢٣، ح ١٥، بتفاوت يسير.

(٤) «الكافي» ج ١، ص ٢٣، ح ١٥، صححناه على المصدر.

(٥) «إبراهيم» الآية: ٤. (٦) ليست في «ب».

(٧) «عيون أخبار الرضا» ج ١، ص ١٤٦، ح ٥٠، وفيه: (السائع).

(٨) ليست في «ب». (٩) في «أ»: «الشجاعة».

(١٠) في «ب»: «غلبة».

والله خاطبنا بما نعرف؛ لتكمل الحجّة، أو إقبح الخطاب بالمجهول، وهدم حصول الفائدة منه، وتبلغ كلمته تعالى، فإذا كان هذا شائعاً في محاوراتنا ومخاطباتنا فليجر هنا كذلك، ولا تلزم الشركة والمشابهة.

وجرى الخطاب هنا على ما يعرفون، بل وضع الأسماء ومشتقها حادث؛ للتعريف والدلالة عليه، فافهم.

وهذه المجازية بحسب صفات [الفعل] ^(١) ومقابل الحقيقة فينا، فرجوعهما لنا لا للذات، فلا تتوهم كما قيل: حقيقة الصفات الذاتية مجاز، وهي سلب، بل ما ذكره على المتعارف، وما عرفنا من أسمائه الحادثة؛ للدلالة على تقديسه وتنزيهه بقدرنا، فتدبر.

فـ (هالم) إذا أطلق على الممكن فمعناه غير ما هو تحته إذا أطلق على الواجب، ويكون إطلاقه على الممكن وإرادة معناه منه مجازاً، وطريقاً إلى إثبات حقيقته له تعالى، لكنه مجاز لا ينافي كونه حقيقة، فلسنا نريد بالمجاز معناه اللغوي، والنسبة التعلقية الإيجادية هي العلاقة التي بها قام المعلول بعلته: ﴿إِنَّ آفَةَ يُنْسِكِ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ﴾ ^(٢) الآية.

وفي خطبة علي عليه السلام: (كل شيء خاشع له، وكل شيء قائم به) ^(٣) فله الحقيقة ولنا المجاز، وبدل على ذلك تمثيل الإمام عليه السلام لذلك بهذين المعنيين: الحقيقي والمجاز، فلفظ (هالم) (لطيف) و(سميع) و(ظاهر) و(باطن)، وسائر أسمائه تعالى، إذا أطلقت على الممكن لم تقع مواقعها الحقيقية، بل بمعان مجازية، كأسد في الإنسان، ولا بد للمجاز من حقيقة، فالحقيقة له تعالى.

ولا تجعل المعنى المجازي هو الحقيقي، لأنه خروج عنها، فعلم من استدلاله عليه السلام أن المجاز لا بد له من حقيقة، وثبوت المجاز والعرف أيضاً، واعتبار الشارع لهما، ومراعاتهما في كلامه، وكذا الاشتراك، وأن السلب من علامة المجاز؛ لقوله عليه السلام: (لأن الإنسان ليس بأسد) ... إلى آخره.

فمن علامة الحقيقة عدم صحّة السلب، وهذا ما عليه علماء الأصول ^(٤)، ومستمع ما في كلامه عليه السلام من المسائل العقلية المتفق عليها عند أهل [العقول] ^(٥)، وبه يدفع تشكيك

(١) في «أ»: «العقل».

(٢) «فاطر» الآية: ٤١.

(٣) «نهج البلاغة» الخطبة: ١٠٩، صحناه على المصدر.

(٤) انظر: «الفوائد الحائرية» ص ٣٢٥.

(٥) في «ب»: «المقول».

بعض هنا، من بعض أهل الفضول، فتدبر، فإنه يظهر لك - حينئذٍ - ما في الشرح من القصور. قال الشارح المازندراني - بعد هذا الكلام من الحديث - : «فقد تقرّر ممّا ذكر أنّ معنى الأسماء في الواجب مخالف لمعناها في غيره، كما أنّ المعنى الحقيقي للأسد مخالف لمعناه المجازي الذي هو الإنسان، إلّا إنّ الاسم فيما نحن فيه ليس في الواجب حقيقة، وفي غيره مجازاً، بل في كليهما حقيقة، من باب الاشتراك في اللفظ، فإنّ العالم مثلاً موضوع تارة للعلم القديم الكامل بالذات لا بالغير، وتارة للعلم الحادث الناقص، القابل للعدم سابقاً، ولاحقاً القائم بالغير، ولا شبهة في أنّ هذا المعنى مخالف لذلك المعنى، ولا اشتراك بينهما إلّا في لفظ العلم.

ولمّا نظر بعض المحققين إلى هذا الدليل، ووجد الأسد - ونحوه من الأسماء - حقيقة في معانيها الأصلية، ومجازاً في الإنسان، ظنّ أنّ الأسماء الكمالية أيضاً كذلك، فقال: معناه كما أنّ تلك الأسماء لا يستحقّها حقيقة إلّا معانيها الأصلية، ولا تقع على الرجل حقيقة، بل تقع مجازاً، كذلك الأسماء الكمالية لا يستحقّها حقيقة، إلّا الذات القدسية، ولا تقع على الكاملين من الخلق حقيقة، بل تقع عليه مجازاً، من حيث إنهم مظاهر أسماء خالقهم. وفيه: أنّه إن أراد بالمجاز - ففي قوله: الأسماء الكمالية تقع على الخلق مجازاً - الاستعارة، ليوافق الأمثلة المذكورة في الدليل، فإنّ الأسد ونحوه استعارة في الإنسان، يرد عليه أنّ الاستعارة مبنية على التشبيه، وقد مر مراراً أنّه لا يجوز تشبيه شيء بالله سبحانه بوجه من الوجوه.

وإن أراد مجازاً مرسلًا لعلاقة السببية والمسببية، كما يشعر به الظاهر، يرد عليه أنّه على تقدير جواز ذلك هنا، فانت المناسبة بين المقيس والمقيس عليه، فإنّ المقيس عليه استعارة. وإن اكتفى في المناسبة بمجرد التجوّز، وإن كان هذا نوعاً منه وذلك نوع آخر، فليقل بالاشتراك اللفظي، كما هو ظاهر سياق الحديث، وليكتف في المناسبة بما ذكرنا سابقاً، من مجرد الاختلاف بين المعنيين»^(١) انتهى.

أقول: «إلّا أنّ الاسم فيما نحن فيه»... إلى آخره، إن أراد بالحقيقة: الحقيقة المقابلة لحقيقتها في الواجب - أو حقيقة حاصله له من ذاته - فباطل، فليس من الممكن

(١) «شرح المازندراني» ج ٤، ص ٥٩ - ٦٠، صححه على المصدر.

شيء ولا مقابل له. وإن أراد به كونه حقيقة إذا نظر لها في نفسها وظهور الصفة، فحق، لكن لا ينافي أن في نفسها دليلاً على الحقيقة القَيومية؛ لنص: (لأنه وهب العلم)^(١) لأنه دليل على الحقيقة، ومن الأنوار الساطعة، فهو مجاز بهذا المعنى، وهذا لا ينافي حقيقته.

وليس قولنا: مجازاً، بالمعنى اللغوي المشهور عندهم، والنسبة القَيومية الإحاطية العلاقة، قصارى الأمر عدم كون المجاز والحقيقة بمعناهما، ولا مشاحة في الاصطلاح، فهي حكايات ودلالات كقصور المَرثي. أمّا المجاز بالمعنى اللغوي فلا، وكذا الحقيقة كما أراد، وإلا كان إما ضدّاً أو مشاركاً معنى، إن كان قدر مشترك، ودراية الرواية والاعتبار الخالي من الأخبار يحيلان جميع ذلك. فسبحان مَنْ لا ضدَّ له ولا ند، وأتى للحادث والوصول لمعية الأحد الفرد، فكل ما في الوجود حكايات لوجوده وأشعة لنوره، وليس لها معية ولا مقارنة ذاتية، فليس في أزل الآزال إلا الأحد الصرف، وهو على ما لم يزل.

وحينئذٍ يظهر لك ما في كلامه من الخلل، مع أن ما ردُّ به - على تقدير كونها استعارة - يرد عليه من وجه آخر، فتفتن. مع أن ما ذكره من المقيس عليه استعارة له منعه من تحصيل المشابهة في مطلق المجازية، والاشترار في اللفظ غير ممنوع، لكنه غير نافع، ومجرد الاختلاف بينهما ليس بعلاقة ومصحح، بل مانع، فافهم.

والظاهر أن الذي حداه إلى دفع المجازية، حذراً من لزوم أن لا يكون علم الممكن أصلاً، وليس كذلك، بل بمعناه اللغوي في الممكن غير لازم، فإذا قلت: زيد شجاع أو أسد، إنما شبهته بحقيقة السبعية، وهي شدة العَدُو، دون باقي صفاته وصورته، وحقيقة هذه الصفة لم يخل عنها أصلاً، وإلا لما صحَّ التشبيه، بل فيه، وإن تفاوتت، فكانت هذه حكاية تلك، وهي في الأسد حقيقة، أي ذاتاً لا ادعاءً، فلا محذور في هذا.

وأيضاً قوله: «إلا أن الاسم فيما نحن فيه»... إلى آخره، ظاهر الحديث وطريق استدلال الامام عليه السلام يدفع الاشتراك، وأن يكون فيما نحن فيه حقيقتان، فإنه عليه السلام جعل إطلاق الأسد على الإنسان لم يقع موقعه، وإنما موقعه الحقيقي الحيوان المخصوص، واستدل على المجازية بصحة السلب، بقوله: «لأن الإنسان»... إلى آخره، فوزان الاسم هنا، فيجري فيه صحة السلب فينا، ويدل عليه [أجزاؤه]^(٢) السلب في فرقه في العلم - كما سيأتي - وغيره.

(١) «شرح نهج البلاغة» للشيخ مير البحراني، ج ١، ص ١١٠، «علم اليقين» ج ١، ص ٧٣.

(٢) في النسختين: «أجزائه».

ولو كان كما يقول كانت حجة الإمام غير تامة، لعدم القرينة الدالة على ذلك في دليبه، بل هي على العكس، ولكان الأولى أن يذكر من الشائع، مثل العين أو القرء أو جون، من المشترك، وهو خير بها، لكن عرفت ما حدها على ذلك، مع اعتبارية المجازية اللغوية، وكذا حقيقتها، وعرفت دفعه، بل الحقيقة اللغوية هنا مجاز أيضاً، ويصح السلب بلا لزوم نقص، فما سوى الواجب ليس بعالم؛ لأن علمه بعد جهل، وينقلب إلى سائر الأسماء.

ومن أوجب المجانب، ما نقله ملا خليل عن محمد أمين، أنه توهم من أمثال كلام الإمام عليه السلام السابق: «أن المعاني اللغوية لتلك الأسماء مفقودة في حقه تعالى، فإطلاق تلك الألفاظ عليه تعالى بطريق المجاز اللغوي أو العقلي»^(١) انتهى.

وهو ظاهر البطلان، وألا لكان إطلاق العلم والقدرة وسائرهما عليه مجازاً، فيصح السلب، والنقل والعقل يردّه، مع عدم مطابقته للحديث، كما هو ظاهر للمراجع.

قوله: ﴿وإنما سمي الله تعالى بالعلم بغير علم حادث قلّم به الأشياء، استعان به على حفظ ما يستقبل من أمره، والروية فيما يخلق من خلقه، ويفسد ما مضى مما أفنى من خلقه، مما لو لم يحضره ذلك العلم ويغيّبه كان جاهلاً ضعيفاً، كما أنا لو رأينا علماء الخلق إنما ستوا بالعلم لعلم حادث، إذ كانوا فيه جهلة، وربما فارقهم العلم بالأشياء فعادوا إلى الجهل، وإنما سمي الله عالماً؛ لأنه لا يجهل شيئاً، فقد جمع الخالق والمخلوق اسم العالم، واختلف المعنى على ما رأيت﴾.

أقول: تفصيلاً لما أشار له عليه السلام أولاً إجمالاً من الفرق في معانيها، بين كونها أسماء للخالق أو المخلوق، فقال: (إنما سمي الله) عالماً ليس بحدوث علم له، بحيث كان بذاته جاهلاً، وإنما حدث له بصفة زائدة مغايرة، استعان بها على الحفظ للأشياء عن التهافت، والاجتماع والتفرّق وغير ذلك، بحسب كل فرد فرد، بما يصلحه ويخصّه، ويندفع به ما يرد عليه، ولما يوجد أيضاً، لتوقفه على العلم، وعلى التروّي فيما يخلق من خلقه، وفيما

يفسد الماضي، من الذي أفناه من خلقه.

وعلى هذا فـ (الروية) إمّا معطوفة على (حفظ) أو (به).

(و) يفسد (من: أنسد، وفاعله يعود إلى (يخلق) و(ما) موصولة، وإنما لزم فساده لفساد العلم لا [فناؤه] ^(١)، وعلمه لا يفسد؛ لأنه ليس من المعلوم وبه، بل سابق: ﴿قَدْ عَلِمْنَا مَا تَنْقُصُ الْأَرْضُ مِنْهُمْ وَهَذَا كِتَابٌ حَفِيفٌ﴾ ^(٢) فليس [الفاسد] ^(٣) راجعاً للمعدم المحض. ويحتمل أن يكون علمه ليس بحادث يستعين به فيما [يستقبل] ^(٤) من أمره، ويتروى فيما يخلق من خلقه (ويفسد) أي العلم الذي مضى منه ممّا أفنى | من | خلقه، حيث إن العلم حينئذٍ حادث مكتسب، فيتجدد بتجدد المعلوم، ويفنى بفناؤه، ما لم يحضره ذلك العلم، حيث هو حادث.

(و) يغيبه (بالغين المعجمة، بعدها ياء مخففة) وفي بعض النسخ بتشديدها وفاعل (يفسد) حينئذٍ (ما) الموصولة. وفي بعض النسخ (ما لم يحضره) بالصاد المهملة ^(٥). وفي بعض النسخ: (تغيبه) على صيغة الماضي، من باب [التفعل] ^(٦)، والأصل: تغيب عنه. وفي بعض النسخ ونسخة العيون: (ويغيبه) ^(٧) على صيغة المضارع المجزوم، من الإهانة. وفي بعض النسخ، والتوحيد يدل (فيه) - في قوله ﷺ: (إليه | جهلة) - (قبله) ^(٨). وبالجملة: ليس علمه حادثاً [اكتسابياً] ^(٩) يتجدد بتجدد غيره، ويفنى بفناؤه، وهو كالألة يُستعان بها، وإلا كان جاهلاً بذاته، بل وهاجراً ذاتاً، لافتقاره في الحفظ والخلق إلى أمرٍ مغاير زائد، والواجب ليس كذلك، كما أننا لما نظرنا إلى علماء الخلق، قلنا: إنما كانوا عالمين بعلم حادث زائد، حصل لهم بعد الجهل، وقد يفارقهم زماناً فيعودون للجهل، لحدوثه، وليس معناه بالنسبة له كذلك، وإلا تشابها ذاتاً، فلم يعرف الصانع من المصنوع،

(١) في «أ»: «لا قدايه»، وفي «ب» كلمة غير مقروءة.

(٢) «ق» الآية: ٤. (٣) من «ب».

(٤) في النسخين: «يستعمل». (٥) ليست في «ب».

(٦) في النسخين: «التفعل».

(٧) «عيون أخبار الرضا» ج ١، ص ١٤٧، ح ٥٠، وفيها «ويغيبه» وأشير في هامش الصفحة إلى النسخة

الأخرى التي بلفظ: «ويغيبه».

(٨) «التوحيد» ص ١٨٨، ح ٢.

(٩) في النسخين: «الكسائي».

بل إنما سمينا عالمًا، لأنه تعالى لا [بجهل شيئاً] (١)، كما هو ظاهر.
 فهذا سبب تسميتنا له، وغيره من الأسباب، لا أن سبب التسمية مقايسته بالممكن، وأن
 له علماً حادثاً، بل علمه عبارة عن كون الذات على ما هو عليه، غير مصور ولا مكيف ولا
 محدود، فهو عين الذات، فهما لفظان مترادفان، متحدان ذاتاً من كل وجه.
 فظهر تخالف المعنى، وخلو كل منهما من الآخر، وإن اتحد اللفظ فلا اشتراك، لا ذاتاً
 ولا في المفهوم أيضاً، فإن الدالتين مختلفتان، فتدبر.
 و(لو) في قوله ﷻ: (كما أنا لو رأينا علماء الخلق إنما سموا بالعلم) [شرطية ليست
 بزائدة، وجوابها محذوف، تقديره: (لو رأينا علماء الخلق) لعلنا (الما سموا)... إلى
 آخره] (٢) لكن رأينا فعلنا.
 و(لو) في نسخة توحيد ابن بابويه (٣) ليست بموجودة، وجعل بعض (لو) زائدة على
 نسخة الكافي.

قوله: ﴿وستي ربنا شيئاً لا يخرت فيه يسمع به الصوت ولا يبصر به،
 كما أن خرتنا الذي به نسمع لا تقوى به على البصر، ولكنه أخبر أنه لا
 يخرت عليه شيء من الأصوات، ليس على حد ما ستينا نحن، فقد جمعنا
 الاسم بالسمع، واختلف المعنى. [وهكذا البصر لا يخرت منه أبصر، كما
 أنا نبصر بخرت منا، لا ننتفع به في غيره، ولكن الله بصير لا يحتمل
 شخصاً منظوراً إليه، فقد جمعنا الاسم واختلف المعنى] (٤).

قول: قد سبق في الباب السابق تفسير السمع والبصر.

والخرت - بفتح الخاء المعجمة وضمها، وسكون الراء المهملة، قبل التاء المثناة من
 فوق - ثقب الأذن (٥).

وفي نسخة التوحيد (٦) والميون (٧): (لا بجزء فيه... كما أن جزءنا الذي)... إلى آخره،

(١) في النسختين: «بجهل شيء».

(٢) «التوحيد» ص ١٨٨، ح ٢.

(٣) انظر: «لسان العرب» ج ٤، ص ٥٦، «خرت».

(٤) «التوحيد» ص ١٨٨، ح ٢.

(٥) «صيون أخبار الرضا» ج ١، ص ١٤٧، ح ٥٠، وفيه: (لاجزء).

وفي باقي المواضع أيضاً، وربما قيل: الخرت: مطلق الثقب. وقيام البرهان على بطلان معنى السمع والبصر فيه - كما في الممكن - ظاهر مما سبق.

وكذا ما أفاده عليه السلام من أن ما يسمع به في الممكن غير ما يبصر به - وكل آلة لا تصلح لغيرها - ظاهر من النص، كحديث الفضل وغيره، وذلك لأن إدراك كل خاص [ليس] ^(١) بعام؛ لأنها قوة خاصة، [ولاختلاف] ^(٢) الجهات فيه، وتكثرها الموجب لذلك، ولا كذلك الواجب. أمّا المجرد، وإن كان سمعه وبصره غير مقيد بجزء منه، بل يسمع بجميع جوارحه وقواه، كما كان حال موسى عليه السلام | في سماعه الكلام حال المناجاة، وكذا محمد عليه السلام وآله عليهم السلام في رؤيتهم من خلف، وعدم حجب الجدار رؤيتهم وغير ذلك، فلأنه ليس بالرؤية الحسية، وبهذه المشاهدة المشروطة بالأوضاع المادية، وسمعتها نفس علمها، وهو زائد فيها أيضاً، إذ كل عالم بعد جهل، بعدية ذاتية واقعية، وإن لم تقع زماناً في بعض (يعلم) إلا الواحد الفرد، فتأمل ما أن بذاته جهة فسمعه بجهة، فظهر الفرق.

قوله: ﴿وهو قائم ليس على معنى انتصاب وقيام على ساق في كبد، كما قامت الأشياء، ولكن قائم [ينبغي أنه] ^(٣) حافظ، [كقول] ^(٤) الرجل: القائم بأمرنا فلان، والله هو القائم على كل نفس بما كسبت، والقائم أيضاً [في كلام الناس: الباقي، والقائم أيضاً] ينبر عن الكفاية، كقولك [للرجل]: قم بأمر بني فلان، أي اكفهم، والقائم منا قائم على ساق، فقد جمعنا الاسم ولم نجمع المعنى﴾.

أقول: الكبد: الشدة ^(٥)، قال تعالى: ﴿لَقَدْ خَلَقْنَا الْإِنْسَانَ فِي كَبَدٍ﴾ ^(٦) بفتح الكاف والباء الموحدة من أسفل، وبيان الكلام ظاهر.

(١) ليست في «ب».

(٢) في النسختين: «ولا اختلف».

(٣) في النسختين: «قول».

(٤) في النسختين: «ينبريته».

(٥) انظر: «لسان الرب» ج ١٢، ص ١٢، «كبد». (٦) «البلد» الآية: ٤.

قوله: ﴿وَأَمَّا اللَّطِيفُ فَلَيْسَ عَلَيَّ قَلَّةٌ [وقضاة وصفر]﴾^(١)، ولكن ذلك على النفاذ في الأشياء، والامتناع من أن [يدرك] ^(٢)، كقولك للرجل: [لطف عني] ^(٣) هذا الأمر، ولطف فلان في مذهبه، وقوله يخبرك أنه فمض فيه العقل وفات الطلب، وعاد متمتقاً متلطفاً لا يدركه الوهم، فكذلك لطف الله تبارك وتعالى [عن] ^(٤) أن يدرك بعد أو يُحدِّث بوصف، واللطافة من الصفر والقلة، فقد جمعنا الاسم واختلف المعنى.

وأما الخبير فالذي لا يعزب عنه شيء ولا يفوته، ليس للمتجربة ولا للاعتبار بالأشياء، فعند التجربة والاعتبار علمان، ولولاها ما علم لأن من كان كذلك كان جاهلاً، والله لم يزل خبيراً بما يخلق، والخبير من الناس المستخبر عن جهل المتعلم، فقد جمعنا الاسم واختلف المعنى.

القول: سلب - أولاً - عن الواجب معنى اللطيف في الحادث، للزومه التشبيه المعلوم بطلانه، كما مر، وأثبت أخيراً للممكن، وأنه معناه فيه، وذلك لـ (الطيف) في إطلاقه على الواجب تعالى معنيان: الإحاطة بالكلِّ علماً، والنفوذ فيها، وعدم إمكان الإحاطة به وإدراكه بذاته لا بغيره، إذ لا حجاب له؛ لكمال ظهوره - كما ستعرف - فلا تشبيه، والمعنى الأول مر في رواية أبي هاشم في الباب السابق^(٥)، وهما في الحقيقة معنى واحد.

ثم استدللنا في استعمال اللطيف فيهما بما هو شائع مفهوم، وبه يقع التخاطب؛ لتعلو الحجّة - كما مر أول الحديث - وإن كان مجازاً، لكنه مستعمل (كقولك للرجل): لطف عني هذا الأمر) أي عجز العقل عن إدراكه، وفاته ورجع متلطفاً في إدراكه، أي بوجه، كذلك الواجب تعالى، ولا يلزم - حينئذٍ - إثبات كيف لصفته تعالى، وستعرف أيضاً. (وقوله) إما معطوف على (مذهبه) أو مبتدأ، أي قول الرجل: لطف عني هذا الأمر.

(١) في «أ»: «وظافة وصف» وفي «ب»: «وتصافة وصف».

(٢) في النسختين: «لطف عين».

(٣) في النسختين: «يذكر».

(٤) باب معاني الاسماء واشتقاقها، ح ٧.

(٥) في النسختين: «من».

وفي بعض النسخ: (عين هذا الأمر، يخبرك أنه) ... إلى آخره.

وفي التوحيد: (فبهر العقل) ^(١) [مفعول] ^(٢) «بهر»، وعلى (فيه) فد (العقل) فاعل (فمض)، فلا اشتراك إلا لفظاً، فلا تشبيه، إذ مداره على المعاني، إذ اللفظ وصلة، بل لا اشتراك أصلاً، ولا تتوهم أنه فيه تعالى مجاز أيضاً، بل ما في الممكن حكاية، وما ذكر دليل الاستعمال، فهو طريق لإثباته فيه تعالى، فيثبت كوجوده، فهو واجبي، فكذا صفتة، والعلاقة الدلالة، إذ الصنعة دالة على صانعها. ومرّ البيان في معنى الرحمة في الكلام على البسمة. نعم، لم يرد الإمام عليه السلام من المجازية هنا - وفي غير هذا الموضع - كما هي عند أهل اللغة، لا أنه مثبت لها في ذاته مجازاً، وإلا لصحّ السلب عنه؛ لنفس دليله عليه السلام السابق، وهو لا يصحّ، ولكان علمه مجازاً، وغيره من صفاته الذاتية، وهو باطل عقلاً ونقلاً، فتذكر ما في البسمة. وأما (الخبير) فهو والعلم بمعنى واحد، فإنه فسره بالذي (لا يعزب عنه) ... إلى آخره، ثم سلب عنه الزيادة، وسبق الجهل بقوله: ليس علمه بالتجربة أو للاعتبار والنظر، وهما طريقا تحصيل العلم الضروري للممكن؛ إما بتجربة وهي المجربات، أو بغيرها، وترجع للاعتبار. وليس بضروري كضروري الممكن، ولا نظري كالحاصل بالاعتبار، فنفي عنه تعالى العلم الزائد بقسميه؛ لاقتضائهما كونه جاهلاً بذاته، فلا كيفية لعلمه، فهو عين ذاته. ولو كان علمه من أحد القسمين، حدث بحدوث أحدهما وزال بزواله، وليس كذلك، بل الله لم يزل خبيراً بما خلق، كما أنه لم يزل عليمًا، ويستعمل أيضاً بهذا المعنى [في] ^(٣) الشائع أيضاً.

وأشار بقوله عليه السلام: (ولولاهما ما علم) مع ما قبله، إلى أن النتيجة لازمة للمقدمتين على طريق اللزوم، لا العادة، كما عليه الأشاعرة وبعض الإمامية، ومرّ في باب نفي الرؤية حديث ^(٤) يدلّ عليه أيضاً. أما معناه ^(٥) بالنسبة إلى الممكن فبمعنى المستخبر العالم عن جهل، كما عرفت، (فقد جمعنا الاسم)، لا المعنى.

(١) «التوحيد» ص ١٨٩، ح ٢. (٢) في النسختين: «مفعول».

(٣) ليست في «ب».

(٤) «الكافي» ج ١، ص ٩٧، باب في إبطال الرؤية، ح ٤، ومرّ في «هدي العقول» ج ٤، باب ٩، ح ٤، وفيه: (لأن

الأسباب لا بدّ من اتصالها بالمسببات). (٥) يعني الخبير.

وفي نسخة كتابي الصدوق: (فتفيده التجربة والاعتبار علماً) (١).

قوله: ﴿وَأَمَّا الظاهر، فليس من أجل أنه علا الأشياء بركوب فوقها،
وقعود عليها وتسئم لذراها، ولكن ذلك لقهره ولغلبته الأشياء وقدرته
عليها، كقول الرجل: ظهرت على أعدائي، وأظهرني الله على خصمي،
يخبر عن الفلج والغلبة، [فهكذا] (٢) ظهور الله على الأشياء.
ووجه آخر: أنه الظاهر لمن أراده، ولا يخفى عليه شيء، وأنه مدبر لكل
ما [براً] (٣)، فأبى ظاهر أظهر وأوضح من الله تبارك وتعالى؟ لأنك لا تعدم
صنعة حيثما توجهت، وفيك من آثاره ما يفنيك، والظاهر منّا البارز
بنفسه والمعلوم بحدّه، فقد جمعنا الاسم ولم يجمعنا المعنى﴾.

أقول: ذكر للظاهر معاني:

أحدها: في الممكن لا يصح في الواجب، وآخر في الواجب لا يتحقق في الممكن إلا
على نوع من الحكاية والتجوّز.

أما الأول: فالظاهر بمعنى [تسئمه] (٤) على الشيء، وهي ذروته.

والذرى - بضم المعجمة أو كسرهما - جمع الذرّة، بالوقوف عليها، أو القعود.

وهذا لا يصح في جانب الله تعالى، لاستلزامه الافتقار والحلولية وغيرها. وهذا أول

المعاني التي ذكرها الإمام عليه السلام.

ويقال: الظاهر في الممكن أيضاً لمن كان [ظاهراً بنفسه] (٥) وشخصه، إمّا محسوس في

المحسوس، أو معقول متوهم في الموجودات الذهنية، وأشار الإمام عليه السلام إلى القسمين

بقوله: (البارز بنفسه والمعلوم بحدّه) فأفاد عليه السلام أن الشيء إن كان محسوساً، فظهوره وإحاطة

الغير به نفس المشاهدة، وفي المعقول بالحدّه، وقد وافق على ذلك الحكماء.

(١) «عيون أخبار الرضا» ج ١، ص ١٤٨، ح ١٥٠ «التوحيد» ص ١٨٩، ح ٢، وفيه: (فتفيده).

(٢) في النسختين: «فكذا».

(٣) في النسختين: «يرى».

(٤) في «ب»: «قسمه».

(٥) في النسختين: «ظاهر نفسه».

وهذا غير ممكن في الواجب، إذ كلُّ مُمكنه محاط محدود متصوّر، فهو معلول، فتنقلب الرؤوس أرجلاً وبالعكس، وهو محال، إذ كلُّ مَنْ هو كذلك مخلوق، ولا شيء من الواجب بمخلوق، فلا شيء منه كذلك، وهذان معنيان لا يجوزان في شأنه جلّ وعلا.

وأما الثاني: وهو الذي ثبت في الواجب تعالى، فيقال: الله ظاهر، بمعنى قاهر لها، وغالب [عليها] ^(١) وقادر، والثلاثة [مؤداها] ^(٢) واحد، وهو كذلك، إذ لا يعجزه شيء ولا يفوته ولا يغلبه، وهذا ظاهر عقلاً ونقلًا، وألا لم يكن واجباً.

ومن استعمال الظاهر بمعنى الغالب قوله تعالى: ﴿ فَأَضْبَحُوا ظَاهِرِينَ ﴾ ^(٣) أي خالين. وكذا الاستعمال الشائع، كقول الرجل: ظهرت عليّ أعدائي، أي غلبتهم، وأظهرني الله عليّ خصمي، أي غلبته وقلجته.

والفُلج - بالفتح - الظفر، وقد فلج الرجل | عليّ | خصمه إذا غلبه، وأفلجه الله عليه، أي جعله غالباً، والاسم: الفُلج، بالضم ^(٤).

ولكنّ ظهور الممكن وغلبته عليّ آخر قصور، كيف وهو بالغير وهو بذاته مقهور؟ فكلُّ شيء له خاضع.

ويقال أيضاً: الله ظاهر، بمعنى أن الأدلة الدالة عليه عامّة في كل موجود، فلا يفقد الدلالة موجود أصلاً.

نفي كل شيء له آية تدل عليّ أنّه واحد ^(٥)

صمد فرد عالم، بل عليّ [أنحاء] ^(٦) جملة وفرادى، وآثار الصنع ظاهرة في كل موجود حيثما توجه، بل لا ظهور أظهر من ظهوره، حيث إنّ به الحجاب، فظهر بخلقه واحتجاب بهم، ولا يخفى عليه شيء، وكيف يخفى عليه ما هو ظاهر فيه، ومدبر له؟

وفي خطبة العيون للرضا عليه السلام، وفي غيرها أيضاً: (بها تجلّى صانعها للعقول، وبها

(١) في «ب»: «لها».

(٢) في «أ»: «موادها» وفي «ب»: «مراد بها».

(٣) «الصفّ» الآية: ١٤.

(٤) انظر: «الصحيح» ج ١، ص ٣٣٥، «فلج».

(٥) «ديوان أبي العنابية» ص ١٢٢، بتفاوت يسير. (٦) في «أ»: «اتحاد من».

احتجب عن الرؤية^(١) فسبحان من اختلف بفرط الظهور، واحتجب بغير حجاب مستور، وهكذا حكم [القاصر]^(٢) لا يدرك الكامل إلا من وراء حجاب، فيكون الإدراك حينئذٍ من وجه لا إحاطة، كالشمس يمنعك اجتلاؤك^(٣) وجهها، وإذا اكتست برقيق غيم أمكننا، هذا على سبيل التمثيل، وإلا فالغيم في هذا المقام هو أمن الموجودات، إذ لا حجاب لخلقه غير خلقه، فليس إلا الله وخلقته، ولا ثالث بينهما، فاستبان أنه لا ظهور أظهر من ظهوره، إذ آثاره لا تعدم أصلاً، حيثما توجه.

واعلم أن ظاهر الحديث جعل الإمام عليه السلام ما ذكره في بيان الظاهر معنيين، والمغايرة بوجه، وإلا ففي الحقيقة واحد [ونوع العبارة تفهيماً، ومن جهة الدلالة]^(٤) لأنه إذا كان غالباً على الكل، والكل مقهور له، فلا بد من عدم جواز خلوه من آثار الصنع والغلبة.

فجعل الشارح المازندراني^(٥) أن للظاهر أربعة معان بالنسبة له، لا داعي له، وإن أراد التكثير، فيمكن جعل ما أثبتته الإمام عليه السلام وجوزته في شأنه تعالى أكثر من أربعة، كما هو ظاهر للفظن.

فظهر لك الفرق بين الظاهر في شأنه وشأننا، إذ لا معنى لكونه أزلياً وغير حادث، إلا [إباته]^(٦) من صفات الحدوث وهو ارضي الإمكان، وإلا فلا أزلية، بل حادث منشأ، ولكنها (بينونة صفة) - كما قال علي عليه السلام - (لا بينونة هزلة)^(٧).

واتضح لك من قوله عليه السلام أنه تعالى لا يظهر بذاته، وهو مقطوع به عقلاً ونقلًا، فقول الملاء وأتباعه بتجلي الظاهر - بأحديتها للأشياء، أو تجليها لذاتها بذاتها، ثم تجلي الأشياء من كينونتها، أو ثبوت الأشياء فيها على وجه أعلى، وهي كل الأشياء - باطل.

قوله: ﴿وأما الباطن، فليس على معنى الاستبطان للأشياء، بأن يفور

(١) «هيون أخبار الرضا» ج ١، ص ١٥٢، ح ٥١، وفيه: (لما تجلّى)... إلخ آخره.

(٢) في «أ»: «القاهر».

(٣) اجتلى الشيء: نظر إليه. انظر: «لسان العرب» ج ٢، ص ٣٤٤، «جلاء».

(٤) ليست في «ب».

(٥) «شرح المازندراني» ج ٤، ص ٧٠ - ٧١، وقد ذكر فيه ستة معان.

(٦) في «ب»: «إبانية».

(٧) «الاحتجاج» ج ١، ص ٤٧٥.

فيها، ولكن ذلك منه على استبطانه للأشياء علماً وحفظاً وتدييراً، كقول

القائل: أبطنته، [يعني: ^(١) خبرته وعلمت مكتوم سره، والباطن [منا] ^(٢)؛

الغائب في الشيء المستتر، وقد جمعنا الاسم واختلف المعنى ﴿﴾.

أقول: بين أولاً المعنى المستحيل فيه تعالى، المرجب للحدوث والتشبيه، وهو كونه بمعنى الغور في الشيء، كغور الداخل في الماء فيه، وبعض الأجزاء في مثل المركب وغيره، وهذا محال في شأنه تعالى، فليس استبطانه للأشياء بهذا المعنى، بل بمعنى إحاطته لها علماً وحفظاً وتدييراً.

وهذا عام ظاهر، وهو معنى ظهوره، إذ الظهور والبطون بالنسبة له تعالى بمعنى واحد، فظهر بما بطن، وبطن بما ظهر.

ويدل على استعمال الباطن في هذا المعنى أيضاً الاستعمال الشائع، كقول القائل: أبطنته - على صيغة المتكلم - بمعنى خبرته وعلمت مكتومه، لا دخلت في غوره.

ومراد الإمام عليه السلام في ذكره الشائع، والتشثيل بالمعنى المجازي؛ لتعليم المحاجة والحجة، ولو من طريق الموعظة وبيان صدقه، وإذا كان ذلك المعنى جائزاً وشائعاً ولا نقص فيه، لو أثبت للواجب فيه كمال التنزيه، أثبت له، وظهوره أثره في الاستعمال مجاز، وطريق لإبائه تعالى له منزهاً. (والاسم) فاعل (جَمَعْنَا).

ولما كان ظهوره ببطون، فالآيات الوجودية حجاب نفسها كما عرفت، ولما كان منشؤها من ذاته الظاهرة بفعله، فهو بذاته باطن، لا بحجاب، كما أنه ظاهر بهما أيضاً في صفات الشهود، فهو الباطن بلا حجاب، والظاهر بلا اقتراب. ولا كذلك (الباطن منا) فإنه: (الغائب في الشيء المستتر) به، فهو حجاب يراره ويستره، فاختلف معناه في الواجب والممكن، فلا تشبيه.

قوله: ﴿وَأَمَّا الْقَاهِرُ، فليس على معنى علاج ونُصَب واحتيال ومداراة

ومكر، كما يقهر العباد بعضهم بعضاً، والمقهور منهم يعود قاهراً، والقاهر

(٢) في النسختين: «منه».

(١) في النسختين: «بمعنى».

يعود مقهوراً، ولكن ذلك من الله تبارك وتعالى، على أن جميع ما خلق ملتبس به الذل لفاعله، وقلة الامتناع لما أراد به، لم يخرج منه طرفة عين، أن يقول له: كُنْ، فيكون. والقاهر متأ على ما ذكرت ووصفت، فقد جمعنا الاسم واختلف المعنى ﴿﴾.

أقول: غير خفي أن القاهرية في الممكن ناقصة، بل هي عجز؛ لأنها إما أن تكون بمعالجة منه ونصب - أي تعب ومشقة - أو نصب معاداة، وباحتيال على آخره، بحيث لم يشعر، وإلا لما قهره، أو مداراة له أو مكر به.

وجميع هذه الأقسام ظاهرة، وهي زائدة على الذات، فلا تكون بها قاهرة ذاتاً، بل ينقلب المقهور في وقت قاهراً، على [تفاصيل] (١) الحيل وعملها، وكذا الخدع واختلاف الأوقات. وجميع ذلك منفي عنه تعالى، فمعنى قاهريته: خضوع كل شيء له، متذلل تحته، قد شمله الذل، [وكأنه] (٢) لباس له لا يمتنع عليه أحد، ولا يخرج عن قول: ﴿كن﴾ ... إلى آخره، طرفة عين أبداً، فدائماً في الانتقار لا غنى له من جاهله أنا ما، كيف وفقره ذاتي ومشيتته بالغير؟ فلا يطبق الامتناع عنه وعمّا يريد به، فهذا معنى القاهرية بالنسبة له تعالى وبالنسبة لنا، فلا اشتراك أصلاً.

(فقد جمعنا الاسم)، (الاسم) فاعل (جَمَعْنَا)، وهو أولي من جعله مفعوله، كما مر.

قوله: ﴿ وهكذا جميع الأسماء، وإن كنا لم نستجمعها كلها، فقد يكفي (٣) الاعتبار بما ألقينا إليك، والله عونك وعوننا في إرشادنا وتوفيقنا ﴾.

أقول: غير خفي على الفطن ظهور معاني أسمائه، بعد التفطن فيما أفاده، وشرح من فيضه لعبده، كلفظ: (قدير) و(الملي) و(الأهلئ)، من (القاهر) وغيره أيضاً، وكذا (الحكيم) و(الحفيظ) و(الحسيب) و(الحي) و(الباقي) ... إلى غير ذلك، ومر لك بيان بعض متفرقات، والمعيار تنزيهه تعالى عن الحدّين: حد التشبيه والتعطيل، وعرفت البيان

(٢) في «أ»: «وكان» وفي «ب»: «وكان».

(١) في النسختين «تفاصيل».

(٣) في المصدر: «يكفي».

مكرراً بما يرتفع به التنافي بين الأحاديث، وسيأتي أيضاً.
 وهذا الحديث فيه دلالة على أمرهم ﷺ بالنظر واستعمال الأصحاب له، لكنه كما
 يقولون ويبنوا، لا على طريقة الجدل بالباطل وما يستعمله أهل الكلام والنظر، ومثله كثير
 في الأحاديث، وقد أوضحنا لك جملة متفرقة من هفواتهم.
 وفي بعض النسخ: (يكتفي الاعتبار) وفي بعض: (نكتفي بالاعتبار) بالنون وزيادة الباء
 في (الاعتبار).
 وأمره ﷺ له بالنظر، ومعرفة الفرق بين الأسماء في الباقي [بما] ^(١) بينه له، دليل على
 وقوع النظر والاستخراج قديماً، كحال المتأخرين، وقالوا ﷺ: (علينا أن نلقي إليكم
 الأصول، وعليكم أن تفرّوها) ^(٢).



(٢) «كتاب السرائر» ج ٣، ص ٥٧٥.

(١) في النسختين «بها».

الباب الثامن عشر

تأويل الممد

مركز تحقيق الكمبيوتر علوم إلكترونية



مرکز تحقیقات کامپیوتر علوم اسلامی

أضواء حول الباب

أقول أي بيان معناه بالنسبة له تعالى بما لا يتروهم .
ولا أحرف هلة لإفراد هذين الحديثين عن الباب السابق بعنوان، بل هما داخلان، ولكن الأمر هين، والسبيل في بيان التأويل كما مرّ فذاك قبل وبعد، في هلة وصفه تعالى بصفات الأفعال، وما فيه | من | ملاحظة الغير، وليس التأويل كما يستعمله الملا وأستاذه ابن عربي، وسيأتي بيان الحق في الباب الآخر، وغيره .

□ الحديث رقم ﴿ ١ ﴾

قوله: ﴿ عن [داود بن القاسم] الجعفري، قال: قلت لأبي جعفر الثاني عليه السلام: جعلتُ فدائه، ما الصدق؟ قال: السيد المصمود إليه في القليل والكثير. ﴾

□ الحديث رقم ﴿ ٢ ﴾

قوله: ﴿ عن جابر بن يزيد الجعفي، قال: سألتُ أبا جعفر عليه السلام عن شيء من التوحيد، فقال: إن الله - تباركت أسماؤه التي يُدعى بها، وتعالى في علوّ كنهه - واحد، توحد بالتوحيد في توحد، ثم أجراه على خلقه، فهو

واحد، صمد، قدوس، يعبد كل شيء، ويصمد إليه كل شيء، ووسع كل شيء علماً.

أقول: ورواهما الصدوق عليه السلام في التوحيد^(١)، في باب تفسير: ﴿قُلْ هُوَ اللَّهُ أَحَدٌ﴾^(٢) وسبق لك شرح الثاني في الباب الأول^(٣)، فراجعه.

ومعلوم أن وحدته لما خالفت سائر الوحدات، وقد توحد بها في الأزل بلا مشارك، كالوجود - بل هما شيء واحد - فسائر الوحدات مُجرأة منه، كسائر الوجودات والصفات، وهي تساقق الوجود وتختلف باختلافه شدة وضعفاً، فليست باعتبارية، وفيما مر كفاية. ومنه يظهر ضعف ما قاله جماعة في شرح هذا الحديث.

والروايات في تفسير الصمد مختلفة ظاهراً، ولذا اختلفت أقوال العلماء في تفسيره، ولكنها ترجع لمعنى واحد؛ للاتحاد بينها.

ففي التوحيد، مسنداً عن الربيع بن مسلم، قال: سمعت أبا الحسن عليه السلام، وسُئل عن الصمد، فقال: (الصمد الذي لا جوف له)^(٤).

وفيه مسنداً عن محمد بن مسلم، عن أبي عبد الله عليه السلام، قال: (إن اليهود سألوا رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم، فقالوا: انسب لنا ربك، فلبث ثلاثاً لا يجيبهم، ثم نزلت هذه السورة إلى آخرها)، فقلت له: ما الصمد؟ فقال: (الذي ليس بمجوف)^(٥).

وفيه في حديث وهب بن وهب القرشي: قال الباقر عليه السلام: (حدثني أبي زين العابدين، عن أبيه الحسين بن علي عليه السلام، أنه قال: الصمد الذي لا جوف له، والصمد الذي قد اتهم سؤده، والصمد الذي لا يأكل ولا يشرب، والصمد الذي لا ينام، والصمد الدائم الذي لم يزل ولا يزال).

قال الباقر عليه السلام: (كان محمد بن الحنفية عليه السلام يقول: الصمد القائم بنفسه، الغني عن غيره وقال غيره: الصمد المتعالي عن الكون والفساد، والصمد الذي لا يوصف بالتغاير).

قال الباقر عليه السلام: (الصمد السيد المطاع الذي ليس فوقه أمر وناه) قال: (وسُئل علي بن الحسين زين العابدين عليه السلام عن الصمد، فقال: الصمد الذي لا شريك له، ولا يؤوده حفظ شيء،

(١) «التوحيد» ص ٩٤، ج ٩ - ١٠.

(٢) «الإخلاص» الآية: ١.

(٣) «هدي العقول» ج ٣، باب حدوث العالم وإثبات الهدى.

(٤) «التوحيد» ص ٩٣، ج ٨.

(٥) «التوحيد» ص ٩٣، ج ٧.

ولا يعزب عنه شيء) (١).

قال وهب بن وهب القرشي: قال زيد بن علي بن زين العابدين: الصمد هو الذي إذا أراد شيئاً قال له: كُنْ، فيكون والصمد: الذي أبدع الأشياء فخلقها أضداداً وأشكالاً وأزواجاً، وتفرد بالوحدة، بلا ضد ولا شكل ولا مثل ولا ند (٢).

قال وهب بن وهب القرشي وحدثني الصادق جعفر بن محمد، عن أبيه الباقر، عن أبيه (عليه السلام): (أَنَّ أَهْلَ الْبَصْرَةِ كَتَبُوا إِلَى الْحُسَيْنِ بْنِ عَلِيٍّ (عليه السلام) يَسْأَلُونَهُ مِنَ الصَّمَدِ، فَكَتَبَ إِلَيْهِمْ: بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ، أَمَّا بَعْدُ، فَلَا تَخَوْضُوا فِي الْقُرْآنِ، وَلَا تَجَادَلُوا لِيهِ، وَلَا تَتَكَلَّمُوا فِيهِ بِغَيْرِ عِلْمٍ، فَقَدْ سَمِعْتُ جَدِّي رَسُولَ اللَّهِ (صلى الله عليه وآله وسلم) يَقُولُ: مَنْ قَالَ فِي الْقُرْآنِ بِغَيْرِ عِلْمٍ فَلْيَتَّبِعُوا مَقْعِدَهُ مِنَ النَّارِ، وَإِنَّ اللَّهَ سَبَّحَانَهُ قَدْ لَسَرَ الصَّمَدَ، فَقَالَ: ﴿اللَّهُ أَحَدٌ * اللَّهُ الصَّمَدُ﴾ ثُمَّ لَسَرَهُ فَقَالَ: ﴿لَمْ يَلِدْ وَلَمْ يُولَدْ * وَلَمْ يَكُنْ لَهُ كُفُوًا أَحَدٌ﴾.

﴿لم يلد﴾: لم يخرج منه شيء كثيف، كالولد وسائر الأشياء الكثيفة، التي تخرج من المخلوقين، ولا شيء لطيف كالنفس، ولا يتشعب منه البدوات، كالسنة والنوم والخطرة، والهيم والحزن والبهجة، والضحك والبكاء والخوف، والرجاء والرغبة والسامة، والجوع والشبع، تعالى أن يخرج منه شيء، وأن يتولد منه شيء كثيف أو لطيف.

﴿ولم يولد﴾: لم يتولد من شيء، ولم يخرج من شيء، كما تخرج الأشياء الكثيفة من عناصرها، كالشيء من الشيء، والدابة من الدابة، والنبات من الأرض، والماء من الينابيع، والشمار من الأشجار، ولا كما تخرج الأشياء اللطيفة من مراكزها، كالبحر من العين، والسمع من الأذن، والشم من الأنف، والذوق من الفم، والكلام من اللسان، والمعرفة والتمييز من القلب، وكالنار من الحجر.

لا بل هو الله الصمد الذي لا من شيء، ولا في شيء، ولا على شيء، مبدع الأشياء وخالقها، ومنشئ الأشياء بقدرته، يتلشى ما خلق للفناء بمشيئته، ويبقى ما خلق للبقاء بعلمه، فذلكم الله الصمد الذي ﴿لم يلد ولم يولد﴾، عالم الغيب والشهادة الكبير المتعال ﴿وَلَمْ يَكُنْ لَهُ كُفُوًا أَحَدٌ﴾ (٣).

(١) «التوحيد» ص ٩٠، ح ٣، صحناه على المصدر.

(٢) «التوحيد» ص ٩٠، ح ٤، صحناه على المصدر.

(٣) «التوحيد» ص ٩٠ - ٩١، ح ٥، صحناه على المصدر.

قال وهب بن وهب القرشي: سمعت الصادق عليه السلام يقول: (قدم وفد من أهل فلسطين على الباقر عليه السلام، فسألوه عن مسائل، فأجابهم، ثم سألوه عن الصمد، فقال: تفسيره فيه: الصمد خمسة أحرف، فالألف دليل على إنيته، وهو قوله عز وجل: ﴿ شَهِدَ اللَّهُ أَنَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ ﴾ ^(١) وذلك تنبيه وإشارة إلى الغائب عن درك الحواس .

واللام: دليل على إلهيته، بأنه هو الله، والألف واللام مدغمان لا يظهران على اللسان، ولا يقمان في السمع، ويظهران في الكتابة، دليلان على أن إلهيته بلطفه خافية، لا تدرك بالحواس ولا تقع في لسان واصف وأذن سامع؛ لأن تفسير الإله هو الذي إليه الخلق عن درك ماهيته وكيفية بحس أو بوهم، لا بل هو مبدع الأوهام، وخالق الحواس .

وأما يظهر ذلك عند الكتابة، دليل على أن الله سبحانه أظهر ربوبيته في إبداع الخلق، وتركيب أرواحهم اللطيفة في أجسادهم الكثيفة، فإذا نظر عبد إلى نفسه لم ير روحه، كما أن لام الصمد لا تتبين، ولا تدخل في حاسة من الحواس الخمس. فإذا نظر إلى الكتابة ظهر له ما خفي ولطف. فمتى تفكر العبد في ماهية الباري تعالى وكيفية، إليه فيه وتحيّر، ولم تحط فكرته بشيء يتصور له، لأنه عز وجل خالق الصور، فإذا نظر إلى خلقه ثبت له أنه عز وجل خالقهم، ومرتب أرواحهم في أجسادهم .

وأما الصاد: فدليل على أنه عز وجل صادق، وقوله كصدق وكلامه صدق، ودعا عباده إلى اتباع الصدق بالصدق، ووهد بالصدق دار الصدق .

وأما الميم: فدليل على ملكه، وأنه الملك الحق، لم يزل ولا يزال، ولا يزول ملكه .
وأما الدال: فدليل على دوام ملكه، وأنه عز وجل دائم، تعالى عن الكون والزوال، بل هو عز وجل يكون الكائنات، الذي كان بتكوينه كل كائن .

ثم قال عليه السلام: لو وجدت لعلمي الذي أتاني الله عز وجل حملةً لنشرت التوحيد والإسلام والإيمان والذين والشرائع من الصمد، وكيف لي بذلك ولم يجد جدّي أمير المؤمنين عليه السلام حملة لعلمه، حتى كان يتنفس الصمداء ويقول على المنبر: سلوني قبل أن تفقدوني، فإن بين الجوانح مني علماً جماً، هاه هاه، ألا لا أجد من يحمله، ألا وإني عليكم من الله الحجة البالغة، فلا تتولوا يوماً غضب الله عليهم، قد يشسوا من الآخرة، كما يشس الكفار من أصحاب القبور .

ثم قال الباقر عليه السلام: الحمد لله الذي من علينا، ووفّقنا لعبادته، الأحد الصمد، الذي لم يلد ولم

يولد، ولم يكن له كفواً أحد، وجئنا عبادة الأوثان، حمداً سرمداً وشكراً واصباً.
 وقوله عز وجل: ﴿لَمْ يَلِدْ وَلَمْ يُولَدْ﴾ يقول: لم يلد عز وجل، فيكون له ولد يرثه في ملكه،
 ولم يولد فيكون له والد، يُشركه في ربوبيته وملكه، ﴿ولم يكن له كفواً أحد﴾ فيماونه نبي
 سلطانه (١).

مسائل

وقد اشتمل هذا الحديث على عدة مسائل، بسط الكلام فيها ممّا يطول، لكن نشير إلى
 تعداد ما ظهر، ونكل الجواب إلى نور العارف وملكته.
 فمنها: أنه قدّم لهم النهي عن تفسير القرآن بالرأي، لما علم من حالهم، وإن لم يسألوه عنه.
 ومنها: مخالفة النفس للبدن، فليست جزءاً من أجزائه.
 ومنها: أن الإبصار [بمخرج] (٢) الشماع، وأراد بالخروج في باقي القوى ظهور الأثر من
 مظهر خاص.

ومنها: تفسير الصمد بالتأويل، بل باطنه.
 ومنها: الإشارة إلى الظهور والخفاء بمثال، في الكتابة والأنفس. ومنه يظهر معنى ما ورد
 عنهم عليهم السلام: (له معنى الألوهية إذ لا مألوه) (٣) مخرج مروي
 ومنها: الإشارة إلى عدم جواز إظهار العلم لغير أهله.
 إلى غير ذلك ممّا خفي علينا، وخرج عن وسعنا، فتفطن.

تقرير المؤلف

ولا شك أنا متى فسّرنا الصمد بالذي يقصد إليه كل أحد، ويصمد إليه جميع الخلائق،
 كما تضمّنه أوّل الأحاديث، فهو أيضاً معنى الفنى المطلق أو القائم بنفسه، إذ لو لم يكن
 غنياً مطلقاً بذاته، لم يقصده كل أحد، وكذا لا ينافي تفسيره بالذي لا يأكل ولا يشرب ولا
 ينام؛ لاستدعاء ذلك الحاجة والغفلة، وهو ينافي كونه مقصد الكل، وكذا تفسيره بـ ﴿لَمْ
 يَلِدْ وَلَمْ يُولَدْ﴾ ... إلى آخره، فإنه نفي للمشاركة له من كل وجه، وإلا لم يكن غنياً بذاته

(١) «التوحيد» ص ٩٢ - ٩٣، ح ٦، صححناه عن المصدر.

(٢) في النسختين: «مخرج».

(٣) «التوحيد» ص ٢٨، ح ٢، وفيه: (له معنى الربوبية إذ لا مريب، وحقيقة الالهية إذ لا مألوه).

ومقصداً للكل .

وتفسيره بخمسة أحرف، وإشارة كل حرف لكلام، سبق نظيره أول باب معاني الأسماء^(١) وماخذ ذلك .

أمّا مادّل من النص على أنّ الصمد الذي لا جوف له - كما سمعت - فهو أيضاً معنى الغني الذاتي، إذ كل ما له مدخل وفيه قوة الانفعال، فهو أجوف، وكل ممكن كذلك، قال تعالى: ﴿ وَمِنْ كُلِّ شَيْءٍ خَلَقْنَا زَوْجَيْنِ ﴾^(٢) فما لا جوف له ليس إلا الواجب، الذي لا يفعل فيه غيره، ولا يؤثر فيه. ولا تفسره بما يوهم التشبيه بوجه، كأن تفسره بمعناه في الممكن، على المعنى اللغوي .

وقال محمد بن يعقوب الكليني في الكافي: «فهذا هو المعنى الصحيح في تأويل الصمد، لا ما ذهب إليه المشبهة، من أنه المصمت الذي لا جوف له؛ لأن ذلك من صفة الجسم، والله جلّ ذكره متعال عنه، لا تقع الأوهام على صفته أو تدرك كنه عظمته، ولو كان بمعنى المصمت؛ لخالف قوله تعالى ﴿ لَيْسَ كَمِثْلِهِ شَيْءٌ ﴾^(٣) لأن ذلك من صفة الأجسام المصمتة التي لا أجواف لها، كالحجر والحديد وسائر الأشياء المصمتة التي لا أجواف لها، تعالى الله عن ذلك .

وما جاء في الأخبار من ذلك، فالعالم عليه السلام أعلم بما قال، وهذا الذي قال عليه السلام: أن الصمد هو السيد المصمود إليه، هو معنى صحيح، موافق لقول الله تعالى: ﴿ لَيْسَ كَمِثْلِهِ شَيْءٌ ﴾ والمصمود إليه: المقصود، في اللغة .

قال أبو طالب عليه السلام في بعض ما كان يمدح به النبي عليه السلام من شعره:

وبالجمرة القصوى إذا صمدوا لها يؤمون رضخاً رأسها بالجنادل

يعني قصدوا نحوها يرمونها بالجنادل، يعني الحصا الصغار التي تسمى بالجمار .
وقال بعض شعراء الجاهلية:

ساكنت أحسب أنّ بيتاً ظاهراً لله فسي أكناف مكة يصمد

يعني: يقصد .

(٢) «الذاريات» الآية: ٤٩ .

(١) انظر أوائل هذا المجلد .

(٣) «الشورى» الآية: ١١ .

وقال ابن الزبيرقان:

ولا رهيبة إلا سيد صمد

وقال شدّاد بن معاوية في حذيفة بن بدر:

سلوته بحسام ثم قلت له خذها حذيف فأنت السيد الصمد

والله تصمد إليه جميع الخلق، ويلجأون إليه^(١) انتهى.

أقول: وقد سمعت تفسيره بما لا جوف له، وبيانه بما لا يلزم التشبيه بوجه، بل بما ينطبق على باقي المعاني، وهذا صريح على أن المتقدم يعمل بالنظر، كما يعمل المتأخر، وقد أشار إلى طريق التحصيل في الخطبة^(٢) أيضاً.



مركز تحقيقات كميوتير علوم إرسودي

(١) «الكافي» ج ١، ص ١٢٤، باختصار، صححناه على المصدر.

(٢) «الكافي» ج ١، ص ٨-٩.



مرکز تحقیقات کامپیوتر علوم اسلامی

الباب التاسع عشر

الحركة والأفعال

مركزية الشريعة والعلوم الإسلامية



مرکز تحقیقات کامپیوتر علوم اسلامی

أضواء حول الباب

أقول هو الباب [التاسع] (١) عشر من كتاب التوحيد، وأحاديثه عشرة، وقد مر (٢) لك في باب نفي الكون والمكان عنه تعالى في هداد تنزيهه، بيان نفيهما عنه [ونقل أحاديث من التوحيد، مع قول مَنْ أثبت الحركة والنزول له - وهم المشبهون - وإبطاله] (٣).

مركز تحقيق تكملة علوم إسلامي

□ الحديث رقم ١

قوله: ﴿عن [يعقوب بن جعفر] الجعفري، عن أبي إبراهيم عليه السلام، قال: ذكر عنده قوم يزعمون أن الله تبارك وتعالى ينزل إلى السماء الدنيا، فقال: إن الله لا ينزل ولا يحتاج إلى أن ينزل، إنما [منظره] (٤) في القرب والبعد سواء، لم يبعد منه قريب، ولم يقرب منه بعيد، ولم يحتاج إلى شيء، بل يحتاج [الشبه] (٥) إليه، وهو ذو الطول لا إله إلا هو العزيز

(١) في النسختين: «الثامن».

(٢) «هدي المقول» ج ٤، الباب السادس.

(٣) في «ب»: «وسمعت أيضاً من التوحيد وغيره منهم عليهم السلام نفيها عنه أيضاً، ونقل خلاف ذلك من المشبهة مع

إبطاله، وجهه متضح عقلاً ونقلًا، بل بديهي كما سبق ويأتي».

(٤) ليست في «ب» والمصدر.

(٥) في «ب»: «ظره».

الحكيم.

أما قول الواصفين: إنه ينزل [تبارك وتعالى، فإنما يقول ذلك من ينسبه إلى نقص أو زيادة، وكل متحرك] ^(١) محتاج إلى من يحركه أو يتحرك به، فمن ظن بالله الظنون [هلك] ^(٢)، فاحذروا في صفاته من أن تقفوا [له] على حدّ تحدّونه بنقص أو زيادة، أو تحريك أو تحركه، أو زوال أو استنزال، أو نهوض أو قعود، فإن الله جلّ وعزّ عن صفة الواصفين، ونعت الناهتين، وتوهم المتوهمين، وتوكل على العزيز الرحيم الذي يرآك حين تقوم وتقلبك في الساجدين ﴿

تنزيه الخالق من الحركة

أقول: [رواه الصدوق في التوحيد] ^(٣) أيضاً.

سلب عنه تعالى أولاً النزول في شأنه تعالى، لعدم ثبوت الحاجة إلى شأنه تعالى، ومعلوم أن النزول لا يكون إلا لحاجة، لا لعدم اتصاله أو بلوغه للأمر بدون النزول، وإلا فلا حاجة له، فيلزم - حينئذٍ - أن يكون محتاجاً ^(٤)، [ومما] ^(٥) هو مقطوع به أنه تعالى لم يتجدّد له نزول ولا انتقال عمّا عليه ذاتاً، لا بالنسبة إلى الخلق، ولا حالته ولا بعده؛ لأنه إنما ظهر بفعله لا بذاته، فلا يوصف بالنزول والانتقال، ويكون وصفه بالقرب والبعد، والخلق وهدم الخلق، وصفاً فعلياً، فقرب بما بعد في بعده بقربه وبالعكس، ولم يقرب من الذات شيء، ولم يبعد عنها، وإلا لزم الفساد ولزمه الاحتياج، واختلاف النسبة ومرجعها إلى فعله أيضاً، لتنزيه الذات عنها، ولزم انتهاء الذات إلى حدّ، فتلزمها الزيادة والنقص، وليس كذلك.

ومن قال بالتجلي الذاتي، كالمتمصّفة - ومن تبعهم منّا اشتباهاً، كالملا وأتباعه - لزمه القول بنزول القديم للحادث أو العكس، وتلزمه المفاسد التي ذكرها الإمام، سبحانه

(٢) في النسختين: «هالك».

(١) ليست في «ب».

(٤) ليست في «ب».

(٣) «التوحيد» ص ١٨٣، ح ١٨.

(٥) في «ب»: «أما».

وتعالى عما يصفون، وبسط ذلك لا يسهه المقام.

نعم، له الظهور الفعلي والنزول الأمري، وأين هو والذات؟ فهي منزّهة عنه بأي معنى أخذ؛ لإيجابه اختلاف الأحوال عليها، وثبوت الحاجة لها؛ لأنه موجب للانتقال، وعدم الاتصال بدونه، فيلزم النقص في ذاته والاحتياج للغير^(١) ولا شيء من الواجب بمحتاج [إلى الغير]^(٢)، فلا شيء من النازل بواجب.

(إنما منظره) وإحاطته بالأشياء، سواء كانت قريبة أو بعيدة في الحس أو في العقل، نسبة واحدة [فعليه، كل في مقام كونه أو إمكانه، بغير وصول الحادث للمقديم أو بالعكس، و]^(٣) لا تختلف الأشياء بالنسبة [إلى الذات]^(٤) قريباً وبعيداً، حتى يكون شيء أقرب إليه من آخر، ف (لم يبعد منه قريب) بنزوله، (ولم يقرب منه بعيد ولم يحتاج إلى شيء) بوجه أصلاً، (بل يحتاج الشيء إليه)؛ لأنه الواجب الغني ذاتاً، وما سواء ممكن فقير ذاتاً. وكيف يمكن توهم قرب وبعيد بالنسبة له تعالى؟ وهما إنما حصلتا بمقايضة بعض الممكنات ببعض آخر، بإيجاده تعالى، وليس في رتبة أزل الأزال غير واجب الوجود شيء آخر، لا معلوم ولا مجهول غيره، ولم يشاركه في رتبة الأزل بعد إيجاده الخلق أحد، فهو على ما كان، وإنما الخلق مرتبط بارتباطة قيومية غير مكنته أو مكمة.

وتساوي الأشياء قريباً وبعيداً بالنسبة له وإحاطته لا تنافي اختلاف المخلوقات بعدد، فمنهم السابقون، وأهل الميمنة والمشامة؛ لأن هذا بالمقايضة، واستكمال كل مرتبة بقوس الرجوع، والله عمل بمقتضى الأسباب، فتعدّد القوابل بتعدّد الحدود المساوقة للجعل بنفس المجمولية، ومرجعها لفعله تعالى، لا لذاته، بل نسبة القيومية الفعلية واحدة بوجه، ومتعددة بمقارناتها الظهورية، وعدم تفاوته بالنسبة إلى الأشياء قريباً وبعيداً، فهو قريب في بعده وبالعكس، بحسب ظهوره الفعلي.

أما بحسب ذاته فلا يوصف بقرب ولا بعد، ولا يقرب منه قريب، ولا يبعد منه بعيد، بل نسبة الكلّ له واحدة في المعجز، ورجوعها لفعله، فظهر الفرق بين الإحاطة القيومية الفعلية والذاتية الأحادية، ولكن على ما هي عليه، كل في مقام وجوده، من غير مناسبة أو ربط بوجه، بل لا ذكر للمخلق في رتبة الخالق، فتدبر.

(٢) من «ب».

(١) من «ب».

(٤) في «أ»: «ط».

(٣) من «ب».

فإذا عرفت تنزيه الواجب تعالى عن جميع ذلك، فَمَنْ أثبت له النزول والتحرك، فقد نسبه إلى نقص؛ لأنه بالنزول يبعد عن قريب كان معه، فقد نقص، ويزداد بعد حصول المنزل إليه بعداً.

وأيضاً ذلك الأمر، الذي هو منتهى حركته ونزوله، لم يحصل له قبل النزول، وألا لم ينزل له، فهو ناقص حينئذٍ، قابل للزيادة، إذ فيه قوة النزول، وألا لم ينزل، فيكون مستكملاً أيضاً. وأيضاً كل متحرك يحتاج إلى مَنْ يحركه، إما نفسه أو إرادته أو أمر جزئي، في [القسرية] ^(١)، أو يتحرك في الطبيعة.

ويحتمل جعل (مَنْ يحركه) إشارة إلى [القسرية] ^(٢) الخارجية، وجعل (يتحرك به) إلى الطبيعة الإرادية، وكل واحد منها غيره، فكل متحرك يحتاج إلى الغير، وكل محتاج إلى الغير ممكن، فكل متحرك ممكن، فلا يكون الواجب.

(لمن ظن بالله الظنون) الباطلة - مثل الحركة والانتقال - (هلك) ولم يقر بشيء، حيث جعل المصنوع صناعاً، وهو باطل.

ثم حذرهم ﷺ أن يقفوا له في صفة على حد يحدونه، سواء كان الحد بنقص أو زيادة، أو حركة أو نزول، فيكون هذا منتهى ﷺ كالتمويه لهم على بطلان التشبيه بجميع صفاته، ككونه جسماً أو ذا صفة زائدة، أو غير ذلك، فإن جميعه يقتضي الوقوف لصفته على حد يُحدُّ به، ويقال: هو كذلك، أو ذو كيفية كذا، أو غير ذلك، فإن الله أجل من نعت الناهيتين - بل نعت كل له إنما هو بقدر ما يجري على لسانه من الدعاء والدلالة، والله أجل من ذلك - ومن (توهم المتوهمين) فيه تعالى، بما يحكم به وهمهم في شأنه بما يتوهم، أو يحس.

(وتوكل) على الله (الذي يراك) في جميع حالاتك، ومع المصلين، وغير ذلك، من غير حاجة له إلى نزول أو حركة (حين تقوم) يراك، بل علمه بك سابق لك.

وفي الفقيه ^(٣) والعيون ^(٤): عن الرضا ﷺ، تأويل نزوله بنزول ملك، مع نهاية التشديد والإنكار، وأن رسول الله ﷺ ما قال، بل إنما نشأ الفساد من أخذ ظاهر المتشابه، وعدم رده للمحكم، وحينئذٍ فلا يلزم فساد وخلل.

ففي فضل ليلة الجمعة ويومها، من فروع الكافي: (فإن رثك ينزل في أول ليلة الجمعة

(١) و(٢) في «ب»: «القرية». (٣) «الفقيه» ج ١، ص ٢٧١، ح ١٢٣٨.

(٤) «هيون أخبار الرضا» ج ١، ص ١٢٦، ح ٢١.

إلى سماء الدنيا^(١) الحديث .

فإذا أوّل بنزول الأمر، أو الملك، أو الرب - المراد به الصاحب - أو مطلق الملك، لم يلزم محذور ولا تحريف ولا تغيير، كما قال تعالى: ﴿ وَجَاءَ رَبُّكَ وَالْمَلَكُ صَفًّا صَفًّا ﴾^(٢) وورد^(٣) تفسيرها بذلك عنهم رضي الله عنهم .

أمّا إذا حُرّف الحديث، وقُصِد به نزول الله تعالى وحركته، فهو كذب واقتراء، لم يقل به الرسول ولا آله عليهم السلام، وكذا كلٌّ من له ماسكة عقل؛ لما هرفت، فسبحان من ليس كمثله شيء وهو السميع العليم .

وقد ذكر الإمام - في الرد على من زعم أن الله ينزل، من قوله عليه السلام: (إنما منظره) ... إلى آخره - هذة براهين حكمية، كلّها ترجع إلى نفي الإمكان عنه تعالى، وإثبات الوجوب الذاتي له، ولو أمكن عليه النزول والحركة بطل الوجوب وتحقق الإمكان، وكلّ هذا لازم من القول بنزوله بذاته .

أمّا إذا كان النزول بنزول أمره وظهوره الفعلي، فلا يلزم منه نقص، فإنه دون الذات ولا بد منه، وهجر عنه في بعض الروايات^(٤) بملك، وفي بعضها بنزول الأمر، وفي بعض^(٥) بنزول محمد عليه السلام للحساب، وكلّها حقه من غير تناف، والله يتصرّف في خلقه ويحيط بها، ويدبّرها كيف يشاء ويريد، من غير نزول، أو كونه حقيقتها أو كونها في ذاته، بل بفعله وأمره في ملكه من غير خروج لها، بغير كيف أو كم أو نسبة؛ لتعالى بده إيجاده عن ذلك، كما سمعت في حديث الإرادة^(٦) وغيره .

ولقد ضلّ الملا الشيرازي وتلامذته، وقالوا بما أنكروه على غيرهم وأقبح، حيث أثبتوا له النزول الأحدي الذاتي، وهي الإحاطة الذاتية والمعية الذاتية للأشياء، فله تجلّ ذاتي بهذا الاعتبار غير التجلّي الصفاتي في الأزل، وغير الذات في نفسها، فأثبتوا له الحركة التوجهية النزولية بالذات، وهي توجب التحول والانتقال، ولو بحسب التوجّه للكثرة

(١) «الكافي» ج ٣، ص ٤١٤، باب فضل يوم الجمعة وليلته ح ٦.

(٢) «الفجر» الآية: ٢٢.

(٣) «التوحيد» ص ١٦٢، ح ١، «عيون أخبار الرضا» ج ١، ص ١٢٥، ح ١٩، وفيه: (إنما يعني بذلك: وجاء أمر

ربك والملك صفًّا صفًّا).

(٤) «عيون أخبار الرضا» ج ١، ص ١٢٦، ح ١٩.

(٥) انظر: «مختصر بصائر الدرجات» ص ٢٧.

(٦) «هدي العقول» ج ٥، الباب الرابع عشر، ح ٣.

والمظاهر - بزعمهم - فقد قامت به حدود الأشياء حينئذ .

وأما قولهم بأن هذا الظهور الخلفي هو نفس الوحدة الأزلية، ولا منافاة للوحدة، ولا تحصل كثرة، ومثله^(١) بإشراق الشمس على الأشياء، فكلام ساقط ومن لا يفهم الخطاب، من كون الوحدة نفس الكثرة من جهة واحدة، من غير فرق، مع أن الوحدة كثرة وبالعكس، فإن فرّقوا - ولو بالاعتبار - جاءت المفاصد المذكورة في النصوص.

وكذا ما قالوه في معنى التشابه، حيث أبقوا الظواهر على ظاهرها، إلا أنهم لم يفسروها بالأمر الحسية - كما زعمه كثير من العامة - بل على المعية القبومية الأحادية الذاتية، وظهور الحق في الخلق، فقد ازدادوا على قول أولئك مفاصد، وأدعوا - مع ذلك - أنه مع ظهوره بذاته في الأشياء، فهو مجردها [لم يلحقه من صفاتها وحدودها شيء، مع أنه نفس الأحادية حينئذ وكل الوجود، فقد فرّوا من الفساد الذي لا مفر منه]^(٢) إلى ما هو أفسد، وتخريبهم أشد من العامة؛ لمداخلتهم ومزايلة أولئك، فذرهم وما يفترون، فسبحان من تجلّى للأشياء بالأشياء، وبها احتجب عنها، وتنزه عن مداخلة الأشياء، وأن يسع الحادث أو يسعه الحادث. ولننقل لك [بعض]^(٣) كلام بعض تلامذته.

قال محمد صادق في شرح الحديث: «القوم رووا حديثاً مضمونه - على زعمهم - أنه تعالى ينزل إلى السماء الدنيا، نزول الجسم إلى المكان، وهو بالتحريك أو بالتحرك، فيبعد عن مكان ويقرب من مكان آخر.

وقد علمت أنه تعالى مجرد، فليس له بعض أجزاء المكان قريباً والبعض الآخر بعيداً، بل جميع الأجزاء بالنسبة إلى المجرد عن المكان متساوية، وأيضاً الحركة في الاستكمال، والله كامل في حد ذاته، وليس له كمال ينتظر حتى يستكمل به، والحديث صحيح، والخطأ يقع في إدراكهم.

والله محيط بالأشياء، ومنها سماه الدنيا، فنزوله عبارة عن ظهور إحاطته تعالى بسماه الدنيا، بعد إحاطته بعقلها العقلية، التي هي أرباب الأنواع، والإحاطة بالعقل بعد ذاته تعالى، لأنه تعالى فاعل الإحاطة، والفاعل قبل الفعل ضرورة، وكل بعد يعبر عنه بالنزول،

(١) «أسرار الآيات» ص ٣٦، «إيقاظ النائمين» ص ٢٤.

(٢) ليست في «ب».

(٣) من «ب».

وينزل الفيض إلى الأرض بالأعداد، وهو بحضوره تعالى في سماء الدنيا بالعلم الحضوري». إلى أن قال: «ولمّا كان أمثال هذه الأخبار مهلكاً للعوام؛ لحملهم على المعنى الجسماني، لعدم [طاقاتهم]»^(١) حمله على المعنى المقصود، أنكر ﷺ المعنى الذي لا يليق بجنابه الأقدس والمقدس في التنزيه، وألّا أصل الحديث صحيح في الإحاطة والتشبيه، وإن لم يصحّ في مرتبة التنزيه.

أقول: ما قاله محضله: أن الحديث وأمثاله على ظاهره، إلا أنه حمله على التنزل [الذاتي]^(٢)، فأثبت له حينئذ التشبيه، لا بحسب مقام ذاته، كما سبق ويأتي، وهذا [—] ظاهر، أقبح من أهل التشبيه والمجسمة، والله منزّه عن جميع ذلك، ولم يُرد الإمام ﷺ ذلك، بل أراد نزول أمره وظهور حكم الصفة والتجلي الفعلي، لا الذاتي، تعالى عن ذلك، ولاخفاء في ردّ ما سمعت ويأتي من النصوص له، وأنه تحريف للحكم الظاهر، وإبطال للرجوب الذاتي، وسيأتي زيادة في إبطاله.



□ الحديث رقم ٢

قوله: ﴿عن أبي إبراهيم ﷺ، أنه قال: لا أقول: إنه قائم، فأزيله عن مكانه، ولا أحده بمكان يكون فيه، ولا أحده أن يتحرك في شيء من [الأركان]^(٣) والجوارح، ولا أحده بلفظ شقّ فم، ولكن كما قال الله تبارك وتعالى: ﴿كُنْ فَيَكُونُ﴾^(٤) بمشيئته من غير تردد في نفس، صمداً فرداً، لم يحتاج إلى شريك يذكر له ملكه، ولا يفتح له أبواب علمه﴾.

أقول: نفى الإمام ﷺ عن الله التنقل والتحوّل، بأي وجه واعتبار، ولم يقيد بالحسي، وإذا نزه عنه فمن غيره بطريقي أولى، فالحكم واحد، وما يلزم هنا يلزم هناك. والمراد نفي التنقل والتحوّل والنزول الذاتي عنه تعالى، بظهوره كذلك لخلقه، وإلا اختلفت عليه

(٢) في «ب»: «الناقي».

(١) ليست في «ب».

(٤) «يس» الآية: ٨٢.

(٣) في «ب»: «الإمكان».

الأحوال ومازج خلقه، ولم يكن ظهوره ظهور صفة، ولا [مباينته] ^(١) مباينة صفة أيضاً، بل مباينة عزلة، وقامت به الكثرة وغير ذلك، وازدحمت عليه أحكام الإمكان وصفاته، وقامت به الحدود. فلا يكون له مكان، ولا يوصف بالقيام، فإنه لا يكون إلا عن قعود، ولو بحسب الصلوح من ذكره، فيذكر المقابل الآخر، فيكون له مكان يزايله، والله متعالٍ عنهما. وإنما فعله إذا أراد شيئاً أن يقول له: كن، فيكون، من غير ترؤ وتردد وكيف ولفظ، كما يقع من المخلوق، فخلقه بفعله بدون ذلك، وهو: كُن، فيكون المشاء.

فتأمل كيف أبطل الامام عليه السلام حصول الحركة والانتقال له، والتغيير والزوال بجميع أنحاء، بأدلة حكيمية ظاهرة بلا خفاء، والفرد الصمد لا يدخل في غيره، ولا يدخل غيره فيه، ولا يكون حقيقة غيره، ولا يسعه غيره وبالعكس.

وجميع ذلك ينافي ثبوت تلك الصفات له سبحانه وتعالى، فلا يقال: إنه تعالى بخلق الخلق حصل له | تغير أو زوال عما كان - بوجه - أصلاً، ولا قامت به الكثرات، ولا كانت له حالة تنزيه وأخرى تشبيه، كما سمعت من قول الضال، فإنه ظهور صفة، وصفة الفعل مردّها للفعل، لا للذات، وقيامها بالله قيام صدور، ووصف الله بها لا وصفاً ذاتياً، بل باعتبار كونها صفة فعله، أسندت إليه تعالى تشريفاً وتكريماً وتنزيهاً، ولمطابقتها لصفة الظهور والتجلي الفعلي، فافهم.

وقال محمد صادق في شرح الحديث: «قد علمت أن لله تعالى مرتبتين: أحدهما التنزيه، وثانيهما الإحاطة، التي هي مرتبة التشبيه، وما قاله عليه السلام كَلَّه في مرتبة التنزيه». أقول: عرفت بطلان قوله، وأنه تعالى لا تختلف عليه الأحوال، فهو منزّه بكل اعتبار، وعلى ما كان حال وجود الخلق، والإحاطة إحاطة فعلية، وظهور صفة، وقوله عليه السلام في مرتبة التشبيه، فهو منزّه عن جميع ذلك في مرتبة الظهور أيضاً.

قال: «فقوله تعالى: ﴿ كُن ﴾ إشارة إلى إرادته، التي هي عين وجوده تعالى في الوهيته، يعني: كون الذات المقدسة بحيث تريد الأشياء، ولما كان إحاطته بما شاء باللزوم، بالقدرة والاختيار، اللذين هما عين ذاته تعالى، فليس تردّد في النفس. (ولم يحتج إلى شريك) في ملكه لأنه بذاته - بدون الغير - أحاط بكل شيء صلماً،

مترتباً، بعضها واسطة لبعض آخر؛ لثلا يلزم صدور الكثير عن الواحد الحقيقي، (ولا يفتح له أبواب علمه) بعد زمان؛ لأن ما يوجد قبل الأزمنة المتباعدة كان زمانه زمان الآخر، الذي كان بعيداً عن الأول بمقدار أزمنة متباعدة، لما علمت أن لا قبل ولا بعد الزماني بالنسبة إلى الله المجرد عن الزمان والمكان.

وقد علمت: أن الله تعالى علمين: إجمالي وتفصيلي، والإجمالي هو: ذاته الأقدس، ولا قبل ولا بعد للمعلومات منه، لا ذاتاً ولا زماناً، والعلم التفصيلي هو: وجودات الأشياء، ولها قبلية وبعدية ذاتية، لا زمانية بالنسبة إلى [المجردات عن الزمان، لها قبلية وبعدية زمانية بالنسبة إلى] (١) أنفسهم الزمانية، فيفتح له أبواب علمه التفصيلي في القبلية والبعدية الذاتية له، وهذا العلم حادث وليس بقديم ذاتي». أقول: كله لا حق فيه.

قوله: «كن»... إلى آخره، ﴿كُنْ﴾ إشارة إلى المشيئة والإرادة الفعلية، و﴿فَيَكُونُ﴾ إلى المشاء، وليست الإرادة عين ذاته تعالى، بل مشيئته إحداثه لاغير، وسبق لك في المجلد السابق (٢) مبيناً عقلاً ونقلًا، فمشيئته نفس الفعل الذي به كَوْنُ المكوّنات، كما سبق في رواية ابن أذينة (٣) وغيرها.

قوله: «ولما كانت إحاطته»... إلى آخره، إن أريد بالإحاطة والقدرة الذاتيتين، فلا إدراك لهما، ولا يعبر عنهما بعبارة، فهما عينها، والحكم واحد مطلقاً، وهو محيط بالأشياء في مقاماتها، من غير اعتبار لها في ذاته وبالعكس، ولم ينزل بذاته ويتجلى بها فيها، ولا قيام لها في ذاته، أو الفعلية وهي الحادثة الدالة، فليست بذاته، وهي عين المعلوم والمقدور واختياره بمعنى إن شاء فعل، وإن شاء ترك، ولا يقع أحدهما إلا عن علم هر نفس المشيئة، وهو صفة فعل لا عين الذات، ولا تقوم لوازم مع الذات أو فيها، وأقامت به النسبة والحوادث، أو تعددت القدماء، ولم يكن أحدياً من كل وجه، وقامت فيه صفة الإمكان، فجاء التشبيه.

قوله: «لأنه بذاته»... إلى آخره، عرفت ما فيه من البطلان.

قوله: «لثلا يلزم»... إلى آخره، كل ممكن متكرر، حتى الصادر الأول، وهو واحد باعتبار

(٢) «هدي العقول» ج ٥، باب الإرادة، ح ٣.

(١) ليست لي «ب».

(٣) «هدي العقول» ج ٥، باب الإرادة، ح ٤.

مَنْ دونه، وبحسب الصدور، ومتكثّر من وجه، وتصدر الكثرة بجهة واحدة، وتجتمع فيها، وهذا ممّا لا يمكن في الإمكان، وما ذكروه من الأدلة هنا لا تدفع ما نقول، كما سبق في المجلّد الأول.

قوله: «وقد علمت»... إلى آخره، عرفت ما فيه من المفاصد، وفي المجلّد السابق وسيأتي، وكلّه ضلال متفرّع على قواعد مجتثّة هرفتها، إلى غير ذلك من مفاصد كلامه، تركناه استمعجالاً، وفيما حصل كفاية.

تتمة بيانية: جميع هذه الصفات - وكذا الأسماء - إنّما يدل كل واحد منها عليه تعالى، وهي دلالة تعريف لا إحاطة واكتناء، وهذا يدل على أنّها صفات فعلية لا ذاتية، نفس الذات، وأيضاً توصف به وبضدّه، كخَلَقَ ولم يخلق، وَقَرَّبَ وَبَعُدَ، وسنزل ويصعد ونحوها، وهذا يدل على عدم الذاتية، ولأنّ تغيّرت الذات أو انقلبت بوصفها بالضد الآخر بعد الأول، وحدث في الذات ما لم يكن فيها، وزال عنها ما فيها.

فجميع ما تتضمنه من الحدود - والمقارنة والاجتماع والافتراق، وغير ذلك - مردّها لفعله، ومنه اشتقت، لا إلى الذات، فلا يلزم قيامها فيها، وإن وُصف بها، فإنّه ليس وصفاً ذاتياً، بل فعلي من جهة الدلالة الظهورية، لأجل التعريف والدلالة عليه تعالى، وهي تدلّ عليه تعالى لا بهذه الجهات، حتّى يلزم قيامها فيه تعالى، وتلزم المحاذير، وهو الموجب للجّهال القول بالتشبيه أو التعطيل، بل تمحى هذه الصفات عند ملاحظة الظهور للفاعل، وإن كان بفعله لا بذاته، والدلالة حاصلة حينئذٍ لا غير. فميّز هذا الكلام القليل، وبه تنحلّ مشكلات التشبيه، ويظهر لك بطلان كثير من المذاهب، وسبب ضلالهم.

ثمّ نرجع ونقول: روى الصدوق في التوحيد^(١) مثله بلا فرق، إلّا في (يذكر) ففيه: (يكون له في ملكه) وفي بعض النسخ: (مكان) بغير ضمير.

ومراد الإمام عليه السلام مطلق الاستقرار والتحقق، أي فأثبت له الزوال عن رتبته التي هو عليها في ذاته بذاته، وأنّ الأصل: (مكانية)^(٢) فغير من الناقل، والمعنى حينئذٍ ظاهر ممّا سبق، وهو بمعنى الرفعة والمرتبة أيضاً، ولا حاجة إلى جعل المكان بمعناه المتعارف.

(١) التوحيد، ص ١٨٣، ح ١٩.

(٢) بدل (مكانه) في قوله عليه السلام في ح ٢: (فأزيله عن مكانه).

ولمّا كان القول بقيامه على ساق - كالبشر - مستلزماً لزواله عن مكانه، أشار بنفي اللازم إلى نفي الملزوم، تنزيهاً له عن ذلك، إذ لا حاجة إلى التعسف، بل هذا إبطال لعدم صحّة القيام عليه. ونفى المكان بعدّ دليل آخر، ويعدّه أيضاً نفي الحركة بآخر أيضاً (ولا أحده بمكان يكون فيه) والأكان محدوداً محاطاً (ولا أحده) أيضاً بحركة (في شيء من الجوارح) - كالخروج من القوّة إلى الفعل في صفة، وإن لم تكن بنقله - ولا في ركن من الأركان وجهة من الجهات، كفوق وتحت.

(ولا أحده بلفظ) وصوت (شقّ فم) الشقّ - بالفتح - الفرجة، أو بمعنى المشقّة^(١)، كما يكون لفظ الممكن كذلك بلفظ فم وصوت، بل إذا أراد شيئاً أن يقول له: كن، فيكون، بغير لفظ وصوت وتروّ في نفس، بل ﴿كُن﴾ إشارة إلى فعله | أو | هو المشيئة، و(يكون) إلى المفعول المكوّن، ولا تأخر بينهما وتمايز، ولذا أتى بالفاء.

ولو كان له مكان، أو حُدُّ بحركة أو نطق، لم يكن فرداً، لا شيء معه ولا شريك، صمد لا مدخل فيه بوجه أصلاً، بل غني بذاته من كلّ وجه، لكنه فرد صمد (لم يحتج إلى شريك يذكر له ملكه) لو نسي أو (يفتح له أبواب علمه) فلا يصحُّ عليه صفة من تلك الصفات، والأكان له شريك؛ لعدم اختصاصها به، كيف وهي مقتضية للتشبيه؟

□ الحديث رقم ﴿٣﴾

قوله: ﴿قال ابن أبي العوجاء لأبي عبد الله عليه السلام، في بعض ما كان يحاوره: ذكرت الله فأحلت عليّ غائب، فقال أبو عبد الله عليه السلام: ويملك كيف يكون غائباً من هو مع خلقه شاهد، وإليهم أقرب من حبل الوريد، يسمع كلامهم، ويرى أشخاصهم، ويعلم أسرارهم؟ فقال ابن أبي العوجاء: أهو في كلّ مكان؟ أليس إذا كان في السماء، كيف يكون في الأرض؟ وإذا كان في الأرض كيف يكون في السماء؟ فقال أبو عبد الله عليه السلام: إنّما وصفت المخلوق الذي إذا انتقل [عن] مكان^(٢) مكان

(١) انظر: «المصباح المنير» ص ٣١٩ «شققته» وفيه: «الشيّق: المشقّة.. والشقّ - بالفتح -: انفراج في الشيء».

(٢) في النسختين: «من».

اشتغل به [مكان] وخلا منه مكان، فلا يدري في المكان الذي صار إليه
 ما [يحدث] في المكان الذي كان فيه، فأما الله العظيم الشأن، الملك
 الديان، فلا يخلو منه مكان، ولا يشتغل [به] ^(١) مكان، ولا يكون [إلى]
 مكان أقرب [منه إلى] ^(٢) مكان.

أقول: قد مر في الباب الأول ^(٣) بعض محاوراته وتمريضاته مع إبطالها، ومراده
 بالمحاوره - هنا - ما رواه الصدوق في التوحيد، في باب الرد على الثنوية والزنادقة: أنه أتى
 أبا عبد الله عليه السلام ليسأله، فجلس إليه في جماعة من نظرائه، فقال: يا أبا عبد الله إن المجالس
 بالأمانات، ولا بد لمن كان به سعال أن يسعل، أفتأذن لي في الكلام؟ فقال عليه السلام: (تكلم بما
 شئت)، فقال: إلى كم تدوسون هذا البيدر، وتلوذون بهذا الحجر، وتعبدون هذا البيت
 المرفوع بالطوب والمدر، وتهولون حوله هرولة البعير إذا نفر؟ إن من فكر في هذا وقدر
 عليم أن هذا فعل أسسه غير حكيم ولا ذي نظر، فقل فإنك رأس هذا الأمر وسنامه، وأبوك
 أسه ونظامه.

فقال أبو عبد الله عليه السلام: (إن من أسسه الله وأمر قلبه، استوخم الحق فلم يستمده، وصار
 الشيطان وليه، يورده مناهل الهلكة، ثم لا يبدره، وهذا بيت استعبد الله به خلقه ليختبر طاعتهم
 في إتيانه، فحشهم على تعظيمه وزيارته، وجعله محل أنبيائه وقبلة للمصلين له، فهو شعبة من
 رضوانه، وطريق يؤدي إلى غفرانه، منصوب إلى استواء الكمال ومجتمع العظمة والجلال، خلقه
 الله قبل دحو الأرض بألفي عام، وأحس من أطيع فيما أمر، وانتهي عما نهى عنه وزجر، الله المنشئ
 للأرواح والصور) ^(٤).

ورواه أيضاً الطبرسي في الاحتجاج ^(٥)، إلا أن في نسخة التوحيد اختلافاً ما
 وغير خفي أن ابن أبي العوجاء لما غلب عليه الهوى، فظهر ما استجرت في طبيته
 الخبيثة، فدخل في مسلك الزنادقة، قال: إن الإقرار بوجوده تعالى إحالة على غائب.
 وقد مر لك في خلال أحاديث الباب الأول ^(٦) أن دليل ثبوت الشيء ليس خاصاً

(٢) في النسختين: «إليه من».

(١) في النسختين: «منه».

(٤) «التوحيد» ص ٢٥٣، ح ٤، صححناه على المصدر.

(٣) «هدي العقول» ج ٣، الباب الأول.

(٦) «هدي العقول» ج ٣، الباب الأول، ح ٥.

(٥) «الاحتجاج» ج ٢، ص ٢٠٧.

بالمشاهدة، بل هو قسم منها ليس بعام، بل غيره أهم، مع أنّ المشاهدة أهم من مشاهدة الآثار، أو الشخص نفسه، وعلیٰ كل فلا يتم دليله.

ومرّ لك أيضاً بيان الآثار والأفعال الدالّة، حتى أنّه قال: «فما زال يعدّد عليّ... حتى ظننت أنّه سيظهر فيما بيني وبينه»^(١).

فأشار عليه السلام إلى أنّه ليس بغائب بقوله: (كيف يكون غائباً) من لا تخفى عليه خافية، وهو معهم إحاطة وعلماً، (أقرب من حبل الوريد)، يسمع نداءهم ودهاءهم، [لما]^(٢) يُرى من الدلالة على ذلك كإجابة الدعوة ونجاة المضطرّ، وإيصال كل إلى كماله اللاتق به، وجري الصنع والتدبير الخارج والداخل، فمن كان غائباً لا تظهر فيه آثار الصنع والتدبير، قصارى الأمر أنّه غير محسوس ولا متصوّر، ولو كان من جنسهما لم يكن صانعاً [للكل بل]^(٣) مصنوع، فلا بد حينئذٍ من إنكاره وإثبات غيره، لقيام آثار الحدوث فيه وإلا لم أقطع بحدوث أحد، أو جعل صفات الحدوث صفات القدم، وصفات القدم صفات الحدوث، ولا قائل به.

ثمّ قال ابن أبي العوجاء - لما سمع من كلام الإمام عليه السلام إحاطته بالأمكنة والأزمنة -: أهو في مكان؟ بالاستفهام الإنكاري، على معنى ليس هو في جميع الممكنة، بل في مكان، وإذا كان في مكان فهو به محيط، وغيره ناه عنه، وأقله سائر الأماكن، بل غيرها أيضاً، فلا يصحّ الحكم بعمومه للكلّ إحاطة، وأنه أقرب من حبل الوريد.

فأجابه عليه السلام بأنّ ما ذكرت صفة المخلوق، الذي متى انتقل من مكان اشتغل به مكان آخر، وخلا منه ذلك المكان، فلا يدري بعد وصوله إلى المكان الثاني ما حدث في المكان الأوّل الذي كان فيه أولاً، ولا يصحّ إقامة صفته في الخالق، وإلا لم يكن المخلوق مخلوقاً، ولا الخالق خالقاً، فليس له مكان، بل هو فوق وتحت وأمام وخلف، لا يخلو منه مكان ولا يحيط به، ولا يتّصف بزمان، فليس الأمر كما وصفت وتوهّمت.

والذي شبهه على ابن أبي العوجاء مراعاته حدوث نسبة في الذات من الخلق، أو هي معه، فتكثر ذاته، فلا يكون محيطاً بالكل ومنزهاً عنه. ودفع الإمام ذلك بتنزيه الله عن

(١) «الكافي» ج ١، ص ٧٦، باب حدوث العالم... ح ٢، وسبق في «هدي المقول» ج ٣، الباب الأول، ح ٢.

بظاوت. (٢) في النسختين: «لم».

(٣) في النسختين: «بكل بلا».

ذلك، فلا تختلف عليه النسبة، بل واحدة بحسب [المنية] (١) والاستقرار، والقرب والبعد من جهة واحدة، بما به الاجتماع والارتفاع، والنسبة راجعة لظهوره الفعلي لا لذاته تعالى، كما سبق ويأتي.

ومن هنا سرى الوهم فضلُ به كثير من أهل التصوِّف وغيرهم، فتدبَّر.

تنبيه: أمَّا ما اعترض به الزنديق على أهل الحجِّ وأفعالهم، حيث نظر إلى ظاهر الأفعال بجسمانياتها وأعراضها الظاهرية، ومعلوم أنه إذا نظر لها كذلك تكون هباءً وخالية من الحكمة، وهذا ليس بخاص بالتكاليف الشرعية، كالحجِّ والصلاة والزكاة وسائرهما، بل في الأفعال العادية حتى التي يشتها أهل الزندقة، وما يرجعون إليه في تقرير هذا العالم، وكمال معاشهم الديوري، فإنك لو نظرت له، مع قطع النظر عن الغاية، وما يترتب عليه من دفع المضار وجلب المنافع، لا فائدة في وصفه، بل يكون منعاً للنفس عن ملاذها، فهو عبث. ومعلوم أن الجسم بغير روح لا حراك له ولا نفع، وهو لما كان كذلك اعترض بذلك، فبين الإمام عليه السلام له بكلام مختصر مبين: أن الغاية والباعث ليس هذه الحركات الوضعية الظاهرة خاصة، بل التوجُّه إلى العالم الغيبي، وإظهار كمال الاختيار؛ ليميز، ويظهر الطائع من غيره، ولكن الروح لا ظهور وشعور له إلا بالجسم، كما تشاهد في نفسك، وكذا النبات والمعادن وغيرها. فهذا بيت خلق قبل دحو الأرض، فليس هو بعرضي، بل متأصل الوجود، له في كلِّ مقام منه مظهر بصورة خاصة، [وتنقلاتك] (٢) الحسية فضلاً عن غيرها، وليظهر به، إلى سائر ما عدد.

فهو لما استوخم الحق فيه، وعرى عنه، نظره بالنظر الظاهر، وأعرض عن غيره، وليس الأمر كما ظنه. وبيان ما فيه من الخواص، واستجماعه لرتب الوجود، وتذكره لعالم الغيب، ممَّا يطول، وليس هنا موضع البيان.

وقال محمد صادق: «إذا كان إحاطة الله بالكلِّ - بظاهره وباطنه - وجوداً، والوجود عين العلم، فليس موجود خالياً عنه تعالى، بحيث لا يكون معلوماً له تعالى بالعلم الحضورى، وليس شيء غائباً عنه تعالى قطعاً، إلا أن يعدم، فما في الوجود شيء إلا والله تعالى حاضر

(١) كذا في «أ» وفي «ب»: «المنية».

(٢) في «أ»: «وتنقلاتك» وفي «ب»: «وتنقلات تلك».

عنده، وعالم به وشاهد معه، ولا حول ولا قوة إلا بالله العلي العظيم: ﴿ مَا يَكُونُ مِنْ لُجُوعٍ فَلَاقَةٍ إِلَّا هُوَ رَآبِئُهُمْ وَلَا نَحْمَسَةٌ إِلَّا هُوَ سَادُسُهُمْ ﴾^(١).

وقد علمت أن أجزاء الأمكنة والأزمنة ليس لها قبلية وبعديّة - زمانيّة ولا مكانيّة - بالنسبة إلى المجرّدين عن الزّمان والمكان، بل كلّها مجتمعة عندهم اجتماعاً غير زماني وغير مكاني... إلى آخره.

أقول: ما فيه من المفاسد لا تحصى، ومما سبق يظهر جملة منها، وهي ظاهرة، مع ردّها.

□ الحديث رقم ﴿ ٤ ﴾

قوله: ﴿ عن محمد بن عيسى، قال: كتبت إلى أبي الحسن عليه السلام علي بن محمد عليه السلام: جعلني الله فداك يا سيدي، قد روي لنا أن الله في موضع دون موضع، على العرش استوي، وأنه ينزل كل ليلة في النصف الأخير من الليل إلى السماء الدنيا، وروي أنه ينزل عشية عرفة، ثم يرجع إلى موضعه، فقال بعض مواليك في ذلك: إذا كان في موضع دون موضع، فقد يلاقيه الهواء [ويتكنف]^(٢) عليه، والهواء جسم رقيق [يتكنف]^(٣) على كل شيء بقدره، فكيف [يتكنف]^(٤) عليه جل ثناؤه على هذا المثال؟ فوقع عليه السلام: علم ذلك عنده، وهو المقدر له بما هو أحسن تقديراً، واعلم أنه إذا كان في السماء الدنيا، فهو كما هو على العرش، والأشياء كلها له سواء، علماً وقدرة وملكاً وإحاطة.

وعنه، عن محمد بن جعفر الكوفي، عن محمد بن عيسى، مثله.

أقول: في بعض النسخ: (ويكتنف) بالتاء المثناة من فوق، ثمّ النون. والإمام أبطل ما تقوله المشبهة أهل التجسيم - المثبتون لله الانتقال والنزول والصعود الحسي، كما قاله القائل - بأنّ (علم ذلك عنده)، والله (المقدر له)، فإذا كان كذلك، كيف

(٢) في النسختين: «ويتكيف».

(١) «المجادلة» الآية: ٧.

(٤) في النسختين: «يتكيف».

(٣) في النسختين: «يتكيف».

يستقرّ عليه، أو يكون في موضع منه دون آخر؟ فالمحيط بالشيء لا يكون موضع استقرار له، فهو محال.

وأيضاً هو لا تختلف عليه النسبة، [بل] ^(١) نسبة الأشياء إليه تعالى نسبة واحدة وبالعكس، وهذه النسبة باعتبار ظهوره الفعلي، لا بحسب الذات الأحدية، فلا نسبة لها وإضافة إلى شيء مطلقاً، إذ لا تحقق للأثر عند مؤثره ومعه - بوجه - أصلاً، لا هدماً ولا وجوداً، حتى بحسب الصلوح واعتبار المقابلة وعدمها، وهو على ما لم يزل. وكل ذلك صفة الإمكان ويرجع لفعله.

والهواء في كل مقام من العوالم بحسبه، ويصحّ اعتباره، فيراد منه ما يوجب في كل مقام ذلك، وهو مطلق الفضاء اللازم من النزول الذاتي، ولو في مقام المجرد، فلو صحّ هناك صحّ هنا، وإذا بطل حساً بطل عقلاً، فافهم.

وجواب الإمام مشتمل على إبطال مطلق النزول عليه، حتى العقلي.

وقول الشارح ^(٢) وجماعة - إنه لا جواب في قوله عليه السلام: (علم ذلك عنده) بل علمه عند الله، ولا يسأل عنه - ساقط، أو المراد أنه عليه السلام لا يعلمه، وهذا أسقط من السابق، وسمعت تفسيرهم النزول بملك أو بأمره، وهذا يبطل عدم علمهم به، وحاشاهم.

وقال: «وقوله عليه السلام: (واعلم) ... إلى آخره بيان من الإمام عليه السلام: أنا إذا قلنا: إنه مختص بموضع دون موضع، لا يلزم منه ملاقاته الهواء؛ لأنه على نحو لا نعرفه، فليس علينا إلا التصديق به جملاً، بما لا يلزم تشبيهه، ونكّل علمه إلى الله تعالى» ^(٣) انتهى.

أقول: لا يخفى سقوطه، بل هو بيان منه عليه السلام لبطلان كونه تعالى في موضع دون موضع، وأن له تعالى نزولاً ذاتياً واستقراراً، ولا يخفى قرب هذا القول من بعض أقوال أهل التشبيه، بل هو منهم، والنصوص والبراهين موضحة رده، فافهم.

وقال محمد صادق في الشرح: «وقد علمت أنه تعالى في التنزيه [صرف] ^(٤) الوجود، وليس منه شيء دون شيء، والله تعالى محيط بالكل على السوية، والاختلاف من المرايا، ألا ترى إلى الوجه الواحد يقابل المرايا الكثيرة، ويظهر في بعضها صغيراً وفي بعض آخر

(١) في «أ»: «قبل» ولي «ب»: «بكل».

(٢) «شرح المازندراني» ج ٤، ص ١٠٢.

(٣) «شرح المازندراني» ج ٤، ص ١٠٣، بتصرف. (٤) في النسختين: «حذف».

كبيراً، ويرى في بعض أصفر وفي بعض آخر أبيض أو أسود، وفي بعض مطابقة لما في الخارج، وفي بعض آخر يخالفه، مع أن الوجه واحد، والاختلاف وكذا التعدد من جهة العرايا، وإذا كان كذلك فهو الله حاضر بالعلم الحضوري عند الكل، فليس في مكان دون مكان. وقد علمت أن نزوله إلى الشيء عبارة عن إحاطته به بعد إحاطته بعلمه، وإحاطته بعلمه بعد إحاطته بعلمه وهكذا، وفي آخر كل ليلة، وفي عشية عرفة أو نحوه، تظهر فيوضاته؛ لأجل ظهور الاستعدادات، لأجل أن للساعات بعض إهداد لما في الأرض، وتأثيرات على سبيل الإهداد للأرض، فبعض منها [يستمد^(١)] بعض الفيوضات دون بعض، والآخر فيضه على نهج واحد، والاختلاف في العباد واستعداداتها للاستفاضة، ورجوعه تعالى ليس رجوعاً جسمانياً، بل هو عبارة عن انقضاء الاستعدادات بواسطة المعدّات.

ولمّا لم يكن مخاطبه ﷺ قابلاً لإدراك نحو ما ذكرنا قال ﷺ: (علم ذلك عنده)... إلى آخر ما قال ﷺ، ويظهر ما قاله ممّا ذكرنا لك.

وأيضاً لمّا كان كل ما ذكره من نزوله نزولاً جسمانياً، ومن رجوعه رجوعاً جسمانياً، جائزاً له تعالى بالعرض وبواسطة إحاطته بالعباد بالعلم الحضوري، لم ينهه ولم ينكره ﷺ، وقال: (علم ذلك عنده) ولا يجوز لأمثال هذه العوام أن يفتشوا فيه، بل الواجب لهم أن يؤمنوا بالحديث، ويدعوا معناه إلى الله وإلى الراسخين في العلم.

وقوله ﷺ: (هو المقدر) أي هو المحيط بالمخلوقات بالعلم الحضوري على وجه قابلية المرابا، وعلى مقدار سمعتها، فهو في التشبيه هو كما هو في التنزيه، ولا يلوث ذيل نزاهته الذاتية كدورات الممكنات، ذلكم الله ربكم لا إله إلا هو.

ثم قد علمت أنه مجرد في ذاته، وليس بالنسبة إليه قبل ولا بعد زمني ولا مكاني، بل الكل بالنسبة إليه سواء، وقد مرّ منّا الدليل على هذا، فتذكره انتهى.

أقول: كله ضلال، حتى بظاهر بعضه.

قوله: «قد علمت أنه»... إلى آخره، [بل هو] قبل الخلق ومعه وبعده على ما هو عليه، لم يتغير حاله، ولم تختلف عليه الأحوال، فليس له حالة تنزيه وأخرى تشبيه، ولا تلحقه نسبة ولا إضافة، حتى باعتبار الخلق.

(٢) في «ب»: «في».

(١) في النسخين: «يستمد».

وإذا قيل: استوى على كل شيء، فلا شيء أقرب إليه من شيء - كما سيأتي - وأمثاله، فهي صفة فعل ونسبة راجعة له، لا إلى الذات جلّ وعلا، إذ لا اعتبار معها [لغيرها] ^(١) حتى اعتباراً، لا بإثبات ولا نفي، ونسبة المرايا إلى الوجه - وهو جهة ظهوره - بفعله، لا للذات . وليست الأعيان مرايا ظهرت بها الذات جلّ وعلا، وليس حضوره بذاته ولا بعلمه الذاتي، فيكون كل الأشياء والوجود كله، كما زعمه أهل الضلال .

ولزوم اختلاف الأحوال عليه - وصفات الزمان والتقابلات، وقيام الحدود به - ظاهر من قوله، وهو ينافي الوجوب وبطله، وقد أقرّ به من قوله قبل، ومن قوله هنا: «وأيضاً لما كان... إلى آخره، وما قاله المشبهة أعظم من ذلك .

وليس قوله عليه السلام: (هلم ذلك عنده) إقراراً منه عليه السلام لما زعم، وحاشا الإمام من مذاهب أهل التشبيه، بل أبطلوها بهذا البيان وغيره، ولعنوا أهل التصوّف، وأنهم ليسوا على حق، وحذروا عن طريقهم وعن أتباعها، وأنّ متّبعهم مثلهم، وما فيه من الضلال لا يحصى .

قوله: «فهو في التشبيه هو»... إلى آخره، هذا من المحال، فالوحدة من كل وجه لا تكون نفس الكثرة، ولا التنزيه [عين] ^(٢) التشبيه، فالقائل به لا يفهم ما يقول، وإن اختلف الوجه - كما هو ظاهر قولهم - جاءت المفاسد، وبطل الوجوب الذاتي .

قوله: «ولا يلوّث»... إلى آخره، بل تقوم به الحدود، ويكون وجودات [القدورات] ^(٣)، وهذا كلام ابن عربي في الفتوحات، وينسبون إليه تعالى ما ينزّهون عنه أنفسهم، ولم يصبوا الحق في مثالهم هنا بالشمس، فتدبّر، وفيما حصل كفاية، والأ فالبحت معه متسع . وقال الكاشاني في الشرح: «وأما أجمل عليه السلام في الجواب، لغموض سر النزول، وعدم نيل فهم السائل إليه» ^(٤) .

أقول: لم يجعل الإمام عليه السلام، بل أجابه بالحق البين بالبرهان - كما عرفت - ويتضمّن معنى النزول، وصرّح به في غير حديث - سبق ويأتي - وليس معناه كما أشار إليه، وهو ما عرفته من الكلام السابق، وما قاله في معنى ما يوهم التشبيه، كما سبق ويأتي نقل عبارته من كتبه . وأستاذه ^(٥) قال بالإجمال والإحاطة الذاتية، بعد أن نقل كلاماً لأهل التفسير كالرازي والزمخشري، وما قاله القفال وغيره في أمثال ذلك، لا يسع المقام نقله .

(١) في «أ»: «كغيرها»، وفي «ب»: «لغيره» . (٢) في «ب»: «عن» .

(٣) في «أ»: «المقدورات»، وفي «ب»: «القدورات» .

(٤) «الوافي» المجلد ١، ص ٤٠٤ . (٥) «شرح أصول الكافي» ج ٣، ص ٣١٠ وما بعدها .

والحاصل: أن نسبة النزول إليه - تعالى - والقرب والبعد، والأولية والآخرية، ونحو ذلك، كما في: ﴿الرَّحْمَنُ عَلَى الْعَرْشِ اسْتَوَى﴾^(١) وأنه لينزل في الثلث الأخير من الليل، وعشية هرفة، وأمثال ذلك، لا يصح نسبه إليه بحسب ذاته تعالى، لتنزعه عن جميع ذلك، وهذه صفة فعل وملاحظة أفعال، والله منزّه عن ذلك، لا تختلف نسبتها لبعض دون آخر، ولا يخلو منها مكان ولا يحويها أو يحملها، فيجب رجوعها إلى فعله تعالى، وبه قامت ومنه اشتقت، ووصف بها من جهة القيام الافتقاري والدلالة، لا بجهة الإحاطة بما لا يمكن في الممكن، وهو كون قربه بما به بُعد في قربه، وكذا نزوله وهروجه، وأوليته وآخريته، لا بحسب الاجتماع، ولا بحسب التحديد والاعتبار، فيجتمع بالنسبة إليه الضدان من جهة واحدة ومعنى واحد، ويرتفعان.

وأنت حين ملاحظتك اتحاد النسبة، هي نسبة فعلية أيضاً، قائمة بالفعل، لا صفة ذاتية، إذ لا نسبة لها بغيرها بوجه أصلاً ولا إضافة، وكلها صفات حدوث، [وضعت] ^(٢) للتعبير والدلالة عليه، ومردّها إلى فعله، ومظهر أمره التحامل له بنزول الرحمة، وآثار اللطف، والقرب الكوني أو الإمكانى للممكن بالقيام بحسن الصفات، وظهور سر العبودية، وهو لم يخرج في هذه الحركة عن مكانه وإمكانه، ولا يقرب من الذات، وإنما ظهر له الله وخاطبه بما ظهر له به، وبه نظر العبد إلى ربه وعرفه وتعرّف له به، فتدبّر.

فهذا يُعرف الوجه في التشبيه بما لا ينافي التنزيه، ولما اشتبّه عليهم الأمر جمعوا بين التشبيه والتنزيه، وراموا به الفرار عن الحدّ والجسم والشبه، فوقعوا فيهما، وأين هو وصفات الخلق مطلقاً، بل مباين لها مباينة صفة، ولا يقوم بغيره تعالى قيام صدور أو ركن أو عرض، أو ظهور، إلا ظهور صفة، بما تجلّى لها بها، فتدبّر.

في قوله تعالى: ﴿مَا يَكُونُ مِنْ نَجْوَى ثَلَاثَةٍ إِلَّا هُوَ رَابِعُهُمْ﴾.

□ الحديث رقم ﴿٥﴾

قوله: ﴿عن ابن أذينة، عن أبي عبد الله عليه السلام، في قوله تعالى: ﴿مَا يَكُونُ

(٢) في «أ»: «وصفة»، وفي «ب»: «وصفت».

(١) «طه» الآية: ٥.

مِنْ نُجُومٍ ثَلَاثَةٍ إِلَّا هُوَ زَابِعُهُمْ وَلَا خُمْسِيَّةٌ إِلَّا هُوَ سَادِسُهُمْ ﴿^(١)﴾ فقال: هو واحد واحدي الذات، بائن من خلقه، [وبذلك]^(٢) وصف نفسه، وهو بكل شيء محيط بالإشراف، والإحاطة والقدرة ﴿ لَا يَعْزُبُ عَنْهُ شَيْءٌ فِي السَّمَاوَاتِ وَلَا فِي الْأَرْضِ وَلَا أَصْفَرُ مِنْ ذَلِكَ وَلَا أَكْبَرُ ﴾^(٣) بالإحاطة والعلم، لا بالذات، لأن الأماكن محدودة، [تحويها]^(٤) حدود أربعة، فإذا كان بالذات لزمها [الحواية]^(٥)﴾.

أقول: في بعض النسخ ذكر لفظ الباب قبل هذه الآية والآية اللاحقة، والأمر سهل، وهذه المعية التي لله بخلقه مما ضلّ فيها كثيرٌ في معناها، وستعرفه مع تحقيق الحق في بيان معناها، وروى الصدوق في التوحيد^(٦) هذا الحديث أيضاً.

قال محمد صادق - بعد العنوان -: «أهل التجوى إذا كانوا ثلاثة كانوا أربعة بالاعتبار، فإن كلاً منهم وجود مقيد بالتمين، والوجودات المقيدة من حيث إنها مقيدة غير المطلق»، الذي هو صرف الوجود بالاعتبار، فالثلاثة أربعة، والأربعة خمسة، والخمسة ستة، وعلى هذا القياس كل عدد يعتبر من حيث المقيد ومن حيث المطلق، فيزيد العدد».

أقول: مفرّع قوله هذا على التناسب الذاتي بين العلة والمعلول كما قال، ومنه أن الوجود واحد هو وجوده، وما سواه اعتباري عديمي، وجعل وجود المقيد وجود المطلق والتقيّد بالاعتبار، والله مغاير لخلقه وخلوهم منهم، ذاتاً وصفة، [محقق]^(٧) ويكل وجه، ولكن مباينة صفة لا مباينة هزلة، فليس هو والأشياء باتحاد ولا حلول، ولا أنه حقيقة لهم ولا غير

(١) «المجادلة» الآية: ٧. (٢) في النسختين: «وبذلك».

(٣) «سبأ» الآية: ٣. (٤) في النسختين: «تحمدها».

(٥) في النسختين: «الحاوية». (٦) «التوحيد» ص ١٣١، ح ١٣.

(*) «أي كل واحد من الثلاثة مثلاً له تمين واحد، والتمينات الثلاثة مع الوجود المطلق - الذي هو عبارة عن الله، في زعمهم - تكون أربعة، وهكذا ب» [حاشية «أ»].

(**) «أي الغيرية اعتبارية، وفي الحقيقة ليس إلا الوجود المطلق الذي هو الله تعالى، وهذا معنى قول الصوفي: ليس في عرصة الوجود إلا الله، ومخلوقاته شؤوناته وتطوراته في مراتبه، وهذا معنى وحدة الوجود. ب» [حاشية «أ»]. (٧) في «أ»: «تحقق».

ذلك، فدفع كثيراً من الأقوال الباطلة، وبيّن معنى المعية [بقوله] (١): ﴿ رَابِعُهُمْ ﴾ فهو معهم إحاطة قيومية، فعلية ظهورية، لا بذاته، ولذا قال: رابع.

وإطلاق الرابع عليه مع الثلاثة باعتبار الظهور، وهو عائد للحادث، فإن الصفة الظاهرة لنا حادثة لنا، وهي لله بصفة الدلالة عليه تعالي المجهولة مطلقاً، ولكن بجهة الدلالة المعلومة ظهوراً على المجهول ذاتاً، فلا مباينة ولا اتحاد وممازجة، حتى يقال: الفرق بالاعتبار، وليس وجود المقيّد وجود المطلق، والأمور اللاحقة أمور اعتبارية، فهو سفه وضلال بيّن.

ولا يخفى ردّ الآية والحديث لهذا التأويل، ولو لاحظ الاعتبار المطابق [لكان] (٢) الواحد ثلاثة، لكن بغير ما يعتبره، وهو في الامكان.

وقال في شرح الحديث: «لفظ (هو) في قوله ﷺ: (هو واحد واحدي الذات) إشارة إلى الذات الصرفة، التي لم يعتبر معها اسم ولا رسم أصلاً، فالتعبير عن الذات في الأكثر يكون بلفظ (هو).

والأحد هو الذات مع صفة واحدة، وهي العلم بذاته، والواحد هو الذات مع جميع الصفات، والصفات هي التعيّنات، والتعيّنات من حيث إنها مراتب تشكيكية - الوجود، وحاصلة من ذات الوجود، لا بأمر خارج عن ذاته، فهي عين الوجود حقيقة، وغير الوجود مفهوماً.

فعلني هذا: الذات الصرفة والأحد والواحد كلّها أمر واحد ﴿ وَقَا أَنْزُونَا إِلَّا وَاحِدَةً ﴾ (٣) وعلى اعتبار أن التعيّنات مغايرة للوجود هي عارضة للوجود، خارجة عن حقيقة الوجود، فهي شرط للوجود في الواحدية [والأحدية أيضاً] (٤)، وشرط الشيء خارج عنه، إلا أنها شطريات لماهيات المخلوقات، فإن كلّ مخلوق مركّب من الوجود ومن التعيّن، وإذا اعتبر أنها شرائط خارجة عن حقيقة الوجود، فالوجود إله*، وإذا اعتبر أنها شطريات للوجود، فالوجود مخلوقات، باعتبار مخلوقية أحد جزئية، وهو التعيّن، وبهذا يفرّق بين الخالق والمخلوق».

(٢) في النسختين: «لكن».

(٤) ليست في «ب».

(١) في النسختين: «بقولهم».

(٣) «القرء» الآية: ٥٠.

(*) «خالق»، [حاشية «أ»].

أقول: الواحد - بحسب أصل الوضع - يدلُّ على أوَّل صادر، وهو فعل الذات وأمره، والأحد على الذات الصرفة، وأطلق على الذات هنا لقريظة قوله: (واحدِي الذات) ... إلى آخره. وليس الأحد هو الذات مع صفة، فإنه - حينئذٍ - باعتبار الظهور بالصفة، فهو مقام الواحد، وليس مع الذات أزلاً غيرها بوجه.

وقوله: «إنَّ الواحد هو الذات مع جميع الصفات، والأحد هو الذات مع صفة العلم» غلط ظاهر.

بل يعبر عن الذات الساذج في اللفظ بعبارات منها (الأحد)، و(هو) و(الواحد) عنها بحسب الظهور، وهي الوحدة المفعولية، ولهذا قال الله: ﴿ وَمَا أُنزِلْنَا إِلَّا وَاحِدَةً ﴾^(١) فوصف بها الأمر، وهو عالم المشيئة والإحداث كما روي.

قوله: «من حيث» ... إلى آخره، ليس عينه حقيقة وغيره اعتباراً، بل التعيّنات وجودات إمكانية مخلوقة بمشيئة الله، وليست هي عين وجود الله كما زعم، وإنما المغايرة اعتباراً من حيث مفهوم الإمكان، فحقيقة الوجود واحدة، والفرق بين مفهوم الوجوب والإمكان ومراتبه - وهي التعيّنات - بالمفهوم.

قوله: «فعلني هذا» بطلانه ظاهر، وليس كلها حقيقة واحدة.

قوله: «وعلى اعتبار» ... إلى آخره حتى بالمغايرة بحسب المفهوم الاعتباري الطارئ على الوجود بظهوره في الاعتبار المفهومي، وعرفت تنزيه الله عنه، ولا عارض له ولا شرط له، فانظر إلى جريان أحكام الإمكان والممكنات على الواجب تعالى وتقدس.

ومن حاصل قوله الباطل أن المخلوقية لأحد الجزئين، وهي [التعيّن] ^(٢) الاعتباري، والممكن مركّب منه ومن الواجب، فهو الله بغير هذا التعيّن المفهومي، فهذا قول أهل التصوّف: «أنا الله من غير أنا»^(٣)، والخالق - حينئذٍ - والمخلوق حقيقتهما واحدة، والفرق بالاعتبار، ولهذا قال: «وبهذا يفرق» ... إلى آخره.

والحاصل: أن جميع أقواله ضلال.

قال: «وقوله ^(٤)»: (بائن من خلقه) إشارة إلى اعتبار أن التعيّنات شرط للوجود الواجب، ولمّا كان الفرق بين الخالق وغيره اعتبارياً، فكما يمكن اعتبار المباينة بينهما، كذلك يمكن

(١) «القمر» الآية: ٥٠. (٢) ليست لي «ب».

(٣) انظر: «جوامع الكلم» طبعة حجرية، ص ٦٩، الرسالة الرشدية.

اعتبار الاتحاد، بدليل التناسب والارتباط، فاعتبار أحدهما دون الآخر يحتاج إلى بيان مرجح». أقول: استغفر الله من كتابتي هذا اللفظ، ولقد كشف هذا اللفظ عن حقيقة مراده مما سبق، بما يوضح بطلانه بما قلناه وزيادة، فلا اتحاد ولا مناسبة*، ولا مباينة هزلة، بل مباينة صفة، كما سبق وبأني.

قال: «وقوله: (وبذلك وصف نفسه) إشارة إلى بيان الترجيح في اختيار هذا الشق، يعني أنه اعتبر المباينة ولم يعتبر الاتحاد، لأجل أنه تعالى اعتبر هكذا، ووجه اعتباره تعالى المباينة دون الاتحاد ما مر، من أن العباد لما كانوا جسمانيين، وإذا سمعوا الاتحاد الذي هو طرف التشبيه اعتبروا هذا وتركوا طرف التنزيه».

أقول: وصف نفسه - كما بينه خلفاؤه وفي كتابه - بمباينة الصفة من دون مباينة عزل أو اتحاد حقيقة، ونفوا المناسبة** والمشاركة بكل وجه، لا كما زخرفت من الضلال، وأثبت التشبيه أقبح مما تثبته المشبهة والجهال.

قال: «ولما كانت المخلوقات كثيرة اعتبروا آلهة كثيرة، وهذه مفسدة عظيمة، وإذا سمعوا التنزيه وخافوا من التشبيه أخذوا التنزيه، فحينئذ لا مفسدة عليهم، إلا بأن تكون معرفتهم ناقصة، ونقصان المعرفة في الفساد ليست كالقول بكثرة الآلهة».

أقول: فإذا القول بالتشبيه للخواص، وإن كان على معنى خاص، وإذا كان الاتحاد حقاً على افترائه، وإن كانت المباينة راجحة صح التشبيه، فكيف يذادون عنه حتى تكون معرفتهم ناقصة، وتمامها بالاتحاد، مع أن المباينة توجب التشبيه الإمكانى، حتى على تفسيره لها بالاختلاف في المفهوم دون الحقيقة؛ ولهذا جعلوا الوجوب والإمكان من المفاهيم الاعتبارية.

ويلزمه القول بصحة تعدد الآلهة، فقد أقر عبدة الأوثان والوثنية وأمثالهم على مذاهبهم. ونصاري قوله أن فيها مفاصد بوجه، من حيث التقيّد بمفهوم التعمين، سبحانه وتعالى عما يقولون علواً كبيراً.

قال: «ولهذا الأنبياء والأوصياء صلوات الله عليهم يصرّحون بطرق التنزيه، ويخوفون العوام من التشبيه».

(*) «ولا ارتباط». [حاشية «أ»].

(**) «ولا ارتباط». [حاشية «أ»].

أقول: يخوفون ويحذرون عن التشبيه والتعطيل جميعاً.

قال: «وأما الخواص فهم جامعون بين التنزيه والتشبيه؛ لسمة وعائهم، وذكاء إدراكاتهم».

أقول: لاشك في فساد عقيدة هذا المتكلم بهذا الكلام، فقد جعل الخواص - ويعني أهل

التصوف - أفضل وأوسع دائرة وذكاء من الأنبياء والأوصياء، وكفى في ضلاله.

قال: «ثم بعد ذكر المباينة، قال: (وهو بكل شيء محيط) لئلا يلزم خلوه تعالى عن الخلق

مطلقاً، بل هو محيط بها ومشرف عليها بالقدرة الكاملة، التي هي عين ذاته تعالى».

أقول: ما سبق منه ^١ لا يدل على المباينة كما أراد، وهذا منه لا يدل على المداخلة

كما زعم، بل بالاستعلاء والإشراف والقدرة الفعلية القائمة بمشيئته [الفاعلية] ^(١)، وبالله

صدوراً في مقامها، بما تجلى لها* بها لا بذاته.

هكذا توحيد الله، لا كما زعمه الضال تبعاً لأهل التصوف، والقدرة الذاتية عين الذات

بصريح قوله، والذات منزّه عن ذلك، فكذا قدرته، لكنّه لم ينزّه الله عن ذلك، بل جعله

التوحيد الكامل للخواص.

قال: «وليس في سماوات العلويات ولا في أرض السفليات شيء، لا أصغر من ذلك

ولا أكبر، إلا أنه محيط بظاهرها وبياطنها، وهو الظاهر والباطن بإحاطته العلمية الحضورية،

وقد علمت أن علم الله التفصيلي هو الوجودات المقيّدة في المخلوقات، فأحاط تعالى بها

لوجوداتها، التي هي العلم التفصيلي لله تعالى، الذي هو عين وجوده تعالى».

أقول: صريحه وحدة الوجود، بل الموجودات والمخلوقات حدود وتعيّنات في ذاته

تعالى، إذ كما قال: وجوداتها التفصيليّة علمه، وهو عين وجوده، فوجودها التفصيلي عين

وجوده، ولم تقدر المشبهة أن تقول بهذا التشبيه، نعوذ بالله ونستغفره من رسمه بالقلم،

فهو محيط بما في السماوات والأرض، وبذرّات الوجود، لكن ليس كما قال وحرف به

الأي، بل كما عرفت وسيأتي.

قال: «فإن المخلوقات مقيّدات وليست بمطلقة، فما أحاط بها بذاته الصرفة، بل أحاط

بها بذواتها؛ لأن الأماكن - التي هي المخلوقات - مقيّدة، وليست بمطلقة، ولم يحط بها إلا

بوجوداتها المقيّدة، فإذا أحاط بها بوجوده المطلق، ففي الإحاطة تصير مقيّدة، ولا يبقى

(١) في «أ»: «بالفاعلية».

(*) «وتجلبها، أي في رتبة الإمكان لا في الأزل». «ب» [حاشية «أ»].

بالإطلاق في الإحاطة، وأما في حد ذاته فهو على إطلاقه.

أقول: عرفت بطلانه، فلا حاجة إلى الإعادة.

قال: «فداته مطلقة ومقيدة، والمقيد حين المطلق؛ لأنه مراتب المطلق، والمراتب بذات

المطلق - كما قال عليه السلام - تحويها الحدود».

أقول: تعالى الله وتنزه عما وصفه وحدّه، وجعله مختلف الأحوال والتطورات بذاته،

فنزوله بذاته، وكذا عروجه، فهو ممكن، وله حركة وانتقال، وهذا منه أيضاً فيه مناقضة

بوجه، وقوله هذا وما سبق يدل على القول بوحدة الموجود أيضاً، والقول بها أشد كفراً من

القول بوحدة الوجود، وكله كفر، نعوذ بالله منه.

وقال الملا الشيرازي في الشرح: «قوله: (هي قولنا) أي دال على قولنا بأن فاعل الأشياء

هو الطبيعة الجسمانية، لأن الطبيعة أو الطباع إله الطباعية، والرجل كأنه كان منهم، وجعل

الآية على قوله، وبها احتج على هشام، فقلب عليه وأسكته لقوله: فلم أدر بما أجيبه،

(١)

فحججته، أي صرت محجوجاً مغلوباً».

أقول: سيأتي الكلام في عقيدة الديصاني وتغييره، من غير حاجة إلى قوله: «كأنه كان

منهم»، وليس لفظة: «فحججته» كما قال، بل بمعنى: قصدت وسافرت للحج، فإنه

بالكوفة والصادق بالمدينة، فسافر للحج وسأله وأجابه.

قال: «واعلم أن الظرف لا يتعلق»^(٢) بالاسم الجامد العَلَمِي، ولهذا استدل بقوله تعالى:

﴿ وَهُوَ اللَّهُ فِي السَّمَوَاتِ ﴾^(٣) على أن اسم (الله) مشتق غير جامد، وحينئذ كان المتعلق

بالسما أو الأرض المعنى النسبي الاضافي، كالمعبودية ونحوها، فيكون معنى الآية: وهو

الذي في السماء معبود وفي الأرض معبود، أو ما يجري مجراه، لكنه عليه السلام ألزمه بما هو

أوضح وأقرب إلى فهمه، وبأقرب ألفاظ الحديث واضح^(٤).

أقول: اسمه مشتق لأدلة كثيرة - لا لهذا - وسبقت، ولأفقد يتعلق بالجامد للمشابهة،

(١) «شرح أصول الكافي» ج ٣، ص ٣٣٠، صحناه على المصدر.

(٢) من «ب» ولي «أ»: «الله».

(٣) «الأنعام» الآية: ٣. لكن الآية الواردة في ح ١٠ من هذا الباب هي قوله تعالى: ﴿ وَهُوَ الَّذِي فِي السَّمَاءِ إِلَهُ ﴾ ..

(٤) «شرح أصول الكافي» ج ٣، ص ٣٣٠.

«الزخرف» الآية: ٨٤.

والمتملئ بها [المعبودية] ^(١) إذ معبود إمكاناً أو كوناً، وكذا الألوهية، وهو ظاهر الألوهية، إذ لا مالوه مطلقاً بكل وجه، وهو وإن كان تلميذه السابق موافق له في المعنى وبالعكس، لكنه أقل قبحاً في التمييز، في كثير من ألفاظه، لا في جميعها.

وقال المجلسي في البحار، بعد نقل الحديث من التوحيد: ﴿ مَا يَكُونُ مِنْ نَجْوَى ثَلَاثَةٍ ﴾ ^(٢) أي ما يقع من تناجي ثلاثة، ويجوز أن يقدر مضاف، أو يزول ﴿ نجوى ﴾ بمتناجين، ويجعل ﴿ ثلاثة ﴾ صفة لها.

﴿ إِلَّا هُوَ رَبُّهُمْ ﴾ أي إلا الله يجعلهم أربعة، من حيث إنه يشاركهم في الإطلاع عليها. ﴿ وَلَا خَمْسَةَ ﴾ أي ولا نجوى خمسة، وتخصيص العددين إما لخصوص الواقعة، أو لأن الله وتر يحب الوتر، والثلاثة أول الأوتار، أو لأن التشاور لا بد له من اثنين يكونان كالمتنازهين، وثالث يتوسط بينهما ^(٣).

أقول: في بحثه اللغوي نظراً، ولا يجتمع الله مع خلقه بوجه، حتى في الإطلاق، لإيجابه المشاركة بوجه في مرتبة، ولو بحسب المفهوم، وهو محال عليه تعالى.

قوله: «إمّا لخصوص الواقعة» يتم، لكنه وجه ظاهري، لا بد له من غيره.

قوله: «أو لأن الله وتر»... إلى آخره، يحتاج إلى بيان حلة ذلك، والمحبة مقام خلق.

قوله: «والثلاثة أول»... إلى آخره، بل الواحد وتر، وهو من العدد، ومن أخرجه من العدد، إن سلم، فمراده بحسب اللفظ وبما يرجع إلى تعريفه، وإن قيل بمقابلته للأحادية، فغلط ساقط، لا عبرة به.

وفي كلام الرضا عليه السلام لعمران الصابي: (ولم يخلق شيئاً فرداً قائماً بنفسه دون غيره، للذي أراد من الدلالة على نفسه وإثبات وجوده) ^(٤) فكل ممكن زوج تركيبى، فإنه لا بد لكل حادث - ومنه الواحد، حتى إذا اعتبرته مفهوماً بلا مصداق - من جهة إلى ربه، وأخرى إلى نفسه، ومن الاثنين تحصل أربعة، ومنها ستة عشر إلى ما لا نهاية، وأصلها الثلاثة.

فكل واحد ثلاثة، حتى الوحدة العددية والجهتان السابقتان والحقيقة الجامعة، أو هي نظره لمن دونه، لكن لقلبة حكم ظهور الوحدة عليه كان واحداً، وكانت وحدته عددية، هذا بنظره بنفسه، وإذا لحظته بحسب النسبة الارتباطية والاجتماع، كانت أربعة، والثلاثة

(١) في النسختين: «المعبودية».

(٢) «المجادلة» الآية: ٧.

(٤) «التوحيد» ص ٤٣٩، ح ١.

(٣) «بحار الأنوار» ج ٣، ص ٣٢٢.

هي الأصل للواحد، وهي أول الأزواج، فهذا ذكر الثلاثة أولاً لبيان الأصل للواحد، وأن وحدته عددية أصلها الثلاثة.

وعن فيثاغورس الحكيم^(١): أن أول الأعداد ثلاثة، لا اثنان؛ لأنها زوج، والفرد أشرف من الزوج، ولا يكون المبدأ زوجاً، لبطلان الطفرة، فوجب أن يكون الثلاثة. ولم يجعلوا الواحد من العدد، وعرفت الوجه الحكمي، والواحد داخل في أحكام الممكنات، فهو ثلاثة، وإن غلبت عليها جهة الظهور فكان واحداً، وليس في الإمكان واحد لا ثاني له، ولا تكثر فيه بوجه أبداً في عالم الإمكان.

وقول الحكماء: الأشياء تنقسم إلى مركبة وبسائط، فالمراد بها بسائط إضافية، بحسب المركبات، لا مطلقاً.

وقولهم: العقل مجرد، فتجرده باعتبار الصور والمثال والخيال والمواد، وجميع البسائط والمجردات إضافية.

قوله: «أو لأن التشاور... إلى آخره، ضعفه ظاهر، وليس المقام مقام مشاورة، مع أن النجوى لا تقتضي ثلاثة، وكذا التشاور، بل لا يكون إلا بين اثنين أكثرياً.

قال: «ثم اعلم أنه لما كان القدام والخلف واليمين والشمال غير متميزة إلا بالاعتبار، هد الجميع حدّين، والفوق والتحت حدّين، فصارت أربعة، والمعنى: أنه ليست إحاطته سبحانه بالذات، لأن الأماكن محدودة، فإذا كانت إحاطته بالذات، بأن كانت بالدخول في الأمكنة، لزم كونه محاطاً بالمكان كالممكن، وإن كانت بالانطباق على المكان، لزم كونه محيطاً بالممكن كالمكان»^(٢).

أقول: الأشياء لها حدود كثيرة، لكن تختلف هدها باختلاف الاعتبار، فباعتبار اثنان وبآخر: ثلاثة أو أربعة - وسبقت - أو خمسة أو ستة، وهي الأكوان الستة^(٣)، إلى غير ذلك، ولك اعتبارها بالجهات الأربع: اليمين والشمال والخلف والقدام، بحسب ملاحظة الأمور الخارجة.

وروى المصنف في حديث الجائليق الذي سأل أمير المؤمنين عليه السلام، إلى أن قال: فأخبرني عن الله، أين هو؟ فقال أمير المؤمنين عليه السلام: (هو هاهنا وهاهنا، وفوق وتحت،

(١) انظر: «الملل والنحل» ج ٢، ص ٣٩٦.

(٢) «بحار الأنوار» ج ٣، ص ٣٢٢.

(٣) انظر: «الهداية الكبرى» ص ٤٣٥.

ومحيط بنا ومعنا، وهو قوله تعالى: ﴿ مَا يَكُونُ مِنْ لُجُوبِ ثَلَاثَةٍ إِلَّا هُوَ زَائِبُهُمْ وَلَا خُمْسَةَ إِلَّا هُوَ سَادِسُهُمْ وَلَا أَدْنَى مِنْ ذَلِكَ وَلَا أَكْثَرَ إِلَّا هُوَ مَعَهُمْ أَيْنَ مَا كَانُوا ﴾ (١) (٢).

وفي التوحيد! بسنده عن يعقوب بن جعفر الجعفري، عن أبي إبراهيم موسى بن جعفر عليه السلام، أنه قال: (إن الله تبارك وتعالى كان لم يزل بلا زمان ولا مكان، وهو الآن كما كان، لا يخلو منه مكان ولا يشغل به مكان، ولا يحل في مكان، ﴿ مَا يَكُونُ مِنْ لُجُوبِ ثَلَاثَةٍ إِلَّا هُوَ زَائِبُهُمْ وَلَا خُمْسَةَ إِلَّا هُوَ سَادِسُهُمْ وَلَا أَدْنَى مِنْ ذَلِكَ وَلَا أَكْثَرَ إِلَّا هُوَ مَعَهُمْ أَيْنَ مَا كَانُوا ﴾ ليس بينه وبين خلقه حجاب غير خلقه، احتجب بغير حجاب محبوب، واستتر بغير ستر مستور، لا إله إلا هو الكبير المتعال) (٣).

بيان: سبق معناه فراجع، ومضمونه ظاهر بالبرهان الحكمي البديهي؛ لأنه إذا كان تعالى لم يزل ولا زمان معه ولا مكان، وهو الآن على ما كان، وإلا [حدث له] (٤) التغيير والتحويل، وهو أمانة الإمكان، فتبطل المقدمة الأولى، وهي بديهية، إذ لا شريك معه بوجه، ولا اعتبار لغيره في ذاته أو معه بوجه أصلاً، كما سبق مكرراً وسيأتي، فيجب من ذلك تنزّهه عن المكان والزمان، والتنقل والمعية الذاتية، وسائر صفات الإمكان، وإلا تغير عما كان عليه أزلاً، وانقلب الواجب ممكناً.

وهذا يوجب أن لا يخلو منه مكان، بل كل ممكن؛ لأنه خلقه وأثره، فلا بد وأن يدل عليه، وإلا لم يكن كذلك، فهو محيط بها بالظهور والدلالة والافتقار منها، فالمعية معية ظهورية فعلية، لا إحاطة شهودية ذاتية، وإلا عادت تلك المحاذير الساقطة، وقامت به حدود الإمكان، ولو في الظهور، وهو منزّه عنها بكل وجه، عقلاً ونقلاً، فالحدث لا يسع القديم ولا بالعكس.

ولو كان ظهوراً ذاتياً في الأشياء، فهو كل الأشياء، كان بينه وبين خلقه حجاب غير خلقه، ولم يكن أيضاً مع كل شيء، إذ ما لم يكن معه ظهوراً ودلالة ليس بخلق له، فيكون حجاباً له غير خلقه، وليس الحجاب إلا خلقه، ولا خالق غيره، فهو مع كل [الخلق] (٥).

(١) «المجادلة» الآية: ٧.

(٢) «الكافي» ج ١، ص ١٣٠، باب العرش والكرسي ح ١، صححناه على المصدر.

(٣) «التوحيد» ص ١٧٨، ح ١٢.

(٤) في النسختين: «حيث لم».

(٥) في «ب»: «مخلق».

بالخالقية والقدرة الفعلية - كما سبق - ولا يكون مع بعض دون آخر .
ومن وجوب كون خلقه الحجاب أن لا يكون له حجاب، بل الحجاب بما به الظهور،
والذات منزّهة عن [الصفتين] (١)، فتدبر .

وقال محمد باقر في البحار، في شرح الحديث: «قوله: (غير خلقه) أي ليس الحجاب
بينه وبين خلقه إلا عجز المخلوق عن الإحاطة به» (٢).

أقول: بل دلالة على أن الحجاب نفس الخلق، لأنه لم يظهر إلا ظهور دلالة، وهي لا
تفيد الاكتناء، فالحجاب بما به الظهور، فإذا لا حجاب له .

قال: «وقوله: (محبوب) إما نعمت له (حجاب)، أو خبر مبتدأ محذوف .

فعلنى الأول فهو إما بمعنى حاجب، إذ كثيراً ما يجيء صيغة المفعول بمعنى الفاعل،
كما قيل في قوله تعالى: ﴿حِجَاباً مُّسْتَوِراً﴾ (٣) أو بمعناه، ويكون المراد أنه ليس له تعالى

حجاب مستور، بل حجاب ظاهر، وهو تجرّده وتقدسه وعلوّه عن أن يصل إليه عقل أو وهم» (٤).

أقول: يتم بكونه هو الخلق، فإنه ليس بمستور؛ لأن الحجاب بالظهور، وإن كان هو تعالى
ممتنعاً عن الإحاطة والاكتناء .

قال: «ويحتمل على هذا أن يكون المراد بالحجاب الحجة الذي أقامه بينه وبين خلقه،
فهو ظاهر غير مخفي» (٥).

أقول: تسميتهم بالحجب والحجاب الأعظم وارد في الزيارات والأدعية، وهم
الأصل، ظهر لهم بهم ولغيرهم بهم، فهو مقطوع به عقلاً ونقلًا، لا محتمل .

قال: «ويحتمل أيضاً أن يكون المراد به أنه لم يحتجب بحجاب مخفي، فكيف
الظاهر؟» (٦).

أقول: فيه ما لا يخفى .

قال: «وأما على الثاني فالظرف متعلق بقوله: (محبوب) أي هو محبوب بغير
حجاب. وهاهنا احتمال ثالث، وهو أن يكون (محبوب) مضاف إليه بتقدير اللام، وإجراء

الاحتمالات في الفقرة الثانية ظاهر، وهي إما تأكيد للأولى، أو الأولى إشارة إلى الاحتجاب

(١) بي «ب»: «الضعفين» . (٢) «بحار الأنوار» ج ٣، ص ٣٢٨ .

(٣) «الاسراء» الآية: ٤٥ . (٤) «بحار الأنوار» ج ٣، ص ٣٢٨ .

(٥) «بحار الأنوار» ج ٣، ص ٣٢٨ . (٦) «بحار الأنوار» ج ٣، ص ٣٢٨ .

عن الحوَّاس، والثانية إلى الاستتار عن العقول والأفهام»^(١) انتهى.

القول: ثم اعلم أن الظاهر من كلام أهل التصوف، وتبعهم بعض منا، مثل الملا الكاشاني ومحمد صادق وأشباههم، على تفسير المعية - في قوله تعالى: ﴿ وَهُوَ مَعَكُمْ أَيْنَمَا كُنْتُمْ ﴾^(٢) والمعية في قوله تعالى: ﴿ مَا يَكُونُ مِنْ نَجْوَى ﴾^(٣) الآية، وفي قوله: ﴿ وَنَحْنُ أَقْرَبُ إِلَيْهِ مِنْ حَبْلِ الْوَرِيدِ ﴾^(٤) وأمثالها من الآي، وكلامهم عليهم السلام - بالمعية الذاتية، فوقعوا في تيه الضلال، وفرَّعوا عليها قواعد مجتثة أفسدوا بها العقائد لمن تبعهم، لما توهموا من وجوب المناسبة بين العلة والمعلول، فالمباين لا يصدر من المباين الآخر، ولم يعلموا أن المناسبة بين المفعول وصفة الفاعل الدالة، وهي المشيئة الأمرية، لا الذات بأحديتها، ففعلها [بأثرها]^(٥).

وتوهموا أيضاً من شبهة أثبتت لهم التوحيد الوجودي، فجعلوه كل الوجود، وأن الأشياء كلها ثابتة له في مرتبه على وجه أهلي، وما سواه أعدام اعتبارية، فقالوا بوحدة الوجود، وبعض: الموجود، فلزمهم القول بأن المعية معية ذاتية، ومفاسده لا تعد. وكيف يظهر بذاته للأشياء أو إلى أفضلها؟ والممكن لا يسع القديم، وإنما يسع من علمه الإمكانى بما شاء، فكيف الذاتي؟ ولأنه لا يختلف عليه الأحوال، ولا تقوم به حدود الإمكان، والظهور الذاتي يوجب ذلك. ولو كان بذاته فاعلاً كان فاعلاً دائماً، وهو يفعل ولا يفعل، فدل على تنزيه الذات عنهما، وأنها صفة فعل. واعتبر في نفسك، فبيك آية ذلك، ولما سبق منا بطلانه مكرراً في مواضع، وسيأتي أيضاً، فلنختصر هنا.

وما سمعت في الرواية من الإشراف والإحاطة بعلمه وعظمت، فأما [الإحاطة]^(٦) الفعلية والعلم الانطباقى إذ معلوم، وإن أريد به الذاتي، فالمراد به إحاطة الذات بها في مراتب أكوانها، من غير نزول للذات، أو صعود لها نحو ذواتها، فتدبر.

قال الملا الشيرازي في كتبه، ولننقل لك مختصر ما قاله في أسرار الآيات التي أولها على مذاق أهل التصوف - لعنهم الله وأخزاهم - قال في قاعدة توحيده تعالى في حقيقة

(١) «بحار الأنوار» ج ٣، ص ٣٢٨.

(٢) «المهديد» الآية: ٤.

(٣) «ق» الآية: ١٦.

(٤) «المجادلة» الآية: ٧.

(٥) ليست في «ب».

(٦) في النسختين: «بأسرها».

الوجود، قال: «كُلُّ شَيْءٍ هَالِكٌ إِلَّا وَجْهَهُ»^(١) وقال تعالى: ﴿اللَّهُ نُورُ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ﴾^(٢) والنور والوجود حقيقة واحدة، والفرق اعتباري، فمعنى ﴿نُورُ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ﴾ وجودهما.

وقال: ﴿مَا يَكُونُ مِنْ لُجُوبٍ ثَلَاثَةٍ إِلَّا هُوَ رَابِعُهُمْ وَلَا خُمُسَةَ إِلَّا هُوَ سَادِسُهُمْ﴾^(٣) وقال: ﴿وَهُوَ مَعَكُمْ أَيْنَمَا كُنْتُمْ﴾^(٤) ﴿وَتَحَرُّنْ أَقْرَبُ إِلَيْهِ مِنْ حَبْلِ الْوَرِيدِ﴾^(٥).

برهانه: أن الباري جلّ ذكره بسيط الذات أحدي الوجود، واجب من جميع الجهات، فلو فرض في ذاته فقد أمر وجودي أو إمكان أمر لثبوتي، لم يكن واجباً من جميع الجهات، بل فيه جهتان وحيثتان، فيلزم التركيب ولو عقلاً، وهو ممتنع، فجميع الوجودات ثابتة له على وجه أهلن، والسلوب ترجع لسلب الإمكان^(٦).

أقول: فانظر في كفر هذا القول الظاهر، وفرض جهة، وجهة فرع إمكان أن يكون للوجود الإمكان اعتباري ذاته، وليس له إلا الامتناع، بمعنى عدم وجوده إلا في مرتبته، ولا يتجاوزها، فلا يلزم ثبوت كل وجود لذاته حتى يكون هو كل الوجود، مع أن ملاحظة كونه كل الوجود غير ملاحظة غيرها، فيلزم التركيب، مع أن كونه كل الوجود يوجب الكثرة ولو بوجه، وقد نفاه.

مرآة تحقيق تكملة علوم سبوي

وكون الوحدة عين الكثرة وبالعكس بجهة واحدة، كلام لا يعقل ولا يعقله المتكلم به. ثم قال في أواخر القاعدة: «فيشاهد أنه مع كونه واحداً غير قابل للكثرة، انبسط على هياكل الموجودات، ووسع جميع ما في الأرض والسموات، ولا يخلو منه شيء، ولا ذرة من ذرات الكائنات، وهو مع كونه مقوماً لكل وجود مستغن عن كل موجود، ولا يلحقه من معيته لسائر الأشياء نقص ولا شين، كالنور الحسي الواقع من الشمس على الروازن والثقب والنجاسات وسائر القاذورات، من غير تكثر ذاته وتلوث بشيء منها، وبغير مازجة، فإذا كان هذا حال النور الحسي، فما ظنك بحال نور الأنوار العقلية في انبساطه على الأشياء،

(١) «القصص» الآية: ٨٨. (٢) «النور» الآية: ٣٥.

(٣) «المجادلة» الآية: ٧. (٤) «الحديد» الآية: ٤.

(٥) «ق» الآية: ١٦.

(٦) «أسرار الآيات» ص ٣٥، باختصار، صححناه على المصدر.

وعدم مخالطته بها؟»^(١).

[ثم ساق^(٢) تنبيهاً، مختصره أن وجوده تعالى وجود كل شيء. وأثبت فيه أن خلقه وظهوره بالذات^(٣)، ولنعرض عن نقله، فما فيه معلوم مما سبق، فهل سمعت متديناً يقول بهذا في الله، إلا أن يكون ضالاً، تاركاً لطريق الهدى، ويمثل لربه بما لا يقبله لنفسه، وهذا تمثيل ابن عربي - أستاذه - في الفتوحات لربه.

فالشمس وأشعتها تصلح مثلاً، لكن ليس على ما بين، بل فليس لها إشراق بذاتها، بل بفعلها، والأشعة قائمة بفعلها، ومن انعكاس أضوائها يقع على ما ذكره، ويحصل تغيير له وتكييف، لكنه في أسفل الأشعة، التي هي بمنزلة المعلولات، وجهة الاستنارة لغيرها، وترجع لفعلها بالجهة السفلى، بوسط أو أكثر، ولو قيل في ابن عربي والقذورات في ربه، لأنكره وقبحه على القائل، فما أقبحه من مذهب.

وما في كلام الملامن المفاصد كثيرة، لا يسع المقام ذكرها، وفيما ذكرناه هنا وقبل كفاية، ولا يحيط بها إلا الله تعالى.

في قوله: ﴿الرَّحْمَنُ عَلَى الْعَرْشِ اسْتَوَى﴾

□ الحديث رقم ﴿٦﴾

قوله: ﴿عن أبي عبد الله عليه السلام أنه سُئل عن قول الله عز وجل: ﴿الرَّحْمَنُ عَلَى الْعَرْشِ اسْتَوَى﴾^(٤) فقال: استوى على كل شيء، فليس شيء أقرب إليه من شيء﴾.

□ الحديث رقم ﴿٧﴾

قوله: ﴿عن محمد بن مارد أن أبا عبد الله عليه السلام، سُئل عن قول الله عز وجل:

(١) «أسرار الآيات» ص ٣٦، باختصار، صحناه على المصدر.

(٢) من «ب»، وفيها: «ساقه» بدل «ساق». (٣) انظر: «أسرار الآيات» ص ٣٧.

(٤) «طه» الآية: ٥.

﴿ الرَّخْمَنُ عَلَى الْعَرْشِ اسْتَوَى ﴾ فقال: استوى من كل شيء، فليس شيء أقرب إليه من شيء^(١).

□ الحديث رقم ٨ ﴿

قوله: ﴿ عن عبد الرحمن بن الحجاج، قال: سألت أبا عبد الله عليه السلام عن قول الله تعالى: ﴿ الرَّخْمَنُ عَلَى الْعَرْشِ اسْتَوَى ﴾ فقال: استوى في كل شيء، فليس شيء أقرب إليه من شيء، لم يبعد منه بعيد، ولم يقرب منه قريب، استوى في كل شيء ﴾.

أقول: روى الصدوق عليه السلام في التوحيد^(٢) هذه الأحاديث بغير فرق متناً.

وفي التوحيد: في حديث طويل في صفات العرش والكرسي: (فقوله: ﴿ رَبُّ الْعَرْشِ الْعَظِيمِ ﴾ يقول: الملك العظيم، وقوله: ﴿ الرَّخْمَنُ عَلَى الْعَرْشِ اسْتَوَى ﴾ يقول: على الملك احتوى)^(٣).

وفي الاحتجاج، في سؤالات الزنديق للصادق عليه السلام، قال: فقوله: ﴿ الرَّخْمَنُ عَلَى الْعَرْشِ اسْتَوَى ﴾ قال أبو عبد الله عليه السلام: (بذلك وصف نفسه، وكذلك هو مستول على العرش بائن من خلقه، من غير أن يكون العرش حاملاً له، ولا أن العرش حاوٍ له، ولا أن العرش محل له، لكننا نقول: هو حامل للعرش وممسك للعرش، ونقول في ذلك ما قال: ﴿ وَبِشِعْ كُرْسِيِّ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ ﴾^(٤) فثبتنا من العرش والكرسي ما ثبت، ولفينا أن يكون العرش والكرسي حاوياً له، وأن يكون هرّ وجل محتاجاً إلى مكان، أو إلى شيء مما خلق، بل خلقه محتاجون إليه).

قال السائل: فما الفرق بين أن ترفعوا أيديكم إلى السماء، وبين أن تخفضوها نحو الأرض؟ قال أبو عبد الله عليه السلام: (ذلك في علمه وإحاطته وقدرته سواء، ولكنه هرّ وجل أمر أولياءه، وعباده يرفع أيديهم إلى السماء نحو العرش؛ لأنه جعله معدن الرزق، فثبتنا ما ثبتته القرآن

(١) لم يرد هذا الحديث في النسختين، وقد استدركتاه من المصدر.

(٢) «التوحيد» ص ٣١٥، ح ٢٠١، ص ٣١٧، ح ٧. (٣) «التوحيد» ص ٣٢١، ح ١.

(٤) «البقرة» الآية: ٢٥٥.

والأخبار عن الرسول ﷺ، حين قال: ارفعوا أيديكم إلى الله عز وجل. وهذا تجمع عليه فرق الأمة كلها^(١).

أقول: إذا عرفت ذلك، فالحنابلة والمجسمة - كالكرامية، وبعض فرق اليهود - قالوا: إن الله تعالى خارج عن العالم بجملته، خروج محسوس عن آخر، وهو على العرش مستقر بذاته، ومزك إبطال شبهتهم الشيطانية وجوابها في أبواب التنزيه، وتشبهوا بظاهر هذه الآية ونزولها على أضعف المعاني اللغوية؛ بسبب غوايتهم واشتباههم، فأتبعوا المتشابه وتركوا المحكم ولم يردوه له، وقد قال تعالى في محكم كتابه: ﴿ وَهُوَ مَعَكُمْ أَيْنَمَا كُنْتُمْ ﴾^(٢) ﴿ مَا يَكُونُ مِنْ نَجْوَى ثَلَاثَةٍ ﴾^(٣) الآية ﴿ وَتَخُنُّ إِلَيْهِ مِنْ حَبْلِ الْوَرِيدِ ﴾^(٤) ﴿ وَتَخُنُّ إِلَيْهِ مِنْكُمْ ﴾^(٥) ﴿ لَيْسَ كَمِثْلِهِ شَيْءٌ ﴾^(٦).

ولو كان خارجاً مستقراً على العرش، والعرش حاملاً له، لم تصدق هذه الآي وكان مشابهاً لخلقه، وقد قام النص والبرهان والإجماع من الأمة على أنه لا يشبه خلقه، وهذا يبطل أن يكون له حامل.

مع أن العرش يطلق ويراد به العلم، ويراد به جملة العالم، ويراد به الجسم المحدد المحيط بالكل، وبمعنى السرير أيضاً، قال تعالى: ﴿ وَلَهَا عَرْشٌ عَظِيمٌ ﴾^(٧) ﴿ أَمْ كَذًا هَرَشِكُ ﴾^(٨).

وبمعنى المُلْك، نحو: استوى المَلِكُ على عرشه، أي انتظمت أمور مملكته، وتلَّ عرشه، أي اختلفت مملكته، ولعل ذلك الملك لا سرير له ومجلس.

ويحتمل: ﴿ وَلَهَا عَرْشٌ عَظِيمٌ ﴾ الملك، قال الشاعر:

تد نال عرشاً لم ينله نائل جنن ولا إنس ولا ديار

وبمعنى السقف أيضاً، قال تعالى: ﴿ وَهِيَ خَاطِيَةٌ عَلَى عُرْوَتِهَا ﴾^(٩).

(١) «الاحتجاج» ج ٢، ص ١٩٩، صحناه حل المصدر.

(٢) «الحديد» الآية: ٤. (٣) «المجادلة» الآية: ٧.

(٤) «ق» الآية: ١٦. (٥) «الواقعة» الآية: ٨٥.

(٦) «الشورى» الآية: ١١. (٧) «النمل» الآية: ٢٣.

(٨) «النمل» الآية: ٤٢. (٩) «البقرة» الآية: ٢٥٩.

واستوى نوره، بمعنى: استولى، قال الشاعر:

قد استوى بشرٌ على العراق من غير سيفٍ ودمٍ مهراقٍ^(١)

وقال آخر:

لما حلونا واستوينا عليهم تركناهم صرعى لنسر وكاشر

فلك أن تريد بالعرش: جملة الخلق، أو الملك.

واستوى بمعنى استولى، فلا محذور ولا لزوم شيء من المفاسد، وهو عربي جيد. أو نقول: المراد بالاستواء استواء النسبة من كل شيء، فليست مختلفة بوجه، بل هي هامة القدرة لكل موجود، وظاهرة الآثار في كل موجود، إذ كل واحد منها يدل على خالقها وصانعها، وكذا نسبه من كل موجود، ليس شيء أقرب إليه من شيء، إذ ليس معيته زمانية، ولا مكانية ولا مصاحبة، كما صرحت به هذه الروايات السابقة، والآيات الدالة على هذا أيضاً موجودة في طرقهم.

فتكون الآية - حينئذ - صريحة في نفي الجهة عنه تعالى والمكانية، كباقي المحكمات، [لا]^(٢) كما توهموه وحرّفوا به الكلم عن مواضعه، مع أن المجاز والحذف شائع في القرآن، فيجوز أن يقال: التقدير هنا: ولي الرحمن، وهو خليفته العظيم على الملك - أي المخلوقات - أو العلم المفاض احتوى عليه، فإنه المرجع والشاهد على الكل، والقريئة على الحذف استحالة الظاهر، ووجود مثله في القرآن.

هذا و[لو]^(٣) لم يحصل لها معنى ظاهر موافق لمحكم النص والقرآن، وجب تأويلها؛ لتواتر البرهان العقلي على استحالته، ولأنه فلا تؤول الأيدي، بل يقال: له أيدي كثيرة، وغير ذلك. فظهر الحق وارتفع التناقض.

وكذلك قوله: ﴿وَجَاءَ رَبُّكَ﴾^(٤) حيث إن المجيء ليس حقيقة في الذهاب المحسوس، ولو سلم فهو في الممكن، وعلى طريقتهم يكون فيه مجازاً، كما قال في

(١) البيت للاخطل. انظر: «الصحاح» ج ٦، ص ١٢٣٨٥ «تاج العروس» ج ١٠، ص ١٨٩.

(٢) من «ب».

(٣) ليست في «ب».

(٤) «الفجر» الآية: ٢٢.

الرحمة بالنسبة له وغيرها، مع أن الرب ورد لمعان متعددة.
 ويجوز التقدير: أي ولي ربك، مع أن مجيء الأمر من الأمر يصدق حينئذ أنه جاء، بغير
 حاجة إلى تقدير، فتفطن ولا تتبع الهوى، حتى تجعل المحكم الظاهر متشابهاً، وتنزل
 القرآن على أحسن الوجوه بالقوة الصافية النورية، لا الأوهام الشيطانية ﴿وَعَلَى اللَّهِ قَضُؤُ
 السَّبِيلِ وَبِئْنَا جَائِزٌ﴾^(١) فدعهم وما يفترون، وسيجزئهم وصفهم.

تقرير المؤلف للآية

ونرجع إلى الآية، ونقول: إنما خص بالذكر اسم الرحمن دون الله - والرحيم وباقي
 الأسماء - لأنه مقام الرحمة العامة الجامعة لجميع الموجودات وشؤونها، وهو الاسم
 الجامع لجميع صفات الفعل، من الإضافة وغيرها، والعرش مبدأ جميع الشؤون ظهوراً،
 ولكل اسم عمل خاص، ولكل مخلوق اسم غيبي، هو وجهه من فعله، وإليه ترجع الأسماء
 وسائر الخلق، ذاتاً وصفةً وحالاً، فناسب ذكر الرحمن مع الاستواء العرشي.
 فيها استوى على عرشه، الذي يدخل فيه جميع الخلق، قال الله تعالى: ﴿وَرَحْمَتِي
 وَسِعَتْ كُلَّ شَيْءٍ﴾^(٢) وهي الشاملة للكافر والمؤمن، فهو استواء فعلي بمقتضى الرحمة،
 فأين هو والذاتي، كما زعمه المشبهون وأهل التصرف، القائلون بوحدة الوجود - وأن
 الخلق حدود منه، والصانع والصنع والمصنوع واحد، أو هو مادة لخلقه، أو أنه الفاعل
 بذاته بجهة فاعلية ذاته وجهة القابل، وهو الأعيان الثابتة؟ إلى غير هذه الأقوال الساقطة.
 وقد اشتبه الأمر على بعض المسلمين، فتبعهم جهلاً - كما سبق وبأني - كالملا وتلامذته.
 ومن هذه الرحمة ملا خزائن [غيبية]^(٣) الفواعل والأسباب، وأظهر بها أوامره ونواهيه
 وكرمه، وأنواع نعمه وفضله وإحسانه، ويك بها ما خلق من إنس وجان، وسائر الخلق من
 شيطان أو فلك أو ملك، وأجرى بها الأقلام الكلية والجزئية، وأبان الأوامر والنواهي، بما
 تقتضيه العلل والقوابل، وربط بين العالم بعمقه ببعض بالسببية والمسببية، والدلالة
 والابتلاء، والكتاب والأجل والاختبار - إلى باقي أحكام الموجودات - بحسب الذات
 والصفات والأفعال، وباقي الشؤون وسائر الأحوال، ممّا [مضى]^(٤) وما هو آت، إلى الجنة

(٢) «الأعراف» الآية: ١٥٦.

(٤) في «أ»: «بغني».

(١) «النحل» الآية: ٩.

(٣) في «ب»: «غيبه».

والنار وما بعدهما، إلى ما لا نهاية له، بإمداد الله وسعة رحمته، التي لا انقطاع لها ولا نفاذ، ممّا في جميع العوالم. والعرش فيه تمثال كل شيء، والله استوى على جميعه برحمانيته. واعلم أنه لم يحمل جميع ذلك في كل جزئي وجزءه وكلّي وكلّ، في الذوات والصفات، إلا محمد ﷺ وآله، على مراتبهم، فهو الذي استوى برحمانيته فيهم، ووسع حمل ذلك بحسب ذواتهم، وجميع من سواهم.

وفي القدسي: (ما وسعني أرضي ولا سمائي، ولكن وسعني قلب عبدي المؤمن) ^(١) وليس إلا هم، وجميع من حُمّل، وحمل سواهم - من نبي أو ملك أو مؤمن - فإنما هي جهة من جهات ذلك بالتبعية الشعاعية، أو [بفاضلها] ^(٢).

ويلزم من ذلك ويجب - كما شاء الله - أن يكونوا أمناء الخلق على رحمته وخزان علمه، ومن أشهدهم خلق أنفسهم وجميع من سواهم، وأنهى علمهم إليهم، وجعلهم الواسطة للكل في الكل، فيكون إليهم مآب الخلق وحسابهم، وهم الحجّة عليهم جميعاً، وأنه عرضت ولايتهم على الكل في الذر الأول والثاني والثالث، بعد أن كان أمة واحدة بحسب المادة، لا تمايز بينها، إلا بحسب الإمكان، وهو مخفي غيبي لا يحكم عليها به، لكن به الطلب، وطلبوا فأعطاهم بذكرهم، فتمايزوا بقبول الولاية وعدمها، وخلق كل من عمله، والله يفعل ما يشاء.

والله قد حمّلهم وائتمنهم على جميع ما استوى عليه من رحمانيته على خلقه، بالنسبة لذواتهم وصفاتهم، وبالنسبة لغيرهم، فأدوا ما حُمّلوا للغير، كل بقدر قابليته واستعداده، في الذوات والصفات، في العقائد، والأعمال والأفعال وجميع الشؤون، ومع ذلك كله فلم يشغلهم شأن من شؤون خلقه عن بارئهم، ولم يحجبهم عنه، فما رأوا شيئاً إلا ورأوا الله قبله أو معه، بل ما نظروه إلا بالله، وأنه نفس الأثرية بوجهة استنارته من فعل الله ونوره بهم، فرجعوا إليه تعالى منها، من غير تلويث باعتماد عليهم، أو النظر إليها، بل هم كاملون مبلّغون ما أمروا بتبليغه، وقسموا الخلائق بمقتضى ما قبلوا من ولايتهم ومعاداتهم.

وفي دعاء سيد الشهداء يوم عرفة المشهور: (إلهي أمرت بالرجوع إلى الآثار، فارجعني إليك بكسوة الأنوار وهداية الاستبصار، حتى أرجع إليك منها، كما دخلت إليك منها، مصون

(١) «إحياء علوم الدين» ج ٣، ص ١٦٥ «بحار الأنوار» ج ٥٥، ص ٣٩، بتفاوت.

(٢) في النسختين: «بفاضلها».

السز عن النظر إليها، ومرفوع الهمّة عن الاعتماد عليها، إنك على كل شيء قدير^(١). وهم في جميع ذلك لا يعملون إلا بأمره، ولا يخرجون عنه قولاً وفعلاً، ولم يرفع يده عنهم ﷺ، بل أمدهم بالعمون والتوفيق، وما أطلعهم عليه مما لم يقطع مدده عنهم، بل عطاء غير مجذوذ، و[كمال]^(٢) لطفه وسعة رحمته فيها، في تحميلهم لذلك، ورفع اليد فلا [طاقة]^(٣) لهم بدرنها، ولا غنى لهم عنه فيها، بل بفقرهم له استغنوا، وأشدّهم قرباً أشدهم فاقةً وفقراً. قال الله تعالى: ﴿ وَهُمْ بِأَمْرِهِ يُغْمَلُونَ ﴾^(٤) ﴿ يَغْلَمُ مَا بَيْنَ أَيْدِيهِمْ وَمَا خَلْفَهُمْ ﴾^(٥) ﴿ وَلَا يَشْفَعُونَ إِلَّا لِمَنْ ارْتَضَى وَهُمْ مِنْ خَشْيَتِهِ مُشْفِقُونَ ﴾^(٦) ويدخل في هذه الرحمة العامة الرحمة الخاصة، المعبر عنها بالرحيم، الخاصة بالمؤمنين، والرحمة الخاصة أيضاً بمقتضى العدل، وكلاهما بمقتضى صور الأعمال والعقائد.

قال الله: ﴿ كَتَبَ فِي قُلُوبِهِمُ الْإِيمَانَ وَأَيَّدَهُم بِرُوحٍ مِنْهُ ﴾^(٧) وهو [بعقائدهم]^(٨) وأعمالهم، وقال تعالى: ﴿ بَلْ لَعَنَهُمُ اللَّهُ بِكُفْرِهِمْ ﴾ الآية^(٩) ﴿ إِنَّ اللَّهَ لَا يُغَيِّرُ مَا بِقَوْمٍ حَتَّى يُغَيِّرُوا مَا بِأَنْفُسِهِمْ ﴾ الآية^(١٠).

فأتضح من جميع ذلك أن الاستواء برحمانيته على العرش، غيباً وشهادةً، هو إعطاء كل ذي حق مستحقّه، بمقتضى قابليته المجمعولة بالانوجاد. قال الله: ﴿ زَيْنًا الَّذِي أَعْطَى كُلَّ شَيْءٍ حَلْقَهُ ثُمَّ هَدَى ﴾^(١١) هدى الكل لما فيه صلاحهم ونجاتهم، بالبيان والتعريف والترغيب والترهيب والتمكين، مما يحتاجون إليه في ذلك، وهو لطف منه.

وسياتيك^(١٢): خلق الخلق من أركان أربعة - وهو حقيقتها تفصيلاً؛ لأنه انقسم إليها

- | | |
|----------------------------|---------------------------|
| (١) «إقبال الأعمال» ص ٦٦٠. | (٢) في «ب»: «قال». |
| (٣) في «أ»: «طلاقة». | (٤) «الأنبياء» الآية: ٢٧. |
| (٥) «البقرة» الآية: ٢٥٥. | (٦) «الأنبياء» الآية: ٢٨. |
| (٧) «المجادلة» الآية: ٢٢. | (٨) في «أ»: «بعقائدهم». |
| (٩) «البقرة» الآية: ٨٨. | (١٠) «الرعد» الآية: ١١. |
| (١١) «طه» الآية: ٥٠. | |

(١٢) انظر باب العرش والكرسي في هذا المجلد، ح ١٠، وفيه: (إن العرش خلقه الله تعالى من أنوار أربعة: نور أحمر)...

فاستوى بصفة الخلق، وهو الركن الأحمر، فخلق كل شيء، واستوى برحمانيته على الركن الأصفر بصفة الحياة، فبه [حي كل شيء] (١)، فبين كل شيء، واستوى برحمانيته على الركن الأبيض بصفة الرزق، وعلى النور الأخضر بصفة الموت، وكلها داخله في إعطاء كل ذي حق حقه، حق أهل الجنة والنار، والموت المنفي عنهم هو العنصري، ويرجع هناك إلى الارتقاء في الكمال، من غير أن يجدوا فقداناً وألماً ومفارقة.

قال الله: ﴿ تَمَّ اسْتَوَى عَلَى الْعَرْشِ الرَّحْمَنُ فَسَبَّحَهُ بِحَمْدِهِ لَمَمَاتٍ ﴾ (٢) ثُمَّ اسْتَوَى عَلَى الْخَلْقِ الرَّحْمَنُ، كقوله: ﴿ الرَّحْمَنُ عَلَى الْعَرْشِ اسْتَوَى ﴾ (٣) وظهر لك السبب في [تسميتها] (٤) بالرحمة الواسعة، كما قال الله: ﴿ وَرَحْمَتِي وَسِعَتْ كُلَّ شَيْءٍ ﴾ (٥) فهي رحمة الوجود، وصفاته وهدايته العامة، وهي تشمل الكافر والمؤمن، وهي تشمل العدل، وهي صفة الرحمن بمقتضى مجازاة الكافر، والرحمة التفصيلية والرحمة الخاصة.

ويشمل كلا القسمين مجازاة كل بعمله، وهذه خاصة بالمؤمن، قال الله: ﴿ فَسَأَلْتُهَا لِلَّذِينَ يَتَّقُونَ وَيُؤْتُونَ الزَّكَاةَ ﴾ (٦).

وفي النص: (رحمن الدنيا والآخرة ورحيم الآخرة) (٧) - لكن ورد: (ورحيمهما) (٨) - فالمعوم من جهة التفضل على الكافر في الدنيا بالنعم، مجازاة لعمله المجتث الزائل، وإقامة للحجة عليه، وإمهالاً له، لعله يذکر أو يخشى.

وهذا مقابل ما يقع بالمؤمن من البلاء في الدنيا، تخفيفاً له، أو لإظهار الصبر والابتلاء، من البلاء الجميل، فلكل عدل رحمة وبالعكس، فارتفع التنافي، فأجرى عدله على المؤمن؛ ليخفف عنه ويظهر صبره، ويعرض بسببه عن الركون إلى الدنيا، وعلى الكافر جزاء له، أو لعله يرغب في الإسلام، أو لنفع غيره به، أو كَفَّ أذاه، ونحو ذلك مما يوجب فيه ظهور مقتضى الرحيم.

فاتضح عموم الرحمة الواسعة للكافر والمؤمن دنيماً وآخرة، وجرى مقتضى العدل على المؤمن في الدنيا، بمقتضى اللطف به، بخلاف جريانها على الكافر، فهو بمقتضى

(١) من «ب» . (٢) «الفرقان» الآية: ٥٩ .

(٣) «طه» الآية: ٥ . (٤) في «أ»: «بشبهتها» .

(٥) «الأحرف» الآية: ١٥٦ . (٦) «الأحرف» الآية: ١٥٦ .

(٧) و(٨) «الكاظمي ج ٢، ص ٥٥٧، ح ٦، وفيه: (يا رحمن الدنيا والآخرة ورحيمهما)» .

التمحيص وتمجيل البلاء لا اللطف، والرحمة المكتوبة قد تعمّ المؤمن والكافر دينياً، وفي الآخرة تختصّ بالمؤمن، وقد يبقى للكافر جزاء بعض عمله، فلو فرض فيه متفرقاً بغير انقطاع عن التعذيب، فإذا انتهى حُدبِ باستحقاقه، ومحمد ﷺ الحامل للرحمة الخاصة والعامّة، بجميع معانيها.

وعرف ممّا ذكر في الرحمة، وأنها ترجع إلى الهداية والوجود، فتكون في الله حقيقة وتكون لغيره بفاضلها كسائر الصفات.

قال الله: ﴿ قَانظُرْ إِلَى آثَارِ رَحْمَةِ اللَّهِ ﴾^(١) لا أن حقيقتها رقة القلب وعطفه، وتستعمل في الله مجازاً، كما اشتهر على لسان جماعة^(٢)، وليتهم قالوا بذلك في المخلوق، وفيه تعالى حقيقة، بمعنى رزقه وإحسانه وعنايته بخلقه وهداه، وأمثال ذلك.

ومن وقع في تيه - فوقعوا في التشبيه وظنوا الفرار منه، وهم مشاركون لمن سبق في القول به - الملاً الشيرازي وصهره الكاشاني وأمثالهم، في مثل هذه الآي، ممّا توهمه، تبعاً لابن عربي، ومحاماة على القول بوحدة الوجود، والمناسبة الارتباطية الذاتية بين الله وخلقه، ولننقل لك بعض عبارتهم وهي طافحة من كتبهم.

قال الملاً الكاشاني في كتابه المسمى بأنوار الحكمة: «وأما اتصافه عز وجل بما يروهم التشبيه، ممّا ورد في الكتاب والسنة، فإنما ذلك من حيث أسمائه وصفاته ومعيته للأشياء، لا من حيث ذاته بما هي هي، فإنه منزّه عن التنزيه، كما أنه منزّه عن التشبيه.

وأما من حيث مراتب أسمائه وصفاته، ومعيته للأشياء وقربه منها، فيتّصف بالأمرين من غير فرق؛ لأنّ له في كلّ عالم من العوالم مظاهر، ومراثي ومنازل ومعالم يعرف بها، كما قال عز اسمه في الحديث القدسي: (لا يزال العبد يتقرّب إليّ بالنوافل حتى أحبه، فإذا أحببته كنت سمعه الذي يسمع به، وبصره الذي يبصر به ويده التي يبطش بها)^(٣) الحديث^(٤). ثم ذكر بعض الأحاديث، وقال: «أقول: قد ذكرنا في كتابنا الموسوم بعين اليقين أصولاً، من أحكمها عرف أن كلّ ما ورد من الآيات والأخبار، في التنزيه والتشبيه، فهو محمول

(١) «الروم» الآية: ٥٠.

(٢) انظر أوائل باب معاني الأسماء واشتقاقها، تحت عنوان: إشارة وإنارة، ص ٤٥.

(٣) «غوالي اللآلئ» ج ٤، ص ١٠٣، ح ١٥٢، بتفاوت يسير.

(٤) «أنوار الحكمة» مخطوط رقم ١٠٩٢٩، الورقة ١٣، باختصارٍ ما، صححناه على المصدر.

على ظاهره، من غير تأويل ولا تعطيل، مع أنه سبحانه منزّه عن الأمرين جميعاً.
قال صاحب الفتوحات^(١):

فإن قلت بالتنزيه كنت مقيداً وإن قلت بالتشبيه كنت محدداً
وإن قلت بالأمرين كنت مسدداً وكنت إماماً في المعارف سيّداً^(٢)

انتهى.

فأي مقر بالله ويخرجه عن الحدين، يقول بهذا؟ ويعني بالمعية المعية الذاتية، فثبت له التشبيه بحسب تعين الذات بصور الأسماء والمرايا - وهي الأعيان | الثابتة | مرايا لوجوده تعالى، رأى نفسه فيها، وهي [عدمية]^(٣) - ومنزّه بحسب الذات، فقد أثبت له كليهما، كلاً بوجه، لا مطلقاً، فهو تعطيل وتشبيه، ولكن من استند في تحصيل عقائده إلى رئيس الضلال والإضلال ابن عربي، ترى توحيدته تعطيلاً وتشبيهاً، فلقد دخل في القول بالتشبيه، ولم يؤول ما يوهمه بما يدفعه، بل بقرره.

وقال الكاشاني في الوافي، في شرح الأحاديث السابقة: «فسر الاستواء باستواء النسبة، والمرش بمجموع الأشياء، إذ هو عبارة عن الجسم المحيط بجميع الأجسام، مع كل ما فيه كما يأتي تفسيره.

وضمن الاستواء ما يتعدى بـ (على) كالاستيلاء والاشراف ونحوهما لموافقة الآية، فيصير المعنى: استوى نسبتته إلى كل شيء حال كونه مستولياً على الكل، ففي الآية دلالة على نفي المكان الخاص عنه سبحانه، خلاف ما يفهمه الجمهور منها، من دلالتها على إثبات المكان.

وفيها - أيضاً - إشارة إلى معيته القيومية، واتصاله المعنوي بكل شيء على السواء، على الوجه الذي لا ينافي أحديته وقُدس جلاله، وإفاضته الرحمة على الجميع، على نسبة واحدة، وإحاطة علمه بالكل بنحو واحد، وقربه من كل شيء على نهج سواء، وأتى بلفظ (من) في الحديث الثاني، تحقيقاً لمعنى الاستواء في القرب والبعد، وبلغظة (في) في

(١) انظر: «فصوص المحكم» ص ٧٠.

(٢) «أنوار الحكمة» مخطوط رقم ١٠٩٢٩، الورقة ١٤، صحناه على المصدر.

(٣) في النسختين: «عدمية».

الثالث، تحقيقاً لمعنى ما يستوي فيه .

وأما اختلاف المقرئين، كالأنبياء والأولياء، مع البعداء، كالشياطين والكفار، في القرب والبعد، فليس ذلك من قبله سبحانه وتعالى، بل من جهة تفاوت نفوسهم في ذواتها، وإنما نُسب الاستواء إلى الرحمن؛ لأنه إنما استوي بالنسبة إلى الكل، بالرحمة العامة الشاملة، المدلول عليها بهذه اللفظة دون غيرها^(١).

أقول: والمراد بالعرش، الذي استوي برحمانيته عليه، أهمّ ممّا ذكره، بل ما ذكره وجه من الأمر المراد منه هنا، ولما لم تكن بينه وبين غيره نسبة، ولا مداخلة ولا مزايلة بوجه، لم تكن بينه نسبة، فهو خلوّ من خلقه وخلقه خلوّ منه، وتعيّن أن يكون بينه وبين خلقه النسبة الفعلية، وهي لا تختلف، والأجرى الاختلاف في الذات. والآية تدلّ على نفي المكان والزمان والاختلاف بكلّ وجه، وتدلّ على نفي المعية التي يعنيها، وهي التي عنها في كلامه السابق، ومعيته ظهورية فعلية، بلا كيف ونسبة أين أو غيرها، فتأمل .

وأما تعيين الحروف في الاستواء، فللدلالة على استوائها من كلّ وجه، بحسب الدخول والاستعلاء والخروج، فيكون داخلاً خارجاً، فاتحاد النسبة كذلك توجب عدم تحقق الدخول، وكذا الخروج، بل يكون داخلاً بما خرج في خروجه من جهة دخوله، وكذا في الخروج، فافهم، وسيأتي زيادة بيان لهذه المسألة إن شاء الله .

وقال محمد صادق في شرح حديث مرسل الخشاب^(٢): «الرحمن لمّا كان مجرداً من الجسم والجسمانيات في حدّ ذاته، ومتصفاً بالجسم والجسمانيات بواسطة ظهوره في العرش الجسماني، فله في حدّ ذاته حكم، وبواسطة ظهوره وإحاطته بالجسمانيات حكم، ومن الأحكام التي له في ذاته: أن لا قبل ولا بعد له من الأجسام والجسمانيات، لتجرّده في حدّ ذاته .

ومن جملة الأحكام التي له بواسطة ظهوره في الجسم: له قبلية وبعديّة، فكلّ واحد من الحكمين صحيح بالنسبة إليه .

وقال عليه السلام طرف الحكم الذي له بالنسبة إلى حدّ ذاته، لكونه يفيد التنزيه، وقد علمت

(١) «الوافي» المجلد ١، ص ٤١٤، صححه عن المصدر .

(٢) وهو الحديث السادس من هذا الباب .

أنَّ الخلق يميل إلى التشبيه بالفطرة، والهادون يجبرونهم إلى التنزيه بالقسر؛ ليعارض جبرهم | مع | فطرتهم، لعلمهم يكونون أمةً وسطاً؛ ليجمعوا بين التشبيه والتنزيه، بأن قالوا: إنَّ الله في حدِّ ذاته مجرد من أحكام الجسمانيات، وفي الإحاطة عليها له تعالى حكم آخر». أقول: انظر ضلاله الملتق، فقد حكم على الله باختلاف الأحوال، وجعل له بحسب ذاته حكماً، وبحسب ظهورها في الأجسام والقابليّات حكماً آخر، وعليه نزل التشبيه وجعله على ظاهره، ويميل من الخلق إلى التشبيه من عمل بخلاف فطرته الأولية، فاهوج حتى كانت له فطرة ثانية، ودلالة الفطرة على التنزيه وعدم التعطيل، فإنها الصفة التي حرّفها الله خلقه في هويّاتهم، فسبحان من لا تختلف عليه الأحكام، والنسب والأحوال.

وقال في شرح حديث محمد بن مارد: ^(١) «التعین عارض على الوجود في المفهوم، والمخلوق عبارة عن المجموع المركب من العارض والمعروض، فأحد جزئية - هو المعروض - أصل للجزء الآخر، فالجزء الأصل أقرب إلى المخلوق [من مجموع] ^(٢) الأصل والعارض بالأصالة، فتدبر».

أقول: يريد بالمعروض وجود الواجب؛ لقوله بالارتباط الذاتي بين الواجب والمجموع ووحدة الوجود، والإمكان وأحكامه من الأعيان الثابتة اعتبارية، فالمجموع مركب من حق وعدم، هي حدود [قائمة به] ^(٣) فيلحقه التشبيه من ذلك، وهذا يعود بالله منه. ومع هذا إذا رجعت إلى ما قالوه في الأحاديث ومضمونها، وجدتها تردّه وتبطله، وأنهم يحرفونها عن المقصود منها، فتأمل.

تتمة لما سبق: قد عرفت معنى الربّ والمجيب والذهاب، وأن الذات منزّه عنه؛ لاستحالة نزول الذات للإمكان، أو صعود الممكن لها، لما عرفت مكرراً ويأتي، وكذا مثل ﴿تَجْرِي بِأَعْيُنِنَا﴾ ^(٤) ﴿وَلْتَصْنَعْ عَلَىٰ صِينِي﴾ ^(٥) ونحوها، وإضافة العين له تدلّ على المغايرة، فهي عينه الناظرة لعباده به، والناظر لهم به، وكذا مثل اليد والأيدي، وكلها صفات فعله قائمة بالفعل وبه، قيام صدور، ونسبها لنفسه، تعظيماً لها وتشريفاً وتنويهاً - كما قال: ﴿رُوحِي﴾ ^(٦) ﴿يَتَّبِعِي﴾ ^(٧) ولأنه الظاهر بصفة المستن والمثل الأعلى، الذي ظهرت منه

(١) وهو الحديث السابع من هذا الباب.

(٢) في «أ»: «ومجموع».

(٣) من «ب».

(٤) «القمر» الآية: ١٤.

(٥) «طه» الآية: ٣٩.

(٦) «الحجر» الآية: ٢٩، «ص» الآية: ٧٢.

(٧) «البقرة» الآية: ١٢٥، «الحج» الآية: ٢٦.

الأفعال به .

ومثل: (خلق الله آدم على صورته)^(١) يراد بالصورة: الصفة الدالة عليه، وفطرة الإنسان على الصورة المستقيمة صورة التوحيد، والمعرفة معرفة استدلال لا اكتناه، أو المثل الدال [وحقيقته]^(٢).

قال الله تعالى: ﴿وَلَهُ الْمَثَلُ الْأَعْلَىٰ فِي السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ﴾^(٣) وهو منزّه عن المثل - بسكون الراء - فطرة الإنسان هذه الصفة، قال الله: ﴿لَقَدْ خَلَقْنَا الْإِنْسَانَ لِي أَحْسَنَ تَقْوِيمٍ * ثُمَّ رَدَدْنَاهُ أَسْفَلَ سَافِلِينَ﴾^(٤) بتغييره مقتضاه بالعمل الثاني، لا أن المراد بالصورة: الذات الأحدية، فلا دليل يدل عليه، وسيأتي زيادة بحث في هذا الحديث في المجلد اللاحق .
ولا تعرّج على ما قاله الملام الشيرازي، ولا محمد صادق تلميذه، ولا الكاشاني، في تأويل ما يوهم التشبيه بالنسبة إليه تعالى، من الكتاب والسنة، فإنه يقرّره لا يدفعه، ويوجه له، ولو بوجه وهو كاف، ويوجب التعطيل أيضاً، وسبق في المجلدات متفرّقا، وسيأتي أيضاً إن شاء الله والله العاصم والكافي.

□ الحديث رقم ﴿٩﴾ مركز تحقيق تكملة علوم رسول

قوله: ﴿عن أبي بصير، عن أبي عبدالله عليه السلام، قال: مَنْ زعم أن الله من شيء، أو في شيء، أو على شيء، فقد كفر. قلت: فسر لي؟ قال: أعني بالحواية من [الشيء] ^(٥) له، أو يماسك له، أو من شيء سبقه .
وفي رواية أخرى: مَنْ زعم أن الله من شيء فقد جعله محدثاً، ومَنْ زعم أنه في شيء فقد جعله محصوراً، ومَنْ زعم أنه على شيء فقد جعله محمولاً﴾.

(١) «الكافي» ج ١، ص ١٢٤، باب الروح، ح ١٤، «التوحيد» ص ١٠٣، ح ١١٨، ص ١٥٢، ح ١٠، ص ١٥٣.

ح ١١، بتفاوت يسير. (٢) في النسختين: «وحقيقته».

(٣) «الروم» الآية: ٢٧.

(٤) «التين» الآية: ٤ - ٥.

(٥) في النسختين: «شيء».

أقول: قال محمد صادق في الشرح: «قوله ﷺ: (أهني بالحواية من الشيء له، أو يماسك له، أو من شيء سبقه) أوجه الكفر، يعني: من قصد أنه تعالى محاط من شيء من مخلوقاته، أو محتاج في إمساكه إلى محل، أو يكون مسبوقاً بشيء، وكان شيء أولاً ثم علا عليه، فكل ذلك كفر بالنسبة إلى ذاته تعالى؛ لأنه الغني عن العالمين، ولا يحتاج إلى شيء، وليس شيء سابقاً عليه، ولا يحاط بشيء.

وأما في إحاطته [بمخلوقاته] ^(١)، فيتصف بكل منها بالعرض ويتبعية المخلوقات، ولم يتدنس ذيل تقدسه من دنائس الممكنات في إحاطته، هذا مثل النفس الإنساني، فإنها بإحاطتها بالبدن لا تنقص بنقصان البدن، ولا تفنى بفنائها، ولا تمرض بمرضه».

أقول: نعوذ بالله من هذا اللفظ ومدلوله، فهو [-] ضلال، ولقد أثبت التشبيه له، وأنه في غيره من شيء وفي شيء، أو جميع ما نفاه الإمام عنه أثبتته، ولكن في مقام إحاطة ذاته بالأشياء، فيوصف بصفاتهما، فقد اختلفت عليه الأحوال وقامت به الحوادث، وتغير عما كان في الأزل بحسب الذات، فيجوز عليه الانقلاب من الوجوب إلى الامكان، فيكون مع القدورات بذاته، وينسب لربه ما ينزهه عنه نفسه، كل ذلك لما أثبت المناسبة والارتباط الذاتي الوجودي، وأن وجوده كل الوجود، فيكون في الخلق بوحدة الوجود، الظاهر بالأشياء، ونحوه من يقول باتحاد الحقيقة، وأن الخلق حدود اعتبارية قائمة بالخالق، والله المثل الأعلى.

وإحاطته بخلقه كإحاطة السراج بالأشعة، بما ظهر لها بها بفعله، والدخول دخول ظهوري بالصفة الفعلية والإمداد المحيط، لا بالذات، فدخوله نفس خروجه، ولا مناسبة [إلا] ^(٢) بين المصنوع وفعل الصانع ولا يدل على الإحاطة الذاتية، فلا مناسبة، وعلى قوله يلزمه التركيب في الواجب وانقلابه ممكناً، فيلزمه ما نفاه عنه أخيراً.

وليس للمخلوق ذكر عند الذات بوجه، فلا يوصف بذلك بوجه قبل الخلق وحالته وبعده، فهو على ما كان فيما لم يزل، أبده أزله، وهو ذاته، ومباينته مباينة صفة، فلا يلحقه من صفات خلقه شيء كما سبق، وهذا بعض ما وعدناك قريباً.

والقديم أجل من أن يحل في شيء بوجه من الوجود، أو يكون من شيء، أو ينفعل عن

(١) في «ب»: «على مخلوقاته». (٢) ليست في «ب».

شيء [أو على شيء] ^(١) أو يمسكه شيء، أو تظهر ذاته في شيء، ومن أثبت فيه تعالى شيئاً من ذلك، بنحو من الأنحاء، فقد كفر بنص الكتاب، ونص الرسول وخلفائه، والأدلة الحكمية وغيرها.

وليس تمثيله بالنفس بتام، مع أن النفس تزيد وتنقص، وتعرض لها عوارض نفسانية - وغيرها - بواسطة، وتختلف عليها الأحوال، ولا كذلك ذاته، تعالى وتقدس، ولو تأمل في مثاله لكان بعكس ما يقول، فإن قوى النفس شؤونها ومراتب ظهورها، ولا تتحد بقواها بذاتها، والقول بالائتداد ذاتاً - مع الكثرة، مع عدم التلوّث بها، وعدم لزوم أحكامها - حديث خرافة ومحال، فإن كانت الوحدة الكثيرة بوجه دون وجه، لزمت المحالات وانقلب ممكناً، ولا تكون الوحدة كثرة بجهة واحدة، فإنه قول من لا يفهم ولا يعقل ما يقول، وأخذه تبع أهل الضلال.

وبالجملة: فضلال قوله وردّ النصوص له بديهي، فلنكتف بذلك، وإلا فمفاسده كثيرة، سبحانه عمّا يقوله المشبهون له، الواصفون بغير ما وصف به نفسه، علواً كبيراً، وما أجراً هذا وأمثاله، كيف جسر أن يصف الله بذلك، ويقول فيه؟

وقال الملا الشيرازي في شرح الحديث: «يعني: أن إطلاق شيء من هذه الألفاظ - بالمعنى الذي هو متعارف أهل اللغة - عليه تعالى مستلزم لاعتقاد التجسيم في حقه تعالى، وذلك الاعتقاد كفر» ^(٢). ثم ذكر معانيها ولزوم التجسيم.

وأقول: ما ذكره الإمام، في نفيه عن الله تعالى، بأي معنى أخذ، لا بحسب ألفاظ اللغة المتعارفة، سبحانه وتعالى عمّا يصفون، لكن يشير إلى مثله بنحو آخر، ولم يذكره هنا، وذكره في غيره، وسيأتي إن شاء الله.

وأما بيان تنزيه ذاته تعالى عن جميع ذلك، بجميع أنحاء وظهورها، فظاهر ممّا سبق ومن هنا، ويأتي إن شاء الله، فلنختصر استمعجلاً.

في قوله تعالى: ﴿وَهُوَ الَّذِي فِي السَّمَاءِ إِلَهٌ وَفِي الْأَرْضِ إِلَهٌ﴾ ^(٣)

(١) من «ب».

(٢) «شرح أصول الكافي» ج ٣، ص ٣٢٩، صححناه عن المصدر.

(٣) «الزخرف» الآية: ٨٤.

أقول: أي في بيان دفع ما توهمه من التعدد، ولا تعدد في الإله بوجه، تعالى وتقدس .
قال محمد صادق في بيان الآية: «كُلُّ ذَلِكَ فِي حَدِّ ذَاتِهِ تَعَالَى، وَأَمَّا فِي إِحَاطَتِهِ بِكُلِّ شَيْءٍ يَتَّصِفُ بِكُلِّ مِنْهَا، وَقَدْ عَلِمْتَ أَنَّ حُكْمَ الذَّاتِ غَيْرَ حُكْمِ الذَّاتِ مَعَ الْإِحَاطَةِ» .
أقول: عرفت ضلاله، نعوذ بالله منه، وما أجزأ هذا الضال على الله، سبحانه وتعالى عن أن يتغير مع المتغير، أو تختلف الأحوال والحدود على ذاته، أو يظهر بها للكل فيسعه، وهو لا يحاط به، ولا يكون حقيقة غيره، ولا تعدد في الإله بوجه، وإن تعددت الأدلة الدالة عليه والعابدين [وجهة] (١) العبادة، وهي ليست بمعرفة إحاطية، أو دلالة شهودية، وكلها تشترك في الدلالة على المجهول المطلق، بما هو معلوم لنا بصفتنا، ولا تعدد أسمائي أو صفاتي بوجه فيه تعالى، على أن مبدأ اشتقاقها ومفاهيمها لمصدوق [واحد] (٢)، وهو فعله، أمّا الذات فلا يقع عليها اسم ولا صفة، ومما سبق ظاهر بطلان قوله.

قال: «وقوله ﷻ: (من زعم أن الله في شيء فقد جعله) ... إلى آخره، بتقريب قوله: ﴿ وَهُوَ الَّذِي فِي السَّمَاءِ إِلَهٌ وَفِي الْأَرْضِ إِلَهٌ ﴾ يعني ذاته بذاته محيط بكل شيء، وليست محصورة عن شيء ... إلى آخره، وإلا يلزم أن يكون له حد لا يتجاوزه، فيتحقق فيه مفهومان: ثبوتي وسلبى، وقد علمت أنهما لا يستندان إلى شيء واحد من جميع الجهات، فيلزم أن يكون في ذاته شيان، وكل منهما يستند إلى أحد من المفهومين، فيلزم التركيب فيه تعالى، وكل مركب يحتاج إلى جزئه ومسبوق به، كل ذلك من علامات الإمكان، فيصير الواجب ممكناً، وهو خلف» .

أقول: ذاته محيطة، لكن لا بنفس الذات الأحدية، حتى تكون هي هي، بل بظهورها .
وقوله: «وإلا يلزم» ... إلى آخره، لا يلزم من نفي الإحاطة الذاتية ما ذكره، نعم، يلزم إن لم يحط بها بفعله، كل في مقامه ظاهراً وباطناً، ومفاسد إحاطته بذاته سبقت متفرقة، وما نفاء عن الواجب تعالى هنا يلزمه من قوله أولاً هنا وقبل، كما لا يخفى .

وفي البحار، نقلاً من البصائر (٣)، بسنده عن محمد بن النعمان، قال: سألت أبا عبد الله ﷻ عن قول الله عز وجل: ﴿ وَهُوَ اللَّهُ فِي السَّمَوَاتِ وَفِي الْأَرْضِ ﴾ (٤) قال: (كذلك هو لي

(١) من «ب» .

(٢) من «ب» .

(٣) نقله العلامة المجلسي عن «التوحيد» ص ١٢٢، ح ١٥ .

(٤) «الأنعام» الآية: ٣ .

كُلِّ مكان) قلت: بذاته؟ قال: (ويحك، إنَّ الأماكن أقدار، فإذا قلت: في مكان بذاته، لزمك أن تقول: في أقدار وغير ذلك، ولكن هو بائن من خلقه، محيط بما خلق، علماً وقدرةً، وإحاطةً وسلطاناً، وليس علمه بما في الأرض بأقلِّ ممَّا في السماء، لا يبعد منه شيء، والأشياء له سواء، علماً وقدرةً وسلطاناً، وملكاً وإحاطةً) (١).

بيان: عرف ممَّا قاله - من نفي المكانية عنه تعالى بالذات - من المفاسد: بطلان كثير من مقالات الملام وأتباعه، وعرفتها وستأتي، ووجه لزومها ظاهر، ولا يصح إرادة المباينة عزلة، بل مباينة صفة، كما عرفت، والمراد بالعلم المذكور في الإحاطة منه تعالى والقدرة ليس الذاتي، والأعاد السابق، بل القدرة الفعلية والعلم الانطباقي، ولا خروج عن ملكه وإحاطته به، فافهم، وهو صريح النصوص، وبه تجتمع من غير تنافٍ.

وفي البحار: «قال البيضاوي (٢): ﴿ وَهُوَ اللَّهُ ﴾ الضمير لله، و﴿ اللَّهُ ﴾ خبره ﴿ فِي السَّمَاوَاتِ وَفِي الْأَرْضِ ﴾ متعلق باسم الله، والمعنى: هو المستحق للعبادة فيهما لا غير، كقوله: ﴿ وَهُوَ الَّذِي فِي السَّمَاءِ إِلَهٌ وَفِي الْأَرْضِ إِلَهٌ ﴾ أو بقوله: ﴿ يَغْلَمُ سِرُّكُمْ وَجَهْرَكُمْ ﴾ (٣) والجملة خبر ثان، أو هي الخبر، و﴿ اللَّهُ ﴾ بدل، وكفي لصحة الظرفية كون المعلوم فيهما، كقولك: رميت الصيد في الحرم، إذا كنت خارجاً والصيد فيه، أو ظرف مستقر وقع خبراً، بمعنى: أنه تعالى لكمال علمه بما فيهما كأنه فيهما، و﴿ يَغْلَمُ سِرُّكُمْ وَجَهْرَكُمْ ﴾ بيان وتقرير له (٤). أقول: الأول أرجح، والظرفية ظرفية ظهور صفة، لا ظهور ذات، وحينئذٍ معنى الدخول والخروج واحد وعرفته فلا حاجة إلى الإعادة.

□ الحديث رقم ﴿ ١٠ ﴾

قوله: ﴿ عن هشام بن الحكم، قال: قال أبو شاعر الدبصاني: إنَّ في القرآن آية هي قولنا، قلت: ما هي؟ فقال: ﴿ وَهُوَ الَّذِي فِي السَّمَاءِ إِلَهٌ وَفِي الْأَرْضِ إِلَهٌ ﴾. فلم أدِر بما أجيبه، فحججته فخبرت أبا عبد الله ﷺ، فقال: هذا كلام زنديق خبيث، إذا رجعت إليه فقل له: ما اسمك

(١) «بحار الأنوار» ج ٣، ص ٣٢٣، ح ٢٠.

(٢) «تفسير البيضاوي» ج ١، ص ٢٩٣.

(٣) «بحار الأنوار» ج ٣، ص ٣٢٣.

(٤) «الأنعام» الآية: ٣.

[بالكوفة] (١) فإنه يقول [لك] (٢)؛ فلان، فقل له: ما اسمك [بالبصرة] (٣)؟
فإنه يقول [لك] (٤)؛ فلان، فقل: كذلك الله ربنا، في السماء إله، وفي
الأرض إله، وفي البحار إله، وفي القفار إله، وفي كل مكان إله. قال:
فقدمت فأتيت أبا شاعر فأخبرته، فقال: هذه نقلت من الحجاز.

أقول: روى الصدوق في التوحيد (٥) مثله، ولقد أجابه عليه السلام بجواب حكيم، من مقام
الموعظة، بما يعرفه في نفسه، من ظهوره بالتسمية في البلدان، من غير إيجابه تعدداً له،
فكيف الخالق وظهوره؟ وإن كان أقوى وأشد، ولكنه ليس ظهوراً ذاتياً، ولا الجهة التي
حكم عليه بالألوهية لأهل السماء غيرها لأهل الأرض، وتعدد الأسماء - بحسب المقارنات
والموضوعات - لا يوجب بحسب الذات، مع رجوعها لاسمه الأعظم الأتم، لا لذاته.

وروى علي بن إبراهيم، بسنده عن أبي أسامة، قال: سألت أبا عبد الله عليه السلام عن قوله عز
وجل: ﴿ وَهُوَ الَّذِي فِي السَّمَاءِ إِلَهٌ وَفِي الْأَرْضِ إِلَهٌ ﴾ (٦) فنظرت والله إليه، وقد لزم الأرض وهو
يقول: (والله عز وجل الذي هو والله ربي، في السماء إله وفي الأرض إله، وهو الله عز وجل) (٧).

قال السيد المرتضى في الاختصاص: «قال الأسقف النصراني لعمر: أخبرني يا عمر أين
الله تعالى؟ فغضب عمر، فقال أمير المؤمنين: (أنا أجيبك وسل عما شئت، أنا هند رسول
الله عليه السلام ذات يوم إذ أتاه ملك فسلم عليه، فقال له: من أين أرسلت؟ فقال: من سح أرضين من
هند ربي، ثم أتاه ملك آخر فسلم، فقال له رسول الله عليه السلام: من أين أرسلت؟ فقال: من مشرق
الشمس من هند ربي، ثم أتاه ملك آخر فقال له: من أين أرسلت؟ فقال: من مغرب الشمس من
هند ربي، فإله هاهنا وهاهنا، في السماء إله وفي الأرض إله، وهو الحكيم المليم» (٨).

قال أبو جعفر عليه السلام: (من ملكوت ربي في كل مكان، ولا يعزب عن علمه شيء، تبارك وتعالى).

(١) في النسخين: «في الكوفة». (٢) ليست في المصدر.
(٣) في «أ»: «في البصرة». (٤) ليست في المصدر.
(٥) «التوحيد» ص ١٣٣، ح ١٦. (٦) «الزخرف» الآية: ٨٤.
(٧) «تفسير علي بن إبراهيم القمي» ج ٢، ص ٢٩٤، صححناه على المصدر.
(٨) لم نعتز على كتاب أو رسالة للسيد المرتضى باسم «الاختصاص» في ما لدينا من مصادر، وفي «بحار الأنوار»
ج ١٠، ص ٥٨ - ٥٩، ح ٣، قريب منه، عن «الفضائل» و«الروضة».

بيان: لو تأملت - بظاهر التأمل - رأيت القبلية والبعدية الزمانية إنما هي هاهنا، وفي الملكوت تجتمع القبل والبعء، فكيف في عالم الأمر، الذي هو قبل البعد والقبل بجهة واحدة؟! فكيف الواجب، تعالى عن جميع النسب؟ فهو قبل القبل السرمدي بلا قبل، وكذا بعده، وهو على أوليته.

فمصدر الأملاك المتعددة واحد، وكلما بعدت عن مقام البساطة تكثرت بتكثير المراتب الوجودية، والله خلق بالأسباب لطفاً منه وعلواً لحجته، وإتماماً لنعمته، وإظهاراً لمعظمته، فتعدّد الفروع لا يوجب تعدّد أصل الوجود، فضلاً عن الله تعالى.

وهذا الديصاني آخر أمره أسلم وتاب - كما سبق في المجلد الثالث^(١) - وسأل الإمام قبل، وقال له: «دلني على معبودي»، وظاهره - هنا - القول بتعدّد الآلهة، ولا يوجب كونه من الثنوية.

فقلت الديصانية: كان الصانع وطيبته لم يستطع التفصي منها، فامتزجا، فهو غير عالم قدير مختار.

وحديثه السابق المشار له في أول رجوعه، لما التبس عليه الأمر وعرف ضلاله، ويدل على أن ذلك قول الديصاني ومذهبه ما في الاحتجاج في جواب الصادق عليه السلام لبعض مسائل الزنديق، قال عليه السلام: (ومن زعم أن الله تبارك وتعالى لم يزل ومعه طينة مؤذية^(٢)، فلم يستطع التفصي منها، إلا بامتزاجه بها ودخوله فيها، فمن تلك الطينة خلق الأشياء).

قال: (سبحان الله وتعالى، ما أجهز إلهاً يوصف بالقدرة، لا يستطيع التفصي من الطينة، إن كانت الطينة حية أزلية، فكانا إلهين قديمين، فامتزجا ودبّرا العالم من أنفسهما، فإن كان ذلك كذلك، فمن أين جاء الموت والفناء؟ وإن كانت الطينة ميتة، فلا بقاء للميت مع الأزلي القديم، والميت لا يجيء منه حي).

وهذه مقالة الديصانية، أشدّ الزنادقة تولا، وأمهتهم مثلاً، نظروا في كتب قد صنفتها أوائلهم، وحبروها لهم بالفاظ مزخرفة، من غير أصل ثابت، ولا حجة توجب إثبات ما ادّعوا، كل ذلك خلافاً على الله، وعلى رسله، وتكذيباً بما جاؤوا به عن الله تعالى^(٣) انتهى.

(١) «هدي العقول» ج ٣، الباب الأول، ح ٤.

(٢) «هي الأحيان الثابتة، فمن عبّر بثبوتها في الذات، فهو ديصاني. ب» [حاشية «أ»].

(٣) «الاحتجاج» ج ٢، ص ٢٣٣ - ٢٣٤، صححه على المصدر.

أقول: وهم فرق، وظاهر الرواية الأولى ورواية الأصل: أن ﴿إله﴾ بمعنى معبود، و﴿لبي السماء﴾ متعلق به، ويكون المبتدأ محذوفاً، و﴿هو﴾ عائد الموصول تقديره: وهو إله في السماء، وإله في الأرض معطوف عليه، أي معبود فيها، وحذف عائد الموصول لطول الصلة بالمتعلق والمعطف، فحينئذ لا يلزم تعدد الإله.

ولك أن تقدّر (مستى) أي وهو الذي مستى بالإله في السماء، ومسمى به في الأرض، ولك جعل (هو) مبتدأ والصلة والموصول خبراً، والظرف خبر مقدم، وكذا (لبي الأرض) معطوف على الصلة، وكمال الاتصال، وأن هذه الصلة لا تتصف بغيره، أغنى عن تقدير عائد، أي هو معبود في السماء، ومعبود في الأرض، لا استقرار ظرفية، ولا يلزم تعدد الآلهة بوجه أصلاً، وكيف تعدد الدليل وصفة الفعل، بحسب الآثار، تعدد المدلول والذات، إنه لمن المحال، الذي لا يقول به إلا كل غبي.

تنبيه: مسمى أسماء الله وصفاته، ومبدأ اشتقاقها، من الظهورات الفعلية للمفعولات، ومرجعها إلى فعله المطلق، والصفة المطلقة العادة الدالة، لا هي بحسب الذات القديمة، المنزّهة عن الاقتران والافتراق، والنسب والمفاهيم، والربط والفصل، وغير ذلك.

فتسمى لنا بالقدرة لما ظهر بها، فهي تسمية دلالة لا إحاطة، وبمقام الفعل - فهو الظهور لا الذات، وكذا خالق ورازق ونحوها، وكذا الإله، فهو يعبد بأسمائه، لا بجهة التعدد، ولا بجهة الاستقلال ولا التشريك، ولا إلى نفس الظهور، ولا الجهة المغايرة، بل تلتفت إلى الذات من جهة دلالة الظهور*، ولا تلاحظ - حينئذ - غيرها مما يناهض ذلك ولا يعرف به الله، كما أشرنا له، ويكون مسمى الدلالة حينئذ الذات، وهو المعنى - أي المقصود - لا معنى الاسم، فجهة الدلالة والمعبودية في الكل واحدة، وإن تعددت الأسماء والصفات، فكلها لله تعالى، وظهوره بصفة واحدة، وكذا الدلالة، فلا يضر تعدد الأسماء، كتركيبها وتحديدها وغير ذلك، وهو المدعوّ بها والمعبود بها على ما عرفت، وسبق في المجلد السابق، فافهم.

خاتمة تشتمل على مقامين

المقام الأول: [اعلم] تحقيق بيان به يتضح الوجه، في جميع ما سبق من الأحاديث

(*) «فإنها باب الالتفات . ب .» . [حاشية «أ»].

وما سيأتي، وما لم ننقله، مما فيه نوع توهم إثبات مقابلة للواجب، أو اشتراك أو نسبة أو إضافة، أو مراعاة غيره تعالى بوجه من الوجوه، عدمي أو وجودي، وكذا فيما دل على أحديته، ونفي جميع الأخيار والنسب والإضافات عنه تعالى، وكذا باقي صفات الإمكان، وأنه لا يقوم بالذات شيء منها، ولا ملاحظة لغيرها معها، لا صفة ولا غيرها، حتى اعتباراً، وهذا يوجب إبطال ما وصف به من القسم الأول، والقرآن والسنة والاجماع والبراهين العقلية مصرحة بصحتها، ولولاها ما وصف وعرف وعبد، فنقول: لا تنافي.

فأما القسم الثاني - كما هو متواتر - فحق، وهو باعتبار الذات [نفسها] (١)، وهي على ما كانت لم تتغير عنه، ولا يحدث من الخلق - حاله، أو معه أو بعده - صفة له أو رابطة ونسبة، وألا تجدد كماله وافتقر لخلقه، وتحول من الوجوب إلى الإمكان، وكله محال، فهو لم يزل على ما كان، وكان ولا شيء معه حتى اعتباراً ومفهوماً، (وهو الآن على ما كان) كما ورد في التوحيد (٢) وغيره (٣)، عن علي والرضا وغيرهم عليه السلام.

وكيف يصل الأثر - أو قل: الصفة - للمؤثر أو الموصوف؟ ذاتاً أو صفة، أو في حال أو يجمعهما مفهوم أو اعتبار، إنه لمن المحال المتنافي لذلك، فلا يجري عليه تعالى بوجه أصلاً ما أجراه على خلقه، ولا يعود له ما خلقه ويستكمل به، ويفقده بذاته، فهو محال ولا له جواب.

ولما كان الله تعالى بذاته مجهولاً مطلقاً، ولا سبيل إلى خلقه يعرفونه بدون تعريفه، والذات كنز مخفي، وهي على ما كانت عليه - مخفي حال وجود الخلق أيضاً وبعبده، ولا يزال عما لم يزل عليه - فأحب تعريف خلقه نفسه، لمحض الجود والرحمة، لا لغاية تعود إليه تعالى، فأظهر فيهم صفة دالة عليه، ووضع لهم أسماء، بها يدعونه ويعرفونه ويندبون، لا حاجة له بها، ولا أنها من ذاته، وهذا بما ظهر لهم بهم، فدل ما ظهر لهم - بالصنع والمصنوعية - على وجوده وكماله، كمال دلالة لا إحاطة، وهذه الصفة هي نفس التجلي، وهو بفعله الذي تجلى له به ولغيره به، لا بذاته تعالى وتقدس، لامتناع [كونه كل] (٤) الأشياء وحقيقتها، وغيره اعتبارات عدمية قائمة بذاته، وسارية في الأشياء، وغير ذلك.

(١) في «أ»: «نفسها».

(٢) «التوحيد» ص ١٢٩، ح ١٢، بالمعنى، عن الإمام الكاظم عليه السلام.

(٣) «شرح المشاعر» ص ٦٣٤. (٤) في «ب»: «كون».

ولا مشاركة بينه وغيره بوجه، وإلا فلا حلة ومعلول، أو قل: أثر ومؤثر، ولا مباينة أيضاً. نعم، مباينة صفة لا عزلة، فمرجع جميع الصفات الأخير، مثل (عالم) أي ذو علم - أو بمعنى معلوم - وكذا (لطيف) أي يخلق اللطيف، أو (الرب) بمعنى المرئي للغير، أو أحاط بالأشياء، وأمثال هذه الصفات، وكذا (خالق) أي موجد للخلق، ونظائرها صفات فعل ونسب تقوم بالحادث، ومرجعها لفعله المجمول، ومنه اشتقت، إلا أنه لقيامه به تعالى قيام صدور - لا عروض، ولا أنه جزء أو ركن أو مقوم له أو ظاهر به، كالمادة والصورة، وصدفته دالة عليه بما تجلّى له به، وقد ألقى فيها مثاله - نسبها لنفسه تعالى، تعظيماً وتشريفاً وتكريماً وإعلاءً لحجته؛ [لا أنها] ^(١) راجعة لذاته، ولا أن [مرد] ^(٢) الخلق أو صفاتهم لذاته، ونحو ذلك، ونحوه ﴿ فَلَمَّا أَسْفَوْنَا انْتَقَمْنَا مِنْهُمْ ﴾ ^(٣) وما مثله من الآي، كآية الغضب، وقوله تعالى: ﴿ إِنَّ الَّذِينَ يُبَايِعُونَكَ إِنَّمَا يُبَايِعُونَ اللَّهَ ﴾ ^(٤) ﴿ مَنْ يُطِيعِ الرَّسُولَ فَقَدْ أَطَاعَ اللَّهَ ﴾ ^(٥). فطاعته طاعته وبالعكس؛ لأنها طاعة فعلية، [وهم مظهر] ^(٦) فعله الحادث، واليهم إياب الخلق، ولا حاجة له بهم بوجه أصلاً، فأتى بهذه الأسماء للتفهيم والتعليم بقدر ما نعرف ونطيق، بما تعرف لنا بنا، ولا تكون قديمة أزلية؛ ليلزم الإشكال والتنافي، فرجوها لفعله، وهو سابق، والذات متقدمة عليها، ولا فعل معها، ولا صفة ولا مفعول كذلك، ولا يلزم قيام الحادث به؛ لأنه أوجد فعله به، كما سبق في المجلد السابق.

ولا قيام للصفة بغير موصوفها، فإنها ليست ذاتية، بل فعلية وقامت به، فهي صفة [بائنة] ^(٧) من جهة الصدور، ودالة عليه بما ظهر لها بها في مقامها، فالقيام والضرب وصفانها قيامهما بالذات، لكن من جهة فعله القيام والضرب، فهما قائمان بالفعل ودالان على الذات، من حيث ظهورها بفعلها، لا بأحديتها، وليست هي هو، ونظائره كثير فيك وفي فيرك. وأما إذا أريد القديمة، فهي عين الذات، إذ لا معلوم ولا نسبة أو إضافة، وكذا معنى الخالقية، لا بمعنى إيجاد الخلق، فارتفع التنافي وزالت الإشكالات، وسيأتي نحو هذا الكلام مع زيادة في الإيضاح، وأنه من مزال الأقدام.

(٢) في «أ»: «مراد».

(٤) «الفتح» الآية: ١٠.

(٦) في «أ»: «وهم يظهر».

(١) في «أ»: «لأنها».

(٣) «الزخرف» الآية: ٥٥.

(٥) «النساء» الآية: ٨٠.

(٧) في «ب»: «وبالله».

فبين مَنْ قال بالتشبيه والتجسيم، وأدخله في سلك الممكنات، لَمَّا رأى وصفه بالاستواء والأولية - واليد والطي والنزول و[قبض] ^(١) الروح، ونحو ذلك مما سبق ويأتي - كأهل التشبيه من العامة .

وبعض أسقطها وأولها بالمجازات اللغوية التخيلية في المبدأ والمعاد، أو في أحدهما، وبعض أثبت الحقائق المتأصلة قديماً في الأزل، غير مجعولة، أو بوجود الاقتضاء، والجعل من كينونة الذات، وتجليها لها بها في الأزل، أو بوجود المثل القديمة، أو صور الأسماء القديمة، أو كقول الملائكة وتلامذته، تبعاً لابن عربي، من القول بالتنزيه والتشبيه، ورجوعهما إلى الذات، لكن الأول باعتبار الذات نفسها لنفسها، والثاني باعتبار ظهورها بذاتها، وإحاطتها بالكل، فالحقيقة واحدة وتوصف بهذه الإضافات والصفات بهذا الاعتبار، ومفاسده كثيرة، زيادة على ما سبق، ولقد جمع التشبيه والتعطيل .

أَوْ لَا عَلِمُوا أَنَّ الصِّفَةَ تَشَابَهَ فِعْلَ ذَاتِهَا وَتَنَاسَبَ وَتَدَلَّ عَلَيْهِ، لَا تَشْبَهَ ذَاتَهُ وَلَا تَبَيَّنَ حَقِيقَتَهَا، وَإِنْ دَلَّتْ عَلَيْهَا، وَلَيْسَ إِلَّا اللَّهُ وَخَلَقَهُ وَلَا ثَالِثَ غَيْرِهِمَا.

واستمع لنقل كلام لمحمد صادق، تلميذ الملا الشيرازي، في شرح | أحاديث | الباب الذي هو من الباب الأول وسبق، ولقد خبط فيه خبط عشواء، والمعجب منه، لكن التبعية والركون لمثل ابن عربي ينتج ذلك .

قال في بيان قول الرضا: (فلَمَّا رأى ذلك من أسمائه القائلون | المكذبون | وقد سمعونا نحدث عن الله) إلى قوله: (على أنكم مثله) وسبق الحديث ^(٢) بتمامه في الباب المشار له، قال ما لفظه: «المراد بالأسماء هنا المفهومات المعبرة بالألفاظ والكتابة، كالرحيم والكريم والوهاب وغيرها» .

أقول: بل المراد بها غير الذات الأحادية ذاتاً، أو معنى أو مفهوماً أو لفظاً .

قال: «اعلم أنَّ لله مرتبتين: مرتبة في حد ذاته، وأخرى في إحاطته بخلقه، ولكل واحدة حكم مغاير لحكم الأخرى، ففي الأولى لا مثل له ولا شبه، وفي الثانية له المثل والسمع والبصر، وجميع أحكام العباد بالعرض، خصوصاً إذا صار سمع العبد والبصر بصره وجميع أعضائه، فيتخلق العبد بأخلاق الله، كما قال الطوسي في شرحه لمقامات العارفين

(٢) انظر: باب آخر وهو من الباب الأول، ج ٢ .

(١) في «ب»: «قبض» .

من الإشارات^(١)، فلا تنافي بينهما، بل كل منهما حق في مرتبته. وزعم القالون في التشبيه أن العبد مثل الحق تعالى مطلقاً في مرتبة ذاته وفي مرتبة إحاطته، وزعم المنزهون - وهم فرقة أخرى من الغالين - أنه تعالى ليس متصفاً بصفات المخلوقات أصلاً، ولا المخلوق متصفاً بصفات الحق مطلقاً، ولم يفرقوا بين المرتبتين، وكلاهما خطأ، والحق أنهما حق، ولكل حكم لا يجري في الأخرى، فليس مثله شيء في مرتبة ذاته، وفي مرتبة إحاطته بالكل بالعلم الحضورى له أمثال، والله الأمثال العليا^(٢). أقول: سبحانه وتعالى من ذلك علواً كبيراً، فلو قال بالإحاطة الفعلية، وأرجع الصفات لها - ورجوعها له كما أشرنا له - لأصاب الحق، ولكنه عنه في وادٍ سحيق.

قال: «ويدل على ذلك قوله تعالى: ﴿لَيْسَ كَمِثْلِهِ شَيْءٌ﴾^(٣) ولم يقل: ليس مثله شيء». أقول: المثل هو الصفة الدالة، وهي صفة حدوث، كما عرفت، ومعلوم أنه ليس مثلها شيء؛ لأنها الدالة على أنه أحدي لا يشبه غيره بوجه، ولا يقوم به غيره، ولا إضافة ﴿كم يلد وكم يؤلد﴾ وليس هو كل [الوجود]^(٤)، ولا مفتقراً... إلى آخره - كما عرفت في المجلدات السابقة - فلا يدل على قوله السابق، أو أن ذلك أبلغ في نفي المثل عنه، كما قال به جماعة^(٥).

مرکز تحقیق کتب و ترویج علوم اسلامی

وعلى كل فهو صريح في نفي المثل عن ذاته مطلقاً، فلا فرق [فيه]^(٦) بينها، في نفسها أو في إحاطتها؛ لعدم اختلاف الأحوال عليها، وقيام الحدود بها، حتى اعتباراً.

(١) «شرح الإشارات» ج ٣، ص ٣٨٩.

(٢) «الله الأمثال العليا صحيح، وليس كمثل شيء صحيح، فكيف يصح الجمع في توصيفه بين الإثبات والنفي، والإشكال وارد على تقدير أصالة الكاف وزيادتها، فإنه على الأول: يكون لكل آية ومثل مثل وآية، لعدم انحصار آياته وأمثاله الدالة عليه من كونه نوراً لا ظلمة فيه، وعلماً لا يشوبه جهل، وكونه قديماً، وواجب الوجود، وهلم جرا، فهذه أسماء خاصة وصلات خاصة، كل منها مثل صاحبها في الدلالة والاختصاص، فهي الأمثال العليا، التي تعالت أن يوصف بها المخلق.

وعلى الثاني: نفي المثلية عنه تعالى، المنافي لثبوت تكثر آياته وأمثاله العليا، والجواب ظاهر بعد التأمل. ب» [حاشية «أ»].

(٢) «الشورى» الآية، ١١.

(٣) في «ب»: «الوجوب».

(٤) انظر: «تفسير الكشاف» ج ٤، ص ٢١٢ - ٢١٣، «التفسير الكبير» ج ٢٧، ص ١٣٢.

(٥) ليست في «ب».

قال: «ثم قال ﷺ: في تفسير كل من الأسماء فرق بين معانيها التي لها للحق بالذات، ومعانيها التي لها للمخلوق، لئلا يطلق الناس المعاني التي تليق بجناب الحق على المخلوق، لما علمت أن الناس جسمانية، وهم مستغرقون في الجسمانية، فإذا سمعوا قولاً من التشبيه من المعصوم، فصاروا معرضين عن التنزيه، مع أن الحق أن يجمعوا بينهما، ولهذا كتبت الجواب الحق عنهم؛ لأنهم أمروا أن لا يكلموا [الناس]»^(١) إلا على قدر عقولهم، وعلى قدر احتمالهم الحق، فإن في الغلو في التنزيه معرفة وإن كانت ناقصة، وفي الغلو في التشبيه مفسدة، من القول بتمدد الآلهة. وميلان [الناس]»^(٢) إلى التنزيه خير لهم، وإلى التشبيه شر لهم، وإذ رأى الهادون إلى الله ضعف العباد عن المعرفة التامة، كلفوا [بطرف]»^(٣) التنزيه، وإلا الحق الجمع بينهما، وبحكم بأن كل حكم من المرتبتين حق في ذاته.

ثم نعود إلى عبارته ﷺ في تفسير الأسماء، فقله: (إن الله تبارك وتعالى ألزم عباده أسماء من أسمائه، على اختلاف المعاني، وذلك كما يجمع الاسم الواحد معنيين) يعني الأسماء المذكورة ونحوها في الله، بمعنى مغاير للمعنى لها في عباده، في الظاهر.

أقول: هذا الكلام منه ﷺ على نحو يفهم منه التنزيه، والآكل من المعنيين - اللذين في كل اسم - يمكن أن ينسب إلى كل من الحق والعبد. أما نسبة المعنى الذي للعبد للحق فلعله بحول الله وقدرته، مطابقاً لقضائه بالقدرة والاختيار، وفي دقة النظر هما من الله تعالى، وليس العبد خالقاً للقدرة والاختيار اللتين له، فتنسب أفعاله لله.

وأما نسبة الذي للحق للعبد، فلوحدة الواجب مطلقاً، فلا يصدر عنه الكثير، إلا بواسطة الكثرة التي في العبد، فالعبد شرط في صدور المعاني، وله مدخل في صدورها، فيمكن نسبتها إلى [المخلوق]»^(٤) كما تنسب إلى الحق، فكل من المعاني تنسب إلى العبد والحق، في إحاطته بالأشياء، لكن لنقص الناس خاطبهم ﷺ بالكلام الناقص، لعدم فهم هذه الدقائق لعلمائهم، فضلاً عن عوامهم... إلى آخره».

أقول: انظر إلى كلام الضلال، وحاشا الأئمة عن سلوك ما ذكره، بل هو الضلال، وعلى

(٢) في «ب»: «النفس».

(١) من «ب».

(٤) في «ب»: «الحق».

(٣) في «ب»: «طريق».

قوله السابق يصح في مقام الإحاطة أن يقال: إن الحق عالم [يعلم] (١)، وقادر بقدرته وهكذا في أفعال العبد، وبالعكس بالنسبة إلى التنزيه، وظهور الحق بالخلق، خصوصاً إذا كان سمعه وبصره وفني فيه.

ولا خفاء في [-] هذه الأقوال، ولبداهة ذلك نعرض عن التطويل في الرد، ونكتفي بما سبق، مع مراعاة الاختصار، وسيأتي قول الملاً والكاشاني في ذلك، فدع كلام الضلال وحيرة الحيران، وارجع إلى ما حَقَّقناه لك، ولا تتبع المتشابه.

بل لا تشابه والمثال، وليس كما قيل تحقيقه، بمعنى لا يبطل الظاهر ولا ينافي الحق، فهو طلب معنى يؤول به إلى الحق، وهو فيما قلنا، لا في قول هذا المتصوِّف وأمثاله، فهو تحقيق باطل وضمه إلى آخر.

فلا التنزيه حاصل، ولا التشبيه مرتفع، وكيف يمكن الجمع بينهما؟ إنه لمن الأوهام الشيطانية وسبل الغواية، ومتفرِّع على ضلال، هو القول بوحدة الوجود واتحاد الحقيقة، وهو حقيقة الله، فالعبد حق خالص وأمور اعتبارية هدمية، والفرق بالاعتبار، وللذات تجلُّ لها بها، ومنه * تكونت الممكنات، بلحاظ نظره تعالَى للأحيان الثابتة عنده في الأزل. وكله ضلال ظاهر، وكثرناه ليجتنب ولا يشتبه، لعموم شبهته الآن في كثير من بلدان المعجم، حتى [أنه] (٢) بمدِّ كلام الملاً وابن عربي أصل الهدى والعرفان وسنامه، وهو ضلال، بل كفر، كما يظهر لمن وقف على كلامه في هذا الشرح وغيره، وإن راينا معه الاختصار استعجالاً.

المقام الثاني: قال محمد صادق في شرح الحديث: «قد علمت أن كل شيء مظهر اسم من أسماء الله، والفلك الأعلى وما يحويه مظهر اسم (الرحيم)، باعتبار إدراكه الأشياء بالتفصيل، كما أنه مظهر اسم (الرحمن) باعتبار إدراكه الأشياء على سبيل الكلية، وهذا اسم كلي، تحته أسماء جزئية، بعدد أشخاص الجسمانيات.

وكذا (الرحمن) فإنه اسم كلي ظاهر في العقل الأول، وتحته أسماء جزئية ظاهرة في العقول التي تحت العقل الأول، فالعقل الأول مظهر اسم (الرحمن)، فجميع أشخاص الموجودات مظهر اسم، وكل اسم إله، ففي كل شيء اسم إله، وفي كل شيء إله مغاير

(*) «أي من هذا التجلي ب.» [حاشية «أ»].

(١) في «ب»: «يقدر».

(٢) من حاشية «أ».

للإله الآخر في الاسم، لا في المسمّى، فالكل واحد، وليس بينهما مغايرة أصلاً في المسمّى، هذا مراده ﷻ.

أقول: ليس مراده ﷻ ذلك.

فأما كون أسماء الموجودات أسماء، وهي مراتب، وللموجودات ظهور بحسب القابليات، وبحسب العود، والمُلك مظهر الملكوت، وإلى المشيئة يرجع الأمر، وإليه تصير الأمور، لكن ليس ترتيبها كما قال، والبسط معه في هذه المسألة ممّا لا يسعه المقام.

وليس كلّ اسم إلهياً على حدة، ولا من وجه، والألزم عبادة الاسم، وأما الأسماء تدلّ، فعبادة الله بجهتها الدالة؛ [لا أنها] ^(١) نفسها بالدلالة، فإنه كفر أو شرك، كما سبق في المجلد السابق ^(٢).

ومرجع جميع الموجودات إلى اسمه الأعظم، مشيئته الكلية، ومغايرة الدليل لا يوجب مغايرة المدلول، على أن جهة الدلالة واحدة، وحدة مخلوقة ﴿مَا تَزَيُّ فِي خَلْقِ الرَّحْمَنِ مِنْ تَفَاوُتٍ﴾ ^(٣). والاسم غير المسمّى مطلقاً، إن أريد بالمسمّى الذات الأحادية.

والأسماء وإن تعددت لفظاً ومفهوماً، لكن لا توجب تعدّد المسمّى، فإن دلالتها دلالة تعريف، لا إحاطة شهودية، وبما ذكرناه كفاية في ردّ قوله، لكثرة الردّ له.

قال: «وقد علمت أن الاسم - على اصطلاح الخواص - الوجود مع تعين، وكلّ موجود هو الوجود مع تعين، والشيء مع غيره غير هذا الشيء، فكلّ اسم مغاير لاسم آخر، وجميع الوجود مع التعينات علامة الأمر الواحد، وهو الوجود من حيث إته وجوداً؛ لأنها مراتبه وآثاره، والأثر يدلّ على المؤثر، فهو اسمه، ووجه دلالته عليه أن بينهما ارتباطاً وتناسباً ذاتياً، بدليل التناسب والارتباط، وبهذا التناسب يدلّ عليه، فتدبر».

أقول: قد تدبرناه بأدنى تدبر، فإذا هو ضلال لا هدى فيه، كما عرفت مكرراً وبآتي، وليس الوجود هو الله والتعينات أمور اعتبارية، وليست الدلالة من حيث التناسب والارتباط الذاتي، فمحال بين الله وخلق ذلك، ودلالته على مؤثره لأمر [وجودي] ^(٤) فيه، فلا يكون هو، وإلا فلا فرق بين الأثر والمؤثر، وهو محال، ولا لبوت له في ذات الأثر بوجه، كما عرفت، فبطل التفريع بطلب المناسبة وعدمها، والرباط وعدمه، ونحو ذلك من مسائل الضلال.

(١) في «ب»: «لأنها».

(٢) انظر: «هدي العقول» ج ٣، الباب الخامس، ح ٢. وسبق أيضاً في هذا المجلد، باب معاني الأسماء واشتقاقها، ح ٢.

(٤) في «أ»: «ويؤدي».

(٣) «الملك» الآية: ٣.

وقال الملا الشيرازي في شرح الحديث: «قوله: (هي قولنا) أي دال على قولنا بأن فاعل الأشياء هي الطبيعة الجسمانية، لأن الطبيعة - أو الطباع - إله الطباعية، والرجل كأنه كان منهم، وجعل الآية على قوله، وبها احتج على هشام، فغلب عليه وأسكته؛ لقوله: فلم أدر بما أجيبه، فحججته، أي صرت محجوجاً مغلوباً»^(١).

أقول: ظاهر الحديث - وبدل عليه آخره - أنه من الحجج بالمعنى الشرعي، أي قصدت الحجج، إلا أن الملا لم ينقل آخر الحديث، والذي وجدناه من النسخ المذكورة فيه، وعرفت حال الديصاني، وأنه زنديق قائل بالطبيعة أويالهيين، ونحوها من أقوالهم.

قال: «واعلم أن الظرف لا يتعلق بالاسم الجامد العَلَمي، ولهذا استدل بقوله تعالى: ﴿ وَهُوَ اللَّهُ فِي السَّمَوَاتِ ﴾^(٢) على أن اسم (الله) مشتق غير جامد، وحينئذ كان المتعلق بالسماء أو الأرض المعنى النسبي الإضافي، كالمعبودية ونحوها، فيكون معنى الآية: وهو الذي في السماء معبود، وفي الأرض معبود، أو ما يجري مجراه، لكنه مُتَّكِلٌ ألزمه بما هو أوضح وأقرب إلى فهمه، وباقى ألفاظ الحديث واضح»^(٣).

أقول: أمّا اسم الله وباقى أسمائه فمشتقة، كما سبق في المجلد السابق؛ لما عرفت لا لما ذكره، ولأفلببحث فيه مجال، فقد يجوز لتنزيله منزلة العلم بالغلبة، وبقي فيه كلام. وليست الألوهية المعنية هنا | بالمعنى | النسبي الإضافي، فإن دلالة الاسم على المسمى دلالة وجودية فطرية، لا عرضية نسبية، ولأتسارت الدلالة بين المناسب والمباين لجميع الأشياء، وليس كذلك، وللبحث مجال واسع.

ثم غير خفي على العارف أن الله إذا كان على ما لم يزل، لم يتحول عما كان ولم يتغير، ولم يحدث له من [الخلق]^(٤) حال، بل على ما كان، فلا يطلب له أين ولا [أن]^(٥)، ولا يقال له: كان أو يكون وأمثال ذلك، ولكن وقع لبعض - لقصورهم - السؤال عنه بذلك، وإثبات معه زمان لا نهاية له، أو زمان موهوم، أو تغير عما كان عليه، من توهمات شيطانية، حيث لم يأتوا البيوت من أبوابها، فإذا سمعوا: قبل وبعد بالنسبة له - أو مثل: قبل كل شيء،

(١) «شرح أصول الكافي» ج ٣، ص ٣٢٠، صححناه على المصدر.

(٢) «الأحكام» الآية: ٣، لكن الآية الواردة في خ ١٠ هي قوله تعالى: ﴿ وَهُوَ الَّذِي فِي السَّمَاءِ إِلَهٌ ﴾. «الزخرف»

(٣) «شرح أصول الكافي» ج ٣، ص ٣٣٠.

الآية: ٨٤.

(٥) في «ب»: «متى».

(٤) في «ب»: «الحق».

والباقي بعد فناء كل شيء - حرّفوا الكلم عن مواضعه، أو لا علموا أن فعله وكيفية صدوره منزّه عنه؛ لأنّه صدر به، فكيف ذاته؟ فهو تعالى باق على أوليته وما عليه ذاته في الأزل، وأزله ذاته، فاطّو هذه الهوسات الشيطانية، ومنتهاك إلى الإمكان، والكل معدوم دونه وقاصر. ومما روي في التوحيد - ممّا يسلك في نظام ما سبق - حديث اليهوديين اللذين آمنّا بموسى، وسمعا من محمد ﷺ، فلمّا قبض، قدما يسألان عن صاحب الأمر بعده، ثمّ أخذ في الحديث، إلى أن قال: ثمّ أتيا عليّاً، فقالا له: فأين ربك؟ قال لهما عليّ ﷺ: (إن شئتما أنباتكما بما كان على عهد نبيكما موسى ﷺ، أو بما كان على عهد نبينا محمد ﷺ) قالوا: أبشنا بالذي كان على عهد موسى.

قال ﷺ: (أقبل أربعة أملاك: ملك من المشرق، وملك من المغرب، وملك من السماء، وملك من الأرض، فقال صاحب المشرق لصاحب المغرب: من أين أقبلت؟ قال: من عند ربي، وقال صاحب المغرب لصاحب المشرق كذلك، وأجابه بالأول، وكذا قال النازل من السماء للخارج من الأرض، وأجابه بذلك، وكذا الخارج من الأرض للنازل من السماء. وأما ما كان على عهد نبينا محمد ﷺ، فذلك قوله في محكم كتابه: ﴿مَا يَكُونُ مِنْ نَجْوَى ثَلَاثَةٍ إِلَّا هُوَ رَاقِبُهُمْ﴾ (١) (الآية) الحديث (٢).

وفي التوحيد (٣): في حديث سلمان الفارسي، يذكر فيه قدوم الجائليق المدينة، مع مائة من النصراني.

وروي في إرشاد الديلمي (٤)، وفيه مسائل عجيبة، وسأل أبا بكر وعجزه، ثمّ أرشد إلى علي أمير المؤمنين، وسأله، وأجابه عن جميعها.

ومنها: «أخبرني عن وجه الربّ تبارك وتعالى؟ فدها عليّ ﷺ بنار وخطب فأضرمه، فلمّا اشتعلت، قال عليّ ﷺ: (أين وجه هذه النار؟) قال النصراني: هي وجه من جميع حدودها، قال عليّ ﷺ: (هذه النار مدبّرة مصنوعة لا يُعرف وجهها، وخالقها لا يشبهها، والله المشرق والمغرب، فأينما تولوا فثمّ وجه الله، لا يخفى على ربنا خافية) والحديث طويل» (٥).

(١) «المجادلة» الآية: ٧.

(٢) «التوحيد» ص ١٨١، ح ١٥، بالمعنى، صححناه على المصدر.

(٣) «التوحيد» ص ١٨٢، ح ١٦. (٤) «إرشاد القلوب» ج ٢، ص ٢٩٩.

(٥) «التوحيد» ص ١٨٢، ح ١٦.

بيان: الكلام في [كيفية استدلاله] (١) على هذه المسألة لا يسهه المقام، بحسب ما نفهمه، دع مالم نعلمه، لكن الإمام قصد الوجه الظاهر، وهو حق، وهو أنه لا وجه لها، بل هي وجه من كل جهة، وهي الشعلة، وهي حاصلة من النار المكلسة للدخان، والأشعة قائمة بالشعلة، فهي وجهها من كل جهة، والله المثل الأعلى. ولا يريد بالمثل أن الشعلة الظاهرة هي النار، وأثبت له على ذلك بطريق التنزيه، والأولوية التامة.

وفيه، عنه عليه السلام قال: (قال رسول الله صلى الله عليه وآله: إن موسى بن عمران لما ناجى ربه قال: يا رب أبعيد أنت مني فأناديك، أم قريب فأناجيك؟ فأوحى الله جل جلاله إليه: أنا جليس من ذكرني) (٢).

ورود عنهم في غير حديث (٣) بأنهم عليهم السلام جنبه ووجهه ويده وحينه، وسيأتي بيانه في باب النوادر (٤) إن شاء الله، وكذا أنهم يده، واليد أربعة عشر: هدهم عليهم السلام، واليد القدرة أيضاً، وهم قدرته، ولكن إذ مقدور، وهي القدرة الفعلية لا الذاتية، سبحانه وتعالى. وليس المراد باليد: المحسوسة، ولا الآلة والجهة الداخلة في الذات للاستمانة.

وفي البحار، نقلاً عن التوحيد (٥) للصدوق، ومعاني الأخبار (٦): عن ابن عمام عن الكليني، عن علان، عن اليقطيني، قال: سألت أبا الحسن علي بن محمد العسكري عليه السلام عن قول الله عز وجل: ﴿ وَالْأَرْضُ جَمِيعاً قَبْضَتُهُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ وَالسَّمَاوَاتُ مَطْوِيَّاتٌ بِيَمِينِهِ ﴾ (٧) فقال: (ذلك تعبير الله تبارك وتعالى لمن شبهه بخلقه، ألا ترى أنه قال: ﴿ وَمَا قَدَرُوا اللَّهَ حَقَّ قَدْرِهِ ﴾ (٨) ومعناه إذ قالوا: إن الأرض جميعاً قبضته يوم القيامة، والسموات مطويات بيمينه، كما قال عز وجل: ﴿ وَمَا قَدَرُوا اللَّهَ حَقَّ قَدْرِهِ إِذْ قَالُوا مَا أَنْزَلَ اللَّهُ عَلَى بَشَرٍ مِثْلِ هَذَا ﴾ (٩) ثم نزه عز وجل نفسه عن القبضة واليمين، فقال: ﴿ سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى عَمَّا يُشْرِكُونَ ﴾ (١٠) (١١).

(١) في «أ»: «البقية واستدلاله».

(٢) «التوحيد» ص ١٨٢، ح ١٧.

(٣) «الكافي» ج ١، ص ١٤٣ - ١٤٥، باب النوادر من كتاب التوحيد، ح ٣، ٥، ٧ - ٩.

(٤) «هدى العقول» ج ٧، الباب: الثالث والمشرون. (٥) «أي مهلبا، مهال مشيئة الله. ب» [حاشية «أ»].

(٥) «التوحيد» ص ١٦٠، ح ١.

(٦) «معاني الأخبار» ص ١٤، ح ٤.

(٧) «الزمر» الآية: ٦٧.

(٨) «الأنعام» الآية: ٩١.

(٩) «الأنعام» الآية: ٩١.

(١٠) «الزمر» الآية: ٦٧.

(١١) «بحار الأنوار» ج ٤، ص ١، ح ٢، صححه على المصدر.

بيان: من أحد وجوه الآية، وهو لا ينافي تفسير اليد بهم عليه السلام، كما لا يخفى، والقرآن له وجوه، وهذا الوجه لم يذكره المفسرون، وكم حديث مثله، بل ما مع الخلق من علم فمنهم، وما لم يخرج منهم ضلال.

وفي التوحيد: أن علياً دخل السوق فإذا هو برجل موليه ظهره يقول: لا والذي احتجب بالسبع، فضرب عليّ ظهره، ثم قال: (من الذي احتجب بالسبع)؟ قال: الله يا أمير المؤمنين، قال: (أخطأت، ثكلتك أمك، إن الله عز وجل ليس بينه وبين خلقه حجاب؛ لأنه معهم أينما كانوا) قال: ما كفارة ما قلت يا أمير المؤمنين؟ قال: (أن تعلم أن الله معك حيث كنت) قال: أطعم المساكين؟ قال: (لا، إنما حلفت بغير رثك) (١).

بيان: ومثل هذه في تنزيه الله، وبيان تأويل ما يوهم التشبيه، كثير في البحار وغيره، وفيما حصل كفاية.

ولا يخفى على الفطن أن ما ذكره عليه السلام ويبنوا - في تأويل ما يوهم التشبيه، كما دل على المعية، أو الصورة أو النزول أو الاستواء، أو اليد أو الساق، أو كونه تعالى سمع المتقرب وأمثاله - خلاف ما ذكره محمد صادق، وأورد عليه المتشابه، كما سبق ويأتي، بل كلامه يقرره ويقوّي حصول الشبه له تعالى والمشابهة، وكذا كلام أستاذه الملا الشيرازي، وكلام ملا محسن الكاشاني في كتبه، لا تفاتهم على أن التنزيه باعتبار الذات بذاتها، والتشبيه بظهورها بخلقها، أو قل: التعينات، أو صور الأسماء والصفات، فيلحقها حكمهم وصفاتهم، كما أن السالك الفاني في الذات - بزعمهم - يوصف بصفاتها، ويكون هو هو*.

قال الكاشاني في أنوار الحكمة: «وأما اتصافه تعالى بما يوهم التشبيه، كتاباً وستة، فإنه من حيث أسمائه وصفاته ومعنيته للأشياء، لا من حيث ذاته، فهو - حينئذ - منزّه عن التنزيه والتشبيه، لا من حيث قربه للأشياء ومعنيته لها» (٢) ... إلى آخره.

وكم لهم من هفوة، أوقفناك عليها في غير موضع من هذا الشرح، نعوذ بالله ونستغفره من ذلك.



(١) «التوحيد» ص ١٨٤، ح ٢١. (●) «كما قال المحلاج: أنا الله. ب.» [حاشية «أ»].

(٢) «أنوار الحكمة» مخطوط برقم ١٠٩٢٩، الورقة ١٣، باختصار.

الباب العشرون

العرش والكرسي
مركز بحوث وتطوير علوم إسلامية



مرکز تحقیقات کامپیوتر علوم اسلامی

أضواء حول الباب

أقول هذا الباب [المشرون] ^(١) من كتاب التوحيد، وأحاديثه سبعة .
 واهلم أن للعرش معاني متعددة ^(٢)، وكذا الكرسي ^(٣)، ولكل عرش كرسي
 يقابله، إلا أن يريد بالعرش مجموع العالم، أو المشيئة الأمرية على وجهه، ومن راجع
 الروايات وجدها صريحة في التعدد، كما في التوحيد ^(٤) وغيره ^(٥).
 منها: ما في فضائل العترة للسيد المرتضى، عن أمير المؤمنين عليه السلام في حديث، وقد سأله الجائليق
 عن الجنة والنار، فقال عليه السلام: (الجنة تحت العرش في الآخرة، والنار تحت الأرض السابعة).
 وروي: أن أرض الجنة الكرسي، وسقفها العرش .
 وروي ^(٦) أنه في مرتبة العظمة أو الملك العظيم، وهو ملك الكيفوية، أو ملك العظمة .
 وورد في القمر: أنه يسجد تحت الكرسي، والشمس تخضع ساجدة تحت العرش .
 وورد في الخصال: (أن له ألف ألف عالم، وألف ألف آدم، ونحن في آخر تلك العوالم
 والأدميين) ^(٧).
 وما هنا دليل على ما هناك، ولا ينال ما هناك إلا بما هنا - كما روي ^(٨) - والعوالم متطابقة،

(١) في النسختين: «التاسع عشر» . (٢) انظر: «بحار الأنوار» ج ٥٥، ص ٣٧ - ٣٩ .

(٣) انظر: «مجمع البيان» ج ٢، ص ٤٦٩، «بحار الأنوار» ج ٥٥، ص ٢ .

(٤) «التوحيد» ص ٣٢١، ح ١ . (٥) «معاني الأخبار» ص ٢٩ - ٣٠، ح ١ - ٢ .

(٦) «التوحيد» ص ٣٢١، ح ١ . (٧) «الخصال» ج ٢، ص ٦٥٢، ح ٥٤، نقله بالمعنى .

(٨) «عيون أخبار الرضا» ج ١، ص ١٧٥، ح ١، «بحار الأنوار» ج ١٠، ص ٣١٦، ح ١ .

والمَلَك ظاهر الملكوت، وهو غيب فيه، وكذا الجبروت، وهو الكل تحت المشيئة، فيجب من ذلك أن يكون لكل عالم ومقام وجود عرش وكرسي وشمس وقمر، بحسب ما يناسبه. فقول علي عليه السلام في خطبته التنجبية: (ولقد رأيت الشمس عند غروبها، وهي كالطائر المنصرف إلى وكرة)^(١) يريد في مغيبها وسجودها تحت العرش، يشمل كل شمس في كل عالم، وكل عرش، وهو عليه السلام يرى جميعها كذلك، كل في مقامه، لا هذه الشمس خاصة. ولما كان في معنى العرش والكرسي أقوال لأهل التشبيه - كما يظهر من أحاديث الباب وغيرها، وينسبونها إلى الله، لشبهات شيطانية وتوهّمات من بعض الروايات - ذكره ومعانيه في أبواب التنزيه.

ومن هذه الأقوال: إن العرش موضع جلوس الرب للتدبير، والكرسي موضع الزيارة، فيتجلّى الرب فيه وينزل ليقضي بين العالم.

وقيل: إن الرب متمكن على العرش، وقدماء على الكرسي، ويفسرون قوله تعالى: ﴿الرَّحْمَنُ عَلَى الْعَرْشِ اسْتَوَى﴾^(٢) بأنه محل له، والرب مستقر عليه.

ومحمد صادق - وسيأتي - جعل من معانيه وجود الله، تفرعاً على ما ذهب إليه من القول بوحدة الوجود.

مرکز تحقیقات کلامی و فقهی اسلامی

معاني العرش

ثم اعلم أن المعروف من تتبع الروايات أن العرش يطلق على عدة معان، يتعين بعضها في المقام لخصوصية المقام أو قرينة، فيطلق ويراد به: مجموع العالم - وهو ما سوى الله تعالى - أو الملك أو الملكوت وأسبابها، وعلم الباطن، وأصل مطلع [البدع]^(٣)، وعلم الكيف والكون والقدر والحدّ والأين والمشية، وفعله والإرادة، وعلم الألفاظ والحركات والترك، وعلم العود والبدء، وعلم الأحذية، على ما هو المفهوم من الأخبار، لا الذات بحسبها، فإن جميع معاني العرش في مقام الحدوث، ومقام الأحذية هي صفة الفعل والفاعلية الظاهرة بالفعل. وعرش الوجدانية، والمثل الأعلى - بمعنى التقديس - والمثل الأعلى: الألوهية والربوبية والرحمانية، والآية الكبرى والنبأ العظيم، والاسم الأكبر والأسماء الحسنى، بل

(١) «مشارق أنوار اليقين» ص ١٦٧، صححناه على المصدر.

(٢) في النسختين: «البدء».

(٣) «طه» الآية: ٥.

كُلَّ اسم له، والمخلوق والرزق والحياة والممات، وعلى اللوح المحفوظ، وألواح المحر والاثبات، وعلى كَلِّ عالٍ تحته أفاعيل، وعلى محدّد الجهات، وعلى كَلِّ فلك بالنسبة لما تحته، وكلّ عنصر بالنسبة لما تحته.

ومن تتبّع الروايات وجدها صريحة في تعدّد معناه .

ومنها: ما روي في التوحيد للصدوق، بإسناده إلى حنان بن سدير، قال: سألت أبا عبد الله عليه السلام عن العرش والكرسي، فقال: (إنّ للعرش صفات كثيرةً مختلفةً، له في كلّ سبب وضع في القرآن صفة على حدة، فقله: ﴿ رَبُّ الْعَرْشِ الْعَظِيمِ ﴾^(١) يقول: المُلْكُ العظيم، وقوله: ﴿ الرَّحْمَنُ عَلَى الْعَرْشِ اسْتَوَى ﴾^(٢) يقول: على المُلْكِ احتوى، وهذا مُلْكُ الكيفولية في الأشياء.

ثمّ العرش في الوصل متفرد من الكرسي؛ لأنهما بابان من أكبر أبواب الغيوب، وهما جميعاً غيبان، وهما في الغيب مقرونان؛ لأنّ الكرسي هو الباب الظاهر من الغيب، الذي منه مطلع البدع، ومنه الأشياء كلها.

والعرش هو الباب الباطن، الذي يوجد فيه علم الكيف والكون، والقدر والحدّ والأين والمشية، وصفة الإرادة وعلم الألفاظ، والحركات والترك، وعلم العود والبدء، فهما في العلم بابان مقرونان؛ لأنّ مُلْكَ العرش سوى مُلْكِ الكرسي، وعلمه أخيب من علم الكرسي، لمن ذلك قال: ﴿ رَبُّ الْعَرْشِ الْعَظِيمِ ﴾، أي صفة أعلّم من صفة الكرسي، وهما في ذلك مقرونان .

قلت: جعلت فداك، فلم صار في الفضل جاز الكرسي؟ قال: (إنّه صار جازاً، لأنّ علم الكيفولية فيه، وفيه الظاهر من أبواب البدء وأينيتها وحدّ رتقها وفتقها، فهذان جاران، أحدهما حمل صاحبه في الصرف، ويمثّل صرف العلماء، ويستدلوا على صدق دعوتهما، لأنّه يختص برحمته من يشاء وهو القوي العزيز.

فمن اختلاف صفات العرش أنّه قال تبارك وتعالى: ﴿ رَبُّ الْعَرْشِ عَمَّا يَصِفُونَ ﴾^(٣) وهو وصف عرش الوجدانية؛ لأنّ قوماً أشركوا كما قلت لك .

قال تبارك وتعالى: ﴿ رَبُّ الْعَرْشِ ﴾ رب الوجدانية ﴿ عَمَّا يَصِفُونَ ﴾، وقوماً وصفوه بيدين، فقالوا: ﴿ يَدُ اللَّهِ مَغْلُوبَةٌ ﴾^(٤) وقوماً وصفوه بالرجلين، فقالوا: وضع رجله على صخرة بيت المقدس، فمنها ارتقى إلى السماء، وقوماً وصفوه بالأنامل، فقالوا: إنّ محمداً قال: إنّي وجدت برد أنامله على قلبي، فلمثل هذه الصفات قال: ﴿ رَبُّ الْعَرْشِ عَمَّا يَصِفُونَ ﴾ .

(١) «التوبة» الآية: ١٢٩ . (٢) «طه» الآية: ٥ .

(٣) «الأنبياء» الآية: ٢٢، «الزخرف» الآية: ٨٢ . (٤) «المائدة» الآية: ٦٤ .

يقول: رب المثل الأهلئ هئأ به مثلوه، وه المثل الأهلئ، الذي لا يشبهه شيء ولا يوصف ولا يتوهم؛ فذلك المثل الأهلئ، ووصف الذين لم يؤتوا من الله فوائد العلم، فوصفوا ربههم بأدنى الأمثال، وشبهوه بالمتشابه منهم، فيما جهلوا به، فلذلك قال: ﴿ وَمَا أَوْتِيْتُمْ مِنَ الْعِلْمِ إِلَّا قَلِيْلًا ﴾^(١) فليس له شبه ولا مثل ولا جذل، وله الأسماء الحسنئ التي لا يستئى به غيره، وهي التي وصفها في الكتاب، فقال: ﴿ فَأَذْعُوْهُنَّ بِمَا وَدَّوْرُوا الَّذِيْنَ يُلْحِدُوْنَ فِيْ أَسْمَائِهِ ﴾^(٢) جهلاً بغير علم، فالذي يُلْحِدُ في أسمائه بغير علم يُشْرِكُ وهو لا يعلم، ويكفر به وهو يظن أنه يحسن، فلذلك قال: ﴿ وَمَا يُؤْمِنُ أَكْثَرُهُمْ بِاللهِ إِلَّا وَهُمْ مُّشْرِكُوْنَ ﴾^(٣) فهم الذين يلحدون في أسمائه بغير علم، فيضعونها في غير مواضعها.

يا حنان، إن الله تبارك وتعالى أمر أن يتخذ قوم أولياء، فهم الذين أعطاهم الله الفضل، وخصهم بما لم يخص به غيره، فأرسل محمداً ﷺ، فكان الدليل على الله بإذن الله عز وجل، حتى مضى دليلاً هادياً، فقام من بعده وصيه ﷺ دليلاً هادياً على ما كان، هو دل عليه من أمر ربه، من ظاهر علمه، ثم الأمة الراشدون (عليهم السلام).

بيان: يُفهم من هذا الحديث وغيره أن إطلاق العرش على العلم لا يراد به العلم الذاتي؛ لأنه ذات الله، ولا يقارن غيرها، ولا تبدو الأشياء منها، بل مبدأ الاشتقاق فعلها. ومنه أيضاً يُعرف أنه بمعنى العلم، هو أهلئ مراتب العرش، وأشرف معانيه وأجمع. وقوله أول الحديث: (إن للعرش صفات كثيرة) صريح في تعدد [معانيه] ^(٤)، فلكل صفة معنى، وكل معنى عرش، ففسر العرش في ﴿ رَبِّ الْعَرْشِ الْعَظِيمِ ﴾ بالملك، فهو أحد معانيه، وكذا في الآية الثانية^(٥)، ويراد فيه الملك الظاهر أو الملكوت أو المجموع، أو ملك الكيفوية في الأشياء، وهو ضيها.

وإنما كان أعظم أبواب الغيوب؛ لأن مبدأ البداء من المشيئة، وهي أعظم الأبواب؛ لعمومه لجميع الأشياء وقوامها بها، وظاهرها الإرادة، أو قل: الأمر المفعولي، أو قل: لا بد للشيء من إجمال وتفصيل، الأول: العرش، والثاني: الكرسي، وهما مقرونان ملتفان.

(٢) «الأعراف» الآية: ١٨٠.

(١) «الإسراء» الآية: ٨٥.

(٤) «التوحيد» ص ٣٢١، ح ١، صحناه على المصدر.

(٣) «يوسف» الآية: ١٠٦.

(٥) في «ب»: «مضاهيه».

(٦) يعني في قوله تعالى: ﴿ الرَّحْمَنُ عَلَى الْعَرْشِ اسْتَوَى ﴾.

فالتفصيل: تفصيل ذلك الإجمال، بحسب الظهور لا عينه، فإنه أغيب منه، والأفلا إجمال وتفصيل، وليس كذلك .

وتعرف أحد معانيه - أيضاً من قوله - : الباب الأعظم، ومن إطلاقاته العليا قوله تعالى: ﴿ رَبِّ الْعَرْشِ عَمَّا يَصِفُونَ ﴾ فإن المراد به هنا بمعنى المثل الأعلى، كما قاله عليه السلام، وهو ظاهر من الحديث، وذكر أنه المراد من قوله: ﴿ الرَّحْمَنُ عَلَى الْعَرْشِ اسْتَوَى ﴾ وهو تأويلها، فيكون معنى ﴿ رَبِّ الْعَرْشِ ﴾: رب المثل الأعلى، الذي وصف به نفسه لأوليائه، وسمى نفسه بهم، لمن أراد أن يدعوها، أي نزهه بهذا الوصف وبهذه التسمية عما يصفه الملحدون بتلك الأسماء القبيحة .

فيكون معنى استوائه على العرش: ظهوره بتلك [العزة] ^(١) المرادة من المثل الدال الأعلى، وهو العرش هنا، والله قد جعل محمداً وآله حملة عرشه الأعظم الأتم الأهم، بل هم المحيدون به .

وفي الجامعة: (خلقكم الله أنواراً، ليجعلكم بعرضه محيدين، حتى مر علينا بكم) ^(٢) فيكونون هم العرش الأعظم بوجه، وهم الحاملون له بوجه، وهم مظهر بدء عرش الوجدانية، وهم الاسم الأكبر الأعظم، الأهم الأجمع الأتم، والله فعل بهم وجعلهم الواسطة للكل، بدءاً وعوداً، فهو ظاهر بعزتهم، وجعل طاعتهم طاعته، ومعصيتهم معصيته، فهو استواء على هذا العرش، وهو أيضاً ظهر لهم بهم بمشيئته، ولغيرهم بهم، فهذا استواء على العرش .

وهم أيضاً الآية والمثل الأعلى الدال والدليل، وكذا بمعنى التقديس، ويصدق عليهم معنى العرش بكل معنى باعتبار .

ومن أحد معاني العرش المذكورة كتبت عليه أسماءهم عليهم السلام، وهذه كتابة بأصل الوجود التكويني والانطباع النوري، كقوله تعالى: ﴿ كَتَبَ فِي قُلُوبِهِمُ الْإِيمَانَ ﴾ ^(٣)، ويصح إرادة الكتابة الظاهرة، وهو معنى كتابة أسمائهم على العرش، كما روي في حديث أبي سلمى ^(٤) رآه رسول الله، وغيره، وهذه كتابة أشباحهم وفاصل أنوار حقائقهم، لا كتابة

(١) في «ب»: «المعرفة» . (٢) «تهذيب الأحكام» ج ٦، ص ٩٨، ح ١٧٧ .

(٣) «الجدالة» الآية: ٢٢ .

(٤) «بحار الأنوار» ج ٣٦، ص ٢١٦، ح ١٨ . وفي النسختين: «أبي سليمان» ، وما أبتناه من المصدر .

حقائقهم، فهم لا يطيقون حملها، وهي فوق الصور والأشباح، فظهروا في نور العرش وسناه، وهي مراتب فاضل نوري، وحققتهم العرش .
ولك إطلاق العرش بمعنى معانيهم ورفائقتهم، أي أرواحهم وصورهم وطبائعتهم، وهذه أركان لهم أيضاً، فالعرش كأصل الشجرة والأركان كأفصانها، وهذه الصور والأشباح ضحضاح بالنسبة إلى تلك الشجرة، وهي الحقيقة، وأشار علي بن الحسين عليه السلام إلى هذه الأركان، كما روي في التوحيد عنه عليه السلام: (إن الله عز وجل خلق العرش أرباعاً، لم يخلق قبله إلا ثلاثة أشياء: الهواء والقلم والنور، ثم خلقه من أنوار مختلفة، فمن ذلك النور نور أخضر اخضرت منه الخضرة، ونور أصفر اصفرت منه الصفرة، ونور أحمر احمرت منه الحمرة، ونور أبيض وهو نور الأنوار، ومنه ضوء النهار، ثم جعله سبعين ألف طبق، غلظ كل طبق كأول العرش إلى أسفل السافلين، ليس من ذلك طبق إلا يستبح بحمد ربه ويقده بأصوات مختلفة، وألسنة غير مشبهة، ولو أذن للسان منها، لسمع شيئاً مما تحته لهدم الجبال والمدائن والحصون، ولتخسف البحار ولأهلك ما دونه، له ثمانية أركان، على كل ركن منها من الملائكة ما لا يحصى عددهم إلا الله عز وجل، يستبحون الليل والنهار لا يفترون، ولو حش شيء مما فوقه ما قام لذلك طرفه حين، بينه وبين الإحسان الجبروت والكبرياء، والعظمة والقدس، والرحمة ثم العلم، وليس وراء هذا مقال) ^(١).

بيان: لك أن تريد بالعرش هنا ثالث رتبة للحقيقة المحمدية عليه السلام، والهواء الذي فوقه: عمق الإمكان الأكبر الأعظم، المذكور في دعاء السمات ^(٢). والقلم هو الوجود المسمى بالماء الأول، الحامل للعرش المذكور في قوله تعالى: ﴿وَكَانَ حَرْشُهُ عَلَى الْمَاءِ﴾ ^(٣) وهذا باعتبار أنه الاسم الربوبي، وهو اسمه البديع. والنور هو الدواة الأولى وأرض الجزر، وهو الماء الحامل للعرش، ثاني مرتبة للحقيقة المحمدية: مقام الأمر المفعولي، والمرتبة الأولى نفس المشيئة وصورتها، وكونهم المثال والمسمى وعالم (أحببت) ^(٤). والنور الأبيض معانيهم، والأحمر طبائعتهم، والأصفر رفائقتهم، والأخضر أشباحهم وصورهم .

(١) «التوحيد» ص ٣٢٥ - ٣٢٦، ح ١، صحناه حل المصدر.

(٢) «البلد الأمين» ص ٩١، وفيه: (وبعلمك وجلالك... التي لم تستقلها الأرض... وانزجر لها العمق الأكبر).

(٣) «هود» الآية: ٧.

(٤) «جامع الأسرار» ص ١٠٢، وفيه: (كنت كنزاً مخفياً فأحببت أن أعرف).

الخامسة من مراتب العرش، إن جعل قوله: (ثم خلقه) بمعنى جعله، وإن جعل تفسيراً للأول كان مرتبة رابعة للعرش، وضمير (ثم جعله) يعود للعرش.

والمراد بالأطباق والألسن: مظاهر تلك الأشباح وشؤونها، وهو عوالم جزئيات وأجزاء منه، وكلها تسبح وتقدس وتعبده بالثناء عليهم، ونشر فضائلهم، فهو من أفضل العبادات، وهو تأويل: ﴿فَإِنْ مِنْ شَيْءٍ إِلَّا يُسَبِّحُ بِحَمْدِهِ﴾^(١) [وما فوقه بعلمه]^(٢) وأسباب [فنايه]^(٣)، وهي مقيدة بمعانيها من تعقل ما فيها من المعاني الدالة على عجيب القدرة و[الصنع]^(٤)، بما لا نطيق سماحه، وأنوار الملكوت هو الحائل بينها وتلك.

والأحاديث الواردة بكتابة أسمائهم على كل شيء لا تعد وتحصي، رواها الفريقان، وهي طافحة في الاحتجاج، وغيره من كتب الحديث^(٥).

وفي حديث الاحتجاج: (إن الله عز وجل لما خلق العرش كتب عليه لا إله إلا الله، محمد رسول الله، علي أمير المؤمنين) وكذا الكرسي، ثم هد اللوح وذكر الكتابة، وإسرافيل على جبهته، وكتبها على جناحي جبرائيل، وعلى أكناف السموات، وعلى أطباق الأرضين، وعلى رؤوس الجبال، وعلى الشمس والقمر، وهو السواد الذي ترون في وجهه... الحديث^(٦).

وليس إطلاق العرش عليهم يعزى في الروايات، وهو تأويل: ﴿الرَّحْمَنُ عَلَى الْعَرْشِ اسْتَوَى﴾^(٧) وغيرها، وسمعت ما يدل عليه.

بل ظاهر للفظن - فيما سبق - أن العرش يطلق على كل مخلوق، وهذا الحديث - كما يدل في شأن علي - يدل على باقي الأئمة، فهم في هذا الحكم سواء.

وفي الزيارة الجامعة للأئمة: (وجعلكم بعرضه محدقين)^(٨) وليس هذا مما قام الدليل على اختصاص علي به.

ثم اعلم أنه لما كانت حقائقهم هي العرش الكلي الأولي، وكل شيء خلق من فاضل ذاتهم وصفاتهم وأفعالهم، فجميع الخلق ظهوراتهم بفاضلهم الشوري، فيظهرون فيهم

(١) «الإسراء» الآية: ٤٤. (٢) في «أ»: «وما قوله بملكه».

(٣) في «ب»: «فنايه». (٤) في «أ»: «الطلع».

(٥) «أمالي الشيخ الطوسي» ص ٣٥٥، ح ٧٣٧، «المخالف» ص ٣٢٢، ح ١٠.

(٦) «الاحتجاج» ج ١، ص ٣٦٥ نقل مضمونه، صححناه على المصدر.

(٧) «طه» الآية: ٥. (٨) «تهذيب الأحكام» ج ٦، ص ٩٨، ح ١٧٧.

بالأشباح والصور، والأمثال والصفات، لا بحقائقهم، وجميع ذلك لهم بأمر الله، وإيجادهم وتأثيرهم به، والله صنع بهم جميع ذلك؛ لأنهم محل مشيئته، وذكّر لها، وسمعت: (خلق الله المشيئة بنفسها، ثم خلق الأشياء بالمشيئة)^(١)، فحقائقهم نور خالص، وإن كان لهم ماهية، إذ لا ظهور للوجود بدونها، لكن لما كانت طوعه في جميع الأكوان الوجودية والشرعية، فلا ظلمة فيهم بوجه، لكنّه لكمال المطابقة والطوع يكاد يضمحل ويفنى في نفسه، فلا يكون فيه ظلمة بوجه، فلا أخلص منه وأعظم، بعد المشيئة الأمرية.

ولما كانوا هم المطيفون بالعرش، والمحددون به - أي الحاملون له، والمظهرون لخزائنه وما أودع فيه، سواء في ذلك العرش الأمري والعرش المعنوي والروحي والنفسي والطبيعي، والهيولاني والمثالي والجسمي والجسماني، وهم مطيفون [لكل] ^(٢) شيء بحسبه، أو مظهرون لكل بحسبه، بما أودع الله فيهم - فوجب من ذلك ظهورهم في كل شيء بحسبه، ظهوراً فرعياً، وأنهم العرش في كل مقام، وكذا الحاملون له في كل مقام بكل معنى، وأن أركانه وأنواره منهم وفيهم، والحمل حمل تقويي ركني بوجه، وبوجه صدوري. ويقال: طاف بالعرش، إذا حفظه، وكذا إذا نشر خزائنه وما أودع فيه، وكذا الإنفاق منه على الغير.

ولا يخص حفظهم ^(٣) للعرش وحملهم له - وكذا طوافهم - بمعنى له دون آخر، ولكن في كل واحد منهم من معانيه بحسبه، وكمال إحاطتهم، وأنهم الخزانة العظمى وهنصر الوجود، وسببه وغايته بأمر الله، يوجب ذلك.

وفي الحديث: (ما وسعني أرضي ولا سمائي، ولكن وسعني قلب عبدي المؤمن)^(٣) والمراد به الوسع الكلّي، وهو من كمل فيه جنود العقل، وهو محمد ﷺ وآله ^(٤)، فيكون قلبهم حرشاً، وكذا ذواتهم وأجزاؤها، وهي ذابياتهم وظاهرهم وأفعالهم، ولهم طواف وحمل بالنسبة لكل واحد منها، فإنهم التعمين الأول الذي عرفهم نفسه بما عرفهم في نفوسهم، وأشهدهم خلق أنفسهم، فعرفوه بها ويقوا يعبدونه - قبل أن يخلق الخلق، قبله

(١) «الكافي» ج ١، ص ١١٠، باب الإرادة ج ٤، «التوحيد» ص ١٤٨، ح ١٩، صححاء على المصدر.

(٢) في «ب»: «في كل».

(٣) «أحياء علوم الدين» ج ٣، ص ١٥، «جامع الأسرار» ص ٢٩٠، «بحار الأنوار» ج ٥٥، ص ٣٩، باختلاف.

ذاتية سرمدية ودهرية، لا زمانية انفكاكية - ألف دهر، وفي رواية^(١): ألفي دهر، وفي أخرى^(٢) ألف ألف دهر، ثم خلق لهم الخلق، كما في الحديث القدسي: (خلقتك لأجلي، و خلقت الأشياء لأجلك)^(٣).

وفي التوقيع من الناحية: (والخلق بعد صنائع لنا) أو (صنائعنا)^(٤).
والروايات متواترة معنى بأنهم الغاية، وإليهم يعود الخلق، وبهم وقع البدء، فخلق أهل مسجته وطاعته من الأنبياء والمرسلين وأتباعهم، والمؤمنين والملائكة الصادقين، والملائكة الطائفين حول عرشه، فكان طواف الكل ودورانه حولهم ﷻ.

وأما كان العرش مربعاً؛ لأنَّ كلَّ ﴿ زَوْجَيْنِ اثْنَيْنِ ﴾^(٥) كما قال تعالى، لنظيره لعلته، ولجهة ارتباطه بها، ولنظيره لنفسه، ولمن دونه، أو من جهة احتياجه إلى الخلق والرزق، والحياة والممات، ومن جهة أن الطبائع أربع، أو لأنه مظهر الصفات الحقية والخلقية والإضافية والتنزيهية، أو لأنَّ مبدأه من النقطة - وهي الرحمة - والألف - أي العماء الأوَّل - والنفس الرحماني - بفتح الفاء - وهو المشار له في الآية بالسحاب المزجج، والكلمة التامة المشار لها في قوله تعالى بالسحاب المتراكم^(٦).

وهي مراتب المشيئة والحقيقة المحمدية والوجود المطلق - إلى باقي أسمائها - وتكون هذه لعالم الأمر والقلم الأوَّل الأمري، والنور الأبيض لعقل الكل.

والقلم الثاني الجاري الوجودي [الأول]^(٧) الوجودات المقيدة، والنور الأصفر للروح والنفس باعتمادها، وباعتبار: النفس لها النور الأحمر، وإن كانت هي شدة الصفرة، ويكون المبدأ من العقل، والنور الأخضر جسم الكل أو طبيعة الكل باعتبار آخر، ولكل واحد منها

(١) «بحار الأنوار» ج ٢٥، ص ٢، ح ٣.

(٢) «الاختصاص» ضمن «سلسلة مؤلفات الشيخ المفيد» ج ١٢، ص ٩١، وفيه: (إنَّ الله خلقنا قبل الخلق بالنبي ألف عام، فسبَّحنا فسبَّحت الملائكة). (٣) «علم اليقين» ج ١، ص ٢٨١، بتفاوت يسير.

(٤) «الاحتجاج» ج ٢، ص ٥٣٦، وفيه: (ونحن صنائع ربنا، والخلق بعد صنائعنا).

وفي «نهج البلاغة» الكتاب: ٢٨: (إنا صنائع ربنا، والناس بعد صنائع لنا).

(٥) «هود» الآية: ٤٠، «الرعد» الآية: ٣، «المؤمنون» الآية: ٢٧.

(٦) هو قوله تعالى: ﴿ أَلَمْ تَرَ أَنَّ اللَّهَ يُرْجِي سحَاباً ثُمَّ يُؤَلِّفُ بَيْنَهُ ثُمَّ يَجْعَلُهُ رُكَّاماً ﴾ «النور» الآية: ٤٣.

(٧) في «ب» «أول».

رؤوس بعدد الخلائق، ما كان ويكون إلى يوم القيامة وما بعدها.

وأصل الأنوار: الأبيض، وضده الأسود، وما بينهما بحسب القرب من أحدهما، وأصول الألوان أربعة بمقام، وبمقام ثلاثة أو اثنان، أو آله البياض وما سواه بتنزله، وليس بينها تفاوت في الزمان، وإنما هو بحسب الرتبة.

وهذه الأنوار أصلها في عالم الأمر والمشية، لكنها مخفية لغلبة الإطلاق والبساطة وجهة الفاعلية، فظهرت في الآثار، ولو لم تكن مشاءة - فهي من المشيئة - ما وجدت في الآثار.

وحامل العرش - غير محمد ﷺ وآله - إنما يحمل جهة منه، وإن كان بالنسبة لمن دونه هرشاً، و[الحامل] (١) الكلبي لعرش الوجود محمد وآله ﷺ ليس إلا، بأي معنى فسر الحمل، وكذا الطائفون حوله والمحدقون به، ولهذا لم تنزل روح الأمر - أي نزولاً كلياً - بجميع وجوهها وشؤونها، ولم يحمل ذلك إلا محمد ﷺ وآله بعده، على مراتبهم، وما لغيرهم من سائر الأنبياء وأوصيائهم فإنما هو بوجه وجهة من ذلك، لا بكليتها، وهو بواسطتهم غيباً، في أوقاتهم السابقة، وكذا في معنى الحمل.

فلا تنافي بين ما ورد من الاختصاص بهم ﷺ، والنزول على غيرهم، ويكون من قبيل الفرع للأصل، وكذا يصل الشيعة، كما يصل لشعاع الشعاع، وهو فرع الفرع، وفاضله النوري، فتفطن.

كشف ظلمة

للمتصوفة كلام ساقط عن الحق، في معنى العرش والكرسي، لا حق فيه، ولننقل لك ما قاله الجيلاني (٢) في كتابه المسمى بـ «الإنسان الكامل»، وهو من رؤساء أهل الضلال، وتشبث بأهدابه بعض المسلمين.

قال في الكتاب المشار إليه: «اعلم أن العرش - على التحقيق - مظهر العظمة، ومكانة التجلي وخصوصية الذات، ويسمى جسم الحضرة ومكانها، لكنه المكان المنزه عن

(١) في النسختين: «الحمل».

(٢) عبد الكريم بن إبراهيم بن عبد الكريم الجبلي، ابن سبط الشيخ عبد القادر الجيلاني. صوفي، له كتب كثيرة، منها: «الإنسان الكامل في معرفة الأواخر والأوائل». (ت ٨٣٢ هـ). انظر: «الأعلام» ج ٤، ص ١٥٠ «معجم المؤلفين» ج ٥، ص ٣١٣.

الجهات الست، وهو المنظر الأهلئ والمحل الأزهئ والشامل لجميع أنواع الموجودات، فهو في الوجود المطلق كالجسم للوجود الإنساني، باعتبار أن العالم الجسماني شامل للعالم الروحاني والخيالي والمقلي، إلى غير ذلك، ولهذا هبَّ بعض الصوفية عنه بأنه الجسم الكلئ، وفيه نظر؛ لأنَّ الجسم الكلئ وإن كان شاملاً لعالم الأرواح، فالروح فوقه، والنفس الكلئ فوقه، ولا نعلم أن في الوجود شيئاً فوق العرش إلا الرحمن.

وقد هبَّوا عن النفس الكلئ بأنها اللوح، فهذا حكم بأن اللوح فوق العرش، وهو خلاف الإجماع، على أن من قال من أصحابنا الصوفية: إنَّ العرش هو الجسم الكلئ، لا يخالفنا أنه فوق اللوح، وقد هبَّ عنه بالنفس الكلئ.

ولا شك أن مرتبة النفس أهلي من مرتبة الجسم، والذي أعطانا الكشف في العرش مطلقاً، إذ أنزلناه في حكم العبارة، قلنا بأنه فلك محيط بجميع الأفلاك المعنوية والصورية، سطح ذلك الفلك هي المكانة الرحمانية ونفس هوية ذلك الفلك هو مطلق الوجود، حينياً كان أو حكماً، ولهذا الفلك ظاهر وباطن، فباطنه عالم القدس وهو عالم أسماء الحق سبحانه وتعالى وصفاته، وعالم القدس ومجلاه، هو المعبر عنه بالكثير، الذي يخرجون إليه أهل الجنة يوم سوفهم لمشاهدة الحق، وظاهره عالم الإنس، وهو محل التشبيه والتجسيم والتصوير، ولهذا كان سقف الجنة، فكل تشبيه وتجسيم وتصوير، من كل جسم أو روح أو لفظ أو معنى أو حكم أو عين، فإنه ظاهر هذا الفلك، فمتى قيل لك: العرش مطلقاً، فاعلم أن المراد به هذا الفلك المذكور، ومتى قيد بشيء من الصفات فاعلم أن المراد به ذلك الوجه من هذا الفلك، كقوله تعالى: ﴿العرش المجيد﴾^(١) فإن المراد به من عالم القدس: المرتبة الرحمانية، التي هي منشأ المجد، وكذلك: ﴿العرش العظيم﴾^(٢) فإن المراد به الحقائق الذاتية، والمقتضيات النفسانية التي مكاتها العظمة، وذلك من عالم القدس، وعالم القدس عبارة عن المعاني الإلهية المقدسة عن الأحكام الخلقية، والنقائص الكونية. واعلم أن الجسم في الهيكل الإنساني جامع لجميع ما تضمنه وجود الإنسان، من الروح والعقل والقلب وأمثال ذلك، فهو في الإنسان نظير العرش في العالم، فالعرش هيكل العالم وجسده الجامع لجميع متفرقاته، وبهذا الاعتبار قال أصحابنا: إنه الجسم الكلئ، ولا

(٢) «الزل» الآية: ٢٦.

(١) «البروج» الآية: ١٥.

اختلاف بيننا؛ لائحاد المعنى في العبارتين، والله اعلم»^(١) انتهى .

أقول: كلامه ضلال وكفر، وإن توهم الصواب من ظاهر بعض ألفاظه، ولنشر إلى بعض ما فيه، إذ لا يسع المقام بيان جميعه .

فيشير بأول كلامه إلى تجلّي الذات للذات بالتحين الأزلي لصور الأعيان، وهو المكانة الأزلية، بحسب ما صورّه له خياله الباطل، فهو كالجسم الجامع للكُلِّ، وجعله العرش، والله فوقه، فإمّا هو الوجود المطلق، أو هو شامل له ولغيره، ويصرّح به أواخر كلامه، فعالم الأسماء والصفات حادثة قائمة بفعله، وليس للذات تجلُّ - هو بالذات - لغيرها، ولا وصول لحقيقة الله، ولا لمقام تشبيهه، ولا تصوير أصله، فلا خروج عن الإمكان وحدوده .

وأول المعاني للعرش: المشيئة الكلية الأرية، وإليها ترجع جميع الأشياء، وما دونها كل واحد عرش باعتبار، وليس للذات استقرار فيه، بل ظهور الفعل من الفاعل بالفعل، فهذا الضال خرج من التشبيه الحسي إلى التشبيه الخيالي والعقلي، والله منزّه عن جميع ذلك . وكل عرش وجه من وجوه هذا العرش - كما نقول لا كما يقول - فالعرش الكلي لك أن تعبّر عنه بهيكل العالم، إن قصدت ما نقول على ما مرّ فذاك، وأركانه ما عرفت وسيأتي، لا كما يقول ويقصده، ولا وجود لحقائق ذاتية غير مجعولة، ولا المقتضيات لها ومن أنفسها . ومن قوله الآتي في الكرسي يظهر لك ما في كلامه من زيادة الضلال .

قال في الكرسي: «اعلم أنّ الكرسي عبارة عن تجلّي جملة الصفات الفعلية، فهو مظهر الاقتدار الإلهي، ومحل نفوذ الأمر والنهي، وأوّل توجه الرقائق الحقيقية في إبراز الحقائق الخلقية في الكرسي، وقدما الحق متديّتان عليه، وذلك لأنّه محل الإيجاد والإهدام، ومنشأ التفصيل والإيهام، ومركز الضرّ والنفع والفرق والجمع، فيه ظهور آثار الصفات المتضادة على التفصيل، منه يبرز الأمر الإلهي في الوجود، فهو محل فصل القضاء . والقلم محل التقدير، واللوح المحفوظ محل للتدوين والتسطير، وسيأتي بيانهما في مكانهما إن شاء الله تعالى . قال الله تعالى: ﴿ وَسِعَ كُرْسِيُّهُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ ﴾^(٢) .

اعلم ان هذا الوسع وسعان: وسع حكمي، ووسع وجودي عيني، فالوسع الحكمي: هو

(١) «الإنسان الكامل» ج ٢، ص ٦ - ٧، صححناه على المصدر .

(٢) «البقرة» الآية: ٢٥٥ .

لأنَّ السماوات والأرض أثر صفة من صفاته الفعلية، والكرسي هو محل مظهر جميع الصفات الفعلية، فحصل الوسع المعنوي في كل وجه من وجوه الكرسي، إذ كل وجه منه صفة من الصفات الفعلية، وأمَّا الوسع الوجودي العيني فهو لأن الوجود بأسره - أهني: الوجود المقيّد الخفي - محيط بالسماوات والأرض وغيرهما، وهو المعبر عنه بالكرسي، أهني: الوجود المقيّد؛ لأننا قد بيّنا أنه محل نفوذ الأمر والنهي، ومحل الصفات الفعلية، ومظهر الاقتدارات الإلهية، وليس المراد بجميع ذلك إلا الوجود المقيّد، إذ هو المأمور - أهني المنفوذ فيه الأمر - وهو المجلي والمظهر، فهو الكرسي الذي دلى الحق عليه قدماء، وأوجد فيه وأعدم وأهلك فيه، وأسلم وأعطى ومنع، ورفع ووضع، وأعزّ وأذلّ سبحانه عزّ وجلّ^(١).

أقول: الكرسي محل ظهور الأحكام التفصيلية من العرش، لا بما قاله في العرش، لكنّه يثبت الكرسي المعنوي لله، فعنده موضع تدلّي قدميه، ويعني بهما الصفتين المتضادتين للذات بحسبها، والفعالان كذلك، ولكن باعتبار تعلّقهما بالغير. ويعني بالحقائق ما سبق، والكرسي بعض الوجود المقيّد، وأوله عقل الكلّ، ووسعه - لما ذكر - وسع وجود كلّ في مقامه، ووسع علم كذلك، بحسب ما تفسّر به الكرسي، فله معان متعدّدة، وله كراسي جزئية، مقابل ما تلاحظ وتعتبر من المعاني في العرش، فهي فيه تتمّد كتتمّده.

ثمّ نعرض عن الكلام مع أهل التصوّف، أهل الضلال والكفر، فلا حقّ عندهم، وهو ظاهر، وإن حصل بعض جزئي ظاهري يريدون به مقاصد شيطانية.

تقرير المؤلف

ونقول: اعلم أنّ العرش: مقام الإجمال، والكرسي: مقام التفصيل، فنسبة الأول للثاني نسبة بساطة، والثاني له نسبة تركيب، ويكون الأول مقام النبوة، والثاني مقام الولاية، فنسبة علي لمحمد نسبة الكرسي للعرش، فيه ظهور آثاره ونشر شريعته، ولولاه لم يكن لشريعته ظهور ولا لآثاره اشتهاً بعد الستور، ولم يتمّ الصنع ويكمل، فإنّه لا يتمّ إلا بالتفصيل بعد الإجمال، والكثرة بعد الوحدة، ولأبقي كماله في الخفاء، بل لم يعرف له كمال، فهو وإن كان ناشراً للأحكام والأوامر والنواهي، لكنّه بالتبعية له وبإمداده، فإنّه

(١) «الإنسان الكامل» ج ٢، ص ٨، صححناه من المصدر.

كرسيه.

فوجب أن يكون وزيره وهو صاحب اللواء والحوض، والجنة والنار، وهو ﷺ حامله والساقى والقاسم بين أهل الجنة والنار، ومسكن أهل كل فيهما، والسابق للحوض والذائد عنه، فهما مقترنان لا يفترقان في كل مقام؛ لأنه الأقرب إليه إلا في المقام الذاتي لمحمد ﷺ، الذي فاق به عليّ عليّ ﷺ، وهو الرتبة والحرف الواحد، ولهذا لم يفارقه أبداً، وأخاه هنا وكان ابن عمه.

فهما بابان من العلم عظيمان، لا أعظم منهما، أحدهما الباب الباطن، والآخر الباب الظاهر، ومحمد مدينة العلم وعليّ بابها، فلا يصعد إليه صاعد، ملك أو غيره، إلا بعد مروره بعليّ [واستبدائه، وكذا لا يخرج منها علم لمخلوق إلا بعد مروره بعليّ] (١)، خُلِقا جميعاً من نور واحد، لكنّه جعل نصفين: نصف عرش، ونصف كرسي، وجعل كرسيه بعد أن جعل الأول عرشاً؛ لأن جعل عليّ ﷺ بعد جعل محمد ﷺ، كما دلت عليه الروايات (٢)، ولهما مظاهر في كل عالم من العوالم، حتى في عالم الأفلاك، فالشمس كالعرش، والقمر كالكرسي، وتولد كل واحد من واحد، فالنيران أبناء هم في الأفلاك، والشمس لا عرض لها، كما دلّ عليه الحسن والرصد والآثار، فكان استمدادها من الكرسي استمداد تفصيل، وإن كانت من العرش، والقمر استمداده وظهور تفاصيل الأحكام من الشمس، والباطن أبو الظاهر، والظاهر [ابن] (٣) الباطن، بحسب الاستمداد التفصيلي الظهوري. والشمس في هذا العالم مثال محمد ﷺ، والقمر مثال عليّ ﷺ، وكانا هنا أبناء هم، ويستمد محمد ظهور أحكام شريعته التفصيلية بعليّ، وعليّ يستمد إمداد تقويم من محمد، باطنه من باطنه، وظاهره من ظاهره، فهو أخذ بحجزته، وهو ﷺ أخذ بحجزة الله. ولما هرفت ملازمة الشمس لمنطقة البروج، وهو الكرسي - وهكذا العرش يلازم الكرسي، والكرسي أبو القمر، وهو وزير الشمس، ونوره مكتسب منها - وجب أن يكون أبو الوزير - وهو القمر - يربيّه محمد، وقد كان في تربية أبي طالب سنين، ووجب أن يكون الوزير - وهو القمر - يربيّ عند الشمس، وقد أخذ محمد ﷺ علياً وبقي في تربيته في عام المجاعة (٤).

(١) ليست في «ب».

(٢) «بحار الأنوار» ج ٢٥، ص ٦، ح ٩، ص ٨، ح ١١، ص ١٦، ح ٣٠.

(٤) انظر: «المناقب» للخوارزمي ص ٥١، ح ١٤.

(٣) في «ب»: «أب».

وتدبير الله في الوجود لا يختلف، ولكل ظاهر باطن وبالعكس، كما [روي] (١) في رواية البصائر (٢)، وما هنا دليل على ما هناك، كما روي (٣).

ولمّا كان مقام العرش والشمس ما عرفت - وكذا الكرسي والشمس - وجب كونه ﷺ نذيراً، وعليّ ﷺ هو الولي، وهادياً به إلى شريعته، ومحمّد هادٍ بعليّ هداية ظهور، وعليّ الحامل لتفاصيل الإرادة، كما أنّه ﷺ الحامل لإجمالها.

ولمّا كان العرش مقام جمع وإجمال، وهو مثال محمّد، كان الغالب عليه الجمع والائتلاف، وهو يناسب البرودة والرطوبة والقابلية أيضاً، فإنّها مقتضى الحمل والصبر، فوجب أن يكون منهم ومن أصل طينتهم نبأ لمحمّد ﷺ، تكون محل ظهور أنواره، ووجب كون نسله وخلفائه بعليّ ومنه؛ لأنّ به تفاصيل شريعته، فهو أخوه وابن عمّه ووزيره، والأقرب إليه، ولا ثالث غيرهم ﷺ، فوجب كون الأوصياء من عليّ وأئمهم الزهراء وأبوا محمّد، هذا ما اقتضته حكمة الله وأسرار غيبه ومشيبته، ولا يمكن أن يكون في الكون غيره، ولو فرض فليس إلا كذلك.

فائدة: روي في كامل الزيارات (٤)، وغيره (٥)، في حديث زيد الشحام، وفيه: (مَنْ زار رسول الله ﷺ كمن زار الله فوق عرشه) (٦).

ورود في مزار ابن قولويه (٦) وغيره (٧): (مَنْ زار الحسين عارفاً بحقه، كمن زار الله في عرشه). وقال الشيخ: «معنى قول الصادق ﷺ: (مَنْ زار رسول الله ﷺ كمن زار الله فوق عرشه)، هو أنّ لزاره ﷺ من المثوبة والأجر العظيم، والتبجيل في يوم القيامة، كمن رفعه الله إلى سمائه وأدناه من عرشه، الذي تحمله الملائكة، وأراه من خاصّة ملائكته ما يكون به توكيد كرامته، وليس على ما يظنه العامة من مقتضى التشبيه» (٨).

وروي في فضل زيارة الرضا ﷺ، عن أبي الحسن موسى ﷺ، قال: (مَنْ زار قبر ولدي علي

(١) ليست في «ب».
 (٢) «بصائر الدرجات» ص ٥٣٧، ح ٥، نحوه.
 (٣) «عيون أخبار الرضا» ج ١، ص ١٧٥، ح ١، وفيه: (وقد علم ذوو الألباب أن الاستدلال على ما هناك لا يكون إلا بما هاهنا).
 (٤) «كامل الزيارات» ص ٤٨، ح ٢٦، بتفاوت.
 (٥) «تهذيب الأحكام» ج ٦، ص ٤، ح ٦، بتفاوت.
 (٦) «كامل الزيارات» ص ٢٨٢، ح ٤٤٧، بتفاوت.
 (٧) «تهذيب الأحكام» ج ٦، ص ٤٦، ح ١٩٨، ص ٥١، ح ١٢٠، بتفاوت.
 (٨) «تهذيب الأحكام» ج ٦، ص ٤، ذيل ح ٧.

كان له عند الله كسبعين حجة مبرورة) قال: قلت: سبعين حجة؟ قال: (نعم، وسبعين ألف حجة) قال: قلت: سبعين ألف حجة؟ قال: (رب حجة لا تقبل، من زاره ويات عنده ليلة كان كمن زار الله في عرشه)، فقلت: كمن زار الله في عرشه؟ قال: (نعم، إذا كان يوم القيامة كان على عرش الله عز وجل أربعة من الأولين وأربعة من الآخرين، فأما الأربعة الذين هم من الأولين: فنوح وإبراهيم وموسى وهيسى عليهم السلام، وأما الآخرون: فمحمد وعلي والحسن والحسين عليهم السلام، ثم يمد المضمار، فيقعد معنا من زار قبور الأئمة، إلا أن أعلام درجة وأقربهم حبة زوار قبر ولدي علي) ^(١).

وعن زيد الشحام، قال: قلت لأبي عبد الله عليه السلام: ما لمن زار رسول الله صلى الله عليه وآله؟ قال: (كمن زار الله عز وجل فوق عرشه) قال: قلت: فما لمن زار أحداً منكم؟ قال: (كمن زار رسول الله صلى الله عليه وآله) ^(٢).

بيان: زيارة الله في عرشه، إما بمعنى حصول زيادة الثواب والزلفى لديه، وهو سقف الجنة، أو لما كانوا [عليه] ^(٣) دون جدهم مرتبة، وجميع ما ينالون بواسطته - وكذا ما ينال غيرهم بهم، فإنهم عليهم السلام باب مدينة العلم - كان زائرهم كمن زار رسول الله صلى الله عليه وآله وزائره صلى الله عليه وآله كمن زار الله فوق عرشه؛ لأنه الأقرب، وهو مكانه بحسب مقامه الأمري، وحديث المائدة ^(٤) يبين معنى زيارة الله في عرشه، ويومئ إلى أن المراد به زيارة الرسول، والجلوس معه على مائدة الكرامة وإتحافه، وهو صلى الله عليه وآله عرشه الأعظم الأتم الجامع.

أو نقول: إنه الحامل لعرشه، فإذا زار ولي الله فقد زار الله؛ لأن الزيارة من صفات الأنفال وعبادة الدلالة، وهي ترجع لهم، لا بحسب أنفسهم، بل باعتبار الدلالة، وكونهم دليلاً على الغير.

ونقول أيضاً للملائكة الطائفين بالكعبة وغيرهم: إنهم وفد الله وزواره، تعظيماً لها وتشريفاً وتنويهاً. ونحوه نقول في معنى زيارة الله في عرشه.

والضمير في (عرشه) يصح عوده إلى العرش الكلبي، سواء كان الجسماني أو غيبه، أو غيب غيبه، وتكون زيارته فيها بما ظهر له به، فلكل عرش كلي أولاد إلى ما لا نهاية، تسمى بالعرش أيضاً، نسبتها له كالجزي من الكلبي، ولا يكون هو هو ولا يصل لمقامه، فإنه من

(١) «كامل الزيارات» ص ٥١٢، ح ٧٩٨، بتفاوت يسير، «تهذيب الأحكام» ج ٦، ص ٨٥، ح ١٦٧، صححناه على المصدر.

(٢) «الكافي» ج ٤، ص ٥٨٥، باب فضل زيارة أبي الحسن الرضا عليه السلام، ح ٥.

(٣) ليست في «ب».

(٤) «سنن الترمذي» ج ٥، ص ٦٣٦، ح ٣٧٢١، «حلية الأولياء» ج ٦، ص ٣٣٩.

المحال وصول السافل والشعاع لمقام العالي والشمس، وإلا لم يكن سافلاً وشعاعاً. وإذا كان بحسب ما ظهر له به - سواء كان بحسب الذات، أو صفة القرب والكمال والثواب الجزيل - فيصحُّ عود الضمير إلى عرش الزائر من غير تناف بينهما، وإنما الفرق بالاعتبار، ائتماره بحسب مقامه أو بائتماره وجهه من صبح الأزل، أو من عهته.

وبيّن ذلك ما روي في غير حديث، وقام عليه الدليل العقلي: أن في الإنسان قبضة من العرش والكرسي والسموات والعناصر، وأن بدء النزول من شجرة تحت العرش ومن بحر صاده، فيمر على الكل نازلاً، ويعود في عوده كاملاً بالفعل، من جهة الإعتقاد والعمل إلى مراتب النزول، وهي عينها بوجه وغيرها بوجه، فوجب وجوب عوده إلى عرش الزائر. وأيضاً أن الله بأحدثه منزّه عن مقارنة الغير والنسبة والإضافة مطلقاً، فلا معه غيره لا بجهة معلومية ولو فرضاً، ولا مجهولية كذلك لا عدماً ولا وجوداً.

وصفاته الذاتية لها حكم الذات، بكل وجه وائتماره، فتعيّن أن جميع ما ينسب إليه تعالى - من صفة توجب نسبة أو إضافة، أو مزاهاة الغير بوجه من الوجوه - ليس براجعة لذاته الأحدية، وإلا تجددت عليه الأحوال، وقد كمالاً وحدث فيه، وغير ذلك، وكده محال، وإنما هي لفعله، فهي صفة فعل لا ذات، ووصفه تعالى بها للدلالة عليه وندائه لما ظهر صنعه، ودليله لخلقه بخلقه، ونسب له تشريعاً وتعظيماً وتنوياً، وإعلاءً لحجته وآيته، وهي نسبة مجازية، فيكون مثل من زار الله في عرشه، وتقرّب إليه وتولّى، قبضه الله، كما ورد في قابض روح زائر الحسين عليه السلام، يرجع إلى فعله والأقرب إليه.

ومن المقطوع به عدم خروج الممكن عن الإمكان، وعوده إلى بدئه - وهو فعله - عود مجاورة كما هنا، وهو إلى وجهه من الفعل، فإن له رؤوساً بعدد الخلائق ومبدؤها مترتب، وإن كان من الفعل كأجزاء الأشعة وفاضلها.

وهكذا بالنسبة إلى فعل الشمس وشمس الضياء، فعوّد كلّ إلى كونه من إمكانه، وهو رأس وجهة من ذلك الكلّي والعرش الأولي، ولا وجود للشيء فوق رتبة وجوده بوجه من الوجوه، بل له فيما زاد العدم، بمعنى وجوده في رتبته ليس إلا، فتدبر.

فائدة: سمعت من النص^(١) تفضيل زيارة الحسين على سبعين حجة، وورد سبعين

(١) انظر: «كامل الزيارات» ص ٣٠٢، باب أن زيارة الحسين عليه السلام تعدل حججاً، ولم يتقيد ثواب زيارته بالسبعين حجة أو السبعين ألفاً. نعم ورد في زيارة الإمام الرضا عليه السلام الثواب المذكور، كما في: «كامل

ألفاً وأكثر، وكذا ورد^(١) في زيارة غيرهم عليه السلام، فربما يتوهم هنا إشكال تفضيل المستحب على الواجب.

ودفعه كثيرٌ بإخراج الحجِّ والواجب من ذلك، فيرجع إلى ترجيح بعض المستحبات على آخر، ولا مشاحة في ذلك.

أو نقول: تشمل الحجج، حتى الواجبة، وإن كان لا يجوز تركها والتعويض عنها بألف زيارة للحسين عليه السلام، وهو من ضروري المذهب، بل الدين، فإن هذا راجع إلى الشواب، وجاز زيادته على ثواب الواجب، وإن لم يكن بدلاً عنه، وله نظائر، مثل ردِّ السلام راجب، والبدة به مستحبة، وثوابه أكثر من ثواب الرادِّ، كما روي^(٢).

وأما الكلام في بيان الوجه، وتفضيل زيارته على الرضا عليه السلام أو بالعكس، أو التفصيل وغير ذلك من لواحق هذه المسألة، فليس هنا موضع ذكرها، وما ذكر استطرادي.



□ الحديث رقم ﴿١﴾

قوله: ﴿سأل الجاثليق أمير المؤمنين عليه السلام، فقال [له] ^(٣): أخبرني عن الله عز وجل يحمل العرش أم العرش يحمله؟ فقال أمير المؤمنين عليه السلام: الله عز وجل حامل العرش والسموات والأرض وما فيهما وما بينهما، وذلك قول الله عز وجل: ﴿إِنَّ اللَّهَ يُمَسِّكُ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضَ أَنْ تَزُولَا وَلَئِنْ زَالَتَا إِنْ أَمْسَكَهُمَا مِنْ أَحَدٍ مِّنْ بَنِيهِ إِنَّهُ كَانَ حَلِيمًا غَفُورًا﴾ ^(٤).

أقول: هذا الحديث من جوامع أحاديثهم المشتملة على مسائل عظام، من أحكام

الزيارات» ص ٥١٢، ح ٧٩٨؛ «تهذيب الأحكام» ج ٦، ص ٨٥، ح ١٦٧.

(١) «عدة الدايمي» ص ٦٦، وفيه: (وزيارة العلماء أحب إلى الله تعالى من سبعين طوافاً حول البيت، وأفضل من سبعين حجة وعمرة)...

(٢) «الكافي» ج ٢، ص ٦٤٤، باب التسليم، ح ١١ «بحار الأنوار» ج ٧٥، ص ١٢٠، ح ١٧.

(٣) ليست في المصدر. (٤) «فاطر» الآية: ٤٦.

المبدأ و[سنة] (١) خلق الله له، ونسبته له وتنزيه الله، وبيان أحكام الخلق وأصوله وفروعه، ونحو ذلك مما ستعرف بعضه إن شاء الله.

ولنتقل لك أولاً ما قاله بعض الشراح هنا، وبيان ما فيه من التدارك - وإن لم نستقص - ثم نعود إلى الحديث بما شاء الله متفرقاً، وإن كان خلال ما نذكره في البحث معهم يتضح ما في الحديث إن شاء الله تعالى، فنقول:

قال محمد صادق في شرح هذا الحديث: «العلم عند الله وعند قائله الجائليق: رئيس النصارى. وللعرش معانٍ كثيرة، منها: وجود الله تعالى، فإنه عرش الوجودات. ومنها: عالم العقل جميعاً. ومنها: عالم النفس عموماً، وذلك العالم من عالم المثال عند المحققين، ومنها: جميع الخلائق، والمراد من العرش ها هنا هو الأخير».

أقول: نعم، للعرش معانٍ كثيرة، أكثر مما ذكره بكثير - كما عرفت قبل - وليس منها وجود الله تعالى فإنه محال، ولأقامت به الحدود وأحكام الممكنات ولو بحسب الظهور، مع أنه إذا كان ظهوره وتعيينه بذاته رجع إلى الذات.

ومع ذلك نقول: هو منزّه عن جميع ذلك بكل اعتبار، لكنّه تفريع منه على القول بوحدة الوجود، وثبوت المناسبة والارتباط الذاتيين بين الذات والخلق، تعالى الله عما يقولونه علواً كبيراً.

وأيضاً قوله: «عالم العقل جميعاً» ظاهره كما يريد أهل النظر وغيرهم: أن العقل متعدّد، كل واحد [كالجنس] (٢)، والمعروف من النص خلافه، وكذا صافي الاعتبار، فليس إلا عقل واحد هو عقل الكل، بمعنى أن الكل كشخص واحد، فلا يكون له إلا عقل واحد، لكن له رؤوس بعدد الخلائق، مما كان ويكون إلى يوم القيامة، وكذا في النفس والطبيعية وأمثالهما.

وليس عالم النفس من عالم المثال، بل هو برزخ بينها وبين المادّيات، وهو ظاهر في بدنك ونفسك، وهو دليل على ما في العالم الكبير؛ لوجوب التطابق.

ويصح إرادة غير المعنى الأخير من معاني العرش هنا - كما سيأتي - لكنّه على قوله الباطل في وجود الله وتعيينه، وما سيأتي فيه من قوله الباطل، كان المناسب له القول بإرادة

(٢) في «أ»: «بالجنس».

(١) في «ب»: «نسبة».

المعنى الأول هنا أيضاً، بل هو الأصل، وكله ضلال نعوذ بالله منه .

قال: «والله أحاط بها جميعاً، وحياتها إحاطته تعالى بها، فالله تعالى ممسك العوالم، بإحاطتها بأولها وآخرها وظاهرها وباطنها، ولو لم يحط بمعظمته وكبريائه جميع الموجودات؛ لزلت وانعدمت. فالموجودات قائمة بوجوده تعالى، وليست الموجودات خالية عن الله، بل قائمة بالله، ولهذا قال تعالى: ﴿إِنَّهُ كَانَ حَلِيمًا غَفُورًا﴾^(١) فطابق على المتن». أقول: أمّا إحاطة الله بخلقه، فهو متواتر كتاباً وسنة وعقلاً، وعليه الاتفاق في الجملة، ولكن الخلاف في معنى الإحاطة، هل هي بذاته، أو لكونها مستجنة ومخزونة فيها؟ وأمثال هذه من أقوال أهل التصوف .

ومراده هنا الإحاطة بذاته، وصرّح به في غير موضع؛ تفرعاً على وحدة الوجود، وكله ضلال، فهو محيط بالأشياء، كل في مقام كونه، بالفعل الذي تجلّى له به، وهو مشيئته، من غير مداخله بوجه أو ممازجة .

وعلى هذا القول الباطل يناسبه تفسير العرش في الحديث بالمعنى الأول الباطل الذي ذكره، وعلى القول بوحدة الوجود، وأحكام الممكنات ترجع إلى العدم والاعتبارات الإمكانية، فتكون الإحاطة ترجع إلى هذا المقام الاستباري، ومראה ظهور الذات في التعمينات اللازمة للذات، من غير وجود مستقل لها، وهذا باطل، ويُبطل ظاهر الحديث وما مثله . قوله: «ولو لم يحط بمعظمته»... إلى آخره، على قواعده لا يتم هذا القول، فالأشياء وجودها وجود الله عنده، وهي في نفس الأمر زائلة معدومة، وإن كانت ثابتة بحسب الأعيان الثابتة، أو صور الأسماء العلمية .

قوله: «فالموجودات قائمة بوجوده»... إلى آخره، صريحه دالٌّ على ما نسبناه له أولاً، وهذا معتقده بلا شك، فتكون الأشياء في ذات الله، وذاته فيها، ولبداهة بطلانه - وتكراره قبل وبعد - نعرض عن البيان هنا، فأنت إذا تأملت قوله والحديث وما مثله، وجدته في بونٍ منه، وكل واحد يبطل الآخر، فأبي الأمرين تختار؟

قال: «ثم نقول في معنى قوله: ﴿وَيَخُولُ عَرْشَ رَبِّكَ لَوْ كُنْتُمْ يُؤْمِنُونَ﴾^(٢) وبالله التوفيق: اعلم أن المخلوقات على أربعة أقسام: العقل والنفس - التي هي عالم المثال -

(٢) «الحاقة» الآية: ١٧.

(١) «فاطر» الآية: ٤٦.

والأجسام والإنسان، [والإنسان] (١) وإن كان من الأجسام، إلا أنه ممتاز عنها بالجامعة كأنه مغاير لها، وإذا تكرر الأربعة في العود صارت ثمانية، فإن الموجودات إذا انتهت إلى الإنسان فتعود منه إلى الله بالاختيار، بأن تنتقل من الإنسانية إلى الأجسام التي قبل [الإنسانية] (٢)، ومنها إلى المثال، ومنه إلى العقل، وبلاضطرار إلى [عالم] (٣) المثال - فإنه نفس من وجه، ولها جسم وبدن من وجه آخر - ومنه إلى العقل، وقوس الصعود عين قوس النزول حقيقة، وغيره وجوداً؛ لتكرار الوجود.

وقد علمت أن العلم التفصيلي لله تعالى هو وجودات الأشياء، ووجوداتها قائمة بهذه الأربعة في الحقيقة، وبهذه الثمانية في الوجود، فوجودات الأشياء علم من وجه، وعالم من وجه، ومعلوم من وجه، وحمل من وجه، وحامل من وجه.

أقول: العالم ينقسم على أقسام، وكل قسم عالم، وكل قسم باعتبار فهو واحد، وينقسم بعد إلى اثنين وثلاثة وأربعة وخمسة وستة، وهكذا إلى ألف ألف عالم - كما في حديث الاختصاص (٤) - وما فوق ذلك ﴿ وَمَا يَفْقَهُمْ جُنُودَ رَبِّكَ إِلَّا هُوَ ﴾ (٥).

فإن أراد تقسيم بعضها فليس الحصر كذلك، والظاهر حصر جميعها، وليس الحصر كذلك، فبين العقل والنفس عالم الأرواح، ولم يشر لعالم الأمر. وليست النفس عالم المثال، فهو البرزخ* الثاني بين النفس والأجسام، والبرزخ له حكم النزول صعوداً، وحكم الصعود نزولاً، وليس النفس جهته الصعودية والمثال، ولا [يقول هذا] (٦) حكيم ولا غيره، وهو من جهله، وإن أردت الترييح فله [اختيارات] (٧).

منها: عالم أمر وجبروت وملكوت وملك، أو قل: عقول وأرواح ونفوس وأجسام، أو قل: عالم الخلق والرزق والحياة والممات، وأصول العوالم وفروعها، وجميع أحوالها

(١) ليست في «ب». (٢) في «ب»: «الإنسان».

(٣) في «ب»: «عالم».

(٤) لم يرد هذا الحديث في «الاختصاص» وإنما ورد في «المخالف» ص ٦٥٢، ح ٥٤.

(٥) «المدثر» الآية: ٣٦.

(*) «والبرزخ الأول: الروح، بين العقل والنفس. ب» [حاشية «أ»].

(٦) في «ب»: «يقول بهذا». (٧) في «ب»: «اختيارات».

وشؤونها تدور على هذه الأربعة، ولهذا تكرر [ذكرها] ^(١) متفرقة، ودار عليها أحكام الوجود، وذكرها الله مجتمعة، في معرض الامتنان والتفضل، فقال: ﴿اللَّهُ الَّذِي خَلَقَكُمْ ثُمَّ رَزَقَكُمْ ثُمَّ يُبْيِتُكُمْ ثُمَّ يُخَبِّئُكُمْ هَلْ مِنْ شُرَكَائِكُمْ مَنْ يَفْعَلُ مِنْ ذَلِكَُمْ شَيْئًا وَنُحْنَاهُ وَتَعَالَىٰ هَمًّا يُشْرِكُونَ﴾ ^(٢).

وبني على التربيع الكلمات الأربع في أخيرتي الصلاة، وهي: سبحان الله، والحمد لله، ولا إله إلا الله، والله أكبر، وكذا كلمات الإيمان وتعامها، وهي: لا إله إلا الله، محمد رسول الله، علي ولي الله، شيعته الناجون.

وكانت الكعبة مربعة، والطبائع أربع: الحرارة والبرودة والرطوبة واليبوسة، وكذا العناصر التي منها تولدت جميع المواد، الجسمانية العلوية والسفلية، التامة والناقصة: النار والهواء والماء والأرض*.

وكان العرش مربعاً بحسب الأركان، وأصل حملته أربعة، بحسب أركانه، والعرش مظهر القدر والقضاء والعلل والأسباب، فيكون التربيع مقتضى المتفومات الكونية من الأسباب والمسببات، وكان العرش محل جميع مبادئ الأكوان، من الغيب أو الشهادة، وسرى التربيع في جميع الأشياء، وهو أيضاً مربع، وستعرفه.

فركنه الأحمر يستمد منه جبرائيل الخلق في العوالم الثلاثة، ومقتضاه الحرارة واليبوسة، وميكائيل للرزق، وهو الركن الأبيض: مقام الرطوبة والبرودة كذلك، والركن الأخضر يستمد منه هزرائيل - بمقتضى البرودة واليبوسة - للموت - لجميع تلك العوالم، وركنه الأصفر يستمد منه إسرافيل - بمقتضى الحرارة والرطوبة - للحياة لتلك العوالم، وكل ملك من هذه الأربعة يُعين الآخر بثلاثين. واحتفظ على هذا، فإنه يعينك في فهم الحديث، كما سيأتي.

ونقول: التغاير في الإنسان بسبب الجامعية لا يوجب إفراده من الأجسام في التربيع، وألا لزم التقسيم فيها أيضاً، ولو نظرنا بحسب البساطة والتركيب، أو إلى علوية وسفلية، لكان أقرب من قوله هنا، وقوس الصعود هو قوس النزول، لكنه يستكمل في الوجود زيادة، ولا جبر في الوجود مطلقاً، لا بدءاً ولا عوداً. وليس ترتيب العود كما قال، وليس الإنسان نهاية النزول إليه ومنه الصعود، فقد أهمل مراتب، نزولاً وصعوداً، وكل واحدة

(١) في «ب»: «ردّها». (٢) «الروم» الآية: ٤٠.

(*) يقصد بالأرض: التراب، وهو المنصر الرابع.

بحسب الإجمال ثمانية وعشرون، وآخر نزول الإنزال: التراب أو المعدن .
والإنسان - بعد مجاوزة رتبة الإنسانية في العود بالموت - يعود إلى عالم البرزخ، ويظهر
بقلبه الذي هو فيه الآن غيب، ثم في جسمه الدنيوي، بعد تصفيته بالكسر في [عالم] (١)
القبر وهكذا.

وليس عالم المثال نفساً من وجه، وجسماً وبدناً من وجه آخر، وسقوطه ظاهر .
ومراده بعلمه التفصيلي: الذي هو ذاته، ولما كان عنده أن وجود الله كل الوجود،
والتفصيل عنده [عين] (٢) الإجمال، فكل موجود حقيقته الأربعة وهو الثمانية، وكان علماً
ومعلومًا وعالمًا، وهو واحد، وإن تعدد بالاعتبار، وهذا ضلال لا حق فيه .

والمعلوم لا يكون نفس العالم، ولا نفس العلم الذي هو ذات العالم. وكذا القول في
قوله باتحاد الحامل والحمل والمحمول، وكلمة متفرع على وحدة الوجود والمناسبة
الارتباطية، وهو باطل كما عرفت وبآتي .

قال: «فحامل جميع الموجودات، التي هي المراد من العرش، هي أربعة أنوار، إذا
تكرر تصير ثمانية، ثلاثة منها: الأحمر والأخضر والأصفر، كلها مركب من البياض
والسواد، وواحد منها - هو الأبيض - لون مفرد .
والأحمر منها ما يكون السواد غالباً، والأخضر ما يكون السواد فيه أقل من الأول،
والأصفر ما يكون السواد فيه أقل من الأقل .

والأحمر إشارة إلى الإنسان الكلّي، الذي يكون ظلوماً جهولاً، والأخضر إشارة إلى
سائر الجسمانيات على السبيل الكلّي، وتكون الكلمة الهيولانية فيها أقل من الإنسان .
والأصفر إشارة إلى عالم النفس على السبيل الكلّي، التي يكون ظلمة الإمكان فيه أقل
من الأولين .

والبياض إشارة إلى العقل الأول الكلّي، الشامل لجميع العقول، الذي هو مخلوق من
نور عظمتته وذاته تعالى بلا واسطة، فيكون الإمكان فيه موهوماً .

أقول: العرش مركب من الأنوار الأربعة، وهي أركانه، فبحسب التفصيل التريبعي تكون
هذه الألوان أصولاً، وباعتبار مرجعها للبياض والسواد، وما بينهما بحسب القرب من

(٢) في «أه» «غير» .

(١) من «ب» .

الأبيض أو من السواد أو ما كان كالوسط، فالصفرة بياض مكنم مقام الأرواح، بين البياض والحمرة، وهو غلبة الصفرة مقام النفس، والخضرة غلبتها، أو قل: كشف الأسود مقام الطبيعة الكلّية.

هكذا ترتيبها، لا كما قال، ولا أنّ الأصل فيها السواد، بل كونه البياض أقرب، فإنّه الأصل لجميع الألوان، وحصلت من تنزلاته وتطوّراته الكونية، وكذا القلب بالنسبة لما تحته من القلوب الجزئية، وهي ذرّية له لا إلى نهاية، وكذا نقول في غيره.

وكذا العلم له تطوّرات، بحسب مراتب المعرفة والعارفين، والإنسان الكلّي يناسبه الأبيض، فإنّه القلب المستنير، والحامل للعرش الكلّي، ولا يكون الكلّي هنا إلا واحداً، ولا يصح إرادة الإنسان الجاهل الفشوم، معدن [من] ^(١) الظلم والفجور، فله السواد والهبول، بمعنى الماهية لكلّ موجود، وكذا المادة، وإن تفاوتت فيها وانقسمت إلى: مادة فلكية أو عنصرية، أو جمادية أو نفسية أو نورانية جبروتية، ففي كلّ بما يناسبه، ولا يخفى ما في كلامه من المخالفة، وفيه أيضاً زيادة على ذلك.

قوله: «والبياض إشارة»... إلى آخره، خطأ كنه، فالمقل الكلّي واحد، ونقول: عقل الكلّ، فالكلّ كشخص واحد، وما سواه من العقول ذرّية له وجزئيات، هي مائة ألف، وأربعة وعشرون ألفاً، أو مائة ألف ألف، أو غير ذلك من العدد، وتختلف بالاعتبار.

وأيضاً قوله بأنّه خلق من نور عظمته وذاته، ضلال بل [-]، فلا مناسبة ذاتية بينها وخلقها، ويلزم انفصالها من الذات بتجزئتها، وكون وجود العقول وجود الله، وكذا بقاؤها، وخارجة عن الخلق، بل عن الإمكان. وهو وأستاذه الملائ الشيرازي قد التزم ذلك.

وصرح في أسرار الآيات ^(٢) والأسفار ^(٣)، وغيرها من كتبه، بأنها موجودة بوجود الله، لا بإيجاده، وباقية ببقاء الله لا بإبقائه، والإمكان تحمله المادة، وهي مجردة.

وقال ملا صدرا في مشاهره: «العقل وما فوقه كلّ الأشياء» ^(٤) بناءً على مذهبه، من أنّ كلّ بسيط الحقيقة كلّ الأشياء، والعقل [عنده بسيط الحقيقة، وكلّه خطأ كما سبق ويأتي، بل ما يكون كلّ الأشياء ليس بسيط الحقيقة، والعقل] ^(٥) بسيط ومجرد بالنسبة لمن دونه، فهو

(١) ليست في «ب».

(٢) «أسرار الآيات» ص ٥٩.

(٣) «الأسفار الأربعة» ج ٦، ص ٢٩٢.

(٤) «كتاب المشاهره» ص ٥، بتفاوت يسير.

(٥) ليست في «ب».

مجرد من المادة الجسمانية والصور، لا من ماهية وصورة، ولا يلزم تكفير من يثبت تجرده، ولا ينافي ما ورد^(١)؛ لا مجرد سوى الله، فالمراد به التجرد المطلق، وتجرد العقل مقيد، فلا منافاة، وليس لغير الله تحقق في ذاته بوجه، حتى اعتباراً، فإن سلم هذا - وهو كذلك - بطل كونه كل الأشياء؛ لإيجاب هذه القضية ذلك، فافهم.

ومنى قلت: موجود^(٢)، سلب عنه شيء، إن لزم منه التركيب، كما زعمه الملا، وهذا أصل شبهته، فهو كل الأشياء.

قلنا: كذلك قولك: «لم يسلب عنه شيء» قيد، فيلزم التركيب، فلا فرق.

نعم، لو قال: موجود مطلق، لم يدل على ما أراد، وهو حق، على أن مقام السلب والإثبات مقام إمكان، ليس هو مقام الذات، وليس الإمكان موهوماً أو اعتبارياً - كما قالوا - والآكثات الممكنات كذلك، بل هو خلق من خلق الله.

قال: «أربعة الأنوار هي وجودات العوالم، على سبيل الكلية، ثم أشخاص الإنسان، خلقت من الإنسان الكلي، فاحمرت الحمرة بنور الأحمر، الذي هو الطبيعة الكلية الإنسانية، وهكذا خلقت جزئيات كل كلى من العوالم من كله، وهذا معنى قوله ﷺ: (نور أحمر منه احمرت الحمرة، ونور أخضر منه اخضرت الخضرة) ... إلى آخره، يعني الأنوار الأربعة، التي هي العوالم الأربعة، علم الله الذي حملته الحملة.

قد علمت أن الفرق بين الحامل وبين المحمول اعتباري، ثم قال ﷺ: (وذلك نور من عظمت) أي ذلك العلم، الذي هو نور الأنوار، نور من ذاته، فإن ذاته الواحدة تشعب إلى الأنوار الأربعة بالمرض، على الترتيب السببي والمسببي، وقال ﷺ: (فبعظمته ونوره أبصر قلوب المؤمنين)».

أقول: إثباته التقسيم والشعب الأربع إلى ذاته تعالى، بناء على ما أصله من قواعد المتصوفة، وعرفت بطلانها، وافهم الأربعة كما عرفناك.

قال: «ولما فرغ ﷺ من بيان قيام العوالم بالأنوار الأربعة، التي تصير ثمانية في العود بالتفصيل، شرع في بيان أن مقيم العوالم هو قلب كل مؤمن كامل من المقرين بإذن الله، فإن كل قلب من المقرين هو الأربعة والثمانية على سبيل الإجمال، لما علمت أن الإنسان

(١) انظر: «بحار الأنوار» ج ١، ص ١٠١، قال فيه: «مع أنه لا يظهر من الأخبار وجود مجرد سوى الله تعالى».

(٢) في «ب»: «وجود».

مجمل الموجودات عمومًا، ومجمل الموجودات وصفاتها خصوصًا، فالعوامل كلها قائمة بالأنوار تفصيلاً، وبالإنسان الكامل إجمالاً، وذكر الجاهلين على تقريب ذكر المقرئين العالمين.

فحامل العرش أشياء بالاعتبار، وشيء واحد في الحقيقة.

والأول: هو الله تعالى في إحاطته على الأشياء.

والثاني هو الأنوار الأربعة في الحقيقة، والثمانية في الوجود.

والثالث: الإنسان الكامل بالإجمال.

وكل منها حامل لعرش الله تعالى، وهو جميع خلقه، فعاد من الإنسان الكامل إلى الأول، بأن حامل العرش هو ذات الله، كما قال ﷺ: (ويعظمته ونوره ابتغى من في السماوات والأرض من جميع خلائقه إليه الوسيلة، بالأعمال المختلفة والأديان المشبهة) .

أقول: مقيم العوامل كلها هي مشيئة الله المفعولية، والحامل لها الحقيقة المحمدية، فهو المقيم للكل، بحسب المادة والصورة، كل في مقامه، ولقلبه قلوب جزئية، وكذا لنفسه وعقله وصورته وصفته، فهو المقيم للعوامل والحامل للعرش الكلي، بأي معنى أخذ، وللجزئيات كل في مقامه. وليس الإجمال عين التفصيل، وكل موجود عرش بوجه، وهي مترتبة، ولا مؤمن كامل في الوجود إلا محمداً وآله على مراتبهم، ويعود لمحمد ﷺ خاصة، ومنه تنفرع الأربعة وتصير ثمانية *بشرح بروزي*

وليس الله وجود الأشياء، وهو الحامل لها بذاته، فذاته وجودها هو الحامل الأولي لها، فهذا قول أهل التصوف الضالين المضلين.

ولا يعود الإنسان الكامل لذات الله، بل لفعالها، وهو مخلوق (واتهن المخلوق إلى مثله والجهاء الطلب إلى شكله) ^(١) كما قال علي ﷺ.

فقوله: «فحامل العرش أشياء بالاعتبار»... إلى آخره، ضلال ظاهر، بل حامله خير، ولكن بأمره وإذنه وعظمته، وهي مخلوقة له، وهو عالم المشيئة، وكما لا [بدء] ^(٢) من الذات، فكذا لا هود لها، ولا نسبة ورابطة بين الله وخلقها.

[نعم، الله الحامل لها بها ويفعله، قال الله: ﴿وَمِنْ آيَاتِهِ أَنْ تَقُومَ السَّمَاءُ وَالْأَرْضُ بِأَمْرِهِ﴾ ^(٣) وعنه ﷺ: (وخلق الخلق بالمشيئة) ^(٤) (و) يمسك الأشياء بعضها ببعض، ويمسك

(١) «شرح العرشية» ج ٣، ص ٣٠١. (٢) في «ب» «بروز».

(٣) «الروم» الآية: ٢٥.

(٤) «الكافي» ج ١، ص ١١٠، باب الإرادة... ح ٤، وفيه: (ثم خلق الأشياء بالمشيئة).

الكل بقدرته^(١) وهي القدرة الفعلية، فتدبر^(٢).

وحملة العرش كثيرة، لا بالاعتبار، بل بالتعدد الوجودي الحقيقي، وتعود إلى الحامل الكلي، وهو مظهر المشيئة الكلية، والوحدة الأمرية الدالة على الأحدية الذاتية، فتأمله، فإنه يكشف عن بطلان قوله.

قال: «الوسيلة بمعنى التقرب، يعني: لما كان لكل من العوالم وجود جزئي، وكل جزئي بالطبع وبالقطرة يقتضي أن يتقرب إلى كنهه، بالوصول إليه، أو إلى ما يقرب منه بالأعمال المختلفة [وهي الرياضات التي من أئمة الطريقة والأديان المختلفة]^(٣) وهي من الأنبياء عليهم السلام».

أقول: الوسيلة ما يتوسل به العامل، بحسب ذاته وفعله وعمله، حتى ينال القرب الفعلي بحسب مقامه، ويظهر منه صفة العبودية وجوهريتها، بحسب الممكن في شأنه، وأصل الوسيلة وحقيقتها لمحمد صلى الله عليه وآله، وبه توجه كل متوجه وتوصل وتقرب كل مرید لله، وكل مخلوق يطلب - بطبعه وفترة وجوده وما خلق لأجله - التقرب إليه تعالى، قرباً إيجابياً وكمالاً وجودياً، مما يمكن له، لا صيرورته الله، فهو محال، إلا عند من أضله الشيطان وأغواه، فيشبهه عليه هنا بذلك، فلا يصل إليه، ولا إلى ما يقربه إليه، بل ولا إلى رتبة من هو أعلى منه رتبة، وجميع الرياضات والأديان من الأنبياء، فتقسيمه باطل.

ويشير بالرياضة وأهل الطريقة إلى أهل التصوف ورياضتهم الشيطانية، وما يستعملونه من الأذكار والأفعال، وتصور الأشباح حال العبادة وأمثالها، وهي معروفة ومعروف ضلالها في كل وقت، فكل ما لم يخرج من الأنبياء فهو باطل وضلال.

قال: «ثم قال: (فكل محمول يحمله الله، بنوره وعظمته وقدرته، لا يستطيع لنفسه ضرراً ولا نفعاً، ولا موتاً ولا حياة ولا نشوراً)، فإن كلاً من الضر والنفع - والموت والحياة والنشر - بالوجود، ووجود كل محمول قائم بالله، وظل له، وتابع لقضائه وقدره بالقدرة والاختيار اللذين هما أيضاً من قضاء الله وقدره، فكل محمول تابع لقضاء الله وقدره، وإن كان من ذوي الإرادة والعلم».

(والله تبارك وتعالى المسك لهما أن تزولا) أي للأرض والسماء (والمحيط بهما من

(١) «التوحيد» ص ٥٨، ح ١٥، وفيه: (وهو يسك الأشياء بأظلتها.. وإنه حامل الأشياء بقدرته)، ص ٤٤٠.

ح ١، وفيه: (إلا الخلق يسك بعضه بعضاً.. والله عز وجل وتقدس بقدرته يسك ذلك كله).

(٢) ليست في «ب».

(٣) ليست في «ب».

شيء) أي من الموجود (وهو تعالى حياة كل شيء ونور كل شيء) لأنَّ الوجود عين الحياة وعين النور؛ لما مرَّ.

أقول: مراده بنور الله وحياته وعظمته - هنا - ذاته الأحدية، فالله يحمل الكل بذاته، ولا يستطيع أحد نفعاً ولا ضرراً؛ لأنه لا يتحقق ذلك إلا بالوجود، وهو محمول لذات الله، بل هو ذاته، فلا يستطيع أحد لفعل من ذلك، وذلك أيضاً باطل وضلال.

وليس المراد بالنور - هنا - والعظمة ذاته الأحدية، ونور الله وعظمته غير ذات الله، والمضاف غير المضاف إليه، وكذا الصفة غير الموصوف، بل المراد به العلم وهو [العرش] ^(١) النوري المذكور أولاً في الحديث، وليس هو ذات الله كما عرفت.

نعم، قائم بها قيام صدور في مقامها، وبه قيام جميع المشاءات قياماً صدورياً وتقويمياً، فإنه ﷺ قال قبل - كما سيأتي - : (وهو العلم الذي حمله الله الحملة، وذلك نور) إلى قوله: (سبحانه وتعالى مما يقولون علواً كبيراً) وستسمعه.

وأقول: سبحانه وتعالى من هذا القول الموجب للتشبيه، فهو أخذ بظاهر بعض ألفاظ الحديث، وأعرض عما قبل وبعده، وعن باقي النصوص والأدلة العقلية.

قال: «ثم قال ﷺ: (فالكرسي محيط بالسموات والأرض) وكثيراً ما يطلق الكرسي ويراد منه الفلك الثامن، وقد يطلق بمعنى الفلك الأول الذي أطلق عليه العرش، ويمكن أن يراد منه الإنسان الكامل، فإنه كرسي الله تعالى، كما قال تعالى: (لا يسعني أرضي ولا سمائي ولكن يسعني قلب عبدي المؤمن) ووسع سماوات العلويات وأرض السفليات.

(وإن تجهر بالقول) بالاختيار (فإنه يعلم السر وأخفى) وإذا غلب على السالك حال لا يمكن أن يضبط نفسه، فيجهر بالقول بلا اختيار، فهو معذور.

أقول: الفلك الثامن كرسي مقابل العرش، بمعنى الفلك الأول، وباطن كل يقابله باطن الآخر، ويطلق الكرسي بمعنى غير الفلك الثامن، في الروايات كثيراً، ولا يطلق بمعنى العرش، ولا يدل عليه إحاطته بالسموات والأرض، وكذا ما استمع من النص: (إن كل شيء في الكرسي) ^(٢) فإن ﴿وسيع﴾ ^(٣) بمعنى لا ينافيه أفضلية العرش وإحاطته حتى

(١) في «العلم».

(٢) «الكافي» ج ١، ص ١٣٢، ح ٣ بنفاوت يسير، ح ٥، وسيأتي لفظها في ح ٥، ٣، من هذا الباب.

(٣) «البقرة» الآية: ٢٥٥.

بالكرسي، ولا يراد من أحدهما الآخر. وليس الإنسان الكامل كرسى الله، سبحانه وتعالى عن قول المشبهة.

نعم، هو محل ظهور فعله والحامل له بأمره، لا محل استواء ذاته، وانظر تحريف معنى الآية، وردها إلى إرادة ما تفوه به ألسن أهل التصوف من الأقوال الضالة، بل من أقوال الكفر، كما سمعت من قوله: العرش ذات الله، وهي الحاملة للأشياء ووجودها وجوده، وقولهم: «أنا الله من غير أنا»^(١) وأمثالها، ولا عذر له في ذلك، ولو صحَّ وصدق صدق قوله، فقوله وعذره لهم ضلال كما أوضحناه متفرقاً. وأسقط بعض الحديث هنا، ولم يتكلم عليه، وعلى شرحه له ظاهر مع بطلانه.

قال: «ثم قال ﷺ: (فالذين يحملون العرش هم العلماء الذين حملهم الله علمه) وفي هذا القول رجع ﷺ إلى حمل الإنسان الكامل العوالم، وقد علمت أن العلم التفصيلي وجودات الأشياء، وحامل علمه تفصيلاً هو أجزاء العالم، وإجمالاً هم الكمل من الناس، وكلُّ كامل ليس بخارج عن الأنوار الأربعة بشيء، فإنه جعل الأنوار، كما أن أجزاء العالم تفصيل الأنوار، فكذلك الإنسان يحمل الأنوار.

وخلق الله العالم أو الإنسان الكامل من ملكوت السماوات والأرض، وقد مرَّ معنى الملكوت، من أنه حقائق أرضه وسماؤه، ولما رأى إبراهيم الملكوت صار علمه حضورياً، فيكون من الموقنين؛ لأن الإيقان علم حضوري».

أقول: بل لما بين ﷺ أولاً أن النور الأبيض العلم، وهو الذي حملته الحملته، ووصفه بما قال، ونزه الله، وسأله الجائليق وأجابته، رجع ﷺ إلى بيان الحامل للعرش، حيث لم يعينه أولاً ظاهراً، فقال هنا: إن العلماء هم الحملة للعرش، وهم الذين حملتهم علمه - كما عرفت - إجمالاً وتفصيلاً.

والمراد بالعلماء: محمد وآله المعصومون على مراتبهم ﷺ، وكلُّ شيء لا يخرج عن علمه، مجرد أو مادي، جزئي أو كلي، ذاتي أو عرضي، وهم الحملة لجميع ذلك، كلُّ بحسب مقام وجوده، هذا جملة الخلق، وفي هذا مخالفة ظاهرة لما قال.

ولو قال في الإنسان الكامل وظهور الله فيه وتحمله ما عرفت - وكذا في ظهور الله في

(١) نسبه صاحب «جوامع الكلم» في الرسالة الرشدية، ص ٦٩، إلى ابن عربي، وفيه: «أنا الله بلا أنا».

الأشياء ووجودها - لأصاب الحق .

وملكوت الأشياء: عالم الصور، وأوله الأرواح، وأوسطه النفوس، وآخره الأشباح، ودونها المواد، وفي قوله: «حقائق أرضه وسماؤه»، إجمال ظاهر، وإبراهيم أري ملكوت السماوات والأرض، واليقين قد يحصل بدون حضور المعلوم .

قال: «ثم قال ﷺ: (كيف يحمل حملة العرش الله) فرجع ﷺ عن قوله الأول، بأن حامل العرش هو الإنسان الكامل، أو وجودات العوالم تفصيلاً، يعني: كيف يحمل العرش حملة، مع أنهم حياتهم بحياته واهتدوا بنوره؟ بل الحامل حقيقة هو الذات الأحد الصمد ﴿لَمْ يَلِدْ وَلَمْ يُولَدْ * وَلَمْ يَكُنْ لَهُ كُفُوًا أَحَدٌ﴾ . والحملة المذكورة حملة بظهوره تعالى، وبحوله وقوته، لا حول ولا قوة إلا بالله العلي العظيم» انتهى .

أقول: لا رجوع في كلامه عما سبق بوجه، بل تقرير له وتأكيد، فإنه هنا نفى كون العرش حاملاً لله، واستدل عليه بقوله ﷺ: (وبحياته حبيت قلوبهم) وهي حياة مخلوقة حادثة، أحدثها الله فيهم بأمره، وكذا هدايتهم بنوره، وهو الوجود المفاض منه لهم، وبما ألقى في هويتهم فعرفوه، وإذا كان حالهم في الافتقار إليه والمصنوعية كذلك، كيف يحمله العرش؟ وهو يوجب الفقر والحاجة، سواء كان كحمل الجوهر للعرض، أو الماهية للوجود أو بالعكس، أو اللزوم بالملزوم أو بالعكس، أو المتقوم بالمقوم أو بالعكس .

وإذا بطل ذلك كان الله الحامل للعرش، بما حمّله إياه، وهم العلماء - كما عرفت - لا ذاته، والآحاد إحدى المحذورات السابقة، من حمل غيره له تعالى، فيصح حمل العرش له، وغيرها من المفاسد . ومن هذا يظهر لك أنه لا هدى في كلامه، بل ضلال جميعه، فذرهم وما يفترون .

وللملا الشيرازي في شرح الحديث كلام طويل، فرّقه في عشرة فصول، وصوابه قليل، ظاهري وإجمالي، ولنذكر بعضه متفرقاً خلال الحديث .

قال: «الأول: أنه تعالى حامل كل شيء؛ لأن الجائليق لما سأله: إنه تعالى يحمل العرش أم العرش يحمله؟ أجابه ﷺ، بأن الله حامل العرش والسماوات والأرض وما بينهما وما فيهما، واحتج عليه بقوله تعالى: ﴿إِنَّ اللَّهَ يُمْسِكُ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضَ﴾ الآية (١) .

وبيان ذلك: أن حامل كل شيء ما يقوم به ذلك الشيء، سواء كان بواسطة أو بغيرها، والقيام بالواسطة هو أن يكون الشيء قائماً بشيء قائم بآخر، والقائم بالقائم بالشيء قائم بذلك الشيء، ولا بد من الانتهاء إلى ما يقوم بنفسه لا بغيره، وألا لزم التسلسل وهو محال ثم ذكر بعض ما استدلل به على إبطال التسلسل، مما ذكره القوم.

ثم قال: «ثم إن حاجة الشيء إلى فاعله وموجده أكد من حاجته إلى قابله وموضعه؛ لأن نسبة إلى الفاعل نسبة الوجوب، ونسبته إلى القابل نسبة الإمكان، ولا شبهة أن الوجوب أوثق من الإمكان، بل لا وثوق في الإمكان».

ثم لا شك أن البارئ فاعل جميع الممكنات؛ لإثبات توحيده، ونفي الشريك في الإلهية، فإذا جميع المخلوقات - من العرش والسموات والأرض، وما فيهما وما بينهما - قائم به، وهو حاملها وحافظها وممسكها، كما قال الله تعالى: ﴿إِنَّ اللَّهَ يُخْبِكُ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ﴾ الآية، وقوله: ﴿وَلَا يُؤْوِدُنَّ حِفْظُهُمَا﴾^(١) انتهى.

أقول: أما كون الله حامل كل شيء وحافظه، والقائم على الأشياء، فمما لا شك فيه عند عاقل، والنص والقرآن والعقل صريحة في ذلك، وأما الكلام في معنى هذا الحفظ والحمل، هل إمساكه لها وحفظها بذاته؟ فهي ظاهرة ومتعينة بها - فهي حدود قائمة بذاته، فهو كل الوجود - أو بما هي ثابتة في خيب الذات، أو بالصورة العلمية والأعيان الثابتة عنده، ونحو ذلك من أقوال أهل التصرف وأمثالهم، وكلها ضلال.

وظاهر الملام - في غير موضع - أن للذات لوازم، وقيامها بها قيام ركني؛ لأن عنده أن بسيط الحقيقة كل الوجود، فكل وجود حاصل له في مرتبته، وهذا باطل من وجوه، نعوذ بالله من اعتقاده.

بل قيام الأشياء به قيام صدور، بما ظهر لها بفعله، وبآثار الدلالة والإمداد بفعله، مما لا نهاية له، فهو الحافظ والقائم، حفظ وقيام فعلي، لا بذاته، وهو المراد من قوله تعالى: ﴿إِنَّ اللَّهَ يُخْبِكُ﴾ الآية ﴿وَلَا يُؤْوِدُنَّ حِفْظُهُمَا﴾ ولذا قال: ﴿وَيُزِيلُ سَلْيَكُمْ حَفِظَةً﴾^(٢)

(١) «البقرة» الآية: ٢٥٥.

(٢) «شرح أصول الكافي» ج ٣، ص ٣٢٢ - ٣٢٣، بتفاوت، صححناه على المصدر.

(٣) «الأنعام» الآية: ٦١.

وقال علي عليه السلام: (يمسك الأشياء بأظلفتها) ^(١) وهي حقائقها بوجهها من أمره، وقال عليه السلام: (كل شيء بأمره قائم) ^(٢) قال الله: ﴿وَمِنْ آيَاتِهِ أَنْ تَقُومَ السَّمَاءُ وَالْأَرْضُ بِأَمْرِهِ﴾ ^(٣) ونحوه كثير، وهو صريح الدلالة على ما قلناه.

ثم نقول: ليس الأصل في إثبات الواجب لزوم التسلسل أو الدور، فبطلانهما دليل على وجوب وجوده، وكيف يكون الأمر كذلك؟ كما يشير إليه بعض، ويدور على لسان كثير من أهل النظر وغيرهم، والله ثابت بحقيقته، وبما دل على ذاته، والأشياء تدل بفطرها، وبجميع [أنحاء] ^(٤) وجودها وأحوالها. وإبطال الدور والتسلسل - بل وتصورها - إنما هو من بعض شبه الشياطين، وليس هي بداخلة في الدليل، ولا لازمة، ولا متوقفة عليها بوجه، فهي من قبيل ردّ الشبهة، ولهذا يستدل على وجود الله بعدة أدلة، ليس لهما دخل فيه، كما سبق في المجلد الثالث، فانهم.

قوله: «ثم إن حاجة الشيء إلى فاعله»... إلى آخره، ليس للمعلول جهة وجوب في ذات الفاعل قبل تحققه الإمكان، وهو فيه موجود وشيء، وإن كان ممكناً، ولا نسبة له إلى القابل، فالقابلية مجعولة، وكذا الإمكان مخلوق، ليس له من نفسه، لا بحسب القدم - ولا قديم سواء تعالى - ولا بحسب المتغيرة والاعتبار، وما سواء حادث مخلوق، هيئاً أو اعتباراً، فلا اقتضاء له من ذاته، بل وجوبه وعدمه بالغير، وكلامهم في الإمكان والوجوب والامتناع ما أصابوا الحق فيه، كما أوضحناه في محل آخر.

قوله: «ثم لا شك»... إلى آخره، هو فاعل لجميع الممكنات، وكذا لا شريك له في الذات والصفات والأفعال والعبادة، لكن ليس كما يعنونه من التوحيد الوجودي والصفاتي والأفعالي، فإنه يبطله ويثبت الجبر، وأنه لا فعل ووجود وصفة لغيره، وما لغيره اعتبارات ولوازم الأعيان، ظهرت عرضاً بالذات - كما سبق بيانه مع بطلانه، وسيأتي في المجلد السابع - وعرفت معنى حمله وحفظه وإمساكه وبأني، وأنه ليس كما يقول من القيام بالذات، فهو محال.

(١) «الكافي» ج ١، ص ٩١، باب النسبة، ح ٢، والإسناد فيه عن الإمام الصادق عليه السلام.

(٢) «نهج البلاغة» الخطبة: ١٠٩، وفيه: (وكل شيء قائم به)، وفي «البلد الأمين» ص ٩٧: (كل شيء سواء قام بأمره).

(٣) «الروم» الآية: ٢٥.

(٤) في «أ»: «اتحاد».

نعم، قائمة بأمره، كما قال علي عليه السلام في بعض خطبه، وغيره منهم عليه السلام، قال الله: ﴿وَمِنْ آيَاتِهِ أَنْ تَقُومَ السَّمَاءُ وَالْأَرْضُ بِأَمْرِهِ﴾ وأمره مشيئته وفعله، والقيام به قيام صدوري بوجه، [وركني] ^(١) بوجه آخر، والكل قائم بالله صدوراً بما ظهر له به في رتبة الظهور - بلا كيف ولا أين ولا كم - لا في مقام الذات، فتدبر.

معنى حمل الشيء وأقسامه

ثم نرجع ونقول: حمل الشيء لآخر، إما حمل حرفي، بإلقاء ثقل أحد الشيئين على الآخر، كما يقع بين المتباينين، أو بما يكون بينهما من ممازجة ومداخلة بوجه، ويكون بينهما تقوّم وجودي وافتقار فيه ولو بحسب الظهور، وهو أقسام:

القسم الأول: القيام الصدوري، كالمعلول بعنته، والكلام بالمتكلم، والأشعة بالمنير، وأمثال ذلك بالنسبة إلى كل أثر ومؤثره.

القسم الثاني: قيام العضدي، أو نقول: الركني، وهو داخل في حقيقة الآخر، وإن لم يعدم أصلاً، أو قل: قيام تحقيقي، كقيام المركّب بأجزائه، أو قيام بعض أجزائه ببعض آخر من حيث التركيب.

القسم الثالث: ^(٢) قيام لزومي، كقيام لوازم الماهية أو الوجود بأحدهما.

القسم الرابع: ^(٣) قيام عروضي، كقيام الهيئات بمحالتها وموضوعاتها، من الألوان والكيفيات والكميات، من الأبعاد الثلاثة، وغيرها من الأعراض.

القسم الخامس: ^(٤) قيام وحمل ظهوري، وهو ظهور ذات المعالي بالسافل، وقيام الأعراض وتجوهرها بجواهرها، وإليها منتهاها، ولذا لا يصح إطلاق اسم الجوهر على الله تعالى، إذ لا ينتهي شيء إلى ذاته، ولا يتجوهر ويتحقق بها، وهو أيضاً - بحسب حدّه - لا يصدق على الله، فإنه ماهية إذا وجدت كانت في غير موضوع، ففيه جهة قبول ومقابلة.

ولا يصح أيضاً أن تقول: جوهر لا كالجواهر، فإنه يوجب الشركة، ولو بحسب المفهوم الكلّي الحسي، فتشمله أحكامه، وليس كذلك.

وجميع هذه الأنواع لا تحقق لها بالنسبة إليه تعالى، إذ لا افتقار له ذاتي لغيره ولا

(١) في «أ»: «وركن».

(٢) في «ب»: «الثالث».

(٣) ليست في «ب».

(٤) في «ب»: «الرابع».

هرضي، وليس بمركب، و[غني] (١) ذاتي، ولم يتقل عنه، ولا مماسه أو مداخلة بينه وغيره، وأين الأثر من مؤثره؟ ولا هلة له ولا مناسبة بينه وخلقه، ولا يحلّ به غيره، ولا ينزل بذاته لغيره، ولا بالعكس.

كيف وهو إنما تعرّف لخلقه بصفة الدلالة، بقدر ما يمكن في ذواتهم من الكمال والتنزيه، لا بقدر حقيقته، وبحسبها منزّه عن جميع ذلك، فظهر لهم بهم ليعرفوه بالكمال كذلك، ويعرفوا نقصهم وتنزيهه عنه تعالى، قال علي عليه السلام: (كمال توحيد نفي الصفات عنه) (٢).

وفي بعض مناجاة زين العابدين: (علي أن ذكري لك بقدري لا بقدرك) (٣).

ومن الباقر عليه السلام: (ولعل النمل الصغار تتوهم أن الله تعالى زبائنين) (٤).

قال الله: ﴿ وَفِي الْمَثَلِ الْأَعْلَى ﴾ (٥) وهو له ملكاً لا إحاطة ومطابقة؛ لأنه دال، وقال عليه السلام:

(كُلُّ مَا مَيَّزْتُمُوهُ بِأَوْهَامِكُمْ، فِي أَدَقِّ مَعَانِيهِ، مَخْلُوقٌ مَصْنُوعٌ مِثْلَكُمْ مَرْدُودٌ إِلَيْكُمْ) الحديث (٦).

ومن علي عليه السلام: (انتهى المخلوق إلى مثله) (٧) وهو متواتر عقلاً ونقلاً.

فجميع هذه الأنواع منزّه عنها، وكذا غيره لا يقوم به تعالى، إلا قيام صدور بما تجلّى لها بها، وقيام ظهوري كظهور العالي بالسافل، بما ظهر له به، وهو قيام توصيف تعريفي، لا قيام ذاتي. وبطل حينئذ قول الملا وأشباهه من إثبات لوازم لذاته تعالى، أو ثبوت الأشياء في الأزل، أو كونه كلّ الوجود، أو مادة للأشياء، أو حدود التعينات الإمكانية قائمة بذاته، أو تشمله وغيره المفهومات، ونحو هذه من أقوال أهل التصوّف، وكذا أقوال العامة - من استقراره على العرش وأنه مباين - إلى غير هذه الأقوال الموجبة للكفر أو الضلال. والعالي إذا كان قيامه ظهورياً ليس هو بذاته، بل بما ظهر له به، فتدبّر.

واعلم أن هذا الجائليق قدم المدينة مع مائة من عظماء النصارى، لما سمعوا

(١) في «أ»: «عين».

(٢) «نهج البلاغة» الخطبة: ١، وفيها: (وكمال توحيد الإخلاص له، وكمال الإخلاص له نفي الصفات عنه).

(٣) «الصحيفة السجادية الكاملة» ص ٣٢٦، «بهار الأنوار» ج ٩١، ص ١٥١.

(٤) «الأربعون حديثاً» للبهائي ص ٨١، صححناه على المصدر.

(٥) «النحل» الآية: ٦٠.

(٦) «الأربعون حديثاً» للبهائي ص ٨١، صححناه على المصدر.

(٧) «شرح المرشدة» ج ٣، ص ٣٠١.

بالاختلاف بعد موت محمد ﷺ، فجازوا لاستكشاف الحق، فلمّا دخلوا المسجد وجدوا المنافقين فأفحموهم بالمسائل، وكان سلمان حاضراً، فأسرع لعلي عليه السلام، فجاه وقد تظاهروا عليهم، فوجههم نحوه، فسألوه بمسائل عديدة، منها هذه وغيرها، وأسلموا جميعاً ورجعوا. ومسائلهم توجد متفرقة في التوحيد^(١) والأصول^(٢)، وكلها مجموعة في إرشاد القلوب^(٣) بقصة عجيبة، من أرادها فليراجع.

وليس المراد بكونه تعالى حاملاً المعنى اللغوي، لبطلانه في شأنه تعالى بديهياً، بل بمعنى الحافظ والكافي الممد.

لَمْ استدل عليه السلام على الجائليق بالآية، لوجود معناها في كتبهم، مع علمهم ﷺ بشدة اطلاع الجائليق، فلا يرد كيف يستدل عليهم بالقرآن، وهو نصراني؟ ولذا لم يردّه الجائليق بأن هذا من كتبكم ولا يلزمي، أو لكونه مسترشداً منصفاً، ولا ينبغي إنكار الكلام - ولو من كتاب آخر - بمجرد كونه من ملة أخرى، بل ينظر ويستقصي، وهكذا الإنصاف وتجنب الاعتساف، مع احتمالها على البرهان.

وفي الآية نكتة، وهي أنّ المقام مقام قهر، فكان المناسب أنه كان قاهراً أو عظيماً، إذ ليس المقام مقام عفو، حتى يقال: إنه كان حليماً غفوراً، فنقول: إمساك السماء بقهره، وهو القاهر، دل عليه بقوله تعالى: ﴿إِنَّ اللَّهَ يُمَسِّكُ السَّمَوَاتِ﴾^(٤).

فربما يتصور من قوله: ﴿وَلَكِنَّ زَالَتَا﴾ - إن أريد به التغيير في الصفة - أن المعاصي ظاهرة، وهي زوال عن طاعته التي في سلوك سبيله، وهي موجودة، فإذا هي زائلة وممسكة، ففي الوجود ممسك آخر.

دفعه بأنه حليم غفور لعباده، فهو يمهّل ويمسك بعفوه وحلمه على عباده، ﴿وَلَوْ يَتَوَخَّأُ اللَّهُ النَّاسَ بِظُلْمِهِمْ مَا تَرَكَ عَلَيْهَا مِنْ دَابَّةٍ﴾^(٥)، لأن قهره ليس بالغلبة، بل هو أجل منها، ولأنه كان عاجزاً، فهو لا ينافي الاختيار.

وحينئذ يمكن وجه آخر، وهو أنه لما وصفه بالقهر، ربما يتوهم الجاهل أنه قهر غلبة واحتيال، كقاهرة الممكن.

(١) «التوحيد» ص ١٨٢، ح ١١٦، ص ٢٨٦، ح ٤، ص ٣١٦، ح ٣.

(٢) «الكافي» ج ١، ص ١٢٩، ح ١. (٣) «إرشاد القلوب» ج ٢، ص ٢٩٩.

(٤) «فاطر» الآية: ٤١. (٥) «النحل» الآية: ٦٦.

فدفعه بأنها ليست كذلك؛ لأنه كان حليماً غفوراً، وهذه القاهرة تنافيهما، بل من أتصف بها ليس كذلك، بل ظالم.

ووجه آخر بالنظر إلى الآية أو سورتها، وهو أن العاصين له والمنكرين كثيرين، فيناسبهم الزوال، أي فناؤهم وعدم وجودهم، فوصف بأنه حليم غفور فلا ينافي، إذ لا تضره المعصية ولا تنفعه الطاعة، وهذا العفو والحلم لا ينافي تخليد بعض، كما استعرفه آخر الأبواب.

وما تضمنه كلامه ﷺ والآية من ﴿ إِنَّ اللَّهَ يُنْفِكُ السَّمَوَاتِ ﴾ ... إلى آخره، عن الزوال الدال صريحاً على احتياج الممكن - حال وجوده في وجوده - إلى الجاهل، كالحال في إيجاده أولاً بلا فرق، مما تواتر نقله في أحاديثهم، ودل عليه القرآن. وفي نهج البلاغة: (كل شيء خاشع له، وكل شيء قائم به) (١).

وفي خطبة علي عليه السلام: (قائم بأمره) (٢) وهو مستكن الضمير، وكالآيات الدالة على أنه تعالى الحافظ، ولا ينافيه: ﴿ وَيُزِيلُ عَلَيْكُمُ حَقْلَهُ ﴾ (٣) كما سينكشف لك، ومرر لك في باب النسبة (٤) نص في ذلك أيضاً.

وعلى ذلك جميع الأنبياء والمرسلين، والحكماء والمتألهين، ولم يخالف في ذلك إلا المتكلمون، فقالوا بعدم الاحتياج بعد إحداث الله تعالى له، وكيف يستغني الممكن في آن ما عن هلته، وطبعه الافتقار لا بصفة تلحقه، سواء كانت الإمكان أو الحدوث؟

فإن قيل: بصفة الإمكان والحدوث، فهو لازم ذاتي له لا ينفك، وإلا لم يتحقق الافتقار الذاتي، فلا ينفع الفرق بين كون هلة الحاجة الإمكان أو الحدوث، وتفريع ذلك عليه، فإن الحدوث بمعنى كونه محدثاً أو ممكناً، وذلك بحقيقته، بل هي نفسها بلا فرق ولا ثمرة، وإن اشتهر في كتب الجدليين خلافه.

ثم وكيف يُتصور استغناؤه بعد وجوده؟ وهذا الوجود الحاصل له وجود تعلق غيري، فهو ضروري للذات بشرط، فلا يتم شرط الاستغناء، إلا بفرض هذا الوجود مستغنياً غير معلول، وهو خلاف العقل والنقل والإجماع، فهو مفتقر إليه حال وجوده.

(١) «نهج البلاغة» الخطبة: ١٠٩.

(٢) ورد في دعاء ليوم السبت: (كل شيء سواك قام بأمرك)، «البلد الأمين» ص ٩٧.

(٣) «الأنعام» الآية: ٦١. (٤) «هدي العقول» ج ٤، الباب السابع، ح ٢.

ولا يلزم تحصيل الحاصل؛ لأن الافتقار تحصيله [بنفس] (١) ذلك الحاصل، فلا يلزم تحصيل [الحاصل] (٢) المحال، مع أننا لم نقل: وجوده متكّم منفصل، بل [نفس] (٣) ذلك الوجود تعلقي، فلا يمكن فرض تماميته أولاً، وذلك ظاهر لذي البصيرة النورية، فإنه منشأ توهمهم الذي أرداهم، فلو فرض زوال السبب زال ما به، وإلا لم يكن سبباً أصلاً، هذا خلف. وأيضاً بقاء الممكن بإبقاء الله ومدده، لا انقطاع له، فلا غناء له، وإلا استغنى عن المدد وانتهى، فينتهي الله، وهو محال.

وبالجملة: فالقول بعدم الاستغناء بديهي، إلا أن يقال بالانقلاب حتى يمكن فرض انقطاع التعلق، والقول بأنه إنما حاجته إلى استمرار البقاء، وهو عدم طرؤ الغناء، إن أريد طرؤ عدم فهو لا يصح للمعلولية، وإن أريد باستمرار الوجود الأول، فإما بطرؤ وجود ثانٍ، فهو إعدام وإيجاد، أو [بإمداد] (٤) الأول، فهو بذاته مفتقر، فلا غنى بوجه أصلاً. على أننا نقول: الاستمرار بأمر وجودي لا عدم الطرؤ، وهو عدم مقيد لا مطلق، فيعود لما نقول.

قال السيد الداماد في الأفق المبين: «اعلم أنه إذا كان شيء من الأشياء باطل الذات، ثم تقرر بسبب ما، فالذي منه ذاتاً نفس هذه الذات؛ إذ تجوهرها إنما هو لكون الفاعل على جهة وجبت عنه ذات غير ذاته، وأما أنها كانت باطلة فليس من تلقاء الفاعل، فينسب البطلان إلى عدم علّة التجوهر، فهناك ذات وبطلان، وصفة محمولة على تلك الذات، وهي كون الذات بعد البطلان، فالبطلان من عدم العلّة، والذات من تلقاء الجاعل، وكون الذات بعد البطلان من قبل جوهر الذات، إذ سبق البطلان لا يتعلّق بالفاعل تعلّق الذات به، حتى تكون هذه الذات موصوفة بأنها بعد البطلان بفاعل تلك الموصوفية، وذلك لأنّ الذات لما كانت جائزة كانت من جاعل بديهة.

وأما سبقها بالبطلان فليس وصفاً جائزاً بالنظر إلى الذات، بل وصف واجب لها بذاتها، إذ يمتنع أن تكون هذه الذات هذه، ولا يسبقها البطلان، امتنع أن يكون هو للذات بفعل فاعل، بل من جوهر الذات، فإذا ظننت أنه من الأوصاف الجائزة، قيل لك: أهذه الذات بما هي تلك جائزة غير ضرورية فلا مدخل لسبق البطلان، بل هي في نفسها غير ضرورية،

(٢) ليست في «ب».

(١) في «أ»: «بني».

(٤) في النسختين: «بإمرار».

(٣) في «أ»: «نبي».

وليست لا ضرورتها من حيث هي بعد البطلان.

نعم، إنما اتفق من جهة خصوصية الذات أن يسبقها البطلان، وهي في غير ضرورية، أو أن جوازها بما هي بعد البطلان، وحينئذ تكون لم تأب في نفسها أن لا يسبقها البطلان، ولا يكون من شرطها أن تصدر عن غيره من بعد البطلان، فيكون تعلقها بذلك الغير من حيث إنها في نفسها ذات جائزة لا واجبة، فتعلق به ما دامت هذه الذات، فصنع الفاعل نفس الذات، ثم هي بنفسها موصوفة بهذا الوصف، كما الجسم متعلق بالعلّة، وبنفسه موصوف بلزوم الانقطاع، الذي به مطلق التناهي، لا تمين امتداد بخصوصه، فإنه بأسباب خارجة عن طبيعة الجسم بما هو جسم.

فإذن تعلق الذات من حيث هي جائزة، لا من حيث هي ذات مسبقة بالبطلان، أي من حيث هي حادثة، فلا إمكان للذات بعد البطلان من حيث هي بعد البطلان، وإنما هو لها بما هي ذات فحسب، وإن كان بعد البطلان باقتضاء هويتها.

ولا امتناع لها أيضاً من تلك الحيثية؛ لغرض تقرّرها بها، فلا وجوب بتلك الحيثية باقتضاء خصوصية الذات المتقرّرة، فحق أن ذات الحادث جائزة القوام والبطلان، وإن عرض لها بحسب اقتضاء هويتها من جهة أخرى؛ إذ ليس يصحّ تقرّرها وقوامها إلا بعد البطلان، وليس بحق أن ذاتها بذاتها جائزة التقرّر بعد البطلان، والتقرّر لا بعد البطلان، بل على وصف الدوام، فإن التقرّر لا بعد البطلان ممتنع، بالنظر إلى استحقاق جوهرها، وهذا متأب في أنحاء الحدوث جميعاً^(١).

إلى أن قال: «فاستبان أن تأثير الجاهل إفادة نفس الذات بما هي هي، فإذا استمر هذا التأثير استمرت، وإذا أثبت بطلت بطلانها، الذي هو شأنها أولاً وأبداً، وتأثيره - سواء كان في الذات الحادثة أو المستمرة - إنما هو في نفس الذات الموصوفة بالحدوث، أو الاستمرار بما هي ذات، لا في قيدي الحدوث والاستمرار، ولا فيها بما هي موصوفة بهما، والذات بما هي الذات مفتقرة إلى جاعل ينشئها، وإن استمرت إنما هو باستمرار الجعل من تلقائه، فالوجود بما هو أيس من الجاهل، واستمراره باستمرار التأيس واستمرارها يستتبع الأيس واستمرارها، فلا يتصور ثباتها، وألا ليس مستغنياً عن ثبات التذويت؛ ولأن

(١) «الألق المبين» مخطوط، برقم ٣٦٠٥، الورقة: ١٢١ - ١٢٢، صححناه على المصدر.

تصوّر كان مستغنياً عن جاهل التدويع، وذلك شأن واجب التقرّر بالذات، فليس استقرار التأيس مُغني الذات الفاقرة»^(١).

ثم قال: «ولو مُوشِي مع المستنكر، وقيل: هلّة التعلّق كون المجهول مسبقاً بالبطلان . قلنا: هذا لا ينسلخ عن الذات، ما دامت في عالم التقرّر، فلمْ أنكروا تعلّقها بالجاهل ما دامت متقرّرة؟

تنبيه تلخيصي: دريت أنّ الذات المستفادة من الغير كونها متعلّقة به مقوم، كما أنّ الاستغناء عنه مقوم الواجب الذات، والمقوم لها لا ينسلخ ولا يفارق، فإن كانت من جاهل فالحاجة مقومة، فلا يستمر المحتاج غير محتاج، كحال الواجب، وإلا انقلبت . فافتقارها - أولاً وأخيراً - واحد، فلو فرض انصرام الفيض لم يبق العالم، وعليك بمثال الشمس والضوء وزواله عن المحجوب .

ونفس الذات هنا بمثابة الضوء الواقع، ولكن الواجب لا يقاس بالغير، إذ العقل ظلمة بالنسبة له، وقد نبّهناك أنّ اتصال الإفاضة أنا فأنّما نعني به أنّه عزّ مجده يفعل الذات مرة واحدة في الزمان الشخصي، الذي هو رهاه تقرّرها، فإذا حلّله العقل إلى أزمنته وآناته صارت تلك الإفاضة الواحدة بعينها مستمرة في جميع تلك الأزمان والأحيان، مختلفة النسبة، فهي بالنسبة له واحدة، وبحسب تخلّل الزمان متكرّرة الإضافات إلى الأحيان المتكرّرة عند الوهم»^(٢) انتهى ملخصاً مختصراً.

أقول: وفيه تدارك من وجوه، لبنائه على قواعد اعتبارية ممنومة، لكن المدّعى - وهو عدم الاستغناء - حقّ، فلنمرض عنه اختصاراً واستعجالاً، فتدبّر.

رجم شياطين

حاد قوم عن مقتضى الفطرة، وتمسّكوا بالظنون المغرّرة، فقالوا^(٣): إنّ الحوادث بعد حدوثه مستغن عن المؤثر، وألّا تأثيره في إحدائه، أمّا بعد تكّمه فهو مستغن، حتى لو فرض - والعياذ بالله - رفع الواجب تعالى بقي العالم، كما صرح به جمع من أشباه الناس،

(١) «الأفق المبين» مخطوط، الورقة: ١٢٣، صحفنا حل المصدر.

(٢) «الأفق المبين» مخطوط، الورقة: ١٢٤، صحفنا حل المصدر.

(٣) انظر: «الأسفار الأربعة» ج ١، ص ١٢٢٠، ج ٢، ص ٢١٤.

وهم أحط من النسناس^(١).

والباعث لهم لما انعكست أفكارهم بما يشاهدون، من بقاء البناء والكتابة بعد البناء والكتابة، والمضي في القرار بعد فناء الإنسان الممضي، توهموا أيضاً بأن [جعل] (٢) المجمعول وإيجاد الموجود تحصيل للحاصل، وبأن المجمعول الموجود لو كان بعد حدوث التقرّر والوجود [باقياً على الافتقار إلى الجاهل الموجود، كان الافتقار في أصل التقرّر والوجود] (٣)، فإذا نكل واقع في الوجود مفتقر، حتى فاعل الكلّ فيتسلسل.

ومن فضلائهم مذمومة هذه الأباطيل وحرف هذه الأقاويل، بل الأعراض غير باقية، والجواهر محتاجة لها بتواتر الأمثال وغيرها، ومنها: البقاء، فلم تزل الحاجة مطلقاً بعد البقاء، وأنت قد عرفت أن جاعلية الجاهل ليس بمتعلق بصفة لاحقة للذات، ولا أن المجمعولية غير ترتب آثار الذات وتذويتها، وليس الجعل بمشروط بوقوع المصنوع في العدم، بل [تعلقه] (٤) بالوجود بذلك الوجود، فلا تحصيل حاصل، وإن لوحظ العدم فهو ذاتي له لا ينفك، فالمعلول أثر تعلقه بفعل الفاعل، ولا استقلال له مطلقاً، إذ لا تكتم له تكماً انفكاً كياً واقعياً، وإن لزمه العدم الذاتي.

أما ما شبهوا به من البناء، وباقى الأمثلة الظنية، فهو أخذ ما ظن أنه حلة مكانها، وليس هو بها، كيف وحلة كل جسم - ولو بالآخرة - إنما هو جوهر عقلي !!

فالبناء سبب لتحريك أجزاء البيت إلى أوضاع تحصل صورة البيت، وانتهاء تلك الحركة للاجتماع، والاجتماع حلة لشكل ما. وحافظ تلك الأجزاء على ذلك الشكل طبائعها، الذي يحفظ بها تلك الأجزاء أماكنها، أو ملك موكل، وأيضاً الموانع التي تمنع الأجزاء عن الحركة إلى أماكنها الطبيعية، كالأعمدة والأساطين، فكل حلة مع معلولها، فإذا فقد البناء من حيث هو بناء ومحرك، فقدت الحركة، وفقدانها نفس انتهائها، وهو حلة للاجتماع الأجزاء، واجتماعها كذلك حلة لحفظ بعض مكانها الطبيعي، ومنع بعض الآخر عنه.

وكذا الأب الممضي حلة للعرض للابن، فإنه حلة لتحريك المضي إلى القرار، وهكذا مفيد الصورة، واهب الصور، وكذا النار تبطل برودة الماء. ثم وحدوث السخونة واستحالة الماء

(١) «النسناس والنسناس: خلق في صورة الناس مشتق منه، لضمف خلقهم. انظر: «لسان العرب» ج ١٤،

(٢) ليست في «ب».

ص ١٢٤، «نسن».

(٤) في النسختين: «تعلقه».

(٣) ليست في «ب».

إليها، فبالعلة التي تكسو العناصر صورها، والعلل السابقة معدّات ومعينات للقبول، بل عند التأمل بعد التماضي، والتأمل في مرتقى الأسباب: الكل معدّات، [والواهب المفيض] ^(١) هو الله، فاقطع هرق التشكيك.

وأما التمويه بجعل المرجرد فعرفت دفعه بأن الأثر نفس الذات، والوجود بنفس الجعل الواحد المستمر، لا بتكرّر وجود آخر [مدبّر] ^(٢). وتحصيل الحاصل بنفس التحصيل الأوّل لا استحالة فيه، بل هو من الأمور الثابتة، فإن لوحظت وحدة الوجود للذات المستمرة في الأجزاء المعتملة وهما، فالجعل أيضاً مستمر متصل، وإن اعتبرت في المجمول كثرة إضافية، بحسب الأوقات المتجزئة، فهذه الكثرة قد لحقت ذلك المجمول الواحد أيضاً.

وهناك أثر جديد هو البقاء، فإن الجاعل يحفظها وسديمها بإبقاء الجعل، وهو دوام الذات، وهذا لا ينسلخ عن الذات ما دامت؛ لأنه بالذات.

وأما قول: «وبأن المجمول الموجود لو كان... إلى آخره، فظلم واحد، والتزام التلازم بين ما [لا جهة] ^(٣) جامعة بوجه، و[بين] ^(٤) ما تقرّره بذاته ليس إلا، وما هو نفس التعلّق وضروري بشرط، فبدونه لا تأميس. هذا بيان ذلك بوجه النظر.

ونقول بوجه آخر: المعلول أثر علية العلة، فظهورها بوسط أو وسائط، ومع زوال بعض لقيام غيره لا يدلّ على الاستغناء؛ واعتبر بالضياء والأشعة والشمس، فتدبّر.

إبطال وإيضاح

قال السيد الداماد في الألف المبين: «من الغاغة من مؤه بظنه الخسيس، بأن بقاء الذات مع بطلان العلة ليس يوجب استغناء الطبايع الفارقة، إذ الممكن وإن لم يستغن عن العلة حال كونه باقياً، إلا أن تلك العلة لا تجب أن تكون معه في زمان واحد، لجواز أن يكون حال بقائه معللاً بعلة كانت قبل، وهي باطلة في الحال، فتكون هي إذا كانت أوجبت المعلول بعد انقضائها، إمّا بذاتها، أو بأن أعطته قوة يبقى بها، كما في القاسر، بالقياس إلى طبيعة المقسور في الحركة القسرية، فإذن هي في الزمان الأوّل رجّحت المعلول في الزمان الثاني، وبطله أن تأثير العلة إنّما هو حال تقرّر المعلول بذلك التأثير، إذ الاتصاف بالمؤثرية لا

(٢) ليست في «ب».

(٤) في النسختين: «أين».

(١) في «ب»: «والواجب للفيض».

(٣) في «أ»: «لا حقه».

يكون حال البطلان؛ لعدم كون الباطل علّة لتقرّر بديهة، فهو حال تقرّرها، فتأثيرها في المعلول إمّا حال بطلانه في نفس الأمر - فيلزم الجمع بين تقرّر الشيء الواحد وبطلانه - أو لا حال تقرّره ولا بطلانه، فيلزم الواسطة في نفس الأمر أو حال تقرّره بنفس ذلك التأثير، وهو المتعيّن، فيجتمع تقرّر العلّة وتقرّر المعلول، فيلزم خرق الغرض .
فإذن هو التجويز مثار المفاسد، وليس يتصور إلاّ تأثير العلّة المتقرّرة في المعلول المتقرّر، حينما هو متقرّر بذلك التأثير .

ثمّ قد عرفت أنّ التأثير في نفس الذات والوصف مطلق لازم الذات، أمّا وصف الحدوث فلازم جوهر الذات، بما هي الذات، وأمّا وصف البقاء فلازم يلحق الذات من جهة استمرار التأثير في نفس الذات، فتأثير الذات في نفس الاستمرار يستتبع وصف البقاء، لا أنه يدخل فيما فيه التأثير الاستمراري، فلا يعقل تأثير العلّة في الزمان الأوّل فقط في تقرّر المعلول في زمان ثانٍ هي باطلة الذات فيه، والإضافة إلى الزمان الأوّل يبطل ببطلان ذلك الزمان، فيبطل ببطلانها الترجيح المفروض بحسبها، والباطل لا يرجح البتّة .
وأما توهم إعطاء القوة فباطل، لأنّها لها طبيعة إكمانية، فهي مفتقرة إلى علّة موجبة، والكلام في بقائها - مع بطلان علّتها الموجبة - كالكلام فيما عرضت له، ومن قاس العلّة المرجبة بما جرى مجرى المعدّات فليس طباعه على سنّة البشرية وشاكلة الإنسانية^(١) انتهى .
أقول: وغير خفي على المتأمل تناقض كلام ذلك المموّه وسخافة عقله؛ إذ لو بقيت الذات مع بطلان علّتها فلها استغناء - حينئذٍ - بذاتها، لعدم إمكان استغناء ما بالغير عنه، ولا يصحّ تعليقه بالباطل بديهة، ولو بطلت لم تكن علّتها بذاتها، فليست العلّة علّة، وكيف يوجب الباطل أمراً آخر، ويكون ما بالغير [واجباً]^(٢) ينقلب إلى الوجوب الذاتي بعد؟
وتعلّقه بالمفسور ليس بجار، كما هو ظاهر .

فاستبان عدم استغنائه أنا ما أصلاً، وأنّ حدوثه مدّة وجوده، وأنّ التأثير ذاتاً، لا في صفة هارضة، واعتبر بالمثال السابق، إذا هابت الشمس كيف يكون الحال في الاستضاءة ومحلّها؟ فنورته بالإشارة فلا ترفع، وهي ظهور الشمس بفعلها لها بها، وهو المدد، فلا قطع له ولا غناء عنه، وإلاّ انقلبت الذاتيات الأوليات وغيرها، وهو محال .

(١) «الألف المبيّن» مخطوط، الورقة ١٢٤ .

(٢) ليست في «ب» .

قوله: ﴿قَالَ: فَأَخْبِرْنِي مِنْ قَوْلِهِ: ﴿وَيَحْمِلُ عَرْشَ رَبِّكَ فَوْقَهُمْ يَوْمَئِذٍ ثَمَانِيَةَ﴾ (١) فكيف قال ذلك؟ وقلت: إنه يحمل العرش والسموات والأرض؟ فقال أمير المؤمنين: إن العرش خلقه الله تعالى من أنوار أربعة: نور أحمر [منه] احمرت الحمر، ونور أخضر منه اخضرت الخضرة، ونور أصفر [منه اصفرت] (٢) الصفرة، ونور أبيض [منه أبيض] (٣) البياض، وهو العلم الذي حملته الله الحملة، وذلك نور من [نور] (٤) عظمته ﴿.

أقول: لما سمع الجائليق من علي عليه السلام أن الله الحامل للعرش وغيره، استدل عليه بقوله تعالى: ﴿وَيَحْمِلُ عَرْشَ رَبِّكَ﴾ الآية، إما لسماعه من القرآن، أو لوجوده في الإنجيل - ذلك - كما يدل عليه كلام الجائليق واحتجاجه، كما في توحيد الصدوق (٥) في الكلام على قوله تعالى: ﴿الزَّحْنُ عَلَى الْعَرْشِ اسْتَوَى﴾ (٦) على أن العرش تحمله الملائكة، لا الله كما قلت، وأخرجه مخرج الاسترشاد تأديباً.

وليس مراد الجائليق الاستدلال بالآية - أيضاً - على أن العرش يحمله الله كما في الشرح (٧)، لعدم ذكره له في سؤاله، وعدم استلزام حمل الثمانية له حمل الله تعالى، مع أنه سيأتي سؤاله الإمام عليه السلام عن مكانه بقوله: فأخبرني أين هو؟ وأما الكلام على هذه الأنوار وتحققها، بما لا يرده الأخبار وصحيح الاعتبار، فعرفته سابقاً وسيأتي، واختلفت فيها الأنظار، حيث لم يخلص الاعتبار عن شبه الأخبار.

فقال ملا خليل القزويني في الشرح بعد حكمه على أن هذه الآية تدل على أن الثمانية تحمل العرش، وأن الله محمول له بواسطة، وعرفت ما في بعض كلامهم، قال: «إن الله خلق العرش من أنوار أربعة، أي بسبب أربعة أنواع من المصالح المعلومة له تعالى،

(١) «الحاققة» الآية: ١٧. (٢) في النسختين: «اصفرت منه».

(٣) في النسختين: «أبيض منه».

(٤) ليست في المصدر.

(٥) «التوحيد» ص ٣١٦، ح ٣.

(٦) «طه» الآية: ٥.

(٧) «شرح المازندراني» ج ٤، ص ١٢٠، قال فيه: «مراده أن ما قلت منافياً لما دلت عليه هذه الآية: من وجهين:

أحدهما: أن حملة العرش ثمانية، لا هو... وثانيهما: أن الثمانية إذا حملوا عرشه فقد حملوه...»

مقتضية لخلق ما خلق، وهي التي تسمى سرّ الله في القدر.

(نور أحمر منه احمرّت الحمرة) المراد بالحمرة: الكفر والعداوة لله تعالى، وأمثال ذلك من القبائح الشرعية والعقلية، وكثيراً ما يشبه الفساد بالدم وبلونه، وجعلت المصلحة التي تقتضي خلق الحمرة مسماة بالأحمر، للمناسبة والاستعارة، وإلا ففي الحقيقة لا لون لها أصلاً، وقوله: (احمرّت الحمرة) من قبيل (أين الأين)، أي صارت الحمرة حمرة.

(ونور أخضر منه اخضرّت الخضرة) والمراد بالخضرة: الإيمان والتصديق بالله، ففي الخبر^(١): إن قلب المؤمن يميل إلى الخضرة؛ لأنه خلق منها.

وقد مرّ في ثالث باب النهي عن الصفة بغير ما وصف به نفسه ما يناسب هذا.

(ونور أصفر منه اصفرّت الصفرة) المراد بالصفرة: الجهل بالله وبحجّته وأحكامه، لما كان العلم حياة والجهل موتاً، والصفرة لون الميت ومن يقرب من الموت، عبّر عن الجهل بالصفرة. (ونور أبيض منه أبيضّ البياض) المراد بالبياض: العلم بالله وحججه وأحكامه، أو النور الذي خلق منه العرش، وهو المنقسم إلى أربعة أقسام، (العلم الذي حمّله الله) - بتشديد الميم - (الحملة)^(٢).

ثم قال: «(بعظمته ونوره أبصر قلوب المؤمنين)». بيان أن كلاً من الأقسام الأربعة، من أحوال المخلوقات، متفرّع على نوع من الأنوار الأربعة، وهذا ناظر إلى النور الأخضر والأبيض، وما يتفرّع عليهما. (وبعظمته ونوره هاداه الجاهلون)، هذا ناظر إلى النور الأحمر والأصفر وما يتفرّع عليهما. (وبعظمته) ... إلى: (المشبهة)، ناظر إلى جميع الأنوار الأربعة وما يتفرّع عليها انتهى ما نقل.

أقول: ولا يخفى ما فيه من البعد وعدم التمامية.

فأولاً: أن احمرار الحمرة منه - وكذا الباقي - يقتضي كونه بذاته كذا، إذ مبدأ الشيء أولي به، قصاره عدم جريان هذه الألوان بمعناها الظاهري هناك، وهي كذلك، وإلا لما صحّ أنها من تلك؛ لاستحالة مساواة الفرع للأصل والمعلول للمعلّة، لكن لما غلب عليه التخيل قال بالاستعارة والتخيل.

(١) «مناقب آل أبي طالب» ج ٤، ص ٢٧٨، «بحار الأنوار» ج ١٠، ص ٢٠٢، ح ٥، وفيه في سؤال الصادق عليه السلام:

ولم يميل القلب إلى الخضرة أكثر مما يميل إلى غيرها؟ قال: (من قبل أن الله تعالى خلق القلب أخضر)...

(٢) «الشافي» مخطوط رقم ٢٣٣٤، الورقة ٩٣ - ٩٤، باختلاف.

وثانياً: يكون الأبيض والأخضر شيئاً واحداً، بلا تفاوت حقيقة، فكيف تختلف المظاهر؟ بل تضاداً، على قول. وأضرب منه جعله الصفرة للجهل، والجاهل ميّت، فإن عنى البسيط فليس كذلك، أو المركب فهو أسود.

ثم وقوله بالاصفرار عند الموت باطل، بل المؤمن يستنير وجهه ويرشح جبينه حرماً، والكافر يسود، وكذا أحوال نفسيهما. وكذا استدلاله بأن قلب المؤمن يميل إلى الخضرة لا يبدل على كونه أخضر، وإن مال لها بسبب تعلقه الطبيعي بالمادة، وبالحالة البرزخية التي هي واسطة بين الحمرة والسواد.

وأما هو فمخلوق من فاضل طينة أجساد محمد وآله عليهم السلام، وهي بيضاء صافية، فهي من شعاع نوره، والنص والاعتبار بهما متواتر، كما في أحاديث الطينة وغيرها، من الكافي^(١) وغيره. ثم وظاهر كلامه، بل صريحه كما يظهر لمن راجع باقي كلامه وشرحه الفارسي أن [الأصول]^(٢) الأربعة عبارة عن المصلحة التي اقتضت كل شيء، فإن كانت إرادته الذاتية وعلمه الذاتي فكيف جربانها في ذاته؟ وإن كان باعتبار التعلق، فليس بمنحصر في الأربعة، لعدم انحصار الموجودات فيها مع عدم تماميته وتعلقه.

وثالثاً: إذا كان الأصفر عبارة عن الجهل، والأحمر عن القبائح بجملتها - وهو راجع إلى العرش المنقسم إلى الأنوار الأربعة - فما معنى تحميل الجهل والكفر وسائر القبائح الحاملة، الذين هم أنبيأؤه وملائكته المقربين؟ هل بمعنى نهيهم عنها فحملهم النهي؟ أو علمهم بمقتضاها، أو بحسب قوتهم؟ إلى غير ذلك مما لا يخفى على الناظر، فدع الشبهات وأوهام المتخيلات.

وقال بعض الأفاضل، نقلاً من كتاب الأربعين لمحمد باقر المجلسي، ملخصاً: «قد تحيرت الأنظار في فهمهم هذا الحديث والأنوار، وأحسن ما سمعت هو ما استفدته من الوالد، وهو ما ظهر لي بعد طي مراتب السالكين، وهو أن لكل شيء شياً ومثالاً في عالم الرؤيا، وفي عالم الكشف والعيان، وتظهر تلك الصور والمثل على النفوس المختلفة، بحسب اختلاف مراتبها في الكمال، فبعض النفوس تظهر لها صورة أقرب إلى ذي الصورة، وبعضها أبعد، وشأن المعبر أن ينتقل من تلك الصورة إلى ذاتها.

(١) «الكافي» ج ٢، ص ٢، باب طينة المؤمن والكافر.

(٢) في السختين: «الأصل».

فالنور الأصفر عبارة عن العبادة ونورها، كما هو المجرب في الرؤيا، فإنه إذا رأى العارف الصفرة في المنام بوفق للعبادة، وكما هو المشاهد في وجوه المتجهدين، من اصفرار ألوانهم وضعف بشرتهم، وقد ورد في الخبر في شأنهم: أنهم ألبسهم الله من نوره، لما تخلوا به.

والنور الأبيض: العلم، كما هو المجرب أن من رأى في المنام لبناً أو ماءً صافياً، يفاض عليه علم نافع خالي من الشكوك.

والنور الأحمر: المحبة، كما يشاهد في وجوه المحبين عند طغيان المحبة، وكما في المنام أيضاً. والنور الأخضر: المعرفة، كما هو مجرب في المنام.

وعلى هذا التحقيق يكون الضمير في قوله: (وهو العلم) راجعاً إلى النور الأبيض، وعلى الثاني إلى العرش، ويكون المراد به العلم والأنوار على اختلاف مراتبها، وعلى الأول يكون أيضاً راجعاً إلى العرش، ويكون المراد أنه قد يطلق العرش على العلم أيضاً، كما يطلق على الجسم المخلوق من هذه الأنوار، هذا غاية ما تصل إليه أفهامنا، والله أعلم^(١) انتهى ما وجدته بلفظه.

أقول: أما صموية الحديث، فإذا لم يجر على قانونه. وما قاله رؤيا يحتاج إلى تعبير إن صح، فإن أراد بما يظهر للسالك في سيره وكشفه الباطني - واختراقه مراتب الوجود [بسيره]^(٢) الغيبي - عاد إلى مورد كلام ملا محسن، كما سبق^(٣) في باب النهي عن الصفة بغير ما وصف به نفسه، ويكون حينئذ ذوات، لكن يأباه بيانه في الأنوار الأربعة.

وإن أراد غيره - كما هو ظاهر جعلها المحبة، ومثل اللبن... إلى آخره - فغلط وتأويل بعيد، كما هو ظاهر، وكلام الرسول هنا عيان وإخبار عن حقيقة، غير محتاج إلى تعبير، فإن كان فليعبر ويؤول بأصل ثابت، لا بارتكاب تجوزات وتمحلات بعيدة.

ثم وليس كل هابد مصفراً، وإن اصفر ظاهراً وفي بعض أيضاً بحسب المقام الغالب عليه، فإن كان الخوف فكذلك، وإلا فهو مستتير متشرح وأبيض، يكون الأبيض والأخضر واحداً، فإن فرق بين العلم والمعرفة، فليجعل المعرفة الأبيض، فإنها أعلى.

(١) انظر «بهار الأنوار» ج ٤، ص ٤٢، ج ٥٥، ص ١١ - ١٢، بتفاوت، صححناه على المصدر.

(٢) في «أ»: «سيره».

(٣) «هدي العقول» ج ٤، الباب العاشر.

وفي مصباح الشريعة: (العلم شعاع المعرفة) ^(١) وإن كان هذا خلاف المشهور للفري، ثم ويلزمه والسابق أن تكون الأنوار لاحقة للذات، وأنها حينئذٍ صفات العابد والعارف، سواء كانت تبدو منه له، وتُصَف بها بحسب استكمال نفسه، أو صفة للغير وهو يكتسب مثلها، فإذا كانت صفات نفسانية كيف يكون منه كذا ومنه كذا، وبه ابتغى الوسيلة وضوء النهار، إلى غير ذلك، [كما يظهر] ^(٢) للمتدبر من غير تعبير؟

وأيضاً ظاهر قولهما أن الأضواء أعراض لاحقة للموجودات، وظاهر الحديث - لمن يتأمل في سياقه - العكس، فهي أصول لغيرها، وهذه الألوان فروع.

وقال ملا محسن - بعد أن جعل العرش بمعنى العلم، وهو متحد بالمعلوم، فتكون معاني العرش متقاربة -: «والأنوار الأربعة هي الجواهر القدسيّة العقلية، التي هي وسائل جوده تعالى، وألوانها كناية عن اختلاف أنواعها، الذي هو سبب اختلاف الأنواع الرباعية في هذا العالم الحسي، كالمناصر والأخلاق وأجناس الحيوانات، أعني: الإنسان والبهائم والسباع والطيور، ومراتب الإنسان، أعني: الطبع، والنفس الحساسة، والنفس المتخيلة، والعقل، وأجناس المولّدات، كالمعدن والنبات والحيوان والإنسان» ^(٣).

والمراد بالجواهر هي الأملاك الأربعة، أو نقول: الملك والملكوت والجبروت واللاهوت، إن جعل العرش جملة العالم والأربعة السابقة، على تقدير جعله الجسم المحيط أو العلم، فإن كلامه هنا، وفي الحديث السابق في الباب المشار له - وفي باب حدوث الأسماء - متقارب، ترجع لشيء في نفس الأمر، وفيه إجمال، وخالف عن التحقيق.

تذكرة وتحقيق

قد مرّ لك أن من معاني العرش هو الجسم المحيط بسائر الأجسام، كما أن عقله عرش أيضاً، فإن اعتبر بارتباط سائر أرواح العالم ونفوسه إلى الأرض، فجملة العالم من جهة الغيب، وهو غيب ظاهر، العلم الظاهر عرش أيضاً، وكونه ذا طبقات كثيرة ظاهر، كما سيأتي في رواية التوحيد ^(٤) في هذا الباب.

وكذا من جهة ظاهره، وهو ارتباط الأجسام، يسمّى عرشاً أيضاً، كما أن قلب العالم

(٢) ليست في «ب».

(١) «مصباح الشريعة» ص ٢٠.

(٤) «التوحيد» ص ٣٢٦، ح ١.

(٣) «الوافي» المجلد ١، ص ٤٩٧.

الكبير - الذي هو محل استواء الرحمانية، ومنشأ سائر الأشياء النورية والحسيّة والعظمة القدسية - سمي عرشاً أيضاً.

وفي [كتاب] (١) الحجّة ما معناه: (وعلي عرش الله)، وفي ظني أنه ورد في تفسير قوله تعالى: ﴿ فِي يَثُوتِ أُوذُنَ اللَّهِ أَنْ تُرْفَعَ ﴾ (٢) (نحن البيوت، سقفها عرش الرحمن) (٣).

وورد كما سبق في فضل الزيارة: (كمن زار الله في عرشه) (٤) أنه يزور محمداً ﷺ، فقربه به وشدة الرابطة هي القرب لله، فهو ﷺ العرش، والعرش بهذا المعنى لا يخرج عنه شيء. واعتبر بالإنسان، فإنه يطلق على الجوهر [الحسي] (٥) - وهو الإنسان الحيواني - وعلى الجوهر العقلي أيضاً - وهما ذو طبقات مرتبطة، وصفات مختلفة - وعلى قلبه، وفي آدم ألف آدم، كما روي (٦)، وعلى جميع ذلك. وكذا حال العرش، فالعالم الكبير إنسان، فافهم وانظر لنفسك.

فالمراد بالعرش هنا إما مجموع الكل - ويكون ظاهر الألوان منه - أو العرش بعينه، وهو العلم، وتكون أجزاؤه باعتبار جهات محله، أو جمع ذاته للأربع الآتية، وهي مجردة لا غيرها. فبين ﷺ أن العرش خلق من أنوار أربعة، وعرفت (٧) في تفسير: ﴿ اللَّهُ نُورُ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ ﴾ (٨) أن النور مرادف للظهور، وليس بخاص بالمرضي الحاصل للأجسام، بل هذا أضعفها، فهذه الأنوار الأربعة هي: العقل، والروح، والنفس، والطبيعة الكلية. النفس مقابل الأحمر، والروح الأصفر، والعقل الأبيض، والروح برزخ بينهما، والطبيعة الأخضر. فهذه مرتبة العناية الكلية التي هي ظاهر العلم بما ظهر، [لا] (٩) ما يريدون من معنى العناية، وأنها في الأزل علم ذاتي، فيها الأشياء.

(١) في النسختين: «باب».

(٢) «النور» الآية: ٣٦.

(٣) «بحار الأنوار» ج ٨، ص ٨٤، وفيه: قال ﷺ في صفة الفردوس: (سقفها عرش الرحمن). وفي رواية عن أبي

جعفر ﷺ: (بيت علي وفاطمة من حجرة رسول الله صلوات الله عليهم، وسقف بيتهم عرش رب العالمين).

«بحار الأنوار» ج ٢٥، ص ٩٧، ح ٧١.

(٤) «كامل الزيارات» ص ٤٨، ح ٢٦، ص ٢٨٢، ح ٤٤٧.

(٥) من «ب».

(٦) «المختص» ج ٢، ص ٦٥٢، ح ٥٤، وفيه: (لقد خلق الله تبارك وتعالى ألف ألف عالم، وألف ألف آدم)...

(٧) في هذا المجلد الباب: ١٦، شرح ح ٤. (٨) «النور» الآية: ٣٥.

(٩) في النسختين: «لما».

وهذه الألوان الجسمية الظاهرة ظاهر تلك، وهي هنالك وجودات، فيقال: أحمر أو أخضر، باعتبار [المرتبة] ^(١) الوجودية، وقربه من النور الأبيض وبعده باعتبار الصفات الظاهرية في هذا العالم.

وعلى هذا التفسير يكون قوله: (وهو العلم الذي حمّله الله الحمّلة) إشارة إلى النور الأبيض، لا إلى العرش، فإنه إذا عاد إلى العرش يكون التركيب في حقيقته، لا في متعلقه، وقد قال: إنه خلق (من أنوار أربعة)، إلا أنه لما كان العلم هنا مراداً به المعلوم أو النسبة التعلّقية - وهي حادثة صفة الحادث - صُحَّ رجوعه إلى العرش، وتكون [حقيقته] ^(٢) العلم الذي حمّله الحمّلة، وهو يتفاوت بحسب الرتب:

رتبة العقل الذي هو مقام الأبيض، أو النفس أو المتخيلة، فلا مانع من الاعتبارين، وهذا العلم نور (من نور عظمته)، وهو عالم المشيئة ينسبط في قلوب أوليائه، ظهر في كل بحسبه، فاستنار القابل به زيادة، وأدبر الجاهل به زيادة؛ كما قال تعالى: ﴿ وَهُوَ عَلَيْهِمْ عَمٌ ﴾ ^(٣).

(فبعظمته ونوره أبصر | قلوب | المؤمنين) وإلهاده [الجاهلون] ^(٤)، وابتغى الكل إليه | الوسيلة، إذ الأصل العلم، وما تحته من المراتب التفصيلية له هي مراتب علمية، في كل بحسب الفاضل، وقسطه بحسب قربه وبعده إلى مراتب المعلوم الحسي وصفاته الظاهرة. فالعرش وإن حمّله الحمّلة، ولكن كل محمول يحمله الله بمشيئته وقدرته، لا يستطيع أحد نفعاً ولا ضرراً إلا بنور مشيئته، القائمة به تعالى قيام صدور، ففي نفس الوجود وفعله: [المفعول] ^(٥) قائم بالفعل ولا تمايز، والفعل قائم بالفاعل، فلا منافاة بين حمل العرش الحمّلة، وكونه الحامل.

وفي التوحيد - كما سبق - عن أبي جعفر عليه السلام، عن علي بن الحسين عليهما السلام، قال: (إن الله عز وجل خلق العرش أرباعاً، لم يخلق قبله إلا ثلاثة أشياء: الهواء والقلم والنور، ثم خلقه من أنوار مختلفة، فمن ذلك النور نور أخضر اخضرت منه الخضرة، ونور أصفر اصفرت منه الصفرة، ونور أحمر احمرت منه الحمرة، ونور أبيض وهو نور الأنوار، ومنه ضوء النهار. ثم جمعه سبعين ألف طبق، هلظ كل طبق كأول العرش إلى أسفل السالين، ليس من ذلك طبق إلا يسبح بحمد

(٢) في النسختين: «حقيقية».

(٤) في النسختين: «الجهل».

(١) في «ب»: «رتبه».

(٣) «فصلت» الآية: ٤٤.

(٥) في «أ»: «والمفعول».

رَبِّهِ وَيَقْدَسُهُ، بِأَصْوَاتٍ مُخْتَلِفَةٍ، وَالسَّنَةُ هِيرٌ مُشْتَبِهَةٌ، وَلَوْ أُذِنَ لِللِّسَانِ مِنْهَا، فَاسْمَعُ شَيْئاً مِمَّا حَتَمَتْ، لَهَدَمَ الْجِبَالَ وَالْمَدَائِنَ وَالْحَصُونِ، وَلَخَسَفَ الْبَحَارَ، وَلَا هَلَكَ مَا دُونَهُ. لَهُ ثَمَانِيَةُ أَرْكَانٍ، هَلَنْ كُلُّ رَكْنٍ مِنْهَا مِنَ الْمَلَائِكَةِ مَا لَا يَحْمِي عِدَّهُمْ إِلَّا اللَّهُ عَزَّ وَجَلَّ، يَسْبَحُونَ اللَّيْلَ وَالنَّهَارَ لَا يَفْتَرُونَ، وَلَوْ حَسِبَ شَيْءٌ مِمَّا فَوْقَهُ مَا قَامَ لِذَلِكَ طَرَفَةٌ هَيْنَ، بَيْنَهُ وَبَيْنَ الْإِحْسَاسِ الْجَبْرُوتِ وَالْكُتُبِيَّاتِ وَالْمَعْظَمَةِ (١).

أقول: سبق لك معنى هذا الحديث وسيأتي.

ولنبسط لك البيان في حديث الأصل بعبارة أخرى وطور آخر، فاستمع.

اعلم - أولاً - أن ما ذكره العلماء في معنى الحديث - وسمعته - يمكن تصحيح جميعها، كلاً بوجه، وإن كان بتغيير في الجملة، كما يظهر لمن تأمل فيما نقول، لكن لم يصيبوا أصل المأخذ والذي به يتحقق وصف العرش به، في الحديث الدال على أنه جامع لكل شيء، كلي أو جزئي، كل أو جزء، ذاتي أو عرضي، داخل أو خارج، وبالجملة: لجميع الموجودات التي هي ألف عالم وزيادة، والإنسان أتم وجودها. فأصاب كل جهة في الجملة، وغفل عن الأكثر، ولم يظهر به تمام معنى الحديث.

فنقول: العرش هنا، [وهو] العرش الكلي الأولي، وحامله الماء الأول، وهذا أول معانيه. وباعتبار ظهور المفعولات به - بحسب الذوات والقابليات والأسماء والصفات، وجميع الأحوال - له أركان أربعة هي مجموعها، وهي أركان له يقوم بها.

عموم الترتيب

والترتيب متأصل بحسب أصل الوجود، ويجري في عالم: الأمر، والجبروت، والملكوت، والملك، وكذا ما به بقاء المفعول وأصوله وفروعه، هي: الخلق، والرزق، والحياة، والموت، قال الله تعالى: ﴿اللَّهُ الَّذِي خَلَقَكُمْ ثُمَّ رَزَقَكُمْ ثُمَّ يُمِيتُكُمْ ثُمَّ يُحْيِيكُمْ هَلْ مِنْ شُرَكَائِكُمْ مَنْ يَفْعَلُ مِنْ ذَلِكَمْ بَيْنَ شَيْءٍ سُبْحَانَ اللَّهِ وَتَعَالَى هَمَّا يُشْرِكُونَ﴾ (٣).

وكانت الكلمات مرعبة: سبحان الله، والحمد لله، ولا إله إلا الله، والله أكبر. وكانت الكعبة مرعبة، وكذا كلمات الحق: الشهادتين، والولاية، والشيعة. والطبائع أيضاً مرعبة،

(١) «التوحيد» ص ٣٢٥ - ٣٢٦، ح ١.

(٢) ليست لي «ب».

(٣) «الروم» الآية: ٤٠.

وكذا العناصر، ومنها تكوّنت المواد العلوية والسفلية، فكانت مقتضى الأسباب والمسببات الترتيب، ولذا قامت | الـ | زوايا الأربع في المربع، لا فيما زاد أو نقص، فدلّ على أن التمام به، ولهذا تمدّح الله به في عرض الامتحان، في الآية السابقة.

وكانت حملة العرش أربعة، وستكون ثمانية في الآخرة؛ بحكم العود. وأصل جميع ذلك ما سمعت في الحديث، من كون العرش - الذي هو أصل المبادئ، و[فواره] القدر والأكوان، وأحكامها في الغيب والشهادة، من الذوات والمعاني والأهراض - مربعاً، [ذا] (١) أركان أربعة، وأنوار أربعة.

والعوالم بوجه: عالم أمر، وجبروت، وملكوت، ومُلك، وتفرغ الأشياء - إلى ما لا نهاية - على الترتيب، والأسباب الفعلية التي يكون بها المفعول، ولا يكون شيء في السماء والأرض إلا بها، وهي سبعة، ستأتيك في المجلد اللاحق (٢).

والأركان منها أربعة: المشيئة والإرادة، والتقدير والقضاء، والإمضاء هو الخامس، وإن توقّف عليه بروزه، جامعاً [لعلله] (٣) وأسبابه، إلا أنه بمقتضى المشيئة، لا يتأخر ولا يتخلّف عن القضاء، وهو الإذن، وتعلّق القضاء بالتقدير، وإبرازه جامعاً لعلله وأسبابه، ولو أراد الله أن يمنعه - فلا يتعلّق القضاء بالقدر - لفعل، وهذا ممّا في الإمكان ولا يبرز، ولو شاء أن يبرزه أبرزه، وقد يقع قليلاً، والله يفعل ما يشاء، وتماثله بالأربعة، وستعرفه من رواية يونس (٤) وغيرها في بابه.

فهي أركان [الفعل] (٥) باعتبار تعلّقه بالمفعول، وبالمشيئة كونه، وبالإرادة عينه، وبالتقدير حدوده، وبالقضاء إتمامه. وتعدّد الفعل إنما هو باعتبار تعلّقاته، وهو في نفسه [واحد] (٦)، وهكذا العرش له مقام وحدة بحسبه في نفسه. وسيأتي في بابه - عنهم عليهم السلام - (والمشيئة كانت الإرادة، وإرادته كان التقدير، وتقديره كان القضاء) (٧) ... إلى آخر الحديث.

(١) في «أ»: «و»، وفي «ب»: «ذو».

(٢) «هدي العقول» ج ٧، باب ٢٥.

(٣) في «أ»: «لعلل».

(٤) «الكافي» ج ١، ص ١٥٠، باب المشيئة والإرادة، ح ٢، ص ١٥٨، باب الجبر والقدر، ح ٤، وسيأتي في:

«هدي العقول» ج ٧، باب ٢٦، ح ٢، باب ٣٠، ح ٤.

(٥) في «ب»: «المقل».

(٦) ليست في «ب».

(٧) «الكافي» ج ١، ص ١٤٨، باب البدء، ح ١٦، وسيأتي في «هدي العقول» ج ٧، باب ٢٤، ح ١٦، صححناه

وهذه الأربعة أصل فطرة التوحيد، وجذب الأحادية لصفة التوحيد، أو النور المشرق من صبح الأزل، وهو واحد بحسب الوجه الأهلئ، متعدد إلى أربعة بحسب التعلق، كما عرفت. وهو [مقعد] ^(١) الرحمن، كما قال الله: ﴿الرَّحْمَنُ عَلَى الْعَرْشِ اسْتَوَى﴾ فاستوى من كل شيء، وفي كل شيء، وعلى كل شيء، باسم (الرحمن)، والرحمة العامة لجميع الموجودات.

وأصل صبح الأزل أيضاً واحد، هو الحقيقة المحمدية، والماء الحامل للعرش الأولئ، إلا أنه بعد امتثاله - وإظهاره ما فيه من الكمالات، بأمر ربه، وارتباط الوجودات القابلة به - تعدد وكان أربعة أنوار، وهذا التعدد بحكم القابليات، بانفعالها بنفس الوجود، بأسباب مساوقة، لا منه تعالى بغير مرجح، ولا من أحيان أو مقتضيات قديمة، تعالى الله عما يقولون علواً كبيراً.

الأنوار الأربعة

والنور الأبيض هو أول مشرق من تلك الحقيقة، وهو العلم، والعقل عقل الكل، وأول الوجودات المقيّدة، ومنه ضوء النهار، ومنه الرزق، يصدر بواسطة ميكائيل فيوصل كل رزق لمستحقه. وطبعه بارد رطب، وهو الركن الأهلئ الأيمن من العرش، أي أول باطن، ومقامه يدل عليه، ولقربه من عالم الأمر كان لونه البياض، ومنه البياض الحسئ وضوء النهار، وهو مقام الذرّ الأولئ، والتكليف فيه بسيط؛ لقلة الروابط والشروط، فيقع بالشهادتين، والولاية للأئمة والزهراء، والمسبحون في هذا كثير، وهو بحر جار ومراتبه كثيرة.

والنور الأصفر، وهو ركن العرش الأيمن الأسفل، مشرق من الأولئ، مقام البراق والأرواح، ومقام الإرادة والمزم على المشيئة، ومنه اصفرت كل صفرة. وعنه ^(٢) (الورد الأصفر خلق من عرق البراق) ^(٣) وعن الروح تصدر الحياة لكل موجود، في كل واحد بحسبه. والروح الأولئ الكلبة روح محمد ^(٤)، والواسطة في إيصال الحياة لمستحقها بقدره إسرائئل، فيه تفاض الحياة على جميع النفوس والأرواح، وطبعه حار رطب، وهو طبع الحياة.

(١) في «ب»: «استوى».

(٢) «مكارم الأخلاق» ج ١، ص ١٠٦، ح ٢٢٠، «بحار الأنوار» ج ٧٣، ص ١٤٧، ح ٣، بتفاوت يسير، صحناه على المصدر الأول.

والنور الثالث الأخضر، وهو ركن العرش الأيسر الأعلى، ومنه كل خضرة، وهو النفس الكلية واللوح المحفوظ، ومنه يصدر الموت بواسطة عزرائيل، واستمداده منه، وطبعه بارد يابس، والأبسط الأول، ولهذا كان نوره أبيض.

ولمّا كانت [تأكد] المشيئة، وهي بياض، أثرت فيها من حرارتها، وكان أصفر، وكان حاراً رطباً، ولمّا كان صدور الحدود والهيئات من القدر - كما ستعرفه في الروايات المشار لها، وهذه كثيرة - وهي توجب السواد، فاجتمع مع الصفرة في المتعلق، فحصلت الخضرة، لتركيبتها منهما.

والحمرة من نور القضاء، وهو الرابع، وهو الركن الأيسر الأسفل منه، وهو الطبيعة الكلية، ومنه يصدر الخلق بواسطة جبرائيل، وطبعه حار يابس، قال عليه السلام: (الورد الأحمر خلق من عرق جبرئيل) ^(١) وورد ^(٢): من عرقه عليه السلام، وهذا آخر أركان العرش.

وكانت الحمرة للقضاء لاجتماع النور الأصفر - الصادر من الإرادة - من بياض النور، وإذا اجتمعت الصفرة بالبياض، في حرارة معتدلة، حصلت الحمرة من البياض والصفرة، كحصول الزنجفر من الزئبق والكبريت الأصفر. والنور الأحمر: الذي على ملائكة الحجب، وهو عند جبرائيل، وإسرافيل الأصفر، والأخضر عزرائيل. وهذه الأربعة الأنوار هي التي دار عليها الوجود، فلا مكوّن إلا وهو مركّب منها. ولمّا ارتبط الوجود، وظهر تعدّد السببية والمسببية - وظهر عالم الأرواح والنفوس، وتكثرت الجهات والصور فيها، التي كانت كامنة بالقوة - كلّفوا بما سبق فيها تفصيلاً، من معرفة واعتقاد التوحيد والعدل، والنبوة، والإمامة، والمعاد، وحكم غيبة الثاني عشر وتفاصيلها والرجعة وتفصيلها ولو إجمالاً، وتهذيب الأخلاق بمحاسن الصفات، وتجنب مساوئها، كالحسد والشحّ والشكّ، والظن والريب والوهم، واعتقاد الأحكام الخمسة الشرعية، والقيام بها بالبدن.

ولا يكفي الاعتقاد؛ لأنهم ذرّ، وظهر فيهم مقتضى القبضتين والمزج الإمكانى، فإنّه يقع

(١) «مكارم الأخلاق» ج ١، ص ١٠٦، ح ٢٢٠، «بحار الأنوار» ج ٧٣، ص ١٤٧، ح ٣، بتفاوت يسير، صححناه على المصدر الأول.

(٢) «مكارم الأخلاق» ج ١، ص ١٠٦، ح ٢١٩، «بحار الأنوار» ج ٧٣، ص ١٤٧، ح ٣، وفيه: (لما صرح بالنبي عليه السلام عرق، فتطر عرقه إلى الأرض، فأثبت من العرق الورد الأحمر).

في النفوس، بل في أسافل العقول، بل في كثير منها، وفي خلق الإنسان قبضة اليمين والشمال، وآلة العمل [مفقودة] ^(١) هنا، فلا يكلفون به، كما أنهم في المقام الأول فاقدون لآلة التصور، فلا يكلفون به.

ولابد من تميم الحجّة عليهم، والتعريف لهم بما يمكن فيهم، في أطوارهم بهم لهم، وجمعهم لما كمن فيهم من العلل، فكسروا في الطبيعة، وبقوا خراباً ألف ألف عام، حتى غمّرت طبيعتهم، فصاغهم الصوغ الجسماني الآلي في هذه الدنيا، وكلفوا بالعمل بمقتضى ما سمعت، بمجموع البدن أو ببعضه، كل بعض لبعض خاص، وبترك الأعمال القبيحة.

فأصل الأعمال واحد نوري، ويتعدّد ويتكثّر بتعدّد المقارنات وتكثّرها، ويجري الحكم عليهم في هذه المقامات وما تحتها في الجزئيات، من إقرار أو إنكار، واعتقاد أو جهود، أو شك أو غير ذلك، وكله لاحق، يزيد صور [تكليفه] ^(٢) على السابق، والوجه ظاهر. والعقل الكلّي عقل واحد، [كما أنّ الكلّ واحد] ^(٣) له عقل واحد، له رؤوس وعقول جزئية لا إلى نهاية، لا أن العقول الكلّية هشرة خاصة، كما يقوله أهل النظر ^(٤)، وهو عالم المعاني المجردة من المادة المنصلية، والعدة الزمانية، والصور النفسية المثالية.

وليس المراد به التجرد الكلّي [الذاتي الوجودي] ^(٥) فلا مجرد إلا الله، وما سواه - مجرد أو غيره - إضافي.

وكل مخلوق مركّب من مادة وصورة، مجرد أو غيره. ونفى صاحب البحار ^(٦) وملاً خليل المجرد؛ فإنه يوجب المشاركة لله، وهو كفر، بناءً على زعمهم أنّ المراد به المجرد الحقيقي، وليس كذلك، بل كما عرفت، وهو مراد قدماء الحكماء، لا ما توهموه، وورد ثبوته في النصوص، كما في الفرر والدرر ^(٧)، في كلام عليّ لبيان العالم العلوي، وفي الكافي: (هو أول خلق من الروحانيين عن يمين العرش) ^(٨) ومرتبة المادة والصورة والزمان متأخرة عنه، ظهرت بإدباره، وهو دون عالم الأمر والأثر إليه، فلا بد من تجرده همّن دونه.

(١) في «أ»: «مفقودة».

(٢) في «أ»: «تكليفية».

(٣) في «ب»: «كان الكل واحداً».

(٤) انظر: «شرح المقاصد» ج ٣، ص ٣٦٠.

(٥) من «ب».

(٦) «بحار الأنوار» ج ١، ص ١٠١.

(٧) «فرر الحكم ودرر الكلم» ص ٤٢٣، ح ٧٥.

(٨) «الكافي» ج ١، ص ٢١، كتاب العقل والجهل، ح ١٤.

ولقد طغى الملا هنا، فحكم بأن وجود العقل وجود الله، وبه وجوده، وبقاؤه ببقائه، وقال في مشاهره: «العقل وما فوقه كل الأشياء»^(١) ويعني بما فوقه الواجب، فأخرجه من الإمكان؛ لأنَّ عنده أنه بسيط الحقيقة كالواجب، وإمكانه في غيره، وكلُّ بسيط الحقيقة كلُّ الوجود، وهذا [-] نعوذ بالله منه .

وعالم الأرواح برزخ بين العقل والنفس، أسفله إلى الملكوت، وأعلىه إلى الجبروت، وهو أول الملكوت بوجه، وعالم الصور والنفس والملكوت، والسابق لكونه برزخاً يستعمل مع كلِّ واحد منهما باعتبارين، وهكذا حكم البرازخ، وسكانه مجردة، إلا عن الصور، وهو تفصيل المعاني .

وعالم الطبائع مقام الكسرة، بعد الصوغ السابق، وأصله طبيعة واحدة، اختلطت فيه الأشياء وخفيت، ثم تكثرت بعد، وهذا رجوع في الطين، المشار له في النص^(٢) بعد عالم الذرّ، وهذه مادة لما بعدها، لا الطينة التي خلق الخلق منها في عالم السؤال بـ: ﴿ أَلَسْتُ بِرَبِّكُمْ ﴾^(٣) وهذه المادة التي خلق منها المؤمن، فلا يكون إلا مؤمناً، وكذا الكافر، وخوطب بـ (كوني في الجنة، وكوني في النار)^(٤)، فإنما هي بمعنى الصور، لا المادة، وتكون المادة ظاهرة بالصورة، وبدونها قابلة، ولكونها كذلك بالعمل، في مقام الذرّ الأول والثاني والثالث، وبه يندفع الإشكال المشهور في الطينة، وسيأتي في باب إن شاء الله تعالى .

ثم اهلّم أنك قد هرفت تمذد معاني العرش، وإن ترتب في الإحاطة، ومرجعها للعرش الكلّي الأولي، وهو نهاية الخزائن، ولا نهاية لها، وما سواه كالمخليجات منه، ويسمى بالبحر الأعظم، ونهاية الإمكان، والخزانة العظمى، ولا يقطعه ممكن ولا يحيط به .

قال الله: ﴿ عَالِمُ الْغَيْبِ فَلَا يُظْهِرُ عَلَىٰ غَيْبِهِ أَحَدًا ۚ إِلَّا مَن ارْتَضَىٰ مِن رُّسُولٍ فَإِنَّهُ يَسْلُكُ مِن بَيْنِ يَدَيْهِ وَيَمْنُ خَلْفَهُ رِضْدًا ۚ ﴾^(٥) والمراد به غيب الإمكان لا الذات، وهو غيب الواحدية ومقام ظهور الأحدية لها بها، وهذا العرش الأولي، وهو ذات الظهور، أو قل: ظهور الذات

(١) «كتاب المشاهر» ص ٥، بطاوت يسير .

(٢) انظر: «الكافي» ج ٢، ص ٢ - ٦، باب طينة المؤمن والكافر .

(٣) «الأعراف» الآية: ١٧٢ .

(٤) «الكافي» ج ٢، ص ٦، ح ١١، ص ٨، ح ١، نقله بالمعنى .

(٥) «الجن» الآية: ٢٦ - ٢٧ .

بحسب التعلّق الفعلي، بما ظهر به له، ولغيره به، والدليل هنا نفس المدلول.
ودونه بحر القدرة، والماء الأول الحامل للعرش، وكلّ قابل للذوبان [والشؤون] بحر،
كما تدلّ عليه الروايات.

ثمّ وملاحظة المعاني للعرش، وكذا الكرسي تختلف، ويختلف العدد أيضاً، وكلّ قسم
عالم عظيم لا نهاية له، وما في جوفه لا نهاية له، وعرفت قبل أن كلّ موجود عرش بوجه،
وكرسي بوجه آخر، فلا حصر للمعالم - وفي الإنسان إنموذج ذلك - وإن تنوع العدد وحصر
بالاعتبار.

فنقول: المعالم اثنان: عرش الفاعلية والقابلية، أو ثلاثة أو أربعة، بحسب الأركان
الأربعة، أو خمسة أو ستة، بزيادة ملاحظة برازخ أو غيرها. وليس المقصود هنا بيان
معناها، وما ورد في الروايات من العدد - بل الاثنان والأربعة - وعرفته، وكذا الثلاثة
والثمانية، وهم حملة العرش، الكلّيات أربعة في الدنيا قوس البدء، وأربعة زائدة في العود
في عالم الآخرة، إما تعتبرها بحسب الأصل في الثلثي، وهم الأنبياء، أو بحسب الوصل
وهم الملائكة، أو بحسب ما به القوام والأصل لكلّ موجود، وهي الحياة والموت والرزق
والخلق، وتكون ثمانية، وهو تأويل قوله تعالى: ﴿ وَيَخْلُقُ عَرَشَ رَبِّكَ فَوْقَهُمْ يَوْمِئِذٍ ثَمَانِيَةً ﴾^(١).
ولا تنافي بينها، وهذا يوجب تحققها في الآخرة، مع أن الله يقول: ﴿ لَا يُقْضَىٰ عَلَيْهِمْ
فَيَمُوتُوا وَلَا يُخَفَّفُ عَنْهُمْ مِنْ عَذَابِهَا ﴾^(٢) وما هنا دليل على ما هناك، [وما هناك] ^(٣) أقوى
بأربعة آلاف مرتبة وتسعمائة، لكن من المقطوع به أنه لا خلود لأهل الجنة والنار، إلا
بإمداد الله وإبقائه، ولو انقطع عنهم لا بقاء لهم، فما يتجدّد لأهل الجنة والنار، من النعيم
والعذاب، هو خلق ورزق، وهو أقوى من هذه الحياة، والرزق بذلك القدر، في الكم
والكيف والشدة والرتبة.

وأما الموت المنفي عن سكّان الآخرة، فهو الفناء المحسوس المعروف، وهذا لا
يجري في الآخرة جزماً، لمفارقتهم أسبابه ومقامه، وأصبغوا صبغة أخرى لا تحتل
الفساد، ولكنّه في النار بمعنى الانقطاع عن الأحباب والهلاك، فإنه حاصل لهم متجدّد
ألمه، وهو من أشدّ ما يعذبون به، ولهذا استعاذ منه عليّ عليه السلام في دعائه لكميل المشهور،

(٢) «فاطره الآية: ٣٦».

(١) «الحاقة» الآية: ١٧.

(٣) من «ب».

فقال: (لهبني يا إلهي وسيدي وربي صبرت على عذابك، فكيف أصبر على فراقك) (١).
والمفارقة في النار لا يرجئ بعد اتصال، بخلاف مفارقة الدنيا، فموت الآخرة أعظم من
موت الدنيا بذلك القدر، وحياة الآخرة سرمدية، لا نهاية لها، ولا خروج عن الإمكان، ولا
وصول للواجب، تعالى الله.

وليس في سكان الجنة - من حيوان أو نبات، أو جماد - [أموات] (٢)، بل [حية] (٣)
بشعور وإحساس، قال الله: ﴿وَإِنَّ الدَّارَ الْآخِرَةَ لَهِيَ الْحَيَوَانُ لَوْ كَانُوا يَعْلَمُونَ﴾ (٤) وهذه
الثمانية تتعلق بأفراد كل صنف ونوع وجنس، وهي حوالم لا نهاية لها ﴿وَاللَّهُ بَيْنَ وِرْثِهِمْ
مُحِيطٌ﴾ (٥). أزدانا الله وإياكم من فضله.

تنبيه: قد عرفت أصل الترييح، ومنشأه من الوجود المنفعل بالعلّة الفاعلية، فسرت
الأنوار الأربعة، وظهرت في كل موجود، ذاتاً أو صفة، من عالم الأمر والوجودات المقيدة،
حتى في هذه العناصر الظاهرة، وهي من اقتضاء العناصر.

فالنار حمراء - على الأصح - بسبب الحرارة واليبوسة. وقيل: صفراء بسبب المرّة
الصفراء، وطبعها طبع النار، ولكن صفرتها ليست ذاتية، بل [لخلطها] (٦) بالرطوبة البلغميّة.
فالحمرة حارة يابسة، وإذا وضعت على ما فيه رطوبة تشتعل، وتكون صفراء. وقرص
الشمس أحمر، وإذا وقمت أشعتها على الجو والأرض يميل لونها إلى الصفرة، بما فيها من
الرطوبات، بخلاف الحمرة على الحديد، فإنها تبقى على الحمرة، والهواء يقتضي الصفرة.
وقيل: الحمرة نظراً إلى الدم فإنه أحمر، وهو حار رطب اتفاقاً، لكنّها حصلت من
مخالطة الرطوبات البلغميّة.

والزنجفر حاصل من الكبريت - وهو أصفر - والزئبق، وهو أبيض، ومنهما تحصل الحمرة.
والماء: البياض، وثقل عليه الإثفاق. وما لونه غير البياض، وهو بارد رطب، والحارة
اليابسة ولونها البياض كالملاح، مدفوع بأنه عرضي لا ذاتي، وإذا صعد الملاح ترى في باطن
رطوباته ذهبية حمراء.

(١) «مصباح المتجهد» ص ٧٧٨، صححناه على المصدر.

(٢) في «ب»: «موات». (٣) في «ب»: «حياة».

(٤) «المنكوت» الآية: ٦٤. (٥) «البروج» الآية: ٢٠.

(٦) في «أ»: «لخلطها».

والأرض والتراب والمُرة السوداء: السواد، وما فيها ينافي ذلك مرضي.
وهذه الأربعة الأصول، وما سواها متفرّع منها، كالخضرة من الصفرة، والسواد والزرقة من البياض والسواد، وعرفت في جمل العوالم، وهي في كل بحسبه، وأولها العرش الأولي الكلي، وإن خفيت فيه، لكمال بساطته بالنسبة لمن دونه، وما هنا دليل على ما هناك، كما روي^(١) عن الرضا عليه السلام، وذلك الأصل.

نقطة لقلية: قال الشارح محمد صالح المازندراني: «هذا الحديث من الأسرار، والذي يخطر بالبال على سبيل الاحتمال: أن الموجود إما شر محض، أو خير محض، أو مشوب من الخير والشر، وهذا القسم إما الشر خالص، أو لا، فهذه أربعة أقسام.
والعلم المسمّى بالعرش، لاستقرار الموجودات فيه وعلى وفقه، متعلق بجميع هذه الأقسام:

فمن حيث تعلّقه بالأول يسمى بالنور الأحمر؛ لأنّ منه احمرّت الحمرة، أي الشرور، إذ الشر يناسب وصفه بالحمرة؛ لكونه محلّاً لل غضب، وكذا العلم المتعلق به، لأدنى ملاسة.
ومن حيث تعلّقه بالثاني يسمى بالنور الأبيض؛ لأنّ الخير من توابع الرحمة، والرحمة يناسب وصفها بالبياض، قال الله تعالى: ﴿وَأَمَّا الَّذِينَ أُبْتِغَتْ وُجُوهُهُمْ فَوَيْ رَحْمَةِ اللَّهِ﴾^(٢).
ومن حيث تعلّقه بالثالث يسمى بالنور الأخضر، لغلبة سواد الشر، والسواد إذا غلب النور مال النور إلى الخضرة.

ومن حيث تعلّقه بالرابع يسمى بالنور الأصفر؛ لأنّ فيه شيء من سواد الشر. والسواد إذا خالط النور وساواه، أو نقص منه، مال النور إلى الصفرة.
ومن هنا ظهر أنّ العرش - الذي هو علم الحَمَلَة بالكائنات - مخلوق من أنوار أربعة، وأما قدم الأول لغلبة الشرور في عالم الطبائع الظلمانية والنفوس البشرية، ولذا أيضاً قدم الثاني على الثالث، وآخر الرابع، لقلّة الخير المحض في عالم النفوس الهيولانية، وقد مرّ شرح هذا في باب النهي عن الصفة^(٣) انتهى.

اقول: وغير خفي أن هذا الخاطر لا تأصل له، بل هو لا شيء كالسراب، إذ الموجود

(١) «هيون أخبار الرضا» ج ١، ص ١٧٥، ح ١. (٢) «آل عمران» الآية: ١٠٧.

(٣) «شرح المازندراني» ج ٤، ص ١٢١، صححناه على المصدر.

الشر المحض لا وجود له أصلاً، بل نفاه العقل والنقل، وكذا ما غلب شره خيره، تعالى الله عن ذلك علواً كبيراً، بل ما يظن من الشر في بعض الموجودات فإنما هو نزر قليل، لا بالنظر لنفس عقده، ولا لبلوغ غايته، بل لمنعه من كمال آخر، ومع ذلك فصدر لتتيمم الخير الذاتي، فصدر بجهة الخيرية والنظام الجملي، كما قال ﷺ: (سبحانك الخير بين يديك، والشر ليس إليك، وكلتا يديك رحمة) (١). وهذا ظاهر لا شك فيه لتأمل.

ثم والغضب قسم من الشرور، وبقية شرور النفس الجمادية والشهوية، فلا يناسب النور الأحمر لكل الشرور. وليس المراد من الآية أن الرحمة هي البياض، وما ذكره في الثالث ظاهر ما فيه، وعلى ترتيبه كان الأنسب تقديم الأخير للإشارة لتأصل الوجود والنور الخيري، وقد مر كلامه في الباب المشار له مع بيان بعض ما فيه (٢).

ثم ونسبته لذلك العلم الأدنى ملابسة، إن أراد به العلم بمعنى المعلوم فهو هو، وإن أراد به صفته أيضاً كذلك، وإن أراد به [علمه] (٣) الذاتي الواجبي، فهو سانه الخيالية ساقطة حيث لا مجال لها، وهو عنها مبرأ معزول. ولك أن تجعل حقيقة العلم واحدة هي العرش، وهو النور الخالص، وله جهات أربع هي الأنوار الأربعة، عليك بمراجعة ما عرفناك، فبه يتحقق حقيقة الحال، ويجتمع الشتات، وتمتاز المنافيات. أزدنا الله وإياكم من فضله.

قوله: ﴿فبعظمته ونوره أبصر قلوب المؤمنين، وبعظمته ونوره عاداه الجاهلون، وبعظمته ونوره ابتغى من في السماوات والأرض من جميع خلائقه إليه الوسيلة، بالأعمال المختلفة والأديان المشتبهة. فكل محمول بحمله الله بنوره وعظمته وقدرته، لا يستطيع لنفسه ضراً ولا نفعاً، ولا [موتاً] (٤) ولا حياة ولا نشوراً، فكل شيء محمول، والله تبارك وتعالى

(١) «الفتح المنسوب للإمام الرضا ﷺ» ص ١٠٤، «بحار الأنوار» ج ٨١، ص ٢٠٦، ح ٣، وفيه: (ليسك وسعديك، والخير بين يديك، والشر ليس إليك، والمهدي من هديت).

(٢) انظر: «هدي العقول» ج ٤، الباب ١٠، شرح ح ٣.

(٣) في «أ»: «علم». (٤) من «ب» والمصدر.

الممسك لهما أن تزولا، والمحيط بهما من شيء، وهو حياة كل شيء ونور كل شيء ﴿سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ هَمَّا يَقُولُونَ عُلُوًّا كَبِيرًا﴾^(١).

أقول: اهل علم أن العلم - وهو العرش الذي حمله الله الحمله، وهو مظهر الصفات الذاتية في الحقيقة - قلب محمد ﷺ، وهو فعله تعالى القائم به، وهو نور عظمته، ومن هذا النور - وهو نوره الأعلی - وجدت أنواع الأنبياء والأولياء، وما يكون في كل نشأة في كل بحسبه. والروايات^(٢) بكونهم الواسطة للكل، وأن نسيح الملائكة بعد تسبيحهم، وأنهم نوره، وخلقوا من نوره، وأن أرواح شيعتهم خُلقوا من فاضل أبدانهم، كثيرة، وكل ذلك يصحح ما قلناه. فإذا نور عظمته [وعرشه]^(٣) المجيد في كل شيء، وكل ما يكون في كل نشأة، كما ستعرف، فيه أبصر المؤمن وعاداه الجاهل، [لكونه]^(٤) مشاء عرضاً فيه، وابتغى الكل الوسيلة، ودعا كل بحسب لسان استعداده، حيث إن الكل مظاهر العلم، بحسب ظهوراته وتنزلاته، ومن الأعمال [حمل العرش فيه توصل].

ولما كان نور عظمته عاماً ظهوراً في كل ذات و عرضاً، صح أن يكون به ابتغاء الوسيلة والمعرفة والمعاداة، وإن كان هو نوراً، لكن من العقل وجود الجهل عرضاً، وقامت به المشيئة العرضية، كما نسب الله إضلال بعض بسبب نزول الآية، وكان القرآن - الذي هو نور محض - عسى^(٥) على بعض؛ تبعدهم، فتأمل.

وفي الدعاء: (وبالاسم الذي وضعته على النهار فأضاء، وعلى الليل فأظلم)^(٦). فكل محمول لغيره يحمله الله، لا يستطيع خلاف ما يراد به ويشاء، والممسك للكل عن الفناء، وما يحيط بالأرض والسماء، وما يحيطان به من الأشياء فيه حياة كل شيء ووجوده وقوامه، تعالى همّا يقول الظالمون من كونه محمولاً، أو غير الحامل للأشياء.

(١) «الإسراء» الآية: ٤٣.

(٢) انظر: «الكافي» ج ١، ص ٣٨٩. باب خلق أبدان الأئمة وأرواحهم... «بحسار الأنوار» ج ٢٥، ص ١. باب خلقهم وطينتهم... (٣) من «ب».

(٤) في «أ»: «بكونه».

(٥) لعله إشارة إلى قوله تعالى: ﴿قُلْ هُوَ لِلَّذِينَ آمَنُوا هُدًى وَنُورٌ وَالَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ فِي آذَانِهِمْ وَقْرٌ وَهُوَ عَلَيْهِمْ عَمًى﴾.. «فصلت» الآية: ٤٤.

(٦) «مصباح التهجد» ص ٧٤٠، وفيه: (باسمك الأَعْظَمُ الأعْظَمُ الأَجَلُ الأَكْرَمُ، الذي وضعته)...

وكان الإمام عليه السلام ضمن قوله: (بعظمته) ... إلى آخره، برهاناً دالاً على كونه حاملاً للكُلِّ، حيث إنَّ حملة العرش إنما حملوه بعظمته ونوره، وهما به قائمان، فالحامل والمحمول قائم به تعالى.

وجعل الشارح^(١) (بعظمته ونوره أبصر قلوب المؤمنين) إشارة للنور الأبيض - (بعظمته ونوره عاداه الجاهلون) إشارة للنور الأحمر، وما بعده إلى: (الأديان [المشتبهة]^(٢)) إلى النورين الباقيين - لا يخفى ما فيه، وإن أمكن تصحيحه بوجه يؤول إليه.

قوله: ﴿قال له: فأخبرني عن الله عز وجل أين هو؟ فقال أمير المؤمنين عليه السلام: هو هنا هنا، وفوق وتحت، ومحيط بنا ومعنا، وهو قوله: ﴿مَا يَكُونُ مِنْ نَجْوَى ثَلَاثَةٍ إِلَّا هُوَ رَاسِعُهُمْ وَلَا حُمْسَةٍ إِلَّا هُوَ سَادِسُهُمْ وَلَا أَدْنَى مِنْ ذَلِكَ وَلَا أَكْثَرَ إِلَّا هُوَ مَعَهُمْ أَيْنَ مَا كَانُوا﴾^(٣).

أقول: قد مرَّ لك بيان الآية: واعلم أنَّ معنى كونه هنا وهنا، وفوق وتحت ونحوها، لا بمعناه في الممكن، من الفرق أو الاجتماع أو الرفع، بل بمعنى كون أحدهما عين الآخر من جهة واحدة، بما يجتمعان ويرتفعان، فاجتماع هو الرفع بما هو جمع، وكذا نقول في الرفع. وهي أيضاً صفة فعل قائمة بفعله، لتعالبه عن النسبة وملاحظة الغير. وسيأتي زيادة بيان لمثل هذه الجمل في آخر الأبواب وغيره، وسبقت الإشارة إلى بعضه.

وقال الملا الشيرازي^(٤) في معنى ذلك بما يعود إلى وحدة الوجود، وجعل الكثرة عين الوحدة وبالعكس، والمعية الذاتية، كما سبق في الآية وردّه، فراجع.

قوله: ﴿فالكرسي محيط بالسموات والأرض، ﴿وَمَا بَيْنَهُمَا وَمَا تَحْتَ الثَّرَى﴾^(٥) وَإِنْ تَجَهَّزْ بِالنُّزُولِ قَالَهُ يَخْلُمُ السِّرَّ وَأَخْفَى﴾^(٦)، وذلك قوله

(١) «شرح المازندراني» ج ٤، ص ١٢٢. (٢) في النسخين: «المخلقة».

(٣) «المجادلة» الآية: ٧.

(٤) «شرح أصول الكافي» ج ٣، ص ٣١٥ - ٣١٧. وسبقت الإشارة إليه مع ردّه في باب الحركة والانتقال.

(٥) «طه» الآية: ٦ - ٧.

شرح ح ٥، فراجع.

تعالى: ﴿ وَسِعَ كُرْسِيُّهُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ وَلَا يَئُودُهُ حِفْظُهُمَا وَهُوَ الْعَلِيُّ الْعَظِيمُ ﴾^(١).

أقول: لما بين ﷻ أن الله لا مكان له بحوره - وليست نسبته للأشياء بالمكايبة أو المصاحبة، فلا تختلف النسبة، بل نسبة قيومية أزلية فعلية، لا كيف لها ولا نسبة ولا أين - بين له الكرسي، لتلا يأخذه التوهم بأنه محيط بالأشياء، سواء أريد به الجسم أو العلم، كما ستسمع نقلاً عن التوحيد^(٢) والاعتقادات^(٣) وغيرهما، وعلى كل تقدير فالعرش أعظم ومحيط به، الظاهر للظاهر، والباطن للباطن.

وروى الصدوق عن أبي عبد الله ﷻ: ﴿ السر ﴾ ما أكننته في نفسك، ﴿ وأخفى ﴾ ما خطر ببالك ثم أنسيت^(٤).

علي بن إبراهيم: ﴿ السر ﴾ ما أخفيت، ﴿ وأخفى ﴾ ما خطر ببالك ثم نسيت^(٥).
فإنه يعلم السر وأخفى منه، وإن كان الكرسي محيطاً بما أحاط، فعلمه تعالى أجل وأشمل منه، فهذا معنى: ﴿ وَسِعَ كُرْسِيُّهُ ﴾ الآية، فإنه محيط بما عرفت.
وقوله: ﴿ وَلَا يَئُودُهُ حِفْظُهُمَا ﴾ أي لا يشغله، فإنه يعلم الكل، فالأشياء مظهر العلم الأزلي، بما ظهر له به، وهو العلم الفعلي، دليل على الأول الذاتي، وظهوره لخلقه بخلقه [فظهر^(٦)] دلالة لا إحاطة، فلا يؤوده حفظ الأشياء ولا يشغله. واعتبر بظهور الأشعة وقيامها بفعل الشمس، وهو لا يشغل الشمس ولا يعجزه حفظها.
وأيضاً لا نهاية له ولا حد، فلا يؤوده الحفظ، والآ كان له ذلك، ولم يكن واجب وجود ذاتي.

وأيضاً كما روي: ﴿ يمسك الأشياء بعضها ببعض، ويمسك الكل بقدرته ﴾^(٧) أي القدرة الفعلية وأظلة الأشياء، وهو ظهوره الصفاتي، فلا يشغله.

(١) «البقرة» الآية: ٢٥٥.

(٢) «التوحيد» ص ٣٢٧، ج ١.

(٣) «الاعتقادات» ضمن «سلسلة مؤلفات الشيخ المفيد» ج ٥، ص ٤٤.

(٤) «معاني الأخبار» ص ١٤٣، ج ١، وفيه: «كتمته»، وعلى نسخة: «أكننته» كما في هامش المصدر.

(٥) «تفسير علي بن إبراهيم القمي» ج ٢، ص ٥٨. (٦) في «أ»: «وظهور».

(٧) «التوحيد» ص ٥٨، ج ١٥، وفيه: (وهو يمسك الأشياء بأظلتها... وأنه حامل الأشياء بقدرته)؛ ص ٤٤٠.

ج ١، وفيه: (إلا أن الخلق يمسك بعضه بعضاً... والله عز وجل وتقدس بقدرته يمسك ذلك كله).

قوله: ﴿فَالَّذِينَ يَحْمِلُونَ الْعَرْشَ هُمُ الْعُلَمَاءُ الَّذِينَ حَتَلَهُمُ اللَّهُ تَعَالَى عِلْمَهُ،
وليس يخرج عن هذه الأربعة شيء خلق الله في ملكوته، [وهو
الملكوت] (١) الذي أراه الله أصفياه، وأراه خليله ﷺ. فقال: ﴿وَكَذَلِكَ
نُرِي إِبْرَاهِيمَ مَلَكُوتَ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ وَلِيَكُونَ مِنَ الْمُوقِنِينَ﴾ (٢).
وكيف يحمل حملة العرش الله تعالى، وحياته حيث قلوبهم، وبنوره
اهتدوا إلى معرفته؟ ﴿

أقول: فحملة علمه هم حملة هرشه، الذي أحاط بكل شيء، وأعلامهم وأشدّهم حملاً
محمد ﷺ، وما سواه بالرتبة، فهو مشكك بالنسبة لهم، وليس يخرج عن الأربعة الأنوار
شيء، لأنها ملكوت الأشياء وغيبها، وهي حجب الصفات، والملكوت ظاهرها، فكل
شيء قائم به، والإحاطة بالغيب تقتضي الإحاطة بالشهادة.

وأشار ﷺ إلى امتناع [حمل] (٣) حملة العرش لله - كما يفهم سؤاله عن المكان مع ذكره
الآية - ببرهائين، أشار لهما قبل:

البرهان الأول: أن حياته ووجوده يحمي كل شيء منه، فإذا كان وجود كل شيء منه،
فكيف يتصور كونه حاملاً له؟ بل هو مستحيل ذاتاً، وإلا لم تكن حياته منه - ومركب - وهو
حياة كل شيء، ونور كل شيء.

البرهان الثاني: أن بنوره اهتدوا إلى معرفته، فإذا كان الاهتداء به فكيف يحملونه،
كلاً؟ بل تجلّى للخلق بالخلق وبهم احتجب، فأنى لهم وحمله؟ فهم تجلّى نوره وفعله،
وتجلّى في كل بحسبه، واستوى على الكل، وفي الأصل الحقيقة واحدة لا تكثر فيه، فلا
يصح كون نور الشيء وحكاية ظهوره حاملاً له.

وهذان الوجهان يدلان أيضاً على عدم منافاة حمل بعض الممكنات لبعض، لكونه
تعالى الحامل لكل شيء والممسك، وكيف وإنما هو بنوره وعظمته، وحياتهم منه تعالى،
فإنه يمسك الأشياء بعضها ببعض، ويمسك الكل بقدرته، وهي القدرة الإمكانية: المشيئة

(٢) «الأنعام» الآية: ٧٥.

(١) ليست في المصدر.

(٣) من «ب».

الفعلية، فانتهاه الكل إلى مشيئته.

وقوله ﷺ: (وكيف) ... إلى آخره، برهان واضح على استحالة كون الله محمولاً لغيره، إذ لا قيام له بغيره، لمنافاته الوجود، لا قيام اللازم بالملزوم، ولا الصورة بالمادة، ولا العرض بالجوهر، ولا الحال بالمحل، ولا بتجلي الذات، بل بما ظهر لفعله به، ولغيره به، وليس هذا [القيام إلا ظهورياً] ^(١) بنفس الظهور، والقيام فيه بالعكس، فالكل قائم به، كيف وبحياته [العقلية] ^(٢) المغاضة حيث قلوبهم، وكذا بنور مشيئته؟ فهم محمولون، وهو الحامل الممسك، فلا ينعكس الحكم، ولأنا قلب الممكن واجباً والواجب ممكناً، تعالى الله علواً كبيراً. نعم، من يجعل الحق مرآة للخلق وبالعكس - أو الأشياء مستجئة فيه، أو هو مادة للأشياء - يلزمه القول بثبوت حمل غيره له بوجه ما، وأقله في ظهور كماله تعالى، واستكمال بغيره، وهو حمل، فتدبر.

قال الملا الشيرازي: «في إحاطة علمه تعالى بجميع الموجودات الكلية والجزئية، وذلك قوله ﷺ: (فالكروسي محيط بالسموات والأرض وما بينهما، وما تحت الثرى) إلى قوله: (وهو العلي العظيم)» ^(٣).

ثم أخذ في نقل أقوال المفسرين وغيرهم في معنى الكروسي، أحرصنا عنه لعدم الفائدة هنا واختصاراً.

ثم قال: «ولنذكر لمعة من قول الراسخين؛ للعجز عن إدراك سره، فإنه نبا عظيم وأتم عنه معرضون، وهو أنه ما خلق الله من شيء في عالم الصورة، إلا وله نظير في عالم المعنى، وما خلق الله شيئاً في عالم المعنى والملكوت إلا وله صورة في هذا العالم، وله حقيقة في عالم الحق، وهو غيب الغيوب؛ إذ العوالم متطابقة، الأدنى ظل للأعلى، والأعلى روح وحقيقة للأدنى، وهكذا إلى حقيقة الحقائق، فما في الدنيا أمثلة وقوالب لما في الآخرة، وكل ما في عالم الآخرة أشباح لما في الحقائق العقلية والصور المفارقة، وهي مظاهر الأسماء الإلهية» ^(٤).

أقول: العوالم متطابقة في الإمكان، ولا تأصل لها وتحقق في دار الحق وغيب الغيوب،

(١) في النسختين: «قيام إلا ظهوري».

(٢) في «ب»: «العقلية».

(٣) «شرح أصول الكافي» ج ٣، ص ٣٤٠، صحناه على المصدر.

(٤) «شرح أصول الكافي» ج ٣، ص ٣٤٣ - ٣٤٤، بتفاوت، صحناه على المصدر.

حتى تكون غيبية فيه أو لازمة، [-] وهذا قول الراسخين في الجهل، لا في العلم، بل قولهم عكسه.

وليس في العقل صورة، بل معاني ويدركها بالنفس، في مقام ألتها. وليس الأهلنى حقيقة الأدنى، بل ظهوره له به، فهو فرعه وصفته، لكنه تفريع منه على أصله الباطل، من كونه تعالى كل الوجود، والقول بوحده وتمدده إنما هو ظاهراً بالتعينات بالأعيان الممكنة الاعتبارية.

ثم أخذ في بيان العرش في ظاهر الإنسان، بأنه «قلبه الصنوبري الشكل، وفي باطنه روحه النفساني، وفي باطن باطنه نفسه الناطقة، إذ هي محل استواء الروح الإضافي الأمري، الذي هو جوهر قدسي وسر إلهي»^(١).

أقول: يذكر المثل ويجعل كيفية التمثيل، وكذا في الدليل، فأصاب هنا في المثل وجهل الكيفية، فلم ينفعه ما علم، بل باطنه العقل والقلب المعنوي، وباطن باطنه مقام الفؤاد، والنفوس مقام الكرسي، ومحل الاستواء العرش الأمري، وباعتباره في الإنسان بدء وجوده ونوره الذي ينظر به المؤمن.

قال: «ومثال الكرسي في الظاهر صدره، وفي الباطن روحه الطبيعي الذي هو مستوى نفسه الحيوانية، التي وسعت سماوات القرى الطبيعية السبعة: الغاذية، والنامية، والمولدة، والجاذبة...»^(٢) إلى آخره.

أقول: ما فيه يظهر بالمقابلة.

قال: «ثم العجب كل العجب أن صورة العرش، مع عظمتها بالنسبة إلى سعة قلب المؤمن، كحلقة ملقاة في فلاة بين السماء والأرض، وقد ورد في الحديث الإلهي: (لا يسعني أرضي ولا سمائي وإنما يسعني قلب عبدي المؤمن)^(٣). وقال أبو يزيد البسطامي^(٤): لو أن العرش وما حواه وقع في زاوية من زوايا قلب أبي يزيد لما أحس به»^(٥).

(١) «شرح أصول الكافي» ج ٣، ص ٣٤٤، بتفاوت يسير، صحناه على المصدر.

(٢) «شرح أصول الكافي» ج ٣، ص ٣٤٤، صحناه على المصدر.

(٣) «إحياء علوم الدين» ج ٣، ص ١١٥ «غوالي الأئمة» ج ٤، ص ٧، بتفاوت.

(٤) انظر: «الفتوحات المكية» ج ٤، ص ٨، عنه، باختلاف.

(٥) «شرح أصول الكافي» ج ٣، ص ٣٤٤.

أقول: بل منك أَعْجَب، تقول بالتمسك بمحمد وآله وأحاديثهم، ويشتهه عليك [كلام] (١) رئيس المضلين ابن عربي، وتحرف به الكتاب والسنة إلى قواعد المتصوفة، وهما يناديان بخلاف قوله، وببطلانه، كما أوقفتك عليه متفرقاً، وهذا منه بمنظر منك، فهو يفتر بقول هذا المتصوف الملعون، وقلبه لا يسع خردلة، لكنّه يتوهم بخياله العرش وغيره أنّه فيه، وهكذا علمه بالمعاد وغيره.

[والوارد: (٢)] (ولكن يسعني قلب هدي المؤمن) (٣) وليس إلا الإنسان الكامل، كامل الإنسان محمد ﷺ وآله عليّ مراتبهم، لا غير من الخلق طراً، ومن ادّعاه غيرهم فاحثُ التراب في فيه، وبهذا كفاية، وأدلة ذلك عقلاً ونقلًا متواترة.

قال: «إذا علمت ذلك وتحققت به، فاجعله ميزاناً لك في أمثال القرآن والأحاديث، فإذا بلغك عن الرسول ﷺ أن القبر روضة أو حفرة، فلا تحمله على المجاز والاستعارة، بل كن إما مؤمناً بظاهرها، من غير تأويل، أو عارفاً راسخاً في تحقيق الحقائق والمعاني، مع إبقاء الظواهر بغير تأويل إلا بصورتها وهبتها التي جاءت، فإذا كوشف بمعنى خاص أو إشارة وتحقيق، قرّر ذلك المعنى» (٤).

أقول: اخترنا منها بعض ألفاظه، وما تبح به على غيره يلزمه أقبح منه، فإنه صرح في كتبه وسيأتي نقله في موضعه منه: أن مبنى الآخرة على القوة الخيالية، وأنها مجردة، والمعاد: [الصور] (٥) دون المادة، وأن ثواب القبر وعقابه هو صورته الخيالية - حياة - تتصور بها نفسه (٦). فهذا كشف الشيطان، وقد أبطل به المعاد والشريعة، وسيأتي نقل كلامه وردّه في مجلد المعاد، حتى إنه أنكر هود المادة.

[أقول: (٧)] ثم أثبت علماً إجمالاً، سمّاه العناية، أجمل الأشياء، وجعله عين الذات.

(١) من «ب» . (٢) من «ب» .

(٣) «غوالي اللآل» ج ٤، ص ٧، ح ٧، صحنائه على المصدر.

(٤) «شرح أصول الكافي» ج ٣، ص ٣٤٤ - ٣٤٥، بتصريف، صحنائه على المصدر.

(٥) في «أ»: «والصور» .

(٦) انظر: «الأسفار الأربعة» ج ٩، ص ٢١٨، ٢٢١، «أسرار الآيات» ص ١٧٩. وستأتي مناقشته في «هدي

المقول» ج ١٠، الباب الأول: الحشر وأحكام المعاد.

(٧) في «أ»: «قال»، وفي «ب» فراغ.

* يعني الذي لا إجمال فوقه، كما عبّر به صدر المتألهين في: «شرح أصول الكافي» ج ٣، ص ٣٤٥.

وهذا يديهي الفساد، وتعالى الله عن ذلك، ولا إجمال للأشياء في ذاته.

ثم ذكر مرتبة علمه: القضاء الإجمالي، وجعله قلم الحق الظاهر به، ثم القدر، ثم العالم النفسي، ثم كتاب المحر والإثبات - وهذا فيه ما لا يخفى - ثم الحق بكلام طويل قليل التحصيل. ثم قال: «قوله:» (وهو العلمي العظيم) قال بعض العلماء: أعظم المخلوقات المكان والزمان، والمكان فضاء لا غاية له، أصله من العماء الذي ما فوقه هواء وما تحته هواء، والزمان الامتداد الخارج من قعر ظلمات عالم الأزل في ظلمات عالم الأبد، فهو نهر خرج من قعر جبل الأزل، ودخل في قعر الأبد، فالأول والآخر صفة الزمان، والظاهر والباطن صفة المكان، والحق سبحانه وسع المكان ظاهراً وباطناً، وسع الزمان أولاً وآخرأ، وإذا كان المدبر للزمان والمكان هو الله سبحانه كان منزهاً عنهما.

إذا عرفت هذا نقول: عقد الزمان بالعرش، فقال: ﴿وكان عرشه على الماء﴾^(١) لأن جري الزمان يشبه جري الماء. وعقد المكان بالكرسي؛ لأن مكانه أهلى الأمكنة وأوسعها، والعرش لا مكان له، فالعلو صفة الكرسي ﴿وَسِعَ كُرْسِيُّهُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ﴾^(٢). والعظمة صفة العرش ﴿لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ عَلَيْهِ تَوَكَّلْتُ وَهُوَ رَبُّ الْعَرْشِ الْعَظِيمِ﴾^(٣). وكمال العلو والعظمة لله تعالى، لأن مبدع الكمال ومعطيه أولي به^(٤).

أقول: ليس أعظم مخلوقاته المكان والزمان، بل فوقه هوالم لا نهاية لها، أعظم منهما، فهما من الأعلى كحلقة في فلاة، والزمان والمكان لا يزيدان على عدد الجهات، وكل واحد منهما مساوٍ للباقي مثل فعله، والسرمد والإمكان - وهو نهاية [الإمكان]^(٥) - ومخرجهما من أسفل | عالم | المثال، الذي هو أسفل | عالم | الملكوت، وأين هما والأزل والأبد؟ والحق: الكل ظهوراً وبطوناً، وأولاً وآخرأ وبالعكس، كل بما كان [للأول]^(٦) - ليس هو بالذات، بل بالظهور الفعلي، والذات منزّهة عن ذلك. وعقد الزمان والمكان بالمحدود، وهو العرش الجسماني في الفلكيات، وليس عقده على الماء، كما ذكر من التشبيه، بل بمعنى العلم، وسبق بيانه.

(١) «هود» الآية: ٧. (٢) «البقرة» الآية: ٢٥٥.

(٣) «التوبة» الآية: ١٢٩.

(٤) «شرح أصول الكافي» ج ٣، ص ٣٤٦ - ٣٤٧، باختصار، صححناه على المصدر.

(٥) ليست في «ب». (٦) في «ب»: «الظهور».

والعلوِّ والعظمة - في الآية - وصفان للكرسي، وإن صحَّ ما ذكر باعتبار آخر، وهذه العظمة غير الذاتية، فتدبر.

قال: «علوُّ الحقِّ وعظمتُه صفتان إضافيتان، ثابتتان له تعالى بالقياس إلى اعتقاد العبد وتصوّره، وإثباته لغير الله وجوداً، وإلا فليس لما سواه في جنب وجوده وجود، حتى يتّصف بالعلوِّ بالقياس إليه، لكن الإنسان بوجهه يتصوّر لنفسه وجوداً مستقلاً، وبواسطة وجوده الموهوم يثبت للعالم وأفراده وجوداً مستقلاً، يقيس إليها وجود الحقِّ، فيصفه بالعلوِّ والعظمة، ثمَّ بقدر ما يظهر له من قصور وجوده وضعفه، وقصور الوجودات الإمكانية وضعفها، يزيد الحقِّ في نظره علوّاً وعظمة، ولهذا قيل: إن ظهور الإنسان سبب خفاء الحقِّ في هذا العالم، فيقدر انكساره وافتقاره يظهر وجود الحقِّ وعلوّه.

فقوله: ﴿ وَهُوَ الْعَلِيُّ الْعَظِيمُ ﴾^(١) بالنظر لقوم لهم بقايا الوجود الوهمي، وقوله: ﴿ وَهُوَ الْوَاحِدُ ﴾^(٢) بالنظر إلى قوم آخرين عند ظهور الساعة، وقوله: ﴿ كُلُّ شَيْءٍ هَالِكٌ إِلَّا وَجْهَهُ ﴾^(٣) بالقياس إلى الجميع بعد قيام الساعة^(٤).
أقول: كلّه خلط.

قوله: «علوُّ الحقِّ»... إلى آخره، بل علوّه ذاتي، وعظمتُه بنفس ذاته، بلا اعتبار نسبة وإضافة، حيث لا اعتبار لغيره بوجه، فإنّه لذاته لا لغيره، ولا تقوم به نسبة، ولا نسبة بينه وغيره بوجه، فلا تحقّق لها إلا بعد المنتسبين، فيكون معه قديم وله مقابل ولو اعتباراً، أو تغيّر ذاته ممّا كانت عليه أولاً بعد خلقه الخلق، وتقوم به الحوادث ولو اعتباراً، وهو منزّه عن جميع ذلك حتى اعتباراً.

وبالله العجب! كيف يحدث الاعتبار والنسب في ذاته من تصوّر العبد الموهوم، مع قوله: لا وجود لغيره إلا بحسب الوهم؟ فأبي مقرباً بالله يقول بهذا، فضلاً عمّن يعد نفسه أهل معرفة وكشف وإطلاع على الأسرار؟ فهذا منه بيّنة على إبطال قوله، وأنّه بعكس ما يقول، سبحانه هذا بهتان عظيم.

(١) «البقرة» الآية: ٢٥٥.

(٢) «الرعد» الآية: ١٦.

(٣) «القصص» الآية: ٨٨.

(٤) «شرح أصول الكافي» ج ٣، ص ٣٤٧، بناوت، صححناه على المصدر.

وأيضاً جعله وجوداً غيره موهوماً بتوهم العبد، ذلك صريح في إثبات وحدة الوجود، فوجوده وجود الله، وليس له إلا الوهم، فتعود مفاصد جمّة من كونه مادة لغيره، وقيام الحدود والأعراض به، واختلاف الأحوال، وكون العبد مركباً من موهوم ووجود ذاتي - كقول المتصوّف^(١): «أنا الله من غير أنا» إلى غير هذه المفاصد - فيكون الوجود والإمكان مفاهيم ترد عليه.

وأيضاً إن طابق هذا الموهوم نفس الأمر حادت المفاصد زيادة، والأفهم إنك مخلوق لنا لا هبرة به.

قوله: «ولهذا قيل... إلى آخره، ضلال وتحريف للآي عن الحق، وما فيه من المفاصد أكثر ممّا ذكر، وبه كفاية.

قال: «العلوّ علوّان: مكاني، وعلوّ معنوي، والأوّل ذاتي للمكان، عرضي للجسم الطبيعي، قال تعالى في حق إدريس: ﴿وَرَفَعْنَا مَكَانًا هَلِيًّا﴾^(٢) فوصف مكانه بالعلوّ، وأعلى الأمكنة مكان الكرسي، والعرش لا مكان له، بل هو محدّد المكان، كما أنه بحركته محدّد الزمان، فكلّ ما هو أقرب للكرسي أعلى في المكان، ويقابله مكان الأرض السفلي.

والثاني علوّ معنوي، وهو ذاتي للحق؛ لأنه حقيقة الوجود، وعرضي للماهيات الموجودة، فإطلاق الموجود على الماهيات كإطلاق العالي على الأجسام، وعلى الواجب كإطلاقه على محدّد الجهات.

ثم قال: ﴿وَاللَّهُ مَعَكُمْ﴾^(٣) أي بالمعية الوجودية؛ لأنّ الإنسان الكامل وصل حياة القرب، وأحاط علماً بالكلّ، فله المعية الذاتية بالنسبة إليه تعالى، فيكون فوق الكلّ بفوقية الحق، فهو أعلى بذاته، والإنسان الكامل هلا بعلو الحق. ولمظنة توهم الاشتراك في العلوّ الذاتي، أمر الله أشرف الممكنات بالتأدب بأداب العبودية، ويسبح الله عن النقص الإمكانية^(٤).

أقول: حذفنا بعض الألفاظ، وبقي له كلام طويل، فيه تدارك كثير أهرضنا عنه، اكتفاءً بما

(١) نسبه صاحب «جوامع الكلم» في الرسالة الرشتية، ص ٦٩، إلى ابن عربي، وفيه: «أنا الله بلا أنا».

(٢) «مريم» الآية: ٥٧. (٣) «محمد» الآية: ٣٥.

(٤) «شرح أصول الكافي» ج ٣، ص ٣٤٨ - ٣٤٩، باختصار، صححناه على المصدر.

نقلنا منه .

وأقول: والزمان والمكان - وهو البعد المجرد وقت وجود الشيء - كل لازم للآخر، ونهايتهما محدد الجهات، وكذا هو يلزمهما، وكلما قرب منه كان اللطف، وهما من مشخصات الجسم، وذاتي لهما، ومحدد العرش - بمعنى الفلك الأطلس - لا زمان له ولا مكان، أي خارجان، وهما داخلان، ولا زمان له نهاية، فلا يكون لهما زمان ومكان خارج، ولأن نقل الكلام إليه، بل يكون محدبه اللطف جسم، الوجود للوجود، وللماهية بعد الوجود وبه، فيتصف به أيضاً، وبحسب جعلها ذاتي.

وليس إطلاق العلو عليه تعالى كهو على المحدد، وليس معنى معيته المعية الوجودية، ولأن ظهر بذاته، وكانت * حقائق الأشياء ووجوداتها، وسبق قوله به وبطلانه، بل معيته ظهورية فعلية.

ولا يكون للإنسان الكامل معية ذاتية مع الله، وفوقية هي فوقية الحق، ولا علو هو علو الحق، بل لا يخرج عن الإمكان، ونسبة الأقرب والأبعد إلى الذات واحدة، ولا تقطع بالأشبار ولا الساعات، وإنما هو قرب فعلي، بما ظهر له به، وكلما قرب - باتصافه بصفاته الكمالية الظاهرة، وتزكيتة لنفسه - ازداد خوفاً وفاقاً وقرأ، أو يكون موجوداً بإيجاد الله، وإمداده له بما ظهر له به، وباقياً بإبقائه، ورفيعاً وعالياً برفعه له، وبإعلانه له، ولا يكون هو هو بوجه.

على أنه على قوله السابق لا وجود لغير الله، بل كله لله، فلا معية لغيره، بل لأمر موهوم - كما سبق منه - ويلزمه الاشتراك في الذاتي؛ لكون الوجود واحداً، وغيره لا وجود له، بل هو موهوم، ولا معية، إذ الشيء لا يصاحب نفسه ولا موهوم، فليس إلا حقيقة الوجود الراجبي في الذات، ولا وجود لغيرها ولا ممكن أصلاً، إلا أموراً موهومة باطلة، [فنهاية] (١) التكاليف وغيرها بطلان وخسران، وإنما مرجعه إلى تجلي الذات وظهورها في الأمور الموهومة، أو رجوعها عنه ومحوها له، سبحانه وتعالى عما يقوله الظالمون والمشركون علواً كبيراً.

تسعة: روى الصفار في بصائرهم، بسنده عن ابن مسكان، قال: قال أبو عبد الله عليه السلام:

(١) في النسختين: «فيها به».

(*) يعني ذاته تعالى.

﴿ وَكَذَلِكَ نُرِي إِبْرَاهِيمَ مَلَكُوتَ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ وَلِيَكُونَ مِنَ الْمُوقِنِينَ ﴾^(١) قال: (كشط لإبراهيم السماوات السبع، حتى نظر إلى ما فوق العرش، وكشط له الأرض، حتى رأى ما في الهواء، وفعل بمحمد ﷺ مثل ذلك، وأني لأرى صاحبكم والأئمة من بعده قد فعل بهم مثل ذلك)^(٢).

وعن أبي بصير، قال: قلت لأبي عبدالله ﷺ: هل رأى محمد ﷺ ملكوت السماوات والأرض كما رأى إبراهيم؟ قال: (نعم، وصاحبكم)^(٣).
وعن أبي جعفر ﷺ في هذه الآية، قال: (كشط له عن الأرض حتى رآها ومن فيها، وعن السماء حتى رآها ومن فيها، والملك الذي يحملها، والعرش ومن عليه، وكذلك أرى صاحبكم)^(٤).

القول: وهذا الكشط الغيبي بالنفس للنفس، ولا ينافي بقاء محسوس فيه، كيف وهو قشره وظاهره، ولم يخن هذا العالم مدة، ومدة محمد وآله صلى الله عليهم أجمعين، مع أنه كشط للكُلِّ، حتى للقائم حجل الله فرجه، ولكن إذا اطلع على غيب الشيء فقد كشط عنه، فالظاهر كالجلد، وحينئذ ينظر الأشياء كما هي، وما يتجدد على قدر تفاوت الكشف.
اروى | محمد بن يعقوب، مستنداً عن الصادق ﷺ، قال: (لما رأى إبراهيم ﷺ ملكوت السماوات والأرض، التفت فرأى رجلاً يزني، فدها عليه فمات، ثم رأى آخر فدها عليه فمات، حتى رأى ثلاثة فدها عليهم فماتوا، فأوحى الله عز وجل إليه: يا إبراهيم إن دعوتك مستجابة، فلا تدع على عبادي، فإني لو شئت لم أخلقهم، إني خلقت خلقي على ثلاثة أصناف: عبداً يعبدني لا يشرك بي شيئاً لأثيبه، وعبداً يعبد غيري فلن يفوتني، وعبداً عبد غيري فأخرج من صلبه من يعبدني)^(٥). اللهم هاملنا بعفوك يا كريم.

القول: ولكون كشف محمد ﷺ أهلي لم يصل لنا في حديث أنه دعا على أحد في العروج. وهذا الكشف هو العروج الروحاني، وقد حصل لمحمد ﷺ مع الجسماني

(١) «الأنعام» الآية: ٧٥.

(٢) «بصائر الدرجات» ص ١٠٧، ح ٢، صحته على المصدر.

(٣) «بصائر الدرجات» ص ١٠٧، ح ٤، صحته على المصدر.

(٤) «بصائر الدرجات» ص ١٠٦ - ١٠٧، ح ١، صحته على المصدر.

(٥) «الكافي» ج ٨ ص ٢٥٣ - ٢٥٤، ح ٤٧٣، بتفاوت يسير.

زيادة، وروى علي بن إبراهيم مثله في تفسيره^(١).

وعنه: هن الصادق: (كشط له هن الأرض ومن عليها، وهن السماء ومن فيها، والملك الذي يحملها، والعرش ومن عليه، وفعل ذلك برسول الله ﷺ، وأمير المؤمنين ﷺ)^(٢).

وفي الاختصاص للمفيد، بسنده عن جابر بن يزيد، عن أبي جعفر ﷺ قال: سألته عن قول الله عز وجل: ﴿ وَكَذَلِكَ نُرِي إِبْرَاهِيمَ مَلَكُوتَ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَلِتَكُونَ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ ﴾ قال: وكنت مطرفاً إلى الأرض، فرفع يده إلى فوق، ثم قال: (ارفع رأسك) فرفعت رأسي، فنظرت إلى السقف قد انفرج، حتى خلس بصري إلى نور ساطع، وحر بصري دونه، ثم قال لي: (رأى إبراهيم ملكوت السماوات والأرض هكذا).

ثم قال لي: (أطرق) فأطرت، ثم قال: (ارفع رأسك) فرفعت رأسي، فإذا السقف على حاله، ثم أخذ بيدي، فقام وأخرجني من البيت الذي كنت فيه، وأدخلني بيتاً آخر، فخلع ثيابه التي كانت عليه، ولبس ثياباً غيرها.

ثم قال لي: (غض بصرك) فغضت بصري، فقال: (لا تفتح عينيك) فلبثت ساعة، ثم قال لي: (تدري أين أنت؟) قلت: لا، قال: (أنت في الظلمة التي سلكها ذو القرنين) فقلت له: جعلت فداك، أتأذن لي أن أفتح عيني فأراك؟ فقال لي: (افتح، فإنك لا ترى شيئاً) ففتحت عيني، فإذا أنا في ظلمة لا أبصر فيها موضع قدمي، ثم سار قليلاً ووقف، فقال: (هل تدري أين أنت؟) فقلت: لا أدري، فقال: (أنت واقف على عين الحياة التي شرب منها الخضر ﷺ).
وسرنا فخرجنا من ذلك العالم إلى عالم آخر فسلطنا فيه، فرأينا كهيئة عالمنا هذا في بنائه ومساكنه وأهله، ثم خرجنا إلى عالم ثالث كهيئة الأول والثاني، حتى وردنا على خمسة عوالم.

قال: ثم قال لي: (هذه ملكوت الأرض، ولم يرها إبراهيم ﷺ، وإنما رأى ملكوت السماوات، وهي اثنا عشر عالماً، كل عالم كهيئة ما رأيت، كلما مضى منا إمام سكن إحدى هذه العوالم، حتى يكون آخرهم القائم في عالمنا الذي نحن ساكنوه).

ثم قال لي: (غض بصرك) ثم أخذ بيدي، فإذا في البيت الذي خرجنا منه، فنزع ذلك الثياب ولبس ثيابه التي كانت عليه، وهُدنا إلى مجلسنا، فقلت له: جعلت فداك، كم مضى

(١) «تفسير علي بن إبراهيم القمي» ج ١، ص ٢٣٤. (٢) «تفسير علي بن إبراهيم القمي» ج ١، ص ٢٣٤.

من النهار؟ فقال: (ثلاث ساعات) (١).

القول: وغير خفي دلالة على علو جابر، خصوصاً على نسخة الصفار الآتية، فإنها تدل على أنه شرب من عين الحياة، وهذا لا يتنافى حياته، وإن مات فليس الشرب بواحد، فلا يتنافى أن من شرب منها لم يموت.

وقوله له: (رأى - إبراهيم - ملكوت السماوات [والأرض] (٢)...) إلى آخره، أي رآه كما ترى هذا النور وهذا الانفراج، وما حكمت به الروايات السابقة: من أن إبراهيم كشط له عن الأرض، فرآها ومن عليها، والملك الحامل، وكذا ما في الهواء، وعدم رؤيته هذه العوالم الداخلة في ملكوت الأرض، كما في هذه الرواية؛ إذ الملكوت يتفاوت، وكذا ملكوت السماوات، فأين إبراهيم ومحمد ﷺ وآله ﷺ؟

وروي هذا الحديث محمد بن الحسن الصفار، عن جابر، عن أبي جعفر ﷺ، إلا أن فيه: (أنت واقف على عين الحياة التي شرب منها الخضر) [وشرب وشربت] (٣)، وخرجنا من ذلك العالم (٤). وساق الحديث إلى آخره.

الإمام العسكري ﷺ في تفسيره قال: (فقال: رسول الله ﷺ: يا أبا جهل أو ما علمت قصة إبراهيم الخليل ﷺ لما رفع في الملكوت، وذلك قول ربي: ﴿وَكَذَلِكَ نُرِي إِبْرَاهِيمَ مَلَكُوتَ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَلِيَكُونَ مِنَ الْمُوقِنِينَ﴾ قَوَى اللهُ بَصْرَهُ لَمَّا رَفَعَهُ دُونَ السَّمَاءِ، حَتَّى أَبْصَرَ الْأَرْضَ وَمَنْ عَلَيْهَا، ظَاهِرِينَ وَمُسْتَتَرِينَ، فَرَأَى رَجُلًا وَامْرَأَةً عَلَى فَاخِشَةٍ، فَدَاها عَلَيْهِمَا بِالْهَلَاكِ فَهَلَكَا، ثُمَّ رَأَى آخَرَيْنِ فَدَاها عَلَيْهِمَا بِالْهَلَاكِ فَهَلَكَا، ثُمَّ رَأَى آخَرَيْنِ فَهَمَّ بِالْدَعَاءِ عَلَيْهِمَا، فَأَوْحَى اللهُ تَعَالَى إِلَيْهِ: يَا إِبْرَاهِيمَ، اكْفِفْ دَعْوَتَكَ مِنْ عِبَادِي وَإِمَانِي، فَإِنِّي أَنَا الْغَفُورُ الرَّحِيمُ الْحَنَّانُ الْحَلِيمُ، لَا تَضُرَّنِي ذُنُوبُ عِبَادِي، كَمَا لَا تَنْفَعُنِي طَاعَتُهُمْ، وَلَسْتُ أَسْؤِسُهُمْ لِشِفَاءِ الْفَيْظِ كَسِياسَتِكَ، فَاكْفِفْ دَعْوَتَكَ مِنْ عِبَادِي، لِإِنَّمَا أَنْتَ عَبْدٌ نَذِيرٌ، لَا شَرِيكَ لِي فِي الْمَمْلَكَةِ، وَلَا مَهِيْمِنٌ عَلَيَّ، وَلَا عَلَى عِبَادِي، وَعِبَادِي مَعِي بَيْنَ خِلَالِ ثَلَاثِ:

إِنَّمَا تَابُوا إِلَيَّ فَتَبَّتْ عَلَيْهِمْ، وَغَفَرْتُ ذُنُوبَهُمْ وَسَتَرْتُ عِيُوبَهُمْ.

وإما كفت عنهم عذابي، لعلمي بأنه سيخرج من أصلابهم ذريات مؤمنون، فأرفق بالآباء

(١) «الاختصاص» ضمن «سلسلة مؤلفات الشيخ المفيد» ج ١٢، ص ٣٢٢-٣٢٣، صححناه على المصدر.

(٢) ليست في المصدر. (٣) ليست في المصدر.

(٤) «بصائر الدرجات» ص ٤٠٤، ح ٤.

الكافرين، وأتأني بالأمهات الكافرات، وأرفع عنهم عذابي؛ ليخرج ذلك المؤمن من أصلابهم، فإذا تزايدوا حل بهم عذابي، وحق بهم بلائي.

وإن لم يكن هذا ولا هذا، فإن الذي أعدته لهم من عذابي أعظم مما تريد بهم، فإن عذابي لعبادي على حسب جلالي وكبريائي.

يا إبراهيم فحل بيني وبين عبادي، فأني أرحم بهم منك، وخل بيني وبين عبادي، فأني أنا الجبار الحليم العلام الحكيم، أدبرهم بعلمي، وأنفذ فيهم قضائي وقدري.

ثم قال رسول الله ﷺ: **إِنَّ اللَّهَ تَعَالَى - يَا أَيُّهَا الْجَهْل - إِنَّمَا دَفَعَ عَنْكَ الْعَذَابَ لَعَلَّكَ تَعْلَمُ بِأَنَّهُ سَيُخْرِجُ مِنْ صَلْبِكَ ذُرِّيَّةً طَيِّبَةً: عِزَّةَ ابْنِكَ، وَسِيلِي مِنْ أُمُورِ الْمُسْلِمِينَ مَا إِنْ أَطَاعَ اللَّهُ وَرَسُولَهُ فِيهِ، كَانَ عِنْدَ اللَّهِ جَلِيلًا، وَالْأَلْعَذَابُ نَازِلٌ عَلَيْكَ** (١) انتهى.

رجع وتلخيص

قد ظهر لك أن العرش هنا هو العلم، وهو ظهور الظاهر بالوجود، الذي هو فعله المستقر على كل شيء، وإظهاره من العلم الذاتي، ولكن بما يعود إليه ظهوراً، وهذا لا يخرج منه شيء، [لارتباط] (٢) الأشياء به وصدورها عن الله به، ووجوب المناسبة بين المفعول والفعل، لا بينه وذات الفاعل، وإن اختلفت مراتب تنزلاته إلى الحسيات، وكلها تنزلات فعلية، فيكون كل طباق منه إلى السفلى.

والحملة لهذا العلم ثمانية: أربعة من الأولين، وأربعة من الآخرين، ولتكثر الجهات في كل حامل وتمدد ألسنته ولغاته عبر بجمع الكثرة على الثمانية، وكانت الملائكة أيضاً حملة بالنسبة لمن دونهم، وهم تحت هذه الثمانية، كما أنك إذا نظرت إلى الجزئيات بمقامات التفصيل تكون الحملة كثيرة.

أما الجهل المركب ومراتبه، فليس بمقر أولي في العلم - وهو العرش المحمول - وإن كان ظله وضده [وهو واسطته] (٣)، ويحيط به، وكل شيء فيه محصى.

والملائكة مراتب متنازلة: مقربون، ثم ملائكة الكرسي، ثم ملائكة السماوات، ثم ملائكة العناصر، ثم الحفظة والمعقبات على كل جزئي، من حيوان أو شجر، أو حجر أو

(١) «التفسير المنسوب للإمام المسكري» ص ٥١٢ - ٥١٣، ح ٣١٤، صحناه على المصدر.

(٢) في «أ»: «لا ارتباط»، وفي «ب»: «كارتباط»، (٣) في «أ»: «هو وواسطته».

معدن، أو قطر. وكل سافل مرتبط بالعالى، بل فاضله.

فصح ما فى النهج فى وصفهم: (إن منهم من رجلاه تحت الأرض السابعة) (١)، وما روى: (أن لله ملك رأسه تحت العرش ورجلاه على قرار السابعة) (٢) كما روى فى تفسير: ﴿وَالطُّيُورُ صَافَاتٍ﴾ الآية (٣).

وصح كونه طبقات، وكل طبقة للعرش غليظة جداً، وأنه لا يخرج عنه شيء أصلاً؛ لأن العرش حينئذٍ ظاهر العلم الإمكانى، ومرتبة الألوهية والصفات والأسماء، وظاهره تعلقه بالمكونات والارتسامات.

والحملة الكلية الثمانية بمقام، كما أنه بالتجلي الأول محمد ﷺ وآله ﷺ الحملة، لا غير، الذى هو برزخ البرازخ، فهو نور الأنوار، وما سواه فاضله على تنزلاته إلى الثرى. وإن أردت بالعرش جملة الخلق، فاعتبره من حيث القوسين: قوس [الإقبال] (٤) الغيبى والإدبار الخلقى، ولا ينال ما قلناه.

فأتضح لك حينئذٍ ما قاله الصدوق: «أما العرش الذى هو العلم، فحملته أربعة من الأولين وأربعة من الآخرين، فأما الأربعة من الأولين: فنوح، وإبراهيم، وموسى، وهيسى. وأما الأربعة من الآخرين: فمحمد ﷺ، وعلي، والحسن، والحسين صلى الله عليهم. هكذا روى بالأسانيد الصحيحة عن الأئمة ﷺ فى العرش وحملته.

وأما صار هؤلاء حملة العرش الذى هو العلم؛ لأن الأنبياء الذين كانوا قبل نبينا ﷺ كانوا على شرائع الأربعة: نوح، وإبراهيم، وموسى، وهيسى، ومن قبل هؤلاء صارت العلوم إليهم، وكذلك صار العلم من بعد محمد ﷺ وعلي والحسن والحسين ﷺ إلى من بعد الحسين من الأئمة ﷺ.

وأما العرش الذى هو جملة جميع الخلق، فحملته ثمانية من الملائكة، لكل واحد منهم ثمانية أمين، كل عين طباق الدنيا: واحد منهم على صورة بنى آدم، فهو يسترزق الله تعالى لولد آدم. وواحد منهم على صورة الثور يسترزق الله للبهائم كلها. وواحد منهم على صورة الأسد، يسترزق الله تعالى للسباع. وواحد منهم على صورة الديك فهو يسترزق الله

(١) «نهج البلاغة» الخطبة: ٩١، وفيه: (ومنهم من قد خرقت أقدامهم تقوم الأرض السفلى).

(٢) «اللقية» ج ١، ص ٣٠٦، ح ١٣٩٨ و ١٣٩٩، بتفاوت.

(٣) «التور» الآية: ٤١. (٤) فى النسختين: «الإقبال».

للطيور. فهم اليوم هؤلاء الأربعة، فإذا كان يوم القيامة صاروا ثمانية^(١).
وستسمع: أن حملته أربعة من الأولين وأربعة من الآخرين، فهذا باعتبار الغيب -
الكليات والملائكة - أنزل، وهو اعتبار الموجودات وأرض الاستعدادات، ولا تخرج هذه
عن تلك، وخصت بهذه الثمانية، ولم يدخل آدم وإن كان من الحَمَلَة، لكونه بمقام أنزل،
فإن هؤلاء أولو العزم، فحملوا هزم الولاية والإقرار بها إقراراً خاصاً، فإنها حقيقة العرش
غيباً.

وقوله ﷺ: (فإذا كان يوم القيامة صاروا ثمانية) باعتبار الظهور للكُلِّ والاجتماع، وإن كان
الحامل حينئذٍ محمداً ﷺ وآله ﷺ، وما سواهم أتباع، فإنه الشاهد على الكل، ولا يصح
أن يقال: تحمل الأربعة العلم يوم القيامة، فهم في الدنيا حَمَلَة وأصحاب الشرائع، مع أن
محمداً ﷺ وآله ﷺ من أشراط الساعة، وبه ختم الدُور واستدار به.

ولو اعتبرت بمقام أنزل في الكثرة، كان الحَمَلَة كثيرة، فورد (الملائكة حَمَلَة العلم وسائر
الأنبياء) فكل عرش بوجه، لكن جميع ذلك فروع، والثمانية الأصل، كما أنه بوجه الحامل
واحد، هو محمد ﷺ، وما سواه فروع.

وفي توحيد الصدوق مثل ما نقلناه عنه أولاً في الثمانية، وأنها أملاك في رواية^(٢)، وفي
أخرى^(٣) تفصيل صور أربعة، كما سمعت.

وروى محمد بن العباس، بسنده عن أبي جعفر ﷺ، في قوله تعالى: ﴿الَّذِينَ يَحْمِلُونَ
الْعَرْشَ وَمَنْ حَوْلَهُ﴾^(٤) قال: (يعني محمداً ﷺ، وعلياً والحسن، والحسين، ونوح، وإبراهيم،
وموسى، وهيسى ﷺ. يعني: أن هؤلاء الذين حول العرش)^(٥).

وفي تفسير علي بن إبراهيم: (حملة العرش ثمانية، لكل واحد ثمانية أميين، كل عين طباق

(١) «الاعتقادات» للصدوق، ضمن «سلسلة مؤلفات الشيخ المفيد» ج ٥، ص ٤٥ - ٤٦، بتقديم وتأخير،
صحته على المصدر.

(٢) لم نثر عليه في «التوحيد»، وأورده في «المخالف» ج ٢، ص ٤٠٧، ح ٤، وفيه: (إن حملة العرش ثمانية، لكل
واحد منهم ثمانية أميين، كل عين طباق الدنيا).

(٣) لم نثر عليه في «التوحيد»، وأورده في «المخالف» ج ٢، ص ٤٠٧، ح ٥.

(٤) «غافر» الآية: ٧.
(٥) «تأويل الآيات الظاهرة» ص ٦٩١.

الدنيا^(١).

وفي حديث آخر: (حملة العرش ثمانية: أربعة من الأولين، وأربعة من الآخرين)^(٢) وعدّ أولي العزم وعلياً والحسنين عليهما السلام كما مرّ.
وفي الخصال عن الصادق عليه السلام: (إنّ حملة العرش ثمانية، لكل واحد منهم ثمانية أعين، كلّ عين طباق الدنيا)^(٣).

وفيها عن الصادق عليه السلام^(٤) مثلما مرّ في تفصيل الصور.

وفي السجّادية: (اللهم وحملة عرشك الذين لا يفترون من تسبيحك)^(٥).

ومرّ سبب استعمال جمع الكثرة فيه، وأنه على حقيقته، كيف وباعتبار - سمعته - هم ألف، لا أنه مجاز، وأنّ العرب لم تضع له حامل جمع كثرة، وإن جرى هذا على ظاهر اللغة.

□ الحديث رقم ٢

قوله: ﴿عن صفوان بن يحيى، قال: سألتني أبو قزة المحدث أن أدخله على أبي الحسن الرضا عليه السلام، فاستأذنته فأذن لي، فدخل فسأله عن الحلال والحرام، ثم قال له: أفنقر أن الله محمول؟ فقال أبو الحسن عليه السلام: كلّ محمول مفعول به، مضاف إلى غيره محتاج، والمحمول اسم نقص في اللفظ، والحامل فاعل، وهو في اللفظ مدحة، وكذلك قول القائل: فوق، وتحت، وأعلى، وأسفل، وقد قال الله: ﴿وَالرُّبُوبُ الْأَسْمَاءُ الْحُسْنَىٰ فَادْعُوهُ بِهَا﴾^(٦) ولم يقل في كتبه: إنه المحمول، بل قال: إنه الحامل في البر

(١) انظر: «تفسير البرهان» ج ٤، ص ٣٧٧، ح ١٦، «تفسير نور الثقلين» ج ٥، ص ٤٠٦ ح ٢٩، عنه، صححناه

على المصدر. (٢) «تفسير هلي بن إبراهيم القمي» ج ٢، ص ٤٠٣.

(٣) «الخصال» ج ٢، ص ٤٠٧، ح ٤، صححناه على المصدر.

(٤) «الخصال» ج ٢، ص ٤٠٧، ح ٥.

(٥) «الصحيفة السجّادية الكاملة» ص ٤٢، دعاؤه في الصلاة على حملة العرش...

(٦) «الأعراف» الآية: ١٨٠، وفي المصدر: (وله) بدل: (ولله).

والبحر، والممسك للساوات^(١) والأرض أن تزولا، والمحمول ما سوى الله، ولم يُسمع أحدٌ آمن بالله وعظمته قط قال في دعائه: يا محمول ﴿٤﴾.

أقول: أبو قرّة المحدث هو صاحب شهرمة، كما صرح به الطبرسي في الاحتجاج^(٢). وقال بعض الأصحاب: اسمه علي بن أبي قرّة، أبو الحسن المحدث، رزقه الله تعالى الاستبصار ومعرفة هذا الأمر أخيراً. ووصفه بالمحدث لثلاثتهم أنه أبو قرّة النصراني، اسمه: يوحنا صاحب الجاثليق^(٣).

ولهذا عدّة مسائل مع الرضا^(٤) كما في الاحتجاج، وسبق بعض في [باب الرؤية]^(٥). وفيه: «فدخل فسأله عن أشياء من الحلال والحرام والفرائض والأحكام، حتى بلغ سؤاله إلى التوحيد، فقال له: أخبرني - جعلني الله فداك - عن كلام الله لموسى^(٦)؟ فقال: (الله أعلم ورسوله بأي لسان كلمه، بالسريانية أم بالعبرانية) فأخذ أبو قرّة بلسانه فقال: إنما أسألك عن هذا اللسان.

فقال أبو الحسن: (سبحان الله عما تقول، ومعاذ الله أن يشبه خلقه، أو يتكلم بمثل ما هم به متكلمون، ولكنه تبارك وتعالى ليس كمثل شيء، ولا كمثل قائل وفاهل). قال: كيف ذلك؟ قال: (كلام الخالق لمخلوق ليس ككلام المخلوق للمخلوق، ولا يلفظ بشق لم ولسان، ولكن يقول له: كن، فكان بمشيئته ما خاطب به موسى، من الأمر والنهي، من غير تردّد في نفس).

فقال أبو قرّة: فما تقول في الكتب؟ فقال أبو الحسن^(٧): (التوراة والإنجيل والزيور والفرقان، وكل كتاب أنزل كان كلام الله، أنزله للعالمين نوراً وهدى، وهي كلها محدثة، وهي غير الله، حيث يقول: ﴿أَوْ يُخَدِّثْ لَهُمْ ذِكْرًا﴾^(٨) وقال: ﴿مَا يَأْتِيهِمْ مِنْ ذِكْرٍ مِنْ رَبِّهِمْ مُخَدِّثٍ إِلَّا اسْتَمَعُوهُ وَهُمْ يَلْعَبُونَ﴾^(٩) والله أحدث الكتب كلها التي أنزلها).

فقال أبو قرّة: فهل تفنى؟

فقال أبو الحسن^(١٠): (أجمع المسلمون على أن ما سوى الله فان، وما سوى الله فعل الله، والتوراة والإنجيل والزيور والفرقان فعل الله، ألم تسمع الناس يقولون: رب القرآن، وأن القرآن

(١) في المصدر: «الساوات». (٢) «الاحتجاج» ج ٢، ص ٣٧٣.

(٣) انظر: «شرح المازندراني» ج ٣، ص ٢١٦، بتفاوت يسير، صححناه على المصدر.

(٤) في «أ»: «بعض الرؤية» وفي «ب»: «بعض الروايات».

(٥) «طه» الآية: ١١٣. (٦) «الأنبياء» الآية: ٢.

يقول يوم القيامة: يا رب هذا فلان - وهو أهرق به منه - قد أظلمات نهاره وأسهرت ليله، فشفعني فيه؟ وكذلك التوراة والإنجيل والزيور، وهي كلها محدثة مربة، أحدثها من ليس كمثله شيء، هدي لقوم يعقلون، فمن زعم أنهم لم يزلن معه فقد أظهر أن الله ليس بأول قديم، ولا واحد، وأن الكلام لم يزل معه، وليس له بدء، وليس بإله).

قال أبو قرّة: فإننا روينا أن الكتب كلها تجيء يوم القيامة، والناس في صعيد واحد صفوف، قيام لرب العالمين، ينظرون حتى ترجع فيه؛ لأنها منه، وهي جزء منه، فإليه تصير. قال أبو الحسن: (فهكذا قالت النصارى في المسيح: إنه روحه، جزء منه، ويرجع فيه، وكذلك قالت المجوس - في النار والشمس -: إنهما جزء منه وترجع فيه، تعالى ربنا أن يكون متجزياً أو مختلفاً، وإنما يختلف ويألف المتجزّي؛ لأن كل متجزئ متوهم، والكثرة والقلة مخلوقة دالة على خالق خلقها).

فقال أبو قرّة: فإننا روينا أن الله قسم الرؤية والكلام^(١) - ومرّك تمامه في باب الرؤية^(٢). «وسأله عن قول الله تعالى: ﴿سُبْحَانَ الَّذِي أَسْرَى بِعَبْدِهِ لَيْلًا مِنَ الْمَسْجِدِ الْحَرَامِ إِلَى الْمَسْجِدِ الْأَقْصَى﴾^(٣) فقال أبو الحسن: (قد أخبر الله تعالى أنه أسرى به، ثم أخبر ليم أسرى به، فقال: ﴿لِيُرِيَهُ مِنْ آيَاتِنَا﴾^(٤) فأيات الله غير الله، فقد أهدر وبين ليم فعل به ذلك، وما رآه وقال: ﴿فَبِأَيِّ حَدِيثٍ بَعْدَ اللَّهِ وَآيَاتِهِ يُؤْمِنُونَ﴾^(٥) فأخبر أنه غير الله).

فقال أبو قرّة: فأين الله؟ فقال أبو الحسن: (الأيّن مكان، وهذه مسألة شاهد عن غائب، والله تعالى ليس بغائب ولا يقدمه قادم، وهو بكل مكان موجود، مدبر صانع حافظ ممسك السماوات والأرض).

فقال أبو قرّة: أليس هو فوق السماء دون ما سواها؟ فقال أبو الحسن: (هو الله في السماوات وفي الأرض، وهو الذي في السماء إله وفي الأرض إله، وهو الذي يصوركم في الأرحام كيف يشاء، وهو معكم أينما كنتم، وهو الذي استوى إلى السماء وهي دخان، وهو الذي استوى إلى السماء فسواهن سبع سماوات، وهو الذي استوى على العرش، قد كان ولا خلق، وهو كما كان، إذ لا خلق، لم ينتقل مع المنتقلين).

(١) «الاحتجاج» ج ٢، ص ٣٧٣ - ٣٧٥، صححناه على المصدر.

(٢) «هدي العقول» ج ٤، باب في إبطال الرؤية، ص ٢٨٠، ح ٢.

(٣) و(٤) «الإسراء» الآية: ١. (٥) «الجمانية» الآية: ٦.

فقال أبو قرّة: فما بالكم إذا دعوتهم رفعتم أيديكم إلى السماء؟ فقال ﷺ: (إن الله استعبد خلقه بضروب من العبادة، وفيه مفاز يفزعون إليه، ومستعبد، فاستعبد عباده بالقول والعلم والعمل والتوجه، ونحو ذلك، استعبدتهم بتوجه الصلاة إلى الكعبة، وتوجه إليها الحج والعمرة، واستعبد خلقه - عند الدعاء والطلب والتضرع - ببسط الأيدي، ورفعها إلى السماء، لحال الاستكانة، وعلامة العبودية والتذلل له).

فقال أبو قرّة: فمن أقرب إلى الله، الملائكة أو أهل الأرض؟

قال أبو الحسن: (إن كنت تقول بالشبر والذراع، فإن الأشياء كلها باب واحد هي فعله، لا يشتغل ببعضها عن بعض، يدبر أعلى الخلق من حيث يدبر أسفله، ويدبر أوله من حيث يدبر آخره، من غير هناء ولا كلفة، ولا مؤونة ولا مشاورة ولا نصب. وإن كنت تقول: من أقرب إليه في الوسيلة؟ فأطوعهم له؛ وأنتم تروون أن أقرب ما يكون العبد إلى الله وهو ساجد، ورويتم أن أربعة أملاك التقوا، أحدهم من أعلى الخلق، وأحدهم من أسفل الخلق، وأحدهم من شرق الخلق، وأحدهم من غرب الخلق، فسأل بعضهم بعضاً، فكلمهم قال: من عند الله، أرسلني بكذا وكذا، ففي هذا دليل على أن ذلك في المنزلة دون التشبيه والتشليل).

ثم قال أبو قرّة: أتقر أن الله محمول؟^(١)... إلى آخره.

أقول: وإنما نقلت لك ذلك، لما فيه من الحجج على إبطال مذهب الأشاعرة وغيرهم، سؤالاته واعتقاده أنه أشعري.

ولنتصر على شرح ما هنا فنقول: بعد أن بين ﷺ له أن الله ليس له مكان - ونسبته للكُل واحدة، ولا تختلف الأشياء بالنسبة له، وإن اختلفت وسيلة، فهذا باعتبار الرجوع وحركة الشيء الثانوية، وهي غير موجبة لاختلاف تلك، كيف وهو لا يعدو مقامه - سأله بأنه هل يقر بأنه محمول - فيبطل ما قاله أولاً - أو لا يقر، وبالله العجب لم يتدبر للأجوبة السابقة، ولو تدبرها لم يقل بهذا.

ثم أبطل ﷺ عدم صحة كونه محمولاً بطريق الموعظة، بما لا يشبهه على جاهل، بل يدركه كل من له أدنى فطنة باللفظ، فضلاً عن كونه ذا فؤاد ويقين، فقال: (كل محمول مفعول به مضاف إلى غيره) و(محتاج) أضيف إليه، ولكونه مفعولاً به، وهذا ظاهر من لفظ

(١) «الاحتجاج» ج ٢، ص ٣٧٦ - ٣٧٨، بتفاوت يسير، صححناه على المصدر.

(محمول) ومعناه أيضاً.

وأيضاً من المشهور الذي لا نزاع فيه، يعرفه الكل ويقرّ به، وإن أقرّ به بعض لساناً - كالأشاعرة والمعتزلة - وهو أنّ الله مبرأ عن النقص، وهو غير ناقص، بل كامل - وإن كان اعتقادهم في الصفات، وجعلهم له مكاناً أو يُرى، وغير ذلك، يكذب قولهم - ولفظ (محمول) يدلّ على نقص، كما أنّ لفظ (حامل) يدلّ على مدحٍ للمطلق عليه والمراد به، وهذا ظاهر. فلا يصحّ إطلاق (محمول) عليه واعتقاده، لاقتضائه إثبات النقص له تعالى، وكذلك قول القائل: فوق، وتحت، وأهل، وأسفل، لا يطلق عليه منها ما يدلّ على النقص. وقوله: (وقد قال تعالى: ﴿وَلِلَّهِ الْأَسْمَاءُ الْحُسْنَى﴾) ... إلى آخره، إمّا ليقيم الدليل على عدم القول بأنه محمول، حيث لم ينزل ذلك في كتبه، أو دليل مستقل، فإنه تام.

بيانه: أنّ أسماءه توقيفية، ولم ينزل في كتاب من كتبه أنّه محمول، بل ما فيها إلا: أنّه الحامل في البرّ والبحر والممسك لها، قال تعالى: ﴿وَحَمَلْنَاكُمْ فِي الْبَرْ وَالْبَحْرِ وَرَزَقْنَاكُمْ مِنَ الطَّيِّبَاتِ وَفَضَّلْنَاكُمْ عَلَى كَثِيرٍ مِمَّنْ خَلَقْنَا تَفْضِيلاً﴾^(١) وقال: ﴿إِنَّ اللَّهَ يُمِصُّكَ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ أَنْ تَرَوْهَا﴾^(٢).

ثم استدل عليه أخيراً بالإجماع على بطلان كونه محمولاً بقوله: (ولم يُسمع أحدٌ آمن بالله وعظّمته) ... إلى آخره، فأبان ﷺ له بطلان ذلك، وسقوط السؤال عنه به، أولاً ببرهانين، ظاهرهما من الموهظة، ثم الدليل النقلية، ثم الإجماع، فتدبّر لما عدّده ﷺ له من الأدلة الحكمية، وغيرها.

تنبيه: حمل الله الأشياء وحفظها بفعله، لا بذاته الأحدية، فإنه تعالى إنما ظهر ظهور دلالة بفعله، وقالوا ﷺ: (تجلّى لها بها)^(٣)، فظهوره ظهور دلالة لا ظهور إحاطة، ومن قال من أهل التصوف وأتباعهم بأنه تعالى تجلّى بذاته، وظهر بها للأعيان الثابتة الغير المجمولة، لزمه القول بأنه تعالى محمول، وكذا من قال بالأصل والظل.

قوله: ﴿إِذَا قَالَ أَبُو قُرَّةٍ، فَإِنَّهُ قَالَ: ﴿وَيَخْوِلُ عَرْشَ رَبِّكَ لَنُؤْمِنُ بِهِ﴾

(٢) «فاطر» الآية: ٤١.

(١) «الإسراء» الآية: ٧٠.

(٣) «نهج البلاغة» الخطبة: ١٨٥.

قَمَائِيَّةٌ ﴿١﴾ وقال: ﴿الَّذِينَ يَحْمِلُونَ الْعَرْشَ﴾ ﴿٢﴾ فقال أبو الحسن: العرش ليس هو الله، والعرش اسم علم وقدرة، وعرش فيه كل شيء، ثم أضاف الحمل إلى غيره، خلق من خلقه؛ لأنه استعبد خلقه بحمل عرشه، وهم حَمَلَةٌ علمه، وخلقاً يستبحون حول عرشه، وهم يعملون بعلمه، وملائكة يكتبون أعمال عباد، واستعبد أهل الأرض بالطواف حول بيته، والله على العرش استوى كما قال، والعرش ومن يحمله ومن حول العرش، والله الحامل لهم، الحافظ لهم، المسك القائم على كل نفس، وفوق كل شيء، و[هو] ﴿٣﴾ على كل شيء، ولا يقال: محمول، ولا أسفل، قولاً مفرداً لا يوصل بشيء، فيفسد اللفظ والمعنى ﴿٤﴾.

أقول: في الاحتجاج - بعد المتن السابق - «أفتكذب بالرواية» ﴿٥﴾ وهو المتن الآتي. استدلل أبو قرّة بقوله تعالى: ﴿وَيَحْمِلُ عَرْشَ رَبِّكَ فَوْقَهُمْ يَوْمَئِذٍ قَمَائِيَّةٌ﴾ على أن العرش حملته ثمانية غير الله، وأنت قد قلت: إن الله هو الحامل للسموات والأرض وغيرهما والماسك، وقد قال: ﴿عَرْشَ رَبِّكَ﴾ وأضاف العرش له، والعرش المستقر، فيكون له مكان، فصح السؤال عنه بـ «أين»، وهو فوق، كما تضمنه سؤاله. وقال تعالى في آية أخرى: ﴿الَّذِينَ يَحْمِلُونَ الْعَرْشَ﴾ وهم غيره؟

فقال ﷺ: ليس العرش الله حتى يكون لك مستنداً، بل هو عرش علم الكيفوية وقدرة قائمة به، محيط بالكل، بحيث لا يشد منه شيء؛ لأن منه البداء، وظهور سرّه، والكرسي ظاهره، كما ستسمعه من حديث التوحيد ﴿٥﴾. وأضاف الحمل لغيره، خلق استعبدهم به؛ ليظهر كمال طاعته، فليس المحمولة له تعالى، (وهم حَمَلَةٌ علمه)، كما عرفتهم قبل. والله ملائكة آخر، يكتبون أعمال العباد، ذكر له ﷺ هذا القسم ليبين له اختباراً آخر

(٢) «خاغر» الآية: ٧.

(١) «الحاقة» الآية: ١٧.

(٣) ليست في المصدر.

(٤) «الاحتجاج» ج ٢، ص ٢٧٩، وفيه - بعد قوله ﷺ: (يا محمول) - «قال أبو قرّة: أفتكذب بالرواية»...

(٥) «التوحيد» ص ٣٢٢، ج ١.

بتكليف أيضاً، وأن الملائكة حملة، دأبهم ذلك وغيرهم، وليس ذلك خاصاً بحملة العرش، وإن كانوا أهلن وأحوى، والله مستوي على العرش، كما قال في غير موضع^(١)، كما مر، فإذا استوى عليه استوى على كل شيء ﴿وَاللَّهُ مِنْ ذَرَائِهِمْ مُحِيطٌ﴾^(٢).

فالعرش ومن يحمله نسبه له واحدة بلا فرق أصلاً، والله الحامل للمحمول والحامل؛ إذ حملهم بنور عظمتهم وقدرته كما مر، فلم يدل على أن هنا حاملاً آخر غير الله، مضافاً له. ولا ينافي إثبات الوساطة والارتباط السببي، كما أوجهه حسن التكليف والاختبار، فهو (فوق كل شيء)، و(على كل شيء) بالقهر والإحاطة والغلبة.

(ولا يقال: -إنه -محمول ولا أسفل، قولاً مفرداً)، أي خال من صارف عن معناه اللغوي، لو استعمل بمعنى مقصود أو مجازي، كاليد مثلاً، (يفسد اللفظ والمعنى) حينئذ، وهو غير جائز، وبيان فسادهما ظاهر مما سبق. واستعمال (فوق) بالنسبة له -وكذا (أسفل) - في بيان إحاطته كما سمعت، ولا بد فيه من نصب قرينة صارفة عن إرادة الفوقية الحسية، أو [بالجهة]^(٣)، وكذا التحتية.

وكذا إذا أطلقت «محمولاً» عليه من جهة إطلاقه على لفظه في الحمل الاشتقائي، كما إذا قيل: لفظ «الله» محمول، لا بد من نصب قرينة صارفة، [فإذا نصبت قرينة صارفة]^(٤) عن مدلول اللفظ صارفة عنه، فلا يفسد اللفظ ولا المعنى.

وعلى هذا فقوله ﷻ: (قولاً مفرداً) راجع إلى قوله: (القائم) و(فوق) و[(على)]^(٥) و(محمول) و(أسفل) فإن مدلولها ومفهومها اللغوي غير جائز في شأنه تعالى، فيكون ما دل عليه اللفظ، من إطلاق (محمول) عليه مع القرينة الصارفة.

أما في الحمل اللفظي، كما يقال: الواجب الله تعالى، أو: الله عالم، فإنك تطلق على لفظ الجلالة محمول، أو محمول بمعنى حامل، أو أنه حال استعمال القرينة لم يستعمل (محمول) حينئذ، فلا يصح استعمالها، وعلى كل التقادير فلا يلزم تجويز تسميته بمحمول. فلا حاجة - حينئذ - إلى جعل (قولاً مفرداً) راجعاً إلى (أسفل) خاصة - كما قال مثلاً

(١) «الأعراف» الآية: ٥٤، «يونس» الآية: ١٣، «الرعد» الآية: ٢، «طه» الآية: ٥.

(٢) «البروج» الآية: ٢٠.

(٣) في «ب»: «بالجملة».

(٤) ليست في «ب».

(٥) في النسختين: «أهل».

محسن^(١) - لقيامه في [علين] ^(٢) و(فوق) أيضاً، وإن سلم خروج (محمول).
ولا إلى ما قاله الشارح محمد صالح، بعد ذكره الاعتراض بجواز اللفظ المذكور عند القرينة، كما يشعر به التقييد المذكور، وأجاب عنه بعدم الصحة؛ «لبقاء الفساد اللفظي بحاله، ففيه سوء أدب، مع عدم ورود الإذن به شرعاً».
ثم قال: «فإن قلت: إذا لم يجز ذلك القول مع القرينة أيضاً، فما فائدة تقييده ^(٣) عدم الجواز بالإفراد؟»

قلت: فائدته التنبيه على تحقق الفساد فيه من وجهين، والرّد على السائل وإبطال مذهبه، فإنه ذهب إلى جواز إطلاق المحمول عليه سبحانه مطلقاً، كما يشعر به صريح كلامه، لا الإشارة إلى جوازه عند القرينة.

هذا، ويحتمل أن يكون المراد أنه لا يقال: محمول، ولا أسفل، قولاً واحداً، لا خلاف فيه عند أهل الإيمان، وحينئذٍ قوله: (لا يوصل بشيء) استثناء، كأنه قيل: هل يوصل ذلك اللفظ بشيء يكون قرينة لمعنى صحيح؟ فقال: لا يوصل بشيء، يعني لا يجوز إطلاقه عليه سبحانه مع القرينة أيضاً، فحينئذٍ لا يرد السؤال المذكور.

إلا أن التفرع ينافي هذا الاحتمال، نظراً إلى الظاهر، وإن أمكن دفعه بأن التفرع متعلق بالأول، ويفهم منه عدم صحة الثاني أيضاً؛ لفساد اللفظ^(٣) انتهى.

أقول: فإن الموجب لهم إلى ذلك لزوم تسميته بالمحمول مع القرينة، وهو غير جائز، وعلى ما قلناه لا يلزم، فقوله: «لبقاء الفساد»، ممنوع، وإلا فلا قرينة.

وأما سوء الأدب وعدم الورد فدليل آخر، بل لقائل أن يجعل هذا دليل الورد، لكن لما لم يجز الاستعمال باستعماله كذلك امتنع، وعدم قصد القرينة، فكان كالممتنع، فامتنع، دون (فوق) و(أسفل) وإن جرى فيهما ذلك.

وقوله: «فائدته الرّد من وجهين»... إلى آخره، ما فيه ظاهر، ولو قال: القيد غير معتبر، بل لغو؛ لمعارضته بدليل آخر منع من إطلاقه مقيداً، كسائر المفهومات إذا عورضت بأقوى أطرحت، وهنا قائم، لكان أقبل.

(١) «الوافي» المجلد: ١، ص ٥٠٠. (٢) في النسختين: «أعلى».

(٣) «شرح المازندراني» ج ٤، ص ١٣٧، ١٣٨، باختصار، صحناه على المصدر.

وقوله: «ويحتمل أن يقال» ... إلى آخره، قد سمعت من بعض النصوص السابقة قول: إن الله فوق وتحت وأعلى وأسفل، ومحيط بكل شيء، وهذه القرينة، مع أنه لا دليل في الحديث على ما ارتكبه فيه بوجه أصلاً، بل هو بخلافه كما هو ظاهر. ولو قال أولاً: إن في الحديث سقطاً من النقلة - ثم ذكره بعد - لكان مقبولاً في الجملة.

وقوله: «وإن أمكن دفعه» ... إلى آخره، لا قرينة على اختصاصه به، مع الجريان في الكل. وبالجملة: أوجب التمسكات ما أشرنا لك.

تتممة سياقي في بحث الصفات أن وصفه تعالى بـ «فوق» و«تحت» و«حامل الأشياء» وأمثالها من الصفات الإضافية، مرجعها لفعله، ونسبتها له تعالى تعظيماً وتنويهاً، والذات منزّهة عن جميعها، وسياقي بسط ذلك في بيان الصفات.

قوله: «قال أبو قرة: فتكذب بالرواية التي جاءت: أن الله إذا غضب إنما يعرف غضبه أن الملائكة الذين يحملون العرش يجدون ثقله على كواهلهم، فيخزّون سُجُداً، فإذا ذهب [الغضب] خُفَّ، ورجعوا إلى مواضعهم؟ فقال أبو الحسن عليه السلام: أخبرني عن الله تبارك وتعالى، منذ لعن إبليس إلى يومك هذا، هو غضبان عليه، فمتى رضي؟ وهو في صفتك لم يزل غضبان عليه وعلى أوليائه وعلى أتباعه عليهم السلام.

أقول: استدلى أبو قرة برواية مزخرفة مخالفة للعقل والقرآن والإجماع وصحيح الروايات، وهي أن الله إذا غضب ثقل الحمل على حملة العرش، فإذا زال عنه خفوا واستووا قائمين، فهي تدل على أن الله محمول والعرش مكانه، فأبان عليه السلام له بطلان مضمون الرواية، حيث إن الله تعالى غضبان على إبليس وأتباعه وأشياعه إلى الآن، وعليه اللعنة جارية إلى يوم القيامة، فيلزم أن لا يحصل له صفة الرضا أصلاً، كيف، وعلى صفتك لم يزل غضبان، فلم يخف العرش أصلاً.

وفي نسخة الاحتجاج: فقال أبو الحسن عليه السلام: (أخبرني عن الله تبارك وتعالى منذ لعن

إليس إلى يومك هذا وإلى يوم القيامة: غضبان هو على إبليس وأوليائه، أو راضٍ عنهم؟ فقال: نعم، هو غضبان عليه، قال: (لمتنى رضي فخف، وهو لي صفتك) (١).

قوله: ﴿كيف تجترئ أن تصف ربك بالتغيير من حال إلى حال، وأنه يجري عليه ما يجري على المخلوقين؟! سبحانه وتعالى، لم يزل مع الزائلين، ولم يتغير مع المتغيرين، ولم يتبدل مع المتبدلين، ومن دونه في يده وتدبيره، وكلهم إليه محتاج، وهو غني عمن سواه﴾.

أقول: في نسخة الاحتجاج: ثم قال ﷺ: (ويحك كيف تجترئ).. إلى (مع المتغيرين) (٢) خاصة، بغير هذه التتمة.

بين ﷺ بذلك تنزيهه تعالى، مع اشتماله على البرهان المبطل لوصفه تعالى بتلك الصفات؛ لاقتضائها ثبوت التغيير في ذاته تعالى من حال إلى آخر، كيف وهو يخف تارة ويشقل أخرى؟ تعالى الله علواً كبيراً من أن تجري عليه صفة المخلوقين، وأن يزول مع الزائلين ويتغير معهم، والله منزّه عن جميع ذلك، بأن خلقه عنه، وهو عنهم، بل جميع من دونه في يده وقبضته وتدبيره، ومن سواه مقتدر إليه وجوداً وصفةً - وهو غني عن الكل ذاتاً، فلا يؤثر فيه غيره حتى يغيره، وألا لم يكن قاهراً للغير كله - ومحتاج له. ولكان منفعلاً، فيكون قابلاً فاهلاً، ولا يشبهه الصانع والمصنوع؛ لقيام أثر الصنع في الصانع، إلى غير ذلك مما يحيل جميع ذلك، وبطل تلك الرواية المزخرفة والأقويل المزورة، سبحانه وتعالى مما يقول الظالمون علواً كبيراً، وهو الغني وأنتم الفقراء، ﴿لَيْسَ كَمِثْلِهِ شَيْءٌ﴾ (٣)، ﴿وَهُوَ الْقَاهِرُ فَوْقَ عِبَادِهِ﴾ (٤)، ﴿وَهُوَ السَّمِيعُ الْعَلِيمُ﴾ (٥).

وفي الاحتجاج - بعد ذلك -: «قال صفوان: فتحير أبو قرّة، ولم يحرج جواباً، حتى قام وخرج» (٦).

(١) «الاحتجاج» ج ٢، ص ٣٧٩، صححناه على المصدر.

(٢) «الاحتجاج» ج ٢، ص ٣٧٩. (٣) «الشورى» الآية: ١١.

(٤) «الأنعام» الآية: ١٨. (٥) «البقرة» الآية: ١٣٧، «الأنعام» الآية: ١٣، ١١٥.

(٦) «الاحتجاج» ج ٢، ص ٣٧٩.

ولأبي قرّة سؤال مع الرضا عليه السلام في النبوة، ذكر في عيون أخبار الرضا ^(١) عليه السلام.

وقال محمد صادق في شرح الحديث: «قد علمت أن الله تعالى مرتبتين:

أحدهما: أنه تعالى وجود من حيث إنه وجود صرف، ولا يعتبر معه في تلك المرتبة شيء، فهو تعالى بتلك المرتبة أحد محض.

وثانيهما: أنه تعالى مع جميع الأسماء والصفات، فهو تعالى مع كل شيء، ولا تتغير ذاته من تغيير شيء، ولا تزول ولا تفسد، هذا كالإنسانية - مثلاً - فإنها مع كل شخص، ولا تتغير بتغير شخص أصلاً، فإنه تعالى أحاط بكل شيء علماً، والعلم عين ذاته، فهو تعالى بذاته حاضر عند كل موجود، وليس بغائب عنه، وهو تعالى بتلك المرتبة يتصف بصفة المخلوقات بالعرض وبتمية من حضر لديه.

ولا تصرّح الأنبياء والأئمة عليهم السلام بهذا التغيير للسائلين الجاهلين، لاستفراقهم في التشبيه، وإذا سمعوا هذا يحملوا التغيير بالعرض على التغيير [بالذات] ^(٢) فيفضلون ويضلّون.

وكونه محمولاً ومضافاً إلى غيره - وأمثالها أيضاً - من أحكام المرتبة الثانية، ويجوز له تعالى بالعرض، لا بالذات، إلا أن فيه إشكاليين:

أحدهما: ما مرّ من استفراقهم في التشبيه.

وثانيهما: سوء أدب، كما قال عليه السلام: (والمحمول اسم نقص في اللفظ). ولا يليق للعباد - في عبوديتهم - أن يطلقوا على سيدهم ومولاهم أمثال هذه العبارة، ولأنه وإن كان جائزاً له تعالى بالعرض لا بالذات، إلا أن (الحامل فاعل، وهو في اللفظ مدحة)، وليس في كتبه تعالى لفظ المحمول، وكذا في أدهية أحبائه الميينة للجاهلين، في آداب العبودية.

أقول: كلّ لا [ينطبق] ^(٣) إلا على قواعد أهل التصوّف، ويشير بالمرتبة الأولى إلى مرتبة الذات نفسها بنفسها، والأشياء مخفية فيها، والثانية إلى تعيين الذات وظهورها بمرايا الأسماء والصفات، فتلزمها حينئذ أحكام لوازمها وصفاتها، وتوصف بها، وفي هذا كفر. والله لا يكون مع غيره ذاتاً، ولا تحقق لغيره في الذات بوجه، ولا يوصف بصفات الحدوث والإمكان بوجه أصلاً، لا ذاتاً ولا عرضاً، فإنه لا يتغير مع المتغيّرين، ولا تختلف عليه

(١) «عيون أخبار الرضا» ج ٢، ص ٢٣٠، ح ١. (٢) من «ب».

(٣) في «ب»، «ينطق».

الأحوال والصفات .

ونفي الأئمة - وأدلة الوجود - منه التخيير والتشبيه، ليس بحسب الذات خاصة، بل وبحسب العارض والاعتبار، فإنه لم يتغير حاله وصفته بعد وجود خلقه، بل هو على ما كان فيما لم يزل، ولم يعرض له تغيير بوجود العالم، فهو قول الضلال، وأهل الكفر، لما طلبوا المناسبة الذاتية بين الصانع وصنعه، وقالوا بالرابطة ووحدة الوجود، تعالى الله عما يقولون علواً كبيراً.

وهذا الرجل قد قال بالتشبيه، وأقر ما ظاهره يوهمه على ظاهره، إلا أنه جعله بالعرض، فقد وافق المشبهة، ومن العرضي يلزم الذاتي، وكله ضلال، فهل سمعت بموحد يقول بهذا، حتى أنه يحمل لفظ (محمول) وأمثاله، بسبب سوء الأدب، وتوهم إرادة التشبيه الذاتي، باعتبار المرتبة الأولى، مع أن فيها كون الأعيان في الذات الأحادية، وهو تشبيه أيضاً، ولو جاز عليه تعالى ذلك، بوجه من الوجوه، لأشار إليه الأئمة وصححوه بوجه، لا أنهم ~~يحيون~~ يبطلونه ويطلقونه مطلقاً.

وما دل على التشبيه - وأوله عليه المشبهة والمعطلة، ومنهم هذا الشارح - من الكتاب والسنة، فليس كما يظنون، وبحرفونها به، كما سبق ويأتي متفرقاً، وما في كلامه من الخلل والضلال لا يحصيه إلا الله، وما ذكرناه هنا وما سبق كافٍ، والله الهادي والمعاصم.

قال: «ثم قال أبو الحسن الرضا عليه السلام بعد كلام: (والعرش اسم علم) وقد علمت أن العلم التفصيلي هو وجودات العباد، فالعرش هاهنا بمعنى جميع وجودات العباد، فمن تعرش في العلم وترقى فيه تعرش في الوجود، بالصور أو بالذات، وهو - كما قال - للعرش، وأضاف الحمل إلى غيره من الخلق، مع أنه تعالى مع كل خلق؛ لتعليم أدب العبودية للعباد، فقال: ﴿ وَيَحْمِلُ عَرْشَ رَبِّكَ فَوْقَهُمْ يَوْمَئِذٍ ثَمَانِيَةٌ ﴾ ^(١) ولم يقل: ويحمل عرش ربك ذات ربك، مع أن وجوده تعالى يتم كل موجود».

أقول: هذا الكلام، من الحديث الذي أعرض عنه، يبطل ما يقوله، فإنه نفى فيه كون العرش الله بقول مطلق، وهذا المتصوِّف صرح - قبل ويأتي - أن عرش الموجودات الله، وهي قائمة به. وليس العرش وجودات العباد، ووجوداتها وجوده تعالى، أو ظل له وشيخ -

(١) «الحاقة» الآية: ١٧.

على زعمهم الضال - فيكون هو العرش، وحينئذٍ بإطلاق «حامل» و«حمل» و«محمول»، و«عرش» و«معروش»، كلّه مجازات اعتبارية، وهو ضلال.

قوله: «وأضاف»... إلى آخره، الله يمسك الأشياء بعضها ببعض، ويمسك الكلّ بقدرته الفعلية، بغير كيف، من غير ممازجة ومداخلة ذاتية، بل هو خلّو من خلقه، وجوداً وصفة، وخلقه خلّو منه.

ولا يقال: إنّ ذات الرب هي العرش الحاملة، بل حَمَلَة العرش العلماء، وليس لسوء الأدب لا يقال ذلك، وإلا فهو صحيح، وهو الواقع في نفس الأمر، فإنه باطل، وليس وجود الله متمّ الموجودات، فهو ركن لها ومقوم، فالحدود الاعتبارية قائمة بذات الله، وفي نفس الأمر لا وجود لها، فليس إلا وجوده تعالى، فهو كقرنعمود بالله منه، وأبطل به الكتاب والأخبار والأدلة، وأثبت التشبيه والتعطيل. ولو كان يصحّ لكان يقوله الرسول، وينزل به الكتاب. وتوهم التشبيه من ضعف الناظر وقصوره حاصل في [أي] عبارته، والله منزّه عن جميع ذلك.

قال: «فإذا كانت الموجودات الأربعة - التي هي بالتكرار ثمانية - حوامل العرش، وهو تعالى معها، فيمكن أن ينسب الحمل إليه تعالى بالطريق الأول؛ لأنّ الموجودات ظلال وأشعة منه تعالى، فالأصل في الوجود ليس إلا الله تعالى.

وقد علمت أنّ الحوامل على سبيل التفصيل هي العوالم، وعلى سبيل الإجمال هي الإنسان الكامل، لكونه جامعاً لجميع الموجودات، ذاتاً وصفةً، فإذا حمل الموجودات علمه تفصيلاً، صار كلّ شيء وجوداً مع التعمين، والوجود مع التعمين عبداً، فاستعبدهم الله تعالى بحمل عرشه، أي وجوده التفصيلي، وعلمه الذي هو عين الوجود».

أقول: على قوله: إنّ الوجود لله وإن العرش هو، وهو الحامل بذاته، فالموجودات ذاته، والتعينات هارضة لذاته، فالحمل لذاته، لا على سبيل الإمكان، بل الوجوب، وهو ظاهر كلامه السابق، ولا حمل لغيره أصلاً إلا بالتعمين الاعتباري والتجلي الثاني؛ لأنّ الموجودات - حينئذٍ - صور تجليات الذات، وظهورها في مرآة الحقائق المتأصلة الغير المجمولة. وكلّ هذا ضلال.

والله الحامل للكلّ، ولكن بفعله، والممسك لها بأظلتها، وليست التنزهات الوجودية قائمة بذاته، ولا حاصلة في رتبة وجوده، ولا هو منبسط عليها أو مرتبط بها، ولا ظلّ له

تعالى، ولا أشعة من ذاته، بل أشعة من فعله، وهو نور أوجده بنفسه، والانفصال منه كما يفصل الضوء من الضوء.

وإذا كان التفصيل عين الإجمال، وعلمه ذاته، والعلم: الوجود، فيكون العبد هو هو، ولكن مع التعمين الاعتباري، فيكون مركباً من وجوب ذاتي وعدم، هذا معنى ما يقولون^(١): «أنا الله من غير أنا». وحيثُ يكون الله الحامل والمحمول والحمل، ويرجع استعبادهم بحمله إلى استعباد ذاته بحمله، في تعينها الجزئي. وجميعه ساقط بديهته.

قال: «وقال ﷺ: (وخلقاً يستبحون حول عرشه) وهو عطف على (من خلقه) يعني: خلق خلقاً من المقرّبين، الذين هم حوامل علمه تعالى، على سبيل الإجمال، يعني: أنهم مجمل الموجودات التفصيلية (يستبحون حول عرشه).

والعرش هنا بمعنى ذات الله، والحوال انتقال من حال إلى حال، وحوال العرش انتقال من الجزئية إلى الكلية في الوجود، يعني: المقرّبون يُنزهون عن هيولاتهم وإمكاناتهم، ويصلون إلى عزّ القرب في معارجاتهم، ثم يرجعون إلى [حالاتهم]^(٢) الأولى، وذلك ليس لهم دائماً، بل كان لهم أحياناً، ولفظ المضارع بقوله: (يستبحون) يدل عليه.

يعني: خلق خلقاً من المقرّبين، يُنزهون عن إمكانهم ويصلون إليه معاً في معارجاتهم، ويمودون إلى عبوديتهم، وهم يعلمون بعلمه، وهم الملائكة الذين يكتبون أعمال عباده؛ لأنّ كلاً من المقرّبين يطلع على أعمال عباد الله بنفوسهم، التي هي ملائكة الله؛ لأنهم حاوية عليهم، وشاملة لهم في وجوداتهم، وحاضرة عندهم بإذن الله.

أقول: بل المراد بالمسبحين هم حملة عرشه الأولين، والعرش - هنا - عرش علم وقدرة وعظمة، وليس الذاتي، حتّى يكون المراد بالعرش ذات الله، تعالى عن قول المشبهين والملحدّين، بل علم حادث فعلي، فهم حاملون ومسبحون حوله - وهو لازم الحمل - حيث لا سماء ولا أرض، ولا مسبح غيرهم، بل خلق الله بألفي عام، أو أربعة عشر ألف، وغيرها من الروايات^(٣). أو حوله بمعنى الطوفان الدوري منهم جميعاً عليه، وهو لازم الحمل له، و[هو]^(٤) الإحداق المذكور في الزيارة الجامعة^(٥).

(١) نسه صاحب «جوامع الكلم» طبعة حجرية، في «الرسالة الرشتية» ص ٦٩، إلى ابن عربي بلفظ: «أنا الله بلا أنا».

(٢) في «ب» : «حالتهم».

(٣) «بهار الأنوار» ج ٢٥، ص ٢، ح ١٣، ص ٤، ح ٧، (٤) من «ب».

(٥) «تهذيب الأحكام» ج ٦، ص ٩٨، ح ١٧٧، وفيه: (خلقكم الله أنواراً، فجعلكم بعرضه مهدقين).

ولا يكون للممكن - كما زعم هذا الرجل - حال ينزّه نفسه عن الإمكان، ويصل للذات ويكون علمه علمه، كلما ازداد خروجاً ازداد حاجة وفقراً، ولكنه هو الغناء. فانظر إلى تأويله المجتث للحديث، على قواعد أهل الاتصال والمتصوفة المجتثة.

وقوله: (وملائكة يكتبون) معطوف على (خلق خلقاً) يعني كما أنه خلق خلقاً لعرشه حملة، خلق - أيضاً - ملائكة يكتبون الأعمال، فكلُّ له مقام، ومكلف، يعمل بقدر وسعه وما يحتمله، ولا يكون حاملاً لله تعالى، والله حمّل غيره حملة*، فبطل قول أبو قرّة، وأين هذا من قوله. وليس العرش الله، وقول الإمام أصدق وأحق من قول أهل الإلحاد والضلال. واستعبد أيضاً أهل الأرض بالطراف حول بيته، وكذا سائر الخلق، كلاً استعبده بحسب مقامه، ولا وصول لأحد منها لذات عقل الكل، فضلاً عن الأحد تعالى، وكذا العقل لا يصل لذاته تعالى، ولا يخرج عن حقيقة الإمكان ورتبته.

قال: «ويمكن أن يكون المراد من الخلق في قوله: (خلقاً يستبحون حول عرشه) هو الهيولانيات جميعاً، لكونها بتجدد الأمثال منزّهين في كل آن عن وجوداتهم الجزئية، ويصلون إلى العقل الذي هو حول علم الله تعالى الذي هو وجوده الأحديّة».

أقول: ضلاله - بل [-] معتقده - ظاهر، عقلاً ونقلاً، كما سبق مكرراً.

قال: «ثم قال ﷺ: (والله على العرش استوى) العرش ها هنا بمعنى محيط الجسمانيات، أي استوى وجوده المجرد على الجسمانيات بالعرض، إذا أحاط بها، وأحاط بعرش الجسمانيات ومن يحمله، ومن حوله، عرش الجسمانيات من الهيولانيات، والله حامل لها وممسك لها، وحافظ وقائم على كل نفس، وفوق كل شيء، وعلى كل شيء رتبة.

ولا يقال: محمول، أو أسفل، قولاً مفرداً، بل يمكن أن يقال: حامل ومحمول وفوق وأسفل، للأدب، ولا يوصل وصول الجسم بالجسم، فيفسد اللفظ والمعنى. فقال أبو قرّة: إنه إذا غضب إنما يعرف غضبه... إلى آخر ما قال، هذا كله حق في إحاطته بالخلق من المقربين، وأما بالنظر إلى ذاته فهو منزّه عما قال كله، واعتقد أبو قرّة أنه كذلك بالذات».

أقول: ما أجراه على التشبيه لله وإثباته له التغيير والانتقال بخلقه الخلق، وعلمه به وإحاطته به لما جعله بذاته، فهي مبدأ الاشتقاق، وصنع بذاته، فهي سارية فيها* ومحيطه

(*) «أي الخلوقات والمصنوعات» [حاشية «أ»].

(*) «بفعله» [حاشية «أ»].

بها، بل هي هي، وأثبت له كونه محمولاً، بل وموصوفاً بصفات الإمكان - من الغضب والتنقل والخفة - بحسب تعينه الثاني، وباعتبار إحاطته بالخلق، وصدق أبو قرّة وكان أعلم به من الإمام فإنه ﷺ نفى عنه مطلقاً، وأبطل دعواه، ولم يفرّق له بين الأمرين، ولا قال له: أنت عين ذاتاً، وهذا لا يجري على الله بالنسبة إلى ذاته الأحدية، ويجري بالنسبة إلى تعينه وظهوره بالخلق، فيوصف بصفاتهم. فتأمل لقوله، تجده في كلّ وإد بهيم، وما بعد الحقّ إلا الضلال.

وهم أصلوا قواعد مجتثة، ضلّوا بها وأضلّوا، ولزمهم منها إثبات التغيّر في ذاته، والانتقال من حال إلى حال، وقوله بجواز ذلك عليه، بإحاطته بالخلق وتعينه الثاني، لا بحسب أحديته.

ومع ذلك لا يقول أكثرهم بالتغيّر والانتقال عليه تعالى بخلقه الخلق، فهو جمع بين النقيضين، بل إقرار بإحدى المتساويين، فيلزمه الآخر، بل أزداد على المجسّم والمشبّهة، سبحانه عمّا يصفون.

ومن أصولهم الموجبة لهم ذلك وأمثالهم لها: قولهم بأنّ بسيط الحقيقة كلّ الوجود، وأنّه لا يخرج عنه غيره، بل كلّ كماله ثابت له في ذاته، وأنّ مبدأ الاشتقاق الذات، الثابت لها المبدأ، وأنّ الخالق ذات الله، بذاته الظاهرة بخلقه، وأنّ نسبة بينها والحادث*، وأنّ مفاهيم المشتقات تشمله والممكن، بالاشتراك المعنوي أو اللفظي.

فلما انغمسوا في هذه الظلم قالوا بمثل هذه الأقوال الباطلة الضالّة المضلّة، وفاهاوا بما يوجب التغيّر في ذاته ولا يتحاشون، كما أنّ من صدّق الله ورسوله، ودان بدينه وعرف مذهبه، لا يقولون بذلك ولا يفوهون به، بل بطلانه وضلال معتقده - أو [-] - بديهي.

وأما أهل القواعد الأول، فلم يكفهم لزوم التشبيه والتغيّر له بحسب حالهم، وما يلزمهم من قواعدهم، بل صرّحوا بألستهم، كما سمعت من قوله، وما قاله أستاذه الملام والكاشاني، فيما يروهم التشبيه والتوحيد الفعلي والوجودي ونحوها.

وكيف يعرض ذلك للذات، ولو بعد الخلق، وهو لا يكون من الأثر؟ فإنه لا يصل إلى الذات، فضلاً عن تأثيره فيها، ولا مؤثر خارجاً ولا من الذات نفسها، لاستحالته فيها،

ووجوبها حينها، ولا جهة قوة فيها ولا موجب للتغيير، ولا يصل لمقام الإمكان وصفته، وإلا انقلب إلى الإمكان بعد الوجوب الذاتي، وهو محال.

والله أرانا آياته في الآفاق والأنفس؛ للدلالة عليه، ودلالة الفعل أقوى من دلالة القول؛ فالنار مثلاً لا يمكن التغيير من نفسها، أو تكون لها حالة تغيرها، ولا يحيلها عن النارية غيرها، بل هي تحيل غيرها بالفعل بالنسبة إليه، فيفعل كفعالها، أو يكون رماداً، ولا يكون ذلك في ذات الله، وكذا الحرارة لا تحرق نفسها، وهل رأيت [بصيراً]^(١) رأى بصره، أي انتزع صورة منه لنفسه؟

وفي حديث الرضا عليه السلام لعمران الصابي، لما قال له عمران: فإن الذي كان عندي أن الكائن الأول قد تغير في فعله عن حاله، بخلقه الخلق، فقال الرضا: (أحلت يا عمران في قولك: إن الكائن يتغير في وجه من الوجوه، حتى يصيب الذات منه ما يغيره. يا عمران، هل تجد النار يغيرها تغير نفسها؟ أو هل تجد الحرارة تحرق نفسها؟ أو هل رأيت بصيراً قط رأى بصره؟ قال عمران: لم أر هذا^(٢)).

وبقي في هذا الحديث كلام لا يسمعه المقام، أزدنا الله وإياكم من فضله.

قال: «ولهذا قال عليه السلام: يلزم قولك أن يكون الله بغضبه على إبليس دائماً غاضباً على أوليائه، لأن الغضب لو كان له تعالى بالذات، وذاته دائماً محيط بأوليائه، والذاتي لا ينفك عن الذات، فيكون دائماً غاضباً على أوليائه، كما هو كذلك على إبليس، وهذا أمثاله ينسب إليه تعالى بالعرض، لا بالذات، فإن ذاته [مبرأة]^(٣) عن تلك الأمور، وهو تعالى بذاته لغني عن العالمين، ف (كيف تجترئ أن تصف ربك بالتغيير من حال إلى حال، وأنه [لا]^(٤) يجري عليه ما يجري على المخلوقين)، وهو (سبحانه وتعالى لم يؤل) في حد ذاته الأقدس (مع الزائلين، ولم يتغير مع المتغيرين... ومن دونه) من المخلوقات (في يده) أي في وجوده المحيط الساري، (وتدبيره، وكلهم محتاج إليه) تعالى، (وهو) بذاته (غني عمن سواه) انتهى.

أقول: ليس ما ذكره الإمام عليه السلام حلة للحقوق أحكام الممكن له بالعرض، لا بالذات، بل

(١) في النسختين: «بصرأ».

(٢) «التوحيد» ص ٤٢٤، ح ١١، «عيون أخبار الرضا» ج ١، ص ١٧١، ح ١، بتفاوت يسير، صححناه على

المصدر. (٣) في «ب»: «مبرأة».

(٤) كذا في النسختين، ولم ترد في الحديث الثاني من هذا الباب.

الأمر بالعكس، وهو أضاف لكلامه ﷺ ما ليس منه وفيه، فإنه لما نفى عن الله التغيير والتحوّل مطلقاً، ألزمه بلزوم الغضب له، منذ لعن إبليس وحزبه، فيلزم أن لا يكون راضياً أبداً، وهو ثقيل على كواهلهم، وسجداً دائماً، ولم يخف؛ لعدم حصول سببه، وهو الرضا، وليس كذلك، بل هو راضٍ عن أنبيائه وأتباعهم.

فإن قلت: له رضاً وغضباً، وأنه يتغير، وتختلف عليه الأحوال، لزم المحذور السابق، والله منزّه عنه، ولا فرق في ذلك بين كون هذا بحسب الذات أو بالعارض، والله منزّه عنهما، ومما يكون بالعارض يلزم منه الذاتي؛ لقيامها بالذات، وهو محال، وإلا فهو كذب، ومع هذا يلزم الذات اختلاف [الأحكام] ^(١) عليها بحسب الذات والعارض، فيطراً عليها التغير مع المتغيرين والمتبدلين، ومن جوزه فقد أحال وقلب الوجوب الذاتي إلى الإمكان. وعلى قوله يكون الله لم يؤل مع الزائلين ذاتاً، لا بحسب العارض وخلقه الخلق، فلم يبق حينئذٍ على ما كان في أزله.

وكذا نقول في نفي التغير عنه والتبدل، وفي كونه غنياً غير محتاج، إلى باقي صفاته. فأبي تنزيه له تعالى وتوحيد يقين لمعتقد هذا ^(٢) سبحانه وتعالى عما يصفون، ما قدرت المشبهة أن تشبهه - وكذا المعطلة - أكثر من ذلك.

والملا الشيرازي هنا فسّر الحديث بظاهره، وهو حق، لكن جملة جارياً على فهم أبي قرّة؛ لقصوره، فاحتجّ عليه بصورة الألفاظ ومدلولاتها الأولية، تارة [بأن المحمول اسم مفعول، فعل به فاعل فعله، وكل مفعول به فهو مضاف إلى غيره الذي هو فاعله، وهو محتاج إلى غيره] ^(٣). وتارة بأن المحمول اسم نقص في اللفظ. وبأنه ليس من أسمائه الحسنى التي أمرنا بالدعاء بها، ولا ذكر في كتبه المنزلة، وإنما فيها أنه الحامل. ويعدم قول أحد في دعائه: إنه محمول، فلا يوصف به ولا يسمى ^(٤).

أقول: هذه أدلة جامعة، من مقام الحكمة والموعظة والجدال بالتي هي أحسن؛ لا [أنها] ^(٥) قشرية لفظية، أو قضايا إلزامية عادية خاصة، لكنّه له فيه كلام يزعم أنه لّه وهين الحكمة، وليس كذلك.

(١) ليست في «أ»، ولي «ب»: «أحكام». (٢) من المصدر.

(٣) «شرح أصول الكافي» ج ٣، ص ٣٥٤ - ٣٥٥، باختصار.

(٤) في «أ»: «لأنها».

فإنه في شرح الحديث - بعد أن بين نفي التغيّر والتحوّل عنه، وعدم كونه محمولاً، بكلام طويل فيه بعض الخلل - قال: «لكن يجب أن يعلم أن هذه مسألة هويصة وعلم غامض، قلّ من يقدر على تحقيق الأمر فيه، والتفصي من الاشكال الذي يعتره في ربط الحادث بالقديم، ولولا مخافة التطويل لبيّنا أنه تعالى لم يزل ولا يزال بحالة واحدة، كان قادراً خالقاً في الأول، ولا مقدور ولا مخلوق، متكلماً مع موسى ﷺ، ولا كليماً بعد، بل مخاطباً مع آدم ونوح وسائر الأنبياء، قبل بعثهم ومعه وبعده.

وفي قوله ﷺ: (ومن دونه في يده) أي في قدرته وتدبيره، أي علمه، وكلّهم إليه محتاج، (وهو غني عمّا سواه) إشارة لطيفة إلى حقيقة الأمر، من عدم تغيّره بتغيّر الأشياء، حيث إن المجموع كنفس واحدة، نشأت عنه دفعة واحدة، من غير التفات وتعمّل وقصد زائد من الله لها، فليس من عند الله عليها إلا إفاضة الوجود وإعطاء الخير والوجود.

وأما التجدد والزوال والمدم، فإنما يكون من لوازم ذاتها، وضعف وجودها عن احتمال التسمد والدوام، والله ولي الفضل والانعام^(١) انتهى.

أقول: أصل هذا القول الباطل أنهم لما أسسوا القول بوحدة الوجود - ووجوب المناسبة بين الذات والصادر [هنا] (٢)، والمتجدد لا يصدر عن الثابت المنزه عنه - اختلفوا في وجه المناسبة والرابطة للحادث المتجدد بالقديم، وتفرّقوا فيه على أقوال، وكلها باطلة وضلال، والأصل المبني عليه باطل، فلا ثبات لغيره في الذات بوجه، لا بعدم ولا وجود، حتى اعتباراً.

ويشير قوله هنا إلى اختيار أنه الأعيان الثابتة للمخلوق، كامنة في ذات القديم، وفي غيبها، ولا وجود لها استقلالاً، وهي قابلة لخطاب ﴿كُنْ﴾ ولها لوازم وأحكام خاصة، من تجدد وزوال، وكفر وإيمان، ونحو ذلك، وحلّ بها كثيراً مسائل هويصة، من ابتداء الشر والخير، [والمتميين] وسرّ القدر، ومسألة الأفعال وغيرها، كما يظهر لمراجع كتبه وكتب الكاشاني، ويشير إليه صريح قوله أخيراً: «فليس من الله إلا إفاضة الوجود، وأما التجدد والزوال فمن لوازم ذواتها وضعف وجودها»... إلى آخره، مع أنه عندهم في الأزل وجودها وجود الله؛ لأنها مستجنّة فيه تعالى، كالشجرة في النواة، والاعتبار في المعبر*.

(١) «شرح أصول الكافي» ج ٣، ص ٣٦٠، باختصار ما، صححناه على المصدر.

(٢) من «ب». (*) «والفعل في الفاعل». [حاشية «أ»].

وكذا قوله أول كلامه في ربط الحوادث بالتقديم، وكلُّ هذا ضلال ظاهر بلا إشكال، ولا صعوبة فيه، كما لا صعوبة وخفاء في ضلاله، وحقية غيره عقلاً ونقلاً، كما بيناه مبسوطاً في غير موضع، وأبطلنا ما شبهوا به، وكلامه السابق وتلميذه الآخر يُفرِّغان عنه، والجميع عن ابن عربي وأمثاله. وعلى قوله هذا يصح وصفه بالتغيير وغيره* بالعرض، لكونها لوازم الأعيان الثابتة المستجئة فيه تعالى.

وقال بعض^(١): بأن الرابطة كون الوجود واحداً، هو واجب الوجود، وحقائق الخلق حدود فيه وماهياته.

وعلى الأول الخلق فيه ومتوكد منه، أو منه ومن غيره، وعلى الثاني هو معه أو لازمه.

وقال بعض^(٢): وجه المناسبة كون الوجود حقيقة واحدة شاملة للممكن والواجب،

فهما متساويان فيها، كأفراد الإنسان في الإنسانية، فيكونان من أفرادها.

وقال بعض^(٣): الاشتراك في المفهوم لا في المصدوق، أو أنه لفظي.

وكلها أقوال لا حق فيها، نعوذ بالله منها، فدع كلام أهل التصوف، والحمد لله على

السلامة من هذه العقائد، بفضل محمد وآله.

وقال الكاشاني في الوافي، في شرح الحديث: «(المحمول اسم نقص) اعلم أن كل لفظ

ليس هو من الألفاظ الكمالية، فيما نعقله وتصوره، فإنه لا يجوز إطلاقه عليه سبحانه بوجه

من الوجوه أصلاً. وأما الألفاظ الكمالية فإن لم يرد فيه من جهة الشرع إذن بالتسمية -

كواجب الوجود - فذلك إنما يجوز إطلاقه عليه سبحانه توصيفاً لا تسمية. وإن ورد فيه

الإذن بالتسمية ساغ الإطلاق توصيفاً وتسمية، كـ (الحي) و(العالم)^(٤).

أقول: كل ما لم يرد فيه إذن من الشارع لا يجوز إطلاقه عليه، لا توصيفاً ولا تسمية، والفرق

بين التوصيف والتسمية - كما قاله الكاشاني - ساقط لا دليل عليه، وهو قائم على خلافه.

ورود إطلاق واجب الوجود عليه تعالى في توحيد ابن بابويه^(٥) وغيره، ولم يحضرنى

تعيين الموضع في هذا الوقت.

(١) «أي من صفات الإمكان». [حاشية «أ»]. (١) انظر: «قرة العيون» للتراقي، ص ١٦١.

(٢) انظر: «إرشاد الطالبين» ص ٣٧؛ «أصل الأصول» ص ٣٢.

(٣) انظر: «شرح المقاصد» ج ١، ص ٣٠٧. (٤) «الوافي» المجلد: ١، ص ٥٠٠.

(٥) لم نثر عليه.

قال: «(وكذلك قول القائل) يعني: أن فوق وأعلى مدحة كالحامل، وتحت وأسفل اسم نقص كالمحمول، (وعرش فيه كل شيء) - بالجر - عطفاً على (علم وقدرة)، أي اسم عرش جسماني»^(١).

أقول: لا يتعين للجر في (عرش) بل الرفع على الابتداء، وهو معنى له أصم من عرش علم وعرش قدرة، وليس هو الجسماني، فهو بهذا المعنى ليس فيه كل شيء. وعلى ما قاله أولاً - في صفة الكمال التي لم يرد بها إذن من الشارع - يجوز إطلاق (فوق) عليه مطلقاً، وليس كذلك.

قال: «و(خلقاً) عطفاً على (خلقه) وكذا (ملائكة) أي استعبد خلقاً وملائكة، وكان الخلق الأول كناية عن الملائكة المقربين والنفوس الكاملة، ولهذا أضافهم إلى الله، والثاني عن الملائكة المدبرين والنفوس السماوية، ولهذا نسبهم إلى حول العرش، وإلى العمل - على ما في بعض النسخ - من تقديم الميم على اللام»^(٢).

أقول: بل الخلق الأول والحملة الأول: محمد وآله عليهم السلام بالنسبة إلى العرش الكلي الأولي الأمري، وهو مقام فوق مقام الملائكة والعقول والنفوس، وإن كانوا عليهم السلام هم الحملة في الأولية، في كل مقام بحسبه. *مرآتية كميتر علوم سوري*
ومراده - على طريقته - بالملائكة المقربين: القانون في ذات الله، فمعلوم علمه، وكذا النفوس الكاملة، فهي عنده تصير حقولاً، وهم الملائكة المقربون، والثاني: هم ملائكة الحجب الطائفون حولهم، وحول عرشه.

ثم قال: «(قولاً مفرداً) متعلق بـ (أسفل) خاصة، يعني من دون أن يقال معه وأعلى»^(٣).
أقول: حرفت فائدة القيد إن اعتبر، وبقي له كلام لا تحقيق فيه، وتحقيقه هنا يرجع إلى ما سبق.

□ الحديث رقم ﴿ ٣ ﴾

قوله: ﴿ من [الفضيل] ^(٤) بن يسار، قال: سألت أبا عبد الله عليه السلام عن قول

(١) «الوالي» المجلد: ١، ص ٥٠٠. (٢) «الوالي» المجلد: ١، ص ٥٠٠.

(٣) «الوالي» المجلد: ١، ص ٥٠٠. (٤) في النسختين: «الفضل».

الله جلّ وعزّ: ﴿وَسِعَ كُرْسِيُّهُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ﴾^(١) فقال: يا فضيل، كلُّ شيء في الكرسي، السماوات والأرض، وكلُّ شيء في الكرسي.

□ الحديث رقم ﴿٤﴾

قوله: ﴿عن زرارة بن أعين، قال: سألت أبا عبدالله عليه السلام عن قول الله عزّ وجلّ: ﴿وَسِعَ كُرْسِيُّهُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ﴾ [السماوات والأرض] وسعن الكرسي، أم الكرسي وسع السماوات والأرض؟ فقال: بل الكرسي وسع السماوات والأرض والعرش، وكلُّ شيء وسع الكرسي.

□ الحديث رقم ﴿٥﴾

قوله: ﴿عن زرارة بن أعين، قال: سألت أبا عبدالله عن قول الله عزّ وجلّ: ﴿وَسِعَ كُرْسِيُّهُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ﴾ [السماوات والأرض] وسعن الكرسي، أو الكرسي وسع السماوات والأرض؟ فقال: إنّ كلَّ شيء في الكرسي.

أقول: روى الصدوق في التوحيد^(٢) نحو هذه الروايات، وفي العياشي^(٣) أيضاً نحو ذلك. وفي القمي: أن علياً عليه السلام سئل عن هذه الآية، فقال: (السماوات والأرض وما فيهما من مخلوق في جوف الكرسي، وله أربعة أملاك يحملونه بإذن الله) الحديث^(٤). وفي التوحيد: عن حفص بن غياث قال: سألت أبا عبدالله عليه السلام عن قول الله عزّ وجلّ: ﴿وَسِعَ كُرْسِيُّهُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ﴾ قال: (علمه)^(٥).

وعنه مسنداً، عن ابن سنان، عنه عليه السلام في قوله تعالى: ﴿وَسِعَ كُرْسِيُّهُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ﴾ فقال: (السماوات والأرض وما بينهما في الكرسي، والعرش هو العلم الذي لا يقدر

(١) «البقرة» الآية: ٢٥٥. (٢) «التوحيد» ص ٣٢٧ - ٣٢٨، ح ٣ و ٤ و ٥.

(٣) «تفسير العياشي» ج ١، ص ١٥٧، ح ٤٥٥، ٤٥٨.

(٤) «تفسير علي بن إبراهيم القمي» ج ١، ص ١١٢، (٥) «التوحيد» ص ٣٢٧، ح ١.

أحد قدره^(١).

وفي تفسير القمي^(٢) والعياشي^(٣) عن زرارة، عنه عليه السلام، نحوه .

ابن بابويه، بسنده عن المفضل بن عمر، قال: سألت أبا عبدالله عليه السلام عن العرش والكرسي: ما هما؟ فقال: (العرش في وجهه هو جملة الخلق، والكرسي وهاؤه، وفي وجه آخر العرش هو العلم الذي أطلع الله عليه أنبياءه ورسله وحججه، والكرسي هو العلم الذي لم يطلع عليه أحداً من أنبيائه ورسله وحججه)^(٤).

بيان: على [هذا]^(٥) يكون الكرسي بمعنى العلم أقوى رتبة؛ لأنه علم الإمكان، والذي أطلعهم عليه علم كون، سواء كان اختيارياً أو وقع حيناً، وهذا لقريظة .
وأكثر الروايات على أن العرش بمعنى العلم أصلى وأشرف، إلا أن يراد به العلم التفصيلي، ويكون عدم اطلاعهم عليه بمعنى خصوصية الصورة، إلا بالكرسي الذي هو الصورة، وهو تفصيل العرش، فلا تنافي بين الروايات، فتدبر .

وفي العياشي، عن الحسن بن المثنى، ممن ذكره، عن أبي عبدالله عليه السلام، قال: (قال أبوذر: يا رسول الله صلى الله عليه وآله، ما أفضل ما أنزل عليك؟ قال: آية الكرسي، ما السماوات السبع والأرضون السبع في الكرسي إلا كحلقة ملقاة بأرض بلاقع*، وإن فضله على العرش كفضل الفلاة على الحلقة)^(٦).

وفي الاحتجاج، في حديث عن الصادق عليه السلام، وقد سأله رجل، فقال له: الكرسي أكبر أم العرش؟ فقال: (كل شيء خلقه الله في جوف الكرسي، ما خلا عرشه، فإنه أعظم من أن يحيط به الكرسي).

قال: فخلق النهار قبل الليل؟ قال عليه السلام: (نعم، خلق النهار قبل الليل، والشمس قبل القمر، والأرض قبل السماء، ووضع الأرض على الحوت، والحوت في الماء، والماء في صخرة مجوفة، والصخرة على هاتق ملك، والملك على الثرى، والثرى على الريح العقيم، والريح على

(١) «التوحيد» ص ٣٢٧، ح ٢.

(٢) «تفسير علي بن إبراهيم القمي» ج ١، ص ١١٢.

(٣) «تفسير العياشي» ج ١، ص ١٥٦، ح ٤٥٤.

(٤) «معاني الأخبار» ص ٢٩، ح ١، بتفاوت يسير.

(٥) في «أ»: «أن».

(*) «بلاقع» جمع «بَلَقَع»: «الأرض الثَّقَر. انظر: «القاموس المحيط» ج ٣، ص ١٣.

(٦) «تفسير العياشي» ج ١، ص ١٥٧، ح ٤٥٦، صححناه على المصدر، وفيه: «عن الحسن المثنى (الميثمي ظ)».

الهواء، والهواء تمسكه القدرة، وليس تحت الريح المقيم إلا الهواء والظلمات، وليس وراء ذلك سعة ولا ضيق، ولا شيء يتوهم. ثم خلق الكرسي، فحشاء السماوات والأرض، والكرسي أكبر من كل شيء خلقه الله، ثم خلق العرش فجعله أكبر من الكرسي^(١).

بيان: المعروف من الروايات تعدد معاني الكرسي، فيطلق على المعلم التفصيلي المقارن للعرش، [بمعنى العلم]^(٢) - كما عرفت من رواية التوحيد - وعلى فلك الثوابت، وعلى البروج الاثني عشر، وعلى ما سوى العرش، وعلى خيب ذلك، وعلى النفس الكلية، وعلى العلم الكلي، وهو ظاهر من الروايات.

والوسع الذي للكرسي - بمعنى الإحاطة بكل شيء، حتى العرش - وسع علمي وأصلي للعرش، ولكن بحسب ظاهر العرش، ولمن دونه بحسب الوجود والغيب، كل في مقامه، والعرش أول الموجودات، فلا دور، على أنه دور معية، فلا تنافي، وسيأتي عن قريب بيانه إن شاء الله تعالى.

وقوله في الحديث الأخير بأن خلق النهار قبل الليل بالنسبة إلى عالم المثال، وأول استواء العالم، وكذا الشمس قبل القمر، فإنها مثال العرش في الأجسام والعلّة الوجودية، فخلقها قبل بحسب الذات، أمّا بحسب هذا العالم ودوران الأفلاك باعتبار الأفق، فالليل قبل النهار، وعليه مدار العرف العام والندور وغيرها، فيقال: هذه الليلة للنهار المقبل، لا لليوم الماضي.

وكذا خلق الأرض بحسب المركز والقابلية الأولى والانفعال الوجودي، الذي به ظهر الوجود قبل السماء، والوارد في تفسير: ﴿الله الَّذِي خَلَقَ سَبْعَ سَمَاوَاتٍ وَمِنَ الْأَرْضِ مِثْلَهُنَّ يَتَنَزَّلُ الْأَمْزُ بَيْنَهُنَّ﴾^(٣) يدل عليه، وأنه ليس تحتنا إلا أرض واحدة وست فوقنا^(٤)، فوقية مقابلة. والمراد بها الأرضين الغيبية، لا هذه الحسية، فهي [مطابقة]^(٥) جوف الهواء، الذي هو جوف الكرة الأثرية، في جوف فلك القمر. وهذه القبلية والترتيب المذكور بينها في الروايات ترتيب وبيان للرتبة والتقدم الذاتي لا الزماني، إذ لا تراخي بينها به، ويلزم الطفرة

(١) «الاحتجاج» ج ٢، ص ٢٤٩ - ٢٥٠، بغاوت يسير، صححناه على المصدر.

(٢) ليست في «ب».

(٣) «الطلاق» الآية: ١٢.

(٤) «تفسير البرهان» ج ٤، ص ٣٥٠، ح ١. (٥) في النسختين: «مطابقة».

الوجودية، قال الله: ﴿ مَا خَلَقَكُمْ وَلَا يَنْفُكُكُمْ إِلَّا كَتَفِيرًا وَاحِدَةً ﴾^(١) ولاستحالة انقطاع الفيض من الجواد الوهاب، الذي لا معقب لأمره، ولا مانع له ومعارض. ونحو ذلك ما في الأخبار^(٢) من خلق الأرواح قبل الأجسام بالفي عام، مع أن الأرواح بالنسبة إلى الأجسام كالمعنى واللفظ. فالعرش والكرسي والسموات، والفعل والنفوس والأجسام، وسائر الكليات، خلقوا معاً بالزمان والوجود، وإن ترتبوا بالذات والترتيب، كما ذكر، وكان بين كل واحدة وأخرى ألفاً عام، بقدر هذه الأهوام، وهي ربتان: رتبة اشتراك، ورتبة انفراد، أو أكثر، وإن تساوقوا وجوداً. والمعنى مقدّم - بحسب الدهر والذات - على اللفظ، وإن تساوقا في الوجود الزماني، وقد يتأخر لزمان ما هو أسبق دهرًا، كتأخر ظهور الروح في الجسد، بعد مراتب النطفة والمعلقة... إلى آخره، وهي أقدم منه بمرتين.

والشعاع والسراج متصاحبان ظهوراً زمانياً، وللسراج التقدم عليه ذاتاً سبعين ألف سنة، وكل غيب له شهادة ودليل عليه، ولا توهم من ذلك جبراً ولا اضطراراً، كما لا يخفى.

وكما ورد: (خلق العقول قبل النفوس) على نحو ما حرفناك، فالتقدم الدهري لا ينافيه التساوق الزماني، بل الزمان بالنسبة إلى الدهر كالنقطة، وسمعت: (الكرسي وما فيه بالنسبة إلى العرش كحلقة في فلاة)^(٣).

وفي حديث [زينب] العطار^(٤): الشهادة للشهادة، والغيب للغيب، والشهادة للغيب. وخلق العقول سابق على خلق النفوس بشمانين ألف عام، كما دل عليه النص^(٥) الحاكم بسبق خلق محمد على علي، مع تصريح الروايات^(٦) بأنهما كانا نوراً واحداً، ينتقل من الأضلاب إلى الأرحام، حتى افترقا في عبد الله وأبي طالب.

وفي حديث آخر: (كنا نوراً واحداً، فافترقنا، فليل للنصف: كن محمداً، وللنصف الآخر: كن علياً)^(٧).

(١) «لقمان» الآية: ٢٨.

(٢) «بصائر الدرجات» ص ٨٦ الباب ١٥ في أمير المؤمنين عليه السلام أنه عرف ما رأى في الميثاق وغيره.

(٣) «تفسير العياشي» ج ١، ص ١٥٧، ح ٤٥٦، نقله بالمعنى.

(٤) من «ب».

(٥) «التوحيد» ص ٢٧٦، ح ١.

(٦) «بحار الأنوار» ج ٢٥، ص ٦، ح ٩. (٧) «بحار الأنوار» ج ٢٥، ص ٣، ح ١٥، ص ٢٠، ح ٣١.

(٨) «مشارك أنوار اليقين» ص ١٦٠، نقله بالمعنى.

والإجمال والتفصيل كالعرش والكرسي، ومحمد وهلي، والشمس والقمر، التقديم للإجمال ذاتاً، بحسب الإجمال [والوحدية] وإن كانا معاً متساويين ظهوراً.

وورد: (أن الله خلق محمداً وآله قبل خلق الخلق بألف دهر)^(١)، وكل دهر مائة ألف عام. وفي بعضها: (بأربعة عشر ألف دهر)^(٢) وفي بعضها: (بألفي عام)^(٣) وغير ذلك، وكانوا يسبحون حيث لا خلق ولا سماء ولا مسبح ولا مقدس^(٤).

مع أنه وردت الأخبار المتكثرة المقبولة^(٥): أن الأنبياء خلقوا من شعاعهم، وورد^(٦) عمومًا: خلق الشيعة من شعاع أنوارهم، ولهذا سموا شيعة. وتدخل فيهم الأنبياء مطلقاً، وهم درجات.

وهذا يدل على عدم التفكك والانفصال، ولكنه على ما عرّفناك من عدم منافاة المعية الوجودية لذلك التقدّم، دهرًا أو سرمدًا، ولا تعطيل في الفيض ولا إمساك، فميز ذلك، وبه يرتفع التنافي بين كثير من أخبارهم، غير ما أشرنا لها، وحاشا كلامهم من التناقض، وإن توهم في بادئ أول النظر.

وقول بعض علمائنا بجواز التعطيل في الفيض والإمساك، فيقطع ثم يفيض، خلاف متواتر الأخبار والآي والأدلة العقلية، وما بوجه جوده وكرمه، ولا ممانع له، وكأنه توهم من مثل قوله ﷺ: (كان الله ولا شيء معه)^(٧) وهذا ساقط لا يعاب به، حتى ذهب بعض الجهال إلى أن الله كان في فضاء مهوم، ماسكاً عن الفيض، ثم أوجد، ونعوذ بالله من الجهالة وشبه الضلال والغواية.

(١) «مشارق أنوار اليقين» ص ٤١، وفيه: (إن الله لم يزل فرداً في وحدانيته، ثم خلق محمداً وعلياً وطاقمة، فكثروا ألف ألف دهر، ثم خلق الأشياء)...

(٢) «بهار الأنوار» ج ٢٥، ص ٤، ح ١٧، ص ١٥، ح ٢٩، وفيها: (عام) بدل: (دهر).

(٣) «بهار الأنوار» ج ٢٥، ص ٢، ح ٣.

(٤) «بهار الأنوار» ج ٢٥، ص ١٦، ح ٣٠، وفيه: (.. خلقنا الله نحن حيث لا سماء مبنية، ولا أرض مدحبة، ولا هرش، ولاجنة ولا نار، كنا نسبحه حين لا تسبيح، ونقدسه حين لا تقديس)...

(٥) «بهار الأنوار» ج ٢٥، ص ٢٢، ح ١٣٧، ج ٥٤، ص ٢٠٠، ح ١٤٥، بالمعنى.

(٦) «مشارق أنوار اليقين» ص ٤٢، «بهار الأنوار» ج ٢٥، ص ٢٣، ح ٣٩.

(٧) انظر: «شرح المشاعر» ص ٦٣٤، وورد مضمونه في «الكافي» ج ١، ص ٨٨، باب الكون والمكان، «التوحيد» ص ١٧٨، ح ١٢.

وبيان بعض ما لمي آخر الأحاديث، وإن كان باختصار، ومع أن فهمي يقصر عن الإحاطة به، أزدانا الله بهم من العلم.

لنقول: أول ما خلق الإنسان وجوداً بسيطاً، بالنسبة لمن دونه واحد، لكن فيه قوة كمال مستكن، وجهة قبول وإثنية، فكانت له جهة وجود عقلية، وجهة ماهية، [ونفس] (١) أمارة، والوجود يشملهما. ولكل واحدة مراتب نازلة وصاعدة، إلا أنه لا صعود للثانية، وفي الإنسان قبضة، أو قل: طينة من جميعها، والثانية عن يسار الأولى، وهما دون الوجود ووجهه الأمري، والنور الذي ينظر به، إذ لا وجود لواجبين ولا شريك لله، والأثر يدل على المؤثر، والإنسان فيها صاعداً وهابطاً إلى ما لا نهاية.

وهذه المراتب موجودة في الروايات متفرقة، ومختلفة الأسماء، كهذا الحديث وحديث زينب العطار (٢) وغيرهما، مما اشتمل على مرتبة فأكثر، ويجمعهما الدائرتان المشهورتان، وترجع لواحدة، وظلها قبضة اليمين وقبضة الشمال، ومنها تركيب الإنسان في العالم الكبير طبقه، وفيه انطوى العالم الأكبر.

والأولى: عقل الكل، ونفس الكل، وطبيعة الكل، وجوهر الهباء، وشكل الكل، وجسم الكل، والعرش، والكرسي، وفلك البروج، وفلك المنازل، وفلك زحل، إلى باقي السبعة السيارة، ثم كرة النار إلى كرة الأرض، ثم مرتبة الجماد، ثم النبات، ثم الحيوان، ثم الملك، ثم الجن، ثم الإنسان، ثم الجامع، وهذه الحقائق الكونية وأرض الاستعدادات ومحط الأنوار، ولكل واحدة اسم من الأسماء الحسنى.

والثانية: جهل الكل والثرى والعططام، والنيران والريح العقيم، والبحر والثور - وهو الحوت - وصخرة سجين، والملك الحامل، وأرض الشقاوة، وأرض الإلحاد، وأرض الطغيان، وأرض الشهوة، وأرض الطبع، وأرض العادات، وأرض الممات، وكمثل الكلب والسموم، والماء الأجاج، والأرض السبخة، والحجارة والحديد، والنبات المرّ والمسوخ، وشياطين الجن، وشياطين الإنس، وإبليس وأسفل سافلين، وهذا قوس * العدم وبحره، وما

(١) في «أ»: «فنفس».

(٢) «التوحيد» ص ٢٧٦، ح ١.

(*) «ومن أنواع هذا القوس، وأفراده من الوجود، ما يسكنه عن العدم المطلق، ولولا هذا النحو من الوجود لدخل

في بحر العدم المطلق، وأضعف هذا الوجود ما في الجهل المطلق ثم يقوى فيما فوقه، حتى يصل إلى العقل. ب.»

[حاشية «أ»].

تحت الثرى، ولا يعلمه إلا الله، وليس له أسماء حسنى بحسب ظاهره، بل أسماء السوء ﴿بَلَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ بِالْآخِرَةِ مَثَلُ السَّوْءِ﴾^(١).

وهذه عكس الأولى في الوضع والاختصاص والأسماء والصفات، وكل واحد من دائرة العقل يقابل ضده من الثانية، وهذه خزائن مجتثة، والأولى متأصلة.

والذي فوق جهل الكل: روح الباطل، ونفس الباطل - المسمى بالثرى - والطمع: الظلمة، ونفوس هذه الأرضين: الجحود والطفیان... إلى آخره.

ورجوع هذه لتلك من حيث الإثنية بمقتضى العدل، والقبضة الجامعة والرحمة العامة، لا من حيث رجوعها إلى الحق، وإلا تأصلت وليست حقاً، بل تشابهه، ولذا سميت باسم واحد مع الأولى، كالزبد، ولها نسبة الحق وليست بحق، وبها تغيرت الفطرة الأولى. هذا ما يناسب [المقام]^(٢).

وظهر لك تعدد معاني العرش والكرسي، وأن كل معنى اعتبر للعرش، للكرسي معنى يقابله، فإنه الأقرب إليه ومتضايغان، وأنه محل ظهور شؤونه وتفصيل إجماله، وهو الأقرب إليه، ويكون للعرش الإحاطة الكلية على كرسية بالعلية والغلبة، لأنه ظهوره، لا ذاته، وهو أيضاً محل استوائه بجميع الشؤون، فهو حامل لشؤون عرشه، بحسب التفاصيل والقابلية، فالعرش كالفاعل - ولطفه الذي استوى به على الكرسي - والكرسي كالمقابل، وتمكنه وقبولية المقابل هي الكرسي، الذي وسع ذلك العرش وما دون الكرسي.

لتحقق من ذلك أن الحمل قسمان:

حمل إمداد وتمكن من العلة الفاعلية، وهذا للعرش، ولم يحمله [وسعة]^(٣) كرسية، بل هو كنقطة منه.

وحمل قبول لشؤونه وتفصيلها، وهو حمل تحقق ظهوري، لا مادي إمدادي، وهذا للكرسي بالنسبة إلى العرش. فاختلف معنى الحمل، ولا يلزم دور وجودي، الذي هو محال، مع أن دور المساوقة والمعية الوجودية لا ضرر فيه، وكل كرسي فإنما يسع عرشه، لا مطلقاً، واعتبر ذلك بالعقل مقر المعاني، والنفس مقر الصور، فكل منهما وسع الآخر

(٢) في «أ»: «العوام».

(١) «النحل» الآية: ٦٠.

(٣) في «ب»: «وسعه».

بوجه أشرنا له .

فاجتمعت الروايات وارتفع التنافي بينها، ولا تنافي ولا تدافع في كلامهم عليه السلام، وإن توهم في بادئ النظر. والوسع من جهة العرش والعلّة الفاعلية كالمادة والتمكين؛ لأنّه مقام الإجمال، والصور والتفصيل من الكرسي، وهو قبوله الاستواء والمقبول والعلّة الصورية، وبها يتحقّق الخلق الثاني بعد العرش .

والحاصل: أنّ ما من العرش تمكين وضع وسؤال عمل وقبول، وفي التكليف الشرعية أمر ونهي، كالعرش للقابل وعدمه، وهو كرسيه، ومن العفو استجابة وامتنال ومقبولية عمل له. وجميع العلة ترجع إلى صنعه و(علّة صنعه صنعه)^(١) | أو كما في خطبة البيّمة^(٢) لعلي عليه السلام، ويفهم من حديث الرضا عليه السلام لعمران الصابي^(٣) وغيره، والله لا علّة له، بل فعل [محض]^(٤) الرحمة، وينقل حاجة بعض لبعض وسدّها، ويحفظ بعضاً ببعض، دخولاً أو خروجاً، والله الحافظ للكّل .

وقال محمد صادق في شرح الحديث [الثالث]^(٥): «يمكن أن يكون المراد من الكرسي الوجود المحيط بالكّل، وجامع لجميع المخلوقات من سماوات العلويات وأرض السفليّات، فإنّ الكرسي مرادف للعرش - بمعنى الوجود الجامع لجميع المخلوقات، فإنّها مظاهر لوجوده تعالى ومراياه - وحامل له .

أو يكون المراد منه السماوات والأرض، [اللّتين في جوف الفلك الثامن، والكرسي هو الفلك الثامن، فالمراد من السماوات والأرض]^(٦) وكلّ شيء: هو ما يحيط به الفلك الثامن . أو يكون المراد منه قلب الإنسان الكامل، كما قال تعالى: (لا يسعني أرضي وسماوي، بل يسعني قلب عبدي المؤمن)^(٧) وهو تعالى محيط على كلّ شيء، وهو إذا كان في قلب المؤمن فيكون كلّ شيء فيه .

أقول: جميع قوله ساقط، وفيه من إثبات النقص لذات الله ما لا يخفى ولا يحصى،

(١) «شرح المشاعر» ص ٣٣٦، ٦١٧، وفيه: (علّة ما صنع صنعه).

(٢) «شرح العرشية» ج ٣، ص ٣٠١. (٣) «عيون أخبار الرضا» ج ١، ص ١٦٩، ح ١.

(٤) في «أ»: «خص». (٥) في النسختين: «الأول».

(٦) من «ب».

(٧) «إحياء علوم الدين» ج ٣، ص ١٥؛ «بحار الأنوار» ج ٥٥، ص ٣٩، باختلاف.

وجميع ما ذكره لا يمكن القول به. والكرسي لا يرادف العرش، وأين المعلول والعلّة، ولا يراد به الوجود الجامع، وتعالى الله عن المظاهر الذاتية والمرايا، كما زعموا وأرادوا. وليس الكرسي الفلك الثامن [ولم يسع العرش، ويصخّ إرادته، وكلّ كرسي يسع عرشه، وإلا لم يكن عرشه والكرسي كرسية، ويصخّ إرادة الفلك الثامن] ^(١) منه هنا، وهو واسع للعرش [على] كما عرّفناك .

وقلب الإنسان يقابل العرش، الجسم الصنوبري منه يقابل العرش الحسي، وهو محدّد الجهات، وله رؤوس وذريّة بعدد الخلائق، والمعنوي كذلك، ويراد بالكرسي في الإنسان الكبير الكرسي، ويقابله في الصغير صدره، الظاهر للظاهر، والباطن للباطن، والغيب للغيب، وله رؤوس بعدد الخلائق أيضاً.

ولا يسع ذات الله قلب مخلوق مطلقاً، وإنما المراد بهذا الوسع وسع تجلّ فعلي، بما ظهر له به، وألقى في هويته، وليس إلا محمداً ﷺ، ثم الأئمة عليهم السلام على مراتبهم بعده، على سبيل البديلة، وليس الأمر كما قال في الله والقلب، تعالى الله عما يقوله المشبهون علواً كبيراً. وقال في شرح الحديث [الرابع] ^(٢): «الأولى أن يقال: المراد من الكرسي قلب العبد المؤمن، فإنّه بكونه جامعاً لجميع الموجودات وسع كلّ شيء، ومنها العرش الذي هو الفلك الأوّل وما فيه، أو جميع الموجودات، أو غيرها من المعاني التي يناسب المقام».

أقول: قوله: «قلب العبد المؤمن»، هذا كلام البسطامي ^(٣) وأمثاله من أهل التصوف، ولا يقابل قلبه خردلة، وأي قلب يسع الموجودات لكنهم يتصورون خيالات شيطانية باطلّة، ويبنون عليها، ولا وسع إلا لقلب محمد، كما شاء الله، وكلّه في مقام وجوده، ولا يحيط بشيء من علمه، إلا بما شاء، ولم يحط بجميعة. وما يرد عليه من التدارك ظاهر ممّا سبق، فلنعرض عنه، فتدبّر. ولم يتكلم على الحديث الثالث، وهو ظاهر ممّا سبق .

وقال ملا خليل القزويني في شرح الحديث [الثالث] ^(٤): «قد مضى أوّل الباب ما يدلّ على أنّ المراد بالكرسي نوره وعظمته - أي علمه وقدرته - وبالعرش جميع المخلوقات، وأنّ جميع المخلوقات تحت علمه وقدرته».

(١) من «ب» . (٢) في النسختين: «الثاني» .

(٣) انظر: «التوحّات المكيّة» ج ٤، ص ٨. (٤) في النسختين: «الأول» .

أقول: إذا أريد بالكرسي العلم، فيراد أيضاً من العرش، فهما مقترنان كما صرفت، ويكون العلم المراد من العرش أهم وأجمع من الكرسي، وإن كان هو تفاصيله، وبسعة الكرسي للعرش وحمله له بالمعنى السابق، وهو لا ينافي العكس، لاختلاف الجهة. وأحال الكلام على الحديثين الباقيين على الكلام على الأول.

وقال الملا الشيرازي في شرح الحديث [الثالث] (١): «قوله: (السموات والأرض وكل شيء) أي كل شيء غيرهما تفصيل لكل شيء، الأول والقضية الثانية تأكيد للقضية الأولى، فقد علمت سابقاً أن كل شيء في علمه تعالى، وأن لعلمه مراتب: أولها: إجمالية، ولا إجمال فوقها، وهي عين ذاته» (٢).

أقول: نعم، كل شيء في علمه، لكن لا بما تأوله، إذ علمه الذاتي لا إجمال فيه ولا تفصيل، وأيضاً لو كان العلم الذاتي إجمالاً كان للأشياء تحقق فيها، ولو بحسب الإجمال، وهو مراده، وهو باطل، ويكون فيها التفصيل أيضاً، ولو بحسب الصلوح، فإنه متى تحقق الإجمال بوجه تحقق التفصيل، ولو بحسب الصلوح، وهو باطل، وهو يقول بهذا من وجه، كما يشير إليه باقي كلامه وصريحه في غير هذا الموضع.

قال: «وثانيها: مرتبة علمه القضائي العقلي، وهو عبارة عن وجود الأشياء كلها وجوداً عقلياً في قلم الله، وهو جوهر مقدس عقلي، وهو باطن العرش» (٣).

أقول: هذا لا يجري في الذات؛ لأن عنده وجود العقل وبقاء بوجود الله وبقائه، [لا بإيجاد الله وبقائه] (٤)، ويعني بالسابق الوجود: الأعيان الثابتة، والصور العلمية في الذات القدسية، ولو أراد بالعلم بمعنى المعلوم - والأول مرتبة الإمكان، والثاني أول الكون - لتم، لكنه لا يتم مع القول بأنه ذات الله وفيه، فما تقوله حادث، لا تحقق له في ذات الله بوجه، كما سبق ويأتي.

قال: «وثالثها: مرتبة علمه القدرى التفصيلي، وهو عبارة عن وجود صور الأشياء كلها، وجوداً صورياً نفسانياً في لوح الله، وهو جوهر نفساني وجوداً على نحو القبول، كما أن وجودها في القلم كان على وجه الفعل، وهو باطن الكرسي. فظهر أن كل شيء في

(١) في النسختين: «الأول».

(٢) «شرح أصول الكافي» ج ٣، ص ٣٦١، صححناه على المصدر.

(٣) «شرح أصول الكافي» ج ٣، ص ٣٦١. (٤) في «ب»: «لا بإبقائه».

الكرسي، كما أن كل شيء في العرش، إلا أن كونها هناك على نحو الإجمال والإفاضة، وها هنا على وجه التفصيل والاستفاضة، ولهذا عبر عنه بالسعة^(١).

أقول: على قوله لا يكون كل شيء في الكرسي على سبيل العموم؛ لأنه بيّنه بصور الأشياء، وهي بعض الأشياء، وما بقي أكثر بكثير من الصور، وكذا ما قاله في العقل، [فما]^(٢) في الكرسي وسعه العرش، لكنّه به وفي مقامه - ولو مادياً - عرضاً، وكل شيء - حتى المادي الجزئي والعرضي وصفته - وسعه الكرسي، وكذا ما في العرش، لكنّه به وبحسب مقامه. وليس البيان كما قال، فإنه يبطل العموم المؤكّد في الكرسي وفي العرش، في كثير من الأحاديث، فتدبر.

وقال في شرح الحديث [الرابع]^(٣): «قوله ﷻ: (والعرش) عطف على (السموات والأرض) وقوله: (وسع الكرسي) فاعل (وسع) ومفعوله إما (كل شيء) إن قرئ بالنصب، وإما ضمير محذوف عائد عليه، إن قرئ بالرفع على الإبتداء.

واعلم أن كون العرش في الكرسي لا يتأني كون الكرسي في العرش، لأن أحد الكونين بنحو، والآخر بنحو آخر، فكون الكرسي في العرش كون عقلي إجمالي، على وجه أعلى وأشرف من كونه في نفسه، وكون العرش في الكرسي كون بصورة نفسانية تفصيلية، فلا منافاة في كون كل منهما في الآخر، ولا أيضاً في كون جميع الأشياء في كل منهما^(٤).
أقول: قال في شرح الحديث [الخامس]^(٥): «معناه كما مرّ»^(٦).

تنبيه نقلي

لعلماء اللغة ومفسري الظاهر وأهل الكلام خلاف في معنى الكرسي، صوابه قليل - عرفته - ولنتقل لك جملة:

فعن الحسن: هو نفس العرش، وهو جسم عظيم [يسع السماوات والأرض]^(٧). وقيل:

(١) «شرح أصول الكافي» ج ٣، ص ٣٦١، صحناه عن المصدر.

(٢) في «أ»: «كما».

(٣) في النسختين: «الثاني».

(٤) «شرح أصول الكافي» ج ٣، ص ٣٦١.

(٥) في النسختين: «الثالث».

(٦) «شرح أصول الكافي» ج ٣، ص ٣٦٢.

(٧) من المصدر.

دون العرش وفوق [السما] السابعة .

[وعن السدي: إنه تحت الأرض السابعة] (٢٢). وعن سعيد بن جبير، عن ابن عباس: هو موضع القدمين (٢٣).

وفي نقل آخر: إنه العلم سُمِّي به، لأنه يعتمد عليه كالعلم، فحصلت المشابهة، فأطلق الكرسي على العلم، تسمية الشيء بما يشابهه (٢٤).
وقيل: المُلْك (٢٥).

وقيل: تصوير للمعظمة، ولا كرسي ولا قعود، ولا قاعد، كما قيل في العرش، واختاره جمع من المفسرين (٢٦).

وأمثال ذلك من أقوالهم، ومرجعها إلى التشبيه أو التأويل الجزافي، أو إبطال مضامين الآي والنصوص، لا أقول: الواردة في أحوال المبدأ، بل وفي أحوال المعاد، فدعها جانباً واتبع الحق، والله الموفق.



□ الحديث رقم ﴿٦﴾

قوله: ﴿عن أبي عبد الله عليه السلام قال: حيلة العرش - والعرش: العلم - ثمانية: أربعة منّا، وأربعة [متن] (٢٧) شاء الله عز وجل﴾.

أقول: هذا الحديث - ونحوه كثير - صريح الدلالة في أن المراد بالعلم - إذا أريد به العرش - ليس هو الذاتي لله تعالى، ولا يصح بوجه، كما وقع للملأ ومن شابهه.

قال ملأ حليل في شرح الحديث: «قد تفسر الأربعة الأول برسول الله صلى الله عليه وآله وسلم وعلي

(١) من المصدر. (٢) ليست في «ب»، ولم ترد في المصدر: «السابعة».

(٣) انظر: «التفسير الكبير» ج ٧، ص ١١١، «تفسير غرائب القرآن» ج ٢، ص ١٥.

(٤) انظر: «التفسير الكبير» ج ٧، ص ١٢، «تفسير غرائب القرآن» ج ٢، ص ١٥، «تفسير القرآن الكريم» للملأ صدرا، ج ٤، ص ١٦٠.

(٥) انظر: «جمع البيان» ج ٢، ص ٤٦٨، «التفسير الكبير» ج ٧، ص ١١١، «تفسير غرائب القرآن» ج ٢، ص ١٥.

(٦) انظر: «تفسير الكشاف» ج ١، ص ١٣٠٦، «التفسير الكبير» ج ٧، ص ١١٢، «تفسير غرائب القرآن» ج ٢، ص ١٥، «تفسير البيضاوي» ج ١، ص ١٣٤. (٧) في النسختين: «بما».

والحسين عليه السلام. وقيل في بعض الأحاديث: تفسير الأربعة بأمر المؤمنين وسيدة نساء العالمين والحسين عليه السلام، والأربعة الثانية بسلمان والمقداد وعمار بن ياسر وأبي ذر الغفاري. انتهى.

والأول محمول على زمان رسول الله صلى الله عليه وآله، وعلى عدم الاهتمام بذكر النساء، ويظهر من هذا أن العرش في كل زمان محمول، لكن يختلف حاملوه العلماء.

أقول: أما تفسير الأربعة بمحمد وعلي والحسين عليهم السلام، فهو مروى^(١)، ووجهه العقلي ظاهر، فهم الحملة الأولية الكلية، بل لا حملة غيرهم، قد حملهم جمل العلم وتفصيله، فحملوه حمل حفظ ومعرفة، بحسب أنفسهم وغيرهم، وبلغوا ما أمروا به، في كل فرد بحسبه، ذاتاً وصفةً وفعلاً، وجميع حمل غيرهم فمن فاضل حملهم، وجهة من جهاته، وثانياً وبالتبعية.

وهم الحملة في كل وقت، بل بحسب البدء والعود، وفي كل وقت - من زمن آدم - نائب عنهم في غيابهم، وواحد منهم في زمن ظهورهم.

وورد تفسير الأربعة الآخر^(٢): نوح وإبراهيم وموسى وعيسى، فهم رؤساء الأنبياء، وفاطمة عليها السلام معهم، وكذا باقيهم.

ولك تفسير الثمانية بهم عليهم السلام، ويراد من لفظ العدد أسماؤهم، وبحذف المكرر بزيادة المهدي عليه السلام، ولا فرق في ذلك بين زمان محمد صلى الله عليه وآله وبعده، فإنه لا بد للعلم من حملة ولا يحمله غيرهم عليهم السلام، وحمل غيرهم - كما عرفت - بالفاضل والتبعية لحملهم، ولا وجود للتابع والفرع دون المتبوع والأصل، ولا الصفة دون الموصوف. ومما ذكر يظهر ما في كلامه من الخلل والقصور.

وقال الشارح محمد صادق: «قد علمت أن العلم التفصيلي لله تعالى وجودات الأشياء وصفاتها، وحامل تلك الوجودات تفصيلاً هو العالم الكبير - الذي هو الأربعة التي تصير الثمانية في العود، كما مر بيانه - أو الإنسان الكامل الذي أربعة منهم عليهم السلام، وفي بعض الروايات هو رسول الله صلى الله عليه وآله وعلي والحسن والحسين عليهم السلام، والمراد (ممن شاء الله) في بعض الروايات: أنبياء أولي العزم: نوح وإبراهيم وموسى وعيسى عليهم السلام» انتهى.

(١) «تفسير علي بن إبراهيم القمي» ج ٢، ص ٤٠٣. (٢) «تفسير علي بن إبراهيم القمي» ج ٢، ص ٤٠٣.

أقول: ما في كلامه ظاهر ممّا سبق، والرواية التي أشار لها صحيحة، وهو أحد معاني العرش؛ لأنك قد هرقت أنّ العرش يطلق في الأخبار على عدة معانٍ:
 منها: العلم المأمور بتبليغه إلى المكلفين، بحسب أوقاتهم، ويرجع للحامل لكلي العلم، أو قل: أصل العلم وفروعه وشعبه بحسب التأدية، فهو الحامل لجميع أقسامه وأنواعه، وهو المراد هنا، والمعنى أيضاً في قوله تعالى: ﴿وَيَخِيلُ عَرْشَ رَبِّكَ فَوْقَهُمْ يَوْمَئِذٍ ثَمَانِيَةَ﴾ (١).
 فورد: أنهم أربعة من الأولين، وأربعة من الآخرين، والأول: نوح وإبراهيم وموسى وعيسى، والآخر: محمد وعلي والحسن والحسين عليهم السلام، وتدخّل فيهم التسعة عليهم السلام وفاطمة عليها السلام، للمساواة في ذلك، ولما صرّح في الزيارة الجامعة (٢) وغيرها، ولكون طينتهم واحدة، وكذا أنوارهم على مراتبهم كذلك، ولقيام أصل الوجود بهم، وإحداقهم جميعاً بالعرش بالمعنى الأولي والثانوي وغيرهما.

وكل معنى للعرش خزانة خزائنه العظيم، بل كل موجود، ومرجعها إلى العرش الأول الكلي، وهو المشيئة وأول فائض.

وسمعت إطلاقه على الملائكة الأربعة العالين، وهي الأنوار الأربعة: الأحمر والأخضر والأصفر والأبيض، وهذه أركانه المنقسم إليها.

وتارة يطلق على الدين، وسيأتي في قوله تعالى: ﴿وَكَانَ عَرْشُهُ عَلَى الْمَاءِ﴾ (٣) يعني: أنه تعالى حمل دينه العلم (٤)، فالعلم حامل له.

وتارة على الملك، كما قال: ﴿رَبُّ الْعَرْشِ الْعَظِيمِ﴾ (٥) يعني: رب الملك العظيم.
 وتارة على الملك الباطن، الذي فيه حلل الأشياء وهلم الكيفوية، ومنه مظهر البداء، كما في حديث التوحيد (٦) وغيره. وعلى محدّد الجهات، وعلى ما سوى الله تعالى، وكلها معروفة من الروايات، وكل هذه خزائن هوالم وعلوم، ولكل معنى كرسى يقارنه.

واعلم أنه بانعطاف العود واستكمالها، وخروج فعلية البدء، يتضاعف العدد، فيضاف إلى الأربعة الأول، سواء كانوا الأنوار والملائكة، أو الحياة والموت والخلق والرزق، أو أنها نوح

(١) «الحاقة» الآية: ١٧. (٢) «تهذيب الأحكام» ج ٦، ص ٩٨، ح ١٧٧.

(٣) «هود» الآية: ٧.

(٤) انظر: الحديث السابع من هذا الباب، وفيه: (إن الله حمل دينه وعلمه الماء)...

(٥) «التوبة» الآية: ١٢٩، «النمل» الآية: ٢٦. (٦) «التوحيد» ص ٣٢١، ح ١.

وإبراهيم وموسى وعيسى، وغير ذلك كما سبق، وكلها حقة، وإن اختلفت باختلاف الاعتبار. وفي العود تنضاف أربعة أخرى، فإن للبدء قوس التكويني، وللعود قوس التشريعي، فحصل تكليفان، فتضاعفت الحَمَلَة بزيادة الأربعة.

وعرفت العَلَة في كون الأصل أربعة وعددها وما ورد فيها، وكلها صحيحة وإن اختلف الاعتبار، والحَمَلَة الكَلِيَة للعرش الكَلِيّ الأولي: محمد وآله، ولجميع مَنْ سواهم حمل جزئي - نوعي أو جنسي أو شخصي - في البدء والعود، داخله تحت ذلك الحمل، فتدبر.

□ الحديث رقم ﴿٧﴾

قوله: ﴿عن داود الرقي، قال: سألتُ أبا عبد الله عليه السلام عن قول الله عز وجل: ﴿وَكَانَ عَرْشُهُ عَلَى الْمَاءِ﴾^(١) فقال: ما يقولون؟ قلت: يقولون: إن العرش كان على الماء والربُّ فوقه، فقال: كذبوا، مَنْ زعم هذا فقد صير الله محمولاً، ووصفه بصفة [المخلوق]^(٢)، ولزمه أن الشيء الذي يحمله أقوى منه﴾.

أقول: لا خفاء في بطلان قول المشبهة، ومن جعل لله اعتماداً على آخر، فإنه منهم ولازم مذهبهم، كأهل الأعيان الثابتة، ومن جعله مادة خلقه - وهو متمين به، ومراة لظهوره، فقد أفاده وحمله بظهور ذاته ورؤيته كمالها فيه وافترق إليه - وهم المتصوفة ومن تمسك بأذيالهم من المسلمين.

واعلم أن لكل موجود خزائن كثيرة، كما قال الله: ﴿وَأَنْ مِنْ شَيْءٍ إِلَّا جِنْدَانَا خَزَائِنُهُ وَمَا نُنزِّلُهُ إِلَّا بِقَدْرِ مَعْلُومٍ﴾^(٣). ومن خزائنه: مقام المعاني، وهو من الأكوان الستة التي ذكرها الصادق عليه السلام^(٤).

الأكوان الستة التي ذكرها الصادق عليه السلام

الأول منها: الكون الثوراني، وهو حجاب السرِّ وباطن الباطن، ولهذا كان على الحجب،

(٢) في النسختين: «المخلوقين».

(٤) «الهداية الكبرى» ص ٤٣٥.

(١) «هود» الآية: ٧.

(٣) «الحجر» الآية: ٢١.

وهي معانيه وهي حقائقهم، ومقام القابلية الأولى لهم، وهو الماء الذي حملته العرش في قوله تعالى: ﴿وَكَانَ عَرْشُهُ عَلَى الْمَاءِ﴾ وهو أول فائض عن فعل الله، وهو أمره المفعولي والحقيقة المحمدية، والزيت المشار له في تأويل قوله تعالى: ﴿يَكَادُ زَيْتُهَا يُضِيءُ وَلَوْ لَمْ تَمْسَسْهُ نَارٌ﴾^(١) - أي نار الوجود، أي الإيجاد - والمراد منه التعبير عن شدة أرجحية وجوده، وإلا فلا انوجد بدون إيجاد، إذ لا تحقق له بدونه، وكذا لا إيجاد بدون انوجد.

[والكون الثاني: جوهرى]^(٢).

وأربعة منها سبقت: عقل الكل، وهو النور الأبيض، والركن الأيمن الأعلى من العرش، والروح الكلية، وهو الكون الهوائي.

والكون المائي: النور الأخضر، ركن العرش الأيمن الأسفل، وهو النفس الكلية واللوح المحفوظ.

والكون الناري: وهو الحجاب الأحمر وطبيعة الكل، والركن الأسفل من العرش، وهو ظاهره.

والكون السادس: الأظلة [عالم المثال]^(٣)، قال الصادق عليه السلام: (والكون السادس أظلة وذو)^(٤). ومن ظاهر هذا النص وغيره علم أن الماء لا يُخَصُّ بهذا الجوهر الحسي السبيل، وإن كان أحد حقائقه، بل يطلق على معانٍ متعددة، على سبيل الحقيقة فيها، ولكن على ترتيبها، فلا إجمال، وتشملها الحقيقة الأولية الجامعة.

ثم لما كان الأصل هذا الماء، وهو أول فائض، فالأشياء كون فيه، وكان له إمكانات متعددة يتنزل من كل واحدة لمن دونها، فتعددت خزائن كل واحد، ولحقه في كل خزانة حكم وصفة، بحسب كونه مذكوراً، أو مكوناً أو موجوداً، جامعاً لعله وأسبابه. وكل خزانة في مقامها لا تنزل إلى الخزانة السافلة التي تحتها، بل تخلق من جهتها السفلى، ووجهه الأعلى من أهلها، وهكذا حتى يبرز في هذا العالم جامعاً لها ويعود لها، وكل له مقام لا يخرج عنه، نازلاً ولا صاعداً. واعتبر ذلك في نفسك وقواها وهقلك، وبدء وجودك وطبيعتك وبدنك.

(٢) من المصدر.

(١) «النور» الآية: ٣٥.

(٣) ليست في «ب».

(٤) «الهداية الكبرى» ص ٤٣٥، وفيه: (والكون السادس تراي لا غير، فأظله ودور)...

ولنشر لإنموذج ذلك بما روي في عيون أخبار الرضا عليه السلام، عن الإمام محمد بن علي، عن أبيه الرضا، عن أبيه موسى بن جعفر، عن أبيه الصادق، عن أبيه، عن جده عليه السلام قال: (دعا سلمان أبا ذر رحمة الله عليهما إلى منزله، فقدم إليه رغيقين، فأخذ أبو ذر الرغيقين فقبهما، فقال سلمان: يا أبا ذر، لأي شيء تقلب هذين الرغيقين؟ قال: خفت أن لا يكونا نضيجين، فغضب سلمان من ذلك غضباً شديداً، ثم قال: ما أجراك حيث تقلب هذين الرغيقين! فوالله لقد حمل في هذا الخبز الماء الذي تحت العرش، وعملت فيه الملائكة حتى ألقوه إلى الريح، وعملت فيه الريح حتى ألقته إلى السحاب، وعمل فيه السحاب حتى أمطره إلى الأرض، وعمل فيه الرعد والبرق والملائكة حتى وضعوه مواضعه)... إلى آخر الحديث. (فقال أبو ذر: إن الله أتوب واستغفر إليه مما أحدثت، وإليك أعتذر مما كرهت) ^(١).

وأول الخزائن المشيئة بمراتبها الذكرية، ثم الأكوان من عقل الكل إلى آخره، ثمانية للحق الثابت، وللباطل كذلك ضدّه، كل واحدة لكل ترجع إليها من ظلّها، وتخفى دونها خفاء انقطاع لا إعدام، وليس هنا مقام التفصيل. واستدل الإمام عليّ بإبطال ما قاله المشبهة في العرش والماء والربّ، بثلاثة براهين ظاهرة، لا ينازع فيه إلا المعاند الجاحد.

البرهان الأول: أنه صيرّه محمولاً، وقد كان حاملاً - وكان ولا عرش ولا ماء - فقد اختلفت عليه الأحوال وتغيّر، وهو نقص فيه، وانقصر لبعض خلقه، والأمر بالعكس.

البرهان الثاني: لزوم التشبيه، فإن هذه صفة خلقه، والله لا يشبههم، تعالى الله علواً كبيراً، فإن الخلق محمولون ويحمل بعضهم بعضاً، حتى ينتهي الحمل إلى المشيئة، والله يمسك الأشياء بأظلفتها.

البرهان الثالث: لزوم كون غيره أقوى منه، وهو الحامل له بأي معنى تفسره، فيكون هو الواجب، وانقلب الواجب ممكناً، وكلّها باطلة، إلى غير هذه الأدلة المتواترة عقلاً ونقلًا.

قوله: ﴿قلت: بين لي، جعلت فدائك؟ فقال: إن الله حمل دينه وعلمه الماء، قبل أن يكون أرض أو سماء، أو جن أو إنس، أو شمس أو قمر، فلما أراد

(١) «عيون أخبار الرضا» ج ٢، ص ٥٢ - ٥٣، ح ٢٠٣، صححناه على المصدر.

[الله] أن يخلق الخلق نشرهم بين يديه، فقال لهم: مَنْ رَبِّكُمْ؟ فأول من نطق رسول الله ﷺ وأمير المؤمنين ﷺ والأئمة صلوات الله عليهم، فقالوا: أنت ربنا، فحتلهم العلم والدين، ثم قال للملائكة: هؤلاء حنلة ديني وعلمي، [وأمانتي] (١) في خلقي، وهم المسؤولون ﴿﴾.

أقول: حرف من قوله ﷺ: (دينه وعلمه)، أن المراد به العرش هنا، كما عرفت، وهذا العلم الأولي جهة المشيئة العليا*، وليس هو العلم الذاتي، تعالى الله علواً كبيراً، وإلا عاد الأول، من كونه تعالى محمولاً، وعادت المفاسد السابقة وغيرها. ويقول: إنه حمل الماء قبل أن تكون سماء وأرض، دل على أن الماء كما عرفت*، لا هذا الحسي السائل. ويقول: (فلما أراد الله | أن يخلق [الخلق] (٢))... إلى آخره، أنه شمل حتى العقل، فإنه أول الذرة، وهو ذر المعاني، وإن كان فيه خفاء.

والمراد بقوله: (قبل أن تكون أرض أو سماء) وقوله: (فلما أراد) ليس المراد بالقلبية القبلية الزمانية الانفكاكية، وكذا الترتيب، ليعلان الطفرة والتفكك الوجودي، بل المراد بها القبلية الذاتية، والترتيب الوجودي بالرتبة.

وإطلاق الماء على غير هذا المحسوس الجاري من النصوص كثيرة، كما سبق في حديث سلمان، وورد في البحر المكفوف، الذي هو بين السماء والأرض.

وورد في تفسير قوله تعالى: ﴿وَهُوَ الَّذِي خَلَقَ مِنَ الْمَاءِ بَشَرًا فَبَعَثَهُ نَسَبًا وَصِهْرًا﴾ (٣): أن الماء محمد ﷺ، والنسب علي ﷺ، والصهر فاطمة ﷺ، كما في تأويلات النجفي (٤)، وغيرها. وروى ابن شهر آشوب، عن ابن عباس وابن مسعود، وجابر والبراء وأنس، وأم سلمة والسدي وابن سيرين، والباقر ﷺ، في هذه الآية: (هو محمد وعلي وفاطمة والحسن

(١) في النسختين: «وأمانتي».

(*) «أي رأسها الأعلى، وهو الوجود المستن بالمحققة الحمديّة. ب» [حاشية «أ»].

(**) «أي الوجود» [حاشية «أ»]. (٢) في النسختين: «خلقه».

(٣) «الفرقان» الآية: ٥٤.

(٤) «تأويل الآيات الظاهرة» ص ٣٧٣، وفيه عن ابن عباس: «زوّج النبي ﷺ علياً ﷺ ابنته، وهو ابن عمه، فكان له نسبا وصهرا».

والحسين^(١).

وفي رواية: (والنسب فاطمة، والصهر علي عليه السلام)^(٢). وهو الموجود الدائب، وفيه طبعه فتسمّى به، وهذا الماء من انجماده وأسفل أسافله.

وقال تعالى: ﴿ وَجَعَلْنَا مِنَ الْمَاءِ كُلَّ شَيْءٍ حَيٍّ ﴾^(٣). والماء في الإنسان هو الرّية، ففيه الطبائع الأربع، كما في حلل الشرائع^(٤) وغيرها. والمُلك ظاهر الملكوت، وهو ظاهر الجبروت، وهو ظاهر الأمر، فكلّ شيء له شيبة وذكر في عالم الأمر.

وعرف عليه السلام بقوله: (فأول من نطق) أنهم الحملة أيضاً في الدر الثاني والثالث، وسؤال الملائكة وبنّي آدم بعد سؤالهم، فإنهم سئلوا، أو بالنسبة لأنفسهم ولمن دونهم فيما حملوه، ثم سئل من سواهم بالنسبة لهم، والسؤال لغيرهم بهم ولهم وفيهم وإليهم، وستسمع في سؤالهم الإقرار لهم بالولاية والطاعة.

ويقوله عليه السلام آخرأ: (وهم المسؤولون) عرف أنهم المعيّنون أولاً بالجهات والمقصودون، وهو كذلك، فما سواهم من فاضلهم وتابع - صفة - لهم، وهم الحملة الأول، ومن ألقى فيهم المثال الدالّ عليه، فظهرت منهم أهليل الوجود بأمر الله وإرادته، ومن سؤالهم عليه السلام - بحسب ما يلزمهم - يوجب سؤال غيرهم جميعاً بهم مما يلزمهم، وهذا السؤال عام لكلّ شيء، من فلك أو ملك، أو إنسان أو جان، أو معدن أو نبات، أو عنصر أو زمان، أو مكان أو شهر، أو ساعة أو آن، أو جوهر أو عرض، كلّ بحسب مقامه ورتبة وجوده.

وورد في تفسير^(٥) قوله تعالى: ﴿ إِنَّ اللَّهَ يَأْمُرُكُمْ أَنْ تُؤَدُّوا الْأَمَانَاتِ إِلَىٰ أَهْلِهَا ﴾^(٦) بهم عليه السلام، فعليتنا قبولها والعمل بمقتضاها، والطاعة لهم والانقياد، وبالنسبة لهم أيضاً بعض لبعض. وفي الزيارة الجامعة: (والأمانة المحفوظة)^(٧). وسيأتي بسط ذلك في كتاب الحجّة إن شاء الله تعالى.

ومن هفوات محمد صادق ما قاله في شرح هذا الحديث: «إن المراد من العلم: العلم النظري والعملية، ومن الدين العمليات، ويعبر عنهما بلفظ العرش. ومن الماء في قوله عليه السلام:

(١) «مناقب آل أبي طالب» ج ٢، ص ٢٠٦، صححناه على المصدر.

(٢) «مناقب آل أبي طالب» ج ٢، ص ٢٠٦، وفيه: (البشر الرسول، والنسب فاطمة)...

(٣) «الأنبياء» الآية: ٣٠. (٤) «حلل الشرائع» ج ١، ص ١٣٣، ح ٦.

(٥) «الكافي» ج ١، ص ٢٧٦، ح ٣. (٦) «النساء» الآية: ٥٨.

(٧) «تهذيب الأحكام» ج ٦، ص ٩٨، ح ١٧٧.

(حمل دينه وعلمه الماء) هو ذاته الأقدس، فإنه شبيه بالماء، في كون كل منهما حياة، كما قال تعالى: ﴿ وَجَعَلْنَا بَيْنَ الْمَاءِ كُلِّ شَيْءٍ حَيٍّ ﴾ ووجوده الأقدس حياة كل شيء، وكل شيء ظل له وأشعة نور كبريائه وعظمته.

أقول: ليس المراد من العلم المذكور في الرواية الذي حملته الماء - حيث لا سماء ولا أرض، ولا اعتبار ولا معتبر - ذلك، والعلم النظري أضعف مراتب العلم، بل المراد علم الكيفوية للأشياء، ومظهر البداء. والدين أعم، أو ظاهره وتفصيله، فدع هنك حيرة الحيران، والروايات تدل على ما نقول، ومبيّنة للعلم، من حديث التوحيد وغيره.

وليس العلم الأعظم الذي حمّله محمد ﷺ وآله ﷺ هو علم النظر والاكتساب، إنه لمن الافتراء والزور الظاهر، ويوجب حطهم عن رتبة النبوة والولاية، بل ونسبة النقص لجهته تعالى، فإن كان فهذا عرش بالنسبة لسائر شيعتهم، وهو فاضل فاضل أشعة أوليائه. وأقبح من ذلك تفسيره بذات الله القدسية، بل لا تكون على قوله قدسية.

وهو لما قال بالسريان أو الشيع والظل، كما في آخر كلامه، وأن الوجود - على مراتبه - شدة وضعفاً - يرجع لوجوده تعالى، فهو كل الوجود، فحياة كل حي حياته بذاته، وكذا وجوده، قال بهذا، فتكون الثمانية المذكورة في الآية بالآخرة هو المراد بهم بحسب الوجود، وإن نسب للملائكة بحسب تعين الذات في الوجود.

فما أجراً هذا المتصوّف على الله ورسوله! ويزعم أنه أهل معرفة وتوحيد، بما لا يحصل لغيره. وعلى قوله يصح تسميته تعالى بكل موجود، لما فيه من صفة وجود جامعة، بل لكونه كل الوجود وصفاته.

قال: «وشبه ذاته الأقدس بالماء، كما شبه نور ذاته في القرآن بمشكاة، فقال: ﴿ الله نُورُ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ مِثْلُ نُورِهِ كَمِشْكَاةٍ ﴾^(١) وكان علم الأشياء مندمجاً في ذاته تعالى، بلا حلول واتحاد، وذاته الأقدس كانت قبل الأرض والسماء، والجن والإنس، والشمس والقمر وغيرها، وأول تلك العلوم هو روحانية رسول الله ﷺ، وروحانية علي ﷺ، والباقي من الأئمة الاثني عشر ﷺ؛ لأن من كان أقوى وجوداً فهو أقدم وجوداً، بدليل الإمكان الأشرف، الموروث من الحكماء القدماء، وإن كان آخرهم زماناً، كما قال نبينا: (كنت نبياً

وأدم بين الماء والطين^(١). وقال علي عليه السلام: (كنت ولياً وأدم بين الماء والطين)^(٢).
 والباقي من الأئمة - وهم واحد - مع جدّهم وأبيهم في كلّ حال؛ لأنّ وجود كلّهم كلّهم
 شامل لجميع الممكنات، وكلّ لهم كأبيهم وجدّهم، ولكلّ منها براهين عقلاً ونقلًا.
 أقول: نعوذ بالله منه، فكون ذاته تعالى هي الماء الحامل للعلم - فيكون محللاً للحوادث،
 أو العلم الذاتي الإجمالي مندمج فيه، فالمخلوقات كامنة فيه، فالأشياء تبرز من ذاته، فهو
 يلدها، كما هو صريح قوله - خطأ [-] ظاهر. وكذا جملة نور السماوات بمعنى وجوده، فهو
 وجود الأشياء، ولا يحصي فساده إلا الله تعالى، فالمستغاث بالله من هذا الرجل.
 وقوله: «بلا حلول ولا اتحاد» لا يدفع الفساد؛ لأنه أراد به حلول مغايرة في آخره، أو
 اتحاد الغيرين في شيء، ومراده كون الحقيقة واحدة، فالمعلومات كامنة فيه ومندمجة
 اندماج المعاني في العقل، أو الشجرة في النواة، أو الذهن في أصله، سبحانه عما يشبهه
 الجاهلون والملحدون علواً كبيراً.

وعلى قوله هذا تكون روحانية محمد عليه السلام هي بسبب الاتحاد والاندماج، وصرّح به في
 غير موضع [وأنه فإن في الله، والأئمة فانون في الله بواسطته، وصرّح بهذا في غير
 موضع]^(٣) من كتاب الحجّة، وسنأتي - كما هو معلوم -
 ومراده بالتمدّد من جهة ما يلحق وجود الذات من التمدّد بالأعيان، ومراتب الإمكان
 اللازمة، وآخر كلامه يشير إليه، والبراهين عقلاً ونقلًا تبطل جميع قوله، إلا وجود الإمكان
 الأشرف؛ فإنه مسلم، ولكن لا كما يقول وتوهم.

قال: «فأول من أقر ونطق بالربوبية كانوا هم عليهم السلام، وكان حقيقة محمد عليه السلام أولاً بالحقيقة،
 وعلي وأولاده عليهم السلام أولاً بالإضافة، وقد علمت أنّ الوجود من حيث إنه وجود هو عين
 الدليل على الربوبية والإقرار بها، فإنّ الدليل والإقرار كما يكون بالألفاظ، كذلك يكون
 بالأعيان. وكونهم أول الأشياء إقراراً؛ لقوة وجودهم بالنسبة إلى الأشياء في الاندماج، بلا
 حلول واتحاد، وثبت بدليل الإمكان الأشرف أنّ كلّ قوي الوجود أقدم من ضعيفه، والتقدّم
 ها هنا هو التقدّم بالشرف، (فقالوا: أنت ربنا) بلسان الحال والوجود، (فحملهم العلم

(١) «غوالي اللآل» ج ٤، ص ١٢١، ح ٢٠٠، «كشف الخفاء» ج ٢، ص ١٣٢، ح ٢٠١٧.

(٢) «غوالي اللآل» ج ٤، ص ١٢٤، ح ٢٠٨ بتفاوت يسير، «الجملي» ص ٣٧٢.

(٣) ليست في «ب».

والدين) في الاندماج في الوجود الإجمالي، وكلٌّ من العلم والدين حين الوجود، ووجودهم - من كونه كلياً - يكون علمهم ودينهم كلياً، فهم عليهم السلام حاملون إياهما.

أقول: لما كانوا الحاملين لأمره، وهم صفوة الوجود، فساروا إلى قول: ﴿بَلَى﴾ قبل الكل، قبلية بالرتبة والشرف، والتقدم الأزلي الإضافي، والسرمدى الحقيقي لا الخفي، وأول من قال منهم: ﴿بَلَى﴾، محمد، ثم علي، ثم الحسن، ثم الحسين عليهم السلام، ثم القائم، ثم الثمانية عليهم السلام على ترتيبهم، ثم الزهراء عليها السلام، إلا أنه لما كان الأشرف محمداً ثم علي، بالنسبة لباقيهم، أفردهم أولاً بالمطف، وجمع الباقي، و [لأن] ^(١) هذه ربتهم الأولية الأمرية حال الذكر، واستنطقهم فيها قبل الكون والتكوين لمن سواهم.

وليس قوة وجودهم سبب الاندماج الذي عناء في كلامه السابق، وأشار له هنا، فإنه ضلال و [-]، بل أقرّوا بلسان حالهم ومقالهم المناسب لذلك المقام، (فحملهم العلم) بالحقائق، ومبدأ البدء والأسباب، في مقامهم الإمكانى والذكرى الحادث المجمعول بنفسه، من غير اتحاد به - حقيقة - ولا اندماج، تعالى الله عن ذلك، وقصر الممكن عنه، وهم حاملون للكلي الإجمالي في مقامه، وتفصيله في مقامه.

قال: «(ثم قال للملائكة: هؤلاء حملة ديني وعلمي، وأمنائي في خلقي) والملائكة: هي قوى الأرض والسماء، وما فوق الأرض والسماء من عالم المثال والعقل، وكلهم أجزاء لوجودهم عليهم السلام الكلي بالإجمال، والكل شاهد وحاضر عند أجزائه، فالأجزاء ليسوا مقرّين بالربوبية حيث أقرّوا عليهم السلام؛ بل هم عليهم السلام كانوا شاهدين وحاضرين في ضمن الكل اعتباراً. وإنما قلنا: إن الأجزاء ليست مقرّين حيث أقرّ الكل، لأنّ الكل أقوى وجوداً من كل جزء؛ لأنّ طبيعة الوجود فيه أكثر، والأجزاء مراتبه، فهو أقدم؛ لما مرّ من أنّ كل قوى وجوداً أقدم، فإذا كان الكل أقدم وجوداً من الجزء يكون أقدم في كمالات الوجود، والإقرار من كمالات الوجود، والإقرار من الكل أقدم من الأجزاء».

أقول: ليس الملائكة قوى النفس والمقول، ولا نفس العقول والنفوس، وإن سمي العقل ملكاً تارة، بل هم خلق مستقلون موكلون بأعمال، وملائكة كل مقام من جنسه وما يناسبه، والملائكة وجميع الموجودات من فاضل وجودهم، على مراتبهم، ولكل وجود مستقل

وهو فرعه، وظهوره فيه، في جزئي ظهوراً ووجهه ظهوراً، لا أنه الكلّ.
 والمعلول لا يكون في رتبة العلة، ولا الصفة والموصوف، ولا المسبب والسبب، وكذا
 المستنير والمنير، أو الشماع والمستنير، فلذا سبق بالإقرار قبل الكلّ، بكل معنى من أنواعه:
 السرمدي، والدهري، والزمني، والشرف، والرتبة، إلا سبق أزل الأزال، فليس لممكن.
 واعلم أننا إذا قلنا بأن كل ما كان أقوى وجوداً فهو أقرب إلى الوجود وأتم، فإننا نريد به
 بحسب مقامه المخلوق، وما اقتضته فطرته الاختيارية، ونسبة بعض لبعض لا إلى الله
 تعالى، فلا نسبة لأحد عند الذات، بل نسبة جميع المفعولات إلى قدرة الله نسبة واحدة،
 فليس شيء أقرب إليها من شيء، ولا أقهر عليها من شيء، ولا شيء أبعد عنها من شيء،
 بل استوت من كل شيء مطلقاً، ولا نقول بالشبر والذراع، ذلك قول المتصوفة الكفرة.
 قال: «لمّ قال لبني آدم) الذين هم أيضاً مندمجون في ضمن الكلّ: (أقرؤا لله بالربوبية
 ولهؤلاء بالولاية)».

أقول: لا يُستل مخلوق إلا بعد إبرازه من المادة وخلوصه من الاندماج، وألا فهو فيه
 مخفي لا يجيب، وقابل لإمكانات لا نهاية لها؛ لوجود المكتوب في المداد قبل الكتابة،
 وذكر الملائكة أولاً، ثم لبني آدم كما رأيت في القرآن، لظن كثير شرف الملائكة؛ لأنه إذا
 حصلت الشهادة والإقرار منهم، فبأن تكون من بني آدم بطريق أولى، ولتكون حجة عليهم؛
 ولأن سبب خلافتها في الإنسان الأهشية الظلمانية.

قال: «وإنما قال لبني آدم: (أقرؤا) ولم يقل للملائكة، مع أن كلا منهما كان موجوداً في
 ضمن الكلّ؛ لأن بني آدم إنسان، والإنسان آخر الموجودات، وهو - دون غيره - جامع
 لجميع الصفات والكمالات، والإقرار بالله لا يليق إلا للإنسان، والملائكة يقرّون بأسماء
 أخرى لله، مندرجة تحت الاسم: الله، ولا يمكن أن يقرّوا باسم الله، والإقرار ها هنا ليس
 باللسان، بل المراد منه كون المقرّ مظهراً للاسم الذي يقرّ به، من كونه مظهراً ولو شأناً،
 والملائكة أجزاء، ولا يكون أمثالاً قط.

ورجوع بعض بني آدم من الكفار عن الإقرار، الذي كانوا عليه في ضمن الكلّ، لأجل
 هيولائيتهم، وألا أنهم في كونهم آدم، وجامعاً بالقوة، مقرّون بالربوبية دائماً بالفطرة وهم لا
 يشعرون، لما علمت أن تجلي الاسم على أي شيء إقرار الشيء بالمتجلي، والله تعالى متجلّ
 على كل شخص من الإنسان، فكل شخص من الإنسان مقرّ بالله فطرة، وإن أنكر لساناً».

أقول: الصورة الإنسانية هي أول مخلوق أيضاً، فلهذا كانت جامعة وصمدت لا إلى نهاية لها في الإمكان، (وهي الكتاب الذي كتبه تعالى بيده)، و(الصراط الممدود [بين الجنة والنار] ^(١))، كما روي ^(٢). والإقرار بالله ورسوله وبالآئمة أخذ على جميع الخلق، من ملك وإنسان وجان وغيرهم، وعرضهم على الملائكة، وقوله لهم ذلك طلب منهم لذلك؛ ولأن طلبه من الإنسان يدل على طلبه من الملائكة بطريق أولي، والكُلُّ مسؤول، والمطلوب الإقرار بأي اسم دال على الذات، والإقرار يشمل الحالي والمقالي، ويدخل في المطلوب المقالي. وكونهم في ضمن الكل لا ينافي إنكار بعض، فهو لا ينافي الاختيار، والوجود عام، وكذا إلقاء الدلالة وتعريف المطلوب لهم منهم في ذواتهم عام، ففي كل مثال دال وإن اختلفوا في الدلالة. وفي الملائكة الكلي والجزئي، وليس المقصود هنا إقرار علم الوجود وفطرته، بل الإقرار اللساني، والعمل بمقتضى ذلك، في كل مقام بحسبه.

تنبيه: هذا الماء الذي حمل أولاً علمه ودينه سابق خلقه على خلق الوجودات المقيّدة، وهو الحقيقة المحمدية، في مقام الأمن، وبه حياة كل شيء؛ لأنه أمر الله الذي قامت به الأشياء قياماً ركبياً، وهو أمر الله المفعولي، وأولية العقل باعتبار الوجود المقيّد.

وقال ملا خليل بعد ذكره صدر الحديث، إلى قوله: (أو شمس أو قمر): «كأنه إشارة إلى ما سيجيء في الباب الثاني من كتاب الكفر والإيمان، من قوله: (إن الله عز وجل قبل أن يخلق الخلق قال: كن ماء هذباً أخلق منك جنتي وأهل طاهتي، وكن ملحاً أجاجاً أخلق منك ناري وأهل معصيتي) ^(٣)... إلى آخر الحديث.

ولا يضر ما فيه من الضعف، وليس المراد بهذا الماء المذكور في هذه الرواية هو الماء الحالي، أو الأجاج المذكور في هذا الحديث، بل عبارة عن الكسر والذوبان حتى يصاغ منه آخر».

ثم قال: «(فلما أراد) - إلى - (فحملهم العلم والدين)». ظاهر هذا أن نثر الخلق والسؤال والتحميل حين كون الخلق مياءً غير ممزوجة بالتراب، فظاهر أحاديث كتاب الكفر والإيمان أن ذلك بعد المزج، ويمكن الجمع بأن ذلك وقع مرتين، أو بأن التراب لما كان

(٢) «الجهلي» طبعة حجرية، ص ١٦٩.

(١) من المصدر.

(٣) «الكافي» ج ٢، ص ٦، ح ١.

مخلوقاً من الماء، ومخلوطاً به خلطاً يمتاز الماء فيه، نسب ذلك هنا إلى الماء، (ثم قال للملائكة: هؤلاء حملة ديني)... إلى آخر الحديث».

ثم قال: «إن قلت: ما فائدة هذا السؤال والجواب والإقرار والشهادة، مع نسيان بني آدم لذلك؟

قلنا: فائدته الدلالة على ظهور الأمر، وأن المخالف مخالف عمدًا، مع إقرار قلبه به في الدنيا، فإن جميع ما أقرّوا به معلوم للمخالف، لم تبق إلا معارضة وهمية، لولاها لم يكن في التصديق ثواب عظيم. وإنما خالفوا لاتباع الهوى والآباء والسلطين وكسب الوظائف، والفراغ من ضيق الحق، كما يشاهد في كل زمان، ولعل هذا مخصوص بما عدا المستضعفين والأطفال والمجانين، ونحوهم من الطوائف السبع، الذين ورد في الحديث^(١) أنهم غير مؤاخذين بعدم الإقرار، بل يتعلّق بهم تكليف في الدار الآخرة»^(٢).

أقول: السؤال وقع أكثر من ثلاث، وسيأتي تفصيله، أو أقول: التكليف في العالم الثاني بعد الأول هو الأول، ولكن بزيادة تفصيل، لزيادة الكثرة والشروط لعالم الذر الثاني - عالم الصور - بالنسبة إلى الأول: المعاني، وكذا الدنيا بالنسبة إلى ما سبق، وكله [سبب]^(٣) التطورات الطارئة عليه لما في إمكانه.

فقوله: «فما فائدة السؤال»... إلى آخره، مع أن فيه التعرف في كل شيء، وتتميم الحجّة عليه في مقامات الوجود، وإظهار الكرم والجود، وكل سابق شرط للاحق، واستكمال به ويعود إليه، ولكن بزيادة كمالية، في زيادة أو نقص.

تنبيه: قد هرقت فيما سبق دوران الوجود على الخلق والرزق والحياة والسمات، فكل شيء مخلوق مفتقر لها، وأصول العوالم: جبروت وملكوت وملك، والملائكة الحملة لذلك أربعة، هرقتهم كلية، تحت كل واحد منهم أعوان كثيرة ملأت العوالم، ولكل مقام منها أحكام تخصّها، ويتم دور هذه السنة الزمانية، يتم دورها [وبروز]^(٤) أحكامها من ذلك، وكل سنة - بحسب مقامها - ثلاثمائة وستون يوماً، فإذا قسّمت على الأربعة خرج لكل ملك تسعون ملكاً واسماً، يجري ذلك في العوالم الثلاثة، لكل عالم ثلاثون اسماً،

(١) «التوحيد» ص ٣٩٢، ح ١٤، ص ٣٩٣، ح ٥.

(٢) «الشافي» مخطوط برقم: ٢٣٣٤، الورقة: ٩٨، صححناه على المصدر.

(٣) في «ب»: «سبب». (٤) في «أ»: «وبروز».

وبينهم معاونة، فلجبرائيل الإيجاد في الثلاثة العوالم، ولإسرافيل الإحياء فيها، ولميكائيل فيها الرزق، ولعزرائيل الموت.

والبروج مقسومة عليهم، فلجبرائيل الحمل والأسد والقوس، ولميكائيل السرطان والمقرب والحوث، ولإسرافيل الجوزاء والميزان والدلو، ولعزرائيل الثور والسنبلة والجدي. وكل ملك من هذه الملائكة الأربعة يمينه رئيس الجبروت والملكوت والملك، وما لكل ملك في كل عالم بعينه بنصف ثلثيه.

والحاصل: أن كل ما يجري لملك من النسبة يجري لغيره مثلها، وإذا دارت هذه السنة بحسب الأحكام وبروزها، بما ذكر من الأركان والأهوان، وأحكام الجنس والنوع والجزء، تمت السنة، وهو عام، ومظهره العام الزماني عام أو أكثر، وإطلاق العام عليهما حقيقة، ولكن تلك أولاً، وهذه ثانياً، وألف عام ألف نوع من أنواع الطبيعة، وألف نوع من أنواع المادة، ولكل نوع عالم وألف ألف آدم، والإنسان إنموزج، جميع هذه مسطور فيه، وكلها مسطورة في اللوح الكلي بالقلم، وموجودة في القلم قبل تعلقه باللوح وارتباطه به، وفي الدواة الإمكانيّة، والقلم الأولي الإمكاني بالإمكان، وجفّ القلم بها، وكل يزوم هو في شأن، بحسب المدد وتجذده، ولا نهاية له. وكان المناسب تقديم هذا التنبيه، والأمر سهل.

وللملا الشيرازي كلام طويل، أكثره نقل، ولم يرد فيه لتحقيق دراية الحديث، ولننقل مختصر بعضه.

فقال: «حياة كل ما في هذا العالم بالماء، وحياة ما في الآخرة بالعلم، والعوالم متطابقة، فعبر عن العلم بالماء، قال تعالى: ﴿وَكَانَ هَزْئُهُ عَلَى الْمَاءِ﴾^(١) أي علمه في الأزل على الماء، وهو العنصر الأول الذي فيه صور المعلومات كلها، وذلك العنصر علم، لكنه إجمالي، يحفظ تفصيل العلم»^(٢).

ثم قال: «وهو أمر عقلي قدسي، وهو أصل الموجودات، المسمى عند الصوفية: بالنفس الرحماني»^(٣).

أقول: يريد به العقل الكلي الأول بجهة العقلية، ويعني بتفاصيل العلم الصور العلمية

(١) «هود» الآية: ٧. (٢) «شرح أصول الكافي» ج ٣، ص ٣٦٥، باختصار.

(٣) «شرح أصول الكافي» ج ٣، ص ٣٦٨، بتصرف.

القديمة، وحياة الدنيا أيضاً بالمعلم، ويريد بالأزل مرتبة الذات، وليس علمها على الماء، لكنه يثبت الصور الأسمائية أزلاً، ويثبت تعدداً اعتبارياً. والعنصر الأول الحاصل لعلمه الإمكانى الكلى - لا الذاتى - عرفته، ولو حمل علمه الذاتى غيره حملة تعالى، ولم يكن عينه، تعالى الله عن ذلك.

وقوله بتطابق العوالم يريد به ما في هنا طبق ما في النفوس، وهو لما في العقول، ومنه لما في العناية الأولى ورتبة الذات، فاتتهى إلى الضلال، نعوذ بالله منه، وكل هذا باطل لا عبرة به كما عرفناك متفرقاً.

قال: «فلما أراد أن يخلق الخلق نشرهم بين يديه» إشارة إلى وجودهم التفصيلي الكوني، بعد وجودهم الإجمالي العقلي، وبعد نزولهم إلى الكثرة من عالم الوحدة^(١).

أقول: يشير إلى ثبوتهم في رتبة الأزل أولاً، والوحدة التي هي عين الذات، فالخلق برز من الله وإليه يعود، سبحانه وتعالى عن ذلك، وسبق وسيأتي منه التصريح به، والله لا يعود لذاته شيء ولا يبرز منها شيء، والكل فيها معدوم [عدماً مطلقاً، ووجودها]^(٢) في الإمكان، فتدبر.

ثم نقل أقوال أهل الظاهر والنظر في عالم الذر، في آية: ﴿وَإِذْ أَخَذَ رَبُّكَ مِنْ بَنِي آدَمَ﴾ الآية^(٣)، أعرضنا عنه اختصاراً، ولطول البحث معهم في ذلك.

ثم قال في الآية بما يدل على أن أول عالم الذر النفوس، حين كونهم في أصلاب الآباء العقلية، ومعادتهم الأصلية^(٤)، وليس أول عالم الذر ذلك من مقام المعاني، وليست النفوس في العقول كما أشار له، ولنعرض عن البحث معه هنا، فالنفس في استعجال وملال، وكفى غيره عن البحث معه هنا، والله يقول الحق وهو يهدي السبيل.

ولعل الكاشاني في الوافي: «قد يراد بالماء المادة الجسمانية، التي خلق منها الجهل وجنوده، والنار، وتوصف بالأجاج كما في حديث العقل والجهل^(٥). أو قد يراد به ما خلق منه الأصفياء والجنة باعتبار قبوله الكمالات من الله سبحانه، وهو المراد هنا. وقبلية حمل

(١) «شرح أصول الكافي» ج ٣، ص ٣٦٨، باختصارٍ ما.

(٢) في «أ»: «عدم مطلق ووجودها»، وفي «ب»: «عدم هو وجودها».

(٣) «الأصناف» الآية: ١٧٢. (٤) «شرح أصول الكافي» ج ٣، ص ٣٧٣.

(٥) «الكافي» ج ١، ص ٢١، كتاب العقل والجهل، ح ١٤، وفيه: (ثم خلق الجهل من البحر الأجاج ظلماتياً)...

الدين والعلم إياه - على الموجودات المذكورة - بالذات لا بالزمان»^(١).

أقول: الماء وإن كان يراد به ما ذكر، لكن ليس المراد به هنا العقل بما اعتبره، بل المراد به ما سبق، وهو متبع لأستاذه. وأما كون القبلية غير زمانية فحق، على أحد معاني العرش، لا مطلقاً.

قال: «(نثرهم) أي نثر ماهياتهم وحقائقهم بين يدي علمه، فاستنطقها بالسنة قابليات جواهرها واستعدادات ذواتها، يشير لقوله تعالى: ﴿قَدْ أَخَذَ رَبُّكَ﴾ الآية، أي عند كون نفوسهم في أصلاب آبائهم العقلية، ومعادتهم الأصلية»^(٢).

أقول: بل سُئِلُوا بما ألقى في هوياتهم، وسألهم بعلمهم المناسب لذلك المقام وصورهم، وأجابوا، المطيع بما ألقى فيه، وبعض خالف، ولا حقائق لهم في علمه الذي يريد، وليس أول الذرّ النفوس.

قال: «وقالوا بالسنة تلك العقول: ﴿بَلَى﴾ أنت ربنا الذي أعطيتنا وجوداً قدسياً ربانياً، سمعنا كلامك وأجبنا خطابك»^(٣).

أقول: بل أجابت النفوس في الصور بلسانها - وهو ظاهر العقل في مقامها - جواب اعتقاد أو إياه بالربوبية والنبوة والولاية، على مراتبهم.

إلى أن قال: «فنزل تمكينهم من العلم بها، وتمكينهم منه، بمنزلة الإشهاد والاعتراف، على طريق التمثيل، مثل قوله عز وجل: ﴿إِنَّمَا قَوْلُنَا لِشَيْءٍ إِذَا أَرَدْنَا أَنْ نَقُولَ لَهُ كُنْ فَيَكُونُ﴾»^(٤) وقوله: ﴿فَقَالَ لَهَا وَاللَّزْعِ أَتَيْنَا طَوْعاً أَوْ كَرْهاً قَالَتْ أَتَيْنَا طَائِعِينَ﴾^(٥)، ولا قول ثمة، وإنما هو تمثيل وتصوير للمعنى، وسيأتي ذكر لهذا الحديث»^(٦).

أقول: هذا يبطل الحديث، بل جميع أحكام المعاد والمبدأ، إذا أجرى هذا التأويل في الآي والسنة، وهذا مختار جماعة من العامة^(٧)، وبطلانه من وجوه كثيرة عقلاً ونقلًا، أغنى

(١) «الوافي» المجلد: ١، ص ٥٠١ - ٥٠٢، باختصار، صححناه على المصدر.

(٢) «الوافي» المجلد: ١، ص ٥٠٢، بتفاوت، صححناه على المصدر.

(٣) «الوافي» المجلد: ١، ص ٥٠٢. (٤) «النحل» الآية: ٤٠.

(٥) «فصلت» الآية: ١١. (٦) «الوافي» المجلد: ١، ص ٥٠٢، بتفاوت.

(٧) انظر: «تفسير الكشاف» ج ٢، ص ١٧٦، «التفسير الكبير» ج ١٥، ص ٤١ - ٤٢، «تفسير البيضاوي»

الإشارة لها عن نقل جملة منها، فضلاً عن الاستقصاء.

قال: «ولا يبعد كون النطق باللسان المكوني في العالم المثالي الذي دون عالم العقل، فإن لكل شيء ملكوتاً، وهو باطن الملك، كما قال جلّ وعزّ: ﴿وَإِنَّ الدَّارَ الْآخِرَةَ لَهِيَ الْحَيَوَانُ﴾^(١) لأنها من جنس الملكوت»^(٢)... إلى آخر قوله.

أقول: ما أكثر خبطه، يقول: «الملكوت | في العالم | المثالي»، والمثالي آخر الملكوت، لا أنه الملكوت، والنطق بلسان أوسط الملكوت، إن كان المراد به النفوس، وإن أريد به العقول فهو لسان الجبروت مقام المعاني، والأول مقام الصور، لكن عنده الملكوت ودار الآخرة هي صور النفس الخيالية، وهي مجردة مستقلة، وبنى عليها النشأة الآخرة، وثوابها وعقابها كلها داخلية في النفس، تبعاً لأستاذه، وسيأتي بيانه في مجلد المعاد^(٣) إن شاء الله، مع بطلانه.

وحينئذٍ فنزيله الآية على ذلك باطل، وإن كانت حقّة، مع أنه ذكر هذا احتمالاً. والحاصل: أنه لا حقّ عنده ولا عند أستاذه، والله العاصم والمسدد.

قوله: ﴿ثُمَّ قَالَ لِبَنِي آدَمَ: اقْرَءُوا اللَّهَ بِالرَّبُوبِيَّةِ، وَلِهَوْلَاءِ النَّسْرِ بِالْوَلَايَةِ وَالطَّاعَةِ، فَقَالُوا: نَعَمْ، رَبَّنَا اقْرَأْنَا، فَقَالَ اللَّهُ لِلْمَلَائِكَةِ: اشْهَدُوا، فَقَالَتِ الْمَلَائِكَةُ: شَهِدْنَا عَلَىٰ أَنْ لَا تَقُولُوا^(٤) فُدَا: ﴿إِنَّا كُنَّا عَنْ هَذَا حَافِظِينَ * أَوْ تَقُولُوا إِنَّمَا أَشْرَكَ آبَاؤُنَا مِنْ قَبْلُ وَكُنَّا ذُرِّيَّةً مِنْ بَيْنِهِمْ أَفَتُهْلِكُنَا بِمَا فَعَلَ الْمُضْطَلُونَ﴾^(٥). يا داود [وإن]^(٦) ولايتنا مؤكدة عليهم في الميثاق.

أقول: غير خفي تواتر الروايات على أن ولايتهم أخذت على الكل، حتى أولي العزم،

(١) «العنكبوت» الآية: ٦٤.

(٢) «الوافي» المجلد: ١، ص ٥٠٣، بتفاوت، صححناه على المصدر.

(٣) انظر: «هدي العقول» ج ١٠، باب الحشر وأحكام المعاد.

(٤) في المصدر: «يقولوا» بدل «تقولوا».

(٥) «الأعراف» الآية: ١٧٢ - ١٧٣، وفي المصدر: «أو يقولوا» بدل «أو تقولوا».

(٦) ليست في المصدر، وفي «ب»: «إن».

كما ورد^(١) في تفسير: ﴿لَتُؤْمِنُنَّ بِهِ وَلَتَنْصُرُنَّهُ﴾^(٢) ولكن الإقرار يختلف، فيقع عن دهشة، وتبعاً عن معرفة واعتقاد، على مراتبه، وعن متابعة، وإن أبطن خلافه، فجاءت المعصية والطاعة، وافترقوا فرقاً، وأشهد عليهم استظهاراً، وكيف لا توجد كذلك، وهم واسطة الكل في الكل، فتدبر.



مركز تحقيقات كمبيوتر علوم إسلامي

(١) «تفسير علي بن إبراهيم القمي» ج ١، ص ١٣٤. (٢) «آل عمران» الآية: ٨١.



مرکز تحقیقات کامپیوتر علوم اسلامی

الباب الحادي والعشرون





مرکز تحقیقات کامپیوتر علوم اسلامی

أضواء حول الباب

أقول المقصود هنا من الباب بيان معنى: ﴿وَنَفَخْتُ فِيهِ مِنْ رُوحِي﴾^(١) لكلاً يتوهم التشبيه من ظاهرها، أو أنها تنفصل عن الله انفصال جزء من كل، فيلزم أن يلد، تعالى الله علواً كبيراً، أو هي الله - كما زعمه بعض فرق الضلال، والنصارى قالوا^(٢): إنَّ عيسى الله وجزؤه، أو تدرع به - أو أنها غير مخلوقة، ونحو ذلك. وتوهم بعض أهل التصوف في قوله تعالى: ﴿وَنَفَخْتُ فِيهِ مِنْ رُوحِي﴾ أنه من قبيل: «نفسي» و«ذاتي»، وبما ستعرف تبطل هذه الأقوال. وأحاديثه أربعة.

المراد من الروح

واعلم أنَّ الروح قد تطلق^(٣) ويراد بها العقل الأوَّل، أو النفس على أقسامها، أو البرزخ بين العقل والنفس، أو المقاربة، ومعانٍ آخر ستأتي، أو جبرائيل، لكن لا بدَّ من نصب قرينة، كما أنَّ عالم الأرواح قد يطلق على جملة الملائكة والمجرِّدات. وأمَّا الروح - حيث لا قرينة أولاً في مقام التقسيم - فهي خلق أعظم من جبرائيل وإسرافيل وسائر الملائكة المقرَّبين. انظر إلى السجادة ﷺ في الصحيفة، أفردها فقال: (والروح الذي هو من أمرك)^(٤) و(من)

(١) «الحجر» الآية: ٢٩، «ص» الآية: ٧٢. (٢) انظر: «الملل والنحل» ج ١، ص ٢٦٣، ٢٧٠.

(٣) للتوسمة انظر: «كشاف اصطلاحات الفنون والعلوم» ج ١، ص ٨٧٥ - ٨٨٥، «الروح».

(٤) «الصحيفة السجادية الكاملة» ص ٤٣، دعاؤه في الصلاة على حملة العرش.

بيانية، وعالم الأمر هو عالم المشيئة، والإيداع مقابل للخلق، وهو يشمل الإيداع والاختراع والتكوين، قال تعالى: ﴿ قُلِ الرُّوحُ مِنْ أَمْرِ رَبِّي وَمَا أُوتِيتُمْ مِنَ الْعِلْمِ إِلَّا قَلِيلًا ﴾ (١).
ويسمى بعالم الأمر، قال تعالى: ﴿ أَتَى أَمْرُ اللَّهِ فَلَا تَسْتَعْجِلُوهُ سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى عَمَّا يُشْرِكُونَ ﴾ يُنَزَّلُ الْمَلَائِكَةَ بِالرُّوحِ مِنْ أَمْرِهِ عَلَى مَنْ يَشَاءُ ﴿ (٢) فجعل تنزلها بالروح، فهي الوسيلة في تنزلهم، فهي غيرهم.

محمد بن يعقوب، بسنده عن سعد الاسكاف، قال: أتى رجل أمير المؤمنين عليه السلام يسأله عن الروح، أليس هو جبرئيل؟ فقال له أمير المؤمنين عليه السلام: (جبرئيل عليه السلام من الملائكة، والروح غير جبرئيل) فكرر ذلك على الرجل، فقال له: لقد قلت عظيماً من القول، ما أحد يزعم أن الروح غير جبرئيل، فقال له أمير المؤمنين عليه السلام: (إنك ضالّ تروي عن أهل الضلال، يقول الله تعالى لنبيه عليه السلام: ﴿ أَتَى أَمْرُ اللَّهِ فَلَا تَسْتَعْجِلُوهُ سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى عَمَّا يُشْرِكُونَ ﴾ يُنَزَّلُ الْمَلَائِكَةَ بِالرُّوحِ ﴿ والروح غير الملائكة صلوات الله عليهم ﴾ (٣).

سعد بن عبد الله، عن أبي بصير، عن أبي جعفر عليه السلام، قال: سألت عن قول الله عز وجل: ﴿ يُنَزَّلُ الْمَلَائِكَةُ بِالرُّوحِ مِنْ أَمْرِ اللَّهِ عَلَى مَنْ يَشَاءُ مِنْ عِبَادِهِ ﴾ (٤) فقال: (جبرئيل الذي نزل على الأنبياء، والروح يكون معهم ومع الأوصياء لا يفارقهم، يفقههم ويسددهم من عند الله، وأنه لا إله إلا هو، محمد رسول الله عليه السلام، وبهما عبد الله واستعبد الخلق، على هذا الجن والإنس والملائكة، ولم يعبد الله ملك ولا نبي ولا إنس ولا جان، إلا بشهادة أن لا إله إلا الله، وأن محمداً رسول الله، وما خلق الله خلقاً إلا لعبادته) (٥).

وفي البصائر: عن أبي بصير، قال: سألت أبا عبد الله عليه السلام عن قول الله عز وجل: ﴿ وَيَسْأَلُونَكَ عَنِ الرُّوحِ قُلِ الرُّوحُ مِنْ أَمْرِ رَبِّي ﴾ قال: (خلق أعظم من جبرئيل وميكائيل، كان مع رسول الله عليه السلام، وهو مع الأئمة عليهم السلام، وهو من الملكوت) (٦).
وياسناده عن أبي الصباح الكناني، عن أبي بصير، قال: سألت أبا عبد الله عليه السلام عن قول

(١) «الاسراء» الآية: ٨٥. (٢) «النحل» الآية: ٦ - ٢.

(٣) «الكافي» ج ١، ص ٢٧٤، باب الروح التي يسد... ح ٦، صحناه على المصدر.

(٤) «النحل» الآية: ٢.

(٥) «مختصر بصائر الدرجات» ص ٢ - ٤، «تفسير البرهان» ج ٢، ص ٣٦٠، ح ٥٥، بتفاوت يسير، صحناه

على المصدر. (٦) «بصائر الدرجات» ص ٤٦٢، ح ٩.

الله تبارك وتعالى: ﴿ وَكَذَلِكَ أَوْحَيْنَا إِلَيْكَ رُوحاً مِنْ أَمْرِنَا مَا كُنْتَ تَدْرِي مَا الْكِتَابُ وَلَا الْإِيمَانُ ﴾^(١) قال: [خلق من خلق الله، أعظم من جبرئيل وميكائيل، كان مع رسول الله ﷺ، يخبره ويسدده، وهو مع الأئمة من بعده]^(٢).

وبإسناده عن علي بن أسباط، قال: سأله رجل من أهل هيت - وأنا حاضر - عن قول الله عز وجل: ﴿ وَكَذَلِكَ أَوْحَيْنَا إِلَيْكَ رُوحاً مِنْ أَمْرِنَا ﴾ قال: [٣] (منذ أنزل الله ذلك الروح على محمد ﷺ ما صعد إلى السماء، وإله لفينا)^(٤).

وعنه ﷺ: (أَنْ لَهُ سَبْعِينَ أَلْفَ وَجْهٍ، لِكُلِّ وَجْهٍ سَبْعُونَ أَلْفَ لِسَانٍ، لِكُلِّ لِسَانٍ سَبْعُونَ أَلْفَ لُفَّةٍ، يَسْتَبِحُ اللَّهُ تَعَالَى بِتِلْكَ اللُّغَاتِ كُلِّهَا، يَخْلُقُ اللَّهُ تَعَالَى بِكُلِّ تَسْبِيحَةٍ مَلَكاً يَطِيرُ مَعَ الْمَلَائِكَةِ إِلَى يَوْمِ الْقِيَامَةِ، وَلَمْ يَخْلُقِ اللَّهُ خَلْقاً أَكْثَرَ مِنَ الرُّوحِ خَيْرَ الْعَرْشِ، لَوْ شَاءَ أَنْ يَبْلُغَ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِينَ السَّحَابَ بِلِقْمَةٍ وَاحِدَةٍ لَفَعَلَ)^(٥)، فسبحان مَنْ هُوَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ.

العياشي: عن زرارة، قال: سألت أبا جعفر ﷺ عن قول الله عز وجل: ﴿ وَيَسْأَلُونَكَ عَنِ الرُّوحِ قُلِ الرُّوحُ مِنْ أَمْرِ رَبِّي ﴾ قال: (خلق من خلق الله، والله يريد في المخلوق ما يشاء)^(٦).

وعن زرارة وحمران، عن أبي جعفر وأبي عبد الله ﷺ في: ﴿ وَيَسْأَلُونَكَ عَنِ الرُّوحِ ﴾ قالوا: (إن الله تبارك وتعالى أحد صمد، والصمد الشيء الذي ليس له جوف، فإنما الروح خلق من خلقه، له بصر وقوة وتأيد، يجعله في قلوب الرسل والمؤمنين)^(٧).

وعن أبي بصير، قال: سمعت أبا عبد الله ﷺ يقول في الآية: (خلق عظيم، أعظم من جبرئيل وميكائيل، لم يكن مع أحد ممن مضى غير محمد عليه وآله السلام، ومع الأئمة يسددهم، وليس كلما طلب وجد)^(٨).

وفي رواية أخرى: (أعظم من جبرئيل، وليس كما ظننت)^(٩).

(١) «الشورى» الآية: ٥٢.

(٢) «بصائر الدرجات» ص ٤٥٥، ح ٢، صححناه على المصدر.

(٣) من «ب». (٤) «بصائر الدرجات» ص ٤٥٧، ح ١٣.

(٥) «بحار الأنوار» ج ٥٦، ص ٢٢٢، مرسلًا عن أمير المؤمنين ﷺ، صححناه على المصدر.

(٦) «تفسير العياشي» ج ٢، ص ٣٣٩، ح ١٥٩. (٧) «تفسير العياشي» ج ٢، ص ٣٣٩، ح ١٦٠.

(٨) «تفسير العياشي» ج ٢، ص ٣٣٩، ح ١٦١، بتفاوت يسير.

(٩) «تفسير العياشي» ج ٢، ص ٣٣٩، ح ١٦٢.

بيان: في القاموس: «الروح - بالضم - ما به حياة الأنفس، ووثق، والقرآن، والوحي، وجبريل وعيسى عليهما السلام، والنفخ، وأمر النبوة، وحكم الله تعالى وأمره، ومَلَكَ وجهه كوجه الإنسان وجسده كالملائكة»^(١).

واعلم أن أعلى الأرواح روح القدس، وهي من أمره، خاصة بمحمد وآله عليهم السلام وسائر الأرواح - وهي: روح الحياة، والمدرج، والنمو، والإيمان - من فاضلها، ولها أشعة في كل. قال عليه السلام: (لروح الإمام أشد اتصالاً بقلوب شيعته من الشمس بشعاعها، إذ أرواحهم خلقوا من شعاعها) انتهى بالمعنى.

وفي بعض الروايات: (هذه الروح عمود من نور بيننا وبين الله عز وجل)^(٢).

وفي الجامعة: (وأيدكم بروحه)^(٣).

وعن طارق بن شهاب، عن علي عليه السلام، أنه قال في حديث له: (الإمام - يطارق - بشر ملكي، وجسد سماوي، وأمر إلهي، وروح قدسي)^(٤).

وستسمع في [كتاب] الإيمان^(٥) أن في غير المؤمن ثلاثة أرواح، وفيه أربع، وفي المعصوم خمس.

وإطلاق الروح على القوة والتأييد ظاهر من الرواية الأخيرة، وكذا تسمية المعصومين بالملائكة، بل ورد تسمية المؤمنين بهم أيضاً، أمّا الروح البخارية فجسمانية، كما ستعرف، وسيأتيك معنى النفخ.

فاستبان لك أن نسبة الروح له تعالى لشرفها وعظمتها، لا لكونها منفصلة عن ذاته أو تعود له كذلك، بل مبدؤها منه من غير انفصال، بل بمجرد الإيداع، وإليه تعود، لا هود ممازجة ولا مجاورة رتبة، لاستحالة وصول الحادث لرتبة أزل الآزال، وتعالى الله عن جميع ذلك، بل على ما كان لم يزل، ولكن لا أقرب منها.

ولا تتوهم ممّا سمعت - من تسديد الروح وتفقهها له عليه السلام - أن هنا مخلوقاً أفضل منهم،

(١) «القاموس المحيط» ج ١، ص ٤٥٦، صحناه على المصدر.

(٢) «هيون أخبار الرضا» ج ٢، ص ٢٠٠، ح ١، بتفاوت.

(٣) «تهذيب الأحكام» ج ٦، ص ٩٧، ح ١٧٧. (٤) «بحار الأنوار» ج ٢٥، ص ١٧٢، ح ٣٨.

(٥) في النسختين: «باب».

(٦) «الكافي» ج ٢، ص ٢٨٢ - ٢٨٣، باب الكبائر، ح ١٦.

فإنها خاصة بهم، فهي روحهم، وكل واحد إنما يسدده روحه وعقله المختص به، في مقامات تفصيله وخطابات بيانه، ولا ينافي اختصاصهم بها كونها مع سائر الأنبياء، فإنه بالأصل والتبعية، بل عرفت أن لها أشعة متنازلة، في كل بحسبه، ولم تكن بكليتها إلا مع محمد ﷺ وآله، على مراتبهم.

وقد تسمى روح القدس بجبرائيل، كما رواه القمي^(١) عن الباقر ﷺ، في تفسير قوله تعالى: ﴿ قُلْ نَزَّلَهُ رُوحُ الْقُدُسِ مِنْ رَبِّكَ ﴾^(٢) الآية.

وفي الكافي عن ابن رثاب، رفعه إلى أمير المؤمنين ﷺ، أنه قال: (إن له نهراً دون عرشه، ودون النهر الذي دون عرشه نور نوره، وإن في حانتي النهر روحين مخلوقين: روح القدس، وروح من أمره، وإن له عشرين طينات) الحديث^(٣).

بيان: المراد بالنهر: الوجودات المقيّدة.

أولها من عقل الكل: مقام المعاني.

وروح القدس: العقل، مقام المعاني، والنور الأبيض، وروح الأمر: الروح، والنور الأصفر، ويسميان أيضاً: الروح من أمره.

والثاني: واسطة بين العقل والنفس الكلية، وتسمى - بتنزهها عن الزمان والمدة والمادة -: روح القدس، ولكونها مظهر الأمر تسمى بروح الأمر، وباهتبار الظهور الزماني اللفظي: قرآن، وتجتمع مع العقل في مقام المعاني.

والمراد بالروح - في حديث الأعرابي^(٤)، عن أمير المؤمنين ﷺ، وفي الحديث الآخر^(٥)، وفي أقسامها - النفس، وكذا في: قبض الملك روحه، أي نفسه.

وفي: (أول ما خلق الله روعي)^(٦) العقل، في الوجود المقيّد، والتي هي برزخ بين العقل والنفس، ليست هي، بل متعلّقة بها وبرزخ.

فالروح تارة تتحد بغيرها وتارة تخالف، وإذا اجتمعا افترقا، وهي روح إن تعلّقت

(١) «تفسير علي بن إبراهيم القمي» ج ١، ص ٤٢١. (٢) «التعليل» الآية: ١٠٢.

(٣) «الكافي» ج ١، ص ٣٨٩، باب خلق أبدان الأنبياء...، ج ٣، صححناه على المصدر.

(٤) «قرة العيون» ص ٣٦٣.

(٥) «قرة العيون» ص ١٣٦٣ «بهار الأنوار» ج ٥٨، ص ٨٥.

(٦) «جامع الأسرار» ص ١٤٤، ٣٨٠، بظاوت يسير، «بهار الأنوار» ج ٥٤، ص ٣٠٩.

بعلمها، ونفس ان تعلقت بالبدن، والنفس تدرك الصور، والعقل المعاني، ويدرك الصورة في تنزله بواسطة، ولا يكون النفس عقلاً، بل تشابهه بجهتها ووجهها منه.

وقول الملائكة بصيرورتها - بعد - عقلاً، جهلاً، مخالف للعقل والنقل، وكذا القول باتحاد النفوس وصيرورتها بعد نفساً واحدة، ثم عقل الكل، وهذا منهم مفرع على وحدة الوجود واتحاد العلم، قل: والمعقول والعقل، وهو باطل.

وقال علي عليه السلام لمن قال له نفس واحدة: (إنما هي أربعة) وبين لكل قوى وخواص وبدءاً وهوداً، وكذا في بيانه عليه السلام لكميل، قال عليه السلام: (هي أربعة: النامية النباتية، والحسية الحيوانية، والناطقة القدسية، والكلية الإلهية، ولكل واحدة من هذه خمس قوى وخاصيتان) (١).

وفي حديث الأعرابي: (نفس نامية نباتية، ونفس حسية حيوانية، ونفس ناطقة قدسية، ونفس إلهية ملكوتية كلية) (٢) الحديث.

وأصل النامية من العناصر الأربعة، وانفعالها بكر أشعة الأفلاك، وهي من فاضل الثلاثة، وتعود بالموت - بغلبة البرودة واليبوسة - عود مازجة، ولا شعور لها بعد، كعود الشجرة إذا قطعت.

والحيوانية من شمالات الأفلاك، والكواكب أصل انبعاثها، وتظهر في القلب، معدن الدم، حامل الحرارة الغريزية، ومنه تنبعث إلى سائر أعضاء البدن وقشوره، وتتعلق بالبخار والدخان اللطيف الساري في البدن، وهذا متعلق [بالهواء] (٣) الذي هو النفس الحيوانية الحاصلة من أشعة الفلك، حتى التأمت الأجزاء وتحركت بالإرادة، وتقومها بالنفس القدسية، وهي متقومة بالعقل الجزئي، وهو وجه ورأس من الكلبي، وتعود عود مازجة؛ لتألفها من الطبائع، هذا بحسب الظاهر.

وباطن النباتية في القبر، في جسم الطبيعة، وباطن الحيوانية في عالم المثال، فأصلها منه من جهة اللذة، بخلاف ظاهرها، فالطبائع لما تألفت واعتدلت في الوزن الطبيعي، حصل منها بخار معتدل، وزادت اعتدالاً بكر الأفلاك عليها، فشابهتها، وحصلت قوة الحياة والحركة الإرادية، فوصل للبدن وسرى إلى القلب، ومنه إلى سائر الأعضاء، بواسطة الدم،

(١) الظفر: «مفاتيح الغيب» ص ٥٧٩.

(٢) «قرة العيون» ص ٣٦٣، «بهار الأنوار» ج ٥٨، ص ٨٥، صححناه على المصدر.

(٣) «قرة العيون» ص ٣٦٣، صححناه على المصدر. (٤) في النسختين: «بالهوى».

وهو برزخ بينها والبدن، وهي تعود عود مازجة كالسابقة، وإن فارقتها من وجه.
 وكل مسافة منها فاضل العالية وشعاعها، وما يجتمع فيه أكثر من واحدة - كالإنسان -
 مبدؤها المتأصل [الثالثة] (١)، شعاع الأولى، وتعود إليها عود مجاورة، وما فيها من الأوليتين
 عرضية بالنسبة لها، وتصحبه نزولاً، للكمال والتكميل، وهي بالنسبة إلى الحيوان
 [المستقل نوعاً مستقلاً] (٢)، كالصاهل بالنسبة إلى الإنسان، والنفس العالية لا تقبل صورة
 ما تحتها المنطوية، فإن كان في وسط، وكذا العكس.
 ولمحمد صادق - بعد عنوان الباب - كلام طويل، قليل التحصيل، كثير الخطب، أهرضنا
 عنه اختصاراً.

□ الحديث رقم ﴿ ١ ﴾

قوله: ﴿ عن الأحول، قال: سألت أبا عبد الله عليه السلام عن الروح التي في
 آدم عليه السلام، قوله: ﴿ فَإِذَا سُئِلَتْ وَتَفَعَّتْ فِيهِ مِنْ رُوحِي ﴾ (٣) قال: هذه
 روح مخلوقة، والروح التي في عيسى مخلوقة ﴾.

مركز تحقيقات كميتر علوم اسلامی

□ الحديث رقم ﴿ ٢ ﴾

قوله: ﴿ عن حمران، قال: سألت أبا عبد الله عليه السلام عن قول الله عز وجل:
 ﴿ وَرُوحٌ مِنْهُ ﴾ (٤) قال: هي روح الله مخلوقة، خلقها [الله] في آدم
 وعيسى ﴾.

أقول: أوضح بقوله عليه السلام: (مخلوقة) أنها لا تكون منفصلة عن ذاته، لاستحالة ذلك
 بالنسبة له تعالى، ولمنافاته لكونها مخلوقة، ونسبتها إليه تعالى يدل على المغايرة، وما
 سواه حادث، حتى النسبة، فنسبتها له تعالى لكونها منه [بفعله] (٥)، وبه تقوم النسب

(١) في «ب»: «الثلاثة». (٢) في «أ»: «المشتمل نوعاً مشتملاً».
 (٣) «المحجر» الآية: ٢٩، «ص» الآية: ٧٢. (٤) «النساء» الآية: ١٧١.
 (٥) من «ب».

والإضافات، لا بذاته تعالى ولا إليها، وكذا ظهورها في آدم وعيسى دليل ظاهر على الحدوث، فبطل ما سمعت من الأقوال الساقطة.

وقال محمد صادق في شرح الحديث الأول: «الآن توهم في الآية أن تسوية البدن قبل خلق الروح؛ لأن وجود البدن هو روحه، فإن كل شيء موجود بوجوده، ووجوده مدبر له وظاهر فيه، وكل شيء ظل لنحو وجوده - أي لوجوده الخاص وقيدته - فما لم يكن ذا ظل لم يكن له ظل».

أقول: بل باعتبار الابتداء من قوس العود خلق الأبدان وتسويتها قبل النفخ وظهور الروح فيها، وإذا ظهرت هي سابقة قبل، لأن مقامها الدهر، وبحسب التعلق: نفس، ويتعلقها بعقلها: روح، وليس الوجود هو الروح، ولكل ماهية ومادة، في كل بحسبه.

قال عليه السلام: (يمسك الأشياء باظلتها، ويمسك الكل بقدرته) ^(١) وهذه القدرة الفعلية إذ مقدور، لا الذاتية إذ لا مقدور. والظل المنفي عن المعصوم الظل المادي، لا الأول، ولا ينافي ذلك كون الروح وجوداً، وكذا النفوس، فافهم.

قال: «وقد علمت أن وجود الإنسان آخر الوجودات، وهو يشمل كل وجود قبله، السببي والمسببي، فالإنسان متصف بجميع الصفات والكمالات، وبذلك كان الروح الإنساني روح الله، أما عموماً فبالقوة؛ لأن عموم الناس وإن كان مشتقاً على وجودات الأشياء بالفعل، إلا إنه لا يشتمل على صفاتها بالفعل، والمقربون من الإنسان [يشتملون] * على وجودات الأشياء وصفاتها جميعاً، بالقوة القريبة إلى الفعل، ومتى شأؤوا بخرجون إلى الفعل، فروح كل مقرب هو روح الله بالفعل، وظاهر أن وجودات المقربين ليست على مرتبة واحدة، بل فضل بعضهم على بعض، فتسويته عبارة عن إعطاء امتياز نحو مرتبة لوجوده».

أقول: كله ضلال.

قوله: «وقد علمت... إلى آخره، الإنسان آخر الموجودات ظهوراً في قوس العود، وما ذاك إلا لأنه أولاً بحسب القرب من المشيئة، وأول بدء البدء بحسب قوس الإدبار، وهو

(١) «التوحيد» ص ٥٨، ح ١٥، ص ٤٤٠، ح ١، «باختلاف».

(*) في النسختين: «يشتمل».

أجمع الموجودات وأقربها، وعلى قوله السابق - من أن وجود البدن روحه، وعنده الوجود لله، وأن حقيقته واحدة، والإنسان جامع للصفات والكمالات - فيكون روح الله، أي وجوده وجود الله، وعنده دليل التناسب والارتباط - بزعمه - وهذا [-] ظاهر، خصوصاً وجود المقرّبين على ما زعم، ويلزمه في الإنسان عموماً، وإن لم يشتمل على الصفات بالفعل، لآحاد حقيقة الوجود، فهو مخالف لها بحسب الاعتبار وحكم التعيين القابلي، على أن عنده القصور أمر اعتباري عديمي، لحق الأشياء بحسب اللحوق الإمكانية، وبعده نزولاً بحسب الوجود، ففرقه في أفراد الإنسان على أصله باطل.

قوله: «وظاهر»... إلى آخره، إذا كان وجودهم وجود الله، وروحهم هي روحه، فلا تفاوت حينئذٍ، والتفاوت بحسب الإثنية لا اعتبار لها حينئذٍ، إلا أن يقال بحسب القوابل، في أزل الأزال، وكله [-] نعوذ بالله منه، ويكون أيضاً [التسوية] «^١» بنوع مجاز، إذ لا اعتبار للمرتبة حينئذٍ.

قال: «والنفخ - حينئذٍ - عبارة عن إعطاء هذا النحو من الوجود للبدن».

أقول: كذب و[-]، تعالى الله عنه.

قال: «فروح الله ووجود المقرّبين أمر واحد بالذات، ومتعدد اعتباراً».

أقول: رده ظاهر.

ثم قال: «فروح الإنسان مظهر الله الجامع، وهو غير الظاهر من وجه، وعينه من وجه، لوجود الاثنية، وللتناسب والارتباط».

أقول: إن طابقت الاثنية واعتبارها نفس الأمر، فلا تناسب وارتباط، وانتفت الوحدة، وإلا فلا تصدق وتكون الحقيقة واحدة، والفرق بين الوجوب والحدوث والإمكان وغيره بالمفهوم والاعتبار، وهو مراده، وهو [-] نعوذ بالله منه.

قال: «فإن قيل: إذا كان روح الإنسان عموماً روح الله بالقوة، وخصوصاً روحه بالقوة القريبة إلى الفعل، فليس هو بمخلوق؛ لأن الله ليس بمخلوق».

قلنا: روحه روح الله، إلا أنها تتعلق بأبدان المقرّبين، فمخلوقيته باعتبار التعلق، يعني: الروح المتعلق مخلوقة باعتبار أحد جزئيه، وهو التعلق، وفيه وجه آخر قريب ستعرفه».

(١) في «أ»: «التنويه».

أقول: كشف هذا الكلام منه [عمًا] (١) قلناه فيه أولاً وزيادة، ولا خفاء في [-] وأن موحدًا لا يقول به، وبه يلزم إنكاره الخلق وخالقية الله؛ لرجوعه إلى الاعتبار التعيني، لكونه عبارة عن [التعين] (٢) اللاحق لوجود الله، ولا يخص هذا بيدن، بل ولا بالإنسان، وما قدرت أهل الطبيعة والثنية أن يقولوا أقبح من هذا القول، نعوذ بالله منه، ولظهوره نعرض عن التطويل في رده، وستقف على الوجه الآخر.

وقال في شرح الحديث الثاني: «علمت جامعية الإنسان للوجودات عمومًا، وخصوصًا لها ولكمالاتها، فالإنسان مثل الله، أمًا عمومًا بقوة، وأمًا خصوصًا ففعل، فجميع أفراد مظاهر اسم الله».

أقول: كل موجود دال، فهو اسمه وصفته، وفي كل فرد من أفراد الإنسان الفعلية حاضرة ظاهرة، وفيه بعد قوة قابلية وقصور، بحسب مقام وجوده.

قال: «والتخصيص بآدم وعيسى بسبب القرابة، وهي عدم الأب والأم في الأول، والأب في الثاني، فكون الروح عند العوام فيهما أظهر».

أقول: لقد قال بمذهب النصارى في عيسى، وأزاد.

وقال: «وأما عند الخواص، فجميع أفراد الإنسان مظهر اسم الله، خصوصًا خواصه، لكون الله سمعه وبصره ويده»... الحديث (٣).

أقول: يعني بهم أهل التصوف، لعنهم الله، والذي عليه الرسول وآله أن الاختصاص تشريفًا وتنويهاً لخواص كثيرة، وجامعة حادثة، ليس هنا موضع ذكرها، لالما ذكره، وكونها مظاهر أسمائه ينفي اتحاد الحقيقة، وليس الحديث كما توهمه، كما سبق ويأتي.

قال: «فأرواح الخواص مظاهر لله، وليست هي الله، فهي مخلوقة وحادثة، إذ في وجود كل واحد امتياز عن الآخر، وهو قيد، وبه تميز عن وجود الله».

أقول: على قوله السابق يكون هذا الامتياز اعتبارياً، وهي جهة المخلوقية، ولحوقها لوجود الله الظاهر بالتعين، ولا تعدد حقيقةً للتناسب والارتباط، وبوجه عدم [المخلوق] (٤) لا تمايز، فلم ينفعه هذا القول.

(١) في النسختين: «كما».

(٢) في «أ»: «اليقين».

(٣) إشارة إلى حديث قرب النوافل. انظر: «الكافي» ج ٢، ص ٣٥٢، باب من آذى المسلمين واحترقهم، ج ٧.

١٨ «غوالي اللآل» ج ٤، ص ١٠٣، ح ١٥٢. (٤) في «ب»: «المخلوقين».

قال: «وقد علمت أن وجود بعض أفضل منهم، أفضل من آخر، فيتميز عنه، وسبق أن الفناء مراتب غير متناهية، [والتفصيل]»^(١) يقع في هذه المراتب، ووجود نبينا في فناءه أشد الغانين، وهو المراد. وهذا الوجه الموعود به في الحديث السابق.»

أقول: ما فيه ظاهر مما سبق، ثم وكيف يتصور مراتب في ذات الله، [إذ]»^(٢) الفناء عندهم في وجود الله، لعلهم يعنون بحسب المراتب المستجئة في ذات الله تعالى، المسماة بالأعيان الثابتة، أو مراتب الإمكان الاعتبارية، أو الصور الأزلية، ونحوها من مذاهب أهل الضلال، نعوذ بالله منها.

والملا الشيرازي بعد أن نقل خلاف العلماء في تفسير الروح في الحديث الأول وأطال، قال أخيراً: «أقول: لا يخفى على الواقف بأسلوب العبارة، أن قوله ﷺ: (هذه روح مخلوقة) يدل بحسب المفهوم أنه يمكن أن يكون في الأرواح روح غير مخلوق، ودلالة المفهوم وإن كان ضعيفاً لا يصلح بمجرده أن يصير حجة، لكن إذا ضم إليه سائر الشواهد والقرائن يصير حجة قوية، وسوف نشير لحقيقة الأمر»^(٣).

أقول: وكم له من هفوة، بل إذا كان هذه مخلوقة والروح الكلية، فغيرها بطريق أولي، مع أنه لبيان بطلان ما قيل في عيسى، وإذا ثبت حدوث روح، فكذا كل روح، وهو يشير إلى أن روح [الكامل]»^(٤) وعالم الأمر باقي ببقاء الله، خارج عن الخلق، لأن وجوده وجود الله. ويريد بعالم الأمر: العقول، والأرواح: المقربين.

وصرح بهذا في أسرار الآيات»^(٥)، ومفاتيح الغيب»^(٦)، وفي الشرح وغيرها من مسوداته، ولا يخفى على من له أدنى فطنة أنه لا دلالة من قوله ﷺ هذا على ما قاله بوجه، لا بحسب المنطوق ولا المفهوم، حتى البعيد، ولا بطريق التنبه، بل على العكس، لكن من انعكست نفسه وتبع أهل التصوف، يسمي جهده في تحريف الحق وقلبه، وعلى الدين حفظاً ومرابطون، والله الحافظ.

ثم نرجع ونقول: روى الصدوق في توحيده، مسنداً عن محمد بن مسلم، قال: سألت أبا

(١) في النسختين: «والتفصيل».

(٢) في النسختين: «إن».

(٣) «شرح أصول الكافي» ج ٣، ص ٣٧٩، باختصار ما، صححناه على المصدر.

(٤) في «ب»: «الكل».

(٥) «أسرار الآيات» ص ٤٧، ٥٨.

(٦) «مفاتيح الغيب» ص ٣٣٢.

جعفر عليه السلام، عن قول الله عز وجل: ﴿ وَنَفَخْتُ فِيهِ مِنْ رُوحِي ﴾ ^(١) قال: (روح اختاره الله واصطفاه، وخلقته، وأضافه إلى نفسه، ونفخه على جميع الأرواح، فأمر فنفخ منه في آدم) ^(٢).

وعنه: عن أبي جعفر الأصم، قال: سألت أبا جعفر عليه السلام عن الروح التي في آدم عليه السلام والتي في عيسى عليه السلام ما هما؟ قال: (روحان مخلوقان، اختارهما واصطفاهما، روح آدم عليه السلام وروح عيسى عليه السلام) ^(٣).

وعن أبي بصير، عن أبي جعفر عليه السلام في قوله تعالى: ﴿ وَنَفَخْتُ فِيهِ مِنْ رُوحِي ﴾ قال: (من قدرتي) ^(٤).

وعن عبد الكريم بن عمرو، عن أبي عبد الله عليه السلام في قوله عز وجل ﴿ فَإِذَا سَوَّيْتُهُ وَنَفَخْتُ فِيهِ مِنْ رُوحِي ﴾ قال: (إن الله عز وجل خلق خلقاً وخلق روحاً، ثم أمر ملكاً فنفخ فيه، فليست بالتي نقصت من قدرة الله شيئاً، هي من قدرته) ^(٥).

المياشي: عن محمد بن مسلم، عن أبي جعفر عليه السلام قال: سألته عن قول الله عز وجل: ﴿ وَنَفَخْتُ فِيهِ مِنْ رُوحِي فَقَمُّوا لَهُ سَاجِدِينَ ﴾ ^(٦) قال: (روح خلقها الله تعالى، فنفخ في آدم منها) ^(٧).

وعن أبي جعفر الأحول، عن أبي عبد الله عليه السلام، مثلما في الكافي بلا فرق، إلا أن هنا بعد (مخلوقة) لفظ (له) ^(٨) تعالى، ولا فرق معنى.

وعن أبي بصير، عن أبي عبد الله عليه السلام، في قوله تعالى: ﴿ فَإِذَا سَوَّيْتُهُ وَنَفَخْتُ فِيهِ مِنْ رُوحِي ﴾ قال: (خلق خلقاً وخلق روحاً، ثم أمر الملك فنفخ فيه، وليست بالتي نقصت من الله شيئاً، هي من قدرته تبارك وتعالى) ^(٩).

وفي رواية سماحة، عنه عليه السلام: (خلق آدم عليه السلام فنفخ فيه) وسألته عن الروح، قال: (هي من قدرته من الملكوت) ^(١٠).

(١) «المحجر» الآية: ٢٩، «ص» الآية: ٧٢. (٢) «التوحيد» ص ١٧٠، ح ١، صحناه على المصدر.

(٣) «التوحيد» ص ١٧٢، ح ٤، صحناه على المصدر.

(٤) «التوحيد» ص ١٧٢، ح ٥. (٥) «التوحيد» ص ١٧٢، ح ٦.

(٦) «المحجر» الآية: ٢٩، «ص» الآية: ٧٢. (٧) «تفسير المياشي» ج ٢، ص ٢٦١، ح ٨.

(٨) «تفسير المياشي» ج ٢، ص ٢٦١، ح ٩. (٩) «تفسير المياشي» ج ٢، ص ٢٦١، ح ١٠.

(١٠) «تفسير المياشي» ج ٢، ص ٢٦١، ح ١١.

أقول: المراد بقدرته: القدرة الفعلية، لا الذاتية، وهي صادرة عنها و(تجلّى لها بها) وجعلها دليلاً عليه.

وفي تحفة الإخوان، عن الصادق عليه السلام، في حديث طويل يذكر فيه خلق آدم، وإسكانه الجنة، وغير ذلك: (فلما أراد الله تعالى أن ينفخ فيه الروح خلق الله تعالى روح آدم عليه السلام ليست كالأرواح، وهي روح فضلها الله على جميع أرواح الخلق من الملائكة وغيرها، فذلك قوله تعالى: ﴿لِإِذَا سُوِّتَهُ وَنَفَخْتُ فِيهِ مِنْ رُوحِي فَقَعُوا لَهُ سَاجِدِينَ﴾ وقال الله تعالى: ﴿وَيَسْأَلُونَكَ عَنِ الرُّوحِ قُلِ الرُّوحُ مِنْ أَمْرِ رَبِّي﴾ ^(١) قال: للما خلق الله تعالى روح آدم أمر بنفسها في جميع الأنوار ^(٢).

أقول: وآية آدم ذكرت في سورة «ص» والحجر ^(٣).

وجملة القول: إن الروح أول مخلوق، وهي قلب محمد عليه السلام، ونسبت له تعالى لكمال القرب، إذ لا أقرب منها له، كما قال: ﴿بَيْتِي﴾ ^(٤)، وجميع أرواح الأنبياء والأولياء منه مقتبسة، وهي من فاضلها، والله النافع الحقيقي بمشيئته، وبواسطة من أراد من خلقه، وليس انفصالها عنه بتجزئة، ولا هي معه معية مصاحبة، بل كما عرفت من حديث المفضل وغيره: كما ينفصل النور من الشمس، وكما في حديث عمران الصابي ^(٥)، على سبيل التمثيل، وليس نور الشمس معها أو لازم ذاتها، بل صدر بفعالها بما تجلّى له به، والنفخ عبارة عن ظهور الغيب بالشهادة، وقيام الظاهر بالباطن، لما [كمل] ^(٦) استعداده.

وفي حديث العليل للصدوق، عن النبي عليه السلام في بيان خلق العقل، أو بيان بعض الملائكة، قال: (خلقه ملك له رؤوس بعدد الخلائق، من خلق ومن يُخلق إلى يوم القيامة، ولكل رأس وجه، ولكل آدمي رأس من رؤوس العقل، واسم ذلك الإنسان على وجه ذلك الرأس مكتوب، وعلى كل وجه ستر ملقن، لا يكشف ذلك الستر من ذلك الوجه، حتى يولد هذا المولود ويبلغ حدّ الرجال أو حدّ النساء، فإذا بلغ كشف ذلك الستر، فيقع في قلب هذا الإنسان نور، فيفهم الفريضة والسنة، والجيد والرديء. ألا ومثل العقل في القلب كممثل السراج في وسط

(١) «الإسراء» الآية: ٨٥.

(٢) «تفسير البرهان» ج ٢، ص ٣٣٠، ح ١، عنه، صححناه على المصدر.

(٣) «ص» الآية: ٧١، «الحجر» الآية: ٢٨.

(٤) «البقرة» الآية: ١٢٥، «الحج» الآية: ٢٦.

(٥) «عيون أخبار الرضا» ج ١، ص ١٧١، ح ١. (٦) من «ب».

البيت (١).

فتدبره ولا تحتجب بالظاهر عن التأويل والباطن، فإن هذا العقل كالكلبي ظهوراً، في كل بحسبه، على مراتب التنزلات، فإنه العنصر والمادة الكلية والجوهرية التي نظر الواجب لها بعين القدرة، فصارت ماء، وهو الذي كان عليه العرش، ثم تحرك الماء وطفئ زيداً فوقه، وارتفع منه دخان... الحديث (٢). وكان لكل إحاطة.

□ الحديث رقم ﴿٢﴾

قوله: ﴿عن محمد بن مسلم، قال: سألت أبا عبد الله عليه السلام عن قول الله عز وجل: ﴿وَنَفَخْتُ فِيهِ مِنْ رُوحِي﴾ كيف هذا النفخ؟ فقال: إن الروح متحرك كالريح، وإنما سمي روحاً؛ لأنه اشتق اسمه من الريح، وإنما أخرجه عن لفظه الريح، لأن الأرواح مجانسة الريح، وإنما أضافه إلى نفسه، لأنه اصطفاها على سائر الأرواح، كما قال لبيت من البيوت: بيتي، ولرسول من الرسل: خليلي، وأشياء ذلك، وكل ذلك مخلوق مصنوع محدث، مربوب مدبر﴾.

أقول: وفي نسخة التوحيد: (وإنما أخرجه على لفظ الروح لأن الروح) وفيها أيضاً: (كما اصطفت بيتاً من البيوت، فقال: بيتي) (٣) بدل ما هنا.

ولما سأل السائل عن كيفية نفخ الروح في البدن أجابه عليه السلام عنه مع الجواب عن صلة التسمية ونسبتها له، لعلمه باستعداده، مع تضمن الآية لذلك، فلا تنكشف الآية إلا بهذا البيان كله، فيبين له كيفية النفخ بأنها متحركة كالريح، فإذا كانت متحركة غير ساكنة صغ تعلقها بآخر، وظهورها بصورة ماء، إذا استعدت وحصلت المناسبة. وقد عرفت أن قيام الجسم المستعد بالنور وظهوره فيه هو النفخ، وليس المراد بالنفخ

(١) «حلل الشرائع» ج ١، ص ١٢٢، باب: ٨٦، ح ١، صحناه على المصدر.

(٢) «بحار الأنوار» ج ٥٤، ص ٢٠٠-٢٠١، ح ١٤٥، أخذه بالمعنى.

(٣) «التوحيد» ص ١٧١، ح ٢.

كما يخرج الهواء من الفم، وليس هو حقيقة فيه، حتى يكون إطلاقه على غيره مجازاً، بل هو حقيقة، وحقيقة ذلك وإطلاقه على الحسي مجاز، بالمجازية التي أشرنا لك قبل، بحيث لا تنافي الحقيقة، لا بالمعنى* اللغوي المشهور. وأطلق عليها اسم الجسم؛ لأنها جسمانية الظهور روحانية البقاء، كما ستسمع من حديث الاحتجاج^(١).

تنبيه: نفخ الروح في البدن يختلف مدة، والروح: فأما الناطقة - بحيث يحصل لها الإدراك - فبعد شق السمع والبصر وغيرهما، وهي من أول الولادة الحسية، وهي التي يتعلّق بعدها الحكم بديّة الرجل كاملة أو المرأة، وعلامتها الاستهلال.

وأما الروح النباتية والمعدنية، فتجري فيه من أول مراتب النطفة، ثمّ العلقة، ثمّ المضغة، والآلم تجعل فيها دية مقدرة مختلفة، ولما كان حكمها حينئذٍ أن تُلَفَّ في خرقة وتدفن، بالاجتماع المحصل والمنقول.

فإذا كمل الاستعداد وصفت الطينة - بعد [نظورها]^(٢) في التخمير، وتقرّبت بالسير للواحد التقدير مستكملة تدرّجاً - أبيض عليها النفس الحيوانية القوية، برزخ الناطقة الدراكة والنباتية الطبيعية، وذلك يكون بعد أربعة أشهر، وهي أربعون النطفة، وأربعون العلقة، وأربعون المضغة، والعظام واللحم خفيف ما.

ولا خلاف عند العلماء في نفخ الروح بعد الأربعة، بل عليه اجماع المتقدمين والمتأخرين، وفهمه من النص غير عزيز على الفطن، كما يدلّ عليه ما في الكافي^(٣)، من تحديد سؤال كون الحمل ذكراً إلى أربعة أشهر، وبعده ينقطع، والله يفعل ما يشاء.

وكذا ما دلّ على أن الله يبعث - بعد أن يأتي على النطفة مدتها، ومدة العلقة والمضغة - ملكين خلاقين، فيقبضان النطفة، فيقولان: «ذكر أم أنثى...» إلى آخره، والروايات به في الكافي^(٤)، وغيره كثيرة.

ومعلوم استحالة ذلك بغير روح، ولا يتأخر الخلق والتصوير، كيف وهو يكون في أقل من لمح البصر بكثير، وكذا خروج المَلَك ونزوله.

(*) «أي لا بالمجازية بالمعنى... إلى آخره». [حاشية «أ»].

(١) «الاحتجاج» ج ٢، ص ٢٤٤. (٢) في «أ»: «ظهورها».

(٣) و(٤) «الكافي» ج ٦، ص ١٣، ١٦، باب بدء خلق الانسان ح ٣، ٦، ٧.

بل في رواية سعيد المرورية في التهذيب^(١) وغيره، صراحة في تعلق الروح به من حال النطفة، وفي جميع تنقلاته وحالاته، وإلا لم يكن فيه شيء، ووجهها ظاهر، وما في « عندها من الضعف غير ضائر، مع أنه غير مناف لما عليه الفقهاء، فقصاراه أنه ينفخ الروح بعد الأربعة، أي الروح التي يتعلق بها كمال دية الجنين والتفصيل وغيره، وهذا لا ينافي سبقها بوجه، كيف وجميع هذه الأحكام لا تتعلق بها قبل، وكلامهم لبيان وقت تعلق هذه الأحكام. فما روي في الفقيه^(٢)، من أن الروح لا تنفخ إلا بعد الخمسة الأشهر، لا تصلح لممارسة ما دل عليه مفهوم هذه الروايات، مع عدم العامل بها، فيما كان المقصود لهم بالنسبة إلى الصلاة والتفصيل - وغير ذلك من أحكام - حملها على رتبة من رتب الروح، الحاصلة لها في الصعود بعد نفخها، فإنها تشتد وتقوى أثراً وظهوراً.

أما مثل نطفة المعصوم، فتظهر الأفعال منه تامة بعد أربعين يوماً، كما تواترت به الأخبار^(٣)، ووافقه صحيح الاعتبار، كيف ونطفته وغيره تقطر من الشجرة التي تحت العرش - المسماة بالمزن - قطرة على بقلة أو ثمرة، فيأكلها الوالد فتتحول نطفة، كما في كتاب الإيمان من الكافي^(٤)، وصححه الاعتبار؟

وأول ما يجري النفخ من الدماغ، إذ الصفوة فيه، وهو أقرب للبرزخ، ولذا كان هو آخر ما تخرج منه، وتبندئ من أطراف الرجل، من الإبهام.

وفي البرهان تفسير القرآن، نقلاً عن تحفة الإخوان، في حديث طويل عن الصادق عليه السلام: (ثم أمرها أن تدخل جسد آدم بالتأني، دون الاستعجال، فرأت الروح مدخلاً ضيقاً ومنافذ ضيقة، فقالت: يا رب كيف أدخل من الفضاء إلى الضيق؟ فنوديت: أن ادخلي كرهاً، فدخلت الروح من يافوخه إلى عينيه، ففتحها آدم عليه السلام، فجعل ينظر إلى بدنه ولا يقدر على الكلام، ونظر إلى سرادق العرش، مكتوباً عليه: لا إله إلا الله، محمد رسول الله ﷺ. فصارت الروح إلى أذنيه، فصار يسمع تسبيح الملائكة، وجعل تدور في رأسه ودماغه، والملائكة ينظرون إليه ويتوقعون متى يؤمرون بالسجود).

إلى أن قال: (قال النبي ﷺ: ليس أشد على إبليس من تسميت العاطس).

(١) «تهذيب الأحكام» ج ١، ص ٢٨٢، ح ١١٠١، (٢) «الفقيه» ج ٤، ص ١٠٩، ح ٣٦٦.

(٣) «الكافي» ج ١، ص ٣٨٢، باب مواليد الأنفة عليه السلام، ح ٢ و ٣.

(٤) «الكافي» ج ٢، ص ١٤، با إذا أراد الله عز وجل أن يخلق المؤمن، ح ١.

قال: (فصارت الروح في جسد آدم ﷺ حتى بلغت الساقين والقدمين، فاستوى آدم قائماً على قدميه في يوم الجمعة عند زوال الشمس).

قال الصادق ﷺ: (كانت الروح في رأس آدم مائة عام، وفي صدره مائة عام، وفي ظهره مائة عام، وفي بطنه مائة عام، وفي عجزه وفي ركيه مائة عام، وفي ساقيه وقدميه مائة عام. فلما استوى آدم قائماً، نظرت إليه الملائكة كأنه الفضة البيضاء، فأمرهم الله بالسجود له، فأول من بادر بالسجود جبرائيل وميكائيل، ثم هزرائيل، ثم إسرائيل، ثم الملائكة المقربون. وكان السجود لآدم ﷺ يوم الجمعة عند الزوال، فبقيت الملائكة في سجودها إلى العصر، فجعل الله هذا اليوم عيداً لآدم ﷺ) ... الحديث^(١).

القول: وجميع أرواح البشر، بل الموجودات، من أشعة وفاضل الروح الكلية المنسوبة له، على تنزلاتها، لكمالها وشدة إشراقها، وهي روح محمد ﷺ، ولكمال تقديسها بالنسبة لسائر المخلوقات سُميت: روح القدس، فهي متحركة كالريح، فإنها هواء متحرك. كما في حديث الاحتجاج^(٢) وغيره، ومروءك مع كمال اللطافة.

أما إثبات التجرد لعالم الأرواح، فقد مرَّ لك في الجزء الأول، في إثبات المجرد عقلاً ونقلًا. فأتضح لك أن النفع [لازم]^(٣) من الحركة، وأما تسميته روحاً فلاشتقاقه من: الريح، فهي مناسبة لها لفظاً ومعنى، في الصفات من جهة التنفس، وبقاء البدن وغيره، بل هي ریح معنوي حصلت من حركة العقل بعد سكونه، فظهر وجه مجانستها للريح، لفظاً ومعنى، وإن اختلفا من وجه.

وأما حلة نسبتها له، فلكمال شرفها، فلا أقرب منها، فأضافها له، كما قال لأشرف البيوت: ﴿بيتي﴾^(٤) لا لأنه يحويه دون غيره، إذ لا مكان له، ولا لأنه له أقرب من غيره، بل لزيادة الشرف والتنبيه عليه، لئتوجه به وتقصده، وجميع الأرواح وغيرها من سائر أنواع الموجودات مخلوقة له تعالى، مصنوعة مدبرة بحكمته ومشيبته.

وفي الاحتجاج عن الصادق ﷺ: (أن الروح لا توصف بثقل ولا خفة، وهي جسم رقيق قد ألبس قالباً كثيفاً، فهي بمنزلة الريح في الزق، إذا نفخت فيه امتلأ الزق منها، فلا يزيد في وزن

(١) «تفسير البرهان» ج ٢، ص ٢٣٠ - ٢٣١، ح ١، بتفاوت يسير، صححناه على المصدر.

(٢) «الاحتجاج» ج ٢، ص ٢٤٤. (٣) في «أ»: «لآدم».

(٤) «البقرة» الآية: ١٢٥، «الحج» الآية: ٢٦.

الزقُّ وُكوجها فيه، ولا ينقصها خروجها منه، كذلك الروح ليس لها وزن ولا ثقل).

قال: أفيئلاشئ الروح بعد خروجه من قالبه، أم هو باقٍ؟ قال: (بل هو باقٍ إلى وقت ينفخ في الصور، فعند ذلك تبطل الأشياء وتفنى، فلا حس ولا محسوس، ثم أهدت الأشياء كما بدأها مدبرها، وذلك في أربع مائة سنة يُسبِتُ فيها الخلق، وذلك بين النفختين) (١).

أقول: وعرفت وجه إطلاق الجسم عليها، وليس المراد بها الحاصل من الأخلاط الأربعة، وهي مركب هذه.

وفي بصائر الصغار، عنه عليه السلام: (مثل المؤمن وبدنه كجوهرة في صندوق، إذا خرجت الجوهرة منه طرح الصندوق ولم تتعب به) قال: (إن الأرواح لا تمازج البدن ولا تداخله، إنما هو كالكل للبدن محيطة به) (٢)، فتدبر فيما وراء اللفظ.

رجع وتلخيص وافادة

قد عرفت تحرك النفس، فلها علاقة المداخلة للجسمانيات وقواها، بواسطة الروح الحيوانية، فتتحد مع المحسوس، خصوصاً في مبدأ الأمر، ولمجانستها للريح - كما عرفت - من سرعة الاتصال والانفصال والترويح، فهي كروح النسيم - بالفتح - الذي به حياة الأبدان ونشأتها كالنفس، [فتحصل] (٣) من ذلك أن المراد بالروح في الرواية النفس الناطقة، وهي مجردة؛ لمغايرتها للبدن بتلك الصفات.

ولا يقال: إن قوله عليه السلام: من جنس الريح، إنها هي الريح فتكون الهواء، أي النفس الداخل والخارج، فإن هذا من البرازخ، وليس هو الدراك، والوجدان شاهد، ولا بمتعلق القوى، فضلاً عن مثل رواية الاحتجاج والآية والبراهين الدالة على تجردها.

ولك أن تجعل الريح التي اشتقت الروح منها هي النفس الحيوانية، التي هي المتعلق الأول للروح الناطقة، والبرزخ - أهني: الدم - وهو حار رطب، أو لطائف الأخلاط المتولدة منها الروح البرزخية، فهي لطيفة كالريح. ومعنى اشتقاقها منها كونها الواسطة لوجودها،

(١) «الاحتجاج» ج ٢، ص ٢٤٤ - ٢٤٥، بتفاوت، صححناه على المصدر.

(٢) «المهازمة أشد المداخلة . ب»

(٣) «بصائر الدرجات» ص ٤٦٣، ح ١٢، صححناه على المصدر.

(٣) في «أ»: «فتحس»، وفي «ب»: «فتحث».

وهي مركبها وتقوي قواها، حتى تخف وتلحق بالمجرد، بعد رميها الأثقال المعادة. وكيف، وهي أول عقل هيولاني بالقوة في الحامل؟ أي النفس الحيوانية المركب لها، وبقدر قوته واعتدال مزاجه تعادل وتبسط لأفاعيلها، فإمّا شقية، أو سعيدة، فحصلت المناسبة معنى ولفظاً، فصحّ قول: إنها اشتقت منه!

وإن أريد بها الريح الغيبية - أي النفس الرحمانية، أي الوجود المطلق، وهو عالم المشيئة - فالاشتقاق بمعنى اليجاد ظاهر، فإن الروح به كانت، فهي مفعول بالفعل، وهي هو، فظهر به.

وقال ملا محسن في شرح الحديث: «(الروح) وإن لم يكن في أصل جوهره من هذا العالم، إلا أن له مظاهر ومجالي في الجسد، وأول مظهر له فيه بخار لطيف دخاني، شبيه في لطافته واعتداله بالجرم السماوي، ويقال له: الروح الحيواني، وهو مستوي الروح الأمري الرئاني، ومركبه ومطيّة قواه، فعبّر ^{الله} عن الروح بمظهره؛ تقريباً له إلى الأفهام؛ لأنها قاصرة عن فهم حقيقته، كما أشير إليه بقوله تعالى: ﴿ قُلِ الرُّوحُ مِنْ أَمْرِ رَبِّي وَمَا أُوتِيتُمْ مِنَ الْعِلْمِ إِلَّا قَلِيلًا ﴾ ولأن مظهره هذا هو المنفوخ حقيقة دون أصله»^(١) انتهى.

أقول: وعلى ظاهر كلامه تكون الروح هي البخارية، ولا موجب لجعل السؤال غير مطابق، بل ما عناه عبّر عنه بالريح، وعرفت معنى النفخ، وأنه متحقق في الأمرية حقيقة، وإن كان بواسطة، لكن بالمعنى اللغوي، وحينئذ لا بد من جعل: (وإنما أضافه لنفسه) راجعاً للروح الأمرية، وقد جعل السابقة للبخارية، ولا قرينة دالة على ذلك، بل نظم الحديث بخلافه.

أما الآية فليست على ظنه، بل الجواب فيها مطابق، وعالم الأمر عالم المشيئة، ولا ينافية: ﴿ وَمَا أُوتِيتُمْ ﴾ ثم ها هنا قرينة، ولا قرينة هنا.

ولا يخفناك حينئذ ضعف ما قاله الشارح ملا خليل وأمثاله، حيث حصروا العالم في الجسم والعرض في الحديث.

قال بعد الآية: «توهم السائل أن الروح مجردة لا يمكن فيه النفخ، فقال: (إن الروح متحرك كالريح)، أي جسم لطيف كالريح، (وإنما سمي روحاً لأنه اشتق اسمه من الريح، وإنما

أخرجه علي لفظه الريح)، أي وإنما اشتق اسمه من الريح؛ لأنَّ الروح مجانس للريح، أي هي أيضاً جسم هوائي^(١).

ثم قال: «وهذا الحديث وأمثاله صريح في أن النفس الناطقة ليست مجردة، خلافاً للفلاسفة، وأدلتهم واهية. والمعجب أن بعض الناصرين لهم يؤول هذه الأحاديث: أن المراد غير النفس الناطقة»^(٢) انتهى.

أقول: كيف والإمام عليه السلام إنما شابهها بالريح في التحريك، وكذا اشتقاق اسمه منه، والآل لقال: اشتق منه، مع أنه لو قال فغير دال، كما يظهر لمن تأمل ما سبق.

تسعة؛ روى الصدوق في عيون أخبار الرضا عليه السلام في الباب السادس، وفي الباب التاسع والمشرين من كتاب الإكمال أيضاً، بعد تعداد المسائل الثلاث التي سأل الخضر عنها علياً عليه السلام، ومنها: أن الرجل إذا نام أين تذهب روحه؟ وقال الحسن بن علي في الجواب: (إنَّ روحه متعلقة بالريح، والريح متعلقة بالهواء، إلى وقت ما يتحرك صاحبها لليقظة، فإن أذن الله برودة تلك الروح لصاحبها، جذبت تلك الريح الروح، وجذبت تلك الريح الهواء فرجعت الروح، فأسكنت في بدن صاحبها. وإن لم يأذن الله عز وجل برودة تلك الروح لصاحبها، جذب الهواء الريح، وجذبت الريح الروح، فلم تروِّد علي صاحبها إلى وقت ما يبعث)^(٣).

قال السيد الداماد في رسالته، في تحريم تسمية القائم باسمه زمن الغيب: «قد اقتُر في موضعه أن النفس جوهر مفارق مجرد، هي الإنسان على الحقيقة، وقد اصطادتها الطبيعة الجسمانية بإذن جاعلها، فوقعت في الشبكة الجسدية، بواسطة الروح البخارية الحيوانية، المتولدة من لطائف الأخلاط المنبعثة من تجويف القلب الأيسر ومولده ومنبعه القلب، ثم إذا هو متسقط هناك، فقسط منه ينجذب إلى الدماغ، ويسمى: روحاً نفسانياً. وقسط ينجذب إلى الكبد، ويسمى: روحاً طبيعياً. وقسط متخصص بالمنبع والمولد، ويقال له: الروح الحيواني.

فالبخارية؛ للطافتها وقربها من الاعتدال، ومشابقتها للأجرام السماوية الخالية من

(١) و (٢) «الشافي» مخطوط برقم: ٢٣٣٤، الورقة: ٩٩، بتفاوت يسير.

(٣) «عيون أخبار الرضا» ج ١، ص ٦٦، ح ١٣٥، «كمال الدين» ص ٣١٤، ح ١، بتفاوت يسير، صححناه على المصدر.

الأضداد، قريبة المناسبة من جوهر النفس الناطقة، أفاضها الواجب لكمال النظام والتدبير، وتدبير البدن بواسطتها، وتحمل سائر قواها المنبثة في سائر البدن وخصونها. فإذا استعملت الناطقة القوى والأعضاء في مقاصدها، عرض للقوى البدنية لا محالة كلاله، وللروح البخاري أن يتحلل، فهدى الله الناطقة؛ لتركها الحواس الظاهرة معطلة، وترجع إلى استعمال حواسها الباطنية، واستخدام قواها المدركة والخازنة، فتنتهز حينئذ فرصة لانصراف ما من الدار الظلمانية لفسح النور وأرواحه، ولا سيما إذا قوت عملاً وعلماً، وتأكدت العلاقة بعالم الغيوب، فهذه الحالة تسمى بالنوم.

والروح الحيواني يتبع النفس المجردة، فتحبس في الباطن، وينغمر في أعماق الجسم، ليزداد قدر ما تحلل منه، وتتقوى سائر القوى النفسانية والطبيعية، فانحباس الأرواح جميعاً للباطن هو النوم، فهو شعبة من الموت، فهو أخوه، كما قيل.

وصح أن اليقظة نوم النفس، قال علي عليه السلام: (الناس * نيام فإذا ماتوا انتبهوا) ^(١) فالإمام عليه السلام عنى بالروح في قوله: (فإن روحه متعلقة بالريح) الناطقة الملكوتية، وعنى بالريح الروح الحيواني متعلقها الأول.

والروح يُذكر ويؤنث، جمعها: أرواح، وأصلها من الريح، والروح -: بالفتح - نسيم الريح ^(٢).

ثم نقل حديث الكافي السابق.

«وقوله عليه السلام: (والريح متعلقة بالهواء)، إما لأنه هو الذي يتنفسه الإنسان، فيصل من مجرى النفس من الحنجرة وقصبه الرئة إلى القلب، أو تستنشق الرئة، ثم تدفعه إلى القلب بإذن الله سبحانه، هو غذاء للروح، لا لأن تتغذى به وحده، ويستحيل روحاً، كما ظن، بل يمدّها بالجواهر الذي هو أغلب في مزاجه وقوامه. وكذا الماء لا يغذي وحده العضو، بل

(*) «لما كان الإنسان في الحقيقة اسم للنفس الناطقة، لا للبدن الذي هو [...] - والناس جمع الإنسان، والنفس عند النوم تتيقظ، وعند اليقظة تنام، لعدم تدبيرها الحواس الظاهرة - قيل: (الناس)، يعني: في اليقظة (نيام، فإذا ماتوا) - أي ناموا بمخرج أنفسهم الناطقة إلى الهواء الذي منه النفس - (انتبهوا) لاستراحة النفس الناطقة من تدبير البدن واستعمال قواه الظاهرة. ب» [حاشية «أ»].

(١) «شرح مائة كلمة» ص ٥٤.

(٢) «شرح التسمية» ص ٣٢ - ٣٦، بتصريف، صحناه على المصدر.

يكون إما جزءاً، أو منفذاً. والنسيم الداخل في مجرى النفس هو الأصل في تعديل الروح، وترويح القلب وتعديل حرارته، وصون جوهر الروح عن الاحتراق، وقوامه عن الفساد. وإما أنه مركب الروح، فلأنه على طبع الهواء حرارة ورطوبة، أعني الدم، أو لطائف الأخلاط المتولد منها الروح، لمضاهاتها الهواء لطافةً.

وقوله ﷺ: (فإن أذن الله برداً تلك الروح) ... إلى آخره، قد عرفت انجذاب الحيوانية للظاهر بقضه، فتجذب الناطقة له، وفي الموت بالعكس، وكذا السبيل في قوله تعالى: ﴿اللَّهُ يَتَوَلَّى الْأَنْفُسَ حِينَ مَوْتِهَا وَالَّتِي لَمْ تَمُتْ فِي مَنَابِقِهَا﴾ الآية (١) (٢).

□ الحديث رقم ﴿ ٤ ﴾

قوله: ﴿ [عن محمد بن مسلم] قال: سألت أبا جعفر عتا يروون أن الله خلق آدم على صورته، فقال: هي صورة محدثة مخلوقة، واصطفاها الله واختارها على سائر الصور المختلفة، فأضافها إلى نفسه، كما أضاف الكعبة إلى نفسه، والروح إلى نفسه، فقال: ﴿ بيتي ﴾ (٣) ﴿ وَتَفَخَّتْ فِيهِ مِنْ رُوحِي ﴾ (٤) ﴿ يتزوج رسول الله ﷺ ﴾

أقول: اعلم رحمك الله، وفتح عيني قلبك، أن هذا الحديث (٥) روى متنه العالم محمد ابن أبي جمهور في غوالي اللآلئ (٦) بطرق أسانيد إلى مشايخه وأهل إجازته، ونقله أيضاً العلامة أبو الفتح محمد بن علي بن عثمان الكراچكي، في كنز الفوائد (٧)، وغيرهما من المتقدمين والمتأخرين.

وهم في تأويله على أقوال عديدة، معرضين عن سنده، مع أنه صحيح أو كالصحيح، إذ ليس فيه إلا ابن بحر، مع أن تلقى العلماء له كمالاً بالقبول، واعتناءهم بمتنه، مصحح له، ولا

(١) «الزمر» الآية: ٤٢.

(٢) «شريعة التسمية» ص ٣٦ - ٣٧، بتصريف، صححاء على المصدر.

(٣) «البقرة» الآية: ١٢٥، «الحج» الآية: ٢٦. (٤) «الحجر» الآية: ٢٩، «ص» الآية: ٧٢.

(٥) يعني حديث: (إن الله خلق آدم على صورته). (٦) «غوالي اللآلئ» ج ١، ص ٥٣، ح ٧٨.

(٧) «كنز الفوائد» ج ٢، ص ١٦٧.

يضره السند لو كان ضعيفاً، فالأوهية كثيرة، والناقد المصفي العارف لا يخفاه الحق، كما قال بعض الفضلاء^(١)، في الردّ على مَنْ نظر في حديث: (من جدد قبراً أو مثل مثلاً) الحديث^(٢)، بضعف السند، بأنّ التلقّي والاختلاف فيه متناً، مع الإعراض عنه سنداً، كاف. وكذا إقرار الإمام عليه السلام للسائل وكشفه لمعناه، بأنّ أهاد ضمير «صورته» له، وإنما أضافها لكمال الاختصاص؛ لأنّ الله صوره ولم يقل: إنه كذب، أو لم يرد.

ولا ينافي ذلك ما ورد في الاحتجاج^(٣) والعيون^(٤)، مسنداً عن الحسين بن خالد، قال: قلت للرضا عليه السلام: يا بن رسول الله إنّ الناس يروون: أنّ رسول الله عليه السلام قال: (إنّ الله خلق آدم على صورته) فقال: (قاتلهم الله، لقد حذفوا أول الحديث، إنّ رسول الله عليه السلام مرّ برجلين يتسابان، فسمع أحدهما يقول لصاحبه: تبّع الله وجهك ووجه من يشبهك، فقال له عليه السلام: يا عبد الله، لا تقل هذا لأخيك، فإنّ الله تعالى خلق آدم على صورته) انتهى.

فالضمير حينئذ يعود إلى المسبوب، لا إلى الله، فلا إشكال حينئذ؛ لجواز أن يكون هذا حديثاً آخر، مع أنّ الإمام عليه السلام إنّما ردّ عليهم حيث تأولوا بما يلزم منه التشبيه، وحرّفوا الكلم عن مواضعه، فأجابهم بذلك. وهذا لا ينافي هذا الحديث، فإنّ لكلامهم وجوهاً، كلّها صحيحة، وألا فلو كان لا أصل له، أو لا وجه له بدون هذا السقط، لما خفي على أبي جعفر عليه السلام، وخاطب الرضا عليه السلام ذلك الرجل بذلك، لما علم من قوة معرفته، وأنهم عليهم السلام يخاطبون الناس على قدر عقولهم، وله نظائر، كما سمعت^(٥) في تفسير الصمد بالذي لا جوف له، مع نفي هذا التفسير في آخر، وإنما يستلزم التشبيه إذا فسّر بما يلزم التشبيه، أمّا بالوجه الآخر فهو موافق لسائر التفاسير، وقد مرّ لك.

وكذا الحديث^(٦) الحاكم بنزول الله في كلّ ليلة أو ليلة الجمعة، بأنّ المراد نزول أمره، وبدون أخذه بهذا المعنى ساقط، لا يقول به الرسول عليه السلام وآله عليهم السلام، وحاشاهم عليهم السلام من

(١) «ذكرى الشيعة» مخطوط، ص ٦٩.

(٢) «المحسن» ج ٢، ص ٤٥٣، ح ٢٥٦٠ «بهار الأنوار» ج ٧٦، ص ٢٧٥، ح ١.

(٣) «الاحتجاج» ج ٢، ص ٣٨٥. (٤) «عيون أخبار الرضا» ج ١، ص ١١٩، ح ١٢.

(٥) الباب الثامن عشر من هذا المجلد.

(٦) «الكافي» ج ٣، ص ٤١٤، باب فضل يوم الجمعة وليته، ح ١٦، «الفتية» ج ١، ص ٢٧١، ح ١٢٣٨.

التشبيه، فإذا قصد الإمام عليه السلام نفي ذلك المعنى الذي تأوله الجاهلون والكاذبون، والجواب يختلف على قدر السائل.

فعمل ابن طاووس على حديث العيون، وإن كان له أصل، حيث قال - كما نقل عنه -: «فأسقط بعض المسلمين بعض الكلام، فقال: (إن الله خلق آدم على صورته) فاعتقد التجسيم، فاحتاج المسلمون إلى تأويله، ولو نقل الحديث بتمامه استغنى عن التأويل». لا يخفى ما فيه، مع أنه لا يتوهم التجسيم إلا كل ذي عقل سقيم، بل ميت، وكم حديث وآية أولت بما لا يخالف محكم النص والقرآن وصحيح البرهان، مع أن الحديث - على نسخة العيون - قد تكلم فيه العلماء، وذكر بعض في الجواب عن هذا الحديث ونزله عليه، وهو عبر عن المتقدمين والمتأخرين.

فقوله عليه السلام في حديث العيون: [(لقد حذفوا)]^(١) أي حذفوا هذا المعنى، ونزلوه على آرائهم وهواهم الضال المضل. ثم ولو سلم، فلا مانع من أن نجعل له معنى، إذا لم يخالفه نص ولا اعتبار، بل هما فيه ظاهران، سالمان من الأخبار.

وقال محمد صالح في الشرح - بعد نقله لحديث العيون -: «وإنما لم يُجب الباقر عليه السلام بما أجاب به خلفه الطاهر الرضا عليه السلام، وحكم بعود الضمير إليه تعالى، وأن الإضافة للتشريف والاصطفاء للتبئية، على أن هذه الرواية - على تقدير صحتها - لا دلالة فيها على مطلوبهم، من أنه تعالى له صورة كصورة آدم»^(٢).

أقول: ولا يخفى عدم القرينة من الحديث على هذا التبئية.

إذا هرلت ذلك فاستمع لنقل جملة من كلام العلماء في بيان معناه، ثم بما ظهر لنا من كلماتهم وببركتهم عليهم السلام.

القول الأول: ما مر في الرواية الثانية، وذكر أيضاً في كنز الفوائد^(٣)، في تعداد الوجوه التي ذكرها فيه.

القول الثاني: ما في الكنز أيضاً: «أن الضمير عائد لله تعالى، والمعنى أنه خلقه على الصورة التي اختارها له تعالى، وقد يضاف الشيء إلى ما اختاره»^(٤) إلا أن فيه إجمال

(١) في النسختين: «فحذفوه».

(٢) «شرح المازندراني» ج ٤، ص ١٦٢، باختصار ما.

(٣) «كنز الفوائد» ج ٢، ص ١٦٧.

(٤) «كنز الفوائد» ج ٢، ص ١٦٧، بتفاوت.

الصورة وعدم بيانها.

القول الثالث: وهو في الكنز أيضاً: «أنه خلق آدم ﷺ على صورته التي شوهد عليها، لم ينتقل إليها عن غيرها، كتنتقل أولاده الذين يكون أحدهم نطفة، ثم حلقة، ثم مضغة، ويخلق خلقاً بعد خلق، ويولد طفلاً صغيراً، ثم يصير غلاماً، ثم شاباً، ثم كهلاً، وليس آدم كذلك، بل خلق على صورته التي مات عليها»^(١).

القول الرابع: وفيه ما لا يخفى، لأن صورته تنمو وتزيد في الأقطار، قال تعالى: ﴿إِنِّي خَالِقٌ بَشَرًا مِّن صَلْصَالٍ مِّن حَمَآءٍ مُّسْنُونٍ * فَإِذَا سَوَّيْتُهُ وَنَفَخْتُ فِيهِ مِن رُّوحِي فَقَعُوا لَهُ سَاجِدِينَ﴾^(٢) فله تنقل وظهور، ولقد كان خلقاً بغير روح، ثم أولجت فيه - كما سمعت - وأجرى فيه الطباع الأربع، كما قيل في حديث العليل^(٣) وغيره، وقوله تعالى: ﴿إِن مِّثْلَ حَيْسَتِي مِثْلَ اللَّهِ كَمَثَلِ آدَمَ﴾^(٤) لا ينافي الآية السابقة.

نعم في أحدهما إجمال، وكونه بغير أم لا ينافي، والمراد مطلق التصور والتخمين، والتنقل حاصل، كما يظهر لمن راجع روايات خلق آدم في مواضعها:

روايات خلق آدم ﷺ

ومنها: (فاخترت ربنا هرّ وجلّ غرفة بيئته من الماء المذب الفرات - وكلتا يديه يمين - فصلصلها في كفه حتى جمدت، فقال لها: منك أخلق النبيين والمرسلين، وعبادي الصالحين، والأئمة المهتدين، والدهاة إلى الجنة، وأتباعهم إلى يوم القيامة، ولا أبالي، ولا أسأل عما أفعل وهم يسألون).

ثم اخترت غرفة أخرى من الماء المالح الأجاج فصلصلها في كفه لجمدت، ثم قال لها: منك أخلق الجبارين والفراعنة والعتاة، وإخوان الشياطين، والدهاة إلى النار إلى يوم القيامة، وأشياهم، ولا أبالي، ولا أسأل عما أفعل وهم يسألون).

قال: (وشرطه في ذلك البدء، ولم يشترط في أصحاب اليمين. ثم خلط الماءين جميعاً في كفه فصلصلهما، ثم كفأهما قدام هرشه، وهما سلالة من طين. ثم أمر الله الملائكة الأربعة -

(١) «كنز الفوائد» ج ٢، ص ١٦٧، بتفاوت سير، صحناه على المصدر.

(٢) «الحجر» الآية: ٢٨ - ٢٩. (٣) «علل الشرائع» ج ١، ص ١٣٠، ح ١.

(٤) «آل عمران» الآية: ٥٩.

الشمال، والجنوب، والصباء، والذبور - أن يجولوا على هذه السلالة من الطين، فأمرؤها وأنشؤوها، ثم أنزوها وجزوها وفصلوها، وأجروا فيها الطبائع الأربع: الريح، والدم، والمرة، والبلغم.

فجالت الملائكة عليها، وهي الشمال، والجنوب، والصباء، والذبور، وأجروا فيها الطبائع الأربع: الريح في الطبائع الأربع من البدن من ناحية الشمال، والبلغم في الطبائع الأربع من ناحية الصبا، والمرة في الطبائع الأربع من ناحية الذبور، والدم في الطبائع الأربع من ناحية الجنوب). ثم ذكر ﷺ ما يلزم من كل واحدة، ثم قال أبو جعفر ﷺ: (وجدنا هذا في كتاب أمير المؤمنين ﷺ).

فخلق آدم ﷺ فبقي أربعين سنة مصوراً، فكان يمر به إبليس اللعين، فيقول: لأمر ما خلقت؟ فقال العالم ﷺ: (فقال إبليس: لئن أمرني الله بالسجود لهذا لأهصينه).

قال: (ثم نفع فيه، فلما بلغت الروح إلى دماغه عطس) ... الحديث^(١).

وكذا ما دل^(٢) على خلقه من أربع [طينات]^(٣) وأربع مياه.

وكلام علي ﷺ في النهج^(٤)، في بيان آدم، فيه إيماء إلى ذلك.

وربما يؤول (خلقته على صورته) أي على صورته العقلية، بحيث لم يعرض لها ما ينافي ذلك من الفواشي الطبيعية بخلاف غيره، فإنه أخذ إلى الأرض وأتبع هواه، إلا أنه حينئذ وجه مستقل، بعيد إرادته من ذلك اللفظ.

القول الرابع: خلق على صورة عنده^(٥).

القول الخامس: خلق الله آدم في الجنة على صورته في الأرض^(٦).

أقول: ولا يخفى ما فيهما من الإجمال، مع أنه لو عكس لكان أولى، مع عدم كشفه؛

لعدم التصريح بمعاد الضمير، وإن كان الظاهر إرادة صورة آدم.

القول السادس: قيل: ليست الصورة بأعجب من اليدين والأصابع والعين، وإنما وقع

الألف بها لمجيئها في القرآن، ووقعت الوحشة من هذه؛ لأنها لم تأت فيه، ونحن نؤمن

(١) «تفسير علي بن إبراهيم القمي» ج ١، ص ٦٧ - ٧٠، صححناه على المصدر.

(٢) «علل الشرائع» ج ١، ص ١٢، ح ١١ «بهار الأنوار» ج ١٠، ص ١٣، ح ٧.

(٣) في النسختين: «طين». (٤) «نهج البلاغة» الخطبة: ١.

(٥) و(٦) انظر: «غوالي اللآلئ» ج ١، ص ٥٣، الهامش.

بالجميع، من غير أن نقول فيه بحد أو كيفية^(١).

القول: وفي الحقيقة ليس فيه جواب، بل عجز عنه، فلو قال: لا أعرفه، لكان أولى، وإن أراد سدّ التأويل، وهدم تجويزه، فباطل، كيف وجميع ما أشار له مؤول، مع لزوم الصورة من الأصابع واليدين أيضاً وغيرهما، من ظاهر بعض الآي، لو أخذت ببعض المعاني اللغوية، لكنّه ليس الأمر كذلك، كما سبق.

القول السابع: أنّ المعنى (على صورته) التي في اللوح المحفوظ، وليس المراد بها الصورة اللفظية التقديرية الشكلية.

القول: كما قال وتكلم بكلام لا فائدة في تسويد البياض به، وغير ممنوع، كيف وهو بأصل خلقه إبداعي، فلا يخلق على صورة في اللوح أو في الجنة، كما قيل.

القول الثامن: ما ذكره ابن أبي جمهور في حواشي الغوالي، بعد نقله له في الأصل، وذكر في الحاشية وجوهاً لا تخرج عمّا سمعت، إلا أنه ذكر فيها وجهاً هو: «أن أصله لا تقبحوا الوجه، فإن الله خلق آدم على صورة الوجه».

فبعد أن وصفها بالبعد والضعف في بعض، قال: «والأحسن أن يقال: المراد بالصورة هنا الصورة المعنوية، كما يقال: صورة المسألة كذا، ويراد بها معناها، ويكون التقدير: إن الله خلق آدم على صورة معنوية تشبه به، وتناسب المعاني الإلهية، أي المشابهة في الصفات والكمالات والأفعال، فإن آدم مشتمل على صفات وكمالات مناسبة ومماثلة للصفات الإلهية من جهة ما.

وقال بعض أهل الإشارة: المراد بآدم في الحديث إن كان الإنسان الكبير، فهو العالم بأسره، وإن كان العالم الصغير فهو ولده الشخصي، لقولهم: العالم إنسان كبير، والإنسان عالم صغير، ويكون المراد أنه تعالى ليس له غير هذين المظهرين العظيمين، فمعنى أنه على صورته أن فيه تمام المظهرية، التي تظهر فيه الصورة الإلهية المعنوية بجميع صفاتها ولوازمها، إذ لا شيء أكمل من صورة الإنسان لمعرفة الله تعالى، ولهذا قال ﷺ: (من عرف نفسه فقد عرف ربه) ومراده خلقه على صورة كمالاته الذاتية، الجامعة للكمالات الأسمائية والصفاتية^(٢) انتهى.

(١) انظر: «غوالي اللآل» ج ١، ص ٥٣، هامش.

(٢) «غوالي اللآل» ج ١، ص ٥٣، هامش ح ٧٨، باختلاف، صححناه على المصدر.

أقول: وأصل مأخذه حق، إلا أنه يحتاج إلى تهذيب، كما سيظهر لك ممّا نلقيه لك، إن شاء الله تعالى.

القول التاسع: قول ملاً محسن في الشرح^(١)، وظاهره أنّ المراد بها المخلوق، وأضافها لنفسه لإظهار الشرف. ولكن كلامه في غيره لا يخرج عن كلام الصدر، وهو لا يخرج عن كلام بن أبي جمهور، وأنّ المراد بها الصورة الإلهية المستجمعة للمظاهر، ولكن لقولهم بوحدة الوجود والتجلي الذاتي للذات، يكون المراد حقيقة الله وصورته، أي ذاته، تعالى الله عن أقوال أهل التصوّف.

ولمحمد صادق في الشرح معنى فيه بعض الصواب ظاهراً، وفيه كفر، أرجع الصورة إلى الصفات الذاتية، بتعلقها بالإنسان الجامع للكمال، وهي لله، وله باعتبار الظاهر والمظهر، وأعرضنا عنه استعجالاً.

القول العاشر: وهو المختار، وبيانه يحتاج إلى تقديم مقدّمات ليسهل تناول:

[المقدمة الأولى]^(٢): أنّ الصورة تطلق على المحسوس الخارجي، وعلى المعاني المترتبة التي ليست بمحسوسة، إذ للمعاني ترتيب وتركيب، كما يقال: صورة المسألة كذا وصورة الواقعة كذا، على ترتيب الأشكال، ووضع بعضها مع بعض وتركيبها، وهي الصورة المحسوسة والمسموعة، وقد يقال للوجود الخارجي: شيء صورته في الخارج كذا، وللماهية العقلية: شيء صورته في العقل كذا، وعلى تمام الشيء: تمام الشيء في ذاته أو عرضه، فالنطق مثلاً صورة الإنسان، والبياض صورة الجسم الأبيض، وعلى الموجودات المجردة عن المادة، كما قال^(٣) في بيان العالم العلوي: (صور حارية عن المواد الحديث^(٤))، وعلى المثل الجامع للدلالات على شيء، والجامع لأمر متضادّة متخالفة.

[المقدمة الثانية]^(٥): قد عرفت وجوب تنزيهه تعالى عن الضدّ والندّ، والصورة والجوهر والعرض، وغير ذلك من صفات الإمكان، عقلاً ونقلًا، ومَرَّ لك البيان في الأبواب السابقة في غير موضع.

(١) «الوالي» المجلد: ١، ص ٤٦٥.

(٢) في النسختين: «أحدها».

(٣) «غرر الحكم ودرر الكلم» ص ٤٢٣، الرقم: ٧٥، صححناه على المصدر.

(٤) في النسختين: «ثانيها».

[المقدمة الثالثة] (١)؛ أن الموجودات مختلفة إحاطة وجامعية، ومرتبطة على أكمل وجه، كما اقتضته كمال العناية والحكمة على أكمل وجه، وكل (من تقرب [إلى الله] (٢) شبراً تقرب الله إليه ذراعاً)... الحديث (٣)، فيكون فيه ما في السابق كمالاً وزيادة، فاختلفت إحاطة الأسماء غيباً، وهي جهة الموجود الغيبية وجهة الوجودية، كما قال: ﴿كُلُّ شَيْءٍ هَالِكٌ إِلَّا وَجْهَهُ﴾ (٤) على بعض الروايات، وهو أن ضمير ﴿وجهه﴾ عائد للشيء، كما فهم من بعض روايات الصافي (٥) وغيره، فكل شيء دال على بارئه، فسبحان من دلت عليه أعلام الوجود على لسان أهل الجحود.

ونسي كل شيء له آية تدل على أنه واحد (٦)

(تجلن لها بها) (٧)... إلى آخره ﴿سَتْرِهِمْ آيَاتِنَا فِي الْأَفَاقِ وَفِي أَنْفُسِهِمْ﴾ الآية (٨)، وغير ذلك من الآيات والروايات.

[المقدمة الرابعة] (٩)؛ أشد الموجودات إحاطة الإنسان، ولذا ترى فيه النفوس الأربع وخواصها وأفاهيلها، وتتخلق بكل خلق وبكل صورة، فتارة أعلى من الملك، وتارة أخس من التراب، وهذا ظاهر محسوس مبرهن عليه، فكانت الأشياء مخلوقة له، كما قال تعالى: ﴿خَلَقَ لَكُمْ مَا فِي الْأَرْضِ جَمِيعًا﴾ (١٠) وغيرها. واستجماعه لظاهر الأسماء أشد من غيرها، وكذا الدلالة.

وعنه (١١) (الصورة الإنسانية هي أكبر حجج الله على خلقه، وهي الكتاب الذي كتبه بيده، وهي الهيكل الذي بناه بحكمته، وهي مجموع صور العالمين، وهي المختصر من اللوح المحفوظ... وهي الصراط الممدود بين الجنة والنار) (١٢).

وفيما نقل عن علي (عليه السلام):

- (١) في النسختين: «ثالثها».
- (٢) من المصدر.
- (٣) «مسند أحمد بن حنبل» ج ٣، ص ٤٠.
- (٤) «القصص» الآية: ٨٨.
- (٥) «التفسير الصافي» ج ٤، ص ١٠٩.
- (٦) «ديوان أبي العتاهية» ص ١٢٢، وفيه: «الواحد» بدل: «واحد».
- (٧) «نهج البلاغة» الخطبة: ١٨٥.
- (٨) «فصلت» الآية: ٥٣.
- (٩) في النسختين: «رابعها».
- (١٠) «البقرة» الآية: ٢٩.
- (١١) «الجللي» طبعة حجرية، ص ١٦٩، صحناه على المصدر.

دواؤك فسبك وما تبصر
وتزعم أنك جرمٌ صغير
وأنت الكتابُ المبين
حروف معانيك لا تنفري

وداؤك منك وتستكبر
وفيك انطوى العالم الأكبر
الذي بأحرفه يظهر المضمّر
لذي اللب كلاً ولا تظهر^(١)

وفي الاختصاص للمفيد، في خلق الإنسان، قال عليه السلام: (خلق الله عالمين متصلين: فعالم علوي وعالم سفلي، ورتب العالمين جميعاً في ابن آدم، وخلقته كروياً مدوراً، فخلق الله رأس ابن آدم كقبة الفلك، وشعره كمدد النجوم، وحينيه كالشمس والقمر، ومنخرية كالشمال والجنوب، وأذنيه كالمشرق والمغرب، وجعل لمحه كالبرق، وكلامه كالرعد، ومشيه كسير الكواكب، وقعوده كشرنها، وحنفه كهبوطها، وموته كاحتراقها، وخلق في ظهره أربعة وعشرين فقرة، كمدد ساعات الليل والنهار، وخلق الله ثلاثين معى، كمدد الهلال ثلاثين يوماً، وخلق الله له اثني عشر عضواً [كمدد السنة اثني عشر شهراً، وخلق له ثلاثمائة وستين هرقاً، كمدد السنة ثلاثمائة وستين يوماً، وخلق له سبعمائة عصبه واثني عشر عضواً^(٢)] وهو مقدار ما تقيم الجنين في بطن أمه، وهجنه من مياه أربعة، فخلق المالح في حينيه، فهما لا يذويان في الحر، ولا يخمدان في البرد، وخلق المر في أذنيه لكيلا تقربها الهوام، وخلق المنى في ظهره لكيلا يعتريه الفساد، وخلق العذب في لسانه، فشهد آدم أن لا إله إلا الله، وخلق بنفس وجسد وروح، فروحه التي لا تفارقه إلا بفراق الدنيا، وبنفسه التي يرى بها الأحلام والمقامات، وجسمه هو الذي يبلى ويرجع إلى التراب) كمل الحديث، انتهى^(٣).

[المقدمة الخامسة]^(٤): أفراد الإنسان مختلفة في هذه الإحاطة وفعاليتها، بل بحسب ما يغلب على كل فرد، إن كان ذا أجنحة متكررة وأنواع مشتمل عليها، فكل فرد عالم، ولكنها مترتبة متعكسة، كمرابا متقابلة مختلفة جامعة كذلك، فليس ما أشرنا لك يظهر في كل فرد فعلاً، فجميع تلك الأنواع والأجناس تنتهي إلى الإنسان الكامل، فهي دائرة مفردة، أهني به: محمد عليه السلام وآله عليهم السلام، فهو آدم الكلبي، وهو غاية كل شيء وله كل شيء، وجميع

(١) انظر: كتاب «من الشعر المنسوب إلى الإمام علي عليه السلام» ص ٧٥.

(٢) لم ترد في «الاختصاص»، ووردت عنه في «بهار الأنوار» ج ٥٨، ص ٢٥٣، ج ٦.

(٣) «الاختصاص» ضمن «سلسلة مؤلفات الشيخ المفيد» ج ١٢، ص ١٤٢ - ١٤٣، صححناه على المصدر.

(٤) في النسختين: «خامسها».

الأرواح وغيرها من فاضل طيبته وروحه، فله مرجع الكل، ويرتبط به، وهو كمال الوجود - إلا الواجب الحق - ومستجمع له، وواسطة للافاضة والتعليم.

فهم الأسماء الحسنى - كما سمعت في تفسير^(١): ﴿ وَهُوَ الْأَسْمَاءُ الْحُسْنَى ﴾^(٢) - والمثل الأعلى لله، كما في الجامعة^(٣)، ولا مثل أعلى منه، فقلبه محل مشيئته [وصفته].

وعنهم^(٤): (نحن محال صفات الله، وبابه الذي لا ينال شيء إلا بواسطة). (وشيء) هام، ولذا قال تعالى: ﴿ وَمَا تَشَاوِرُونَ إِلَّا أَنْ يَشَاءَ اللَّهُ ﴾^(٥) إذ مشيئتهم مشيئته [٥] ومشيئته نفس الوجود المطلق وفعله، وهو قلبه ﷻ، كما سمعت في الإرادة، وسيأتي فيها إن شاء الله تعالى، فهم الآيات المعظام ونعمه الجسام وخزائنه، فلا يشذ عنها شيء.

وورد في تفسير قوله تعالى: ﴿ سَنُرِيهِمْ آيَاتِنَا فِي الْآفَاقِ ﴾^(٦): (نحن الآيات)^(٧) و﴿ الحق ﴾ (القائم)^(٨). وهذا على باطن التأويل، فللقرآن بطون.

وفي التوقيع، كما في الاحتجاج: (نحن صنائع ربنا، والخلق بعد صنائعنا)^(٩).

وعنه^(١٠): (لولا ما خلقت الافلاك)^(١١) و(خلقتك لأجلي، وخلقت الأشياء لأجلك)^(١٢).

والأحاديث الدالة كثيرة، فيكون في الحقيقة هو الفعل، والصفة التي ظهر بها في كل فرد، وعينه وبابه، وهو المعلم للأسماء كما هي، وجوداً وفعلاً.

ومثل: (خلقتك لأجلي) قوله تعالى: ﴿ وَاصْطَنَعْتُكَ لِنَفْسِي ﴾^(١٣) ﴿ وَلِتُصْنَعَ عَلَيَّ

عَيْنِي ﴾^(١٤) وإن كان الكل بقدرته ممسكاً، وتجري الأشياء بأعينه، وهم عين الله الناظرة

(١) «تفسير العياشي» ج ٢، ص ٤٥، ح ١١٩، «الكافي» ج ١، ص ١٤٤، باب النوادر من كتاب التوحيد، ح ٤.

(٢) «التفسير الصافي» ج ٢، ص ٢٥٥. (٣) «الأعراف» الآية: ١٨٠.

(٤) «تهذيب الأحكام» ج ٦، ص ٩٦، ح ١٧٧. (٥) «الإنسان» الآية: ٣٠، «التكوير» الآية: ٢٩.

(٦) «فصلت» الآية: ٥٣. (٧) ليست لي «ب».

(٨) «كامل الزيارات» ص ٥٤٣، ح ٨٣٠، وفيه: (فأي آية في الآفاق غيرنا، أراها الله أهل الآفاق).

(٩) «تأويل الآيات الظاهرة» ص ٥٢٧، وفيه: ﴿ حَقٌّ يَبَيِّنُ لَهُمْ أَنَّهُ الْحَقُّ ﴾ أنه القائم.

(١٠) «الاحتجاج» ج ٢، ص ٥٣٦.

(١١) «بحار الأنوار» ج ١٥، ص ٢٨، ح ١٤٨، ج ٥٤، ص ١٩٩، ح ١٤٥.

(١٢) «علم اليقين» ج ١، ص ٣٨١، بتفاوت يسير. (١٣) «طه» الآية: ٤١.

(١٤) «طه» الآية: ٣٩.

التي نظر الله تعالى بها للعالم، كما تواتر ذلك معنى في الرواية^(١).

نتيجة البحث

فاستبان من ذلك أن الإنسان الكامل له ارتباط بالكل، ولكل نوع من العالم نسبة له، خاصة بمقام منه، كالجنس وأنواعه، وحيث كان التجلي فيه والظهور بجميع الأسماء - من (البديع) (المذل) و(اللطف) وغير ذلك - كانت جميع الأشياء من فاضل طيبته [ومرتبته]^(٢)، فأولاً قُسم نصفين، هو النور المحمدي والعلوي، ثم قُسم ثانية، حتى ظهرت الأئمة عليهم السلام - وكل ذلك تجلٍ، وهو معنى القسمة في عالم الأنوار - ثم من فاضلهم الأنبياء، ثم الأولياء، ثم سائر المؤمنين على مراتبهم.

والجهل المركب ومراتبه فاضل الكل، فهو [الحثالة]^(٣) وضده، ومعلوم أن بعد القسمة تكون الطينة أكثر من واحدة، وطيبنتهم خاصة بهم لم يخلق منها غيرهم، لاختلاف الذاتيات، وحينئذ اللوازم، وإن كانت هي الأصل، وما سواهم من فاضلهم على الترتيب، فحينئذ طيبته الخبيثة من فاضل آخر المراتب، وكذا سائر المعادن والنبات، فالنخل من فاضل الإنسان، وهكذا الخبيث للخبيث، والطيب للطيب، فهو نسخة الوجود وخزانة المعبود، فالكل منتسب له بوجه، فصَحَّ ما ورد: (الروح من فعل صاحبكم)^(٤)، وأنه مكلم موسى^(٥).

وفي البصائر^(٦) ما معناه: أن جماعة من الشيعة وراء العرش، تجلئ من نورهم مثل سمّ الأبرة لموسى، فتقطع.

وما جرى هذا المجرى من الروايات، وما ورد^(٧) أنه [تناول]^(٨) في كفه اليسرى كتاب أهل الجنة وأسمائهم وأسماء آبائهم، وأهل النار في الشمال كذا. فعليه دارت رُحى

(١) «بصائر الدرجات» ص ٦٢، ح ١٧؛ «التوحيد» ص ١٦٧، ح ١١؛ «بحار الأنوار» ج ٢٤، ص ١٩٨، ح ٢٥.

ج ٢٦، ص ٢٤٠، ح ١٢؛ ص ٢٤٧، ح ١٣، ١٤. (٢) في «أ»: «ومرتبة».

(٣) في «أ»: «المثاله».

(٤) «الاختصاص» ضمن «سلسلة مؤلفات الشيخ المفيد» ج ١٢، ص ٣٢٧، نقله بالمعنى.

(٥) «مشارق أنوار اليقين» ص ١٦١، وفيه عن أمير المؤمنين عليه السلام: (وأنا الذي حاورت موسى في البحر).

(٦) «بصائر الدرجات» ص ٦٩، ح ٢. (٧) «بصائر الدرجات» ص ١٩٢، ح ٦.

(٨) في النسختين: «قال».

أهل الوجود، وبه نزل الغيث وأجيبت الدعوة، وكشف الضرّ وغير ذلك، كما تنبى عنه الجامعة^(١)، وغيرها من الزيارات والروايات، كما تظهر لمتتبع الأصول والبصائر وغيرهما، والخطب والدعوات.

فقلبه العرش ومحل الاستواء، والروح الكليّة التي تنزل بها الملائكة كلّهم، فإنه جمع محلّي بـ«أل»، ويقابل الكرسي بنفسه، ومحل ظهور غيب العرش، بل عقله العرش ونفسه الكرسي غيباً، ومقام سدرة المنتهى منشؤها قلبه، وإليه المنتهى، وفي كلّ بيت من بيوت الجنة غصنٌ منها متدلّ.

ولا تظنّ أنّي لم أرد الظاهر، ولكن أقول: لا ظاهر إلاّ باطن، ولا شهادة إلاّ بغيب، كما ورد في تفسير الماء والفاكهة الغير المقطوعة: ([العالم] وما يخرج منه)^(٢)، مع حقيقة الظاهر، ويقابل الهيولى مقابلته، وهي الأرض بالنسبة لذلك المقام، ويقابل المكوّكب بمذكرته - فقد علم كلّ شيء، ممّا كان أو يكون - ويقابل السماء السابعة بهمته، والسادسة بوجهه، إلى القوى السبع.

والشمس مقام الحياة تفيض على كلّ بوجه، وظاهر جسده مقابل الأرض، وبت الشعر في مقام دون آخر، مثل الأرض النابتة والتي لم تنبت، ويقابل العناصر بطبائع جسده الأربع، وكذا المواد الأربع: البلغمية، والسوداوية، والصفراوية، والدموية، وسبقت الإشارة له في حديث الاختصاص، وأظن في العلل أيضاً دليل عليه، ولا يحضرني الآن.

والأرضين السبع بمقام المادّات والشهوة، والغضب لله تعالى، والتكبر على المتكبر الختال وغير ذلك، بحسب حيوانيته وقواها، يقابل أنواع الحيوانات، وكذلك في سائر الموجودات، إذ له صفات هرضية وظهورات حسيّة، وللملائكة الأربعة نسب ومحتدّ له، مترتبة من مقام عقله وأهلاه وما دونه.

ويقابل عالم الخيال بخياله، بل خياله هو الخيال المطلق. فاكتف بالإجمال، فإنّ تفصيل هذه المقدمات، مع دلائلها العقلية والنقلية، تحتاج إلى مجلّد كبير، وقد يؤول إلى ما لا يجوز إظهاره، فما كلّ ما يعلم يقال.

إذا هرقت ذلك واستنار به سرّك، فلك أن ترید بالصورة المثال الأهلّي، أو النسبية

(١) «تهذيب الأحكام» ج ٦، ص ٩٩، ح ١٧٧.

(٢) «بحار الأنوار» ج ٢٤، ص ١٠٤، ح ١١، والزيادة من المصدر.

المعنوية الجامعة للكُلِّ، والدالة عليه بكلِّ دلالة، فهو مخلوق على الصورة الكاملة، وقد عرفت بسطها إجمالاً. أو تريد بها صورة التوحيد، وهي النور المشرق من صبح الأزل، كما في كلام علي عليه السلام لكميل^(١). أو المثل الملقى في الحقيقة، وهي الحقيقة، وفي كلامه عليه السلام لبيان العالم العلوي: (وألقي في هويتها مثاله، فأظهر منها أفعاله)^(٢).

والصفة التي أظهرها الله لخلقه، وعرفهم بها نفسه، بما تعرف لهم بهم، هي أصل فطرة الخلق وفطروا عليها، وما وقع بعد - من الاوجاج والمكس - فمن العمل بخلافها. ومرجع هذه العبارات إلى واحد، وعرفت أن (الصورة الانسانية أكبر حجج الله)، فهو على صورته بأحد هذه المعاني، وعرفت الوجه في عود الضمير لله، من حديث الأصل وغيره، بما لا يوجب تشبيهاً، وإن أهدته لآدم فلا منافاة؛ لأنه (تجلّى لها بها)^(٣) و (خلق المشيئة بنفسها)^(٤) فتدبر.

فإن أردت بآدم ما يكون ذلك فيه بالفعل، بحيث لا [يشذ عنه]^(٥) شيء من عالم الإمكان، فهو محمد عليه السلام. وإن أردت مطلق آدم وجنسه تحقق في الكل، وإن تفاضلوا في ذلك، فهم كمرابا متقابلة، كما عرفت، ولا شبهة حينئذ في نسبة هذه الصورة له، إذ لا أقرب منها، وقد نسب فعلها له، كما قال: ﴿ وَمَا تَشَاوِرُونَ إِلَّا أَنْ يَشَاءَ اللَّهُ ﴾^(٦) ﴿ وَمَا زَمَيْتَ إِذْ زَمَيْتَ ﴾^(٧) الآية ﴿ إِنْ الَّذِينَ يُبَايِعُونَكَ ﴾^(٨) الآية.

وعنهم عليه السلام: (بنا عرف الله)^(٩) و (معرفةنا معرفة الله)^(١٠) وغير ذلك من الآيات والروايات. فظهر الوجه في الاصطفاء، والله أعلم بالمكان المستحق للرسالة، والنسبة له، وكونه دالاً ومثالاً، فافهم.



(١) «جامع الأسرار» ص ٢٩. (٢) «الغرر والدرر» ص ٤٢٣، الرقم: ٧٥.

(٣) «نهج البلاغة» الخطبة: ١٨٥.

(٤) «الكافي» ج ١، ص ١١٠، باب الإرادة.. ح ٤، «التوحيد» ص ١٤٨، ح ١٩، بتفاوت يسير.

(٥) في النسختين: «يشده». (٦) «الإنسان» الآية: ٣٠، «التكوير» الآية: ٢٩.

(٧) «الأفعال» الآية: ١٧. (٨) «الفتح» الآية: ١٠.

(٩) «بصائر الدرجات» ص ٦٤، ح ١٦، «التوحيد» ص ١٥٢، ح ١٩، «بهار الأنوار» ج ٢٦، ص ٢٦٠، ح ٣٨.

(١٠) «بهار الأنوار» ج ٢٥، ص ٢٣، ح ٣٨، وفيه: (ومن عرفنا عرف الله).

الباب الثاني والعشرون

جوامع التوحيد

مركز تحقيق الكمبيوتر علوم إسلامي



مرکز تحقیقات کامپیوتر علوم اسلامی

أقوال حول الباب

أقول أي في نقل بعض ما برز منهم في بيان التوحيد، جامعاً له من جهة بيان الوحدة والصفات الكمالية والجلالية، وإبطال المذاهب الباطلة، فما سبق وإن فهم منه، لكن أكثره في بيان مسألة هي ما يسأل السائل عنها، ولهم ~~في~~ خطب وكلام متصل كالخطب، يجمع كل البيان بأوضح برهان، وقد نقلت لك شطراً في زوايا الحواشي، وعسى أن أنقل لك بعد.

وفي النهج والتوحيد ونهاية البلاغة - وفي الروضة أيضاً - جوامع، ولا شك أنهم معدن الحكم والكلم، وبكلامهم يشفى سقم النفوس، ويستنير بنور القدس، وتخرج صاعدة من هاوية الرسم، فتأمل لإشارات كلامهم، فهي جوامع كلم وحكم.

واعلم أنني أقرُّ لك بأنِّي قاصر عن شرح كلامهم وبيانه بأوضح بيان، ولو كان لكان كل خطبة وكلام يحتاج إلى مجلد ضخم، ولكن بقدر اليسر، ومع ذلك فقد اختصر كثيراً لما معي، وهو نزر حقير، كما يظهر لمراجع ما سبق ويأتي، مع ابتلائي بالبحث مع الصلأ وأمثاله، من أهل التصوف.

وهذا هو الباب [الثاني] ^(١) والعشرون من كتاب التوحيد، وأحاديثه سبعة.

(١) في النسختين: «الواحد».

□ الحديث رقم ﴿ ١ ﴾

قوله: ﴿ محمد بن أبي عبد الله، ومحمد بن يحيى، [جميعاً] رفعاه إلى أبي
عبدالله ﷺ: أن أمير المؤمنين ﷺ استنهض الناس في حرب معاوية في
المرّة الثانية، فلما حشد الناس قام خطيباً، فقال: الحمد لله الواحد الأحد،
الصمد المتفرد، الذي لا من شيء كان، ولا من شيء خلق ما كان ﴾.

أقول: افتتح ﷺ كلامه بالحمد المعرف، لأجل الاستفراق لجميع الأنواع والأشخاص؛
ولأنّ بحمده يحمد كل شيء، وكذا تسميته، كل بمقامه، وفتح الكتاب بالحمد، وكل شيء
يسبح بحمده، فكل يحمده ويسبّحه به، بما عرفه بما ظهر له به، لا بحمد الذات للذات،
حيث لا محمود وحامد وحمد ومبين. وقال ﷺ: (لي لواء الحمد، وعليّ حامله) (١) ولذا
اشتق منه اسم محمّد، فهو المحمود، والحمد مجامع الصفات.

ومعنى قولي: حمد الذات نفسها: أنّ لها معنى الثناء والكمال، حيث لا [مُشني] (٢)
وحامد وحمد، وهي كينونة الذات على ما هي عليه ولا تزال، مع تجرّدها عن التعبير
والعبارة والوصف والتوصيف، فإنّه مقام حدوث ومعرفة وتعريف. ولجمع الحمد
للصفات التي بها يحمده، أتبعه ﷺ بها، وإبتداء القرآن بالحمد، وكذا آخر دعوى أهل الجنة.
وورد: (كل أمر ذي بال لم يبدأ فيه بحمد الله فهو أتر، أقطع) (٣) أي محقّق البركة، وهذه
البدأة إضافية أو حقيقية، لخباء الاسم فيه.

وفي كشف الغمّة، عن الصادق ﷺ - أو الجواد - : (فقدّ أبي بغلة له، فقال: لئن ردّها الله
تعالى لأحمدنّه بمحامد يرضاهما، فلما أتى بها واستوى عليها، وضم إليه ثيابه، رفع رأسه إلى
السماء وقال: الحمد لله، ولم يزد، ثم قال ﷺ: ما تركت ولا بقيت شيئاً، جعلت كل أنواع المحامد
له عزّ وجلّ) (٤).

وفي تفسير العسكري، عن عليّ ﷺ، لما سُئل عن هذه الجملة، فقال: (إنّ الله عزّ

(١) «بهار الأنوار» ج ٣٩، ص ٩٠، ح ٣. (٢) في «ب»: «شيء».

(٣) «سنن ابن ماجه» ج ١، ص ٦١٠، ح ١١٨٩٤ «المعجم الكبير» ج ١٩، ص ٧٢، ح ١٤١، بتفاوت يسير.

(٤) «كشف الغمّة» ج ٢، ص ٣٢٩، عن الصادق ﷺ، بتفاوت، صححناه على المصدر.

عباده بعض نعمه عليهم جملاً، إذ لا يقدرّون على معرفة جميعها بالتفصيل، لأنها أكثر من أن تحصى أو تعرف، فقال لهم: قولوا: الحمد لله على ما أنعم به علينا^(١).

وعن الصادق عليه السلام: (ما أنعم الله على عبد بنعمة، صغرت أو كبرت، فقال: الحمد لله، إلا أذى شكرها)^(٢)، والحمد الاختياري بلسان المقال والحال.

والمقام المحمود هو الجامع لأنواع الحمد، ولم يحمد الله بكلّ لسان، كما ينبغي بما ظهر، إلا محمّداً وآله على مراتبهم، وهو بمقام لا يسهه غيرهم عليه السلام.

والحمد أهم من الثناء والمدح، ولهذا اختير دون غيره، ولم يذكر عليه السلام فرداً؛ ليعمّ كلّ فرد، وهو عام، وإن كان لا يظهر إلا مقيداً، ولذا أسند الحمد إلى اسم (الله) دون سائر الأسماء؛ لأنه المعبود بالحق، والمستولي على ما دقّ وجلّ.

والحمد وصف الألوهية الظاهرة، واستادها إليه انسلاخ العبد عن نفسه وإنيته، بل بجهة نظره للظهور بعلمته، مع مراعاة المظهر من حيث الظهور. ولما كان أصل وضع (الواحد) للصفة الفعلية - وهي الصادر الأول، ولا يدلّ بها على الذات الأحادية المجردة عن جميع أنحاء الكثرة، كما في الوحدة العددية - أتبعه بـ (الأحد)، ليندفع الشكّ، فلا كثرة فيه بوجه أصلاً، ويتفرّده نفي مشابهة الغير له، بنوع مماثلة أو غيرها، ولو بالمنافاة، فلا يصل لذاته أحد من خلقه، بثبوت ولا نفي.

ويقوله: (لا من شيء كان) نفي كونه من شيء، أو على شيء، أو لشيء، أو في شيء، فلا قيام لذاته بغيره، لا قيام لزوم ولا اتحاد ولا ركنية ولا عروض ولا ظهور. وبه بطل مذاهب كثير من أهل الضلال، ومنهم القائلون بكمون العالم في غيبه، وكون الأعيان ثابتة غير مجعولة، فإنه يكون في خلقه من شيء وعلى شيء، وله معاون ومشارك، فإن قالوا: هي لا شيء بكلّ اعتبار، بطل قولهم.

وكذا قوله: (ولا من شيء خلق ما كان) يبطل هذه الأقوال أيضاً، وأن يكون معه فضاء موهوم أو محقق، ولا خلق من لا شيء، فتجعل العدم مادة للوجود، فإنه باطل، ويلزم كثير من أهل الكلام والمتصوفة^(٣).

(١) «التفسير المنسوب للإمام العسكري» ص ٣٠، ح ١١ بتفاوت، صححناه على المصدر.

(٢) «الكافي» ج ٢، ص ٩٦، باب الشكر، ح ١١٤ «بحار الأنوار» ج ٦٨، ص ٣٢، ح ٩.

(٣) مرّ عرض هذه الآراء مع ردّها في المجلد الثالث، باب حدوث العالم وثبات الهدى.

وقال محمد صادق، في حديث* أبي هاشم الجعفري: «إن الذات مع صفة العلم مرتبة الغيب، وهي مرتبة الأحدية، وبسريانها في الكل تسمى مرتبة الواحدية، والوحدة المعنوية كون الذات - لا بأمر زائد - فائضاً على ذاته بذاته».

أقول: ونحوه في كلامه كثير، وهذا ضلال، جعل الذات محل الاختلاف والاعتبارات، وأقام صفة الخلق في الخالق، وكذا ما قاله أستاذه في الفرق بين الأحد والواحد، وسبق بيان الصمد وغيره، وسيأتي إن شاء الله تعالى.

وقال محمد صادق في شرح الحديث: «الله اسم للذات، بشرط [كونها مقصودة للغير، فهو من لوازم الإحاطة. والمتفرد اسم للذات بشرط كونها]»^(١) بلا شريك [والاسمان يدلان على الذات المنزهة عن الغير في حقيقته ومحيطه بالغير».

أقول: جعل الذات بحقيقتها معتور لهذه الاعتبارات والكثرات، وكله ضلال، بل هذه مراتب خلق بحسب ظهور الذات بفعاليتها، وللوسط محل آخر.

قال: «والأحد اسم للذات الموجودة بلا شرط الإحاطة، والصمد اسم للذات بشرط كونها بلا شريك»^(٢).

أقول: ما فيه ظاهر مما سبق، *مركز تقيت كمبيوتر علوم إسلامي*

قال: «وقوله: (الذي لا من شيء كان) ذات بلا شرط الإحاطة، لأنه تعالى في الإحاطة يتصف بأنه من شيء خلق بالعرض، وبتبعية المظاهر.

(ولا من شيء خلق ما كان) هو الذات بشرط الإحاطة، فإحاطة الذات المقدس أزيد من عدم شرط الإحاطة في عبارته عليه السلام، وهذا يدل على أنه عليه السلام، يرى الحق في الخلق أكثر من أن يراه بلا خلق دائماً، أو في حين خطبته عليه السلام».

أقول: كله ضلال من جهة اعتبار هذه القيود في الذات المنزهة، وبلا شرط الإحاطة قيد، والله لا يتصف بأنه من شيء مطلقاً، فهو تكذيب لله ولرسوله، ولا يتبع غيره، لكنه على قواعده: ذاته وعلمه وإيجاده تبع المظاهر، وهي الأهيان الثابتة.

(*) هو الحديث السابع من باب معاني الأسماء واشتقاقها، وقد مر شرحه في هذا الجلد.

(١) في «ب»: «إلهاً لما سواه جميعاً، والواحد اسم للذات الإله بكونها».

(٢) من «ب».

قوله: «(ولا من شيء)»... إلى آخره، بهذا الشرط يكون مادة لما خلق [وكذا ما أثبتوا من الأهيان ومقتضياتها الذاتية، تكون مادة لما خلق] ^(١) فإن الخلق يكون مقسوماً بينه تعالى وغيره، وصرّحت به المتصوّفة في أشعارهم، ومنها:

فسلوا، ولولنا
لما كان الذي كانا ^(٢)

... إلى آخره، وسبق من كلامه - والملا - ما يدل عليه، وبأتي.

والإمام لا يرى الذات ولا يحيط بها علماً، وإنما يراه بآيات ظهورها، إمّا بنفس الظهور، أو بظهوره المقيد، أو بالقيّد الظاهر، وأقسام الرؤية كثيرة، وكلّها ترجع إلى الذات. وما نسبة إلى الإمام افتراء عليه، وكذبه الإمام وأبطله، مع أنه على طريقته الباطلة جمل الإمام في الأنزل، لا في أهل المراتب، وهو دائماً ما رأى شيئاً إلا ورأى الله قبله أو معه، كما روي ^(٣)، وهي رؤية آية ودلالة، لا رؤية إحاطة، والتقسيم إشارة إلى أنها مراتب.

قال: «وأما كونه تعالى لا من شيء كان فظاهر، لأنه لو كان من شيء، فيلزم أن يكون الشيء قبله بالعلية أو بالطبع، وهذا يناقض وجوب الوجود».

أقول: على قواعدهم يكون تعالى من شيء، ولو بحسب الصفات الذاتية، وهو كاف ويرجع إليها؛ لإبانتهم تبعية العلم [للمعلوم] ^(٤)، وإبانتهم معلوماً أولاً، هي الصور العلمية والأهيان الثابتة، وإبانتهم الإجمال في الذات والتفصيل، وكون الخلق مرآة للحق وبالعكس، ونحو ذلك من قواعدهم.

قال: «وأما خلق ما كان من ما سواه، لا من شيء، فلما مرّ من أن جميع ما سوى الله حيوان واحد، والمجموع من حيث إنه مجموع ليس من شيء من الممكنات، وإن كان [شيئاً] ^(٥) منها فهو داخل في المجموع، فلا يبقى شيء يخلق المجموع منه.

أو يقال: إن كلّ معلول، وإن خلق من علته، وهي شيء، إلا أن علته من رشحات فيضه، ومن أشعة نوره، وليس غيره يخلق، بل هو في الحقيقة منه تعالى، فليس شيء مباين يخلق كلّ مخلوق منه.

(١) ليست في «ب».

(٢) «فصوص الحكم» ص ١٤٣.

(٣) «علم اليقين» ج ١، ص ٤٩، وفيه: (مارأيت شيئاً إلا ورأيت الله قبله).

(٤) في «أ»: «المعلوم».

(٥) في النسختين: «شيء».

أو يقال: فاعل الأشياء هو الله، والعلل شرائط، ليست بفاعلة للمخلق وللفاعل؛ لأنها هدمات في ذاتها، وموجودات بالله، فمن لم يكن في ذاته مستقلاً في الوجود، فكيف يفيض الوجود على غيره؟

فلا شيء - أي لا فاعل - خلق منه ما كان ممّا سواء منه، إلا أن ما سواءه، وإن لم يكن فاعلاً للمخلق، إلا أنها شرائط، والشرائط أجزاء للعلّة الثامة، فلكل منها دخل في خلق المعلول، فما سواء تعالى - كل منها - كما يخلق لا من شيء من وجهه، فيخلق من شيء من وجهه. أقول: عرفت - كما سبق - أنه يلزمهم خلقه لما سواء من شيء، وأن يكون له شريك في الخلق، والمجموع من حيث هو مجموع ممكن، وليس هو الله حتى يكون ليس من الممكنات، ولا قديم آخر، وله مادة هي نفسه المجمعولة إبداعاً، وليس من شيء آخر، وسمعت: (خلق الله المشيئة بنفسها، ثم خلق الأشياء بالمشيئة) (١) والمجموع داخل في الإمكان لا في تفصيله.

قوله: «أو يقال... إلى آخره، المعلول لا يخلق من علته، وإلا كانت له مادة، فيكون خلقها منه، إما بالتجلي الذاتي، أو من جهة الاستجنان فيه والكمون أو اللزوم، كالشجرة في التواة، أو الحرارة والنار، ولا خفاء في بطلان ما قلب به كلامه، ومراده كما لا يخفى. قوله: «أو يقال: فاعل... إلى آخره، في ظهور البطلان كما سبق، وخلق ما سواء بإذنه في خلق غيره، بخلافه، فخلق لا من شيء، بل بنفس المخلوق، ولا من ذاته - بانفصال وتوليد أو تجل ذاتي - بل بإشراق فعلي ظهوري.

قال: «بل نقول: كل مخلوق حادث عن علته باللزوم والوجوب، وليس الله ينفعل عن شيء، ويحدث علم الخلق عنه، ثم يخلق، فعلمه تعالى لخلق كل شيء فعلي، لا انفعالي يستفاد عن شيء آخر، كما أن النقاش إذا أحدث صورة ينفعل أولاً عن مثال، ثم يحدث مثله في الخارج، وليس تعالى كذلك، وأعلى الأشياء التي يكون ما سوى الله تعالى يخلق منه، وهو القدرة، فهي غاية طرف المغايرة، وهي وإن كانت عين الذات من وجهه، إلا أنها تتعلّق بالمقدورات، فهي مخلوقة باعتبار التعلّق».

أقول: ليس حدوث المعلول عن ذات علته باللزوم والوجوب السابق، إذ لا تقوم بالله

(١) «الكافي» ج ١، ص ١١٠، باب الإرادة، ح ٤، وسبق في: «هدي العقول» ج ٥، باب ١٤، ح ٤، صححناه عن المصدر.

اللوازم، وألا لزم إما تعدد القدماء، أو قيام الحوادث به، وقيام صفات الإمكان فيه لزم على كل فرض، وأين المعلول وذات العلة؟

نعم، له ارتباط ومناسبة بفعلها، والفرق ظاهر، ووجوب المعلول بالجعل والإيجاد، المجمعون بنفس ذلك الوجود الإمكانى في مقامه، ولا وجوب سابق بالنسبة إلى علته، وإن توهمه قوم.

وإذا لم يتفعل عن شيء، فكيف يكون له لوازم، ويكون كل الوجود؟ فتقوم به الحدود الإمكانية ولو اعتباراً، وهو منزّه عنه حتى اعتباراً في علمه، كما أنه ليس بانفعالي، فليس بفعلى [أي بالفعل لا بالقوة] ^(١) لإيجابه حضور المعلوم، فيكون عالمًا إذ معلوم، أو الرجوع بالآخرة إلى كون العالم نفس المعلوم، ويؤول قوله إليه؛ لأنّ عنده هو تعالى كل الوجود، وقوله بالمناسبة والرابطة.

بل علمه الذاتى نفس ذاته، ليس من قسم الفعلى ولا الانفعالى، لا يدرك بوجه، ولا معه معلوم بوجه، وليس من وجد المعلوم استحق العلم، بل هو علم وإن لم يوجد، وإنما وجوده دلّ عليه، وأين الدليل والمذلول؟ فهو يعلم الأشياء في مواضع إمكانها وأكوانها، وهذا الثانوى فعلى انطباقى نفس المعلوم، فافهم.

وقوله في القدرة ساقط في القدرة الإمكانية، فضلاً عن الوجوبية الذاتية، التي لها حكم الذات ووجودها، من كل وجه مطلقاً، فتأمل، ولا تتبع السبل فتتفرق في تيه الضلال.

فائدة

لقد هبّ عليه السلام عن نفي حدوثه تعالى، وأنه ليس مستنداً إلى الغير بوجه، بحسب الذات، النافى له من كل وجه أيضاً، فهو باق على ما لم يزل، بقوله عليه السلام: (الذي لا من شيء كان)، دون أن يقول: من لا شيء كان، لإيجابه الحدوث والتناقض، ودون قوله: من لا شيء كان، وكذا: لا كان من شيء، وكذا: كان من لا شيء.

فأما | ما | ذكره هو الأحق والأجمع والأتم، وكذا الجملة الثانية، وهي: (ولا من شيء خلق ما كان) وهذا يوضح لك أنّ أول الخلق هو مادة نفسه، وهو يبطل كثيراً من مذاهب المتصوّفة وأهل الكلام، وللملاكلام ساقط هنا.

(١) ليست في «ب».

ثم أعلم أن الصدوق^(١) روى هذه الخطبة في التوحيد بطريقتين مسندين عن أبي عبد الله^(ع)، عن آبائه^(ع)، عن أمير المؤمنين^(ع)... إلى آخره.
والنهوض: القيام إلى الأمر بسرعة، ومنه: نهض الطائر، إذا نشر جناحيه ليظهر، واستنهاضهم: أمرهم.

والتحشيد: الجمع، وفي بعض النسخ (حشر) - بالراء المهملة - بمعنى: جمع، ويوم الحشر: يوم الجمع.

والأل في (الحمد) للاستفراق، وحمدٌ بعضٌ بعضاً مجاز، وهو المحمود حقيقة، فهو المجري والمسبب لصدور شيء منه استحق عليه الحمد. ومعنى هذه الأسماء سبق.
ونفى بقوله^(ع): (لا من شيء كان) زيادة الصفات واعتماده على غيره، وأنه لا والد له، فلا أصل له ولا مادة، وليس بمركب من شيء، ولا كان من شيء. وينفي المادة عن خلقه للأشياء: كونه إبداعاً، ولا شيء مع الله تعالى، وليست بذاهبة لا إلى نهاية، بل منتهية له. ولو كان الشيء من الشيء لزم إما التسلسل، أو إثبات قديم أزلي غيره تعالى.

قوله: ﴿قدرة بان بها من الأشياء، وبانت الأشياء منه، فليست له صفة تُنال، ولا حد تُضرب له فيه الأمثال﴾.

أقول: أي له قدرة، (بان) بقدرته عن الأشياء وخالفها، لا بمزايلة ومفارقة، بل مباينة صفة، (وبانت الأشياء منه)، فالله خلق من خلقه - فلا تشبيه بوجه - والخلق خلق منه، وكيف تكون مصاحبة أو مشابهة بين القديم والحادث، والغني الذاتي والفقير الذاتي؟ فلا تُنال صفاته وكيف، ولا تُتوهم بصورة، كما زعمه المتكلم، وجزم به المشائي بغير تفلن؛ لأنها ذاته فلا حد لها.

ولا يضرب له مثل ذهني، يقع عليه التحديد بسببه، كما في الممكن المختلف الحالات، الممتورة عليه الوجودات، فلا حد له، لا ذهني مركب من جنس وفصل، ولا خارجي، ولا حد انتهائي، فليس بصورة ولا جسم، ولا في جهة ولا مكان، ولا زمني ولا مكاني.
ولما لم يكن بين الله وخلقته مشاركة بوجه، حتى بحسب المفهوم، لم تكن المباينة

بفصل أو بعرض، أو بحد من حدود الإمكان، بل بذاته تعالى مخالف لها ومباين، لكنّها مباينة صفة لا مباينة عزلة؛ وكذلك قدرته الفعلية الحادثة، الدالة عليه، تخالف سائر أقسام القدرة التي في المكونات، فهي بها تكوّنت وحصلت، فهي شعاع منها، دالة عليه تعالى بغير مشابهة.

ومن هفوات محمد صادق أن قال: «قدرة بان بها من الأشياء، وبانت الأشياء منه» فقوله ﷺ: (قدرة) كأنه استثناء من قوله: (ولا من شيء خلق ما كان) يعني جميع ما سواه تعالى ما خلق من شيء من وجه، إلا من قدرته من وجه، فهو تعالى خالق الأشياء بقدرته، التي بان بها الفرق بينه وبين الأشياء، فقدرته ذاته، بخلاف قدرة الممكن.

أقول: ما في أوّله ظاهر، ولم ينفصل الخلق من كينونيته، ولا مناسبة، ويمكن أيضاً تفسير القدرة في الحديث بالقدرة الفعلية، وهي مع المقدور ذكراً، وصلوحها أصم من الكون، فتدبر.

قوله: ﴿كُلُّ دُونِ صِفَاتِهِ تَحْبِيرُ اللَّغَاتِ، وَضَلَّ هُنَاكَ تَصَارِيفُ الصِّفَاتِ﴾.

أقول: وكيف ينتهي لصفته بغاية، وجميع الغايات منقطعة؟ بل كل ما يحبر ويعبر عنه ففي جنبه ناقص، وإنما يوصف بقدر ما أبان في معلوله من الدلالة. وما سواء متناه، والله ليس بمتناه، والمتناهي عاجز وكال عن غير المتناهي، فضلاً عن وراء ما لا يتناهي بما لا يتناهي. وكذا تصاريف الصفات، من اختلافها وتغيرها، وما يتصرف الذهن فيها، ضال في صفاته وغير جارية، إذ حكم صفاته حكم ذاته، بلا فرق بوجه أصلاً، وجميع هذه الأحكام غير جارية في الذات، فكذا في الصفات، ﴿وَأَنْ أَلْسِي رَبِّكَ الْمُتَّهِنِ﴾^(١)، (لا أحصي ثناء عليك، أنت كما أثنيت على نفسك)، سبحانه (ما عرفناك حق معرفتك)^(٢).

قوله: ﴿وَحَارٌ فِي مَلَكُوتِهِ سِيقَاتُ مَذَاهِبِ [التفكير]﴾^(٣).

أقول: الملكوت - كالرهبوت - المبالغة في الملك، والمراد به عالم النفوس والأرواح،

(٢) «بهار الأنوار» ج ٦٨، ص ٢٣.

(١) «النجم» الآية: ٤٢.

(٣) في النسختين: «التكفير».

وهو غيب كل شهادة، وعميق [الفكر]^(١) يحير في نظره لملكوته، وآيات جبروته، فكيف ذاته؟! إذ لكل مقام لا يطلع ولا يعرف حقيقة ما فوقه.

وأشار بقوله: (مذاهب التفكير) إلى أن العاجز عن الاطلاع إلى الملكوت المذهب، أي الكثرة التي هي [تمبير]^(٢) عنه، لا ما هو أعلى الفكرة، فإنها تطلع عليه كعالم الجبروت، ومظهرها عالم الأمر، فتأمل.

(وعمىقات): جمع عميقة، وعمق الشيء باطنه.

قوله: ﴿وانقطع دون الرسوخ في علمه جوامع التفسير﴾.

أقول: الرسوخ: الثبوت في الاطلاع على الشيء، ومعرفته معرفة واقعية. ومعلوم انقطاع جوامع التفسير والبيان وكلياته عن الاطلاع على علمه، فضلاً عن غير الجوامع من التعبيرات الجزئية، كيف والكلمات الجامعة إنما تجمع ما دونها، وهي معلومة من جنس المعلومات، وهي (عالم إذ لا معلوم) فإين الكلمة والجمع؟! والمراد بالكلمة ما يشمل اللفظية والوجودية، كما عرفت من شمولها - نصاً وعقلاً - لهما، بل جميع جوامع [التفسير]^(٣) والبيانات، لو كانت الأبحر مداداً والأشجار أقلاماً، تنقطع دون الإحاطة ببحر الإمكان والمشيشة الكلية، وكل شيء إنما يحد نفسه، وهو وجه من وجوه أمره، [فهو]^(٤) ينقطع دونه، ولا وجود له فوق وجوده، فكيف علم الذات المجهول المطلق، الذي لا يعلم بوجه، وما يعلم به حادث؟ وحينئذ يمكن لك تفسير العلم بالذاتي أو الفعلي الإمكان، فتدبر.

قوله: ﴿وحال دون غيبه المكنون حجب من الغيوب﴾.

أقول: المراد بغيبه المكنون: غيب الإمكان، وخزائنه التي بين الكاف والنون، لا يحيط به غيره، وتظهر على بعضه ما يشاء من رسله، وهو حجاب الأعمام.

(٢) في «أ»: «يمبر»، وفي «ب»: «يمتبر».

(٤) في النسختين: «فهي».

(١) في «أ»: «الكفر».

(٣) في «أ»: «التفكير».

وان أردت بنفيه المكنون: غيب الذات الأحدية - وهو غيبها، ولم يزل على ما كان، هو كنز مخفي - فهو باعتبار ما ظهرت، لا بأحديتها، فلا مناسبة معها إلى الغير، ولا إضافة بوجه، ولا تعلم بوجه.

نعم، يستدل عليها بظهورها وآيتها، وهو غيرها، وحجبه بها الظهور، فإنه ظهر بما بطن من جهة ظهوره ببطونه وبالعكس، فيجتمع النقيضان ويرتفعان من جهة واحدة، ولا كذلك حجب غيره، وكونهم عليهم السلام الحجب وارد عنهم كثير، وستسمع: (نحن حجاب الله وجنبه) ^(١) وهي حجب غيره.

وليس المراد به حجاباً خارجياً، كيف وهو لا يغيب عن أحد؛ لعموم الصنع؟ فلا يقال: هو غائب، ولكن ظاهر الغيب، وهو ظاهر ظاهر العلم، وهو الملكوت، محجوب بذاته وبمن فوقه. والحجب بنفسها محجوبة بنفسها لنفسها، كما قال عليه السلام: (تجلن لها بها، وبها امتنع منها) ^(٢). فصع بعض ما في الخطب: (ليس بين الله وبين خلقه حجاب غير خلقه) ^(٣) و(احتجب بنير حجاب محجوب) ^(٤) أي حاجب - كما سمعت - فاحتجابه بالظهور. وكلام الشارح ^(٥) هنا خفيف الوزن، وإن أمكن حمله على ما لا ينافي.

قوله: ﴿تأمت في أدنى أدانيها طامحات العقول في لطيفات الأمور﴾.

أقول: هذه الجملة صفة للحجب، والتيه: التحير وعدم الوصول لغاية الشيء، فهذه الحجب في أظهر ما تظهر فيه لمن دونها أهالي (العقول في لطيفات الأمور) التي [تروم] ^(٦) إدراكه، فإنها حينئذ في أشد ارتفاعها [وادراكها] ^(٧) - فضلاً عن أسافلها - عاجزة عن

(١) «بهار الأنوار» ج ٢٥، ص ٣٦٣، ح ٢٣ وفيه: (ونحن أمناؤه على خلقه... والحجاب فيما بينه وبين خلقه)؛ «بهار الأنوار» ج ٢٦، ص ٢٤٨، ح ١٨، وفيه: (نحن جنب الله).

(٢) «نهج البلاغة» المخطبة: ١٨٥.

(٣) «الكافي» ج ١، ص ١٤٠، باب جوامع التوحيد، ح ٥، وفيه: (والحجاب بينه وبين خلقه خلقه إياهم) وفي «التوحيد» ص ٣٠٩، ح ٢: (لا حجاب بينه وبين خلقه غير خلقه).

(٤) «الكافي» ج ١، ص ١٠٥، ح ٣، وقد مر شرحه في «هدي العقول» ج ٤، باب النهي عن الجسم والصورة، ح ٣.

(٥) انظر: «شرح المازندراني» ج ٤، ص ١٧٢ - ١٧٣.

(٦) في النسختين: «يروم».

(٧) في النسختين: «وادركها».

إدراكها، كما قال ﷺ: (لا يعرفني إلا الله وأنت، ولا يعرفك إلا الله وأنا)^(١). وفي رواية جابر، كما في الآيات الباهرة للنجفي وغيره، إلى أن قال ﷺ: (أنوار لا موتية قد ألبسوا قوالب بشرية، لطيق الناس رؤيتهم) قال تعالى: ﴿وَلَوْ جَعَلْنَاهُ مَلَكًا لَجَعَلْنَاهُ رَجُلًا وَلَلَبَسْنَا عَلَيْهِمْ مَا يَلْبَسُونَ﴾^(٢) وكمن رأى فضائل منهم فخرج مجنوناً أو ضالياً، أو قال: ساحر كذاب، ونقل ذلك مما يطول، ومن راجع كتب الفضائل وجدها متواترة.

قوله: ﴿فتبارك الله الذي لا يبلغه بعدُ الهمم، ولا يناله غوص الفطن، وتعالى الذي ليس له وقتٌ معدود، ولا أجلٌ ممدود، ولا نعتٌ محدود، سبحانه الذي ليس له أولٌ مبتدأ، ولا غايةٌ منتهى، ولا آخرٌ يفنى، سبحانه هو كما وصف نفسه، والواصفون لا يبلغون نعته﴾.

أقول: المراد بالهمة البعيدة: الفطنة الغائصة، والهمة: العزم الحازم، يقال: فلان بعيد الهمة، أي تتعلق إرادته بالأمر العالية. والفظن - بكسر الفاء - جمع فطنة، والمراد بها شدة الذكاء والفهم، وخصوصها: شدة تعمقها في الباطن كالفطن، وهذا تفريع وتقديس لما علم ضمناً، بل تصريحاً مما سبق، من عدم الاطلاع على حقيقة ذاته وصفاته، كيف ولا يحيط أحدٌ بشيء | من علمه إلا بما شاء، وهو العلم الظاهر، [القائم] ^(٣) بالعلم القديم الذاتي.

فمعلومنا منشأ، فلا يصح الإحاطة بعلمه ولا الوقوف لها بحد، سواء في ذلك الفطن وغيره، وتعالى وتقدس أن يكون له وقت معدود - كالزمانيات المحصورة القليلة - أو أجل ممدود، وهي الأزمنة المتطاولة، فإنه تعالى منزّه عن الزمان والزمانيات، وعن الحدود والامتدادات، وعن حدود الصفات والنموت، وإشارة الوهميات (إن قيل: كان، فعلى تأويل أزلية الوجود، وإن قيل: لم يزل، فعلى تأويل نفي العدم)^(٤) كما سمعت من كلام سيد السادات.

(١) «مشارك أنوار اليقين» ص ١١٢، «مختصر بصائر البصائر» ص ١٢٥، بضاوت بسير، ونحوه في: «بحار

الأنوار» ج ٣٩، ص ٨٤. (٢) «الأنعام» الآية: ٩.

(٣) لي «ب»: «القديم».

(٤) «التوحيد» ص ٧٣، ح ٢٧، «أمالي الصدوق» ص ٢٦٤، ح ٩، صححناه على المصدر.

وكيف يدخل في الحدّ والعدّ والزمان المنزّه عن جميع ذلك، وإلا كان معه غيره وأحيط به، وقيل الزيادة؛ لتحديده وبلوغ غايته النهاية، فيقبل النقيصة، فيدخل في هداد الحادثات.

فانصرح الأمر في قوله تعالى، ﴿وَكَانَ اللَّهُ سَمِيحًا بَصِيرًا﴾^(١) ﴿وَكَانَ رَبُّكَ قَدِيرًا﴾^(٢) ﴿وَكَانَ عَرْشُهُ عَلَى الْمَاءِ﴾^(٣) من دخول «كان» على ما هو منزّه عن الزمان، إذ ليس المراد بها الزمان هنا، كيف ومتواتر البرهان ومحكم النص على براءته تعالى من الزمانيات، والتجدد والقابليات؟ فليس مراداً منه الزمان أصلاً، لا كما قيل: إنها هنا لاستمرار الزمان ماضياً ومستقبلاً، لتعالي علمه عن جميع ذلك، فهو عالم إذ لا معلوم، بل كما عرفت ثبوت الأزل.

فسبحان من تنزّه عن الحدوث وسماته، وعن التقلات وحالاته، فلا أول له مبتدأ، وإلا كان حادثاً مسبوقاً بالأشياء، ولا غاية له، وإلا كان وراءه غيره، فيكون حادثاً. وكذا لا أخرية له تنتهي، وإلا كانت له أولية، فكل ما له آخر له أول وبالعكس، فأوليته الذاتية غيبها، بلا فرق بوجه، فلا هي نسبة ولا إضافة، ولا غيرها من صفات الأولية الحادثة، وكذا أولية (عالم) أمرية، ومشيئته حين أخريته، لكن بالإمداد، [فمبدؤه]^(٤) الفعل، وغايته الفعل.

قوله: ﴿حَدٌّ﴾^(٥) الأشياء كلها عند خلقه، إبانة لها من شبهه، وإبانة له من شبهها.

أقول: في نسخة محمد صادق: (وحدّ) بالواو وتشديد الدال. وقال في الشرح: «يعني لكل ما خلق الله حدّ لا يتجاوزه، بخلافه تعالى، فليس له حدّ لا يتجاوزه، فالأشياء لا تشبهه تعالى ولا هو الله تعالى يشبه الأشياء، ولو كان له تعالى حدّ يلزم أن يكون شبيهاً للأشياء، في وجود التركيب في ذاته؛ إما مرّ، فيكون الواجب ممكناً،

(١) «النساء» الآية: ١٣٤. (٢) «الفرقان» الآية: ٥٤. (٣) «هود» الآية: ٧. (٤) في النسختين: «فبدئها». (٥) في المصدر: «وحدّ».

هذا حُلف».

أقول: النسخ المصححة التي رأيناها ليست: (وحدٌ) بالواو، ونفي التركيب المذكور، وكذا الحدّ، فالمراد جعل الأشياء محدودة عند الخلق، أي ذات حدود (إبانة لها من شبهه) وبالعكس، فإنه لا حدود له.

والحدود تقتضي التعدّد فيها وتمددها، بخلاف الحدّ، بمعنى التعريف، فلها حدّ واحد جامع، وما يحدّ به كلّ شيء، وسبب الاختلاف بينه وغيره الحدود الستة ولوازمها، المقارنة للوجود [والناشئة من الاحتياز]^(١)، لا الحدّ المنطقي.

وقال ملا خليل القزويني في الشرح العربي: «وقوله (حدّ الأشياء) استئناف لبيان قوله: (والواصفون لا ييلفون نعته) ولقوله: (هو كما وصف نفسه) أيضاً، كلّها فيه دلالة على بطلان المجرد»^(٢).

أقول: هو استئناف متصل بقوله الباقي، لا لبيان ما ذكر، فهو تام، ولا يدلّ الأوّل على نفي المجرد، فتجرّده بالنسبة لمن دونه، لا إلى الله تعالى، ولكل شيء مادة من جنسه، ومركّب من صورة وماهية، وله حدود بحسب مقامه، مادياً كان أو مجرداً، ولا منافاة فيه، ولا مشاركة، كما أوضحناه في محلّ آخر.

قال: «(عند خلقه إياها إبانة لها من شبهه، وإبانة له من شبهها) فيه دلالة على أنّه لو وجد مجرد لكان كمثل شيء، ووقع الشبه. والشّبّه - بفتح الشين المعجمة والباء الموحدة -: المشابهة والشبيه، والمراد به هنا الأوّل»^(٣).

أقول: لا دلالة فيه على نفي المجرد، والشّبّه بمعنى الند والمثل - بسكون الباء وكسر الشين - وأما بمعنى المثل الدال عليه والصفة الدالة فلا تشبيه فيه، فكلّ شيء يدلّ عليه، والله المثل الأهلّي في السماوات والأرض.

قال: «إن قلت: هذا يدلّ على أن خلق المجردات ممكن، فإنّ الإبانة هنا مفعول له، فيمكن أن لا تحدّ فلا تباين.

قلت: لا دلالة؛ لأنّ المراد بالإبانة إظهار البينونية، ويمكنه أن لا يحدّ بأن لا يوجد شيئاً،

(١) في «أ»: «والمناسبة من الاختيار».

(٢) (٣) «الشافي» مخطوط برقم: ٢٣٣٤، الورقة: ١٠٦، باختلاف.

بل يمكن أن يقال: إنَّ في زيادة قوله: (هند خلقه إياها)، دلالة على عدم إمكان المجردات، فإنَّه يفهم منه أنه لا يمكن الخلق إلا كذلك^(١).

أقول: إذا كانت حلة فلا تتأخر، فلا يمكن أن لا تحدَّ، بل ذلك عند الخلق فلا يتخلف، ولا يكون متصفاً بالشيئية إلا وهو مخلوق ولو إمكاناً، فهو محدود بحدود، ولا شيئية له فوق الإمكان، ولا خلق له قبل وجوده، لكن حرفت أنه لا ينافي المجرد، فإذا قلنا: الفعل مجرد، فهو بالنسبة لمن دونه، كما قال علي عليه السلام في العالم العلوي: (صور هارية عن المواد، عالية عن القوة والاستعداد)^(٢) وهي بالنسبة لمن دونه.

وكذا إذا قلنا: عالم الأمر مجرد، فبالنسبة لمن دونه، لا إلى الله، فلا نسبة لخلقه بالنسبة له بوجه، لا عدم ولا وجود، فافهم ودع شبهة الحيران، ولا يريد الأقدمون من الحكماء إلا ما قلناه، وهو المعروف من الروايات.

وقال المَلّا في شرح هذا الكلام: «الفصل الثامن: في أنه تعالى جعل لكل شيء حدّاً خاصاً من الوجود، به يحصل الامتياز بينه وبين الأشياء، وهذا علم شريف غامض، خفي عنه أكثر أهل النظر وأصحاب الفكر؛ لأنه موقوف على معرفة أمور كثيرة غامضة:

منها: أن الموجود من كل شيء بالحقيقة هو وجوده الخاص به، دون ماهية، إلا بالتبع. ومنها: أن المجمعول والصادر عن الجاعل هو أنحاء الوجودات، دون المسمّى بالمهيات^(٣).

أقول: أمّا صعوبة هذه المسألة فحق؛ لأنها ترجع إلى سبب الاختلاف للأشياء بحسب الحقائق، وهو لا يوجب نسبتها إليه تعالى، لاستلزامه [الجور]^(٤)، وعلوّ حجة الممكن عليه بالنسبة إلى الضعيف، أو القول بقديم آخر، إن أثبتت أعيان قديمة غير مجعولة، كما هو اختيار هذا المَلّا، وكما أن أهل النظر والفكر لم يصيبوا الحق هنا، لجهلهم وأخذهم بقواعد مجتنة، كذلك أنت أيها المَلّا، فأنت مثلهم، لما أخذت بقواعد صوفية، فبعدت عن معرفة المسألة أبعد ممّا بين العرش إلى الفرش، وعرفتتها فيما سبق وبأني.

مع أن المقصود هنا بيان أن الأشياء محدودة عند الخلق بحدود، بها وقع التمييز،

(١) «الشافعي» مخطوط برقم: ٢٣٣٤، الورقة: ١٠١، باختلاف.

(٢) «غرر الحكم ودرر الكلم» ص ٤٢٣، الرقم: ٧٥، صححناه على المصدر.

(٣) «شرح أصول الكافي» طبعة حجرية، ص ٣٣٥، صححناه على المصدر.

(٤) في «أ»: «الحق».

ليعرف أنه لا يشبهها، ولا بالمعكس خاصة، والموجود من كل شيء وجوده وماهيته، لأنه مركب منهما، ولا تحقق للفعل إلا بالانفعال، ولا ظهور للثاني إلا بالأول.

وإذا لم تكن الماهية مجعولة، فهي ليست بشيء، ولا تكون جزء الممكن، وإن كانت شيئاً وغير مجعولة، فما أقبحه من قول، وما أقبح قائله ومعتقده! مع أن هذا القائل لا يقول ببساطته، وإن كان بالبساطة بأنه مركب من وجود الله، فهو كل الوجود وعدم محض، وهذا ظاهر الفساد، وهو مذهب أهل وحدة الوجود.

ولا يمكن القول بأنه بجعل واحد جُعلاً، فإنه ينافي مجعوليتها وينافي [الاثنيانية] (١)، فإنه يوجب تعدد الجعل، والوجدان يكذبه أيضاً، فإن الإنسان يفعل الطاعة والمصيبة، والثانية تنشأ من الماهية باعترافهم، كما أن الأولى من الوجود، فكيف لا تكون شيئاً وموجودة، ويتعلق بها جعل ثانوي بمقامها، وإن كان بتبعية الوجود وبملاحظته.

والمشيئة المطلقة مجعولة، تبعا لتبعية جعل الوجود، ولا يصدر من العدم [الوجود] (٢)، ومن ذلك ظهر بطلان ما ذكره من الأمرين، وإن راعينا الاختصار.

قال: «ومنها: أن موجودية الأشياء وانصافها بالوجود ليست بقيام الوجود بها وعروضه لها، بل باتحادها به وصدقه عليها، وليس الوجود - كما توهم واشتهر - عرضاً قائماً بالماهية، بل وجود كل شيء نفسه، فوجود الجوهر جوهر، ووجود العرض عرض، وهو في حد نفسه ليس بجوهر ولا عرض، أعني: ليس بماهية شيء منها» (٣).

أقول: القول بأن حقيقة الشيء الماهية، والوجود عرض حال بها، قول المشائين والمتكلمين (٤)، ومنهم من يجعله [اعتبارياً] (٥) أيضاً، وهذا باطل، لاستحالة سبقها عليه، وهي حقيقة الممكن، ولا بد من تحقق المعروض وسبقه على العارض، وبغير الوجود لا تسبق، وهو محال، بل أصل الوجود للمادة، [كالوجود] والماهية للصورة، تتحقق بالوجود، ويظهر بها وبها التصوير، فكيف تكون الأصل، والوجود لاحق عارض؟ فقد انعكست الأرجل أهالي، والرؤوس أسافل.

والمادة والصورة ليسا بزائدين على الوجود والماهية ولا بالمعكس، وهما ذاتي الإنسان،

(١) في «أ»: «الاثنيانية».

(٢) في «أ»: «الموجود».

(٣) «شرح أصول الكافي» طبعة حجرية، ص ٣٣٥، صححناه على المصدر.

(٤) انظر: «رسائل الحكمة» ص ٤٥.

(٥) من «ب».

فيكون الوجود المادة، والماهية الصورة، وبطل قولهم. وموجودية الأشياء [باتسابها] (١) إلى الوجود المطلق، المجمول بالجعل به، فكل واحد وجود ومتقيد وخاص، ولا نسبة واتساب للوجود الواجبي، وهذا الوجود المطلق مخلوق، يشمل الممكنات، وهو مردّها وله رؤوس بعددها. والبحث معه هنا متسع، والوقت ضيق.

وكل ما نسب إلى علته وما هو أهلي فهو صفة، وبالعكس: موصوف وجوهر وعلة.

قال: «ومنها: أن حقيقة الوجود حقيقة واحدة، ليست بجنس لأفرادها، التي هي أنحاء الوجودات، ولا نوع ولا عرض عام لها، ولا اشتراكها بين الأفراد اشتراك أمركلي، وإنما العام والكلي هو الوجود بالمعنى المصدرى الاعتباري، الذي من أوائل التصورات وثواني المعقولات.

ومنها: أن الامتياز بين الوجودات ليس إلا بالشدة والضعف، والكمال والنقص، أو بضمائم لاحقة من خارج، كما في الأفراد التي تحت ماهية نوعية» (٢).

أقول: الوجود ليس هو حقيقة واحدة، بل حقائق متعدّدة: إما تمدّد الصفة والموصوف، ولا تجمعهما رتبة، بل الصفة وجه من وجوه الموصوف، كما في السلسلة الطويلة، أو تجمعها رتبة، كما في أفراد الكلّي الواحد في السلسلة المرضية. ولا مقابلة بين وجود الله وغيره بوجه، لا منافاة ولا موافاة، ولا يجمعه والممكن حقيقة واحدة، ولا مفهوم كلي بوجه أصلاً.

وأفراد الوجودات الممكنة يجري بينها الاختلاف والائتلاف والتباين وغيرها، وليس الكلّي هو الأمر الاعتباري خاصة، فلا بد وأن يكون له مصدوق في الوجود وأفراد، وجوه ظهوره لا بحقيقته، والمطابقة لها جميع الأفراد، مما كان ويكون. لكنهم لما خصّوا الكليات باعتبار انتزاعها من المحسوسات [فهي أحكام ذهنية ومعقولات ثانوية بمد الأولية، وهي المحسوسات] (٣)، وغفلوا عن غيرها، وذلك مبلغهم من العلم.

والامتياز بين الوجود بأمور - تلحقه حين الجعل - ذاتية، وتلحقه أمور خارجة، وإذا لحظت الوجود من حيث هو لا تمايز فيه وتمعدّد، وهو الوجود المطلق، وإنما تلحقه

(١) في «أ»: «بأشياءها».

(٢) «شرح أصول الكافي» طبعة حجرية، ص ٣٣٥، صححناه على المصدر.

(٣) ليست في «ب».

بمقارناته، وهذا في غير الوجود الواجبي، تعالى وتقدس، ونقل أقسامه وما قالوه هنا مما يطول.

وذكر بعد هذه المقدمات كلاماً طويلاً قليل الفائدة، ملخصه: «أن كل موجود له مرتبة، بحسب الشدة والضعف، سوى المبدأ الأول تعالى، فغير متناه في الشدة، بغير سبب ومقتض، وأنه لا تمايز في المجرّدات إلا بالشدة والضعف، فلولا العلية والإيجاد لم تتميز الموجودات بعضها عن بعض، ولا الماهية من غيرها، ولا الواجب وغيره، وهذا معنى قوله ﷺ: (وحدّ الأشياء كلها عند خلقه، إبانة له من شبهه)... إلى آخره، فنفي الشبه بينه وبينها إنما هو بعدم كونه محدود الوجود، ولا متناهياً في الشدة، بخلافها، ولا يتحقّق تحديدها وتناهيها إلا بسبب خلقه لها، إذ الخالق أقوى من المخلوق، وتنازل النقص إلى هيولى، ليس لها إلا قوة القبول المحض»^(١) انتهى باختصار أكثر الفاظه.

وأقول: ليس التفاوت بين الواجب وغيره في الوجود بالشدة والضعف، لإيجابه الاشتراك في حقيقة في الجملة، أو المقابلة بينها، وكون أحدها ظلاً للآخر وشبهاً له، وجميعه عليه محال، ولا يصحّ أنه لو لم يخلقها لم تتميز، فلا شيئية للممكن مطلقاً فوق الإمكان، ولا للمخلوق فوق رتبة الخلق والفعل.

وتفسير كلامه ﷺ بمعنى أنه جعلها متناهية بحسب أنها مخلوقة، دليل على عدم تناهيه تعالى، فخلقها كذلك إبانة له عنها به، وإن صحّ بوجه، إذ كل معلول متناهٍ ومنقطع دون علته [بخلاف علته]^(٢)، وألا لم تكن العلة* بل تتقل لغيره، لكن يوجب ذلك ضمّ حدود عند الخلق، والتناهي يقتضي حدوداً أيضاً انقطاعية، بحسب الكم والكيف والرتبة وغير ذلك، فكان عليه أن يبينها، لكن ملخصه النظر إلى الوجود، وأن التفاوت بالقوة والضعف، والقوي قاهر لغيره، وهو كل الوجود، والحدود حدود ماهية أعدام، لا تحقّق لها وجود، فهو ناظر إلى وحدة الوجود وسريانها، أو إلى أنه الأصل، وغيره ظلّ منه وشبح، فسرى بهذا النظر الباطل.

(١) «شرح أصول الكافي» طبعة حجرية، ص ٣٣٥-٣٣٦.

(٢) ليست في «ب».

(*) يعني لم تكن هي العلة. وفي «أ» أضاف المشتق: «علة»، والمؤدّي واحد.

تقرير المؤلف

إذا عرفت ما سبق، فلنرجع إلى الحديث، ونقول: حدّ الشيء ما به يمتاز الشيء عن غيره، نوعاً كان أو جنساً أو شخصاً، مجرداً أو مادياً، جوهرراً أو عرضاً، والله إنما يُعرف معرفة دلالة وتمييز صفة، لا بما عرّف غيره وميّزه به، فهو محال، وإلا وقع الشبه، وارتفع التمييز بين المخلوق والمخلوق، والعلة والمعلول، فلا يعرف [بجنس] ^(١) ولا نسبة، ولا بكيف، ولا عرض، ولا تناهي، ولا قبول، ولا شدة ولا حلول، ولا غير ذلك من صفات الإمكان، ممّا وصف به غيره. وبهذا الاستدلال الحكمي، والبيان العلي، نظر ﷺ في هذه الخطبة الجامعة، وغيرها كثير، كما يظهر للمتتبع للنهج والعيون والتوحيد وللبحار وغيرها. واعلم أنّ الله أحد لا تكثر فيه بوجه، ولا قديم معه بوجه، ولا حدّ له بوجه من الوجوه، إذ كلّ محدود متناه بجهة حدّه، فيقبل الزيادة، وما يقبلها قابل للنقيصة، فعليه حاكم وهو منفعل، وجميع الأعراض حدود، وإن لحقت الذات من خارج، فهي مؤثرة فيها وتقبلها، ففيها قوة القبول والمناسبة لها، وإلا لما قبلته.

ويدخل في الحدّ الحدود الذاتية اللازمة عند الخلق، مساوقة له، يحصل بها التمييز والانفصال من المادة، وهي العنصرية وهيئتها، وهي ستة: الزمان، والمكان، والجهة، والرتبة، والكمّ، والكيف، وكل واحد منها يقتضي اختلافاً واثتلافاً، غير ما يقتضيه الآخر بلا نهاية، والحدود المرضية - بجمعها - أقسامها وصفاتها وأحوالها.

وكلّها حدود حدّ بها الموجودات وتقتضيها الذات، إمّا اقتضاه ذاتياً، وبه تتميز عن حقيقة غيره بعد الاشتراك في المادة الكلية، لأنّ الله لما كان أحدياً بكلّ اعتبار ومعنى، كان أول ما خلق هو الأشرف والأقرب الأكمل، بحسب الإمكان، لا بحسب ذات الله تعالى وتقدّس، وجب أن يكون واحداً، | وحدة | جامعة شاملة لغيره من المجموعات ومقتضية له، وهي مرجعه، وهي مشيئته وفعله الذي خلق بنفسه وإحداثه، وليس هو أمراً اعتبارياً كما توهمه الجاهلون، ولا نفس ذاته، تعالى الله.

فوجب خلق الأشياء بها، وفيها مقتضياتها بالجهة السفلى منها، لا العليا الفاعلية، ووجب كونه الحامل لمظهر الأسماء والصفات، ومبدأ اشتقاقها وسائر الموجودات، فخلق

(١) في «أ»: «بجنسة».

مساوقاً لما يريد أن يخلق، ويصور بها ما به يحصل التمييز والفصل، وهي هذه الستة، وإطلاق الإمام على جميعها اسم الحدود - وهو كذلك - ستمعه.

ونقول أيضاً لكل واحد من هذه الحدود الستة إلى الأخر، وتختلف، وباختلافها تختلف الأحكام والأوضاع، ولا نهاية لها في الإمكان، ولهذه الستة تحقق في مقام الإجمال والمادة الأولية، وإن لم تظهر فيها بحسب مقامها، لكنّها تظهر في المفعولات بها، فلولا اقتضاؤها لها ما ظهرت بها، والمفعول مناسب لفعل الفاعل، والمتحرك بالنسبة إلى الحركة، بحسب الصدور والقابل.

ولا يظهر الشيء جامعاً إلا بجمعه الإجمال والتفصيل، فيكون بالفعل، ويجمع حله وأسبابه الأولية والثانوية، فتكون اثني عشر بحسب المقامين، فهي أول كثرة وقعت في الوجود، وهي عدد الأوصياء، وعدد الحدّ اثنا عشر أيضاً، وأصل ظهور تلك الحقيقة الأولية، والمادة الفعلية، والحقيقة المحمدية الأمرية في الاثني عشر، بحسب أصل التكوين، وعدد لا إله إلا الله، وجرى سرها في الليالي والأيام، والساعات والشهور [والبروج] ^(١) وسائر الكلّيات، ونشرها يطول.

وفي زيارة الجواد لأبيه عليه السلام: (السلام على شهور الحول وعدد الساعات، وحروف لا إله إلا الله في الرقوم المسطرات) ^(٢).

وفي النص: (نحن الساعات والأيام) ^(٣) ونسب دعاء كل ساعة لإمام، وفيه: (لا تعادوا الأيام فتعاديكم) ^(٤). والزهراء محل القابلية فتدخل، وغيرها من النصوص الدالة عليه كثير. فجرى الظاهر على الباطن، فهو حدّ واحد وحدود ستة، واثنا عشر وأكثر، والكلّ في قبضته ومطوي يمينه ﴿يَدُ آفَ فَوْقَ أَيْدِيهِمْ﴾ ^(٥) ويد: أربعة عشر، عدد هم عليهم السلام.

والحدود - بحسب تفصيل التفصيل - كثيرة، ولها شعب وأقسام، وترجع إجمالاً إلى ثمانية: الحقيقة المحمدية، وهي الأمر المفعولي، والماء الحامل للمرش الكلّي، وهو أول مخلوق، وتنشعب منه النبوة المطلقة، والولاية الإجمالية المطلقة له عليه السلام، وهي مبدأ البسمة.

(١) في «ب»: «البرزخ». (٢) «بحار الأنوار» ج ٩٩، ص ٥٤، ح ١١.

(٣) و(٤) «الخصال» ص ٣٩٦، ح ١٠٢، بتفاوت، ونسب فيه كل يوم إلى أحد المعصومين، أما نسبة دعاء كل ساعة لإمام فورد في «مفتاح الفلاح» ص ٣١٠، ٣٣٨، وما بعدها.

(٥) «الفتح» الآية: ١٠.

ثم عليّ ﷺ حامل الولاية التفصيلية، وحامل اللواء، والنقطة تحت الباء^(١).
ثم الحسن ﷺ نسبة لعليّ ﷺ، فهو نسبة محمد ﷺ له، فهو حامل إجمال تفصيله، ولذا
وقع الصلح.

ثم الحسين ﷺ، مقام التفصيل، مهيج الحرارة ومذيب الأبخرة، والمنقي من الكدر،
والفجر الصادق، ولهذا ظهر بالشهادة.

ثم القائم، ثم الثمانية، ثم فاطمة تمام الكلمة الإلهية، وليلة القدر المباركة الحاملة لتلك
الطين العلية، والأنوار اللاهوتية. وانقسم من قطراته - وتمين بتلك الحدود منه ﷺ - مائة
ألف وأربعة وعشرون ألفاً، عدد الأنبياء^(٢).

وانقسم بالفاضل النوري من ذلك الواحد أشعة وحدود بني آدم، وهم سائر الخلق،
وهو قسمان: قسم بحسب الموافقة التبعية من الاستنارة، وقسم من المخالفة والنظر للإثنية،
ومن ظل الأثر، والثانية من الأولى، وليس الكل من فاضل الطينة الأولى، طينة أنبياء أولي
العزم، ما سوى محمد وآله ﷺ، ولأكانت نبوتهم عامة للكل، ومردّ الحساب، وليس
كذلك.

لكن يصح باعتبار الوسطية كلّ لأمته، ومردّ الوسطة للشيء مرّد للشيء، وإذا نظرت
إلى قسمة العقل والنفس الأمانة، أو الوجود والماهية، باعتبار مزجها وظهور الأفعال،
وجدتها كثيرة.

وما خلقوا من أشعتهم ﷺ لهم ثمانية وعشرون مرتبة، أولها: العقل، و[الروح]^(٣)
والنفس، والطبيعة، والمادة، والمثال، والجسم، والعرش، والكرسي، وفلك البروج، وفلك
المنازل، والسبعة السيارة، والكرات الأربع المنصرية، والجماد، أو قل: المعدن، والنبات،
والحيوان، والملك، والجن، والإنسان، ومرتبة الجامع. فهذه دون مراتب المشيئة، ولكلّ
منها حدود خاصة به، واسم من الأسماء، معدودة في حديث اليماني^(٤) وغيره.

(١) «جامع الأسرار» ص ٤١١، وفيه عن أمير المؤمنين ﷺ: (أنا النقطة تحت الباء).

(٢) انظر: «بحار الأنوار» ج ٥٤، ص ٢٠٠، ح ١٤٥، وفيه: (ثم قال لنور محمد ﷺ: انزل في بحر العزم... فقطرت
منه قطرات، كان عددها مائة ألف وأربعة وعشرين ألف قطرة، فخلق الله تعالى من كل قطرة من نوره نبياً
من الأنبياء)...
(٣) في «ب»: «الرؤية».

(٤) «الكافي» ج ١، ص ١١٢، ح ١، وقد مرّ شرحه في المجلد الخامس، باب حدوث الأسماء، ح ١.

ولو رايته بحسب مراتب المخلوق من شعاعهم، وبحسب معرفتهم، زادت بكثير على تسعة عشر ألف ألف، ولا نهاية للجزئيات ﴿وَمَا يَعْلَمُ جُنُودَ رَبِّكَ إِلَّا هُوَ﴾^(١) ولكل مرتبة نورانية مقابل ظلماني، إلا الفعل ومراتبه، فلا مقابل له منها، بل ينطمس دونها وينقطع لتحقيقها جميعاً به، فلا تجري عليه.

وخلق الجن - أصل خلقه - من مارج من نار، تلك الشجرة حقيقة واحدة، تشعبت إلى شعب بحدود مميزة، ومساكنهم متعددة: الأرضون السبع، والهواء والماء والتراب، ونهم كثرة وطاعة ومعصية وحدود، كل قسم لم يوجد في الأعلى، فحدودهم لا توجد في حدود الإنس، وحدودهم عندهم واحدة، جهة اتفاق، وكذا الإنس عند الأنبياء، والأنبياء عند محمد وآله، لا حدود، كل بمقام إيته وماهيته، والحقيقة المحمدية عند الفعل، والفعل ومتعلقه باطل مضمحل دونه تعالى، والجن أكثر من الإنس؛ لأنه يظهر فيهم أطلال مراتب الأناسي، وأشعتهم بجهة العليا منهم، ويضاف إليها جهات [إثباتهم]^(٢) وحدودها. وروي: أن الإنس عشر الجن^(٣)، وملائكة [العالمين]^(٤) داخلون في أول الأقسام، والكروبيون - وهم خلف العرش - داخلون في السبعة، كما روي في البصائر^(٥) عن الصادق عليه السلام، وما سواهم فمتعددون بتعدد العوالم، ومتحدون في المراتب، ومتعددون بحسب الحدود والقوابل، وكل له مقام لا يعداء ولا يقدر على غيره، وكذا اسم خاص، بخلاف الجن والإنس، فلهم مقامات متعددة.

وجميع ما في الجن والإنس في الملائكة أضعاف مضاعفة، وهم روابط، كنسبة الحروف إلى الاسم والفعل، لا كما يقوله الملا وأتباعه، ومن لا يعلم له. والظلمة كانت مبدأ خلق مستقل الشياطين، عملهم مكرس عمل الملائكة. وخلق الحيوانات من فاضل طينة الإنسان بواسطة الملائكة، فهم من نورهم، بواسطة الأفلاك، واختلفوا بغلبة القوابل والحدود، ومجموع أنواعها وأصنافها [أضعاف]^(٦) الجن والإنس بكثير؛ لما ذكر في الجن.

(١) «المدثر» الآية: ٣٦.
 (٢) في «ب»: «أبياتهم».
 (٣) انظر: «التفسير الكبير» ج ٢، ص ١٤٩.
 (٤) في «أ»: «العالمين».
 (٥) «بصائر الدرجات» ص ٦٩، ح ٢.
 (٦) في «أ»: «أصناف».

وخلق النبات من فاضل شعاع الحيوانات، من [صفو] ^(١) العناصر خلقت، ومادتها من لطائف الأغذية، وتحركها لضعفها في الكم والكيف، والوضع والأيّن، إلا أن يكون كما قال الله في الجبال: ﴿وَتَرَى الْجِبَالَ تَحْسَبُهَا جَامِدَةً وَهِيَ تَمُرُّ مَرَّ السَّحَابِ﴾ ^(٢) وعودها عود ممازجة، كما في كلام علي عليه السلام.

وخلق الجماد من فاضل النبات، من ضمّ العناصر بعضها لبعض، وهي أكثر ممّا سبق؛ لأنها أسافلها، وما سبق سبق مجمل أنواع الخلق الكلية، والحاصلة باختلاف الحدود، ذاتاً وعرضاً، في سلسلتي الطول والعرض.

والحاصل: أنّ نفس المخلوقية تقتضي حدوداً، بحسب أصلها وجنسها، ونوعها وشخصها، وإضافتها مع الخارج، وبها خالفت جاعلها ولم تشابهه، وبالعكس، وأصولها الستة السابقة، وهي الستة الأيام التي خلقت فيها السماوات والأرض وكلّ شيء، وكلّ محدود متناه.

وفي حديث عمران الصابي، عن الرضا عليه السلام، قال عليه السلام: (واعلم أنّ الواحد، الذي هو قائم بغير تقدير ولا تحديد، خلق خلقاً مقدراً بتحديد وتقدير، وكان الذي خلق خلقين اثنين: التقدير والمقدّر، فليس في كل واحد منهما لون ولا ذوق ولا وزن، فجعل أحدهما يُدرك بالآخر، وجعلهما مدركين بأنفسهما، ولم يخلق شيئاً فرداً قائماً بنفسه دون غيره، للذي أراد من الدلالة على نفسه، وإثبات وجوده) ^(٣).

بيان: أثبت عليه السلام بقوله: إنه خلق الخلق بتحديد وتقدير، ونفيه عن الله ذلك، أنّه لا مناسبة بين ذات الله والمفعول ولا الفعل، وإنما مناسبة المفعول للفعل، وهو فيه مذكور، وإن كان بالإمكان، وكلّ مصنوع كذلك، إلا أنّ الأشياء تختلف في ذلك بحسب الهيولى والصورة، بحسب مراتب الموجودات: العقل، ثمّ النفس، والطبيعة، والمادة الجسمانية، والصورة المثالية، والجسم، وهكذا، وكلّ واحد يصدق عليه أنّه مخلوق مقدّر بتحديد وتقدير، فالماهيات مجعولة - لا كما قيل من نفيه عنها - بل لكلّ واحد جعل، وإن تلازما وتوقف كلّ على الآخر بوجه الوجود والماهية.

(١) في «أ»: «ضعف».

(٢) «الثل» الآية: ٨٨.

(٣) «التوحيد» ص ٤٣٨ - ٤٣٩، ح ١، صحناه على المصدر.

ويراد بقوله ﷺ: (فليس في كل واحد منهما)^(١)... إلى آخره، أي بحسب حقيقة الوجود والماهية، [فهي] ^(٢) فيها مخفية، وتظهر بالتملُّق والارتباط، أو يراد به وجه الشيء ونسبته إلى المشيئة، والوجود تحققه الظهوري بالماهية، وتأصلها بالوجود على أحكام التضايغ ودور المعية، فإدراك كلِّ بالآخر، وباجتماعها يتحققان ويأتلفان، وكلُّ واحد مدرك بنفسه، وله أحكام وصفات تضادَّ الآخر، هذا بحسب الذات، وقد يشايغ أحدهما الآخر بالحركة المرضية، حين المعصية، [بتشايغ] ^(٣) الوجود، وبالعكس حين الطاعة.

قوله ﷺ: (ولم يخلق شيئاً)^(٤)... إلى آخره، بديهي، فإنَّ كلَّ ممكن مركَّب، له جهة من نفسه وأخرى إلى جاعله، ولهذا يدلُّ عليه، ما ذاك إلا لظهور الدلالة فيه، ولا يختلف ممكن عنهما، وهما الوجود والماهية، وكلُّ شيء أيضاً قابل لأثر المؤثر، ففيه مقبولية وأثره، ولك اعتبار الواحد بوجوه ثلاثة أو أربعة أو أكثر.

قوله: ﴿ فلم ﴾ ^(٥) يحلل فيها فيقال: هو فيها كائن، ولم ينأ عنها فيقال: هو منها بالن ﴿ .

أقول: هذه العبارة مثل قولهم ﷺ في غير موضع، في الخطب وغيرها: (مع كلِّ شيء لا بمقارنة، وغير كلِّ شيء لا بمزايلة)^(٦) ونحوه، ليس بداخل في شيء ولا خارج عن الأشياء، فيكون داخلاً خارجاً، فالدخول حين الخروج، و[بما] ^(٧) به الدخول من جهة الخروج، ونحوه نقول في قربه وبعده، وهو أيضاً قريب بعيد، داخل خارج بجهة واحدة، من دون تفاوت بوجه حتى اعتباراً، وهو أيضاً ليس بداخل ولا خارج بجهة واحدة.

واعلم أنَّ تحقيق هذا الدخول والخروج من غير مداخلة وممازجة، ومن غير مباينة ومفارقة، يحتاج إدراكه إلى لطف وطور وراء العقل؛ لأنه إنما يدرك بالفؤاد وبدء الوجود،

(١) «التوحيد» ص ٤٣٨، ح ١، صحناه على المصدر.

(٢) ليست في «ب».

(٣) في «ب»: «فيتايغ».

(٤) «التوحيد» ص ٤٣٩، ح ١، صحناه على المصدر.

(٥) في المصدر: «لم».

(٦) «نهج البلاغة» الخطبة: ١، صحناه على المصدر.

(٧) في «أ»: «ومما».

والنظر بنور الله الذي هو ذكرك الأول، والذي ينظر به المؤمن، كما ورد^(١)، وبه يعرفون صفاته وآثاره وبدء الفعل، فإنه مجرد عن الكم والكيف، وسائر النسب والأوضاع؛ لأنها مجعولة به، ولو جرى ذلك في بدء الصنع جرى في الصانع، تعالى الله علواً كبيراً.

وحقيقة معرفة ذلك [ليست إلا] ^(٢) لأنبيائه ورسله، [ومن حملوه] ^(٣) وفهموه من الممتحنين وحفظه الأسرار. ومن نظر هذه المسألة بالحدود والرسوم، أو بقواعد أهل التصوف، فقد رام محالاً، وكان عنها في البعد البعيد، وكيف يدرك جمع هذه الأضداد ورفعها بها؟ إنه لمن المحال، لأنه يوجب تفرقة وتضاداً، وفي هذه رؤية البعد عين القرب، والخفاء عين الظهور، من جهة الخفاء ومن جهة الظهور، وكذا نقول في القرب والبعد - كما عرفت - من غير اقتران أو افتراق، أو نسبة أو إضافة أو ربط.

وهذا من أحاديثهم الصعبة المستصعبة، التي وصفوها به، وأنه لا يطلع على حقيقتها إلا الأوحدي من الناس بتعليمهم، وإن كان كل شيء بهم ومنهم وفيهم وإيهم، ولا ينال أحدٌ جوداً وعلماً أو غيره إلا بهم.

ثم وإذا كان قربه وبعده ومعيته ومخالفته كما عرفت، يجب أن لا يكون له أين ولا وقت، ولا له مباين - بجميع أقسامها - ولا موافق، ولا يحل بغيره ولا يتحد به، ولا تكون الأشياء كامنة فيه، كالأعيان الثابتة، ولا هو كل الوجود، ولا الأشياء حدود اعتبارية قائمة بوجوده، ولا كمالات الموجود ثابتة له في أزله - نعم، لا تخرج عن ملكه - ولا المعلوم معه أزلاً اعتباراً، ولا مناسبة بينه تعالى والمخلوقات، بل هي بينه وبين فعله، إلى غير ذلك من أقوال الملأ والكاشاني ومحمد صادق ومن شابههم، تبعاً لابن عربي وأمثاله.

ولقد أبطل الإمام جميع ذلك بمختصر هذا القول، وكم لهم عليهم السلام مثله، وهم يخاطبون بمثل هذا الكلام، مثل قول علي عليه السلام: (داخل لا بممازجة، وخارج لا بمباينة)^(٤) وفي آخر: (داخل لا كدخول شيء في شيء، وخارج لا كخروج شيء من شيء)^(٥).

وفي حديث عمران، عن الرضا عليه السلام قال: (وليس يدخل في شيء ولا يخرج منه، ولا يؤوده

(١) «أمالي الشيخ الطوسي» ص ٢٩٤، ح ٥٧٤، وفيه: (اتقوا فراسة المؤمن، فإنه ينظر بنور الله).

(٢) من «ب».

(٣) في «أ»: «وجدوه».

(٤) و(٥) «التوحيد» ص ٣٠٦، ح ١، وفيه: (هو في الأشياء على غير ممازجة، خارج منها على غير مباينة

داخل في الأشياء لا كشيء في شيء داخل، وخارج منها لا كشيء من شيء خارج....).

حفظه (١).

ونحوه قوله ﷺ له لما سأله: أهر في الخلق أم المخلق فيه؟ فقال ﷺ: (جَلَّ يا عمران عن ذلك، ليس هو في الخلق، ولا المخلق فيه) (٢).

وحقيقته لا يعرفونه غيرهم، ولنا التسليم، وهو أول الدرجات، ومن لَطَّف سرّه يدرك وجهه بما حمل منهم.

وقال الرضا عليه السلام بعد ذلك في حديث عمران: (ولا يعرف أحد من الخلق كيف ذلك إلا الله عزَّ وجلَّ، ومن أطلعه عليه من رسله وأهل سرّه، والمستحفظين لأمره، وخزّانه القائلين بشريعته) (٣).

وقد عرفت ذلك، ووجهه ظاهر ممّا سبق، ويكفي في معرفته نفي المفارقة والمباينة والمزايلة، والمداخلة والممازجة، فنقول: لو كانت مفارقتة بمزايلة ومباينة، كان له ضدّ ومقابل، فيكون ضدّاً لغيره، وقامت فيه صفة الإمكان، وتعارضت العلة ومعلولها، وهو محال. ولو مازج غيره قامت فيه حدود الإمكان، واختلفت عليه الأحوال وغير ذلك، وكلّه محال. وكثير من المسائل كذلك، مثل معرفة المنزلة بين المنزلتين، فيكفي فيه إبطال الجبر والتفويض، وقد يستعملونه بالنسبة إلى بعض، بقدر ما يعرفون من حال السائل، ومعرفة سرّ القدر، ولو طلب منه تحقيق الوسطة لم يخرج عن أحد الطرفين، وهذه مرتبة ثانية، في المعرفة كافية.

وفوقها نقول: هو دون الخلق بالذات؛ لأنّه تعالى: (خلوّ من خلقه، وخلقته خلوّ منه) (٤) فلا يقوم المصنوع عند الصانع، ولا ذكر له في ذاته بوجه أصلاً، لا نفيّاً ولا إثباتاً، إلا الامتناع، بمعنى: ذكره في إمكانه، وعدم ذكره فوقه، وظاهر في فعله ومصنوعاته بأثار الصنع والدلالة، والإحاطة الفعلية، وتجد آثار ذلك، والإمداد فيه وبه بالدلالة الذاتية، لا الإحاطة الاكتناحية، وما سوى هذه من المزايلة والمداخلة المزجية من أحكام الممكن، وما يكون كذلك ممكن، وهو تعالى محيط بها، ومعها معيّة فعلية في أمكنة وجودها، ولا يخرج من ملكه شيء، وليست معه أزلاً، ولا هو معها بذاته في مقاماتها، لا رتبة ولا وجوداً.

(١) «التوحيد» ص ٤٤٠، ج ١.

(٢) «التوحيد» ص ٤٣٤، ج ١.

(٣) «التوحيد» ص ٤٤٠، ج ١.

(٤) «الكافي» ج ١، ص ٨٢ - ٨٣، باب إطلاق القول بأنه شيء، ح ٢ - ٥.

وما أشرنا له هو مباينة الصفة، وظهور الصفة أيضاً، والصفة دون الموصوف، وتنقطع دون الذات، فوجوده تعالى وجود صفة، وكذا توحيد، كما دلّت عليه النصوص، لا توحيد اكتناه ولا ظهور إحاطة، كما عرفت وسيأتي.

وبعبارة أخرى نقول في بيان هذه المفارقة والمداخلة والمعية: جميع الأشياء مظاهر صفاته وأسمائه تعالى، بل هي نفسها؛ لدلالاتها عليه ذاتاً وصفة، والله فطرها على توحيد، فهي صفة التوحيد، ولا اختصاص للاسم باللفظي كما سبق، وصفة الشيء تدلّ عليه، ولا يكون معها، لا وجوداً ولا رتبة ولا مقارنة، بل تنقطع دونه، ولا ذكر لها عنده بوجه أصلاً، وهكذا بينونة الصفة.

والذات مع الأشياء بالظهور الذي هو صفته، بل حقيقتها ذلك، ودونها بحسب الذات، إذ لا ذكر للصفة في مقام الموصوف ووجوده بوجه أصلاً، لا ثبوتاً ولا نفيًا، لانقطاعها بكل معنى دونه، وهذا لازم بينونة الصفة - كما روي عن علي عليه السلام وبيان معناه - (لا بينونة هزلة) ^(١)؛ وإلا وجب أن يكون دون كل شيء بمزايلة ومباينة، فيجوز الشق الآخر، وهو معية الممازجة والمداخلة، ولو بحسب الصلوح والذكر، إذ أحد الضدين له ذكر عند ذكر الآخر. وليس معنى مباينة الصفة كما قاله الملا الشيرازي، من كون الممكن حقيقة الواجب، والامكانية وصفاتها قبوداً اعتبارية، وتمايزة بالصفة، فإنه ضلال نعوذ بالله منه، قال الباقر: (إن الله خلق من خلقه، وخلق خلقه منه) ^(٢).

ولا تتوهم من لفظ هذا الحديث، ومن قولنا بعدم ذكر غيره في ذاته بوجه أصلاً، لا نفيًا ولا ثبوتاً، ثبوت نسبة في الذات، نسبة تضاد أو غيرها، ولكن المراد التعبير عن الذات ونفي ما سواها، وقصارى ما يمكن في نفي ذكر الأشياء فيها ذلك، ولو كان كما يظن كان للأشياء ذكر فيها، وهو خلاف الفرض.

وفي خطبة الرضا: (وغيوره تحديد لما سواه) ^(٣) لا لذاته بوجه أصلاً، تعالى الله علواً كبيراً، فتأمل.

ثم وإذا كانت مباينته مباينة صفة، فلا مباينة هزلة ولا ممازجة، فلا نسبة بينه وخلق، بل

(١) «الاحتجاج» ج ١، ص ٤٧٥.

(٢) «الكافي» ج ١، ص ٨٢ - ٨٣، باب إطلاق القول بأنه شيء، ح ٣ - ٥. والحديث الرابع منها مسند إلى أبي

عبد الله عليه السلام. (٣) «عيون أخبار الرضا» ج ١، ص ١٥١، ح ٥١.

جميع النسب والروابط منقطعة دونه، وهذا متقدّم، والتأخر نسبة بعض الأشياء لبعض، وربط بعضها ببعض بسبب اختلاف القوابل والاستعدادات، وأمره واحد، وسر اختلاف القوابل والاستعدادات قرانات وحدود لازمة للجعل بنفس المجمعولية، لا لعدم أعيان، ولا من الله أوجده، وإلا لزم الترجيح لا لمرجح، وعلت الحجة عليه من الضميف.

وهذا مختصر مسألة تاهت فيها أفكار العلماء، وضلّ فيها كثير، مثل الملام وغيره، في بيان هلة تفاوت الاستعدادات والقوابل، وسيأتي البيان مبسوطاً في المجلد الآخر، وسبق أيضاً. فأتضح لك أنه تعالى ليس في الخلق، ولا الخلق فيه، كقول المشبهة وأهل وحدة الوجود، أو الموجود، أو الأشياء مستجبة فيه أو معه أزلاً، ولا متصللاً بها ولا منفصلاً عنها، ولا مقارن أو مباين، وإن أحاط بها إحاطة قيومية، بحيث لا يشذ عنه شيء منها، كإحاطة الموصوف بصفته، وهو إحاطة ظهورية، لا بذاته فيها أو معها أو بالعكس، فالدخول دخول ظهوري كما عرفت، وهو يوجب الخروج الذاتي لا بعزلة، كإحاطة الشمس بأشعتها، وذو الوجه بالصورة، والنار بالأشعة، وأنى الإحاطة الذاتية مع من لا فرض له معها، وهو ينفي العزلة. وبهذه القدرة الفعلية استطال بها على الأشياء، وأمسكها بها، وتمدّها بها بالمدد الجديد، ولا ذكر لها في القدرة الذاتية، وأوجدتها بها بالفاعلية الظاهرة بها، وسبق: (خلق الله المشيئة بنفسها)^(١) بغير كيف وكم وأين، كما عرفت.

وإذا أتقنت ما سبق وعرفته، يظهر لك أن كلام الشراح في قصور عن فهم مراده ﷺ، أو ضلال.

قال ملا خليل في شرح: (فلم يحلل فيها): «الفاء للتعقيب، لا للتفريع، والمراد بالحلول [في الأشياء]^(٢) أن يكون مكانياً، ومكانه جميع أمكنة الأشياء أو بعضها بالتداخل، وسيجيء في تفسير المصنّف^(٣) أن المراد بالحلول أن يكون من أعراض الأجسام. (فيقال: هو فيها كائن، ولم ينأ عنها) - أي لم يبعد عنها - بأن يكون له مكان خارج عن أمكنتها -

(١) «الكافي» ج ١، ص ١١٠، باب الإرادة... ح ٤، وسبق في «هدي العقول» ج ٥، باب ١٤، ح ٤.

(٢) من المصدر.

(٣) «الكافي» ج ١، ص ١٣٧، قال في تفسير الحلول والنأي: «فمن ﷺ بهاتين الكلمتين صفة الأعراض

والأجسام»...

(فيقال: هو منها بائن)^(١).

أقول: إرادة التفريع ظاهرة كما لا يخفى، والمراد بالحلول أهم من الحلول الحسي والنفسي والعقلي والأمري، فلو صح أحدها صح الباقي. ولا مكان له مطلقاً، والأشياء متداخلة ومتناسبة بعضها من بعض، ولا ذكر لها بوجه عند الذات كما عرفت، وتنزيهه عن جميع الإمكان وأحكامه وصفاته، لا من الأشياء خاصة، والخلق - الذي هو معاد الضمير - يشمل الأجسام وغيرها.

وقال محمد صادق - في شرح قوله **لَا يَخْلُقُ شَيْئاً**: (لم يحلل فيها فيقال: هو فيها كائن، ولم ينأ عنها فيقال: هو عنها بائن، ولم يخل منها فيقال له: أين؟) - «يعني: لا يحيط الله بشيء إحاطة معنوية أو جسمانية، كإحاطة الظرف بالمظروف، وإلا يلزم أن يكون له سطح، فيكون جسماً، وتعالى عنه. ولم ينفصل عنه تعالى شيء، وإلا يلزم أن يكون له بعض، ولو كان، يلزم أن يوجد فيه بعض دون بعض، وشيء دون شيء، وهذا يستلزم التركيب، (ولم يخل منها شيء)، أي لا يخلو عن ذاته تعالى شيء، وإلا يلزم أن يكون فيه شيء دون شيء، وهو محال».

أقول: الله لا يحيط ذاتاً بغيره، ولا يحاط به، سواء في ذلك جميع الممكنات ووجوداتها، وكذا **﴿لَمْ يَلِدْ وَلَمْ يُولَدْ﴾**^(٢)، وجميع ما ذكر يوجب تشبيهاً، ولا يُعرف الله به، وإنما هو صفة غيره، لكن على قوله بوحدة الوجود والإحاطة الذاتية بخلقه، وقوله بالمناسبة والربط بين ذات الفاعل ومفعوله يبطل جميع هذه الصفات، للزومها من هذه القواعد المجتثة، وهو قد صرح بوصفه تعالى بصفات الممكن عرضاً، بسبب ظهوره تعالى به كما سبق ويأتي، نعوذ بالله منه.

وقال الملا الشيرازي في الشرح: «الله تعالى جعل لكل شيء حداً محدوداً، ولا حد له ولا نهاية، فلا يحل في موضع^(٣) ولا موضع، وإلا كان وجوده فيه واختصاصه به كاختصاص الحال بالمحل، والتمكن بالمكان، وهو ممتنع في حقه تعالى؛ لأنه خالق كل محل ومكان، فلا يفتقر إليه. وليس بنا عن الأشياء، أي يبعد عنها، وإلا كان مبايناً منها مسلوباً عنها، وهو عليه ممتنع، إذ قوام الأشياء بوجوده، وما يتقوم به وجود الشيء لا يبعد

(١) «الشافي» مخطوط برقم: ٢٣٣٤، الورقة: ١٠١، باختلاف، ومنه: «والفناء للتفريع» ولم يذكر احتمال التعليق، ولعل ما ذكره المؤلف - هنا - وارد في إحدى نسخ الشافي.

(٢) «الإخلاص» الآية: ٣. (٣) كذا في المصدر، وفي النسختين: «موضوع».

عنه^(١).

أقول: منزّه عن الحلول في أحدهما أو غيرهما، بمعنى حلول شيء مغاير في آخر، أو كونه حقيقة غيره، فتعتور عليه صفتا الإمكان والحدوث، فيكون محلاً لغيره، وحينئذ يلزم منه صحة حلوله في غيره، وعلى قواعده تبطل هذه الصفات، ويكون المراد منها غير المراد، وسيأتي في كلامه عليه السلام لذعلب^(٢) ما يكشف ذلك ويبطل الحديث، فترقب إن شاء الله.

ثم قال بعد كلام: «فالحقّ الأوّل تعالى نور الأنوار وإن كان أبعد الأشياء وأرفعها، من جهة علو رتبته وكثرة المراتب والدرجات بينه وبين أدون المخلوق، فهو أقرب إلى الأشياء إليه وأدناها منه؛ لشدة ظهوره وقوة نوره، والأبعد درجة أقرب في الظهور، فلا أقرب منه، فسبحان الأقرب الأبعد، والأعلى الأدنى، والأخفى الأجلّ، فهو واهب ذات الموجودات ومعطي كمالاتها»^(٣).

أقول: ما يظهر بذاته فليس بواجب وجوده، وعنده أنه كلّ الوجود، وكلّ كمال ثابت له في أزله، فمراده بالتعدّد بملاحظة التعيّنات في المراتب، والأعيان القديمة الغير المجمولة، والجاهلية والمجمولية بهذا الاعتبار، لا في نفس الأمر، ولا تعدّد ذاتي، بل عرضي، وكلّه لا أصل له، وسينكشف لك تمويه فيما وعدناك، مع ظهوره ممّا سبق، فإنهم ينزلون المباينة ونفي الأين عنه والاتحاد والحلول على ما يكون بين شيئين، ولا مباين له تعالى ولا وجود غير وجوده، فليس إلا واحداً، فلا تجري عليه هذه الصفات، وهذا [—] ظاهر وتحريف بالباطل، وسيأتي ذلك من كلامه وتلميذه.

ثم نرجع ونقول: إن عمران الصابي لما سأل الرضا عليه السلام عن ذلك، وأجابه بما سمعت، بين له الإمام الحقّ بمثال، فإنه أتمّ للبيان وأثبت لمن عقله، ودلالة الفعل أقوى وأثبت من دلالة القول، قال الله تعالى: ﴿وَتِلْكَ الْأَمْثَالُ نَضْرِبُهَا لِلنَّاسِ﴾ الآية^(٤)، وقال: ﴿سُئِرِيهِمْ آيَاتِنَا

(*) «أي لا يسلب عنه ويعتزل منه، وكلّ مسلوب معتزل ضد أو مخالف، والله لا ضد له ولا يقابل بشيء، وهو معنى قوله عليه السلام: (لا مباينة عزلة). ب» [حاشية «أ»].

(١) «شرح أصول الكافي» طبعة حجرية، ص ٣٣٦، باختصار، صححناه على المصدر.

(٢) وهو الحديث الرابع من هذا الباب.

(٣) «شرح أصول الكافي» طبعة حجرية ص ٣٣٦، باختصار، صححناه على المصدر.

(٤) «العنكبوت» الآية: ٤٣، «الحشر» الآية: ٢١.

فِي الْأَفَاقِ وَلِي أَنفُسَهُمْ حَتَّى يَتَبَيَّنَ لَهُمُ اللَّهُ الْحَقَّ أَوْ لَمْ يَكُنْ بِرَبِّكَ اللَّهُ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ شَهِيدٌ ﴿١١﴾
 فقال ﷺ: (وسأعلمك ما تعرفه به، ولا حول ولا قوة إلا بالله، أخبرني عن المرأة أنت فيها أم
 هي فيك؟ فإن كان ليس واحد منكما في صاحبه، فبأي شيء استدلت بها على نفسك؟) قال
 عمران: بضوء بيني وبينها، فقال الرضا ﷺ: (هل ترى من ذلك الضوء في المرأة أكثر مما تراه
 في عينك؟) قال: نعم، قال ﷺ: (فأرناهُ) فلم يحجر جواباً.

قال الرضا ﷺ: (فلا أرى النور إلا وقد ذلك ودل المرأة على أنفسكما، من غير أن يكون في
 واحد منكما، ولهذا أمثال كثيرة غير هذا، لا يجد الجاهل فيها مقالاً، والله المثل الأعلى).

ثم التفت ﷺ إلى المأمون فقال: (الصلاة قد حضرت)، فقال عمران: يا سيدي لا تقطع
 عليّ مسألتني، فقد رُقّ قلبي، قال الرضا ﷺ: (نصلي ونعود) فنهض ونهض المأمون، فصلّى
 الرضا ﷺ داخلاً، وصلّى الناس خارجاً خلف محمد بن جعفر، ثم خرجا، فعاد الرضا ﷺ
 إلى مجلسه، ودها بعمران، فقال: (سل يا عمران) (١٢).

بيان: لقد أوضح ﷺ له بذلك كمال الإيضاح، من ظهور الصفة وعدم الممازجة
 والمباينة، وعدم ذكر المعلول والصفة عند العلة والموصوف، وغير ذلك، وأبطل به عدّة
 مسائل للمتصوّفة، أبطلوا بها الأحاديث، وضلّوا وأضلّوا
 والمراد بالمرأة - في الاستعمال والعرف - نفس الزجاجة، ويراد منها أيضاً: نفس
 الصورة، فإنها هي الحاكية للمقابل وآية الرؤية ومحلّها، والزجاجة شرط، كالكثيف بالنسبة
 إلى الشعاع والشمس، ويتم الاستدلال على التقديرين، ولهذا لم يخصّ ﷺ بالذكر
 أحدهما.

فأنت حين المقابلة ترى وجهك فيها وتعرفه بها، وله فيها حدود وصفات، ليست فيك
 وليست هي حقيقتك، ولا تجلّيت فيها بذاتك، ولا هي فيك، إنما كان بالالتفات والتجلّي
 الفعلي، لا الذاتي، وليست هي إلا نفسك، والاستنارة من غير ممازجة ومباينة.
 فتعرف من ذلك كيفية التأثير والدلالة، والتعريف والقيومية الاحاطية الفعلية، لا
 الذاتية، وكذا الانبساط والشمول للوحدة، لا للأحد تعالى وتقدس.

(١) «فصلت» الآية: ٥٣.

(٢) «التوحيد» ص ٤٣٤ - ٤٣٥، ح ١، صححناه على المصدر.

وكذا الإحداث والإيجاد وحقيقة الخطاب في: ﴿ كُنْ فَيَكُونُ ﴾ وكذا الخطاب الشفاهي والنفس الصفاتي، والمثل الأعلى الدال، والحدود اللاحقة للمجمول حين الانوجاد، على جهة المسافة من الحدود الستة وغيرها.

والتجلي الفعلي، والقيام الصدوري بالفاعل، والقيام الركني والمضدي بالأمر المفعولي، وقيام الظهور، وظهور المؤثر في الأثر، مع خروجه عنه، بما دخل به بالخروج، وبطلان الربط والمناسبة بين ذات الفاعل والمفعول، وإنما هي بينه وبين فعله والمعية الفعلية ومعناها، واستحالة الذاتية، ومعنى ظهوره تعالى في أثره، ودخوله وخروجه، وكونهما بشيء واحد، ومعنى بينونة الصفة، وهي التي بينه وخلقه، لا بينونة عزلة، وبطلان الأعيان القديمة.

ومعنى قوله ﷺ: (إِنَّ اللَّهَ خَلَقَ مِنْ خَلْقِهِ، وَخَلَقَهُ خَلْقًا مِنْهُ) ومبدأ اشتقاق الأسماء، والصفات، وعدم رجوعها إلى الذات، ونهاية الحوادث، وما ينتهي إليه الممكن، وتطورات الممكن، ومعرفة جهة الاستدلال من الأثر على المؤثر، ومعنى الدليل اللامي والإثني، والاستدلال به عليه لا بغيره، ومبدأ المعاصي، والأمر بين الأمرين، إلى غير ذلك من المسائل التي لم أحط بها تفصيلاً، أو عجزت عنها، وبها تبطل كثير من قواعد الكلام وأهل النظر، ويبطل كل طريقة أهل التصوف، ويظهر ضلالهم، نعوذ بالله منه.

ثم اعلم أن الروايات مختلفة في سبب الرؤية، هل هي بخروج الشعاع أو بالانطباع؟ ففي نص روايات المجلد الثالث^(١) ما يدل على أنه بالانطباع، كما هنا، وفي بعض روايات نفي الرؤية^(٢) أنها بخروج الشعاع، وهي محتملة، وأقوال الحكماء هنا مختلفة، ونقل الأقوال مع الأدلة لا يسعه المقام.

واستدل عليه الإمام بدليل ظاهر، وهو عدم زيادة ضوء المرآة على ضوء العين، فلا شعاع متوسط، ولو كان بحس أو عقل، وهران سلم ولم ينازع.

ثم نرجع ونقول: إنك بالتفاتك ينفصل من مثالك وشبهك - لا من حقيقة ذاتك - صورة تدل عليك بوجه، ولها حدود مكتنفة لها، من لون واستقامة واصوجاج، وغير ذلك من حدود الزجاجية، فلو كنت فيها بالذات تكثرت وتلوت بتلونها وتكثرها، وليس كذلك

(١) «هدي العقول» ج ٣، باب حدوث العالم. (٢) «هدي العقول» ج ٤، الباب التاسع.

أنت، فدل على أن الدلالة بقدرها، وانفصالها عن النور المقابل، وهو الشبح الأولي، نسبه له بالمقابلة، بما تجلّى لها، وليس أحدهما في الآخر، وتعيّنهما كان بالحدود، وهو سبب التكثر. وما يلزمنا من هذه الجهة، وهو جهة التفاتك إلى نفس الصور، وحينئذ تعرض عن الدلالة، فإنها بجهة الاستنارة.

وما عرفتك إلا بجهة الظهور، وما عرفت ما عرفت نفسك إلا بظهورها لك بك، من غير أن يكون أحدهما في الآخر، فنظرك لها بها. وكذا نظر الله لعباده بأنفسهم، أي بصفة فعله لا بذاته، ونظرك لله بصفة فعله لجهة الدلالة، والنور يدلك على النور وبالعكس؛ لأنه إنما تجلّى لها بها، وبها احتجب عنها^(١). والذوات إنما تحد أنفسها، وتشير الآلة إلى نظائرها وأشكالها، كما روي^(٢) عن علي عليه السلام.

ولا يتجاوز الشيء مقامه، فلا يكون الممكن واجباً، ولا يدرك ذاته، ولا يجوز لمن دون محمد وآله عليهم السلام أن يدركهم، فإنه لا يمكن أن يكون في الكون غيرهم، بمقتضى المشيئة، ولو كان فهو أحدهم، ولا طامع يطمع في إدراكهم، إلا من أخواه الشيطان هنا، مع أنه لا يذهي مرتبتهم، فكيف الواجب تعالى؟

والدلالة أيضاً في مرتبة المدلول بما ظهر، فإن المدلول جهة ظهور الذات، وهي نفس الدليل، وهو ظاهر من الصورة، ودلالته عليك ومدلولها، وهو ما تجلّى لك بك، فتستدل بالمعلوم على المجهول، ولا يُستدل بشيء على آخر إلا بما عنده، ودلالة الصورة عليك إنما هو بما عندها، وظهورها بها، وهو الاستنارة والشبح الدال بواسطة الفعل، من غير أن يكون أحدهما في الآخر، ونظر العالي للسافل إنما هو بجهة الوصفية، وما ظهر للعالي بالسافل إنما هو بالسافل، لا بذاته، وكذا نقول في نظر السافل للعالي.

وقول الحكماء بأنه لا التفات للعالي للسافل مطلقاً، ليس على إطلاقه، لكن التفات السافل للعالي ودلالته عليه بنفس حقيقته، وجميع صفاته وأحواله، فإنه نفس ظهوره له به. وعرفت أن للصورة جهة حدود، وملاحظة نفسها، وملاحظة الدلالة والاستنارة، وهي جهتك لها ووجهها منك، وهذا هو نفس ظهوره، ومقام الدليل اللّمي، وإن كان بمقامه إنما عرفه بحدود وجوده، فهو لّمي، ومقام الأول الإثني، ولا يعرف ويستدل عليه إلا بآياته.

(١) «نهج البلاغة» الخطبة: ١٨٥، وفيها: (امتنع منها) بدل: (احتجب عنها).

(٢) «نهج البلاغة» الخطبة: ١٨٦، وفيها: (وإنما تحد الأدوات أنفسها، وتشير الآلات إلى نظائرها وأشكالها).

وتعرف من ذلك أيضاً أن الصورة وحدودها وجميع صفاتها موجودة عندك في مقاماتها، لا في ذاتك، وهو محيط بها في مقامها من كل وجه، ولا ذكر لها في الذات بوجه، لا بنفي ولا إثبات، فلم يعرض له تعالى تغير وتحول أو حاجة بخلقه الخلق، ولا علة له - زيادة - غير نفس الصنع، للكرم والجود المحض، وعن علي عليه السلام: (علة صنعه صنعه)^(١) ومعلوم أنه لا ذكر للمعلول في مقام ذات العلة بوجه أصلاً، ولو بحسب الصلوح والعدم. واعلم أيضاً أن الاستدلال بشيء على شيء لا يوجب المناسبة الذاتية، ولا الارتباط، ولا كون الأثر في رتبة المؤثر، ولا الوجود واحداً، ولا بالعكس، وهو ظاهر من المثال، ولو فرض أحدها بطل الفرض من الاستدلال والدليل والأثر والمؤثر.

وكيف يمكن فرض أحدها، وإن ما ذلك على ذاتك منها، إنما هو نفس الظهور المنفصل من الشبح الدال عليه، والملقى فيه مثال الدلالة، لا الذات، بل الشبح الدال، وهو نفس الصورة، ولولاك ما عرفتك، [أو دلتي عليك، ويكون ما عرفك به وتعرف لك بك هي ذات الظهور، بحسب الكلية، وهي مبدأ الاشتقاق لجميع الأسماء والصفات، وجزئياتها وأجزائها، كما ترى من الصور المتكررة بلا نهاية، الممتورة على ذاتك؟ عليك استخراج باقي ما أشرنا له من المسائل من المثال، مما بيناه لك، أزدنا الله وإياكم من فضله.

ولما كان الكل أثره ومصنوعاً له، والأثر يدل على مؤثره دلالة توصيف، ففي كل شيء دلالة عليه تعالى، بحسب الوجود والصفة، وكيفية الصدور والقيام، وإن تفاوتت الأشياء في ظهور ذلك منها لغيرها، وفي وضوح الدلالة وخفائها، وكل شيء مخلوق بفعله ودال عليه.

فائدة توضيحية

لا خفاء في أن معرفة جميع أحكام المبدأ تعرف من ظهور الوجه في الصورة، أو قل: السراج في الأشعة، أو المتكلم والكلام، ولكن لا بحسب ذاته، بل بحسب [الظهور من المعية ومبدأ الوجود، والأسماء والصفات والعلة والغاية وغير ذلك، وفي نفس الشعاع والصورة معرفة جميع^(٢) أطواره وطبائعه وألوانه، واقتضائه وسائر أحواله.

(١) «شرح المشاعر» ص ٣٣٦، ٦١٧، وفيه: (علة ما صنع..).

(٢) من «ب».

ومن الظهور تعرف جهة الارتباط، والأمر بين الأمرين، وتحقق الاختيار، وعلمه تعالى بالجزئيات قبل كونها ومعه وبعدها بعلم واحد، وسائر أحكامه التي فيها الارتباط بين الفاعل بفاعليته والمفعول - لا كما يقوله أهل التصوّف على فرقتهم - ومعنى بينونة الصفة وبينونة العزلة، ومن غير أن يكون أحدهما في الآخر.

وإطلاق الكلمة - أيضاً - والكلام على الذات والحقائق، في الأخبار كثير، وكذا يظهر مما سبق بالنسبة إلى كل مؤثر وأثره، كالقائم بالنسبة إلى القيام، والكاتب والكتابة، والمصوّت والصوت، والأكل والأكل.

ومنها: الحكم بكون الفعل مؤثراً في الفاعل، مع أنه متقوم بالفاعل، فيكون أقوى، فيبقى التقديم، وكون الفاعل الفاعل، لكن لما كان ظهوره بالفعل، ومباينته مباينة صفة لا عزلة، كان كذلك واستكن ضميره فيه.

وكذا في اشتقاق اسم الفاعل والمفعول وسائر المشتقات من الفعل، وكله من بينونة الصفة، وأنّ الفاعل الذات، بجهة ما ألفت في الفعل من صنعها.

وكذا نقول في الحديدية [المحمأة] ^(١) بالنار، الحاكية لصفة فعلها، من غير أن تكون أحدهما الأخرى.

وكذا النفس ومعرفتها الأولية، التي هي حقيقتها. إلى غير ذلك من الأمثلة التي لا يتوهم فيها الجاهل الساذج، ولا يجد سبيلاً الجاهل المركّب إلى الإنكار، وليس له إلا العناد. واتضح لك أنّ كلّ ما نصفه به وندرکه إنما هو بحسب ذواتنا، وبما تجلّى بها لنا، لا بجهة الإحاطة والمطابقة الذاتية، سبحانه وتعالى ﴿وَأَنْ إِلَى رَبِّكَ الْمُنتَهَى﴾ ^(٢). و(إذا انتهى الكلام إلى الله عز وجل فأمسكوا) كما روي ^(٣)، واحتفظ على ما سبق وتأمله، فإنه ينكشف لك به عدّة مسائل صعبة، قد ضلّ فيها وخرق كثير، والله الهادي والموفق.

قوله: ﴿ولم يخل منها، فيقال له: أين﴾.

أقول: لما عرفت من أنّ جميع من سواه صفة ظهور وأدلة عليه، فلا يصحّ خلوه عنه،

(٢) «النجم» الآية: ٤٢.

(١) في النسختين: «المحمية».

(٣) «التوحيد» ص ٤٥٦ ح ٩.

والألم يكن أثره، والأثر يدل على صفة مؤثره، لا على حقيقة ذاته، من الكتابة ونحوها، الدالة على صفة فعله، وهي الحركة، من استقامة ونحوها، لا على حقيقة الذات وهو ظاهر. وإذا [لم يخل منها، فإنه معها بالصفة، ومباينته لها مباينة صفة، لا هزلة، كما قال علي ^(١)، والأخلا منها، فلا يصح أن يقال] ^(٢) له: أين، لانقضائه الخلو، وهو محال من وجوه. ومن هفوات الملا الشيرازي، ما قاله في شرح هذا الجملة، بعد وصفه بأنها من المسائل الصعبة المربصة، قال: «(ولم يخل منها) أي من الأشياء كلها، وأشار إلى دليله بقوله: (ليقال له: أين).»

بيان ذلك: أن منشأ خلق الشيء من شيء واحد من أمرين:

أحدهما: كونه أمراً جسمانياً مختصاً بزمان أو مكان، إذ لا يمكن اجتماع أمرين جسمانيين في أين واحد، في زمان واحد، فإذا كان لكل منهما أين آخر فلا جرم يخلو كل منهما عن صاحبه، ويغيب صاحبه عنه.

ثانيهما: كونه وإن لم يكن جسمانياً، بل منزهاً عنه، لكن ليس بينه وبين الآخر نسبة معنوية وارتباط عقلي، فليس بعلة له ولا معلولاً، ولا معلولي علة واحدة قريبة، وبالجملة: لا علاقة معنوية بينهما.

لكن الاحتمال الأول مستحيل في حقه تعالى؛ لأنه السبب الفاعلي لكل شيء، المقتضي له بذاته، فلو خلا ذاته عن حضور شيء، فكان ذلك لأجل كونه جسماً أو جسمانياً مختصاً بأين، فيلزم صحة أن يقال: إن له أيناً، وذلك معلوم الاستحالة والبطلان، وبتلوان التالي يوجب بتلان المقدم، فبطل القول بخلو ذاته عن الأشياء، وأنه باطل مستحيل ^(٣).

أقول: غلطه كثير، لكن تتكلم معه من جهة، وهو تأويله كلامه إلى الباطل، فليس معنى أنه (لم يخل منها) أن ذاته محيطة بها، وفاعل بذاته لها، بل بفعله و (تجلن لها بها) كما صرحت به النصوص ^(٤)، وسبق عن قريب. وليست الأشياء حاضرة عنده، وإن كانت في ملكه وقبضته، كل في مقامه، وهو خلو منها ذاتاً، وظهوره بها لها عينها، فلم تخل منه. وما

(١) «الاحتجاج» ج ١، ص ٤٧٥.

(٢) من «ب».

(٣) «شرح أصول الكافي» طبعة حجرية، ص ٣٣٦، صححناه على المصدر.

(٤) «نهج البلاغة» الخطبة: ١٨٥.

سبق كافي في بطلانه، وجميع ذلك لقرول علي ﷺ: (ومبايسته لخلقه مباينة صفة، لا مباينة هزلة) ^(١) ولكن ليس كما قاله الملا في تفسير كلامه ﷺ، وسبق بيانه.

قال: «توحيد هرشي: اعلم أن ذاته تعالى حقيقة الوجود بلا حد، وحقيقة الوجود لا يشوبه هدم، فلا بد أن يكون بها وجود كل الأشياء، وأن يكون هو وجود الأشياء كلها، إذ لو كانت تلك الذات وجود الشيء بعينه، أو الأشياء بأعيانها، ولم تكن وجوداً لشيء آخر، أو لأشياء أخرى، لم تكن حقيقة الوجود، وقد فرضناها حقيقة الوجود، إذ حقيقة الشيء وصرفه لا يتعدّد، كالإنسان مثلاً، فإنه لا يمكن أن يتعدّد من حيث هو إنسان، وليس التمدّد في زيد وصمرو إلا بأمر خارج عن حقيقة الإنسانية، فحقيقة الوجود لا يتعدّد إلا بشيء خارج، ولكن الخارج ليس إلا العدم، إذ المعاني والماهيات تابعة للوجود، والعدم ليس بشيء ثابت، فثبت أن لا تعدّد في الوجود إلا من جهة الأعدام والنقائص.

فإذن لما كان واجب الوجود محض حقيقة الوجود الصرف، الذي لا أتم منه، فلا خارج عنه إلا النقائص العدمية والأعدام، فهو كل الذات، ولا يشدّ عنه شيء من الموجودات، من حيث كونه موجوداً، بل من حيث كونه ناقصاً أو معدوماً» ^(٢).

أقول: هذه من أفسد قواعد، وضلّ بها وأضلّ، من قوله ^(٣): إن الله بسيط الحقيقة، وبسيط الحقيقة كل الوجود، فالله كل الوجود، ووجوده وجود الأشياء، والأشياء موجودة بوجوده في ذاته، وأن مفيض الكمال غير فاقد له في مرتبة ذاته، بل ثابت له في ذاته، وما سوى ذلك تعينات هدمية، توهم بها تعدّد الوجود، لما ظهر وجود الله بها، فهي مرآته ولا تعدّ في الوجود، وكله نموذ بالله منه.

وأصل ما أوجب لهم ذلك إبتانهم المناسبة الذاتية والرابطة بين الله ومصنوعاته، فمنهم من جعلها ذلك، ومنهم غيرها، وتمسكوا بلزوم التركيب لو قلنا بأنه فاقد الكمال، وهو باطل، فكمال الممكن ووجوده منقطع دونه، انقطاع الصفة عن موصوفها، ولا اعتبار له معها، سواء في الوجود الإمكانى والاعتبارات، وكلها [نقائص] ^(٤) تنتهي إلى الإمكان، بل دون المشيئة الفاعلية.

(١) «الاحتجاج» ج ١، ص ٤٧٥، وفيه: (وتوحيد تمييزه من خلقه، وحكم التمييز بينونة صفة، لا بينونة هزلة).

(٢) «شرح أصول الكافي» طبعة حجرية، ص ٣٣٦، صححناه على المصدر.

(٣) انظر: «الأسفار الأربعة» ج ٢، ص ٣٦٨، ج ٦، ص ١١٠، «شواهد الربوبية» ص ١٤٧، «كتاب المرشدية»

(٤) ليست في «ب».

ويلزم ما فزوا منه، من حكمهم بأنه كل الوجودات، وأن وجوده كل الوجودات، وعلى هذه القاعدة المجتثة نزلوا ما ورد^(١): أنه لا أين له، ولا يتحد بغيره، ولا يحل فيه، لأنه ليس هنا شيئان يتحد أحدهما بالآخر أو يحل فيه، بل ليس إلا شيئاً واحداً هو الوجود، وما سواه أهدام واعتبارات، حدث من تعينات الوجود بغيره اعتباراً.

ولا يخفى سقوطه، بل الوجود ينقسم إلى: وجود واجبي، لا يشترك مع غيره بوجه أصلاً، ووجود إمكاني، ينقسم إلى: مطلق، هو عالم المشيئة، ومقيد، من عالم العقل إلى آخر الموجودات.

وبداهة سقوط كلامه وخروجه عن المذهب أوجب الاختصار في الرد، وقد جمع في ذلك التشبيه والتعطيل، نعوذ بالله منه.

قوله: ﴿لكنه سبحانه أحاط بها علمه، وأتقنها صنعه، وأحصاها حفظه﴾.

أقول: بعد أن نفى عن الله الحد - بكل معنى - والأين، وكذا الممازجة والمباينة، كما هرفت، أثبت له هنا الإحاطة بها، بما يعرف به عموم ظهوره، وما خفي إدراكه فيما سبق، ويكون كالدليل والبرهان لما سبق، فإن من علمه محيط بكل كل، وكذا صنعه وإتقانه، وحفظه لها في جميع الحركات والسكنات، فهو الحافظ لها حين فعلها، ولا يكون له أين، أو مع بعض بالفعل، ومع آخر بالقوة، ولا تختلف عليه الحالات ولا الأحوال والصفات. والعلم إن أريد به الذاتي، فلا كيف له ولا نسبة، ولا معرفة به، وهو محيط بها ويحصيها، حيث لا معلوم بوجه، وهي في أمكنة كونها أو إمكاناتها بغير مداخلة، أو مراعاة نسبة أو إضافة. وإن كان الفعلي الحادث كما هو الظاهر، فهو نفس المعلوم، وقيام المصنوع بالصنع، وهو فعله، وإليه مردّه ومرجعه.

وأيضاً: لا يكون شيء مطلقاً - كما سيأتي^(٢) - إلا بسبعة أشياء: مشيئة، وإرادة، وتقدير، وقضاء، وإمضاء... إلى آخره، فلا يتحقق شيء في الإمكان إلا بها، فهو الحافظ لها والمحصي بصنعه وفعله، ولا يؤوده حفظهما، فليس قيامها بذاته قياماً عرضياً ولا ركنياً، ولا

(١) انظر: «الكافي» ج ١، ص ٨٨ - ٨٩، باب الكون والمكان.

(٢) «هدي العقول» ج ٧، باب في أنه لا يكون شيء في السماء والأرض إلا بسبعة.

عن تلازم ذاتي، أو عرضي أو حلولي، بل هو بتجلُّ فعلي ظهوري، ولا اعتبار لهما مع الذات بوجه أصلاً، فلا يثقله حفظها وإحكامها.

وكيف يثقل الموصوف [صفته] ^(١) أو يفغل عن صفته، والصانع عن صنعته، المفتقرة له في وجودها وبقائها؟

ومن إحاطة علمه بالأشياء يوجب كون العلم نفس المعلوم، وهو معنى الانطباق المذكور في أول المجلد السابق، وفيه: (وإذا وقع المعلوم انطبق العلم منه على المعلوم) ^(٢)... إلى آخره، إن أردت به العلم الفعلي. وإن كان الذاتي فلا يكون عين المعلوم؛ لأنه حينها، حيث لا معلوم مطلقاً، ولا قبل معها ولا بعد، ولا حفظ وصنع، وإلا لا صنع ولا حفظ، وبها عِلْم الأشياء وأتقنها، كلاً في مقام وجوده، بما تجلّى من الصفة الفعلية، وجعلها مبدأ النسب والاضافات، وإليها تُرَدُّ الشؤون وجميع التعيّنات، فيقال: معلوم وعلم، [إحصاء ومحصى] ^(٣)، ومعينة، وتجلُّ ومتجلُّ له وبه.

وقيل: بهذا [المقام: (من بهائك بأبها، وكل بهائك بهي) ^(٤)، وكذا في العظمة، ونحوها كثير في أدعية شهر رمضان، وهكذا في جميع ما ذكر من صفاته] ^(٥) تعالى، التي سمعتها في الأحاديث والقرآن، وستسمعها معها أنواع ارتباط، أو نسبة أو إضافة بوجه ما. فليس المراد بها الذاتي الأزلي، بل الصفة الكمالية الدالة عليه، التي تعبدنا بها، وبها دعوانه وأقررنا به وعرفناه، ونسبت له تعالى تشريفاً وتعظيماً، وللدلالة منها على المجهول المطلق، ووصفه بها تعبير وتفهم للدلالة، لا للإحاطة، ولا يكتنه بصفة ولا [شبه ولا مثل، ولا غير ذلك.

ومن هفوات محمد صادق وخطبه قال في: (لكنه أحاط بها علمه)... إلى آخره: «أي أحاط بالأشياء علماً ووجوداً» ^(٦)، إحاطة المعنى بالألفاظ، لا إحاطة الجسم بالشيء». أقول: جعل هذا مفرّحاً على قوله السابق، من أن الأشياء متحققة في ذاته، ووجودها

(١) ليست في «ب».

(٢) «هدي العقول» ج ٥، باب صفات الذات، ح ١، نقله بالمعنى.

(٣) في «أ»: «أحصى ويحصى» وفي «ب»: «إحصاء ويحصى».

(٤) «إقبال الأفعال» ص ٣٧٦. (٥) من «ب».

(٦) من «ب».

وجوده، بل لا وجود لها إلا وجوده، فيجب منه الإحاطة بها، فعلمه بذاته هو علمه بها، فهو كَلُّ الأشياء.

وقد عرفت سقوطه عن الحق، وأنه لا حق فيه، وليس ظهوره في الأشياء كالمعنى في اللفظ، إلا على نحو غير ما يريد، وهو الظهور الفعلي، فيتم التمثيل، لكنه بعيد عن مراده، فأصابوا في المثال والدليل، وضلوا كيفية التمثيل والدلالة.

قال: «وكلُّ مصنوع له تعالى غاية ما أمكن منه، ولا يمكن أزيد ممَّا هو له، فصنعه في غاية الاستحكام، ولا يمكن أن يصنع أزيد منه؛ لأنه تعالى في كمال العظمة والجلالة، وكلُّ يعمل على شاكلته، فكلُّ مصنوع في مرتبة ذاته في كمال لا يتصور أزيد منه، ولو كان [مصنوعاً] يمكن أن يكون أحسن منه، فيسري إلى فاعله، أن يكون شيء أحسن وأفضل منه، وهو محال، فتدبر.

فبطل قول من قال: يمكن أن يكون العالم أفضل منه، كالإمام الرازي^(٢) وغيره. (وأحصاها حفظه)، فإنَّ حفظه كصنعه، على حسب استعداد المخلوق، فما دام المخلوق مستعداً للبقاء لا سبيل لشيء إلى إفنائه، واستعداد المخلوق للبقاء على قدر بقاء هلته».

أقول: كله خطأ، بل كلُّ مصنوع قابل للزيادة، ولا نهاية [لجوده]^(٣) ومدده، وإلا تناهت ذاته وأحيط بعلمه، فكان الممكن واجباً وبالعكس، وهو محال، ولا زيادة إلا بأمر جديد، فكلُّ ممكن يمكن - بحسب الإمكان والقدرة - أن يكون أكمل ممَّا هو فيه، لكن في ذلك تفصيل:

ما كان مظهر عالم السرمد، محل شؤون المشيئة، قد اقتضت المشيئة الفاعلية أن لا يكون في الكون أفضل منه.

وما في الإمكان لا يبقى، بل يبرز، وهو الحامل له، وإذا كان هو الأوَّل فيبرز من إمكانه إلى كونه، وهو من إمكاناته. وهذا خاص بمحمد وآله عليهم السلام على مراتبهم، وما سواهم قبل الزيادة في نقص كمالهم، وإذا أزيد يترق، وهو قبل تام غير كامل، بخلاف محمد وآله قبل وبعد.

(١) في «أ»: «مصنوع».

(٢) انظر: «الحصل» ص ١٢٣، «المطالب العلية» ج ٣، ص ١٠٩.

(٣) في «أ»: «لوجوده».

وربقي في الإمكان ما يتجدد بمقتضى [مشيئته] (١)، فلا يلزم البخل وعدم أتمية الصنع، وكونه أكمل ما يمكن في الكون، لبطلان تأخر الأفضل والأشرف، وعدم كون العالم كذلك، وبطلان البخل، ولم يلزم سريان النقص للفاعل.

والفاعل يفعل بفعله ما يشاء، من نقل من مرتبة كونية إلى أخرى، أو إرجاع إلى إمكانه، والدواة الأولى والذات بأحديتها منزّه عن جميع ذلك، فاختياره ومشيئته مشيئة واختيار فعلي، وهو يوصف بالضدين بجهة واحدة يجتمعان فيها، ومردّها لفعله، فتأمل.

وقول الرازي جرى على الظاهر، من غير تحقيق للأمر، وكذا الباقي، فالقولان لم يصيبا الحق، وقد يستعد الشيء للبقاء وهو لا يكفي في بقاءه، بل يحتاج إلى الإذن معه، فلولا الإذن للنار في ملاقاته اليابس لم تحرقه، قال الله: ﴿وَلَوْ شَاءَ لَجَعَلَهُ سَاكِنًا﴾ الآية (٢). وإذا لم يبقه - أيضاً - نقله إلى بقاء آخر والعلة باقية، وكلّ بعلة، وعرفت العلة، وأنه ليس الذات بأحديتها، بل بفاعليتها، كالعلم مع المعلوم، وليس هو الذاتي، فتدبر.

وقال الملا الشيرازي: «قوله **طال**: (لكن أحاط بها علمه، وأتقنها صنعه) اهلم أنه لما نفى كونه خالياً عن الأشياء، استدرك ذلك بإثبات مقابله، وهو إحاطة علمه الذي هو عين ذاته بها» (٣).

أقول: نعم، لم يخل عنها، لكن ليس كما قال من كونه كلّ الأشياء - وسيأتي - بل بالإحاطة الظهورية والقيومية الظهورية والمصنوعية، ولذا قال: (أحاط بها) ... إلى آخره، وليس هو العلم الذاتي، فتكون ذاته كلّ الأشياء، والعلم والمعلوم والعالم شيئاً واحداً.

قال: «قال بعض العرفاء في كتابه المسمى بزبدة الأصول: الموجودات مستفادة من ذاته، وعلمه محيط بكلّ شيء، كما قال: ﴿أحاط بكلّ شيءٍ وعلماً﴾ (٤). والحق أنه الكثير والكل، وأن ما هداه هو الواحد والجزء، لا بل كل ما هداه فليس بواحد ولا جزء أيضاً، إلا من الوجه الذي يلي كليته وكثرته. وخذ هذا الكلام الغامض في نفسه مثلاً على قدر حماك، واهلم أن الشمس وإن كانت واحدة، والشعاعات الفائضة عنها كثيرة، فالحق أن يقال: إن الشمس هي الكثيرة، والشعاعات هي الواحدة، وإذا كان العلم المستفاد من وجود

(١) في «ب»: «من شيعته».

(٢) «الفرقان» الآية: ٤٥.

(٣) «شرح أصول الكافي» طبعة حجرية، ص ٣٣٦ - ٣٣٧.

(٤) «الطلاق» الآية: ١٢.

المعلوم يسمى علماً، وهو علم الخلق، فكيف لا يسمى الصفة الإلهية - التي هي ينبوع الوجودات كلها - علماً؟ بل الحق أن لا يطلق اسم العلم إلا عليه تعالى، فإن أطلق على غيره فبالمجاز المحض والتوسع البعيد^(١) انتهى.

أقول: قد بُعِدَ عن الحق، والواحد لا يكون كثيراً من جهة واحدة - فمن قال به لم يفهم لفظه ولا أدركه، وأسقط عن الاعتبار - ومع [تعددتها]^(٢) يكون مركباً وليس بأحدي، وتختلف عليه الأحوال، إلى غير ذلك، تعالى الله عن ذلك.

وقد أصاب المثال وضلّ كلفيته، فلم ينفعه ذلك، فالشمس ظهورها في الأشعة بفعلها - وهو قرص النور - ظهور فعلي، وليس قيامها بها ركنياً ولا عرضياً، بل صدوري، ومردّها لفعلها، وهي صفة استنارتها، لا ذاتها ولا نورانيتها الذاتية، ولا تحقق لها في ذاتها، ومحيطه بها في مقامات أشعتها. فمثاله عليه لا له، وهكذا أهل التصوف، وأمثالهم الوجودية على نحو ذلك.

ويطلق العلم على غيره - كالوجود - حقيقة، في مقامه الإمكانى، وليس هو الله. نعم، ملكه وفي [حيطته]^(٣) وليس حقيقته، وعلم كل [الحقائق]^(٤) والعلوم من غير مباينة ولا مازجة، حتى بما يريد المتصوف، وسبق بيانه وبأني.

ثم إن المألا أطال الكلام بعد، في تحقيق هذا المطلب، ومختصره: «هذا العارف أدرك أنه تعالى كل الوجود، وكله الوجود، فعبّر عنه بذلك، فالله مع أحديته لم يخرج منه شيء، فهو كل الأشياء، بمعنى أن ذاته أصل الأشياء وكمالها، ومباينة الغير له من جهة العدم، فكل ما يوجد في غيره ففيه على وجه أشرف وأعلى، والله تعالى كمال كل شيء وذايته، فهو بهذا المعنى كل الأشياء، وعلى هذا القياس نسبة الجزئية للأشياء. ووحدة كل شيء وجوده، ووجوده هو ما عند الله تعالى، ولما كان كل الوجود، فهو كل العلم، فعلمه بالأشياء قديماً عين ذاته، فالمعلومات موجودة بوجود واحد إلهي، وكون واحد إجمالي عقلي، على وجه أعلى وأشرف من سائر الأكوان العقلية والنفسانية والطبيعية والمادية»^(٥) انتهى.

(١) «شرح أصول الكافي» طبعة حجرية، ص ٣٣٧، صححناه على المصدر.

(٢) في «ب»: «تعدديها». (٣) في «ب»: «قبضته».

(٤) في «ب»: «الخلائق».

(٥) «شرح أصول الكافي» طبعة حجرية، ص ٣٣٧، باختصار، صححناه على المصدر.

ما أردنا اختصاره.

وأقول: كما قيل: أزداد على الدف طنبوره، ولزمه القول بوحدة الوجود، التي هي أقبح وأضل من وحدة الوجود، وأثبت للأشياء تحققاً في الأزل، وهذه الأقوال أقبح من الأقوال التي قالها في العلم وغيره، من مذهب المشائي والمتكلم.

قوله: ﴿لم يعزب عنه خفيات غيوب الهواء، ولا فوامض مكنون ظلم الدجى، ولا ما في السماوات العلن إلى الأرضين السفلى، لكل شيء منها حافظ ورقيب، وكل شيء منها بشيء محيط، والمحيط بما أحاط منها﴾.

أقول: لا يخفى أن كمال إحاطته وعلمه، لو لم يحط بما في الهواء، وباطن مكنون ظلم الدجى، وفوامضه - وهو ما تغمض العين له لصفه، أو تتلطف في إدراكه أو تصوّره، كحديث النفس وأخفى، وكذا ما في السماوات السبع وما بينهما إلى الأرضين السبع - لم يحص الأشياء علماً ويتقنها صنماً وإحاطة، ولما كان العلة التامة لكل، لكنه كذلك.

فهو محيط بالكل إحاطة فعلية قنونية، بما ظهر للأشياء لها بها، لا بذاته، لا يخرج عنه مثقال ذرة في السماوات ولا في الأرض، ولا أصغر من ذلك ولا أكبر، فعلى كل شيء منها حفيظ، ويتكثر بتكثّر ما في الوجود من الجهات الإحاطية. وحفظة كل نوع ورتبة من رتب الوجود من جنسها ورتبتها، ولا شك في كثرة الملائكة وحفظها للأشياء، حتى قطرات الأمطار والرمال، وسواقط الأشجار، من الرطب واليابس، وغير ذلك، والروايات بذلك كثيرة، وكذا الأدعية، كما يظهر لمن راجع مثل السجادية^(١)، وفي بعض خطب النهج^(٢)، وغيره كثير: ﴿وَمَا يَعْلَمُ جُنُودَ رَبِّكَ إِلَّا هُوَ﴾^(٣). ومرّ لك - وسيأتي - الكلام على العلم مستقصاً.

فلكل موجود معقبات من بين يديه ومن خلفه يحفظونه بأمر الله، ولا يشغله حفظ شيء عن حفظ شيء، ولا علم شيء عن علم شيء، ولا تشبه عليه اللغات، ولا تغلظه الحاجات، وإلا لم يحط بها، ويتقن صنمها ونظمها وكمالها، بحسب جنسها ونوعها

(١) «الصحيفة السجادية الكاملة» ص ٤٢، من دعائه في الصلاة على حملة العرش.

(٢) «نهج البلاغة» الخطبة: ١، ٩١.

(٣) «المدثر» الآية: ٣١.

وشخصها، بل ووقتها، والواقع بخلاف جميع ذلك.

وقوله: (وكل شيء منها شيء محيط) إشارة لما قام عليه البرهان، وصححه ما في الحدس والنظم، في ارتباط الموجودات، وترتيبها ترتب السببية والمشروطية، وأن كل حال محيط بالسافل، ففيه كماله، كيف وهو فاضل طينه وزيادة؛ لأنه أصله وصفوته وأقرب منه؟ فالأرواح محيطة بالأجسام، وهما بالنسبة للعقول، والكل بالنسبة لعالم الأمر، أي عالم المشيئة والوجود المطلق، والله المحيط بما أحاط بالكل، فهو يمسك الأشياء بعضها ببعض، وهو الممسك [الكل بقدرته - وسمعت: أن الله لا يجري الأشياء إلا بأسبابها^(١)، وقال: حمل حملة العرش^(٢) - ويمسك بعضها ببعض، وهو الممسك] لها والحامل والمحمول، والسبب والمسبب، إذ بقدرته حملت الأشياء، و [تسببت] بلطفه الأسباب، كما قال زين العابدين عليه السلام في الصحيفة^(٥)، وهذا المضمون متواتر عقلاً ونقلًا، كما قال: ﴿وَلَوْلَا دَفْعُ اللَّهِ النَّاسَ بَعْضَهُم بِبَعْضٍ﴾^(٦) ومرر لك في الباب الأول^(٧) من الكتاب كلام من هذا القبيل.

والنسخ التي وقفنا عليها، من نسخ الكافي والتوحيد^(٨) والوافي^(٩)، كما هنا: (وكل شيء منها شيء محيط) وكذا نسخة حاشية ملا ربيع^(١٠)، وكذا نسخة شرح ملا خليل القزويني^(١١).

وقال محمد صالح علي ما في النسخة الحاضرة: «(وكل شيء منها شيء محيط) كما هو المعروف من نضد هذا العالم وتركيبه، على وجه يحيط بعضه ببعض، وهذا أخليبي؟»

-
- (١) «الكافي» ج ١، ص ١٨٣، باب معرفة الإمام، ح ٧، وفيه: (أبى الله أن يجري الأشياء إلا بأسباب).
- (٢) «الكافي» ج ١، ص ١٢٩، باب العرش والكرسي، ح ١، وفيه: (إن العرش خلقه الله... وهو العلم الذي حمله الله المحملة). وسبق في هذا المجلد، باب: ٢٠، ح ١.
- (٣) ليست في «ب».
- (٤) في «أ»: «وتلطفت».
- (٥) «الصحيفة السجادية الكاملة» ص ٥٩، دعاؤه إذا عرضت له مهمة، وفيه: (وتسببت بلطفك الأسباب).
- (٦) «الحج» الآية: ٤٠.
- (٧) «هدي العقول» ج ٣، باب حدوث العالم.
- (٨) «التوحيد» ص ٤٢، ح ٣.
- (٩) «الوافي» المجلد: ١، ص ٤٢٨.
- (١٠) «حاشية ملا ربيع على الكافي» مخطوط برقم: ٣٧٤٨، الورقة: ١٢٢ - ١٢٣.
- (١١) «الشافي» مخطوط برقم: ٢٣٣٤، الورقة: ١٠١.

لبطلان التسلسل، ووجوب الانتهاء إلى محيط غير محاط بشيء .
ويحتمل أن يراد بالمحيط الخواص والصفات، وأن يراد به الحافظ والرقيب، على أن يكون تأكيداً لما قبله^(١).

أقول: ولا يخفى ما فيه من التمسّف، والإفادة أولى من الإعادة، ولم يحصل تنقل وطول فصل، مع إمكان حمل هذه العبارة على ما لا يناهض ما قلناه، فلا يفوتك.
والمراد بالذي أحاط منها: إمّا الجنس، أو المحيط التام منها. و (المحيط) خبر مبتدأ محذوف، أي «وهو»، أو (الواحد) المذكور بعد، وهو أظهر. ولاختلاف المحاط بالنسبة إلى أفراد العالم نكر (شيء).

قوله: ﴿الواحد الأحد الصمد، الذي لا يغيره صروف الأزمان، ولا يتكاده صنع شيء كان، إنما قال لما شاء: كن، فكان﴾.

أقول: قال محمد صادق في الشرح: «كون الأشياء من لوازم ذاته، واللازم يتبع الملزوم في وجوده بمجرد تمام علته، وحبر عن هذه التسمية بقول: (كن)». ثم قال: «وجميع أجزاء الزمان عند الله مجردة عن الزمان، مجتمعة بلا تقدّم وتأخر، وإذا نزل إلى الزمانيات يعلم بعضها مسبقاً بالبعض بالزمان». ثم قال: «(وكُلّ صانع شيء فين شيء صنع)، لاحتياجنا إلى أمر زائد علينا، ولا حاجة لله في صنعه إلى غير ذاته... إلى آخره».

أقول: وقد خبط فيها خبط عشواء، كما هي عادته، فالله خلق بفعله ومشيته الحادثة، ولا يلزم المعجز، والخالقية صفة فعل، لأنه يخلق ولم يخلق، ولم تحدث لذاته نسبة بعد الخلق، ولغير ذلك. ولا لوازم للذات، تعالى وتقدس، والآكان ممكناً، وقام به غيره، وتعدّد القدماء، وغير ذلك، فلا مناسبة وتسمية للذات.

﴿كن﴾ مراد به المشيئة الفعلية والإرادة، و﴿فيكون﴾: المراد. والمشيئة مخلوقة بنفسها، والله منزّه عن الزمان والزمانيات، ولا اجتماع لها في ذاته، ولا ينزل بذاته لخلقها،

(١) «شرح المازندراني» ج ٤، ص ١٨٠.

زمانى أو غيره. وكم له من هفوة، تركنا نقلها اختصاراً، واكتفاءً بما ذكرنا، فتدبر.
 وجعل محمد صالح^(١) (الواحد) خبر (المحيط) بما السابق قبل، وقد مرّ لك معنى
 الواحد والصدء، مع أنه ﷺ أشار لمعناهما هنا كما أشاره، فالذي لا تغيره صروف الزمان
 هو الواحد الحقيقي، فهو على ما كان، لم ينتقل بالخلق من حالة لأخرى، ولم يتجدد
 ويستكمل بأخر، ولم يحدث له كثرة. والذي (لا يتكأده) أي يثقله ومعجزه (صنع شيء
 كان) أي حصل ووجد، ناظر للصدء مع تلازمهما معنى، فلا يثقله صنع، بل إذا أراد إيجاد
 شيء قال له: (كن، فكان)، وياطن (كن) المشيئة، و(كان) المعلولة التقييدية، بغير نطق
 ولا همّة، بل [(كن)]^(٢) منه صنع من غير معارن، وسبق مادة أو فكر.

قوله: ﴿ابتدع ما خلق بلا مثال سبق، ولا تعب ولا نصب﴾.

أقول: كيف يسبقه مثال وهو إبداعي؟ ولا قديم سوى الله، وليس الواجب بذى ضمير
 أو ذهن، فابتدع بقدرته من غير تعب ولا نصب ومشقة.
 والمراد بالخلق هنا: ما يشمل الإبداعي والتكويني، إذ ظاهر النص إطلاق الخلق على
 الكل، لا أنه خاص بالتكويني، وذلك بالمجردة، وهو عالم الأمر، ومرّ لك أول الجزء الأول
 عن الغوالي: (أول ما خلق الله العقل)^(٣).

وفي الخلق أول ما خلق الله العقل، وهو أول خلق من الروحانيين، وهذه الأولية إضافية
 بالنسبة إلى الوجود المقيّد، والأولية المطلقة لعالم الأمر وفعله، والإبداع الأول هو
 المشيئة، كما دلّت عليه رواية عمران المرورية في التوحيد والعميون^(٤)، ورواية ابن أذينة في
 المجلد السابق^(٥).

والثاني عالم العقل، المسمّى بالجبروت، ولو احتاج في خلقه إلى تغلب أو معالجة بآلة -
 أو تحدّ على صنع آخر أو مثال - لكان عاجزاً بذاته مفتقراً للغير، والثاني باطل، فكذا المقدم.

(١) «شرح المازندراني» ج ٤، ص ١٨٠. (٢) في النسختين: «كان».

(٣) «غوالي اللآل» ج ٤، ص ٩٩، ح ١٤١.

(٤) «التوحيد» ص ٤٣٥، ح ١١ «عميون أخبار الرضا» ج ١، ص ١٧٣، ح ١، وفيه: (وكان أول إبداعه وإرادته

ومشيئته المحروف). (٥) «هدي العقول» ج ٥، باب الإرادة، ح ٤.

قوله: ﴿وكلّ صانع شيء فمن شيء صنع، والله لا من شيء صنع ما خلق﴾.

أقول: وهي كناية استفراجية مطابقة للواقع، لا يشذ منها إلا المستثنى في الجملة الأخيرة، إذ ما يصنعه المخلوق يفترق فيه إلى مادة غيره، أو تصوّر أو تخيل في آخره، وبإفاضة عليه وإمداد وتصوّر وتمثّل، وكلّ ذلك يقتضي أن يكون خلقه من آخر، لا من نفسه استقلالاً، فلا استقلال له بذاته في فعل ما، بخلاف الواجب تعالى، إذ ليس بمستفيد من غير أصلاً، ولا يعتمد عليه.

ولا ينافي كون خلقه إبداعاً لا من شيء إيجاده عالم التكوين المقتقر للمادة والمدة، فإنها ليست بخارجية عنه تعالى، إذ الشروط والأسباب منه، فالشرط ومشروطه والسبب ومسببه بمنزلة شخص واحد، بل واحد، فسبحان من فعل بغير سبب خارج، ومسبب الأسباب بغير سبب خارج، فسبحان من إليه المنتهى، وليس له شريك.

قوله: ﴿وكلّ عالم فمن بعد جهل تعلم، والله لم يجهل ولم يتعلم، أحاط بالأشياء علماً قبل كونها، فلم يزدد بكونها علماً، علمه بها قبل أن يكوّنها كعلمه بعد تكوينها﴾.

أقول: لا حيلة لله ولا مستند له، ووجود غيره بإيجاده وإمداده، وكذا علم كلّ عالم غيره، مجرداً أو غيره، بإمداد الله له، وإلا فلا علم له وإن أوجده، فكلّ عالم - غيره - بعد جهل ذاتي أو زمني أيضاً، ومستفاد.

وقول بعض بأن علم العقل الأوّل ذاته، ونقض به الكلية، ضلال ساقط. وهذا لا ينافي سبق العلم على الجهل كما روي^(١)، وسبق في المجلد الأوّل والثاني، لاختلاف الجهة والاعتبار. ولم يُحط أحدٌ بعلمه الإمكانى، إلا بما شاء منه بتعليمه، كما صرح به الكتاب^(٢)

(١) «الكافي» ج ١، ص ٤١، باب بذل العلم، ح ١، وفيه: (العلم كان قبل الجهل)، وسبق في «هدي العقول» ج ١، ص ٢٤٥، ح ١.

(٢) إشارة إلى قوله تعالى: ﴿ولا يحيطون بشيء من علمه إلا بما شاء﴾.. «البقرة» الآية: ٢٥٥.

والاعتبار، فعلم من سواه بعد تعليم منه تعالى، بفيضه أو بواسطة أنبيائه؛ ولهذا خاطب محمداً ﷺ - أشرف الكل - بقوله: ﴿ وَقُلْ زَيْتِي زَيْتِي جَلْمًا ﴾^(١).

فجميع من سواه مفتقر له، ذاتاً وصفة وحالاً، في كل آن في تجدد البقاء، وبقاء الأول أيضاً واستمراره أيضاً، فبحقيقته جاهل لزيادة العلم فيه^(٢)، بخلاف الواجب، إذ علمه ذاته بكل وجه - كما عرفت - فيلزم من ذلك أن لا يكون علمه متوقفاً على الغير، لعدم توقف ذاته على غيرها، وأن لا يتجدد له زيادة بعد وجود المعلوم، كيف وهو تابع، بخلاف الممكن المستفيد؟

ومرّ لك بيان صفات العلم الفعلي والذاتي المحض، وليس التشبيه بملاحظ هذا، فالمراد أن العلمين واحد، ولكن دخلت الكاف إشارة إلى انطباق العلم وتعلقه بالمعلوم بعد صدوره، وتوهم قبل وبعد، والمشبه حين المشبه به، كما هو المعروف من النص، كما بين في موضعه^(٣)، ومرّ لك البحث مستقصاً.

وكيف يختلف علمه وذاته لا تختلف، وظهوره بطوره وبالعكس، وأوليته آخريته وبالعكس، فافهم.



مرکز تحقیقات و پژوهش علوم اسلامی

قوله: ﴿ لَمْ يَكُنْهَا لِتَشْدِيدِ سُلْطَانِ، وَلَا خَوْفِ مِنْ زَوَالٍ وَلَا نَقْصَانِ، وَلَا اسْتِعَانَةِ عَلَى ضِدِّ [مَنَاوِ] ^(٤)، وَلَا نَذِّ مَكَاثِرِ، وَلَا شَرِيكِ مَكَابِرِ، لَكِنْ [خَلَاتِقِ] ^(٥) مَرْبُوبُونَ، وَعِبَادٌ دَاخِرُونَ ﴾.

أقول: قد عرفت أن الله تعالى جواد بذاته لذاته، وخصي مطلق بذاته، مبرأ من التقييد، حتى قيد الإطلاق. فليس خلقه العالم ليعود كمال له بوجه أصلاً، كحال الممكن الذي يستكثر بالجند ويستعين بها؛ لتقوية سلطانه وعظمته، إذ كلما كثر الجند عظم السلطان واستظهر على أقران الزمان، أو لخوف من زوال من أحده يقهره وينغلبه، وإن لم يكن

(١) «طه» الآية: ١١٤.

(٢) «أي علم الممكن صفة زائدة على ذاته، كسائر صفاته. ب» [حاشية «أ»].

(٣) انظر: «هدي العقول» ج ٥، باب صفات الذات، شرح ح ٢، ٤.

(٤) في النسختين: «مناو». (٥) في «ب»: «حقائق».

بالفعل، بل حذراً منه بأن يحشد ويجمع جنداً، فيقهره فيغلبه، ويرجع [رعيه] (١) من سائر خدم الآخر، أو ينقصه ملكه، أو يستعين بجنده على دفع مضاد له ممانع، طالباً زوال ملكه، أو نيل مساو له، طالباً الاستكثار عليه، ولذا أتى بالمكاثرة في الند لمساواته له حقيقة، والمناواة في الضد، أو ليدفع به شريكاً له مكابراً له في استخلاص ما بيده من الملك، لاقتضاء جميع هذه الأقسام كون من سلطته كذلك ناقصاً، عاجزاً عن الاستدفاع والتحذّر بذاته.

وهذا غير جارٍ في الواجب، فليس خلقه الخلق لغاية من هذه الغايات الزائدة، كيف ولا ضد له ولا ند شريك له، وليس فيه جهة فقد، بل لو كان كذلك، لكان كلما كثر الجند كان أولى وأشد استدفاعاً للضد أو المكاثرة، أو غير ذلك من هذه الصفات، فيلزم أن يخلق أضعاف ما خلق، وهكذا، إذ منشأ الخلق ذاته بإرادته، فهو عاجز، فليس خلقه إلا لمحض الجود، لما علم من حاجة المحتاج، فأوجدهم لينقلهم إليه (٢).

وهو هلئ ما كان على الكمال والفتن الذاتي من كل وجه، لم يرجع له كمال من خلقه بوجه أصلاً، فخلق الخلق ليتعرف لهم في خلقهم، فيدهونه فيسألونه، ويعطيهم ويجازيهم، بعد أن أفاض عليهم وأوجدهم بمحض الوجود، لا مع سبق شيء سألهم، إذ ليس في أزل الأزال غير، لا معلوم ولا مجهول، ولا شريك معه، وما سواه تعالني (عباد داخرون) خاضعون ومربوبون مملوكون، لا يستطيعون لأنفسهم موتاً ولا حياةً ولا نشوراً. ومعلوم بديهية أن المخلوق الداخر المربوب لا يصح كونه معيناً ومفيداً لخالقه ومعبوده، وإلا لم يكن مخلوقاً ولا خالقاً، وذلك ظاهر.

وفي قوله ﷺ: (مربوبون) إشارة لبرهان آخر يبطل إمكان قول: إن خلقه الخلق لأحد هذه الأمور الموجبة للنقص والافتقار، وهو أن التربية مقتضية للحاجة والافتقار أنا فأننا، كتربية الصبي والزرع وتغذيتهما، فإذا كان الله تعالني وتقدس مرابي العالمين دائماً، فلا ضن لهم [عنه] (٣) تعالني بوجه.

(١) في «ب»: «رعيه».

(٢) إشارة إلى قوله ﷺ في حديث عمران الصابي: (لم يخلق الخلق لحاجة، ولكن نقل بالخلق الحوائج بعضهم إلى بعض).. «التوحيد» ص ٤٣١، ح ١. وسيأتيك بلفظه في الصفحة الآتية.

(٣) في «أ»: «بئنه».

ومعلوم بديهية استحالة إفادة المفتقر للمفتقر له في افتقاره من جهة واحدة، وهو من الضروري كما لا يخفى، قال الله تعالى: ﴿ وَمَا خَلَقْتُ الْجِنَّ وَالْإِنْسَ إِلَّا لِيَعْبُدُونِ ﴾ * مَا أُرِيدُ مِنْهُمْ مِنْ رِزْقٍ وَمَا أُرِيدُ أَنْ يُطِيعُونِ * إِنَّ اللَّهَ هُوَ الرَّزَّاقُ ذُو الْقُوَّةِ الْمَتِينُ ﴿١١﴾ .
وفي الحديث القدسي: (كنت كنزاً مخفياً فأحببت أن أعرف، فخلقت الخلق لأعرف) (١٢).
فخلقه للمعرفة ليس إلا، وهي معرفة دلالة - بما تعرف لهم بهم - لا إحاطة، وهذه المعرفة لم ترتفع بها مجهولية الذات بالكنه واستحالة الاكتناء، فهو على ما كان، من كونه تعالى كنزاً مخفياً لم يزل عنه. والإشكال المشهور هنا - حتى تشعبت العلماء في دفعه - غير وارد على هذا البيان، فتأمل.

وإذا كان غاية الخلق ذلك، وكذا ظهوره بهم، لا يمكن أن يكون خلقه الخلق لأحد الوجوه المذكورة في الحديث، بل جميعها منفية عنه تعالى، فيكون علّة صنعه صنعه، وغايته فعله بلا نهاية، بل كلما ظهر لهم مقام طلبوا الزيادة، فيكون الأول ثانياً، وهكذا إلى ما لا نهاية بإمداد الله، وهم متناهون دونه تعالى، ولا ينتهون إلى ذاته تعالى، ولا هي الغاية فتحدّ الحقيقة، كما زعمه الملّا وصرّح به في كتبه، وليس هنا موضع البيان، فتدبّر.
وقال الرضا عليه السلام لعمران الصائبي، كما في العيون والتوحيد، بعد قول عمران: أخبرني عن الكائن الأول وحقاً خلق؟ قال عليه السلام: (سألت فالفهم، أما الواحد فلم يزل واحداً كائناً لا شيء معه، بلا حدود ولا أمراض ولا يزال كذلك، ثم خلق خلقاً مبتدعاً مختلفاً، بأعراض وحدود مختلفة، لا في شيء أقامه ولا في شيء حدّه، ولا على شيء حذاء ولا مثله له، فجعل من بعد ذلك الخلق صفوة وغير صفوة، واختلافاً واثتلافاً، واللواناً وذوقاً وطعماً، لا حاجة كانت منه إلى ذلك، ولا لفضل منزلة لم يبلغها إلا به، ولا رأى لنفسه فيما خلق زيادة ولا نقصاناً. تعقل هذا يا عمران؟) قال: نعم والله يا سيدي.

قال عليه السلام: (واعلم يا عمران أنه لو كان خلق ما خلق له حاجة، لم يخلق إلا من يستعين به على حاجته، وكان ينبغي أن يخلق أضعاف ما خلق؛ لأنّ الأهلان كلما كثروا كان صاحبهم أقوى، والحاجة يا عمران لا يسها؛ لأنه لم يحدث من الخلق شيئاً إلا حدثت فيه حاجة أخرى، ولذلك أقول: لم يخلق الخلق له حاجة، ولكن نقل بالخلق الحوائج بعضهم إلى بعض، ولعلّ

(١) «الداريات» الآية: ٥٦ - ٥٨.

(٢) «جامع الأسرار» ص ١٠٢، ١٥٩، بتفاوت يسير، «الجللي» ص ١٣.

بعضهم على بعض، بلا حاجة منه إلى من فضل، ولا نعمة منه على من أذل، فلهذا خلق^(١) انتهى. وسيأتي الكلام عليه أخيراً إن شاء الله.

أقول: وأعلم أيضاً أنه لا نسبة ورابطة بين الله وخلق، وقول الملا ومحمد صادق به ضلال. نعم، الموجودات لها مناسبة لفعله الحادث، والأثر يناسب صفة المؤثر، لا ذاته، ويدل عليه دلالة بغير إحاطة، ويرتبط بعضها ببعض، ومنتهاها إلى الإمكان، لا لذاته تعالى وتقدس، ونفي الحاجة منه إليها بكل وجه واعتبار؛ لأنه تعالى على أحدثه لم يزل، فلا يحدث معه آخر بوجه، ولا يفقد كمالاً، ولا جهة قوة فيه وانتقال؛ لأنه على ما كان لم يزل، فلم تحدث له حاجة أو فقر أو كمال من خلقه الخلق، وليست العلة ذاته بأحدثتها، بل بقايلتها، وهو بفعله الذي تجلّى له به، وبه خلق الخلق، والآعادت الحاجة ولم يكن أحدياً بذاته، ولم يصح: خلق ولم يخلق، وأراد ولم يرد.

بل تجلّى ظهور المعرفة، وترقيهم فيها إلى ما لا نهاية، من غير خروج من مقام الإمكان وحدوده، وما حدث فيه الأشياء وتجلّى لها بها بفعله.

وهذا يبطل جميع ما يحتمل، من كون هلة خلق الخلق راجعة لذاته تعالى، فيكون مستكماً بها، وكان فاقداً لها، وليس بأحدي خالص، كما أشار لها الرضا عليه السلام أولاً في كلامه لعمران، وكذا في حديث الأصل، ولقد جمعوا في هذا الكلام مسائل جامعة كلية من الحكمة، وأبطلوا به كثيراً من كلام المتكلمين، وأهل النظر، وأهل التصوف، في قولهم في هلة خلقه الخلق وغيرها، وهكذا كلماتهم، جوامع كلية في التوحيد وغيره.

ولنعيد الكلام بعبارة أخرى في الحديثين، فمؤداهما واحد، وكلامهم عليهما السلام واحد، لا اختلاف فيه.

لنقول: نفى عليه السلام الإشكال عن الله تعالى بخلق، فليست غاية إيجاده الخلق الاستكمال، فيكون متصفاً لنقصه، ومرتقياً به، بحسب الحقيقة أو الصفة، كحال الممكن، فهو دائماً في الفقر والحاجة، والزيادة إلى ما لا نهاية له، فغير الله صانع بفعله، وفي خلقه - كصنع عيسى، وإبراهيم، وأهل القرية، ومحمد وآله - وبإذنه القولي والفعل، فيستكمل به بما يجده من جنسه، من إمكانه إلى كونه، ولا نهاية لذلك.

(١) «عيون أخبار الرضا» ج ١، ص ١٦٩، ح ١، بتفاوت؛ «التوحيد» ص ٤٣٠ - ٤٣١، ح ١.

وليس لله مبدأ ولا كمال مترقّب، ولا يستكمل بوجه، والقديم لا يسع الحادث، ولا ذكّر لغيره تعالى في مرتبته ولا وجوده، وهما واحد بكل وجه، سواء فيه الحقيقي والاعتباري، فلا يمكن استكمالهما تعالى بخلقه بوجه من الوجوه، وكذا لو فرض الكمال راجعاً إلى صفة من صفاته الذاتية، فهي عين^(١) الذات.

أما الصفات الفعلية فحادثه، راجعة إلى الحدوث وفعله المجمعول، ولا تحقق لها في الذات ولا بالاعتبار، بل معدوم، بمعنى ليس له في [مرتبتها] ألا التحقق في مرتبته، وهذا الاعتبار راجع للفعل، لا أن في الذات ملاحظة اعتبار، فإنه محال^(٢) كما عرفت، والأحداث جهة القوة فيها، أو قديم معه، وهو محال، وصدق التغيير عليه تعالى، واختلاف الأحوال، ومتواتر العقل والنقل يبطله.

فلا يمكن أن يقال بحصول صفة له تعالى - بعد الخلق - لم تكن حاصلة له قبل، أو فقد ما كان عليه قبل، ولا كان أيضاً فاقداً لخلق قبل خلقه الخلق، ثم صار واجداً له ومعه بعد، ولا أن وجوده تعالى الإجمالي فيه الخلق، وجامعاً له، ثم فصله بعد تجليه الذاتي، أو بغيره، ولا نسبة ذاتية بينه وبين خلقه، بل ولا عرضية.

وقال الشارح محمد صادق وغيره بالارتباط والنسبة الذاتية - كما سبق ويأتي - وأستاذه وغيرهم قالوا بالرابطة بين القديم والحادث، ولحق كلاً حكم الآخر بوجه، فجميع هذه الأقوال توجب ثبوت الحاجة له تعالى، وانفقاره لغيره، واختلاف الأحوال عليه، تعالى الله عما يقره الظالمون والمشبّهون علواً كبيراً.

ولا أن ذاته بذاتها أحبّت التجلي، ورؤيتها نفسها في مرايا الأعيان الآفاقية والأنفسية، وكذا القول بالحلول والاتحاد، على ما يريد المتكلم أو المتصوّف، وكذا القول بالشبح والظل، وكذا القول بكون الأعيان والماهيات في ذاته، فالوجود واحد، وكذا الصور العلمية، فبرزت بتجلي الذات بها، ونظرها لنفسها فيها.

ولا لزوم للأشياء لذاته بوجه، وليس أيضاً هالماً بعلم زائد، أو حادث مع الخلق أو بعده - وكذا في القدرة وغيرها من صفات الذات عيناً - كما عليه الأشاعرة^(٣) والمعتزلة^(٤).

(٢) من «ب».

(١) في «ب»: «غير».

(٣) (٤) انظر: «شرح المواقف» ج ٨، ص ٤٤ - ٤٥؛ «شرح المقاصد» ج ٤، ص ٦٩؛ «تلخيص المحصل» ص

٣٠٢، «إرشاد الطالبين» ص ٢١٦. وراجع: «هدي العقول» ج ٥، ص ٢٤١، ٢٥٠.

وبعض أهل النظر - أو اعتباراً، كما عليه حكماء النظر^(١) وجملة [من المتكلمين^(٢)]. وبهذا بطلت كثير من قواعد المتكلمين والحكماء، لما أترضوا عن باب مدينة العلم ومستفاه. ولا^(٣) يجوز كون خلق الله الخلق من عبث ولا لفائدة، وإلا لم يكن كما وصف به، ولا كونها ذاته، لاستحالاته عليه تعالى كالحاجة، وكيف يحتاج لخلقه والخلق - بفطرهم - هم أهل الحاجة إليه والفقير؟ إذ الخلق لا ينقطع، فلا يكون غنياً بذاته، وواجب وجود أحدي بذاته، وكل رتبة تفرض من الخلق كان يجب خلقه أضعافها، فإنه إذا فرض حاجته للخلق كلما كثرت كان أقوى له وأمنع، أو أحصل للكمال - وهو قادر بذاته - وبطلانه ظاهر. بل كان المناسب خلق الكل دفعة، لا تدريجاً، لئتم له كماله وتقضى حاجته - ولا عجز في قدرته - وليس كذلك، مع أنه إذا لم يكافئه أحد، وهو [خني^(٤)] بذاته، كيف يمكن تصوّر الحاجة فيه بوجه من الوجوه؟!

وإذا كان الحكم كما عرفت، فلا يمكن إثبات الرابطة أيضاً بينه والأشياء بوجه، كما عليه الملاك وغيره، حتى إنه صنّف في هذه المسألة، وكذا غيره. نعم، الخلق مرتبط ببعضه ببعض، وراجع لفعله، بما ألقى فيه من المثل الفاهلي الدال عليه، وبه ظهرت منه الأفاعيل. أو لا علموا أن الارتباط بوجوب الشركة، وجمع مرتبة لهما، وسعة القديم الحادث وبالعكس، وجهة مناسبة وجهة مخالفة؟ وكأنه محال بديهة، وبراهين جميع ما سمعت معها، وهو أحدي بحقيقته، لم يتغير عما كان عليه، حتى حال خلقه الخلق ومعه وبعده، فالرابطة باطلّة، والآعاد الحاجة.

نعم، هي في الخلق بعضهم ببعض كما عرفت، وهو ظاهر، وجميع النسب والإضافات - والشؤون والاعتبارات، وأنواع الكثرات وسائر أحكام الإمكان - منقطعة دون الذات، ولا يصعد ذو المرتبة عن مرتبته إلى أعلى، وإلا لم يكن السافل سافلاً، ولا المعلول معلولاً. وإطلاق الأسماء عليه ومفاهيمها واعتباراتها، فإنما هو للدلالة عليه بما عرف بها وفيها، ولندائه ودعائه، واشتقاقها من فعله، وقيامها به تعالى قيام صدور بما ظهر لها بظهور الذات، لا بأحديتها، فأين الارتباط المذهي على لسان أهل التصوّف ومن تبعهم منا

(١) (٢) انظر: «أسرار الآيات» ص ٣٩ - ٤٠، «شرح المازندراني» ج ٣، ص ٣١٨ «الوافي» المجلد ١، ص ٤٤٨

«علم اليقين» ج ١، ص ٥٧، وراجع: «هدي العقول» ج ٥، ص ٣٠ - ٣٢.

(٤) في «أ»: «عين».

(٣) من «ب».

اشتباهاً؟

وأوضح لك من الأحاديث أن علة الخلق الخلق نفسه، ووصولهم لمعرفة، وبفاض عليهم به الكمالات بلا نهاية له، بإمداده تعالى. ولا يرد على هذا الوجه شبه متكلم ولا حكيم، وكذا كلام الشيرازي حيث إنه قال: الغاية ذاته تعالى، والوصول إليها^(١)، بقوله بوحدة الوجود، أو العالم فيه من جهة الأعيان الثابتة الغير المجمولة أزلاً^(٢).

وأشار بقوله ﷺ: (خلائق مربوبون، وعباد داخرون) إلى الغاية، كما عرفت، ولا انقطاع لهذه التربية ولا لكنه هذه العبودية والقيام بحقائقها، وهي حقيقة المعرفة وتوحيده على مراتبه، قال الله: ﴿وَمَا خَلَقْتُ الْجِنَّ وَالْإِنْسَ إِلَّا لِيَعْبُدُونِ﴾ الآية^(٣).

وفي القدسي: (كنت كنزاً مخفياً فأحببت أن أعرف، فخلقت الخلق لأعرف)^(٤) وسيأتي زيادة بيان مع البحث مع الملأ.

قال محمد صادق في الشرح لقوله: (لم يكونها) إلى قوله: (مكابر) ما لفظه: «لأن كلاً منها ليس في الماهية؛ لأن الكُلَّ (خلائق مربوبون، وعباد داخرون)، أي دليلون، فلا يمكن أن يتخلف عن سلطته، [(ولا خوف)]^(٥) عن شيء، (من زوال ولا نقصان)، ولا يستبين عن شيء (على ضد) من العباد، فلا ند له غالب، (ولا شريك) له في الواقع (مكابر)». أقول: بناء كلامه على أصل باطل عرفته وبأني - من وحدة الوجود - فكمال الوجود وهو ثابت له في ذاته، لا وجود لغيره مطلقاً، بل هو عدم، والممكن محصل من وجوب خالص وعدم اعتباري، وهو بديهي البطلان.

وقال الملأ الشيرازي في شرح قوله ﷺ: (لم يكونها لتشديد سلطان) إلى قوله: (ولا شريك مكابر): «ليس لفعله غرض، وألا لو كان له غرض فوجوده وعدمه بالنسبة له تعالى؛ إن كان على السواء، فوجوده دون عدمه ترجيح لا لمرجح، وهو محال. وإن لم يستويا لزم استفادة ذاته منه الكمال، ويكون بدون فاقده كمال، وكمال المعلول إنما حصل من جهة

(١) انظر: «مفاتيح الغيب» ص ٢٨٩ - ٢٩٢ «شرح أصول الكافي» ج ٣، ص ٩٢، ٩٣، «رسالة المحشر» ص ٨١

(٢) انظر: «مفاتيح الغيب» ص ٣٣٦، ٣٣٥، «الحكمة العرشية» ص ١٣، «شرح أصول الكافي» ج ٣، ص ١٨٤

«أسرار الآيات» ص ٤٧، ٩٥: (٣) «الذاريات» الآية: ٥٦.

(٤) «جامع الأسرار» ص ١٠٢، ١٥٩، بتفاوت يسير: «الجهلي» ص ١٣.

(٥) في النسختين: «ولا يخوف».

علته الموجبة، فلا يرجع المعطي للكمال إلى أن يستكمل من مستفيذه شيئاً من الكمال الذي أفاده له.

وإن كان غرض للعالي ففيما هو أهلي، إذ لا يلتفت للسافل، وليس فوق الله شيء، فغاية فعله ذاته، ومحبتة وابتهاجه بالقصد الأول لذاته، منبع كل خير، ويتوسط عشقه وابتهاجه بها يحب ما يصدر عنها بالقصد الثاني^(١).

أقول: في كلامه خبط من وجوه نذكر بعضها:

قوله: «ليس لفعله غرض»، نعم، لا غرض له يعود لذاته ويستكمل به، وعرفت الوجوه المنفية له والموجبة للحاجة، وحصول [له بعد]^(٢) ما كان فاقداً له.

ومنها: قول هذا الملاء هنا: «بل غرضه ذاته»، فيكون اتصال الخلق بها، بعد التربية الوسطية، وصرح به تصريحاً في أسرار الآيات^(٣)، ومفاتيح الغيب^(٤)، وأسفاره^(٥)، وكذا لو كان ابتهاج ذاته بها وعشقها له في الخلق، كما قال هنا، فإنه يوجب فقداً وفقراً وحاجة لخلقه في صفة كمال. ومرتبة المحبة مرتبة فعل ومفعول، ولا يعود إليه تعالى ما منه بدأ، ولا يحتاج إليه، وإلا جاز لقائل أن يقول: يجوز تحوله ممكناً ومخلوقاً، بل هو لازم من حدوث الحاجة والاستكمال بصفة بوجه ما، ولكن قوله متفرع على وحدة الوجود، وأنه تعالى متجلى وظاهر بذاته لذاته، ولغيره بذاته، وما سواها هدم اعتباري، وهو ضلال يعود بالله منه.

وإذا أثبتنا الغرض لا لذلك، لا يستلزم منه الترجيح لا لمرجح، ولا الاستفادة منه، لتنزّه الذات عن الأمرين، ويجتمع في الغرض النفي والإثبات، وهو دليل تنزيه الذات عنه، وكذا في الفعل، ففعله بفعله المجمعول بنفسه، وظهوره به ظهور دلالة لا إحاطة واكتناء، فبأنه تحديد، والله منزّه عنه.

والعالي يلتفت للسافل، لكن لا بذاته، بل بصفة الظهور، وهو دون الذات، كظهور القلب بالقوى، والشمس بالشماع، وأمثاله الوجودية كثيرة، ولا يلزم منه استفادة العالي بالسافل، فما اشتهر عند الحكماء أنه لا التفات للعالي بالسافل، ليس مطلقاً.

(١) «شرح أصول الكافي» طبعة حجرية، ص ٣٣٩ - ٣٤٠، بتصرف، صحناه على المصدر.

(٢) في النسختين: «بعد له».

(٣) «أسرار الآيات» ص ٨٢، ٩٨.

(٤) «مفاتيح الغيب» ص ٢٨٩ - ٢٩٢.

(٥) «الأسفار الأربعة» ج ٢، ص ٢٧٣.

ومراد الملائكة التفرُّع على أنه كلُّ الوجود، كما صرح به في غير كتاب^(١)، وكذا كون الغاية والغرض ذاته، تعالى الله عما يقوله الجاهلون والمشبهون. وتمويهه بقوله أخيراً: «ما يصدر عن المحبوب محبوب»^(٢) هرفت وجهه وعدم لزوم باطله منه.

قال: «لا يقال: ليست أولوية الغرض بالنسبة لذاته تعالى، بل لخلقه وعباده، فغرضه في فعله الإحسان إلى الغير، وإيصال المنفعة إليه.

لأننا نقول: حصول الإحسان إلى الغير، أو المنفعة، أو أي شيء، ولا حصوله، إن كانا بالنسبة إليه على السواء عاد حديث الرجحان لا لمرجح، وإن كان أحدهما أولى به، عاد حديث الاستكمال بالغير، والنقص في ذاته تعالى»^(٣).

أقول: الخلق لا يصل لذات الخالق بوجه أصلاً، ولا وصل بينهما، ولا حاجة منه إليهم في الخلق بوجه أصلاً، لا ذاتاً ولا صفةً وفعلاً، لكن [تفضيل بعض] ونقل حوائجهم إليه بذلك جود وتكريم خالص، من غير أن يكون له أنس بذلك يرجع له حال الخلق، بل هو على ما كان، ومقامهم دون مقام الذات. وملاحظة الاستواء وعدمه دونها، في مقام الفعل، وإليه مردها.

والله فعل فعلاً أوجده بنفسه، وحمله أمره، وأظهر به سائر الأفعال والشؤون، في الذوات والصفات، فكانت طاعته طاعته، ومحبته محبته، وهو الغاية لجميع من سواه من الخلق، بمعرفة وإنكار. وحينئذ لا يرد ما دفع ما صورته إشكالاً، مع أنه الحق. ولك أن تقول: إذا كان فعله ومظهره الغاية، وإليه ترجع المحبة والكراهة، والطاعة والمعصية، وسائر المتخالفات من الصفات والذوات، فهو العلة الأربع لكل موجود، فيكون العالم نشر شؤونه وصفاته وأحواله. وورد في النصوص: خلق الخلق من شعاعهم^(٤)، أو من ظل شعاعهم، وأن بعبادتهم

(١) «الأسفار الأربعة» ج ٦، ص ١١١٠ «شرح العرشية» ص ٥.

(٢) «شرح أصول الكافي» طبعة حجرية، ص ٣٤٠.

(٣) «شرح أصول الكافي» طبعة حجرية، ص ٣٤٠، بتفاوت، صححناه على المصدر.

(٤) في «ب»: «تفضل محض».

(٥) «مشارك أنوار اليقين» ص ١٤٢، «بهار الأنوار» ج ٢٥، ص ٢٣، ح ٣٩، وفيه: (ثم خلق شيعتنا، وإنما سموا شيعة لأنهم خلقوا من شعاع نورنا).

عبد الله، وبهم حُرِف^(١)، وأن إليهم مرجع العالم والأمر كله^(٢)، بما أقامهم الله فيه، فيكون خلق العالم لتشييد ملكهم، ونشر فضائلهم وشؤونهم، وإظهار عبادتهم، وما لها من الشؤون في الأشياء، كظهور الشمس في الأشعة وهكذا.

ويجوز نسبة ذلك له تعالى بسبب نسبتها لفعله، وأنهم الظاهرون بأعظم أسمائه، بجهة الدلالة، كما في قوله تعالى: ﴿ قَلَمًا أَشْفُونَا ﴾^(٣) ونحوها كثير من نسبة صفة الفعل للذات، وكذا قوله: ﴿ رُوحي ﴾^(٤) و ﴿ بيتي ﴾^(٥) ونحوها. وسيأتي في المجلد اللاحق^(٦) - إن شاء الله - بيان وجه ذلك. وهذا حق ولا ينافي ما سمعته، بل يصححه. والله المالك لما ملكهم، والقادر على ما أقدروهم، وما نفاه الإمام عليه السلام عنه تعالى، فافهم، ومما سبق أيضاً يظهر لك ردّ كلام الملا.

وبقي للملا كلام فيه صواب بالطريقة الظاهرة، وعرفته، فلنعرض عنه اختصاراً، ولنرجع لحديث عمران، فيه توضح عدة مسائل حكمية، وتبطل قواعد صوفية.

شرح حديث عمران مع الإمام الرضا عليه السلام

وعمران أراد بقوله: الكائن الأول: الله تبارك وتعالى، وهو المناسب لحال عمران، وتقرير الإمام له هذا الإطلاق دلّ على إطلاق لفظ «الكائن» عليه تعالى، وورد^(٧) أيضاً عنهم.

ويحتمل أيضاً^(٨) إرادة الصادر الأول، ففيه يتحقق ما ذكر الإمام بعد بوجه، ولكلامهم وجوه، فكلامه عليه السلام يحتمله، وليس هنا موضع بيانه.

وأولية الواجب عين آخرته وبالعكس، وهين لا آخرته ولا أوليته، وإثباتهما له تعالى بالظهور الفعلي وبالإضافة الفعلية، وليست راجعة للذات كما سبق، ولا ثاني لله ذاتاً ولا فعلاً.

(١) «بصائر الدرجات» ص ٦١، ح ٣، ص ٦٤، ح ١٦.

(٢) «الكافي» ج ٨، ص ١٤٢، ح ١٦٧، «تهذيب الأحكام» ج ٦، ص ٩٧، ح ١٧٧.

(٣) «الزخرف» الآية: ٥٥. (٤) «الحجر» الآية: ٢٩، «ص» الآية: ٧٢.

(٥) «البقرة» الآية: ٢٥، «الحج» الآية: ٢٦. (٦) انظر: «هدى العقول» ج ٧، باب النوادر.

(٧) «الكافي» ج ١، ص ٩٠، باب الكون والمكان، ح ٦، وفيه: (هو كائن بلا كينونية). وفي الدعاء: (يا كائناً قبل

كل شيء).

(٨) «الكافي» ج ٢، ص ٥٦٠، باب الدعاء للكرب، ح ١٣.

(٨) ليست في «ب».

فقال ﷺ: (أنا الواحد) - ومراده به هنا الأحد -: (لم يزل) ... إلى آخره، وبأصل الوجود (الواحد) للصفة الفعلية، وهو واحد ظهوراً، بحسب من دونه من المفعولات، وفيه كثرة إجمالية، فالأحد: الربوبية إذ لا مربوب مطلقاً، والواحد: إذ مربوب ذكراً، وهو رتبة الأسماء والصفات، ويطلق على الذات بقرينة.

ويقوله: (لا شيء معه) أبطل ثبوت الأعيان، أو صور الأسماء في الأزل واستجنانها فيه تعالى، وكذا كون بسيط الحقيقة كل الأشياء، أو أنها عنده في ذاته، على وجه أهلي وأشرف ونحوها، والأزلي - الذي لم يتغير ولا معية معه - لا يكون كذلك ولا حدود معه ولا أعراض. وأبطل به وحدة الوجود، وتركب الممكن من حق وعدم اعتباري، وكذا المناسبة بينه وخلقه، بل الأشياء معدومة عنده بكل وجه، حتى صلوحاً وفرضاً، فحاله تعالى بحسب ذاته قبل الخلق ومعه وبعده واحد، فلا تجري نسبة المخالفة وسائر صفات الفعل على الذات، ولا رجوعها لها، وإلا يبطل قوله ﷺ: (ولا يزال كذلك) فتكون نسبة الإيجاد عند الإيجاد بما ظهر له به، فلو كانت حينئذ في الذات ومعها لم يكن حاله قبل وبعد واحداً، ولم يصدق قوله ﷺ، فلا زمان معه لا محقق ولا موهوم.

وظواهر (كان) و (يكون) مراد به الأزلية وعدم الزوال، كما سبق مكرراً ويأتي و (انتهم المخلوق إلى مثله) كما قال علي ﷺ^(١)، ومن سواه مقهور دونه، فالأثر ظهور الذات بالصفة الفعلية.

قوله ﷺ: (ثم خلق) ... إلى آخره، لا يراد ب(ثم) تراخي الزمان، ولا الدهر ولا السرمد، ولا الطبيعي ولا الذاتي، ولا سائر أنحاء التقدّم والتأخر المذكور في كتب أهل النظر، لإيجابها المقابلة والمقارنة، والفصل والوصل، بل تأخر حقيقي بلا كيف ووضع، وجميع تلك التقدّمات مخلوقة بفعله، فلا تسبقه.

وهذا المخلوق الأوّل هو فعله ومشيئته، وإرادته وإبداعه، وليس هو اعتبارياً لا وجود له - كما قيل - بل به [تذوّت]^(٢) الذوات، فلا يكون اعتبارياً، وكذا ما وصفه به ﷺ هنا يبطل كونه اعتبارياً، وكونه كما وصف بحسب ذاته، ويظهر التكرّر بتعلقه بالآثار، وتتحد فيه الصفات الفعلية، وطبائع المركبات، وسبحان المؤلف بين المتعديّات، ولها اختلاف في

(٢) في «أ»: «تذوّت»، وفي «ب»: «تذوّت».

(١) «شرح المرشدية» ج ٣، ص ٣٠١.

نفسها، بحسب ما ظهر لها بها، ودورانها على نفسها. وتفصيل ما ذكره ﷺ وبيانه يطلب من حديث ابن أذينة، وسبق في المجلد السابق^(١).

ثم بين أنه تعالى قسم الخلق صفوة وغير صفوة، والاصطفاء مراتب. وبعد أن ذكر الوجود المطلق والمقيّد بمراتبه [إجمالاً، ذاتاً و عرضاً، نفي الحاجة عنه تعالى في خلقه الخلق، فقال: (لا حاجة كانت منه إلى ذلك)^(٢) ولا ليصل إلى مرتبة كمال^(٣) لم تحصل له بدونه، فيكون متمماً لنقصه، كما يفعله العباد، ومعلوم فقده بالنسبة إليه تعالى، كيف والأثر معدوم في مقام المؤثر، ولا ذكر له في مرتبة ذاته، فأين الاستكمال به؟

وكذلك لا تبدّل عليه الأحوال، ولا له مضي واستقبال، فلا تتجدّد عليه الحاجات ولا تعوزه الطلبات، فلا يتجدد له خروج من الإجمال إلى التفصيل، ولا رابطة بينه و خلقه، ولا أنه أحب رؤية كماله في خلقه، فالأهبان مرابا له، ولا كانت الأشياء في ذاته مجملة فبرزت، ولا لازمة، ولا فاقداً لشيء ثم أوجد بعد، ولا الأسماء مشتقة منه لذاته، وكذا الخلق، فتختلف عليه الأحوال قبل الخلق، أو الوضع والاشتقاق، وبعد ذلك، وهذا حاجة، ولا لعلمه وفعله كيف، أو كيف هو؟ ونحوه، فإنه يوجب الزيادة والنقصان واختلاف الأحوال.

مركز تحقيق تكملة علوم سدي

ثم استدلّ ﷺ على نفي الحاجة عنه تعالى بخلق الخلق بقوله: (ولكان ينبغي أن يخلق أضعاف ما خلق) فكلما كثرت الأهلوان كان أقوى له، وليس كذلك، بل الخلق واصل لغاية، وحينئذ نقول: ينبغي أن يكون أكثر وهكذا، فما لم ينقطع إلى غاية لا يمكن فوقها، ولا يقدر عليه، لم تنقطع الحاجة، وعجز الخالق عن الخلق باطل، وكذا انقطاع قابلية الإمكان.

فإذن ليس خلقه الخلق لحاجة وافتقار، وهي - أيضاً - والإمكان أمران وجوديان، فهما مفتقران إليه تعالى، فلا تقوم له حاجة وإمكان.

والقول بأن الإمكان اعتباري امتناهي لا تحقق له، أو أنه ذاتي لم يتعلّق به جعل، باطلان، والخلق يشمل، فهو وجودي مخلوق، فنقل حوائج الخلق بعض لبعض، وفضل بعض على بعض، لا حاجة منه أو عجز، ونقل حوائجهم إليه، فهذه حلة الخلق. وقال

(١) «هدي العقول» ج ٥، باب الإرادة، ح ٤.

(٢) «عيون أخبار الرضا» ج ١، ص ١٦٩، «التوحيد» ص ٤٣٦، ح ١، صحناه على المصدر.

(٣) من «ب»، وفي «أ»: «كها».

علي عليه السلام: (علة صنعه صنعه) ^(١) فانهم.

قوله: ﴿فسبحان الذي لا يؤوده خلق ما ابتدأ، ولا تدبير ما برأ، ولا من عجز ولا من فترة بما خلق اكتفى، عليم ما خلق، وخلق ما عليم، لا [بالتفكير] ^(٢) في علم حادث أصاب ما خلق، ولا شبهة دخلت عليه فيما لم يخلق، لكن قضاء مبرم، وعلم مُحكم، وأمر متقن﴾.

أقول: كيف يؤوده ويثقله خلق ما ابتدأ خلقه أو تدبيره في مصالحه وحسب كماله؟ وليس صدور ذلك منه تعالى بمعاون أو آلة زائدة، حتى يمكن عروض العجز، بل أوجد فعله بالفاعلية، وأوجد به مفاعيل الذات، فإذا كان ذلك مقتضى الذات فلا يصح عروض ما ينافيه، وإلا لم يكن ذلك مقتضاها [بفعلها] ^(٣) لذاتها.

ولا يذهب بذلك ظاهر التعبيرات هنا بمقتضى ومقتضى، وإلا فلا صينية، بل أردت التعبير عن العينية ونفي الزيادة، وليس مرجعي إلا إلى العليم الحكيم، بلا اختلاف الذات، ولا اختلاف المعنى.

وأيضاً كيف يعرض المعجز المقتضى للانفعال، وقبول أثر من الغير، لمن لا يؤثر فيه غيره؟ بل لا شيء مصاحباً له، فضلاً عن تأثيره، قال تعالى: ﴿وَلَا يُؤْذَى حِفْظُهُمَا وَهُوَ الْعَلِيُّ الْعَظِيمُ﴾ ^(٤) ﴿الَّذِي خَلَقَ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضَ وَلَمْ يَمَيِّضْ يَخْلُقْهُنَّ بِقَادِرٍ عَلَيَّ أَنْ يُحْيِيَ الْمَوْتَى بَلَى إِنَّهُ عَلَيَّ كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ﴾ ^(٥) ﴿وَمَا كَانَ اللَّهُ لِيُنْجِزَهُ مِنْ شَيْءٍ فِي السَّمَوَاتِ وَلَا فِي الْأَرْضِ﴾ ^(٦) إلى غير هذه الآيات والروايات، إلا من أثبت زيادة القدرة، كالأشاهرة، كما سمعت ^(٧) مذهبهم، فيلزمهم أنه بذاته عاجز، تعالى الله عما يقول الظالمون علواً كبيراً، أو آمن أ ثبت معه أحياناً ثابتة في الأزل، أو للأشياء ثبوت فيه، فالخلق منه ومن غيره، كالمادة أو المرأة له، فهو يدل على المعجز.

(١) «شرح المشاعر» ص ٣٣٦، ٦١٧، وفيه: (علة ما صنع..).

(٢) في «ب»: «بالتفكير».

(٣) في «ب»: «بذاتها».

(٤) «البقرة» الآية: ٢٥٥.

(٥) «الأحقاف» الآية: ٣٣.

(٦) «فاطر» الآية: ٤٤.

(٧) انظر: «هدي العقول» ج ٥، الباب ١٢ - ١٣.

قوله: (علم ما خلق وخلق ما علم) وهذا العلم الفعلي، ويمكن إرادة الذاتي، ولكن لا معلوم معه بوجه، بل عَلِمَ به غيره في أمكنة الحدوث، وأوجده فيه كذلك، ويجب سبق العلم على الخلق، قال الله تعالى: ﴿أَلَا يَعْلَمُ مَنْ خَلَقَ وَهُوَ اللَّطِيفُ الْخَبِيرُ﴾^(١). وكيف يؤوده تدبير ما خلق ودبر، وبحكمه تمضي الأشياء، ولا يشغله شأن من شأن، ولا يغلظه السائلون، كيف وهو منزّه عن الزمان وصفات الحدوثان؟

وكذا اقتضاه على خلق كل موجود على هيئة ومشخص خاص، وكذا مجموع العالم باعتبار كليته، لا من عجز أصاب ذاته، فقصر عن خلقه على غير هذا الوجود الخاص والنظام المخصوص، فلم يبلغ به الكمال في شأنه الممكن في حقه، ولا من فتور في الآلة، فقصر فعله، ولا محالة يعود القصور لذاته والمعجز حينئذ، بل هي منشؤه، كما هي صفة العاجز وفعله، فيتصور الكامل ويقصر عنه، بل ويوجد بعض على غير الوجه الأكمل، فيجعله ناقصاً للقصور.

بل الموجب لذلك الاقتصار كونه هو الممكن في شأن المعلول جملة وفردى في حقه، لكمال علمه بالأصلح، لا بالنظر إلى كمال الذات الواجبة، فإنه كمال لا يضاف ولا يماثل. فـ (عَلِمَ ما خلق) حيث لا معلوم (وخلق ما علم) كما اقتضته الحكمة، مختاراً ممكناً جامعاً، وقد اتفقت كلمة الحكماء على أن هذا النظام أكمل النظامات، ولا نظام أكمل بقي في القوة، وإلا فإما لا يعلمه الله، أو له مانع عنه، مع عدم بقائه - حينئذ - موجب لصدوره، كيف وقاعدة [إمكان]^(٢) الأشرف^(٣) وغيرها توجب تقديمه؟ ولا يمنع مستحقاً ما يمكن في شأنه، وهو جواد مطلق بذاته، والنص الدال على هذا كثير، يظهر للفظن المتدبر. لكن هذا الحكم باعتبار مقتضى المشيئة، ومراعاة الأصلح في الكون، وهو هذا النظام، لا باعتبار ما في الإمكان والقدرة اللتين لا نهاية لهما*، فيمكن أكمل، ولكن لا يبقى في الإمكان، وإذا برز كان، فإنه من الإمكان الكلي إلى العامل له، فتدبر.

(١) «الملوك» الآية: ١٤. (٢) في النسختين: «الإمكان».

(٣) انظر حول هذه القاعدة: «الأسفار الأربعة» ج ٧، ص ٢٤٤.

(*) «فإن القدرة طبق الإمكان لا يزيد عليها ولا تزيد عليه، كما أنه لا ينقص عنها ولا تنقص عنه، فإن القدرة منفية عن الوجوب والامتناع، كما أنها منفية عنها، إذ لا قابلية فيها لانحصار القابلية في الإمكان. ب» [حاشية «أ»].

وليس خلقه تعالى ما خلق بتفكر في علم حادث، لعدم حدوث علمه، فليس بين الواجب تعالى ومعلومه علم، حتى يمكن أن يخفى عليه جهة حسن في تفكره، بل علمه الفعلي نفس المعلوم، وقبله لا وجود للمعلم، ولا كلام في العلم الذاتي، فتدبر.

وليس تركه خلق ما لم يخلق لشبهة، وعدم ظهور أمره له، كيف وتنزهه عن جميع ذلك ظاهر مما سبق، من فعلية علمه وإحاطته وغير ذلك؟ وقد أخبر في غير موضع عن قدرته على غير الموجود، ذاتاً وصفة، غير أنه لما نافي الحكمة - وما سبقت به المشيئة، وكان قبيحاً - لم يوجد، فليس ذلك لشبهة، بل لكمال الوجود والوجود الصارف، من غير تروء وتفكر، ومنه قوله: ﴿وَلَوْ شَاءَ لَجَعَلَهُ سَاكِنًا﴾ الآية^(١) ﴿وَلَكِن شِئْنَا لَنَذْفَنَّهُ﴾ الآية^(٢).

ومعلوم أن ما في الإمكان أهم مما في الكون بوجوه، ليس هنا موضع بسط ذلك. فأوجد ما أوجد بقضاء مبرم، وإمضاء وإبرام متقن، وعلم تام محكم، فلا يصح فيه تعالى التروي والتفكر، والألم يكن قضاء مبرماً تاماً محكماً، ولا يكون اقتضاره على إيجاد ما أوجد - وجوداً وهيئة - من عجز وفتور، بل لاقتضاء إبرام القضاء منه وتسامية العلم، المقتضيان أن لا يوجد إلا المحكم المتقن، ولا يوجد غيره كما عرفت بديهة.

فهذا هو السبب والعلّة، لا العجز والفتور، كيف ونفس القابليات والماهيات ناقصة بذاتها ومجمولة، وليست هي سبب الاختلاف، ولا لعلّة قديمة زائدة، ولا لترجيح لا لمرجح! بل لأمر مساوقة للجمل مجمولة توجبه، وسبق بيانه.

ونقول أيضاً: ليس الممكن بممكن على أي وجه أخذ وبأي مقام، فلا بد لها من مقام وكمال نظام تستدعيه، ممكن لها بما مكنتها الله منه، والله العالم بذلك قبل الإيجاد، فأوجده كما علم كذلك، فتدبر، فأخر كلامه ﷺ مشتمل على علّة الاقتصار، كما صححه الاعتبار.

قوله: ﴿تُوْحَّدُ بِالرَّبُّوبِيَّةِ، وَخَصَّ نَفْسَهُ بِالوَحْدَانِيَّةِ، وَاسْتَخْلَصَ بِالْحَمْدِ^(٣)

وَالثَّنَاءِ، وَتَفَرَّدَ بِالتَّوْحِيدِ وَالْمَجْدِ وَالسَّنَاءِ، وَتَوَّحَّدَ بِالتَّحْمِيدِ، وَتَسَجَّدَ

بِالتَّمْجِيدِ﴾.

(٢) «الإسراء» الآية: ٨٦.

(١) «الفرقان» الآية: ٤٥.

(٣) في المصدر: «بالحمد».

أقول: أمّا بيان تفرّده بالربوبية، فقد عرفت من بحث إثبات الوحدة، فكلّ ربّ دونه - إذ الربّ يطلق على معان، كما عرفت لغة وعرفاً - فليس برّب حقيقي، بل لدلالته عليه وسوقه. وفي الدعاء: (ربّ الأرباب) (١).

أمّا حمل الأرباب هنا على ما أقامته عبدة الأصنام، فساقط لا يعتبره الإمام عليه السلام، مع التمامية بدونه، ولا شك في صحة: (من أصغى إلى ناطق فقد عبده، فإن كان الناطق يؤدي عن الله عزّ وجلّ فقد عبده الله) الحديث (٢)، ومحمد عليه السلام وآله عليهم السلام صاحب ومالك، ملكه الله خلقه، وإلا فلا شريك مع الله، بل متوحد بالوحدانية (واستخلص بالحمد والثناء) فلا ثناء لغيره.

وثناء: فعل الشيء ثناءً له، إذا كان بالجهة التي أمر بها، وطلب التوجّه منها (وتفرد بالتوحيد) لتفرّده بالوحدة، وسمعت: (توحد بالتوحيد في توخّده، ثمّ أجراه على خلقه) (٣) و ﴿لَهُ مَا فِي السَّمَوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ﴾ الآية (٤).

والثناء - بالمدح - والرفعة، وبالقصص الغريبة. وما سواه ليس بواحد من كلّ وجه، ولا بذوي مجد وثناء كذلك، بل كمال التوحيد والتحميد والتمجيد إلما هو تحميد الذات نفسها بنفسها، وكذا التحميد والتنزيه ومدح ما سواه ناقص.

قال عليه السلام: (لا أحصي ثناء عليك، أنت كما أثنيت على نفسك) (٥). ﴿ذَلِكَ بِأَنَّ اللَّهَ هُوَ الْحَقُّ وَأَنْ مَا يَدْعُونَ مِنْ دُونِهِ الْبَاطِلُ﴾ (٦) ﴿وَمَا قَدَرُوا اللَّهَ حَقَّ قَدْرِهِ﴾ (٧) ﴿سُبْحَانَ رَبِّكَ رَبِّ الْعِزَّةِ عَمَّا يَصِفُونَ﴾ (٨). كيف والتحميد والتنزيه [الحادث، إلما هو بما أجراه على خلقه، وألفوا من نقائص الإمكان في تنزيهه] (٩).

وليس بمستلزم العلم بوجه الشيء - الدالّ عليه تعالى من الآفاق وأنوار الأنفس - الإحاطة

(١) «مهج الدعوات» ص ١٠٠.

(٢) «الكافي» ج ٦، ص ٤٣٤، باب الثناء، ح ٢٤، صححناه على المصدر.

(٣) مرّ شرحه في هذا المجلد، باب تأويل الصمد، ح ٢.

(٤) «التهذيب» الآية: ٢٥٥.

(٥) «بهار الأنوار» ج ٦٨، ص ٢٣.

(٦) «لقمان» الآية: ٣٠.

(٧) «الأنعام» الآية: ٩١، «الزمر» الآية: ٦٧.

(٨) «الصفات» الآية: ١٨٠.

(٩) ليست في «ب».

بذات الشيء وصفته، التي هي ذاته، وهذا ظاهر عقلاً ونقلاً حتى في أمثلة الآفاق والأنفس.
 قوله: ﴿وعلا من اتخاذ الأبناء، وتطهر وتقدس عن ملامسة النساء، وعز
 وجل عن مجاورة الشركاء، فليس له فيما خلق ضدًا، ولا له فيما ملك ندًا،
 [ولم] ^(١) يشركه في ملكه أحد، الواحد الأحد الصمد، المسيد للأبد،
 والوارث للأمد، الذي لم يزل ولا يزال، وحدانياً أزلياً قبل بدء الدهور،
 وبعد صرف الأمور، الذي لا يبید ولا ينفد﴾

أقول: قد هرفت تواتر البرهان على تنزهه عن المشاركة بأقسامها، فلم يلد ولم يولد،
 ولا صاحبه له ولا ضد ولا ند، كيف يضاد المملوك المالك، أو يناده أو يماثله أو
 يعاديه ^(٢) بل لم يزل واحداً واحداً صمداً، ولا يزال عما هو عليه في أزل الأزال، والأ
 لتكثرت ذاته واختلفت عليه الأحوال، وحل به الانتقال، ودخله الغناء والزوال، تعالى
 الملك المتعال، فهو قبل الدهور والأجال بلا قبل، وبعد صرف الأمور ونهايتها بلا بعد؛
 لأنه الذي لا يبید ولا يفنى، ولا ينتهي إلى غاية فيفنى، فتعالى علواً كبيراً، فتدبر بحسن
 الاعتبار الخالي من الأغيار.

قوله: ﴿بذلك أصبف ربي، فلا إله إلا الله من عظيم ما أعظمه، ومن جليل ما

أجله، ومن عزيز ما أعزه، وتعالى عما يقول الظالمون علواً كبيراً﴾.

أقول: بعد أن وصف الله بتلك الصفات، ومجده بتلك التمجيدات التي كسبت دونها
 عقول البشر، ورجعت خواسي، فأراد أن يثبتها بالمعظمة والجلالة التي لا تنكر، وأنه (عظيم
 ما أعظمه، وجيل ما أجله، ومن عزيز ما أعزه) فهو ابتهاج وتبجح بما هو ظاهر، بل أظهر،
 وهذا بحسب ظهور الدلالة، وهو المناسب له، لا بما وصفه الجاهلون والملحدون من أهل
 الجاهلية الأولى والثانية، وقد عرفت مذاهبهم متفرقاً، فلا إله غيره، إذ لا مشارك له.

ثم ببه زيادة على امتناع إحاطة الذهن به، [وتمثله] ^(٣) بالخيال بقوله: (ما أعظمه)
 و(أجله) و(أعزه)، فعظمته وعزه وجلاله أعز وأمنع من أن ينال، أو تضرب له الأمثال،

(٢) في النسختين: «بماده».

(١) في النسختين: «ولا».

(٣) في النسختين: «وتمثل».

وتعالى عما يقوله الظالمون - بأنه جسم، أو تحلّ به الحوادث، أو صفاته زائدة، أو ينزل، أو معه شريك، أو له صاحبة وولد - علواً كبيراً ﴿ وَمَا ظَلَمُونَا وَلَكِن كَانُوا أَنفُسَهُمْ يَظْلِمُونَ ﴾ ^(١) و ﴿ سَيَجْزِيهِمْ وَصْفَهُمْ ﴾ ^(٢) ﴿ وَيَدَا لَّهُمْ مِنَ اللَّهِ نَالِمٌ يَكُونُوا يَحْتَسِبُونَ ﴾ ^(٣) ﴿ وَكَأَيِّن مِّن آيَةٍ لِّمَن فِي السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ يَمُرُّونَ عَلَيْهَا وَهُمْ عَنْهَا مُعْرِضُونَ ﴾ ^(٤).

بل وأعلام وجودهم شاهدة بكذب ما تفوه به ألسنتهم، وتحكيه شياطين أوهاهم، فلا بد من خروجه عن الحدّين، ذاتاً وصفة وفعلاً، ومرّ البيان آخر الباب الأوّل ^(٥)، وفي الثاني ^(٦).

قال صاحب الكافي بعد هذه الخطبة: «وهذه الخطبة من مشهورات خطبه عليه السلام، حتّى لقد ابتذلها العامة، وهي كافية لمن طلب علم التوحيد، إذا تدبّرها وفهم ما فيها، فلو اجتمع ألسنة الجن والإنس، أو ليس فيها لسان نبي، على أن يبيّنوا التوحيد بمثل ما أتى به عليه السلام - بأبي وأمي - ما قدروا عليه، ولولا إباته عليه ما علم الناس كيف يسلكون سبيل التوحيد. ألا ترون إلى قوله: (لا من شيء كان، ولا من شيء خلق ما كان) فنفى بقوله: (لا من شيء كان) معنى الحدوث، وكيف أوقع على ما أحدثه صفة الخلق والاختراع، بلا أصل ولا مثال، نفيّاً لقول من قال: إنّ الأشياء كلّها محدثة، بعضها من بعض، وإبطالاً لقول الثنوية الذين زعموا: أنّه لا يحدث شيئاً إلا من أصل، ولا يدبّر إلا باحتذاء مثال.

فدفع عليه بقوله: (لا من شيء خلق ما كان) جميع حجج الثنوية وشبههم، لأنّ أكثر ما يعتمد الثنوية في حدوث العالم أن يقولوا: لا يخلو من أن يكون الخالق خلق الأشياء من شيء، أو من لا شيء، فقولهم: من شيء خطأ، وقولهم: من لا شيء، مناقضة وإحالة؛ لأنّ (من) توجب شيئاً (ولا شيء) تنفيه، فأخرج أمير المؤمنين عليه السلام هذه اللفظة على أبلغ الألفاظ وأصحّها، فقال: (لا من شيء خلق ما كان) فنفى (من) إذ كانت توجب شيئاً، ونفى الشيء؛ إذ كان كلّ شيء مخلوقاً محدثاً، لا من أصل أحدثه الخالق، كما قالت الثنوية: إنّها خلق من أصل قديم، فلا يكون تدبير إلا باحتذاء مثال.

(١) «البقرة» الآية: ٥٧. (٢) «الأنعام» الآية: ١٣٩.

(٣) «الزمر» الآية: ٤٧. (٤) «يوسف» الآية: ١٠٥.

(٥) (٦) «هدى العقول» ج ٣، باب حدوث العالم، وباب إطلاق القول بأنه شيء.

(*) «أي تناقض مستحيل. ب.» (**) «أي لا من شيء» [...] للحصر في العبارتين. ب.»

ثمّ قوله ﷺ: (ليست له صفة تنال، ولا حدّ تضرب له فيه الأمثال*، كَلْ دون صفاته تحبير اللغات) فنفى ﷺ أقاويل المشبهة**، حين شبهوه بالسيكة والبُورة، وغير ذلك من أقاويلهم من الطول والاستواء، وقولهم***: متى ما لم تعقد القلوب منه على كيفية، ولم ترجع إلى إثبات هيئة لم تعقل شيئاً، فلم تثبت صانعاً، ففسر أمير المؤمنين ﷺ أنه واحد بلا كيفية، وأن القلوب تعرفه بلا تصوير ولا إحاطة.

ثمّ قوله ﷺ: (الذي لم يبلغه بعد الهمم، ولا يناله غوص الفطن، وتعالى الذي ليس له وقت محدود، ولا أجل محدود، ولا نعت محدود).

ثمّ قوله ﷺ: (لم يحلل - في الأشياء - فيقال: هو فيها كائن، ولم ينأ عنها فيقال: هو منها بائن). فنفى ﷺ بهاتين الكلمتين صفة الأعراض والأجسام؛ لأنّ من صفة الأجسام التباهد والمباينة، ومن صفة الأعراض الكون في الأجسام بالحلول على غير محاسة، ومباينة الأجسام على تراخي المسافة.

ثمّ قال ﷺ: (لكن أحاط بها علمه، وأتقنها صنعها) أي هو في الأشياء بالإحاطة والتدبير، وعلى غير ملامسة^(١) انتهى.

أقول: أمّا ما قاله في شأن عليّ ﷺ ومدحه، فالأمر ظاهر، وكتب الأصول تنبيء عن ذلك، ولا شك في كونهم معدن الحكمة والبيان، ولعل مراده بالثنوية غير المصطلح عليه، بل بعض الفرق المضلّة.

□ الحديث رقم ﴿ ٢ ﴾

قوله: ﴿ عن أبي عبد الله ﷺ، قال: إنّ الله تبارك اسمه وتعالى ذكره، وجلّ

(*) «أي لو كان محدوداً لكانت أمثاله كثيرة. ب.»

(**) «أي لم تصل عبارة المشبهة إلى كنه ذاته، لكديهم عليه بأن لها طولاً مثلاً، بل وعبارة [المنزهة] أيضاً، وإن قبلت منهم، وصحّت عبادتهم بها، لأنّ ما اعتقدوه وحكوا به، وإن كان بلغ الغاية في التنزيه، ليست ذات البحث [عليه] فإنّ الممكن لا يقع وصفه إلّا على ممكن مثله، وموصوفه إنّما هو آية من آيات ذات الله البحث. ب.»

(***) «أي المشبهة، وهم المنكرون للمجردات، والمناصرين الوجود على المحسوسات. ب.»

(١) «الكافي» ج ١، ص ١٣٦ - ١٣٧، صححناه على المصدر.

ثناؤه، سبحانه وتقدس، وتفرد وتوحد، ولم يزل ولا يزال، وهو الأول والآخر، والظاهر والباطن، فلا أول لأوليته، رفيعاً في أعلى علوه، شامخ الأركان، رفيع البنيان، عظيم السلطان، منيف الآلاء، سني العلياء، الذي [عجز] ^(١) الواصفون عن كنه صفته، ولا يطبقون حمل معرفة إلهيته، ولا يحدون حدوده؛ لأنه بالكيفية لا يتناهى إليه ﴿.

أقول: الشامخ: العالي، والسناء: العلو، و (شامخ الأركان)، إما كناية عن الرفعة، كما يقال: فلان شامخ الأركان، أي رفيع حال، أو إشارة إلى عالم الأمر والجبروت، فإنها عظيمة، وأضافها لنفسه لكمال القرب، ومما مر في الأبواب يظهر لك معنى هذه الصفات، فراجع.

□ الحديث رقم ﴿ ٣ ﴾

قوله: ﴿ عن الفتح بن يزيد الجرجاني، قال: ضمني وأبا الحسن عليه السلام الطريق في منصرفي من مكة إلى خراسان، وهو سائر إلى العراق، فسمعته يقول: مَنْ اتَّقَى اللَّهَ يَتَّقِنِي، وَمَنْ أَطَاعَ اللَّهَ يُطَاعَ ﴾.

أقول: ورؤي هذا الحديث في التوحيد ^(٢) والعيون، وغير خفي أن (مَنْ اتَّقَى اللَّهَ يَتَّقِنِي)، لكمال معرفته وقربه، وقد قال تعالى: ﴿ إِنْ تَتَّقُوا اللَّهَ يَجْعَلْ لَكُمْ فُرْقَاناً ﴾ ^(٣) ﴿ وَاتَّقُوا اللَّهَ وَيَعْلَمَ اللَّهُ ﴾ ^(٤). وكذا (مَنْ أَطَاعَ اللَّهَ يُطَاعَ) على قدر الطاعة والتقوى يحصل خضوع غيره للمتقي والطائع، حتى ورد: (عبدني أطعني تكن مثلي، تقول للشيء: كن ليكون) ^(٥) (لا يزال العبد يتقرب إلي بالنوافل) ^(٦). وحكايات الدواب المعجم مع الصلحاء مشهورة، أو لا ترى طاعة جميع مخلوقات الله للنبي لما أطاع وأخلص، فهذا المضمون متواتر في الروايات.

(٢) «التوحيد» ص ٦٠، ح ١٨.

(١) في النسختين: «بمعجز».

(٤) «البقرة» الآية: ٢٨٢.

(٣) «الأفعال» الآية: ٢٩.

(٥) «مشارك أنوار اليقين» ص ١٦٩، «بحار الأنوار» ج ٩٠، ص ٣٧٦، ح ١٦، نقله بالمعنى.

(٦) «الكافي» ج ٢، ص ٣٥٢، باب من آذى المسلمين، ح ٧، نقله بالمعنى، «غوالي اللآل» ج ٤، ص ١٠٣.

ومعلوم أنَّ المخلوقات في قبضة الخالق، ومَنْ كان أقرب كان طاعتها له أقرب، فلو دعا أجيب، ومتى طلب وجد.

قوله: ﴿فتلطف في الوصول إليه، فوصلت فسلمت عليه، فرد عليّ السلام، ثم قال: يا فتح، من أرض الخالق لم يبالي بسخط المخلوق، ومن أسخط الخالق [فقين] (١) أن يسخط الله عليه سخط المخلوق﴾

أقول: في بعض النسخ: (القمين) (٢)، وهما بمعنى الخلق والجدير (٣).

وكيف يبالي بسخط المخلوق، وهم في قبضة الخالق والمطاع، الذي لا يفوته شيء، ولا يخفى عليه خافية، مع أن الدنيا فانية زائلة (سجن المؤمن، وجنة الكافر) (٤) ومن طاعته المداراة لهم والتقية منهم؟ بل هي من أفضل أعمال الصالحين ودثارهم، والباقي ظاهر.

قوله: ﴿وإن الخالق لا يُوصف إلا بما وصف به نفسه، وأتى بوصف الذي تعجز الجواسق أن تدركه، والأوهام أن تناله، والخطرات أن تحذره، والأبصار عن الإحاطة به، جل عتاً وصفه الواصفون، وتعالى عتاً ينعته الناعتون، نأى في قربه، وقرب في نأيه، فهو في نأيه قريب، وفي قربه بعيد﴾.

أقول: من المعلوم أن الشيء لا يدرك ما وراء وجوده، إذ لا ذكر له بوجه، والممكن في حيز وقصور عن إدراك ما وراء الإمكان بأقسامه؛ ولأنه لا جهة فيه وجهة، ولا يعرف بصفات خلقه، والأوقع التشبيه، فوجب أن لا يوصف إلا بما وصف به نفسه لخلقته بخلقته، ولولا تعريفه ما قدر أحد هلئ وصفه.

والإمام (٥) [بعد أن] (٦) رغب في القيام بما يرضيه، المقتضي لامتنال أوامره، وتركه ما

(١) في النسختين: «فقين». (٢) يعني في بعضها: «فقين» بدل: «فقين».

(٣) انظر: «الصالح» ج ٦، ص ٢١٨٤، «فن».

(٤) «معاني الأخبار» ص ٢٨٩، ح ٣، «بهار الأنوار» ج ٦، ص ١٥٤، ح ٩.

(٥) من «ب».

يسخطه، وهو المنهيات - محرّكة - لذلك، بيّن له أحقّ ما يطلبه ويرضيه واجتناب غيره، والعمدة، وهو أنه تعالى (لا يوصف إلا بما وصف به نفسه)، ودلّ عليه في موجوداته، وأجراه على الألسنة.

ثم بيّن الدليل العقلي على امتناع قدرة الخلق على وضع صفة له، أو إدراك حقيقتها، بقوله: (وأنى يوصف الذي تعجز الحواس) عن إدراكه، لأنّه ليس بمحسوس، وليس بذى وضع، فانتفى عنه طريق الاحساس وصفاته، وكذا الأوهام العقلية أن تناله وتحيط به، وكذا عن خطرات النفوس، وما يعرض لها من المعقولات، والسوانح من غير فكر وتعمّل وهم، وكذا الأبصار، أبصار البصر والقلوب. وكيف يحيط الأثر بمؤثره، أو يدرك حقيقته أو يعرفه بغير تعريفه؟ وإلا لم يكن المؤثر مؤثراً، وكذا الأثر.

وأيضاً من المعلوم أن الطريق الذي يتحصل منه وضع الصفة لشيء إنما يحصل بعد تصوّره وتحقّقه، وطريق تحصيل ذلك للممكن لا يخرج عن أحد هذه، ومرجعها إلى الإحساس والتعمّل، وهو تعالى مقدّس عن جميع ذلك، فلا صفة تُنال له بحدّ ولا كيفية، وإنما تُنال وتعرف بما حرّف.

فالمعلم إنّما هو بالوجه الدالّ عليه تعالى؛ لظهوره تعالى في كلّ شيء، حتّى لم يغيب عنه شيء، فتعالى وتقدّس عمّا يصفه الواصفون من التشبيه والتعطيل، فحكموا على من لا يدخل في سلك المعقول والمحسوس بصفاتهما، بل هو ناء في قربه، فلا تلحقه من صفاتهم شيء من المشابهة والمماثلة، وقريب في نأيه، فلا يخلو منه شيء، وإلا لم يكن صانعه، فهو ظاهر فيه بالصنع والمصنوعية المحيطة به، وهو في قبضته، فلا يفوته شيء، فهو مع كلّ شيء بفعله، فظهوره لا بممازجة؛ لتعالیه عنها، ودونه بالذات، لا بالمزايلة والمباينة، بل مباينة صفة لا مباينة عزلة.

والصفة منقطعة دون الموصوف وجوداً وماهيةً، وكذا المعلول دون العلّة، لا أنّ الحقيقة واحدة، والوجوب والإمكان هما المائزان، كما توهمه المتصوّف، ولا جهة وجهة فيه، بل هو ناء في قربه بما بعد في قربه، وقريب في بعده بما بعد في قربه، وكذا بطونه وظهوره، ليس كمثل شيء، وهو السميع العليم.

ولو اختلف ظهوره وبطونه، وقربه وبعده، ومداخلته ومفارقتها، تطوّرت عليه الأطوار، وقامت به الحدود، وكان غيره له كالصورة للمادة، وأوجب ذلك نزول الغافل في أطوار

شؤونه ووجودات إمكانها، فيكون محتاجاً لها، فلا يكون غنياً ذاتاً وصفة، ويلزم عينية الإرادة، وهو محال.

فذااته تكون مستكملة بفعلها لما نزلت إليه وتطورت بأطوارها، فهو غني فقير، فاعل منفعل، وتختلف عليه الأحوال، حالة قبل الممازجة والظهور والقرب، [وحالة] (١) بعد، أو قل: حاله بحسب الذات، وحاله بالنسبة إلى فعله ومفعوله، فيكون محلاً للحوادث وصالحاً لقبول التعيّنات، إلى غير ذلك من النقائص، والله منزّه عن جميعها، بل كامل من كلّ وجه، فاعل بفعله، وبما ألقى فيه من هوية المثال الدال، وقاصداً بإرادته الحادثة تكميل غيره، والإرادة والمراد خارجان عن ذاته.

ثم نرجع ونقول: إنّ الله لا يوصف ويعرف بما وصف به غيره، وعرفهم به، وإلا وقع التشبيه، وتساوى الصانع والمصنوع، وقامت الحدود فيه، تعالى الله.

نعم، يُستدلّ عليه ويُعرف بما دلّ عليه وعرف خلقه، من أسمائه وصفاته، وصفة الكمال والتنزيه المجمعولة فيهم، الدالة بوجه، فيستدلّ عليه بما تعرّف لهم بهم، فهو ظهور تعريف ووصف دلالة، لا إحاطة ولا اكتناء، ولا يتوقف ذلك على رؤية قلبية ولا قلبية، إلا رؤية دلالة وشهود دلالة، وهي هامة للموجودات، وظاهره لكلّ من طلبه في كلّ وقت وأنّ محلّ ومكان، فهو موجود مفقود، مفقود بما وجد، وموجود بفقده، فهو مفقود في وجوده بما فقد.

وأما الصفة التي تعرّف بها فكونه موجوداً، لا يدرك بصفة إمكان، كعموم وخصوص، وكلية وجزئية ونحوها، ولا بمعنى ولا جوهر ولا عرض، ولا وقت له ولا مكان وجهة ونسبة، ولم يلد ولم يولد، ولم يخلّ منه مكان، ولا يمازج غيره ولا يباينه، ولا يشبه غيره ولا يماثله أو يضاده، ولا يدرك بجهة أو حدّ، أو بخيال أو فكر، وكذلك صفاته.

ولا يعرف بغيره، لا في الذات ولا في الصفة، ولا في الأفعال، فهو معلوم صفة ودلالة، ومجهول ذاتاً؛ لأنّه لم يتعرّف بذاته، فهو محال، وإلا لم يكن واجب وجود ذاتي. وجهة معلوميته هي جهة مجهوليته؛ لأنّها معرفة دلالة وهاجزة عن الاكتناء، فما به المعلوماتية به المجهولية؛ ولأنّ منها تعرّف لخلقها - من الصفة الدالة - أنّه لا يكتنه ولا يحاط به، وكلّ ما

(١) من «ب»، ولم ترد فيها: «والقرب».

يحاط به مصنوع، وما به يدرك، وهو أثره الدال، به يفقد؛ لأنها مشاهدة أثرية لا إحاطية ذاتية.

وكيف يحاط ويدرك ما ظهوره ومعرفة لا يكون إلا كذلك؟ سبحانه وتعالى عما تقوله المشبهة، والممثلون من أهل الكلام والمتصوفة، وأمثالهم.

وقال محمد صادق في الشرح لهذا الكلام: «وإن الله تعالى أحاط بظاهر العباد وباطنها، ومع [ذلك] (١) لا تتدنس جلالة ذاته عن دناس المخلوقات (فأئى في قربه، وقرب في نأيه) أي بعده، فهو تعالى منقطع الكيفوية والأينونية في حد ذاته، وتتصف بهما بالعرض في إحاطته بمخلوقاته».

أقول: سبحانه وتعالى عن قول هذا الرجل، فقد أثبت الله كل ما نفاه الأئمة عنه، في روايات التنزيه وخطبهم؛ لأنه أثبت له في مقام الإحاطة بالمخلوقات، ولو بالعرض، فهو لا يدفع ذلك، بل يثبت، فتعمد جميع المحذورات السابقة، فقد أزد على مذاهب أهل التشبيه من العامة وغيرهم، سبحانه وتعالى عما يصفون علواً كبيراً.

وما أجراه على وصف الله بما قاله، حتى إنه حكم بإحاطته ذاتاً بالعلم - ظاهراً وباطناً - [ويقول] (٢) بتنزيهه عن دنسها، إنه لمن التناقض الظاهر، فهو بذاته محيط [بالقدرة] (٣) فالمستغاث بالله ورسوله وخلفائه من هذه الأقوال.

وقال ملا خليل «(نأى) أي بَعَدَ عنا ذاتاً (في قربه)، بحسب الدليل عليه، أو بحسب إحاطة علمه بنا؛ لقوله: ﴿وَنَحْنُ أَقْرَبُ إِلَيْهِ مِنْ حَبْلِ الْوَرِيدِ﴾ (٤). [و (في) بمعنى (مع). (وقرب في نأيه، فهو في نأيه قريب، وفي قربه بعيد)] (٥) تكرار للمضمون، للتأكيد» (٦).

أقول: ليس الزيادة للتأكيد، بل للتأسيس، ولبيان أن نأيه بقربه بما قرب بعده وبالعكس، وهكذا صفة الواجب، فهو قريب بعيد، ولا قريب ولا بعيد، بجهة واحدة. وقوله: «أو بحسب إحاطة علمه» إن أراد الذاتي، كان قربه بذاته، فتعمد المفاصد السابقة، ولا يكون حاله قبل وبعداً واحداً. وإن كان بعلمه الحادث، فهو نفس الدليل، عنده

(١) ليست في «ب» . (٢) في «أ»: «وتقول».

(٣) في «ب»: «القدرة» . (٤) «ق» الآية: ١٦ .

(٥) من المصدر. (٦) «الشافعي» مخطوط برقم: ٢٣٣٤، الورقة: ١٠٦.

العلم زائد اعتباراً، وسبق بيانه وبطلانه في المجلد السابق^(١) وغيره.

توضيح بياني لقوله ﷺ: (نأى في قربه) ... إلى آخره

هذا المضمون - من وصفه بالمتقابلين دفعةً، وكون أحدهما الآخر، وخلوّه منهما عين اجتماعهما بجهة واحدة - معلوم من الروايات.

فإنما كلام الملام وتلامذته فعرفت بطلانه، وأنه تشبيه وتعطيل، وكذا بإثبات وجود مطلق شامل، أو ثبوت الأعيان في الأزل، غير مجعولة وأمثالها، باطل، وإدراكها يحتاج إلى طور وراء العقل لا به، بل بالفؤاد، كل بنوره، وإدراك حقيقته خاص بهم، ولو قالوا كما هرفت: ناه بذاته، وهو على ما كان، وقريب بفعله وبآثار صنعه، لسلموا من تيه الضلال. وأصل ذلك أن ظهوره ليس ظهور إحاطة، بل ظهور دلالة، ومباينته لخلقه ليس مباينة عزلة، بل مباينة صفة، فوجب من ذلك أن يكون وصفه بالمتقابلين كذلك، فوجب من ذلك أن يكون هو الأزل والآخر، وآخر في أوليته بما هو آخر، وأول في آخريته بما هو أول، وباطن في ظهوره بما هو باطن، وظاهر في بطونه بما هو ظاهر، وقريب في بعده بما هو قريب، وبعيد في قربه بما هو بعيد.

وكذا نقول في العلوّ والدنوّ، والقيل والبعث ونحوها، كلّها على جهة واحدة ونسبة متحدة، فيوصف بجهتي النقيضين والمتقابلين، وبجهتي المركّب من حيث البساطة، فيوصف بوصف اجتماعهما في وصف امتناع اجتماعهما وارتفاعهما؛ فاجتماعهما الذي هو وصف ارتفاعهما يوصف به تبارك وتعالى، وهذا ممّا يمتنع في الخلق، فيجوز عليه.

فقولك: عالٍ ودانٍ، أحدهما عين الآخر، وهو ليس بعالي ولا داني؛ لأن تسمي العلو والدنو في الممكن محالان عليه تعالى، لأن ما يجوز على الممكنات يمتنع عليه سبحانه، فيريد بالنسبة له كون دنوّه علوّه، وليس بعالي ولا داني، وكذا في الأول والآخر، والظاهر والباطن، والقريب والبعيد، ونحو ذلك.

وكلّه من صفات الفعل المنسوبة إليه؛ لقيام فعله به صدوراً، ولا يوصف تعالى ويعرف بأحد الضدين، إذ لا بداية له ولا نهاية، ولا ظهور غير البطون وهكذا، أو لا باجتماعهما أيضاً ولا بارتفاعهما، بل باجتماع هو عين الارتفاع، وارتفاع هو عين الاجتماع، وكون

(١) انظر: «هدي العقول» ج ٥، باب صفات الذات.

أحدهما الآخر، وبمشيئة الفعل والترك، من حيث البساطة، وهما صفة المشيئة بحسب التعلّق، وهو اختياره: إن شاء فعل، وإن شاء ترك، بجهة واحدة.

وليس اختياره جهة واحدة كجزء اختيار المركّب، فيكون اختياراً ناقصاً، وهو اختيار الواجب عند كثير، وهو ميل واحد، فقالوا: إن شاء فعل، وإن لم يشأ لم يفعل، زعماً منهم أنّ التمدّد يوجب التركيب فيه تعالى، كما زعمه ملاً صدراً^(١) والكاشاني^(٢) والداماد^(٣)، تبعاً لشارح الفصوص، وجعلوا حكم: إن شاء فعل، وإن شاء ترك، راجعاً إلى الممكن، وما هو عليه في نفس الأمر، وهو غلط، وجعلوا علمه تابعاً للمعلوم، وهو غلط.

واختيار الممكن - بمعنى مشيئة الفعل والترك - أثر اختيار المشيئة؛ لأنّه بها كَوْن [وكان بها]^(٤) مشاء، وصفاته أثر صفتها [وفاضلها، واختيارها من اختيار الله تعالى وأثره، واختياره إشراقي فعلي، لرجوعه إلى الفعل، وأما هو بدون فلا يعرف]^(٥) ولا يَكَيْف، ولا مشاء معه ولا لا مشاء، وبه يشاء ويترك في مقامها، بجهة واحدة، والعلم عين المعلوم. وعلم الله الذاتي لا معلوم معه، ولا مقارنة لشيء، ولا نسبة له مطلقاً، والتعلّق والإشراق في العلم الفعلي، وهو عين المعلوم، وتغيّره لا يخرج من العلم ولا يوجب في الذات، ولا في علمها^(٦)، لأنّه عالم إذ لا معلوم، وليس هنا موضع البحث في المسألة، وراجع ما في المجلد السابق^(٧).

واختيار الله أشد وأقوى وأقهر من كلّ اختيار، وهو المالك لما ملّكهم، بغير جبر، ولم يفوّض. وإذا حرفت ما سبق وحقّقتّه، فلا تصع إلى قول متصوّف جعل الحقيقة واحدة، وجعل هذه الصفات بحكم التميّن الاعتباري، وهي مسلوّبة عن الذات؛ لانحداد الحقيقة، فالممكن وجود ذاتي وعدم اعتباري، فيصدق عليه ما سمعت وما سيأتي من نفي الضدّ والملازمة، والقرب والبعد، ونفي القبلية والشبه، بل يظهر لك سقوطه زيادة على بطلانه ببطلان وحدة الوجود وغير ذلك.

وكذا قول بعض المتكلّمين، ومن غلب عليه المعنى اللغوي وصفة الممكن، في تضادّ

(١) «الأسفار الأربعة» ج ٦، ص ٣١٨.

(٢) «علم اليقين» ج ١، ص ٦٩.

(٣) «القبسات» ص ٣٠٩.

(٤) في «أ»: «وكأنها» وفي «ب»: «وكائن».

(٥) من: «ب».

(٦) «لأنّها وعلمها الذاتي واحد، بكلّ اعتبار ب».

(٧) انظر: «هدي العقول» ج ٥، باب صفات الذات، شرح ح ١.

القرب والبعد وتناقضهما، فلا يكونان شيئاً واحداً من جهة واحدة، وجهل صفاته الذاتية والإشراقية الفعلية كما عرّفناك، فوقع في هذا التشبيه، وفسّر قربه: «باعتبار علمه المحيط بكل شيء»، ويُعده باعتبار هدم كونه من جنس مخلوقاته، وعدم بلوغ العقل والحواس إلى كنه ذاته وصفاته»^(١).

ففرّق بين المعنيين اعتباراً*، حتّى لا يكون بينهما منافاة، بخلاف قرب الممكن ويُعده، فإنّه بالمنافاة، ولا يمكن كونه قريباً بعيداً، لحصول المنافاة بينهما، الموجب لزوال القرب إذا كان بعيداً**.

وليته وقف على ظاهر النص المترتر معنى، وقال: هو كما قال الإمام عليه السلام: (قريب في بعده) وبالعكس، وسلّم للظاهر، ولم يتخطف ما ينصرف لسبعين وجهاً - لهم من كلّ المخرج - على ما ظاهره يدفعه، فإنّ قوله عليه السلام: (في قربه)، وبالعكس، أنّ الجهتين واحدة، لا فرق بينهما بوجه، هذا وكلامه - لو تأمله - حين ما قلناه.

قوله: «قربه باعتبار علمه»... إلى آخره، هذا العلم ليس المراد به الأمر النسبي الإضافي، ولا بمعنى المعلوم، فإنّهما حادثان، بل يريد بعلمه: الذاتي، الذي كان لم يزل حاصلًا له ولا معلوم، وهذا ذاته بلا فرق بوجه أصلاً، وهذا بعينه ليس من جنس المخلوقات، لأنّه ذاته، وكذا الكلام في ذاته التي بُعد بها، حيث إنّها ليست من جنسهم، عين علمه الذاتي الذي قرب به، إلا أن يقول: فرق بين علمه وذاته، ويلاحظ المعلوم البتّة، ويمتنع (عالم إذ لا معلوم)^(٢)، وليس كذلك، ولا مغايرة لها ولا نسبة، ولو بوجه حتّى اعتباراً، تعالى الله وتقدّس علوّاً كبيراً.

ومع هذا فقصارى كلامه: أنّ لقربه وبعدة معنيين حاصلين له تعالى دفعة، إلا أنّه لما اختلفت الجهة والاعتبار صحّ، فهو تعالى متكثر بوجه، وتعالى عن ذلك، فإنّ صفة بعض الممكنات كذلك، فتحصل المشابهة، بل هو الظاهر بما بطن وبالعكس، وأكثر كلماتهم - كما عرفت في الصفات، وغيرها - من جهة مظاهر الصفات، ومعانيها الحادثة، وأنوارها في

(١) «شرح المازندراني» ج ٤، ص ٢١٣.

(*) «لمعلمه القرب باعتبار إرادة المعنى الأوّل وهو علمه المحيط، ويُعده باعتبار المعنى الثاني، وهو المباينة لمخلوقاته وعدم اكتناحه. ب.»

(**) «وزوال البعد إذا كان قريباً. ب.»

(٢) «الكافي» ج ١، ص ١٤١، باب جوامع التوحيد، ح ٦، وسيأتي في هذا الباب، ح ٦.

القلوب، وقيمونها في رتبة الوجوب الحق الثابت. وما سبق يظهر رده زائداً على ما هنا.

قوله: ﴿كَيْفَ الكَيْفِ، فلا يقال: كيف؟ وأَيْنَ الأَيْنِ، فلا يقال: أين؟ إذ هو منقطع [الكيفوية والأينونية] (١)﴾.

أقول: بين كَيْف أن الله تعالى أوجد الكيف، فإذا كان هو الموجد له، فلا يقال له: كيف؟ والألم تكن نسبة إيجاده له بصحيحة، لقيام الكيف فيه، ولا يصح أيضاً أن يقال: أوجده بكيف. وكذا في الأين، وحيث انتفى الأين انتفى «متى»، فالممكنات بجميع مقولاتها وصفاتها وأحكامها منفية عنه تعالى، كيف وهو الأول المطلق؟ فجميع الغايات والكيفيات وغيرهما منقطعة عنه ذاتاً، كما اقتضته العمليّة والمعلولية، فلا يصح قيام شيء منها في ذاته ووصفه بها، وكذا باقي صفات الممكنات.

وكذلك أيضاً ينتفي الكيف والكم والأين و«متى» عن فعله، وهو الإيجاد، فإن الكيف كَيْف به، وكذا الأين، فلا يتصف بها، ولا يرجع لذات الله، (فإرادته إحدائه) من غير كيف وهمّة، وسبق لك (٢).

وقوله: (كَيْف الكيف... وأَيْن الأَيْن) أي جعله بحقيقته، لا أن له حقيقة قبل تكييفه له، فلا يتخلل الجعل بين الشيء ونفسه، كما توهمه بعض الجهال.

ومن هفوات محمد صادق ما قاله هنا: «وأن الله أحاط بظاهر العباد وبياطنها، ومع ذلك لا يتدنس جلاله ذاته عن دنائس المخلوقات، (فنائى في قربه، وقرب في نايه) نائى: أي بَعْدَ، فهو تعالى (منقطع الكيفوية والأينونية) في حد ذاته، ويتصف بهما بالمرض، في إحاطته بمخلوقاته».

أقول: ونحوه كلام أستاذه والكاشاني، وهو | خطأ | ظاهر، والله منزّه عن جميع ذلك مطلقاً، ولم يتجدد له | حدوث وتغير من الخلق، سبحانه وتعالى همّا يقوله الجهال والمشبهون، ولبداهة البطلان نختصر البيان.

(١) في «أ»: «الكيفية والأينية». وفي «ب»: «الكيفية والأينونية».

(٢) في «هدي العقول» ج ٥، باب الارادة، ح ٣.

□ الحديث رقم ﴿٤﴾

قوله: ﴿عن أبي عبد الله عليه السلام. قال: بينا أمير المؤمنين عليه السلام يخطب على منبر الكوفة، إذ قام إليه رجل يقال له: ذعلب، ذو لسان بليغ في الخطب، شجاع القلب، فقال: يا أمير المؤمنين، هل رأيت ربك؟ قال: ويلك يا ذعلب، ما كنت أعبد رباً لم أره، فقال: يا أمير المؤمنين، كيف رأيت؟ قال: ويلك يا ذعلب، لم تره العيون بشاهدة الأبصار، ولكن رأته القلوب بحقائق الإيمان﴾.

أقول: ذعلب اليماني ضبطه الشهيد في قواعده^(١) بكسر الذال المعجمة، وإسكان العين المهملة، وكسر اللام. ورواه الصدوق في التوحيد^(٢) مسنداً. وفي الشرح لملاً محسن: «هذا الحديث مشهور بين الخاصة والعامة، بألفاظ مختلفة متقاربة، وأسناد متعددة»^(٣).

وذكره الرضي في النهج^(٤)، ولكن بأخصر مما هنا.

واعلم أن عبادة من لا يرى ويعرف غير جائزة، ولذا سأل ذعلب «هل رأيت» وأجابه بـ (ويلك) ولكن رؤية الشيء تقع بالإحاطة بذاته حساً في المحسوس، أو عقلاً في المعقول، ولذا استفسر عن كيفيتها، فأجابه عليه السلام بأنه تعالى (لم تره العيون) عيون البصر والبصيرة (بمشاهدة الأبصار)، وفي بعض الروايات (العيان)، فإن هذه مقتضية للإحاطة به حساً أو عقلاً، ودخول ذاته في التوهم، (ولكن) رأيت وعرفته، وأفررت به (بحقائق الإيمان) واليقين الحاصل لها، من الأدلة الدالة عليه في النفس والآفاق، وهي عين ذاته. وليس هذا بمقتضى للإحاطة بالذات، ولا دخول في نظام الممكنات، ولا بمقام من المقامات، دنياً وآخرة، ولا بفرد دون آخر، لحصول الإيمان والمعرفة به، دنياً وآخرة، وإن اختلفت شدة وضعفاً، بل في الدنيا كذلك، بل حاصلة لكل موجود على تفاضله فيها، ومرء لك في باب نفي الرؤية^(٥) مثل ما هنا مبسوطاً، بتحقيق الحق وإماطة الباطل.

(٢) «التوحيد» ص ٣٠٨، ح ٢.

(٤) «نهج البلاغة» الخطبة: ١٧٩.

(١) «القواعد والفوائد» ج ١، ص ٧٧.

(٣) «الوالي» المجلد: ١، ص ٤٣٥.

(٥) «هدي العقول» ج ٤، الباب التاسع.

قوله: ﴿ويلك يا ذعلباً إن ربي لطيف اللطافة لا يوصف باللطيف، عظيم العظمة لا يوصف بالعظم، كبير الكبرياء لا يوصف بالكبر، جليل الجلالة لا يوصف بالجلظ، قبل كل شيء، لا يقال: شيء قبله، وبعد كل شيء، لا يقال له: بعد، شاء الأشياء لايهتم، ذاك لا بخديعة، في الأشياء كلها، غير متمازج بها، ولا بانن منها، ظاهر لا بتأويل السباشرة، متجمل لا باستهلال رؤية، ناء لا بمسافة، قريب لا بمداناة، لطيف لا [بتجسم] (١)﴾.

أقول: لما بين له طريق رؤيته بحقائق الإيمان، حدّد له صفاته الذاتية والتنزيهية والأفعال، حتّى يعرف منها تنزيهه، و [جاء] (٢) معنى الرؤية، فيعرف عدم صحة إجراء الرؤية الإمكانية في شأنه تعالى، فلا ترى ذاته بذاته، كيف ولا أقهر منه، ولا معه مصاحباً فليس معنى لطفه رقّة أو صغره وصفاءه، ولا عظّمته تجسيماً، ولا كبريائه عن تكبر، ولا جلاله عن غلظ.

بل كما عرفت في معاني الأسماء وغيرها: لطفه عبارة عن إحاطة علمه باللطيف، أو عدم إدراكه عظّمته وكبريائه عبارة عن شرفه الذاتي على من سواه. وكيف تكون عظّمته وكبريائه بالمعنى المقتضي للزيادة، كما هو في الممكن، وهو عظيم العظمة، إذ لا تكون عظّمته حينئذٍ عظمة فوق التمام بما لا يتناهى، وذلك ظاهر، وفي الباقي أيضاً، مع استلزامه للمشابهة، وزيادة الصفات المقتضية للافتقار الذاتي، وغير ذلك.

ثمّ أثبت له القبلية الأزلية، المقتضية لحدوث جميع من سواه بقوله: (قبل كل شيء)، لا يقال: شيء قبله) وإلا لبطلت الكلّية، فيكون حادثاً، فلا تكون قبلية زمانية، ولا سبقه الزمان، وهو غيره، إذ من المعلوم بديهية أنّ ما به يكون الشيء قبل غير ذلك قبله، لثبوت القبلية لذلك الغير أولاً قبله، فهو قبل القبل بلا قبل. وكذا لا بعد له بذلك التقريب، فهو بعد البعد بلا بعد.

ولزم من ذلك كون قبلية وبعديته شيئاً واحداً، ومعنى متحدّاً بلا فرق، وليس المراد بهما المعنى الإضافي النسبي، فإنّه حادث، ليس بالقبلية الذاتية التي هي عبارة عن تقدّم

(٢) ليست في «ب».

(١) في النسختين: «بجسم».

الذات، وهو التقدّم الوجودي، ولا ملاحظة معه غيره بوجه أصلاً، فلا نسبة ولا إضافة.
 ثم نَرّهُ في الفعل، فقال: شاء الذي شاء بغير همّة سابقة لمشيئته وضمير، بل فعلية
 محضة، هي نفس الإبداع والإحداث، كما ستعرف، ومرّاً^(١) لك أيضاً.
 وهو أيضاً (دَرَكَ) للأشياء وعالم بها (لا بخديعة)، فليس إدراكه بصفة زائدة أو بآلة،
 كإدراك غيره، بل إدراكه لذاته بذاته حيث لا مدرك.
 وهو تعالَى (في الأشياء) ظاهر، ولكن لا بممازجة لها ومداخلة لها في صفاتها،
 كمداخلة ممكن لأخر، فلا تشبيه، ومباين، فلا تعطيل كما عرفت في غير موضع.
 وهو (ظاهر)، لكن (لا بتأويل المباشرة) كظهور الممكن المقتضي لحدّ الذات الظاهرة -
 حينئذٍ - والإحاطة بها، بل بظهور آياته وعموم فعله الدالّ عليه وصفاته، وكلّ ما غير ذاته
 محدّث.

(متجلّي لا باستهلال رؤية) بصرية، كما يتجلّى لك ما علاك، بل بما عرفت. وكذا قربه
 وبعده (لا بمسافة) لا محقّقة ولا مقدّرة، بل عبارة عن معيته مع كلّ شيء، كما عرفت، من
 غير أن توجب له اختلافاً في الذات أو الصفات.
 فهذه جملة من [حقائق]^(٢) الإيمان التي وقع بها الرؤية، وستسمع الباقي، وهو غير
 مستلزم لمفسدة من المفاسد اللازمة، من الرؤية الحسية أو العقلية الإحاطية.

قوله: ﴿موجود لا بعد عدم. فاهل لا باضطرار، مقدّر لا بحركة، مرید لا
 بهامة، سمیع لا بآلة، بصیر لا بأداة، لا تحویه الأماكن، ولا تفضنه الأوقات،
 ولا تحدّه الصفات، ولا تأخذ السّنات، سبق الأوقات كونه، والعدم
 وجوده، والابتداء أزله﴾.

أقول: ما وصف الإمام به الله، بحسب الذات والفعل، وملاحظة الخلق، وما هم عليه
 من الصفات، فمّا لا شكّ فيه، وسبق مبرهنأ في غير موضع من المجلّدات.
 ومن عرف الوجوب الذاتي، بما عرف الله خلقه به، لا يشكّ في منافاة الوجوب الذاتي
 لسبق الغير له، فيكون له هلة، أو يسبقه عدم في مرتبة، أو يكون مضطراً - فعليه من

(١) في «هدي العقول» ج ٥، باب الإرادة، ح ٣. (٢) في «ب»: «دقائق».

أضطره، أو له لازم ذاتي. وكذا الضمير والآلة، سواء كانت حسية أو غيرها - أو يسمه غيره، فالقدم لا يسمه الحادث وبالعكس، أو [يخلو]^(١) منه شيء، بل مع كل شيء، ظهوراً وتديراً، ودون الأشياء ذاتاً، فمباينته مباينة صفة لا مباينة عزلة، وهذا يوجب جميع هذه الصفات المعدودة له تعالى.

وكل ما عُرف به فهو تعريف دلالة، لا تعريف إحاطة، فلا يحده شيء عقلي ولا غيره، لا ذاتاً ولا صفة، وإنما تحدّ الأشياء أنفسها، وتشير إلى نظائرها وأشكالها، والله منزّه عن جميع ذلك، فلا يعرف بصفة خلقه المعدودة وغيرها، وإلا شابههم.

وجميع ما سواه تعالى موجود بعد عدم، بعدية واقعية أو زمانية أيضاً، بل عند التأمل هذه البعدية هو عليها حال وجوده، لتصوره حينئذٍ أيضاً عن وصوله لرتبة الواجب، أو يكون لوجوده اعتبار في رتبة تعالى، بل هي نفس وجوده في مرتبته، والبعدية به قائمة، ولا يرجع إلى عدم اعتبار المعلول عند ذات العلة، بل هو عدم، هو وجود المعلول، فتدبر. وكذا فعله (لا باضطرار) من غير شعور وعلم، كفعل الطبايع، ولا كفعل المقسور بقبوله لفعل القاسر، بل باختيار أعلى الاختيارات.

وما ظاهره من النصّ يوجب الاضطرار - كما سمعت من الينايع وغيرها: (تنفصل عنه كما ينفصل الضوء من الشمس)^(٢)، وكذا تمثيل الإمام عليه السلام لعمران الصابي، كما سمعت - مرّة لك الكلام فيه، وأنه الاختيار الذي فوق التمام، إذ لا يسبق فعله تروّ وانتظار وتوقّف على ما هو خارج عن الذات، إذ ليس معها غيرها، ولكن ذلك صبارة عن غلبة الظهور، وليس للضوء تحقّق في رتبة الشمس، ولا في وجودها بوجه، ليس إلا العدم، بمعنى وجوده في مقامه، ليس إلا، فافهم.

وكذا تقديره للأشياء، ليس كتقدير المخلوق المقتضي لحركته النفسانية الموجبة للانفعال، وكذا إرادته لا بهمة وضمير، بل هي عين المشيئة، وهي نفس الإحداث والفعل لا غير، من غير تروّ وتفكّر وضمير، كإرادة المخلوق.

وكذا سمعه وبصره هما علمه، وعلمه ليس بزائد [وأداة]^(٣)، فكذا علمه.

وأما عدم حواية المكان له، أو الوقت ذاتاً، أو تحدّه صفة، فتقطع عندها غايته، فمرّة

(٢) يقصد كتاب «الينبوع» وهو غير متوفر لدينا.

(١) في «ب»: «يخلق».

(٣) في النسختين: «وأداة».

بطلان جميعه لك، وكيف يجري عليه ذلك، وهو موجب لإخلائه من مكان أو زمان، أو انتهاء [صفته] (١) فتقطع، فيكون غائباً عن شيء في الجملة، وهو تعالى لا يغيب عن شيء؛ لعموم الدلالة والتدبير وغير ذلك. فتدبر في هذا الدليل العام النافع، فقد خلت منه كتب المتكلم وزبر الحكيم، وقد استفدناه من معدن الحكمة.

وكيف لا يسبق كونه الأوقات، وقد سبق غير الزمانيات من الدهريات والسرمديات، فالزمان نسبة المتغير للمتغير، وكل موجود وجوده بعد عدم، لا من شيء، لامتناع كونه مادة للوجود، ووجود الواجب لم يسبقه عدم ولا وجود، والابتداء أيضاً يدل على بداية، والأزل لا بداية له، وهو تعالى أزلي، فلا ابتداء له، فلا يقال له: متى كان؛ لأنه إنما يقال ذلك لمن لم يكن ثم كان، وهو أزلي، فقد قطع الأزل الثابت له بذاته - من غير تغاير بوجه أصلاً - الابتداء، كما قطع الانتهاء، فافهم.

قوله: ﴿بتشهير المشاهر عُرف أن لا مشعر له، وبتهجير [الجواهر] (٢) عُرف أن لا جوهر له، وبمضاوته بين الأشياء عُرف أن لا ضد له، وبمقارنته بين الأشياء عُرف أن لا قرين له﴾.

أقول: محل بيان هذا الكلام، وما مائله مما سبق ويأتي، أن الخلق لم [يبرز من] (٣) ذاته فيولد، بل من فعله بأمره كان الخلق متمدداً ذا حدود، وألف بينها وأظهر لنا في خلقه، نستدل به عليه ما عرفنا من صفة التنزيه والدلالة، لا الإحاطة.

ومنها: الجمع بين الأضداد بجهة واحدة، لنعلم أن لا ضد له، وكذا تشهير المشاهر، وكذا كثرة الخلق وجمعهم وعظمتهم، لنعلم أنه لا قدر لعظمته، ونعلم من ذلك بطلان قول أهل النظر (٤): «إن الواحد الحقيقي لا يمكن أن يصدر عنه إلا واحد»، ويتم لو كان من الذات، تعالى الله، لا من الفعل. [وكل مخلوق مرٌّ لك] ويوصف بالضدين بجهة واحدة،

(١) في «أ»: «صفة».

(٢) «هذا الحديث يُبطل قولهم: إن محط الشيء غير فاقد له في ذاته، ولو قالوا: غير فاقد له في قدرته، لصح ما

قالوا. ب.»

(٣) في «أ»: «يدنس».

(٤) انظر: «شرح المقاصد» ج ٢، ص ١٩٨، «إرشاد الطالبين» ص ١٦٩.

واجتماعهما حين رفعهما بجهة واحدة، فقولهم باطل، ولا يوجب ما توهموه، فتدبر.

أ وقد | أبان له عليه السلام جملة من الأدلة الآفاقية، دالة على عدم اتصاله بها:

منها: أنه لا مشعر له، وهو ما به الشعور، أو محلّه الزائد، إذ المشاعر مخلوقة له، وكانت مشاعر بخلقه، فلا يصحّ أن يكون له مشعر وإن لم ينسب خلقها له، لاشتراكهما فيه، المقتضي للتساوي، وهو ينافي الخالقية والمخلوقية، فاقضى أن تكون له صفة زائدة.

ومنها: أنه ليس بجوهر، وهو ماهية، إذا وجدت كانت لا في [موضوع] (١)، سواء كان الجوهر حسياً أو مجرداً، لأنه تعالى جعل الجوهر جوهرًا بتجوهره له، فلا يكون جوهرًا، وإلا لتساوى مع المخلوق، والخالقية تنافيه، مع أن تعريف الجوهر إنما يصدق على زائد الوجود، [وبه] (٢) القوة، أو من شأنه الصلوح لقبول العرض، وكذا إطلاق لفظ المجرد عليه، ليس كتجرد العقول، ولا يشاركهم فيه، وقد ضلّت المتصوفة هنا ومن تبعهم من الجهال منّا، فتأمل.

ومنها: أنه تعالى لا ضد له بوجه أصلاً، لا موجود ولا معدوم، لأنّ عدم الذاتي ليس بضدّ للوجوب الذاتي، إذ لا ضدّ لله أصلاً، لا معلوم ولا مجهول، فنفس مضادته بين الأشياء، وجعله لكل فرد ضدّاً، دليل على أنه لا ضدّ له [وحرّف بذلك أن ما لا ضدّ له] (٣) يقع منه فعل الضدين، بل أحدهما خاصة، فوقههما منه تعالى دليل على عدم الضدّ له، وصدورهما منه ظاهر من نفي تعدّد الآلهة كما عرفت. وإقرار ذهب به لم يتمرّض الإمام عليه السلام لإثبات الوحدة، مع ما ترى من الارتباط الدالّ على نسبتها لواحد، بل وأشار الإمام عليه السلام له قبل وبقوله: (مؤلف بين متعادياتها).

وأيضاً الضدّ مناف للضدّ الآخر، فعلاً وصفةً، وتام كذلك، فلا بدّ وأن يكون جاعله لا ضدّ له، فإنه ممانع، فلا يوجد منه الضدّ تاماً في نفسه، ممانعاً لغيره، بل إما لا يوجد ضدّ أصلاً، [أو] (٤) يوجد بغير صفة الضدية، فلا يكون ضدّ حاصلًا في الوجود أصلاً، وكلاهما باطلان، فخلقه المشاعر والجوهر والضدين دليل على تنزيهه عن جميعها.

ومنها: أنه لا قرين له، وبدلّ عليه مقارنته بين الأشياء في حدّ أو نهاية، في صفة ذاتية أو عرضية، ولو كان له قرين لم يكن هو المقارن، بل مع غيره.

(١) في «ب»: «موضع».

(٢) في «ب»: «ذي».

(٣) في «ب».

(٤) في النسختين: «إلا».

ووجه هام: وهو أن ما في المخلوق فليس في الخالق، فلا مشعرية له ولا ضد ولا قرين، لمباينته لها ومباينتها له.

هكذا توجيه كلام الإمام عليه السلام، وأن ظاهره أنه عليه السلام جعل نفس إيجاده للضدين دليلاً على أنه لا ضد له، وكذا نفس تجوهر الجوهر والمقارنة.

ولا يخفى حينئذ ما في كلام الشارح محمد صالح من عدم المطابقة، وأن ما ذكره دليل آخر، حيث قال: «(بتشعيره المشاعر حُرِفَ أن لا مشعر له) وذلك لأنه تعالى لما خلق المشاعر وأوجدها ذوات شعور وإدراك، وهو المراد بتشعيره لها، امتنع أن يكون له مشاعر؛ وإلا لكان وجودها إما من غيره - وهو محال. أما أولاً فلأنه مشعر المشاعر، وأما ثانياً فلأنه يلزم أن يكون في كماله وإدراكه محتاجاً إلى غيره وهو محال - وإما منه وهذا أيضاً محال، لأنها إن كانت من كمالاته كان موجداً لها من حيث إنه فاقد كمال، فكان ناقصاً بذاته، وهو محال. وإن لم يكن من كمالاته كان إثباتها له نقصاً؛ لأن الزيادة على كمال نقص، فكان إيجاده مستلزماً لنقصانه، وهو أيضاً محال»^(١).

وقال: «بإيجاده الماهيات الجوهرية، وجعلها جواهر في الأعيان، حُرِفَ أنه ليس بجوهر ولا ماهية جوهرية، إذ هي ماهية إذا وجدت في الخارج لم تفتقر في وجودها العيني إلى موضوع، ولا خفاء في أن وجودها زائد عليها، وليس وجود الواجب زائداً عليه، بل هي عين ذاته الحقّة الأحدية من كل جهة، فلا يكون له ماهية جوهرية»^(٢).

وقال: «يعني بجعله بعض الأشياء ضداً لبعض، كالحرارة والبرودة إلى غيرهما، حُرِفَ أن لا ضد له؛ لأنه الخالق للأضداد، فلو كان له ضد كان خالقاً لنفسه ولضده، وهو محال، ولأن الضدين أمران يتعاقبان على محل واحد، ويمتنع اجتماعهما فيه، ولو كان له ضد لاحتاج إلى محل يحل فيه، وهو محال»^(٣).

وقال: «لأنه لما كان خالقاً للمقارنات ومبدأ للمقارنة بينها، لم يجز أن يكون له قرين، وإلا كان خالقاً لنفسه ولقرينه، وهو محال، ولأن المقارنة من باب الإضافة، والمضاف من حيث هو مضاف كان وجوده متملقاً بوجود الغير، فلو كان للواجب قرين، كان وجوده

(١) «شرح المازندراني» ج ٤، ص ٢٢٢ - ٢٢٣، صححناه على المصدر.

(٢) «شرح المازندراني» ج ٤، ص ٢٢٣، صححناه على المصدر.

(٣) «شرح المازندراني» ج ٤، ص ٢٢٣ - ٢٢٤، بتفاوت.

متعلقاً بوجود قرينه، فلم يكن واجب الوجود، هذا خلف^(١) انتهى، فتأمل.

قوله: ﴿ضادُّ النور بالظلمة﴾ .

أقول: [وفي التوحيد^(٢)]، في خطبة الرضا عليه السلام، لما أراد أن يستعمله المأمون: (ضادُّ النور بالظلمة)^(٣).

وفيه أيضاً مثله^(٤).

واعلم أن النور - على لسان أهل الظاهر^(٥) - : كيفية تعرض للجسم، وتنقسم إلى: مستنير بذاته - كالشمس - وبغيره، كالجدران المستنيرة بها والقمر، أو بواسطة، كوجه الأرض المستنير بالقمر ليلاً، [المستنير من الشمس]^(٦).

وأما ما يقتضيه النص والاعتبار - كما مر في تفسير^(٧) ﴿الله نُورُ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ﴾^(٨) - فهو أن النور مرادف للظهور، وكلما اشتدَّ ظهوره وإظهاره اشتدت نوريته، ولا تخصيص له بهذه الكيفية العارضة الجسمية، بل إنما سميت به لما فيها من الظهور والإظهار. وما يفهم من النص من أن التقابل بينهما تقابل التضادِّ، وهو ظاهر مذهب المتكلمين^(٩)، حيث جعلوا الظلمة كيفية وجودية. ومذهب جماعة منهم والحكماء: أن التقابل بينهما تقابل العدم والملكية، حيث عرفوا الظلمة بعدم الضوء عما شأنه أن يكون مضيئاً.

وعند التأمل: التقابل تضادِّ، إذ العدم المحض لا يقال: هو ضدُّ الوجود، وإن اعتبر بحيثية محلّه كان وجوداً، مع أننا نقول: باعتبار قبوله للنور يقال: عدم ملكة، وباعتبار تحقق تلك الصفة بعدد - المنافية لآخر - يكون ضدّاً، فإنَّ الجهل المركَّب، الذي هو محلُّ الظلمة، ليس بعدم محض، وإلا لم يكن مركّباً، وهو ضدُّ العقل، كما سبق في المجلد الأول.

(١) «شرح المازندراني» ج ٤، ص ٢٢٤، بتفاوت، صححناه على المصدر.

(٢) «التوحيد» ص ٣٧، ح ٢.

(٣) من «ب».

(٤) «التوحيد» ص ٣٠٨، ح ٢.

(٥) انظر: «شرح المواقف» ج ٥، ص ٢٥٣، «إرشاد الطالبين» ص ١٧٦، «الأسفار الأربعة» ج ٤، ص ٩١ - ٩٥.

(٦) في «أ»: «المستنيرين بالشمس».

(٧) مرّ ذلك في باب معاني الأسماء من هذا المجلد، شرح الحديث الرابع.

(٨) انظر: «إرشاد الطالبين» ص ٧٧.

(٩) «النور» الآية: ٣٥.

ولكن لما كان من شأنه وإمكانه قبول العلم، ولذا كلف، وهو فرع الاختيار، وهو لازم الوجود، ولذا تعلق الجمل به كما سبق. وعنهم **عليه السلام**: (مبدع النور والظلم) ^(١). والمراد بهما قوسي العقل والجهل، ويرجعان إلى الوجود والماهية، وبينهما امتزاج إعدام لأحدهما، وتداخل متعاكس، وبها ينقطع مخروط الظلمة قبل النور؛ لأنه عن يسار العقل، وللبسط محل آخر، فتحقق التضاد. ولا تخص الظلمة بالكيفية المفتقرة إلى موضوع، كما أن النور لا يخص بالكيفية الظاهرة خاصة، فتدبر.

قوله: ﴿ واليبس بالبلل ﴾ .

أقول: اليبس - بالضم - مصدر، وبالفتح: اليبس، والبلل: الندى، فهو خفيف الرطوبة.

قوله: ﴿ والنخس باللين، والصرد بالحرور ﴾ .

أقول: الصرد - بالفتح والسكون - البرد، والحرور: الريح الحارة، وهي بالليل، كالسموم بالنهار. وتضادهما ظاهر، لاشتمالهما على الحرارة والبرودة.

قوله: ﴿ مؤلف بين متعادياتها، ومفروق بين متدانياتها ﴾ .

أقول: كما يوجد وشاهد في المركب، من الأمور المتضادة في المواليد الثلاثة، وغيرها من المركبات، فإنه يقتضي تأليفاً وانكساراً، وآلاً لم يحصل التأليف وتقم المركب، وأحدهما لم يقهر الآخر ويغلبه، وآلاً لم يقم ذلك المركب وحصل فيه أثره، والواقع بخلاف ذلك.

وفي النص: (خلق الله ملكاً نصفه من نار، ونصفه الآخر من ثلج، فلا الثلج يطفئ النار، ولا

(١) «إقبال الأفعال» ص ١٥٠٠ «بحار الأنوار» ج ٩٥، ص ١٦٢، ح ٥، وفيه: (وربَّ الليل والنهار... والظلم والنور).

النار تذيب الثلج^(١) فسبحان جامع الشتات، والمؤلف بين المتعدييات والمتباعدات، مكاناً وفعلاً، ولا شك أن التأليف بين المتباعدات - كالعناصر مثلاً - يقتضي التفريق بين المتدانيات من أجزاء تلك العناصر، وكذا تفريق المركب منها بعدد، وبين الروح والبدن. وأكثر النسخ برفع (مؤلف) و(مفروق) وفي بعض بالنصب على الحالية، والأمر هيّن. واعلم أن جميع الأشياء أصلها من طبائع أربع، وإذا أضفت بعضها لبعض فبينها اختلاف وائتلاف، وكذا الطبائع الأربع، فالحرارة والبرودة - وجميع صفاتهما، وأحوالهما ولوازمهما - متخالفان، والرطوبة واليبوسة كذلك متوافقان، وإذا اجتمعا يحصل الائتلاف بالمصالح، فالرطوبة للحرارة واليبوسة، والبرودة تناسبها اليبوسة، وهي تناسب الحرارة، والرطوبة واليبوسة يجتمعان بواسطة الحرارة والبرودة، فحصل الائتلاف بينهما، مع بقاء كل منها على فعله، من غير إبطال له أصلاً، ولألم يحصل المركب منها، ولم يظهر منه فعلها. ومنشأ ذلك وأصله من الوجود - وصفته الحرارة - والماهية، ولها البرودة والظلمة، وللأول النور، والربط بينهما بمقتضى الرحمة، والمودة منها الرطوبة واليبوسة، فاختلقت الأشياء وائتلفت، وهذا في كل مخلوق عام، وكل شيء [مختلف] ^(٢) من وجه ومؤلف من وجه آخر، فهما [يردان] ^(٣) عليه، وحركة الأشياء على بدء الوجود، وقطبه بالائتلاف، وباعتبار مقارناتها وأطوارها ظهر الاختلاف بتناكروا أو غيرهما، والله المؤلف بينها أيضاً، فتدبر.

قوله: ﴿دالة بتفريقها على مفروقها، وبتأليفها على مؤلفها، وذلك قوله

تعالى: ﴿وَمِنْ كُلِّ شَيْءٍ خَلَقْنَا زَوْجَيْنِ لَعَلَّكُمْ تَذَكَّرُونَ﴾ ^(٤)

أقول: (دالة) خبر لمبتدأ محذوف، أو حال، لا يوجب اختلاف معنى.

ولا خفاء في دلالة الأشياء - من جهة التفريق والتأليف الكاملين - على وجوده تعالى وصفاته الذاتية وتنزيهه، إذ كل تفريق لابد له من مفروق، وكذا التأليف، ولا بد من كون المفروق والمؤلف منزهاً عن التفريق والتأليف، وإلا احتيج إلى مؤلف آخر، فليس الأول

(١) «تفسير فرات الكوفي» ص ١٤٣، ح ١٧٥، بتفاوت.

(٢) في «أ»: «مختلف».

(٣) في «أ»: «يردان».

(٤) «الذاريات» الآية: ٤٩.

بالمؤلف الحقيقي.

ولا خفاء أيضاً أن حسن التأليف، وكمال انتظامه، جملة وفرادى، دال على حكمة مؤلفه وعلمه، إذ مفيد الكمال أولى [به] (١)، ولا بد من تخالفهما ذاتاً، وإلا لقام التأليف فيهما، ولم يكن أحدهما بالصانعية أولى من العكس، وكذا المصنوعية، ويلزم من وجوب المخالفة الذاتية أن لا تجري صفات أحدهما على الآخر، ولا يجمعهما قدر مشترك أصلاً، فلا تقوم صفة أحدهما في الآخر، وهذا حقيقة نفي التعميل والتشبيه، فتدبر.

وقوله: (وذلك) إشارة إلى التفريق والتأليف والدلالة، فاستدلال الإمام عليه السلام بالآية - على ذلك - دليل على أن الشيء ليس المراد به الجنس.

والأزواج هي المزدوجات منها، كالسواد والبياض، والذكر والأنثى، والعلم والجهل، كيف ولفظ ﴿كُلُّ شَيْءٍ﴾ يدل على العموم؟ بل من كل فرد فرد خلق زوجين، أي مزدوج، فإنه يصدق على الفرد مع آخر أنه مزدوج، ومعلوم أن كل ممكن زوج تركيبى، كيف ووجوده يغاير ماهيته، كيف [وليس وحدة ما سواه حقيقة مطلقاً من كل الوجوه؟ بل تختلف، وحقيقتها له تعالى].

وقوله: ﴿لَعَلَّكُمْ تَذَكَّرُونَ﴾ أي تذكرون من الأزواج الدالة على الموجد تعالى، مع تنزيهه وتمجيده.

وبتحقيق النظر: كل مخلوق مربع، وله نسب وجهات أربع، فهو زوجان - تثنية زوج - ولا حاجة إلى التجوز، والتأليف يدل على التعريف، وهما في جميع المخلوقات، فصح الاستدلال بالآية، فتدبر.

قوله: ﴿فَفَرَّقَ بَيْنَ قَبْلِ وَبَعْدِ﴾، ليعلم أن لا قبل له ولا بعد له، شاهدة

بفرائزها أن لا غريزة لمفرزها، مخبرة بتوقيتها أن لا وقت لموقها ﴿

أقول: (فرق) بالتشديد، فمعنى القبلية في الممكن غير البعدية، للتقييد الزماني، وهو دليل على أن لا قبل له ولا بعد له، وإلا لم يكن المفرق، إذ الزماني لا يفرق، فله حينئذ قبل وبعد، فهو مسبوق، فهو قبل القبل بلا قبل، وبعد البعد بلا بعد، فقبلية بمعنى أزليته،

بمعنى بعديته، أي ابتدائيته، بلا فرق بوجه أصلاً.

ولا خفاء في افتقار الممكن بطبعه وأعراضه وصفاته، فالأشياء [١] شاهدة بفرائضها وحقائقها على أنه تعالى لا طبيعة له، ولا اشتبها، فتنفى عنه صفاتها، فالحقائق مقررة، وإن أنكر اللسان في بعض.

وفي بعض خطب علي عليه السلام في النهج، أو التوحيد: (فهو الذي تشهد له أعلام الوجود، على إقرار قلب ذي الجحود) [٢]؛ وذلك لقيام أثر المصنوعية في كل فرد نرد، طبعاً وصفةً، فالأشياء كما دلت بطبعها وصفاتها على وجوده تعالى، وعدم جواز تعطيله، كذلك هي شاهدة بطبعها على وجوب تنزيهه تعالى. ومزاً البيان في غير موضع.

وكذا توقيتها دال على انقطاعها، فهي مسبقة، فلو كان لموقتتها وقت لم يكن الأول الحقيقي، لانقطاعه حينئذ إلى غاية، فهو مسبق بالغير، وقابل للزيادة، فيقبل النقيصة، فيكون حادثاً.

تستمة: لما كان وجود الله أحداً خالصاً، ولا اعتبار لغيره معه، لا وجود جمعي، كما قال الملاء في الشرح [٣]، وكل ما في الممكن من صفة، فإنه خلوة منه، ففرق بينهما فيه ليعلم خلوة، ولكل [واحدة] [٤] في الممكن حد، سواء افترقا أو اجتمعا. وكذا لو قلت: (فرق) بالتخفيف، فليس لهما فيه تفريق أو فرق، بل هو قبل بما هو بعد في قبله ببعده، فهما يجتمعان بالنسبة له بجهة واحدة، ويرتفعان أيضاً، وهما صفة فعل لا ذات، والقبلية الذاتية لا اعتبار معها ولا إضافة لغيرها، ولا ذكر بوجه، لا نفيًا ولا إثباتاً.

قوله: ﴿حَجَبَ بَعْضُهَا مِنْ بَعْضٍ، لِيُعْلَمَ أَنَّ لَهَا حِجَابَ بَيْنَهُ وَبَيْنَ خَلْقِهِ﴾

أقوله: إذ لو كان بينه وبين خلقه حجاب غير خلقه - كما سمعت وستسمع - لم يحجب بعضها عن بعض، ولا تساويها في القصور؛ لاقتضاء الحجب ذلك، والله منزّه عنه وعن المجز أيضاً، إذ كل محجوب ممنوع محصور لا يعدر مقامه. وأيضاً المحجوب ممنوع، فلا يتصرف في جميع خلقه، لكن التصرف جارٍ والأشياء

(١) ليست في «ب».

(٢) «نهج البلاغة» الخطبة: ٤٩، صححناه على المصدر.

(٣) «شرح أصول الكافي» طبعة حجرية، ص ٣٣٦. (٤) في «ب»: «واحد».

محبوبة بعضاً ببعض، فكُل سافل محجوب بالعالي، وكلّ ذي مقام لا يعدوه، فليس له تعالى حجاب خارج مانع، وإلا لما ظهر للكلّ في الكلّ.

قوله: ﴿كان ربّاً إذ لا مربوب، وإلهاً إذ لا مألوه، وعالماً إذ لا معلوم، وسعيماً إذ لا مسوم﴾

أقول: قد مرّ لك هذا اللفظ مشروحاً في باب صفات الذات^(١) وغيرها.

وفي خطبة الإمام الرضا^(عليه السلام)، كما في أمالي الشيخ وغيرها: (له معنى الربوبية إذ لا مربوب، وحقيقة الإلهية إذ لا مألوه، ومعنى العالم ولا معلوم، ليس منذ خلق استحق معنى الخالق، ولا من حيث أحدث استفاد معنى المحدث، لا يفتّبه «منذ»، ولا يدليه «قد»، ولا يحجبه «لعل»، ولا يؤقته «متى»، ولا يشتمله «حين»، ولا يقارنه «مع»، كل ما في الخلق من أثر غير موجود في خالقه، وكل ما أمكن فيه تمتنع من صانعه، لا تجري عليه الحركة والسكون، كيف يجري عليه ما هو أجراه، أو يعود فيه ما هو ابتداه؟ إذن لتفاوتت دلالاته، ولا تمتنع من الأزل معناه، ولما كان للبارئ معنى غير المبرأ.

لو حدّ له وراء لحدّ له أمام، ولو التمس له التمام للزمة النقصان، كيف يستحق الأزل من لا يمتنع من الحدث، وكيف ينشئ الأشياء من لا يمتنع من الانشاء؟
لو تملّقت به المعاني للقامت فيه آية المصنوع، ولتحوّل عن كونه دالاً إلى كونه مدلولاً عليه، ليس في مجال القول حجة، ولا في المسألة هنا جواب، لا إله إلا الله العليّ العظيم^(٢).
ومرّ لك بإبطال حدّ مثل الخالقية والمحدثية من الإضافات [ومنشؤه النصّ على المعنى النسبي، أو لا علموا أنّ له معنى الخالقية، لا ظاهر الخالقية، ومعنى الألوهية لا ظاهرها؟]^(٣) فافهم.

وذكر ابن بابويه بعد كلام الإمام^(عليه السلام): (ثمّ أنشأ يقول:

ولم يزل سيّدي بالحمد معروفاً ولم يزل سيّدي بالجود موصوفاً

(١) «هدي العقول» ج ٥، الباب ١٢، ١٣.

(٢) «أمالي الشيخ الطوسي» ص ٢٣ - ٢٤، ح ٢٨، صححناه على المصدر.

(٣) في «ب»: «ومنشأ التوهم، ولم يفرّقوا بين معناها وظاهرها، كما في النصّ.»

وكنت إذ ليس نورٌ يستضاء به
ورئنا بسخلاف الخلق كلهم
فمن يُرده على التشبيه ممتلاً
وفي الممارج يلتقي موجُ قدرته
فاترك أخا جدلي في الدين منعماً
واصحب أخا ثقة حُباً لسيدهِ
أسى دليل الهدى في الأرض منتشراً
ولا ظلامٌ على الأفاق مكفوا
وكل ما كان في الأوهام موصوفا
يرجع أخا حصراً بالمعجز مكتوفا
موجاً يعارض طرف الروح مكفوا
قد باشر الشك فيه الرأي مأوفا
وبالكرامات من مولاة محفوا
وفي السماء جميل الحال معروفوا

قال: فخرٌ ذهب مدشياً عليه، ثم أفاق، وقال: ما سمعت بهذا الكلام، ولا أعود إلى شيء من ذلك^(١).

خاتمة: يتضح فيها مجمل حديث ذهب وغيره، ويعرف بها طريق معرفته، فنقول: اهلِم أن معرفة الله تعالى بالاكتناء القلبي، أو المعنى العقلي - أو التصور النفسي، أو الخيال، أو الحس، أو اللمس، أو بمشعر من المشاعر - لا يمكن، فإنه ليس من جنسها، وهو مؤثر وهي أثره، فلا تحيط بمؤثرها، ولا الصفة بموصوفها، والآثار مؤثراً، بل أقوى منه، وجري عليه ما أجراه على خلقه، ولا يستدل عليه بصفات خلقه، من التركيب والافتقار، وسائر حدود المخلوق، والآتشابها.

نعم، نستدل عليه بأسمائه وصفاته التي عرفك في نفسك، بنفس التجلي، ولولا تعريفك في نفسك ذلك ما عرفته ولا وحدته، فتكون معرفته تعالى معرفة دلالة توصيف بما وصف نفسه لك في ذاتك، وهي ما ذكره الإمام عليه السلام في هذا البيان الحق، من أوله إلى آخره، وبه تقع الرؤية، وأينها والإحاطة؟ ولا فرق فيها بين الدنيا والآخرة، وقد وقعت في حوالم الذرّ وهنا، وستقع أيضاً في الآخرة.

وقوله: (لا يعرف بخلقهِ) في بعض الأحاديث^(٢)، أي بصفاتهم، فإنه منزّه عنها، ومثل: (إن الله يعرف بأسمائه وصفاته)^(٣)، وما روي: (من عرف نفسه فقد عرف ربه)^(٤) فهي معرفة

(١) «التوحيد» ص ٣٠٩، ح ٢، صحناه على المصدر.

(٢) «الكافي» ج ١، ص ١٦٨، ح ١٢، ص ١٨٨، ح ١١٥ «التوحيد» ص ٢٨٥، ح ١، بالمعنى.

(٣) «عيون أخبار الرضا» ج ١، ص ١٧٥، ح ١، وفيه: (ولكن يدل على الله عز وجل بصفاته، ويُدرك بأسمائه).

(٤) «مصباح الشريعة» ص ١٢٣، «مشارك أنوار اليقين» ص ١٨٨، «غوالي اللآل» ج ٤، ص ١٠٢، ح ١٤٩.

دلالة من حيث نظرها بالأثرية.

وما أشار له ﷺ من الصفة الدالة، بأن تنظر لها من جهة النسبة إلى أعلى، وهذا لا يوجب اكتنائها وإحاطة، كما قاله الأشاعرة وجماعة من المتصوفة، بل هو عنه بمراحل، وكيف يحيط به من لا ذكر له ولا اعتبار بالنسبة إلى ذاته بوجه أصلاً؟

ولا تحدّ الذات إلا نفسها، وكلّ مدرك فهو وراءه، وكلّ مدرك محدود، وكذا ما يشار له وبه، وأين ذلك والواجب تعالى؟ ولهذا أنت حين التفاتك واستدلالك عليه بشيء - أو دهائك أياه بلفظ - لا تنظر له من حيث التركيب والحدود والتشبيه، وسائر أحكام الإمكان، وإنما تنظر له من حيث محض الدلالة والصفة المشار لها، الدالة على التنزيه.

وفي دهاء الحسين: (أمرت بالرجوع إلى الآثار) إلى أن قال: (حتى أرجع إليك منها، كما دخلت إليك منها، مصون السرّ عن النظر إليها، ومرفوع الهمة عن الاعتماد عليها)^(١).

وهذه صفة مخلوقة، تجلّى بها لخلقها، لمعرفة الدلالة، وأينها والإحاطة؟ وكيف يكتنه ما لا يعرف إلا بأسمائه وصفاته؟ وهي إنما تدلّ على رسم المسمّى، فيه يتوجّه ويستدلّ على المجهول المطلق والمعلوم به، فأين الرؤية الإحاطية، أو ظهور المؤثر بذاته للأثر؟ بل لا يوجد عنده وفيه إلا بصفة الدلالة، وإلا اشتبها وتمائلا.

ولا شك أن وجوده بالصفة والدلالة [عام] ^(٢) دنياً وآخرة، وفي كلّ آن ولحظة، ولا يختصّ بمقام دون آخر، بل يعمّ، وإلا لم يعمّ الصنع ولا ظهور الدلالة، وليس كذلك، وإذا وجد في مقام فكذا في الباقي، فليس في خلقه تفاوت، ولا تفاوت فيه.

ونحوه نقول في استحالة اكتناهاه والظهور الذاتي، بل لا ظهور إلا ظهوره تعالى في الآثار، كما أنه لا إحاطة به في جميع مقامات الوجود الظهورية، غيباً وشهادة، فهو أظهر الأشياء، ويطنّ بما ظهر في بطونه بظهوره.

وقال الرضا ﷺ في كلامه لعمران: (وقد علم ذوو الألباب أن الاستدلال على ما هناك لا يكون إلا بما هاهنا)^(٣)؛ لأنّ الممكن لا يدرك في مقامه، والظاهر دليل الغيب، كلّ بما يناسبه، وهذا الكلام منه ﷺ أصل كلّ يتفرّع منه عدّة أصول وقواعد، والسافل دليل

(١) «إقبال الأعمال» ص ٦٦٠، صحناه على المصدر.

«الغرر والدرر» ص ٥٨٨، الرقم: ٣٠٦.

(٢) «التوحيد» ص ٤٣٨، ح ١، صحناه على المصدر.

(٣) في «أ»: «فقام»، وفي «ب»: «فقام».

العالي بما ظهر له به، والموالم متطابقة، قال الله: ﴿ مَا تَرَىٰ فِي خَلْقِ الرَّحْمٰنِ مِن تَفٰوُتٍ ﴾ (١). ولهذا كانت الدنيا دليل على الآخرة، فالحكم واحد، إلا أن تلك أصلى بأربعة آلاف وتسعمائة مرتبة. فكلما كان الله مدركاً ومعروفاً في مقام - بغير اكتناه - وجب ذلك في كل مقام، ومتى استحال في مقام استحال في جميع المقامات والموالم. وحيث اتضح لك البيان، فاستمع لنقل ما قاله جماعة في شرح الحديث، ليتضح لك عدم إصابتهم الحق، ووقوعهم في المضيق، لما تاهوا وأخذوا [بأهوائهم] (٢)، وزعموا أنها الحكمة، وهي عن معرفة كيفية الاستدلال والدليل في بُعد بعيد، ومتوعدة في الباطل، وإن كان فيه تطويل، كنه لا يوضح الحق، وإبطال الباطل، ودفعاً للتشبيه والاشتباه على الناظر لكلامهم، تقليداً أو ركوناً.

قال محمد صادق بعد نقله حديث ذعلب: «أقول: قد علمت أن الله تعالى لا يدرك بالأبصار؛ لأن الأبصار لا تدرك شيئاً إلا بأن يكون في مقابل، وأن يكون مثلوناً ليقبل الضوء، وعلى حد من القرب والبعد، وعلى جهة معينة من الجهات، وغير ذلك من الأمور التي هي مختصة بالجسمانيات، وذاته الأقدس منزّه عن كلها، فلا يدرك بالأبصار؛ لعدم شرائط إدراكها، فلو كان هذا الإدراك بلا تلك الشروط، بحيث لا تستلزم جسمانيته تعالى - كما تدرك العقول الصرفة ذواتها الصرفة - لا بأس بأن يقال: إنه يدرك بالأبصار، مع أنه محال بالأدلة العقلية المبيّنة في موضعه، فانهصر إدراكه بالقلب لا بالعلم الحسولي؛ لأن المدرك بهذا العلم هو الصورة، لا ذات المدرك، فإن الصورة غير الذات، ولا يكون ذاتاً لا صورة الذات، مع أن الكلام فيها، فإن الصورة ليست ذاتاً، بل وجه من وجوها.

ثم الإيمان تصديق بالله، والتصديق كما يكون بالعلم الحسولي يكون بالعلم الحسوري [وكما يكون بالقول يكون بالوجود، والتصديق بمعنى الثاني حقيقة التصديق بمعنى الأولى].

فرؤية القلب إن كان بالعلم الحسوري (٣)، فممكّن (٤) أن يرى، مع أنه لا يتيسر للكُل، بل للمصطفين الأخيار، الذين أذهب الله عنهم الرجس البشري، وطهرهم عن التميّات تطهيراً.

(٢) في النسختين: «بأهويتهم».

(٤) في «ب»: «ممكّن».

(١) «الملك» الآية: ٣.

(٣) ليست في «ب».

أقول: الله منزّه عن إدراك الجسمانيات وغيرها، والأبصار المذكورة في القرآن، المنفية عنه تعالى، أهمّ من أبصار العيون والعقل والقلب، ولا فرق في استحالته بالنسبة إليه تعالى بين اشتراطه بما ذكر وعدمه، لو فرض إمكانه بدونها، ولا يمكن أن يرى ويحاط به، لا بالحصول ولا بالحضور، وحتى لمحمد ﷺ أشرف الكل، وما نسبه له افتراء عليه.

ولقد أبطل كتابه الذي أتى به رؤيته مطلقاً، وأنه ﷺ إنما ﴿رَأَى مِنْ آيَاتِ رَبِّهِ الْكُبْرَى﴾^(١)، وآيات الله خير الله.

وما أوّل به آية التطهير غير مطابق للحق، والمطابق تطهيرهم من النقائص المذكورة في موضعها، لا التعيين، فلا انسلاخ لهم عنه، فتأمل.

قال: «ثمّ قال ﷺ: (إنّ ربي لطيف اللطافة) ... إلى آخره، يعني [أن] ^(٢) ربي جاهل اللطافة لطيفة، ولو لم تكن اللطافة لطيفة لم يجعل كلّ ما قام به لطيفاً، وجاهل العظمة عظيمة، والكبرياء كبيرة، والجلالة جليلة، فكلّ منها من مخلوقاته، ولا توصف ذاته الأقدس بشيء منها وبمقابلها؛ لأنها إذا كانت مجعولة منه تعالى كانت فعلاً له تعالى، والفاعل قبل الفعل، فذات الفاعل في الرتبة قبل الفعل، وخالي عن الفعل، فلا توصف ذاته بالفعل وصفاً يعتبر أنه عين ذاته تعالى».

أقول: قوله: «فلا توصف» ... إلى آخره، يعني أنه يوصف ذاته بالفعل [والظهور الإمكانية] ^(٣) باعتبار ظهوره فيها، وهو منزّه عنها بحسب ذاته، وهذا جوابه في آيات التشبيه، لكنّه يبطل أوّل كلامه، والأدلة النافية عنه ذلك هامة له بحسب الذات والظهور، وهو على ما كان حال وجود العالم وبعده.

قال: «وكذلك ربي جاهل القبل قبلاً، والبعء بعداً، ولا يوصف بالقبل والبعء، لما مرّ».

أقول: على قوله السابق يوصف بها من حيث الظهور، ولا يوصف بها من حيث الذات.

قال: «وقال ﷺ: (شاء الأشياء لا بهمة) الهمة: القصد بالوهم، والله تعالى ينزّه عن ذلك؛ لأنّه من خواص الجسمانيات (دراك لا بخديمة) أي دراك الشيء بذاته ووجوده، لا بواسطة الأمور التي هي مخفية عن الناس، والناس لا يشعرون بها».

أقول: لظاهر كلامه معنى صحيح، غير ما يقصده على قواعده، ولوضوح بطلانها في

(٢) من «ب».

(١) «النجم» الآية: ١٨.

(٣) في «ب»: «والقاهر الإمكان».

غير موضع نعرض عن البحث معه هنا.

قال: «وإنه تعالى (في الأشياء كلها غير متمازج)؛ لأن المزج يكون بين الشيئين المتباينين الوجود، وليس مبايناً في الوجود منه مطلقاً، ويكون المزج بتلاقي السطح بالسطح، وهذا [علامة الجسمانية]»^(١) والله تعالى منزّه عنها.

فالحق أن الأفعال مستندة إلى أنحاء وجودات العباد، والمشيشة أيضاً من أفعالهم؛ لأن الوجود هو منشأ الآثار لا غير، والمشيشة من الآثار، ووجودات العباد كلها من الله؛ لأن كل وجود داخل في إحاطته، وليس شيء خارج عن قهره وسلطنته.

(ولا بائن منها)، فإن التباين بين الشيئين اللذين يكونان متغايرين، وقد علمت أن ليس شيء خارجاً عن ربوبيته، بدليل التناسب والارتباط بين كل حلة ومعلول، فكيف يمكن أن يقال: إنه تعالى يخلو عنه؟ وهو مغاير عنه تعالى، وكذا المباشرة.

أقول: جميع ذلك نموذ بالله من اعتقاده، وملخصه: أن الوجودات كلها لما كانت نفس وجوده أو داخله فيه - فهي ليست مباينة ولا مغايرة؛ لأنه إنما يكون بين شيئين، ولا شيئين في الوجود - [تحقق] (٢) أنه لا مداخله وممازجة ولا مباينة، لا أن هنا وجوداً واجبياً وآخر إمكنياً، وظاهراً ومظهوراً وظهوراً حقيقياً، ولا مداخله بينها ومعها تعالى، ولا ممازجة، ولا يخفى بطلان الأول، ويرجع إلى إبطال كلام الإمام عليه السلام.

ولكن سر ما نقول: هو أن بينه وخلقه مباينة صفة لا مباينة عزلة، فلا يوصف تعالى بمباينة ولا ممازجة. ومباينة الصفة كما نقول، لا كما يقوله الملا وحزبه، ولا نسبة ورابطة بين ذات الله ومصنوعاته، بل هو خلوة من خلقه، وخلقه خلوة منه، لكن مباينة وخلوة صفة لا خلوة عزلة، ولو بحسب الصلوح والذكر.

والحاصل: أن كلامه متفرع على قواعد أهل [التصوف] (٣) الساعين في إطفاء نور الله، ﴿وَيَأْتِي اللَّهَ إِلَّا أَنْ يَمِمْ نُورُهُ﴾ (٤).

هذا، ونقول على ما قاله في معنى المتشابه - وجواز وصف الله تعالى بصفات خلقه، في مقام الظهور والتجلي الذاتي في مرابا الإمكان -: يمكن على ذلك وصفه بالمداخله والممازجة. ويقال - على قوله أيضاً -: إنه يعلم بعلم، فيقدر بقدره، ويخلق من شيء، إلى باقى

(١) في «أ»: «علامة الجسمانيات».

(٢) في «النسختين»: «المتصرفة».

(٣) في «أ»: «محقق».

(٤) «التوبة» الآية: ٣٢.

صفات الممكنات، تثبت له في إحاطته بخلقه وظهوره بهم، فهم هو من وجه عنده، كما صرح به قبل وبأني.

ومن تأمل فيما بين به كلامهم عليه السلام، وشرح به خطبهم الآتية، وجده ضلالاً مأخوذاً من قواعد المتصوفة، وأنه تحريف للكتاب والسنة، كما هو ظاهر ممّا أوقفناك عليه من كلامه وأمثاله، وإن لازمنا الاختصار، سبحانه وتعالى عما يصفه المشبهون.

واعلم أنه إذا أُطلق على الله مثل لفظ: «كان» و«يكون» من أدوات الزمان، فيجب تجريدها عنه، وعن معنى الدهر والسرمد، بل المراد بها الثبوت في الأزل وعدم الزمان. وفي دعاء الجمعة من السجّادية: (كُلُّ ذَلِكَ كَانَ وَلَمْ تَزَلْ، وَهُوَ كَائِنٌ وَلَا تَزَالُ) ^(١).

وعن علي عليه السلام: (إن قيل: كان، فعلى تأويل أزلية الوجود، وإن قيل: لم يزل، فعلى تأويل نفي العدم) ^(٢) وعلى ذلك يُنزل كثير في القرآن والأدعية وغيرها، ولها وجوه أخر ليس هنا موضع بيانه.

والرب - بمعنى: السيد أو المعبود، أو الصاحب، أو المالك، أو الثابت - له مراتب إن شئت قل: هي خمسة، أو ستة، أو أربعة، أو ثلاثة، فقله عليه السلام: (له معنى الربوبية) - وكذا في الألوهية والمخالقية، وكذا في العالم، (إذ لا ربوب) و (لا مالوه)، ولا مخلوق و (لا معلوم) - هي مرتبة الذات وربوبيتها وعلمها والهيتها بذاتها، لا باعتبار نسبة أو إضافة، أو مرب أو معلوم أو عابد، لا بحسب الكوني، ولا الاعتباري والامكاني.

ومعلوم أنه لا يمكن اعتبار معنى [أو] ^(٣) حين في مقام الذات، إذ لا يمكن أن يكون معها غيرها، ولا ذكر لها معها أو فيها بوجه، لا كما قيل: إن الأعيان ثابتة فيها أو معها، أو الصور العلمية، أو ملاحظة النسب أو الإضافة.

ويبطلان الأعيان الثابتة والصور العلمية، يبطل جميع ما ذكره المألا - في مفاتيح غيبه ^(٤) - وتلامذته في ظهور الله وتجليه، ومبدأ السعادة والشقاوة، وسرّ القدر، وعدم معمولية الماهيات ونحوها، فيبطل التوحيد وما انطوى عليه، فالله أحدي بكل وجه واعتبار ووهم، كما عرفت، وجميع أنحاء الغيرية والمخالفة لا تحقق لها معها أو فيها بوجه أصلاً.

(١) «الصحيفة السجّادية الكاملة» ص ٢٠٥، دعاؤه في يوم الفطر.

(٢) «أمالي الشيخ الصدوق» ص ٢٦٤، ح ٩، صححناه على المصدر.

(٣) في «أ:» «لو»، (٤) انظر: «مفاتيح الغيب» ص ٣٣٦، ٣٣٥.

وهذه المرتبة الأولى من معاني الربوبية، وهي التي هناها الإمام عليه السلام هنا.
والثانية: مرتبة الذكر الإمكانى لا الكونى، وهي المقام الأعظم و[الاسم] ^(١) الأتم الذي لا يحاط به ومنه، إلا بما يشاء الله، وهو مقام الإجمال والوحدة المخلوقة الدالة، وأبسط الكل، وأعظم آياته الدالة عليه، ومقام المادة الكلية الأولية، والنظائر بالمثل الفاعلى [والسبب] ^(٢) الكلى، وفعل الفاعل الذي ظهر به، ولهذا [عمل] ^(٣) فيه وتقدم عليه؛ لأن خلقته به، لا بذاته، وهو أوجده بنفسه، بلا كيف وأين، ولا يسأل عن كيفية صدوره.
والثالثة: الربوبية إذ مربوب، كوناً وحيناً، مفصلاً بارزاً، جامعاً لمراتبه وأسبابه، ومقام التفصيل والتمييز.

والحاصل للثانية محمد عليه السلام، وللثالثة علي عليه السلام، فهو تفصيله والفارق، والثانية: مقام العرش، والثالثة: مقام الكرسي، مقام الكثرة والاختلافات والتنويعات والتباين، وغير ذلك. وليست الربوبية بالمعنى الثانى والثالث ذاته؛ لأنها إذ مربوب، والذات منزّه عن ذلك، وعن أنواع المناسبة والارتباط، وإنما هما مقام الفعل والظهور، والحامل [لهما] ^(٤) محمد وآله عليهم السلام، فكانوا الملل الأربع لذلك، كما أقامهم فيه وخصّهم به لِمَا هم أهل.

ومن هفوات محمد صادق ما قاله هنا، في الشرح لهذا الكلام: «وكان الله (إلهاً) بالشأن (إذ لا مألوه)، و (رباً) بالشأن (إذ لا مربوب... وعالمياً) بالعلم الإجمالى (إذ لا معلوم، وسميماً) بالسمع الاجمالي (إذ لا مسموع)».

أقول: على قوله تكون فيه جهة قوة وفعل، ويكون خلقه الخلق لحاجة واستكمل به، وهو باطل بديهية كما سبق. وعرفت معنى علمه، لا كما قال، ولا تختلف الأحوال عليه تعالى، وإلا لم يكن واجب وجود، وجوده عين ذاته.

قال: «أو يقال: الأشياء موجودة بعد وجوده تعالى؛ لأنها معلولاته، فكان الله إلهاً ولا مألوه في مرتبة وجوده، ورباً ولا مربوب في مرتبة وجوده [بعد وجوده] ^(٥)» انتهى.

أقول: على قواعد - وما سيأتي - لا ينطبق، وينطبق على الحق ببعض الإصلاح، فتأمل.
قال: «أو يقال: الأشياء بعد وجوده معدومة بذواتها، وموجودة بالله تعالى، ففي

(٢) في «أ»: «وسبب».

(٤) في «أ»: «لهما».

(١) ليست في «ب».

(٣) في «أ»: «أعمل».

(٥) ليست في «ب».

وجوداتها كان إلهاً بلا مألوه، ورباً بلا مربوب، وعالمياً بلا معلوم، وسميماً بلا مسموع، في حدّ ذاتها، ويكون الله معها بوجوده تعالى».

أقول: انظر إلى هذا الرجل المتصوّف الصرف، فهو عكس ما قاله مدينة العلم، وبرز من الباب، وهذه حكمة المتصوّف ومن يفرغ من هيونهم، بل للأشياء وجودات مقيّدات ومطلقة، وكلّها مخلوقة، وليس مع الأشياء بذاته، ولا وجودها وجوده، فالممكن - على قوله - حاصل من عدم صرف ووجوب أحدي واجبي صرف، فدع حيرة الحيران، وارجع لما عرفناك، وتأمل في كلامهم بنور المعرفة، لا بنكري أهل التصوّف.

وقال الملا الشيرازي في الشرح لقوله: (كان رباً إذ لا مربوب)... إلى آخره: «بيان ذلك مبني على مقدمات ثلاث:

أولها: أن لكل ماهية نحواً خاصاً من الوجود يستحيل خلافه، فالزماني يمتنع أن يكون آنيّاً، والآني يمتنع أن يكون زمانياً، والمفارق عن المادة يمتنع أن يكون مادياً وبالعكس، والمنقسم يمتنع أن يكون غير منقسم وبالعكس، وعلى هذا القياس»^(١).

أقول: استحالة النحو الآخر على ما ذكر بوجه، لا مستحيلاً ذاتياً مطلقاً، فافهم.

قال: «الثانية: أن الزمان والدهر والسرمد أوعية الوجود، بعضها محيط بالبعض، فالزمان وهاء المتغيّرات، والدهر محيط به، والسرمد محيط بهما، فمعيّة المتغيّرات بعضها مع بعض تقع في الزمان، ومعيّة المتغيّر مع الثابت تقع في الدهر، ومعيّة الثابت مع الثابت تقع في السرمد.

مثال الأول: معيّة الحركة والزمان، أو معيّة الجسم مع حركته، ومعيّة الجسم لجسم آخر، من حيث تغبّرهما.

ومثال الثاني: المعيّة التي بين العقل والزمان جملة، أو الفلك ووجود الخردلة الواحدة مع الفلك في آن وزمان، ووجود العقل مع النقطة، أو الآن.

ومثال الثالث: وجود الباري مع العقل، والعقل مع القضاء»^(٢).

أقول: لكل ما سوى الله تعالى وقت، ولا نسبة له تعالى بالسرمد ولا بالدهر ولا بالزمان، إلا نسبة صدورية بفعله، لا فرق فيها بين السرمد ولا الدهر ولا الزمان، فليس شيء أقرب

(١) «شرح أصول الكافي» طبعة حجرية، ص ٣٥٠. (٢) «شرح أصول الكافي» طبعة حجرية، ص ٣٥٠.

إليه من شيء، ولا رابطة بينه وبين السرمد ولا الفعل، فنسبته له كالحجر واحدة، وتفاوتهما بحسب مقامهما؛ ونسبتهما الرابطة بفعله تعالى، وبه قامت لا بذاته، وإحاطة الدهر بالزمان والسرمد بالدهر، لا إحاطة تحقق السافل منها في العالي، فكل ما له مقام وجودي كوني لا يوجد في الأعلى.

وإذا تعلق المشيئة - وهو مقام السرمد، ولا يزيد لها - [تنوّعت] ^(١) بحسب المتعلق، وهو الدهر والزمان، وهي في نفسها مبرأة عن الكم والكيف، لغلبة الظهور، فتخفى فيها تلك المشخصات، وتظهر في متعلقاتها، ووقتها السرمد، ومكانها، وباقي حدودها لا يزيد عليها، وكذا حدود الدهر ومشخصاته، وأوله العقول والأرواح والنفوس، وكذا الزمان، وهو نسبة المتغير إلى المتغير، ويوجدان بالسرمد المساوق للمشيئة، ولا تكون مقومة للدهر والزمان. والمعية بين كل وآخر معية ظهور، ولا يتعمد السرمد بتعمد متعلقه، بخلاف الدهر، فإنه يتعمد بما حلّ فيه معنى، وهو العقل، أو روحاً أو صورة أو [وهماً] ^(٢) خيالياً، والزمان يتكرر أيضاً وتعمد بما حلّ فيه حساً، وطبي السرمد لمن دونه بلا كيف، طبي انقطاعي، لأنه قائم به، قال الله: ﴿وَمِنْ آيَاتِهِ أَنْ تَقُومَ السَّمَاءُ وَالْأَرْضُ بِأَمْرِهِ﴾ ^(٣). وتجنسه وتنوّعه بحسب ما تعلق به، وإن تبرأ عن [كيفه] ^(٤)؛ لأنه سبب مطلق، والخلق مرتبط بعبئه ببعض، وقائم بالمشيئة. ووقت كل واحد من الثلاثة - ومكانه وباقي مشخصاته - مساوقة لوجوده، لا تزيد عليه ولا تنقص، ولا وجود له قبلها، ولا بالعكس، بل بينهما مساوقة معية وجودية، ومن تأمل في ذلك ظهر له ما في كلامه من الخلل والقصور.

قال: «الثالثة: إن البارئ جل ذكره جميع صفاته وحشياته راجعة إلى نفس ذاته، وكلها موصوفة بصفة ذاته، من الوجوب الذاتي، والأحادية والفردانية، والتقدم، والسببية لما هداه، ولهذا قالت الحكماء الإلهيون: واجب الوجود بالذات واجب الوجود من جميع الجهات. وقال بعض المحققين: كل صفة من صفاته تعالى، إذا حققت، كانت بعينها الصفة الأخرى» ^(٥).

أقول: في هذا الكلام إجمال وخبط، وما سيأتي منه يكشف عن بطلانه، فالبارئ له

(١) في «أ»: «بتوقت».

(٢) في «ب»: «هباء».

(٣) «الروم» الآية: ٢٥.

(٤) في «أ»: «كيفيه».

(٥) «شرح أصول الكافي» طبعة حجرية، ص ٣٥٠.

صفات ذاتية حكمها حكم الذات من كل وجه، ولا حد لها، ولا تُعرف اكتناهاً، بل دلالة، ولا يتصور حكم الذات مطلقاً من كل وجه، ولا إضافة لها ولا نسبة بوجه أصلاً، وجميع صفات الإضافة راجعة لفعله وصفة فعلية، ومثل: (معنى الربوبية إذا لا مربوب) ... إلى آخره، ليس صفة إضافة، وهي عين الذات، ولا حيثية لها تخالف غيرها بوجه، لا ظاهر الربوبية التي هي صفة فعل، وهو فاعل وسبب بفعله لا بذاته، وما يكون بذاته - وتتحقق فيه جميع الحيثيات والنسب والاعتبارات - فليس بواجب وجود من كل جهة، لأنك تقول: خلق ولم يخلق، وفيه جهة وجهة.

فأصل قوله هذا أن عنده^(١) أن بسيط الحقيقة كل الوجود، فكل وجود وصفة وجود ثابتة له في ذاته، ووجودها وجوده، بل لا وجود غير وجوده، وإن لحقته تعينات اعتبارية وصور علمية غيبية، لوازم لذاته، تعالى الله عن ذلك.

قال: «إذا تقررَت هذه المقدمات، فنقول: ذاته تعالى في أزل الأزال موصوف بصفات الربوبية لكل شيء، والألوهية لكل شيء، والعالمية بكل شيء، وهذه الإضافات وإن اقتضت أن تكون المربوبات والمألوهات والمعلومات معه، وهو معها، ولكن لما لم يمكن أن يكون المجمعول مع الجاهل في رتبة الوجود الذاتي، بل قصارى معيتهما أن تكون على نحو المعية في الوجود، التي تكون بين المتأخر بالذات والمتقدم بالذات، فيكونان معاً في السرمد، إن كانا ثابتين غير متغيرين أصلاً^(٢)».

أقول: كله إخطأ، وعلى قوله يكون السرمد ظرفاً شاملاً للواجب وغيره، وجمعه والعقل كما سبق، والمربوبات والصور العلمية والسرمد نفس المشيئة الفعلية، لا توجد قبلها، لا خالياً ولا مائلاً بغيرها ومعها، فهو مسروق كما عرفت.

ولا يكون مع الله غيره، حتى اعتباراً، وإذا اعتبرت الصفات الذاتية فليست بإضافية، ولا تقتضي غيرها حتى النسبة اعتباراً، فهو جعل هذه إضافية، ونفى المربوب عنها، وأثبتته معه تعالى اعتباراً وفي السرمد، نعوذ بالله من هذا الاعتقاد، فيكون للخلق وجود في أزل الأزال، ولو من جهة الاعتبار والأعيان الثابتة، وجعل ثبوتها وثبوتها تعالى واحداً.

ولا معية بين متقدم ومتأخر ذاتاً بوجه أصلاً، ولا بين معلول وعلته، إلا معية ظهورية، لا ذاتية،

(١) انظر: «الأسفار الأربعة» ج ٦، ص ١١٠: «كتاب الرشيد» ص ٥.
(٢) «شرح أصول الكافي» طبعة حجرية، ص ٣٥٠، صححناه على المصدر.

بما ظهر له به، وكل ما سوى الواجب ذاتاً أو معنى متغير ومركب، لكنه في كل شيء بحسبه.
قال: «وإن كان كلاهما متغير الوجود، فلا بد أن يكونا معاً في الزمان أو في الآن، إن كانا
دفعي الوجود»^(١).

أقول: ما فيه ظاهر مما سبق.

قال: «فإذن معية الباري تعالى لكل موجود نفس تقدمه الذاتي عليه، ولخصوص
الحوادث الزمانية نفس بقائه السرمدية وحدوثها الزماني، إذ لا يتصور بينهما معية وراء
هذه المعية، كما أن معية أجزاء الزمان والحركة بعضها لبعض، ليست إلا اتصالها التدريجي
المستلزم لتقدم بعضها على بعض، وتأخر بعضها عن بعض، تقدماً زمانياً، وتأخراً زمانياً، لا
يجتمع المتقدم بهذا التقدم مع المتأخر، فمعيتها في الوجود الدهري حين تقدمها وتأخرها
الزمانيين، إذ لا يتصور بينها معية غير هذه المعية.

فعلى هذه القاعدة ثبت وتحقق أن كونه تعالى رباً إذ لا مربوب، لا ينافي كونه مع كل
مربوب، الذي هو شرط التضاييف، وكذا كونه سميعاً بصيراً، حيث لا مسموع ولا مبصر، لا
ينافي كونه مع كل مسموع ومبصر، كما هو شرط المضافين، وهكذا الأمر في كونه خالقاً
رازقاً غفوراً رحيماً، وغيرها من الصفات الإضافية، فإن نسبتها تعالى إلى جميع الزمانيات
والمتجددات نسبة واحدة، غير متكررة ولا متجددة، والوجه ما ذكرناه»^(٢).

أقول: قصاره أنه أثبت للمعلول والسافل وجوداً في رتبة العالي، وللأشياء تحققاً في
السرمد، فهو بذاتها معها، وإن كانت الرتب متعددة، فصحت الإضافة المصححة لوصفه
بالصفات الإضافية، فمعية بالسرمد للأشياء وإن كانت متفاوتة برتبها، وهذا باطل.

والمنافاة بين: حيث لا مسموع، وبين: إذ مسموع، بديهي، إلا أن يريد بالأول الذاتي،
ولا ملاحظة غيره معه حتى اعتباراً، والثاني الحادث الانطباعي، وهو نفس المسموع، كما
سبق في المجلد السابق، وهو لا يريد، ولا نسبة ولا إضافة ولا معية بين ذاته وغيرها بوجه
أصلاً، لا معلومية أو لا مجهولية، لا نفياً ولا إثباتاً.

قال: «فمن قال من أهل الكلام: إن العلم قديم والتعلق حادث، والقدرة قديمة والتعلق
حادث، إن كان مراده ما ذكرناه فهو حق، وإلا فباطل، فعلمه بكل شيء قبل وجوده، وحين

(١) «شرح أصول الكافي» طبعة حجرية، ص ٣٥٠.

(٢) «شرح أصول الكافي» طبعة حجرية، ص ٣٥٠-٣٥١، صححناه على المصدر.

وجوده وبعد وجوده، علم واحد ثابت للذات، أزلاً وأبدأً، وكذلك قدرته وسائر إضافاته، فهكذا يجب أن يتصور هذا المطلب، حتى لا يلزم التغير في ذاته تعالى، ولا القدر في أحديته، والله وليّ التوفيق»^(١).

أقول: إن كان مراده ما ذكره فباطل، وإن كان مراده أنه عين الذات بغير اعتبار إضافة بوجه - أو ثبوت المعلوم في أزل الأزال بوجه، والتعلق هو الانطباق الحادث، الذي هو عين المعلوم، على ما عرفت في المجلد السابق^(٢) - فحق.

قوله: «فعلمه»... إلى آخره، يفسد ما ذكره [أنه قبل]^(٣) وجود الشيء، كوناً ومكاناً، لا تحقق له بوجه أصلاً، حتى يكون له فيه تحقق علمي*، يطرأ عليه القبل والبعد، ومراده حال السرمد، فهو باطل، بل لكون العلم عين المعلوم، وكلما يتجدد له من إمكاناته فهو معلوم، فعلمه به قبل الكون ومعه وبعده واحد، هكذا يتصور هذا المطلب، بما لا يلزم فيه تشبيه أو تعطيل كما سبق، لا كما يتوهمه المتصرف، ويلزمهم أيضاً إثبات التغير في الذات وانتقال الأحوال.

وقال ملا خليل القزويني: «(رباً إذ لا مربوب) أي لم يكن لله تعالى في خلق مخلوقاته حالة منتظرة، يتوقف عليها الخلق، ولا يمكنه بدونه، بل كان مالكا للمملوكات - أي المخلوقات - قبل وجودها، إذ الملك إنما يختص بالمملوك الموجود، فيمن ليس وجود مملوكه بقدرته، بل يتوقف على حالة منتظرة، وهو تعالى قادر على كل شيء، أزلاً وأبدأً، إنما يتأخر فعله وتأجل خلقه لشيء، لعلمه بالمصالح»^(٤).

أقول: تأخير التأجيل والإظهار، وهو قائل^(٥) بأهمية الثبوت*، فيلزمه ثبوت المربوب، وإن لم يبرز كوناً، وهو يبطل قوله ﷺ: (رباً إذ لا مربوب) وفي حديث آخر: (له معنى الربوبية إذ لا مربوب)^(٦).

(١) «شرح أصول الكافي» طبعة حجرية، ص ٣٥١. (٢) «هدي العقول» ج ٥، باب صفات الذات، ح ١.

(٣) في «ب»: «وقبل».

(*) «فإن العلم بالحادث عين الحادث المعلوم، فإذا لم يتحقق المعلوم الحادث لم يتحقق له علم. ب.»

(٤) «الناسي» مخطوط برقم: ٢٣٣٤، الورقة: ١٠٩، باختلاف يسير.

(٥) انظر: «حاشية عدة الأصول» مخطوط برقم: ١١٤٠، الورقة: ٧٩.

(*) «أي أهم من الوجود، والوجود أخص. ب.» (٦) «أمالي الشيخ الطوسي» ص ٢٣، ح ٢٨.

وقوله فيه إجمال أيضاً، فالربوبية بحسب المعنى، لا بحسب النسبة والإضافة، فإنها حينئذٍ حادثة، سواء كانت إذ مربوب إمكاناً، أو كوناً وحينئذٍ، وملكه بذاته حيث لا مملوك بكل وجه واعتبار، وهو المالك لها في مقامات وجودها، وهو الرب إذ مربوب أيضاً، إلا أن هذه صفة فعل حادثة، وعلى نحو ذلك الكلام في العلم والقدرة.

ولا ثبوت للأهيان أزلاً، وإن لم يكن لها هناك وجود مستقل، وببطلانها يبطل ما فرّصوا عليها من سبب الشقاوة والسعادة، ومسألة العلم، وعدم مجعولية الماهية وغيرها. ولا فضاء وفاصلة بين الله وخلقها، ولا وصل أيضاً، فافهم، وسبق ويأتي بيانه.

قال: «ويمكن أن يكون المراد أنه مالك قبل الخلق أزلاً للخلق، في وقت خلقه فيه؛ لأن قدرته قبل وقت الفعل، بخلاف قدرة العباد، وسيجيء في باب الاستطاعة»^(١).

أقول: الله خلق من خلقه مطلقاً وبالعكس، وهذا أقرب إلى الحق، إذ لم يكن الأزلى زائداً عليه تعالى، فأزله ذاته، وقدرته الذاتية حيث لا مقدور مطلقاً، لا عيناً ولا اعتباراً ولا صلوحاً، وله قدرة مع الفعل* حادثة، إذ مقدور إمكاناً أو كوناً، وللممكن قدرة قبل الفعل إمكاناً، وعليها مدار التكليف قبل الفعل، وهي قوة الصلوح والفعلية مع الفعل.

وقال في معنى قوله **تعالى**: (والها إذ لا مالوه): «معنى استحقاقه للمعبادة [قبل وجود العابد: أن العابد في زمان عبادته يسبحه ويقده وينزهه، [لا باعتبار هذا الوقت فقط، كما في مدحنا للعباد]^(٢) بعد صدور فعل حسن عنهم، بل يسبحه ويقده، وينزهه]^(٣) عن النقص أزلاً وأبداً، في ذاته وأفعاله وتروكه، إذ ليس الترك حينئذٍ إلا حسناً موافقاً للمصلحة»^(٤).

أقول: يسبح الله ويقده بما دل على ذاته، بتعريف الصفة الحادثة الدالة في خلقه، وبها يستدل على التنزيه المطلق، ومقام العباده والتنزيه مقام حدوث ودلالة، وإن كانت تدل على أنه ليس مذ خلق استحق ذلك، وذلك مجهول مطلق لنا، لكن نستدل بالمعلوم على المعلوم.

قال محمد أمين: «(إذ لا مالوه) أي لم تحصل العباده بعد، ولم يخرج وصف المعبودية

(١) «الشافعي» مخطوط برقم: ٢٣٣٤، الورقة: ١٠٩، باختصار ما.

(*) «هي الفعل نفسه بلا تعدد. ب.» (٢) من قوله: «قبل وجود» إلى: «للمعباد» من «ب.».

(٣) من قوله: «لا باعتبار» إلى: «وينزهه» ليست في المصدر.

(٤) «الشافعي» مخطوط برقم: ٢٣٣٤، الورقة: ١٠٩.

من القوة إلى الفعل»^(١).

أقول: وفيه من عدم البيان ما لا يخفى.

قال ملا خليل: «ويحتمل أن يراد بالمألوه: المعبود، أي كان معبوداً، إذ لا معبود غيره، وهو قبل خلق بني آدم، وحين كان تعبد الملائكة»^(٢).
أقول: ظاهر (إذ لا مالوه) أي مخلوق ممكن منه العبادة، ليكون المراد معناها، وهي عين ذاته وعلمه.

فسال: «ويحتمل أن المراد أنه كان قادراً على خلق العابدين، وأمرهم بالعبادة بالاستحقاق، ولم تكن له حالة منتظرة يتوقف عليها فعله، بل إنما أجل لأجل العلم بالمصلحة»^(٣).

أقول: فيه ارتكاب مجاز، خلاف المراد من الألوهية، وآخر كلامه مسألة أخرى. والحاصل: أن معنى هذه الصفات، مجردة عن النسب والإضافات، يرجع إلى ما عليه الذات في أزل الأزال، بما دلّ عليه وعرف، في مقام الحدوث والإمكان، بها.



□ الحديث رقم ﴿٥﴾

قوله: ﴿عن [علي بن سيف بن عميرة، قال: حدثني] إسماعيل بن قتيبة، قال: دخلت أنا وعيسى شلقان على أبي عبد الله عليه السلام، فابتدأنا، فقال: عجباً لأقوام يدعون علي أمير المؤمنين عليه السلام ما لم يتكلم به قط﴾.

أقول: (شَلْقَان) بفتح الشين المعجمة، وسكون اللام [ثمّ قاف، ثمّ ألف، ثمّ نون، والشَلْق - بفتح الشين وسكون اللام -:]^(٤) «الضرب بالسوط وغيره، والجماع، وخرق الأذن طولاً»^(٥).
وتمجّبه عليه السلام في محله، ممّا ينسبونه لعلي من الأقوال الباطلة التي لم يقلها، بل ينكرها

(١) انظر: «الشافعي» مخطوط برقم: ٢٣٣٤، الورقة: ١٠٩، عنه بلفظ: «قيل».

(٢) «الشافعي» مخطوط برقم: ٢٣٣٤، الورقة: ١٠٩.

(٣) «الشافعي» مخطوط برقم: ٢٣٣٤، الورقة: ١٠٩، بتفاوت يسير.

(٤) ليست في «ب».

(٥) «القاموس المحيط» ج ٣، ص ٣٦٥.

ويبطلها، كالقول بالغلو - على فرقهم - والقول بظهور الحق في الخلق وبالعكس، وثبوت الأعيان في ذاته، والقول بالمناسبة والربط بين ذات الله وخلقه، وأمثالها مما وقع للملأ الشيرازي وأشباهه، إلى غيرها من أقوالهم الباطلة، نعوذ بالله منها.

ولقد حرّفوا الكلم عن مواضعه، ولكن على الشريعة حفظة ونواب ﴿ وَيَأْتِيَنَّ اللَّهُ إِنْ يَشَاءُ نُورَةٌ ﴾ ومن أراد الوقوف على هذه الأقوال فليراجع كتبهم، وأوقفناك على أكثرها متفرقاً.

قوله: ﴿ خطب أمير المؤمنين [الناس] بالكوفة، فقال: الحمد لله الملهم

عباده حمده، وفاطرهم على معرفة ربوبيته ﴾.

أقول: روى الصدوق - في التوحيد^(١) - هذه الخطبة عن الرضا عليه السلام.

وافتح بالحمد؛ لأنه مطابق للقرآن، وأخذهم عنه في مقام الإمامة وتأسيساً بالنبي ﷺ، وفتح الوجود بالحمد والختم به، وهو أهمّ المراتب وأجمعها.

ولمّا لم يمكن لأحد أن يعرف الله ويعبده ويحمده إلا بتعريفه وبيانه، ألهم عباده، بحسب ما دلّهم عليه في أنفسهم وغيرها، من معرفته وحمده، فالهم كلّ ذلك بحسب مقامه، قَبْلَ مَنْ قَبْلَ، وَعَمِلَ بِهِ مَنْ عَمِلَ، وَأَبْنَى آخِرًا، فغَيَّرَ مَقْتَضَى الْخَلْقَةِ وَصَفَتَهَا.

وليس المراد بالعباد خواص البشر، كما قاله الملأ الشيرازي في الشرح^(٢)، وكذا فطرتهم على المعرفة ليس خاصاً بهم، بل بعمّ الكلّ، إذ لكلّ مخلوق فطرة، ويعرف ربه ويعبده ويسبح بحمده بقدره، قال الله: ﴿ وَإِنْ مِنْ شَيْءٍ إِلَّا يُسَبِّحُ بِحَمْدِهِ ﴾^(٣).

وكلّ موصوف بالوجود تلزمه صفاته، بقدر رتبته الوجودية وجهة انتسابه إلى المشيئة الأمرية، إذ كلّ شيء بأمره قائم، كما عرفت في المجلد السابق وغيره.

قال الله: ﴿ وَأَوْحَىٰ رَبُّكَ إِلَى النَّحْلِ ﴿١٤﴾ ... إِلَى آخِرِهِ ﴿ أَعْطَىٰ كُلَّ شَيْءٍ وَخَلَقَهُ ثُمَّ هَدَىٰ ﴾^(٤) ﴿ وَأَوْحَىٰ فِي كُلِّ سَمَاءٍ أَمْرَهَا ﴾^(٥).

(٢) «شرح أصول الكافي» طبعة حجرية، ص ٣٥١.

(٤) «النحل» الآية: ٦٨.

(٦) «فصلت» الآية: ١٢.

(١) «التوحيد» ص ٥٦، ح ١٤.

(٣) «الإسراء» الآية: ٤٤.

(٥) «طه» الآية: ٥٠.

وان كان يراد الإنسان في مقام التمدح، لأنه الأقوى، ويكون غيره مراداً تبعاً لذكر الإنسان، وغيره فاضله، لا أنه لا يراد غيره مطلقاً، هذا إن أريد بحسب العرف، لا بحسب أصل الوجود والدلالة العامة، وإلا فيراد به الكل.

ونحوه قوله تعالى: ﴿ شَهِدَ اللَّهُ أَنَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ وَالْمَلَائِكَةُ وَأُولُو الْعِلْمِ ﴾^(١) وهذه الشهادة والإقرار فطرية، قد يوافقها الإقرار القولي وقد يخالفها، ودلالة الفعل أقوى من دلالة القول، ولولا ما جعل فيهم ما سألوه وحمدوه وعرفوه.

قال عليه السلام مجيباً لمن قال له: كيف أجابوا وهم ذر؟ قال: (جعل فيهم ما إذا سألوهم أجابوه)^(٢). بل نقول: إذا كانت أصل الفطرة وحقيقتها على معرفته، يجب أن تكون الحقيقة هي المعرفة، فإنها هيكل التوحيد والنور المشرق من صبح الأزل، ولا يصح كون الدلالة عليه بصفة عرضية أو لازمة، ولا واقعة على الغير، وإلا لم تكن أثره، وكان معه قديم، ولا قديم سوى الله، فوجب من ذلك كون الحقيقة هي الفطرة، وهي المعرفة ونفس الدليل.

وفي متواتر النص، في تفسير قوله تعالى: ﴿ فِطْرَةَ اللَّهِ الَّتِي فَطَرَ النَّاسَ عَلَيْهَا لَا تَبْدِيلَ لِعَلَقِ اللَّهِ ﴾^(٣) والمطلوب تحصيله من المكلف والمكلف به العمل بمقتضى ذلك وقبوله، فقبل بعض فاهتدوا زيادةً به، وأبى بعض وكفر، فلمن بكفروه، وإن على قلبه ما كسب، وكون المعرفة فطرية - كما عرفت عقلاً ونقلاً - لا يتنافى الأمر بها وإن كانت كسبية، وللإنسان مدخل في تحصيلها، وعدم المنافاة ظاهرة.

قال رسول الله ﷺ: (كل مولود يولد على الفطرة، حتى يكون أبواه إما اللذنان يهودانه وينصرانه ويمجسانه)^(٤).

والمادة من الأب، والصور من الأم، وهي محل التصوير. وفي الحديث: (الشقي من شقي في بطن أمه، والسعيد من سعد في بطن أمه)^(٥). عكس ما قاله أهل النظر^(٦): إن المادة من

(١) «آل عمران» الآية: ١٨.

(٢) «الكافي» ج ٢، ص ١٢، باب: كيف أجابوا وهم ذر، ح ١، صححناه على المصدر.

(٣) «الروم» الآية: ٣٠.

(٤) «غوالي اللآلئ» ج ١، ص ٣٥، ح ١٨، بتفاوت يسير.

(٥) «التوحيد» ص ٣٥٦، ح ٣، «غوالي اللآلئ» ج ١، ص ٣٥، ح ١٩، صححناه على المصدر.

(٦) انظر: «المباحث المشرقية» ج ٢، ص ٢٧٢.

الأم، والصورة من الأب، بل الأمر بالعكس.

وقال محمد صادق: «(الحمد لله المثلهم) فإن الله تعالى بإحاطته على الكل، ويكون الكل قائماً بوجوده تعالى [يكون علم كل من المخلوقين له تعالى، من حيث لا يشمر، ويقر كل منهم بوجوده تعالى] ^(١) بالفطرة، إذا خلّي وطبعه، كما قال تعالى: ﴿وَلَيْن سَأَلْتَهُمْ مَنْ خَلَقَ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ لَيَقُولُنَّ اللهُ﴾ ^(٢) والضمير إشارة إلى الكفار، فمعرفة الله - على سبيل الإجمال - إلهامي، فليس أحد خالياً عن الإقرار بالوحيته تعالى، على سبيل الاجمال بالفطرة. والحمد هو الثناء على الجميل الاختياري، له تعالى إلهامي؛ لأن من عرف شخصاً جميلاً، فمعرفة عين ثنائه، سواء خرج إلى القول، أو لا، ومعرفة كون الله فاطر الخلق أيضاً جبلي وإلهامي لهم، وإذ عرف أنه فاطر الخلق، فيقر بأنه تعالى ربهم، وهذا الإقرار عين ثنائه تعالى».

أقول: قوله: «فإن الله تعالى»... إلى آخره، إحاطة الله لجميع الأشياء، ذاتاً وصفة ومعنى، لا شك فيه، لكن ليس كما توهمه، من إحاطته على الكل بذاته، فوجود الله وجود الأشياء، هي قائمة بذاته تعالى، وسبق منه مكرراً، سواء كان بالسريان والانبساط أو بالشبح والظل، أو بالتجلي الذاتي للأعيان، وكله باطل ويوجب قيام علامة الإمكان فيه من وجوه، ولا ذكر لغير الذات في الذات أو معها بوجه، ومقام ملاحظته مقام فعل، فهي إحاطة فعلية.

ولا تقوم الأشياء بوجوده تعالى، لا قيام عروض ولا قيام لزوم ولا تقوم ركني، بل قيام صدور بما ظهر لها بها في مقامها، وهو يوجب رجوعها لفعله، وبينوتها بينونة صفة لا عزلة، فوجود كل مخلوق [مخلوق] ^(٣)، وعلمه وسائر كمالاته ملك له، ولا خروج لها من ملكه، كل في مقامه كوناً وإمكاناً، ولا ذكر للشيء فوق مقامه الإمكان بوجه، فلا تكون معه أزلاً أو في ذاته، تعالى الله علواً كبيراً، وإنما مرجع الممكن لمثله، وبدؤه منه.

وليس معنى الفطرة - كما توهمه - أنها وجود الله، وعلمه من حيث لا يشمر، أي حال تقيده بالتعین واعتبار الإمكان، ومعرفة تعالى الفطرية - كما عرفناك - ثابتة عامة، بل لا طريق إلى تحصيلها كسباً، وتحصيل العقل المسموع بدون المطبوع. ولولا ما دل عباده على

(٢) «لقمان» الآية: ٢٥.

(١) ليست في «ب».

(٣) في النسختين: «مخلوق».

معرفة تعالى وألقى صفة ذلك، ودليله في وجودهم، بل في نفس الأمر، وبدء وجود الأشياء هي نفس المعرفة وصفتها النورية ما [أمكن] (١) أحد معرفته وعبادته، لاستحالة تحصيل الأشياء لها بدون تعريفه وبيانه، فلا تكليف إلا بعد البيان، وهو شرط صحته، والشأن لازم المعرفة وإقرار بها وعمل بمقتضاها، وهي المعرفة القبولية الانفعالية ولازمها.

قوله: ﴿الدال على وجوده بخلقه، وبحدوث خلقه على أزله، وباشتباههم

على أن لا [شبه] (٢) له﴾

أقول: قال محمد صادق: «بوجوده بخلقه يدل على إحاطته تعالى على خلقه، يعني الرب - من حيث إنه رب - لا يوجد إلا بالمربوب، وأما بذاته فهو غني عن العالمين - كزيد فإنه موجود ولا تتوقف ذاته على ذات الابن، وأما كونه أباً يحتاج إلى ابنه - ومع ذلك الخلق كله أشعة نوره، وأضواء شمس وجوده، فليس الاحتياج إليهم احتياجاً إلى الغير، فتدبر. وقال ﷺ: (وبحدوث خلقه على أزله) لأنه تعالى لو كان وجوده حادثاً فله محدث، فيكون مثل الخلق محتاجاً إلى موجود، فإما يتسلسل في الحوادث العلل، أو ينتهي إلى رب غير حادث، أزلي، والأول محال، فثبت الثاني، فحدوث الخلق يدل على أزليته تعالى. (وباشتباههم على أن لا شبه له) الشبه للشيء مشترك معه في العوارض، ومغاير عنه بالوجود، والوجود عند الأقدمين حقيقة الموجود، وإن الله تعالى في حد ذاته ليس له شبه؛ لأن الممكنات وجودات جزئية، والتمينات الجزئية مأخوذة في ماهياتها، فكل منها مغاير للآخر بالذات، والله تعالى وجود بلا شرط شيء، فليست التمينات مأخوذة في حقيقته تعالى، وهو تعالى حاوي عليها ومحيط بها، فجميعها مغاير لله من وجه، لأن ما به التغاير هو التمينات، إذا أخذت أنها غير الوجود.

وإذا أخذت عين الوجود؛ لأنها مراتب تشكيكية للوجود، والمراتب بذات الوجود، فما به الاختلاف بعين ما به الاتحاد. فهم مغايرون له تعالى من وجه، وليس شيء منها مغايراً لله تعالى مطلقاً، بل كل منها مندرج تحت إحاطته، ولو كان مغايراً من جميع الوجوه لم تمكن الإحاطة، فإن الفرس مغاير للإنسان بالذات وبالماهية، ولا يمكن أن يقال: إنه

(١) في «أ»: «أنكره»، وفي «ب»: «يكن». (٢) في النسختين: «شبيه».

مندرج تحت الإنسان الكلّي، وهو مندرج تحت الحيوان، فليس مغايراً عنه مطلقاً.
أقول: انظر إلى تحريفه الحق إلى الباطل، والمحكم البين إلى المشابه، ومراد الإمام عليه السلام
أن خلقه دال على وجوده، وحدوثه على أزله... إلى آخره، فإن الأثر يدل على مؤثره بغير
إحاطة، فلا بد وأن تكون فيه صفة دلالة، ولأن الأثر أثره ولا المؤثر مؤثره، وهو قلب
اللفظ والمعنى، وقال: «بوجوده بخلقه دل على إحاطته» فجعل الدال نفس الذات الظاهرة
بالخلق، فهي وجود الخلق، فتأمل كيف يصنع الجهل، وما يوجب للنفس، وهو ناظر إلى
وحدة الوجود، وهو باطل، كما عرفت ويأتي.

والربوبية إذ مربوب، وهي ظاهر الربوبية، صفة فعل حادثة، قيامها بالله قيام صدور،
ومعناها - إذ لا مربوب - هي الذات نفسها، ولا يحدث للذات اعتبار أو صفة، أو تنقل بوجه
بسبب الربوبية إذ مربوب، سواء كانت مكاناً أو كوناً، [والأبوة] ^(١) لا ترجع للذات، ولا
تتوقف ذاته على ذات الابن، بل هذه الصفة الإضافية قيامها بالابن، [فتمثل] ^(٢) محمد
صادق وأمثاله، تراه يأتي بالمثال الحق، ولا يعرف كيفية التمثيل.

قوله: «فليس الاحتياج إليهم»... إلى آخره، الله غني عن خلقه بكل اعتبار، وليس الخلق
الخالق حتى يكون المراد أنه غير مغاير له، فالحاجة له ظهوراً حاجة لنفسه لا لغيره،
والموجودات أشعة فعله بمراتبها، لا أشعة الذات بمراتبها التشكيكية، وتجمعها رتبة واحدة،
والمراتب هي في مقامها، فإنه ضلال، بل [-] فتأمل فيما بطلانه أظهر من الشمس.

قوله: «(ويحدث خلقه على أزله)»... إلى آخره، هو نظر في الدلالة على الأزلية بالنظر
إلى وجوده، والإمام استدلل عليه بحدوث الأثر، ولا دخل للدور أو التسلسل في ذلك، فلا
يتم تفريع «فحدث الخلق» على ذلك.

والإمام استدلل في هذه الخطبة - وأمثالها - على ثبوت المؤثر وصفته، وهذا باب من
أبواب الحكمة فتحوه عليه السلام وأوضحوه للخلق، وأكثر الناظرين لكلامهم يذكرون الدليل،
ويصلون كيفية الاستدلال والدلالة.

قوله: «(وباشباههم)» ^(٣)... إلى آخره، حاصل قوله: أن الوجود في نفسه لا نسبة له،
ولا وجود للتعينات مستقلاً، فهي من وجه، وحكم التعينات لاحقة بحسبها، وإن لحقت الله

(٢) في «ب»: «فيمثل».

(١) في النسختين: «الأبوة».

(٣) في النسختين: «وباشباههم».

لا بذاته، بل بحسب ظهوره بها، كما يدل عليه تقييده هنا، وصرح به فيما سبق وبأني، وهذا باطل، وببطل معنى نفي الشبه، فلا يتم إلا مع التعدد من غير شبه؛ لأن تمييزه تمييزاً مغة لا هزلة، فلا شبه له ولا مناسبة ذاتية، كما يدل عليه كلامه، فلا مشاركة بوجه، فلا شبه له، ولا هزلة بينه وخلقه.

ولو تم ما ذكر لزم الشبه أيضاً، لقيام الحدود بالذات، وكذا أحكام التغير، وكون ظهوره لخلقه، ونزوله لهم بذاته، تعالى الله علواً كبيراً.

وما ذكره حاصله أيضاً يوجب التركيب في الذات، ولو بملاحظة وجه عرضي، وهو منفي عنه، حتى بالاعتبار والعرضية بوجه، قبل الخلق ومعه وبمعه، وصدور الأشياء عن الذات بفعلها، لا من جهة أحديتها، وسبق لك: (خلق الخلق بالمشيئة)^(١) في المجلد السابق. فإله فاعل بفعله، والمناسبة بينه وبين الفعل، لا بينه وبين الذات، والأثر يدل على صفة مؤثره وفعله، لا على الذات، فالكتابة تدل على حركة الكاتب وفعله، لا على ذاته وحسنها وعدمه^(٢)، وغيره من الأدلة الآفاقية، وغيرها كثيرة.

فتمثيله هنا بالفرس والإنسان غير مطابق، وهذا ما أوجب لهم القول بوحدة الوجود، وأنه كلي، أو ثبوت الأعيان أزلاً، لما قالوا بالمناسبة، وأن المبين لا يصدر من المبين الآخر، وهذا مسلم.

ونقول: [لم]^(٣) يصدر عن الذات بحسبها نفسها، بل بجهة الفاعلية، وهذه جهة ظهوره بالفعل، قال ﷺ: (والتقى في هويتها مثاله، فأظهر عنها أفعاله)^(٤) وفيما حصل كفاية، والآ فمفاسده لا تحصي.

وبقوله ﷺ: [(وبأشباههم)]^(٥)... إلى آخره، نفي مشابهته تعالى للغير، وأنه لا شبه له، لا بحسب الذات ولا الصفات، ولا بوجه من الوجوه، بحصول الشبه لخلقه، أو الاشتباه ببعض ببعض. والعلة لجميع ما ذكره ﷺ فيما استدلل به على هذه المطالب: أن الله تعالى خلّو من خلقه، وخلقته خلّو منه، وإلا تساوى العلة والمعلول، والسبب والمسبب، [فجاء]^(٥)

(١) «الكافي» ج ١، ص ١٦٠، باب الإرادة، ح ٤؛ وسبق في: «هدي العقول» ج ٥، باب ١٤، ح ٤، وفيه:

(*) «بل على حسن الحركة وعدمها. ب.»

(الاشياء) بدل: (الخلق).

(٣) «غرر الحكم» ص ٤٢٣، الرقم: ٧٥.

(٢) من «ب».

(٥) في «أ»: «في».

(٤) في النسختين: «وبأشباههم».

التركيب فيهما، ولم يكن أحدهما بالعلمية أولى من العكس، وانقلب الذاتي هرضياً، ولغير ذلك. فوجب الفرق بين الخالق والمخلوق، وتكون فيه دلالة [على] ^(١) الخالق، وإلا لم يكن أثره ودليله.

ولابد وأن يكون لأمر خاص وجودي فيه يدل عليه تعالى، وهي الصفة التي فطر الأشياء عليها، الدالة عليه، مثل كونه موجوداً منزهاً عن الحدوث والأين، والمشابهة والاتحاد والكثرة، إلى آخر ما حُلم من صفة الدالة عليه.

وأما الحدوث والمخلوقية، فلا تدل عليه، وإلا كان مثلها، ولم يكن واجب وجود لذاته، وحدود الممكن لا تجري فيما لا حد له، وليس بممكن، فجميع صفات المعلول تدل على أن صانعها ليس كذلك، لما سبق. وبهذا أبطل ^(٢) كثيراً من قواعد المتكلم والمتصوف وأشباههم، فتأمل، وسيأتي زيادة إن شاء الله.

قوله: ﴿المستشهد بآياته على قدرته، الممتنعة من الصفات ذاته، ومن الأبصار رؤيته، ومن الأوهام الإحاطة به، لا أمد لكونه، ولا غاية لبقائه، لا تشله المشاهر، ولا تحجب الحجب﴾.

أقول: المراد: (بآياته) جميع مخلوقاته، جملة وفرادى، بحسب الذات والصفات والأحوال، فإنها تدل على قدرته بسبب الخلق لهم، خلقة لا يمكن أكمل منها، فتدل على قدرة لانهاية لها، وكذا في العلم وسائر صفات الذات. وعرفت وجه الاستشهاد بها على ذلك متفرقاً، لا كما تقوله المتصوفة المحرّفة والمنحرفة.

وعرفت أيضاً وجوب ظهور الدلالة والشهادة منها بذلك، بحسب الذوات ولسان المقال، في كثير أو عام، ولو بحسب علو الحجة، وعدم [الاعتناء] ^(٣) بالانكار، لسقوطه، وكثير ظاهر في القرآن الاستدلال بآياته على ذلك.

وإنما امتنعت ذاته من الصفات - أي زيادتها - حتى اعتباراً؛ لأنه واجب وجود ذاتي أحدي من كل وجه، فلا يكون معه غيره حتى اعتباراً، كالأعيان الثابتة والصور العلمية،

(٢) في «ب»: «الاعتناء».

(١) في «أ»: «نبي».

فضلاً عن الموجودات المتغيرة اللازمة، بل حتى بحسب الصلوح وملاحظة العدم، فلا صفة وموصوف بوجه أصلاً، بل ذات هي الصفة، وبالعكس من كل وجه، فلا يصح لك - بوجه - القول بملاحظة صفة معها، وكمال توحيده نفي الصفات عنه حتى مفهوماً، إذ لا ذكر لغير الذات مع الذات بوجه.

والمراد بـ (الأوهام)؛ ما يشمل حتى إدراك العقول، فإنه بذاته لا يُدرك، وبذاته ممتنع بذلك، سواء كان إدراكاً حسيّاً، أو وهمياً نفسياً أو عقلياً، ولو أمكن أحدها أمكن الباقي بلا فرق، وقامت فيه صفات التشبيه، وحصل التعميل أيضاً والكثرة، فلا فرق في ذلك، وستعرف بعضه إن شاء الله، وسبق.

وكيف يجري عليه شيء من هذه الصفات، وهو تعالى أجراها على خلقه، وتنزّه عنها؟ ولا يعود إلى ذاته ما أبداه، ولا يسع الأزل غير الذات؛ لأنه نفسها، ولا يصل الممكن لما فوق الإمكان، بل كل ممكن لا يعدو مقام إمكانه، ويُعدم دونه، فكيف الواجب تعالى؟ فلا يصل له شيء، ويُنزّه عن الممكن وصفاته مطلقاً.

قال الملا الشيرازي: «قوله: (المتنعة من الصفات ذاته) أراد بالصفات: الأحوال الزائدة الموجودة بوجود الأعراض، فهو تعالى عالم لا يعلم عارض لازم، قادر لا بقدره زائدة، هي من باب الكيفيات النفسانية، يريد لا بقصد زائد، وهكذا في جميع نعمته الكمالية.

والمراد أن صفاته موجودة بوجود واحد، هو بعينه وجود ذاته.

وأكثر الناس لما رأوا تباين مفهوم الصفات، ظنوا أن التباين بحسب المعنى والمفهوم يوجب اختلاف الحيثيات الوجودية، فذهبوا إلى نفي العلم والقدرة وسائر الصفات عن ذاته، وجعلوا الذات الأحدية خالية عن هذه النعمت الكمالية، لكن جعلوها نائبة من باب تلك الصفات في ترتب الآثار، ويلزمهم مجازية الأسماء والصفات في حقّه تعالى، وأن لا تكون ذاته مصداقاً لشيء من معاني الأسماء والصفات، والقول بالتشبيه أولى من هذا التعميل. والحق أنها موجودة بوجود أصيل متأكد، أعلى من وجود غيره*، فعلمه أشرف أقسام

(*) «أي وجودها في غيره تعالى، ب.»

المعلم وجوداً، والقدرة التي له أوكد أنحاء القدرة وجوداً وتحققاً*، لا مفهوماً وماهية، ولا تفاوت بين أفراد المعنى الواحد والماهية الواحدة في نفس المعنى والماهية، بل التفاوت يقع بين أنحاء الوجودات بالقوة والضعف، والوجوب والإمكان، والتقدم والتأخر. هكذا يعلم هذا المقام^(١).

أقول: مراده عليه السلام نفي أن يكون مع الذات صفات في الأزل، بأي نحو من أنحاء المغايرة، ولو اعتباراً؛ لدلالته على الكثرة، ولا كثرة في الذات بوجه، حتى اعتباراً، وإطلاق مفاهيم الصفات عليه تعالى وحملها لا حمل مواطاة ولا اشتقاق بمعنييه، بل حمل دلالة، ومبدأ اشتقاقها من فعله، فإنها صفة فعل وحدوث [دالة عليه]^(٢)، وسمعت: (إنما سمي عالماً، لأنه وهب العلم للعلماء)^(٣).

فمقام الاسم والتسمية بعد مقام هذا الحدوث، وهو الهبة، وهي صفة فعل دالة، لكن مراده المغايرة الاعتبارية، بحسب المفهوم، من الصور والأعيان، والوجود واحد، ولو صدق هذا المفهوم صدق عليها في نفس الأمر، فيتمدد في الوجود، ولأنه كذب لا عبرة به، وهذا لا يوجب كون الذات بحسبها مصداقاً لهذه المفاهيم والصفات الحادثة، إذ ليس اشتقاقها منها، [لا من شئيته]^(٤) كما سبق عقلاً ونقلاً.

وما ذكره من التفاوت بين أنحاء الوجودات، إن أراد بدون إدخال وجود الله، صح بوجه، ولأنه كذب، ومراده الثاني، ومن قوله يلزم التشبيه؛ لأن ما ذكره آية إمكان، وهذا الذي نقله يصح بوجه، فتأمل.

قال: «(ومن الأبصار رؤيته) يعني: رؤيته ممتنعة بألة البصر؛ لأنها آلة جسمانية، وإدراكه بها محال؛ لتنزهه عن القوى الجسمانية، لأنه بمداخله الوضع، والله منزّه عنه، وليس هو من باب الضوء واللون، حتى يدركه الأبصار، وإنما هو من باب الأنوار العقلية؛ لأنه نورها،

(*) «أي لا يشوبها فيه تعالى عدم ولا عجز بخلافها في غيره من الممكنات. ب.»

(١) «شرح أصول الكافي» طبعة حجرية، ص ٣٥٢، بتفاوت، صححناه على المصدر.

(٢) في «أ»: «وآلة علمية.»

(٣) «شرح نهج البلاغة» للشيخ ميثم البحراني، ج ١، ص ١١٠، «جامع الأسرار» ص ٦٤٢، «علم اليقين» ج ١، ص ٧٣ وفيه: (هل سمي عالماً وقادراً إلا لأنه وهب العلم للعلماء...).

(٤) في «ب»: «ومن شئيته.»

فلا امتناع منه من أن يدركه نور عقلي، على قدر ما يمكن النور الضعيف أن يشاهد القوي، فالمؤمن إذا قوي نور عقله بالإيمان والمعرفة، وصار عقلاً بالفعل، مجرداً عن التعلقات الطبيعية، والفواشي البدنية، يوشك أن يطالع ذاته مطالعة علمية، ويشاهد حقيقته مشاهدة عقلية، لكن لا على جهة الإحاطة والاكتماء، بل على قدر قوته وطاقته»^(١).

أقول: لا يخفى سقوطه، فاكتناه الله ورؤية ذاته بالقلب - ولو بوجه - محال، ومما تواتر نقلاً: (إن الله احتجب عن العقول كما احتجب عن الأبصار، وإن الملائكة يطلبونه كما يطلبونه أتم)^(٢).

ونحن لا نكتنه الذات، ولو بوجه، ولا يجري فيه الوجه، وأين العقول وذاته؟ فنسبة العقول إلى ذاته كنسبة الحجر والمدرة، وكماله بالنسبة لمن دونه، وكذا تجرده، لا بالنسبة إلى الذات، ولا يجري فيها جهة وجهة، وليس هو من جنس العقول.

وقوله في المشاهر: «إن العقول وما فوقها بسيط الحقيقة»^(٣)، و«كل بسيط الحقيقة كل الوجود»^(٤) ضلال ظاهر، فهو شارك الأشاعرة من وجه، حيث نفى الرؤية القلبية، وأثبت الرؤية القلبية له لبعض ذاته، وهو يوجب الاكتماء، خصوصاً العقول المساوية له في التجرد والبساطة، على زعمه، سبحانه وتعالى. مما يقوله الجاهلون والمشبّهون، وقد جمع بين نقيضين: إحاطته لا بجهة الاكتماء، مع مطالعته لذات الله على قدر قوته وطاقته، سبحانه هذا بهتان عظيم.

ومما تواتر عنهم عليه السلام: (لم تحط به الأوهام، بل تجلّى لها بها، وبها امتنع منها)^(٥) ومما تواتر^(٦): أن ظهوره في بطونه، فلا يكون بالذات.

والحاصل: أن سقوط كلامه بديهي، لا خفاء فيه، والعجب منه يقول بهذا القول، مع تلاوته لروايات التنزيه والخطب والقرآن، فلنعرض عن طول الكلام لبداية سقوطه، والتقليد والاشتباه تقصيراً أو قصوراً يوجب مثل ذلك.

(١) «شرح أصول الكافي» طبعه حجرية، ص ٣٥٣، بتفاوت، صحناه على المصدر.

(٢) «الأربعون حديثاً» للشيخ البهائي، ص ٨٠، «علم اليقين» ج ١، ص ٣٩، صحناه على المصدر.

(٣) «كتاب المشاهر» ص ٥، وفيه: «ومسألة أن البسيط كالعقل وما فوقه كل الموجودات».

(٤) «كتاب المشاهر» ص ٤٩، ٥٠، بتفاوت. (٥) «نهج البلاغة» الخطبة: ١٨٥، صحناه على المصدر.

(٦) «بحار الأنوار» ج ٩٥، ص ١٦٥، ٣٩٣، نقله بالمعنى.

قال: «وفي قوله: (من الأبصار رؤيته) إيماء لطيف إلى عدم امتناحه من إدراك البصائر والقلوب، بأنوار المعرفة وحقائق الإيمان، كما قال ﷺ: (ولكن رآته القلوب بحقائق الإيمان)»^(١).

أقول: هو في السقوط، كما سبق، وليس المراد بالأبصار هنا أبصار العيون الحسيّة، بل نفي أبصار القلوب وإرادته ﷺ لها منها أولى وأحق، وهي أولى بالنفي، ونفيها يوجب نفي غيرها، ومصريح به في رواياتهم^(٢) كثيراً، وكذا في القرآن، وكذا وجوب التنزيه له، فليس هو تعالى من جنس ممكن من الممكنات.

وقول المصنف بأنه من باب العقول الكاملة، | خطأ | ظاهر، ولا إيماء فيها ولا غيرها لقوله، وحاشاهم ﷺ من ذلك.

وكذا قوله ﷺ: (ولكن رآته القلوب) ... إلى آخره، في كلام الإمام ﷺ لدعبل وغيره صريح في إبطال باطله، لأنه قال ﷺ: (بحقائق الإيمان) وحقائق الإيمان إنما توجب معرفة توصيف ودلالة، لا الذات، لا بطريق الاكتناء ولا التبعيض، والثاني - مع بطلانه في الذات - يوجب هنا الأول، أو التركيب، كما لا يخفى.

والله إنما تجلّى لكل ممكن - حتى العقل الأكمل - بنفسه لنفسه، وبه احتجب عنه، فعرفه بحروف وجوده، وآية شهوده الظاهرة فيه الدالة، وأين هذا والإحاطة بالذات، بوجه أو مطلقاً؟ إنه لمن المحال، فاعرض عنه ولا تتبعه فتردى.

قال: «وقوله: (ومن الأوهام الإحاطة به) وذلك لوجهين:

الأول: هام لكل قوة إدراكية، وهو أنّ ذاته غير متناهية في شدة النورية والوجود، فهو محيط بما سواه، فلا يحيط به شيء، والآن لم يحاطة الشيء بنفسه، وهو محال.

والثاني: أنّ إدراك الوهم يختصّ تعلّقه بالمعاني الجزئية المتعلقة بالأشخاص الجسمانية، وذاته تعالى ذات عقلية غير متعلّقة بشيء»^(٣).

أقول: كلّ كسابقه، بل المراد بالأوهام - حينئذ - ما يشمل حتى إدراك القلوب، فهو واجب مراعاته هنا، لا أقل من الأكملية، ومراعاتها هنا واجب، وإذا استحالت الإحاطة

(١) «شرح أصول الكافي» طبعة حجرية، ص ٣٥٣.

(٢) «الكافي» ج ١، ص ٩٩، باب في إبطال الرؤية، ح ١٠، ١١.

(٣) «شرح أصول الكافي» طبعة حجرية، ص ٣٥٣، بتفاوت.

بذاته استحالته الإحاطة بها بوجه، وهو بديهي، وهو يبطل ما سبق منه ويناقضه.
 وقوله: «وإلا لزم»... إلى آخره، مبني على أن إحاطة الله بالأشياء بذاته، وهو باطل
 محال، لكنّه فرّعه على وحدة الوجود، والمناسبة الذاتية بين الذات ومصنوعاتها، وليست
 الإحاطة بالذات، وإذا بطل ما أراد به الوجه الأول، فكذا الثاني.

قوله: «وذاته تعالى»... إلى آخره، | خطأ | [—]، والله منزّه عن الدخول في جنس
 العقول، وإلا انقلب من الوجود إلى الإمكان، أو تعددت القدماء، وكانت الحقيقة واحدة.
 هذا ونقول: هذا المألأ في تنزيهه تعالى، بما سبق، يريد منه خلاف مراد الإمام؛ لأنّ
 عنده الوجود واحد؛ لأنه تعالى كلّ الوجود، وتفاوت الوجود بالشدة والضعف، وجمعها
 حقيقة واحدة، هي وجوده تعالى، والتعيينات أمور اعتبارية لازمة الماهية، والأعيان
 القديمة الظاهرة بالوجود، فهو تعالى لا يدرك ولا يمازج ولا يحلّ في غيره... إلى آخره؛
 لأنّ الحقيقة واحدة، ليس في الوجود وجودان، ليجري بينهما ذلك، وهو خلاف مراد
 الإمام، بل يبطل هذه الصفات، بل الوجود متعدّد في الظاهر ونفس الأمر، لكنّه تعدّد مباينة
 صفة - كما نقول، لا كما يقول المألأ - لا مباينة عزلة، فافهم.

قال: «وقوله: (لا أمد لكونه) لأنّه فوق الآجال والأمد والأزمنة والأوقات، (ولا غاية
 لبقائه)؛ لأنّ بقاءه بذاته لا بصفة عارضة لذاته، وهو مُبقي كلّ بقاء وغاية كلّ الأشياء، فلا
 غاية له. (لا تشمل المشاهر) لما علمت، (ولا تحجب الحجب)؛ لأنّها مختصة بالجسمانيات،
 وهو تعالى في نفسه - كما علمت - أظهر من كلّ ظاهر؛ لأنّه نور الأنوار، وإنما الحجاب عن
 إدراك الخلق إياه قصور ذواتهم، ونقصان قواهم، وكمال ذاته، وعدم تناهي قوته النورية،
 وإليه الإشارة بقوله: (والحجاب بينه وبين خلقه خلقه إياهم)»^(١).

أقول: هو فوق الأوقات والأحوال والدهور وأوقاتها وصفاتها، والدهور وأكوانها وشؤونها،
 بلا فوقية، فهو فوق بما هو تحت في فوقيته بتحتانيته، بلا فوقية ولا تحتية، فتأمل.
 وهو وراء ما لا يتناهى بما لا يتناهى، بلا اعتبار نهاية أو لا نهاية، وهذه النهاية تحديد
 لغيره، وأنّ لا نهاية ولا أمد، تعبير عن عدم التحديد له، واستناده لغيره، وملاحظة لا نهاية
 لغيره، ف (غيره تحديد لما سواه)^(٢) والله غاية للأشياء، وهي في مقامها، برجوعها لفعله،

(١) «شرح أصول الكافي» طبعة حجرية، ص ٣٥٣. (٢) «عيون أخبار الرضا» ج ١، ص ١٥١، ح ٥١.

لا لذاته، كما هو ظاهر مراده، وصرح به في غير كتاب من كتبه، فهي لا تخرج عن ملكه، وانتهاء الممكن إلى الإمكان، ولا يمكن رجوعه لغيره، وهو في ملك الله وقبضته وتصرفه، لاستحالة وجود الشيء فوق مقام وجوده، أو يكون له ذكر في علته بوجه ما، [بل] ^(١) هو محال، حتى اعتباراً وصلوحاً.

والمراد بالمشاهر ما يشمل حتى القلوب والأفئدة، [وليست] ^(٢) الحجب مختصة بالجسمانيات، بل حتى العقول الكاملة بزعمه، والله حجب نورانية وظلمانية، وكل ما سواه فعل ومفعول، وكلها حجب وإن تفاوتت، لكنه تفرغ منه على ما سبق منه، من إدخاله الله في العقول النورانية الكاملة، وأنها - كمالاً - بسيط الحقيقة، وأنها تدرك ذاته بوجه، فيخصص ما سمعت بالجسمانيات، وما في باقي كلامه ظاهر، وسيأتي الكلام معه على قوله ﷺ: (والحجاب بينه) ... إلى آخره.

وقال محمد صادق في الشرح: «المستشهد بآياته على قدرته» آياته هو الممكنات، والصفات الذاتية له تعالى، ومن استشهد الممكنات بالعلم الحضورى، أو بالعلم الحصورى بمرتبة أتم، يجد فيها ضوابط محكمة، وقواعد متقنة، لا يمكن أن تحيط بها العقول البشرية بالتفصيل، [وهو شاهد] ^(٣) على أن بانها وجاعلها في كمال القدرة، التي لا تنالها العقول البشرية.

أقول: آياته جميع خلقه، إجمالاً وتفصيلاً، وهي غيره، وهي [آية] ^(٤) دلالة [لا آية] ^(٥) إحاطة فلا تدخل فيها الصفات الذاتية؛ لاقتضاء ذلك المغايرة، ولو بوجه، وهو منزّه عنها مطلقاً، والصفات الفعلية - وهو الدليل - حادثة، غيره مطلقاً، ولا تسمى أيضاً ذاتية، والممكنات تدل عليه ذاتاً وصفة واعتباراً، ويكل وجه من الوجوه، لا بالعلم الذي ذكره، وكأنه لاحظ في العقول باعتبار البشرية، وإلا فالكمال منها وجودها عنده وجود الله، بل كل الأشياء عنده، فتدبر وتحذر.

قال: «وقال ﷺ: (المتنعة من الصفات ذاته) أي لا يمكن أن يوصف [كنه ذاته تعالى، لأنه محجوب عن القلوب والأبصار، والتوصيف فرع التصور، وإذا لم يمكن أن يتصور،

(٢) في النسختين: «ونسبت».

(٤) (٥) من «ب».

(١) في «أ»: «لا».

(٣) ليست في «ب».

فكيف يوصف؟^(١)

أو يقال: قد علمت أن ذاته الأقدس، مع كونها محجوبة عن القلوب الممكنة، كما هي محجوبة عن الأبصار الجسمية، محجوبة عن الصفات، والصفات غير متناهية، وممتنعة أن ينال إليها بالقلب الهيولاني وبالأبصار، فكما أنه تعالى ممتنع الإيصال إليه بالقلوب الإمكانية، فكذلك ممتنع الإيصال إليه بالأبصار والأوهام.

أمّا بالأبصار فلما يلزم جسمانيته تعالى، وكلّ جسماني محدود، فيلزم تحديده تعالى. وأمّا بالأوهام؛ فلأن الأوهام لا تدرك إلا الأمور التي هي محدودة بحدود جسمانية؛ لأنها مخلوقة لإدراك المعاني في الجسمانيات، والجسمانيات محدودة، فالمعاني التي فيها أيضاً محدودة، فيلزم أن يوجد فيه تعالى شيء دون شيء.

أقول: وصف الذات وصف دلالة واقع، والمراد الأعم بالنسبة لذاته تعالى، فهي ممتنعة عن معية صفة وموصوف، وهو مقام دون الذات، وهو مقام حدود، وامتناع الإحاطة بالذات أو ينالها نائل عام للأبصار الحسية، والأوهام، والتصوّر النفسي، والقلوب المجردة الكاملة، [والجامعة]^(٢) لكل ما سوى الذات القدسية، وسبق وجهه مكرراً، لا كما خصص بعبارة، وكلّ ما سواه تعالى محدود، والله منزّه عنه بكلّ اعتبار.

قال: «والسرّ فيه أن الجسم والجسماني هيولانية ذاتاً وفعلاً، فوجودها ضعيف، ولا يمكن لها أن تحيط بغير المتناهي، وأمّا القلوب فإنها وإن كانت هيولانية فعلاً، إلا أنها مجردة ذاتاً، فإن تجرّدت ذاتها على ما كانت عليه، وخرجت من جلباب الجسمية، فلها قوة غير متناهية ووحدة معنوية، فيمكن أن يحيط بالأمر الذي لا ينتهي إلى حدّ، وقد علمت أن صفات الله إن انتهت إلى حدّ لا يتجاوزه، يحصل فيه شيء دون شيء، فيلزم التركيب في ذاته، لما مرّ مفضلاً غير مرة».

أقول: كشف هذا الكلام عن مراده ممّا سبق بطلانه، فمؤداه أن ذاته لا تنال - وكذا صفاته الذاتية - للأبصار الحسية والأوهام والقلوب الهيولانية، وإذا تجرّدت ذاتها ورجعت إلى ما كانت عليه، نالتها وأدركتها، وعرفت بطلانه وردّه، وعبارة أستاذه أثبتته بوجه، وهو أطلق، والكلّ خطأ.

(٢) في «ب»: «والحاصل».

(١) ليست في «ب».

ثم اعلم أن كل ما يحجبه حجاب ممكن، لتفاوت النسبة، وهدم الدلالة بالنسبة إلى ما حجب عنه، وليس هو بالصانع له، ولقيام الحد فيه، وغير ذلك، وإذ هم صنعه وظهوره بأثار الصنع والمصنوعية، والافتقار للحقائق والصفات والأحوال، فلا يحجبه حجاب عن أحد؛ لأنه تعالى لا يظهر بذاته لأحد، ولا يحاط بها، وإنما ظهر لكل مخلوق - مجرد أو غيره - بخلقه، بما ظهر له به، وهذا ظهور دلالة لا ظهور إحاطة، فوجب من ذلك أن يكون كل مخلوق حجاباً لنفسه، وما فوقه حجاب له أيضاً، فلا يحجبه حجاب، وإلا لم يكن صانعاً، وستأتي زيادة بيان.

قوله: ﴿والحجاب بينه وبين خلقه خلقه إياهم﴾.

أقول: لما نفى عن الله كونه له حجاب مانع، بين ﷻ هنا معنى الحجاب، لئلا يتوهم منه أنه ثالث غيره وخلقته، وليس إلا الله وخلقته ولا ثالث غيرهما. ومنه أيضاً يعلم أن لا حجاب له تعالى؛ لأنه إذا كان الحجاب خلقه، وبديهة أنه يدل على خالقه - ولا يحجب عنه أثره ومدده، وظهور آيات صنعه والدلالة عليه، وهذا ما ظهر به لخلقته - فلا يكون له حجاب، بل ما به الظهور به الخفاء، فصح أنه لا حجاب له، وصح أنه (احتجب بغير حجاب)، وصح أن ما به الظهور به الخفاء، وأنه لا حجاب له مانع، وجميع ذلك مروى^(١)، وقامت عليه الأدلة. ولما كانت الأدلة متواترة - من طرق - على أن ما سواه تعالى خلق له، وهو يدل على صانعه، فلا يكون حجاباً له، وهو حجاب مانع عن الإحاطة. انظر إلى موسى، ظهر له مثل سم الإبرة من سم الإبرة، فخر من آية العظمة من بعض الكروبيين، وخر صعقاً واندك الجبل، وهذا بنسبة بعض الممكنات لبعض، فكيف بالنسبة إلى الله؟ إنه لمن المحال.

وإذا كانت الحجب خلقه، فلا ظهور إلا في مقام الفعل والمفعول، لا الذات الأحدية، وتعدّد الحجب بسبب تعدّد جهات الفعل بالفاعلية الظاهرة به للمفعول، فنظر الفاعل له بفعله، ونظر المفعول له بجهة ظهوره له به، ولو فرض حجاب غير خلقه كان قديماً، وإلا

(*) «فهو تعالى ظاهر بخلقته، خاف به، وهو قوله ﷻ: (تجلى لها بها، واحتجب بها عنها). ب.»

(١) انظر: «الكافي» ج ١، ص ١٠٥، ح ٣، ص ١٣٩، ح ٤، «نهج البلاغة» الخطبة: ١٨٥.

عاد لما نقول*.

نعم، على قول المثبت للأعيان الثابتة، أو قل: الصور العلمية، وأنها غير مجمولة ولها لوازم بذاتها، يكون له حجاب غير خلقه، وكذا إذا قيل بأن الخلق مستجرب في ذات الخالق، كالشجرة في النواة، أو الحرارة في النار، وأمثال ذلك، وكله ضلال، وقد ذهب إليه بعض المسلمين جهلاً وتبعية.

وإذا كان ظهور الله بما به البطون^(١)، أو قل: حجاب بظهوره^(٢)، فهو بذاته مسلوب عنه الصفتان، وملاحظة الظهور والخفاء والحجاب والمحجوب دون مقام الذات^(٣)، وورد عنهم عليهم السلام: (احتجب بغير حجاب محجوب)^(٤)، وبصغ كونه بمعنى حاجب، وبصيغة المفعول. وعندهم عليهم السلام: (تجلّى لها بها، وبها امتنع منها، وإليها حاكمها)^(٥). ولك أن تلاحظ الحجاب من جهة الانوجاد، ومن جهة الایجاد الظهوري، وكلاهما حجب^(٦).

وردد: (ان له سبعين^(٧) ألف حجاب من نور وظلمة)^(٨) وبعضها حجب جبروت، وبعض عظمة، وبعض ملكوت، وبعض ملك، وفي بعض سمي بالزبرجدة الخضراء^(٩)، وبعض بالحجاب الأحمر، كل بحسب مقامه الوجودي وما يظهر أثره في غيره، ووجب من ذلك رجوعهم للحجب الكلية، وهم هم عليهم السلام، وتسميتهم بالحجب لأنفسهم ولغيرهم. وفي زيارة رجب: (وعلى أوصيائه الحجب)^(١٠) وهو متكرر في الأدعية وغيرها، فكل

(١) «أبي وإن لم نقل بقدّم الحجاب عاد لما نقول من حدوث الحجاب، وليس إلا خلقه، إذ لا واسطة بين الحق والخلق. ب.»

(٢) «وظهوره بحجابه. ب.»

(٣) «لأن الظهور والخفاء خلق أيضاً، فلا يصل إلى مقام الحق. ب.»

(٤) «الكافي» ج ١، ص ١٠٥، باب النهي عن الجسم والصورة، ح ٣، «التوحيد» ص ١٧٩، ح ١٢.

(٥) «نهج البلاغة» الخطبة: ١٨٥، صحناه على المصدر.

(٦) «لأن الفعل والانفعال من الإمكان والخلق، فهما من الحجب. ب.»

(٧) «لم يرد في العدد الخصوص، بل هو كناية عن الكثرة الحاصلة من المشيئة والمشاءات النورانية والظلمانية

من المشيئة إلى ما تحت الثرى، من القوسين المتقابلين، والكرتين المتداخلتين نوراً وظلمة. ب.»

(٨) «غوالي اللآل» ج ٤، ص ١٠٦، ح ١٥٨، «المجلى» ص ١٨٩، «بحار الأنوار» ج ٥٥، ص ٤٥.

(٩) «بحار الأنوار» ج ٣٨، ص ١٣٨، ح ٩٧. (١٠) «مصباح المتجده» ص ٧٥٦.

من الرسول والأئمة الاثني عشر والزهراء حجابہ الأعظم*، الذي لا أعظم منه، تجلّي لهم بهم، وتجلّي لغيرهم بهم، فهم محلّ ظهور شؤون مشيئته ووكرها، كما روي^(١). بل لك أن تقول: لا تجلّي منه إلا بالتجلّي الواحد الفعلي، في كلّ واحد، ولكلّ واحد بحسب رؤوس المشيئة، وما فيها من جهة السفلى، ولا تنافي بين هذا وما سبق.

تنبيهه تميمي: عرفت أنّ ما به الحجاب به الظهور، وأنّ الصفتين عنه - بحسب الذات - منفيتان، إذ لا ملاحظة للغير في مقام الذات بوجه أصلاً، لا محققاً ولا مقدراً، ولا بحسب الاعتبار والصلوح الفرضي، فكما يصحّ لك أن تقول: ليست بظاهرة بما به الظهور، ولا خفيّة بحسب مقام الذات وبحسب الظهور؛ لأنّه ظهور دلالة، يصحّ لك أن تقول: إنه تعالى ليس بظاهر ذاتاً مطلقاً، ولا مخفية ظهوراً، هذا هو المطابق للحق.

أما على رأي أهل التصوّف، ومن تبعهم منّا، لمّا جعلوا صفات الإمكان والقيود التقييدية صفات ونوازم للذات - والأعيان القديمة لازمة للذات أو فيها، ووجودها وجود الله، أو لازمة له، وهي ثابتة في الأزلي، وكذا مثبت الصور العلمية قديماً، والمعلوم اعتباراً، على اختلافهم في المذاهب ونحوها - فيلزم إثبات حجاب سائر الله تعالى غيره.

وبطل ما سمعت: (ليس إلا الله وخلقه ولا ثالث) ^(٢) بل يكون ثالثٌ غيرهما، وإلا فإن جعلوها غير مانعة، بل ظاهر فيها بآثار المصنوعية، أبطلوا به وحدة الوجود، وأنّ الوجود متعدّد واقعاً، وجود واجبي ووجود إمكاني، ذو مراتب: فعل ومفعول، والمفعول مراتب. ونفي الحجاب عنه، وكذا الوجود الإمكاني، إنما هو إثبات لغيره، فهو نفس النفي، ولكن ذلك لنفي أن يكون معه غيره بوجه، وأقصى ما يمكن في التعبير ذلك، كقولك: ليس

(*) «لأنّه أشمل المحجب الكلية، بل ما سوى هذه المحجب من شعاعهم، وشعاع شعاعهم، حقّ لا يبق من الوجودات والماهيات إلا ما يسلك أحدهما، في الجهل الكلي من الوجود كالشجرة المسكة لماهيته، وفي العقل الكلي من الماهية كالشجرة المسكة لوجوده، ولولا هاتان الشمرتان لتحققّ العدم والفناء؛ بانفكاك الوجود عن الماهية، والفعل عن الانفعال، والإيجاد عن الاتوجاد، والمشيئة عن المشاء، والمؤثر عن الأثر، إلى غير ذلك. إبراهيم».

(١) «تفسير فرات الكولي» ص ٥٢٩، ح ٦٨١، «المختصر» ص ١٢٨.

(٢) «التوحيد» ص ٤٣٨، ح ١، «هيون أخبار الرضا» ج ١، ص ١٧٥، ح ١، وفيه: (ولمّا هو الله عزّ وجل خلقه، ولا ثالث بينها، ولا ثالث غيرها).

بجسم، فالنفي راجع للجسم، وكقولك: ليس بممكن، كما قال الرضا عليه السلام (١)، فلا يلزم ملاحظة نفي في الذات، وهو منفي عنه، ولا فقد كمال، ولا نفيه عنه نفي مقابلة، وإلا قامت فيه علامة الإمكان، وكان له ضد، فيكون ضدَّ غيره، تعالى الله علوًّا كبيراً.

قال محمد صادق: (والحجاب بينه وبين خلقه) هو ذواتهم، يعني: ينحصر الحجاب بينه تعالى وبين العباد في ذوات العباد.

أقول: كلام باطل وتحريف للحق بما يشبهه، بل الحجاب نفس الخلق الذي به الظهور، وهذا حجاب لا يكشف، لا أن الحجاب بينه والخلق منحصر في ذواتهم، حتى إنهم إذا كشفوه ارتفع بينهما، وكانوا نفس الأحدية التي هي هم في نفس الأمر، وإن خفيت عليهم بالحجاب، كما عليه أهل التصوف، وستعرفه من كلامه.

قال: «وقوله: (إياهم) مفعول (الحجاب)، والحجاب مصدر، فإذا ارتفعت ذواتهم عنهم، كما ارتفعت ذات موسى - على نبينا وعليه السلام - في الطور، يرتفع الحجاب، فإن لكل شخص - في كل نشأة - ذاتاً، فإذا ارتفعت الذات الجسمانية تبقى الذات الروحانية فقط، وهكذا إلى أن ترتفع الحجب جميعاً البتة، فإن الإمكان يحدث بالمرتبة التشكيكية، فإذا ارتفعت المراتب يرتفع الإمكان، وإذا قيد الوجود بنحو من القبض والبسط - وهما من الأمور الإضافية، والإضافات عدمية - فيحدث في ذات الوجود إمكان عدمي، وهو نفي الخليفة، ولهذا قال عليه السلام: (لامتناه) أي لامتناع النيل إلى الله تعالى، (مما يمكن في ذواتهم) أي امتناع النيل لإمكان ذواتهم، فذواتهم الممكنة حجاب بينه تعالى وبين الخلق، فإذا ارتفعت المراتب التشكيكية، يصير الوجود إلى صرافته، ينال إليه تعالى، وهذا الإمكان هو ما به الافتراق بين الصانع والمصنوع، والربِّ والمربوب».

أقول: لا حق فيه، ومحصل كلامه: أن الحجاب هي الذوات، وهي أمور حدثت من المراتب التشكيكية، فإذا ارتفعت ارتفع الإمكان، ونال الله، وليس إلا الوجود بأحديته، فالممكن مركب من وجود وجوبي وإمكان اعتباري، هي ذواتهم الاعتبارية، فإذا كشف دنيأً أو آخر المراتب ليس إلا الله، فهو حينئذٍ في نفس الأمر وجود الله، من غير هذا العبد والحجاب، فهل مؤمن يعتقد هذا [أو يقول به]؟

(١) «عيون أخبار الرضا» ج ١، ص ١٥١، ح ٥١، وفيه: (وغيره تحديد لما سواه).

بل حقيقة وجود الممكن ممكن، وليس الإمكان اعتبارياً كما يتوهمونه، بل هو مخلوق، ولا يخرج الممكن عنه [١] إذ المالك له ولوجوده، لا يخرج عن ملكه، وهو مخلوق منه وبالعكس، من غير مقابلة، ولا تقوم بالله الحدود ولا أحكام الإمكان، ولو بطريق المقابلة، لا نفيًا ولا إثباتاً.

وعلى قولهم الباطل - في نفس الأمر - لا خالق ومخلوق، ولا تكليف ومكلف، ويرجع إلى ظهور الواجب بالتمينات والبسطيات الاعتبارية وعدمه، نعوذ بالله منه.

وليس الفرق بين الصانع والمصنوع والربّ والمربوب كما قال، من كون الوجود وجوده، ظهر بالإمكان الاعتباري التعيني، فالإمكان للذوات الاعتبارية، وهو واجب أحدي، فالوجود واحد، والفرق تمييز صفة بالوجوب والإمكان، لا تمييز وجود. بل تمييز وجود من غير مباينة، ولا ذكر له في مقام الذات بوجه، كالصفة بالنسبة إلى الموصوف، وهو المراد بمباينة الصفة، لا كما قالوا، ولا مباينة عزلة، كما هي صفة الإمكان.

فعلى قوله حقيقة الواجب ووجوده ليست مباينة لوجود الحوادث، بل هي هي، فليست إلا هي، وإنما المباينة في صفة الوجوب والإمكان، بنحو ما بينوه، وعليه حملوا قول علي عليه السلام: (ليس بينه وبين خلقه مباينة عزلة، بل بينونة صفة) [٢]، كالملا وتلميذه.

ولذا جعلوا الوجوب والإمكان من المفاهيم الاعتبارية، ولذا جعلوا الواجب كلياً منحصرًا في فرد، ومفهومه لا يأبى عن الصدق على الكثرة، وجعلوا الأعيان مستجئة في الأزل في الذات الأحدية، وهذا كفر.

بل لا شيء معه تعالى بوجه، والوجود [متمدد] [٣] ظاهراً وفي نفس الأمر، ونفي وجود الإمكان عنه نفي نقص، ولا ذكر له عنده بوجه، وإنما ظهر لخلق بصفة الدلالة لا بالذات، فالمباينة مباينة صفة، وهو معنى قوله عليه السلام، لا كما حرّفوه به، وما في كلامه من الضلال يضيّق به المقام، ولا يحيط به إلا الله.

قوله: ﴿لامتناهه منا يمكن في ذواتهم، وإمكان منا يمنع منه﴾.

(١) من «ب».

(٢) «الاحتجاج» ج ١، ص ٤٧٥، وفيه: (وتوحيده ليميزه من خلقه، وحكم التمييز بينونة صفة، لا بينونة عزلة).

(٣) في «أ»: «شؤون».

[أقول: في نسخة التوحيد هكذا: (لامتناعه ممّا يمكن في ذواتهم، وإمكان ذواتهم ممّا يمتنع منه ذاته) (١) [٢].

وقال محمد صالح في الشرح: «قوله: (ولإمكان) بالتنوين، عوضاً عن المضاف إليه» (٣). وهو دليل على نفي الحجاب خاصّة، فإنّه غلط، ونفي معروف ممّا سبق، بل هو حلة كما ستعرف، ولضعفه أعرضنا عن نقل عبارته.

فنقول: الإمام عليه السلام لما حدّد - أولاً - جملة من صفات التنزيه - كنفى الرؤية والشبه، والصفة والحجاب والإحاطة ونحوها - أراد أن يذكر أدلّة هامّة تدلّ عليها، وإن ذكر بعضاً قبل، فقال عليه السلام: (لامتناعه ممّا يمكن في ذواتهم) وكلّ ما نفاه عنه تعالى قبل (ممّا يمكن في ذواتهم) والله منزّه عنه، إذ لا ذكر لذواتهم، ولا لما يمكن فيها في ذاته بوجه، إثباتاً أو نفيّاً، فإنّه محال، بل عدم، من غير ملاحظة عدم، بل عدم، هو وجودهم في مراتبهم الإمكانية. ومعلوم أن الممكن وصفته لا يتجاوزان مقام وجوده، ولا يسع الوجوب الذاتي غيره، ولا يقوم به غيره ولا يسمعه، فهو بذاته تعالى يدفع إمكان وصفها بشيء من الإمكان، والألم يكن واجب وجود ذاتي، لمنافاته له، وإذا امتنع القيد عنهم فلا ذكر لهم في الذات بوجه، فليس لهم فيها إلاّ العدم، كما عرفت لا توصف بالإمكان، لإيجابها له. والإمكان - أيضاً - من ممكنات ذواتهم وصفاتها، فلا يمكن وصفه بصفة من صفاتها، وإلاّ كان مثلها ومن جنسها.

وعلى هذا يكون «الإمكان» - بالرفع - مبتدأ، ولعلّ الهمزة سقطت سهواً من قلم النساخ، ونسخة التوحيد لهذا أقرب دلالة، ويشمل امتناعه (ممّا يمكن في ذواتهم) الإمكان، حتّى الإمكان العام، إذ لا مشاركة بوجه، وقول أهل النظر هنا غلط.

ونقول أيضاً: الممكنات بعضها مذكور مع آخر في الإمكان، باجتماع وافتراق ونحوها، والله ممتنع ومنزّه ممّا يمكن في ذواتهم، فلا ذكر لها معه بوجه أصلاً، لا ذاتاً ولا صفةً ولا حالاً، لا بإثبات ولا نفي.

وهو عليه السلام بأول قوله قاعدة كليّة، وهي: إنّ كلّ ما جاز في الممكن، في الواجب تعالى محال، وممتنع منه وعليه، والنصوص بها متواترة، وهذه تبطل كثيراً من قواعد الملا

(١) «التوحيد» ص ٥٦، ج ١٤.

(٢) ليست في «ب».

(٣) «شرح المازندراني» ج ٤، ص ٢٤٦.

(*) «أي عدم، هو وجودهم في مراتبهم الإمكانية. ب».

وأمثاله، بل كلها، كذكر الأهيان في الأزل وصور الأسماء، والمناسبة والارتباط الذاتي، والوجود العام الشامل، والتجلي الذاتي، وقيام الحدود واللوازم - ولو اعتباراً - بالذات، وقيام المفاهيم بها، ونحوها من أقوالهم وعقائدهم الباطلة، فإنها كلها ممّا يمكن في ذوات الممكنات والمخلوقات.

وأيضاً لما امتنع ذكر هذه الأشياء فيه تعالى، أو معه بوجه، حتى بحسب الملاحظة المفهومية، استحال أن يقال: إنه تعالى كل الوجود أو ساير فيها، لأنه يوجب أن يكون للأشياء ذكر في الذات المتعالية عنها.

وأيضاً البسيط الحقيقي في الممكن ممتنع، وأقله تركبه من وجود وماهية، أو قل: فعل وانفعال، ولكل مخلوق مادة من جنسه، وينتهي إلى شيء هو مادة نفسه بالجعل، وسبق في المجلد السابق: (خلق | الله | المشيئة بنفسها) ^(١) وعنهم ^(٢): (تجلّى لها بها) ^(٣) ومعناه متواتر، بل لفظه.

وأيضاً لكل ممكن جهتان، بل ثلاث وأربع، وهو ينافي البساطة الحقيقية، فيجب اختصاص الله بها، ومن هذا يجب أن لا يكون كل الوجود؛ لأنه ينافي كونه بسيط الحقيقة، فقد أبطلت هذه القاعدة قول الملائكة في كتابه: «إن كل بسيط الحقيقة كل الوجود، والله بسيط الحقيقة، فهو كل الوجود» ^(٤)، وما تشبّث به من الجدل مقلوب عليه ولازمه، مع أنه لا يرد عليه تعالى، ولبسطة محل آخر.

ثم اهلّم أن هذه القاعدة - بحسب الاستلزام - توجب أن كل ما امتنع في الممكن حصل في الواجب، وفي حديث: (العبودية جوهرية كنهها الربوبية) إلى أن قال الصادق ^(٥): (فما فقد من العبودية وجد في الربوبية) ^(٦).

ومن الممكنات: الكلّيات، وهي كل الوجود، بحسب المفهوم والإحاطة الاستفراقية الحقيقية لأفرادها، فهي كالكلّ ظهوراً، والكلّي بحسب الأفراد، فتمتنع في شأنه تعالى.

(١) «الكافي» ج ١، ص ١١٠، باب الإرادة، ح ٤، وسبق لي «هدي العقول» ج ٥، باب ١٤، ح ٤.

(٢) «نهج البلاغة» المنطبة: ١٨٥.

(٣) «كتاب المشاهر» ص ٤٩، ٥٠، «الشواهد الربوبية» ص ٤٧ - ٤٨، «الأسفار الأربعة» ج ٢، ص ٣٦٨، ج ٦، ص ١١٠، باختلاف.

(٤) «مصباح الشريعة» ص ٧، بفاوت يسير، «التفسير الصافي» ج ٤، ص ٣٦٥، صححناه على المصدر.

أر نقول: ما يمتنع فيه يجب في الواجب ما لم يمنع منه مانع، وحينئذ يكون من تمعلات الوهم، فيرجع للإمكان، أو لا يكون له مصدوق، كمن يقول: له يد لا كالأيدي، وجلوس على السرير لا كالجلوس، وساق لا كالسيقان، وأنه يُرى بالعين من غير تحديد، ونحوه من سفسطة الضلال، ومنه القول بأن بسيط الحقيقة كل الوجود.

والمعجب من الملاء، يقول بهذا القول، مع أنه في المشاعر قال: «إن العقل وما فوقه كل الأشياء»^(١) فقد شرك مع الله؛ لأن عند المقرئين موجودون بوجود الله لا بإيجاده، وبقائه لا بإبقائه، كما صرح به في أسرار الآيات^(٢)، ورسالة المعاد^(٣)، وبقاى مسوداته. وقال في أسفاره، بعد جعله العقل من كلماته التامة العليا: «ليس القديم إلا الله وأسماءه وكلماته».

فإن أراد القدم الذاتي - كما هو المناسب لقوله بوحدة الوجود - فلا يخفى سقوطه على هائل، ولا يتم إرادة الحدوث الزماني، فإن أراد أبطل قاعدته بنفسه، لتحقق كل الوجود في العقل، على زعمه الباطل، فلا يجري في الله تعالى. ويحتمل (ولامكان) - بلا النافية وفتح الميم والكاف - أي لا تحقق لما يمتنع منه في ذاته، كما أن ذاته منه متمتع، وكذا على الوجه الأول، فيكون المقصود امتناع الذات من الإمكان، وكذا الإمكان مما يمتنع في ذاته، [لأن] «أ» ظهوره ظهور صفة، فتدبر.

قوله: ﴿لافتراق الصانع من المصنوع، والحاة من المحدود، والرب من المربوب﴾.

أقول: ذكرنا هنا ثلاثة أدلة على تنزيه الله تعالى عما عدده من الصفات:

الدليل الأول: قوله: (لافتراق الصانع من المصنوع) فلو حصلت المشابهة بوجه ذاتي أو عرضي - ولو بحسب الصلوح والمقابلة الاعتبارية - لم يفرق بينهما؛ لاقتضاء خلوة الصانع عن صفة الصنع والمصنوع، كما هو بديهي، والمصنوع هو الوجود [أولاً]^(٥)

(١) «كتاب المشاعر» ص ٥، باختلاف.

(٢) «أسرار الآيات» ص ٥٨، ٩٥، نحوه.

(٣) «رسالة المعصر» ص ٨٢.

(٤) في «أ»: «لا».

(٥) ليست في «ب».

والماهية ثانياً، بحسب المقابلة، وأولاً بحسب مقامها.

الدليل الثاني: افتراق (الحاد من المحدود) فمن حدّ الأشياء، بحسب أصل الوجود وفطرته لايجاب المجمعولية [له] ^(١) وكذا بحسب الشركة الجنسية والنوعية والتصنيفية، وكلّ مخلوق محدّد كما عرفت سابقاً، فلا بدّ من خلوه من حدود خلقه، إذ المثل المشارك لا يوجد مثله، ولا يعود له ما أجراه على خلقه، فلا يوصف بما سبق، وإلا كان محدوداً، فيقع الاشتباه بينهما، لقيام الحدود في الجميع.

ولهذا، الصفة الدالة عليه في خلقه كانت صفة دلالة لا إحاطة، لا تشبه صفاتهم، و صفاتهم لا تشبه صفته، فلا يوصف بكمّ ولا كيف، ولا اجتماع ولا افتراق، ولا كلي ولا جزئي، ولا عموم ولا خصوص، ولا اجتماع ولا افتراق، ولا بمشاركة في الأزل، لا خارجاً ولا اعتباراً، ولا تستجن الأشياء فيه، ولا بمقابلة ولا مضادة، ولا موافقة أو مخالفة، [إلى] ^(٢) باقي صفات الإمكان، و صفات الممكنات، من العقول، والأرواح، والنفوس، والأشباح، والمواد، وسائر أحكام وجودها وماهياتها، ذاتاً و عرضاً وحالاً، وبكل وجه واعتبار.

الدليل الثالث: افتراق الربّ من المربوب، ولو وقع الشبه أو الاشتباه بوجه، لم يكن أحدهما بالمربوبية أولى من العكس، كما في نظائره، وتمايزهما واقع، لعموم الدلالة عليه من الذوات والأسماء والصفات وسائر الأحوال، فلا يمكن إنكاره، ودلالاتها عليه دلالة توصيف، لا اكتناهية، وهو يوجب كون افتراق الصانع من المصنوع، والعلة من المعلول، والحادّ من المحدود، والربّ من المربوب، افتراق صفة، كما سمعت من كلام علي عليه السلام، وعرفت معناه، لا على تحريف الملام الشيرازي وحزبه، لا افتراق عزلة ومباينة، وإلا لم تظهر تفرقة، لقيام التضادّ، وأقله المقابلة، وهو يوجب الضدية وعدم عموم الدلالة عليه من جميع خلقه، فيشارك في القدم.

وإذا صلح لذلك صلح للممازجة، إذ أحد الضدّين له ذكر مع الضدّ الآخر، وجميع ذلك يوجب إمكانه، وهو عليه محال، فلو جاز عليه شيء من أحكام الإمكان بوجه، جاز عليه انقلابه، وتحوّله ممكناً بعد الوجوب، وهو محال بديهية.

ثم اهلّم أنّك إذا تيقنت أنّ معرفته معرفة دلالة، ولا حجاب له مانع، بل حجاب خلقه،

(٢) في «أ»: «أي».

(١) من «ب».

ولا تشابه بينه وخلقه ولا مشابهة، والفرق حاصل بين الخالق وخلقه، والألم يعرف أحدهما من الآخر، واشتبهت العلة والمعلول، ووجب من ذلك: أنه مباينة صفة، كما سمعت، وهذا يوجب تنزيه الصدور عن الكيف والأين وغيرهما؛ لأنها موجودة به وجهة الصدور، ولو جرى فيها ذلك جرت في الذات، وهو منزّه عنها.

ولا يوصف أيضاً بالوصل؛ لبطلان المناسبة والربط، ولزوم عدم التمايز والفرق، ووجب كون العلة والمعلول في رتبة واحدة، حتى يتحقق فرض الوصل، وكونهما في رتبة محال.

ولا يكون بينهما فصل أيضاً، لإيجابه المقابلة، وما سبق من المفاسد، ووجود فاصلة، وليس إلا الله وخلقه ولا ثالث غيرهما، وأين شعاع الشمس والشمس؟ نعم، له نسبة وقيام بفعل الشمس، وهو ظهورها لا بذاتها، فافهم.

وما قاله الإمام هنا - وما سبق ويأتي - يوجب أنه تعالى لم يتغير بخلقه الخلق، فوجب تنزيهه عن الإدراك والحدرد، والاقتران والاختلاف، وغير ذلك من سائر النسب والإضافات؛ لأن ظهوره ظهور دلالة، وبينوته بينوته صفة، كما سبق مكرراً، فافهم.

قوله: ﴿الواحد بلا تأويل عدد، والخالق لا بمعنى حركة، والبصير لا بأداة، والسميع لا بتفريق آلة، والشاهد لا بماسة، والباطن لا باجتنان، والظاهر البائن لا بتراخي مسافة﴾.

أقول: | ال | وحدة غير العددية هي الحقّة الذاتية القائمة بنفسها، من غير ملاحظة اعتبار آخر، وما سواها من الوحدات عددية ولو بوجه، وسيأتي بيان جملة منها. والمراد بالواحد هنا الذات الأحادية، وفي الحديث قرينة ذلك، وسيأتي أيضاً، وكذا خالق بفعله، واحد بجهة ظهوره له به، لا بذاته، والألزم قدم العالم، ولصحة قولك: خلق ولم يخلق، فهي صفة فعل، ولا اعتبار لخالقية ولا لغيرها في مقام الذات، فلا يلزم حجز في الذات ولا حصول المدم، فهو فرع ثبوت مصاحب، والله منزّه عنه، فلا يجري عليه التحول والحركة مما هو عليه أولاً بخلقه الخلق.

وإذا كان ظهوره وتجليه كذلك، ووجب تنزيهه عن صفات الخلق، كالاجتنان والظهور

والخفاء والملازمة، بل ظهوره بطونه وبالعكس، وسمعه وعلمه وبصره ذاته، وهذا إذ لا مسموع مطلقاً، وإذ مسموع صفة فعل حادث تعود لفعله، كما سبق في المجلد السابق^(١)، فلا يوصف بالحركة ولا بالآلة ولا بصفات الفعل بحسب الذات، وأما قامت به الحوادث، لكن ظهور الفاعل بالفعل يغلب الظهور على الفعل، ولا يلاحظ صفة، ويوصف بها بحسب الظهور، لا الذات، والظهور بالفعل، فميز جداً.

تحقيق المؤلف

ومما سبق أتضح لك بيان هذه الصفات متفرقة، ونقول هنا زيادة بما يناسب: لما كان الواجب تعالى في أزله، وهو عين ذاته - ولا ذكر لغيره فيه أو معه بوجه أصلاً، لا بمعلومية ولا مجهولية، ولا إجمال ولا تقييد، ولا عدم ولا وجود - فلا يمكن أن تكون وحدته بتأويل العدد، كما تكون في الوحدة الحادثة غيره، فإن فيها تأويل عدد، وتكون فيها جهة كثرة، كالوحدة الجنسية والنوعية والصنافية، في الذات أو الصفات، ففيها جهتا وحدة وكثرة، وما تكون كذلك لا تكون وحدته عين ذاته، بحيث لا تكون فيه جهة كثرة بوجه، ولا ارتباط بينه وبين غيره بوجه أصلاً.

[فالوحدة]^(٢) العددية فيها جهة ارتباط وانقسام، فإن جهة وحدتها غير جهة كثرتها، فلا يصح إرادة الوحدة العددية من وحدته تعالى.

والمراد بالواحد هنا: الذات الأحادية، التي هي عين ذاته، ولا تكثر فيها بوجه أصلاً، لا خارجاً ولا عقلاً، ولا فرضاً ولا وهماً، إذ لا شركة فيها بوجه. ويطلق تارة بمعنى الأحد - كما هنا - لتقريبه.

وأما بحسب أصل الوضع الشرعي، فوضع الواحد للصفة الفعلية الحادثة الدالة عليه تعالى، ووحدتها إجمالية، لا كيف لها ولا أين ولا كثرة بحسب التفصيل، وإن كان بحسب الإجمال، وتظهر في المشاءات والمقارنات، لا بالنسبة لما فوقها، ولا ينفى بها الشركة من كل وجه. بخلاف الأحد، فإنه لا ذكر للغير فيه بوجه أصلاً، والواحد فيه ذكر للغير، لكن على جهة الإجمال والاضمحلال، كالذكر في المادة.

(١) «هدي العقول» ج ٥، باب صفات الذات، شرح ح ١.

(٢) في النسختين: «الوحدة».

فالأحد رتبة الربوبية إذ لا مربوب، لا إمكاناً ولا كوناً و[هينا] ^(١)، وهو مقام حلة العلل والذات الأحدية، بغير ملاحظة الفاعلية.

والواحد مقام الربوبية إذ مربوب، إمكاناً وذكراً، وهو أول الذكر، لا كوناً وهيناً، وهو ينبوع الأسماء والصفات، ومبدأ اشتقاق الأسماء والصفات مطلقاً، وحقيقة المسمى من حيث الدلالة الظاهرة والمثال الملقى.

فالواحد بلا تأويل العدد هو الأحد المخالص، الذي اختص الله به ولا يقوم في غيره تعالى، ولهذا قال ﷺ: (بلا تأويل عدد).

والواحد العددي الذي هو مبدأ الأعداد والكثرات، وإليه تنتهي، وفيها تطوّر وسرى في الأعداد، وهو مركّب من جهات ثلاث: نظره لعنته، وللمظهر، ولمن دونه، لكن لما غلب عليه ظهور الوحدة ومقام الفاعلية، وخفي فيه الكيف والحد، سُمي واحداً، وغلب حكمها على الكثرة، واستجنت فيه، وإن كان لا تخلو من كثرة، فكان أول الأعداد وأول الأشياء، ولا يقابل ذات الله الأحدية، ولا تشتق الأشياء منها، ولا تظهر بحقيقتها، ولا تفعل بها، تعالى الله. ولما كان في الواحد العددي والأول الفعلي ما عرفت من الكثرة والحدود - وإن كان أبسط الأشياء التي دونه - نفى الإمام ﷺ الوحدة العددية عن ذاته تعالى، فوحدته ليست بقائمة بذاتها، وليست الكاملة كذلك، فلا يكون الله تعالى.

وأنت إذا نظرت بعين البصيرة المكتسبة منهم ﷺ، لا تجد من أثبت لله الأحدية المخالصة، إلا أقل القليل من الفرقة التابعين، أمّا نفيها ممن أثبت شريكاً آخر فظاهر، كالكفار وعبداء الأصنام أو غيره، ممن استقل بشيء في خلق أو رزق، أو ممات أو حياة أو حكم، وكذا الثنوية، وكذا الأشاهرة ^(٢) والمعتزلة ^(٣)، لإبائهم معه الزيادة في الصفات، وإن اختلفوا بوجه فيها. وقالت المعتزلة ^(٤) بالتفويض أيضاً، وكذا من قال بوحدة الوجود من أهل التصوف، ومن تبعهم مناً؛ لجعلهم الحقائق كلها حقيقة الحق، فهو تعالى مقارن للكثرة، معه أو مستجنت فيه، وكذا الأعيان الثابتة، ومن جعله كالكلّي، وتشمله المفاهيم العامة، كالوجود وأمثاله، أو جعل شمول الوجود للكل بالاشتراك المعنوي، وكذا من قال: بسيط

(١) في «أ»: «أيناً».

(٢) (٣) انظر: «شرح المواقف» ج ٨، ص ٤٤ - ٤٥، «شرح المقاصد» ج ٤، ص ٦٩. وراجع: «هدي العقول» ج ٥، ص ٢٤١، ٢٥٠.

(٤) انظر: «المحصل» ص ١٤٦، «شرح المقاصد» ج ٤، ص ٢٤٨.

الحقيقة كل الوجود والأشياء، كالملا الشيرازي وأمثاله، وكذا من قال: الله فاعل بذاته لا بفعله، فهي مع المفعول، والذات والفعل والمفعول واحد، وكذا من جعل الفعل هو الفاعل بالاستقلال، ولم يجعل قيامه بغيره، كمن قال: علي الله، من الغلاة، وما قالت النصارى واليهود في عزير عليه السلام وعيسى عليه السلام، ونحو ذلك من الأقوال الباطلة، فوحدة الأزل والوجود الذات الأزل، كما تنافي جميع ذلك، فتدبر.

ومن هفوات محمد صادق ما ذكره في شرح هذا الكلام من الحديث: «يعني وحدته ليست وحدة عددية، بل معنوية، والوحدة العددية ما تنتهي إلى شيء، والوحدة المعنوية غير متناهية مع وحدته».

أقول: يظهر بها حسن المعنى والمبنى، وليس كذلك؛ لأنه قائل بالرابطة والسريان، ووصفه بصفة الخلق في مقام - بحسب ذاته - دون مقام آخر، وقائل بوحدة الوجود، وهذه الأقوال تنفي الوحدة الحقيقية.

وما يفرق به بين الأحد والواحد، كما سبق وبأتي، ليس مطابقاً للحق الوارد عنهم عليهم السلام، ومع هذا ففي كلامه إجمال وعدم بيان.

قال: «وخالقيته تعالى لا تحتاج إلى حركة أعضاء أو حركة فكر، بل هي لازمة لذاته بالقدرة والاختيار، اللذين هما عين ذاته تعالى».

أقول: لزوم الاضطرار والتقدم لخلقه - من كلامه - ظاهر، وكذا عدم الوحدة التامة الكاملة كما عرفت، لما بين اللازم والملزوم من المناسبة، واللزوم والكثرة من وجه دون آخر، ونفي الفكر عن خالقيته والهمّة والحركة لا يوجب كونها كما قال، بل يوجب أنها نفس الإحداث، بخلافها في غيره تعالى؛ لأنه منفي عنه الهمّة والفكر والكيف، ولهذا لا يطلب الكيف لبدء خلقه ولا الأين والكم، [لأنها به] ^(١) كانت وتكوّنت، والله خالق بفعله، و[لا] ^(٢) يوجب ذلك إثبات النقص في الذات، فإنه لا ملاحظة معها لغيرها، لا بثبوت ولا غيره، فلغيرها الامتناع في مقامها.

ومعلوم أنّ قولك: خالق، ذات مع صفة، فظهر بها وخلق المفعول بالفعل، وتجلّى به بغير كيف وحدّ ولزوم للذات، والأجاء الحدّ والشبه، وكلامه يوجب اتحاد الفاعل

(٢) ليست لي «ب».

(١) في النسختين: «لا نهاية».

والمفعول، وهو ضلال ظاهر.

قال: «وهو تعالى بصير (لا بأداة) فإن قيل: إذا صار عين السمع والبصر في العبد، يكون سميماً بأداة وبصيراً بألة، كما قال تعالى: (وإذا أحببتك كنت سمعه الذي يسمع به، وبصره الذي يبصر به)»^(١).

قلنا: إنه أولاً تعالى كذلك في حد ذاته، لا في إحاطته بالأسماع والأبصار، وإن قلنا: إنه تعالى كذلك في إحاطته أيضاً، فهو تعالى حينئذ يكون عين السمع، وليس للسمع أداة أخرى وللبصر آلة أخرى، بل هي عين الآلة والأداة، فافهم.

أقول: جميع كلامه ضلال، فإنه جعل له تعالى ملاحظة ذاتية، والله بأحديته هو كل الوجود، فلا وجود لغيره أصلاً، وجعله مصدوق سمعه بلا آلة، وباعتبار تجليه في الأعيان وظهوره بها سميماً بها، وكذا بصيراً، وأثبت له حينئذ التشبيه، فقد اختلفت عليه الحالات، وقامت به الحوادث، وقارن غيره، إلى غير هذه المفاسد، وكله باطل.

وكونه عين السمع - على قوله الأخير - يكون عين الموجودات وعين الحادثات، فأى فرق بين هذا والقول بأن الواجب صار ممكناً وتحولت إليه؟ وبطل الوجوب الذاتي، فلا وجوب، ومفاسد قوله لا يحيط بها إلا الله، وهذا قول أستاذه وابن عربي.

قال: (والشاهد لا بمماسية) أي بذاته المنزهة عن الممكنات، لأن المماسية من خواص الممكنات الجسمانيات، والله تعالى مجرد عن الجسمانيات، (والباطن لا بالاجتنان) أي لا بالاختفاء في الشيء، كما يختفي الشيء في الجسم، وألا يلزم أن يكون محصوراً، وكل محصور محدود، فيوجد فيه شيء دون شيء.

أقول: ما ذكره هنا من المفاسد يلزمه فيما سبق، وعلى تفسيره السابق يلزمه المماسية، أو يقول: هو - حينئذ - عين الملموس، فلا آلة، كقوله في السمع والبصر، ونفى بعض أنواع البطون، والمقصود الأهم.

قال: «(والظاهر البائن لا بتراخي مسافة) يعني: أن الله تعالى ظاهر مباين عن الخلق في الرتبة والشرافة، لا بتراخي المسافة؛ لأن ذلك أيضاً من خواص الماديات».

أقول: على قوله السابق ما يلزمه هنا ظاهر، وتخصيصه - بقوله: في الرتبة والشرف - لا

(١) «هوالي اللآلئ» ج ٤، ص ١٠٣، ح ١٥٢، «الجواهر السنية» ص ٩٩، حديث قدسي، بتفاوت يسير.

في الوجود، فعنده أنه واحد، ففي الخلق كذلك، ويتّصف بالوجوب والإمكان، وهو ضلال ظاهر، [وربته] (١) وجوده.

وما ذكره أيضاً بجري في المجرّد، فإن وحدة الله المعنوية ثابتة له عنده، كما سيصرّح به، وإن جعل له علّة، والله منزّه عن جميع أنواع البطون والبينونة الحاصلة في الممكن، بأيّ معنى، فهو باطن بما ظهر، وظهر بما بطن، فإنّ ظهوره بالوصف والدلالة، وهذه نفس المجهول، وتوجب المعجز عن الإدراك، فهو باطن بها، إذ ما به الظهور به البطون، وهو الظاهر على كلّ شيء، وهو حادث، وغيره قائم به قيام صدور، وليس بينه وبين خلقه مباينة، وإلا قامت الشركة والتفرقة والتضاد بينهما، وهي صفة حدوث وغير ذلك، فهو لا ظاهر ولا باطن، ولا ممازج ولا مابين، وأقوى الأشياء ظهوراً وأشدّها خفاءً لذلك، فتدبّر، وسبق بيان ذلك، وسيأتي مزيد بيان إن شاء الله تعالى.

وقال الملا الشيرازي في الشرح لهذا الكلام: «الواحد بلا تأويل عدد» يعني أنّ وحدته ليست من باب الأعداد، وهي التي تحصل بتكرار أمثاله الموجودة أو الموهومة العدد والكثرة، وهو تعالى ممّا ليس كمثله شيء (٢).

أقول: هذه الوحدة التي أشار إليها أضعف من وحدة الواحد، حسب أصل الوضع - وعرفته - وما يتركّب منه الأعداد، وهو يشير إلى وحدة مراتب الأعداد، وهي أقلّ من الوحدة الفعلية وواحد العدد، كما عرفت (٣)، وعرفت معنى الواحد إذا أريد به معنى الأحد والذات الساذج. وعلى ما عنده في وجود الله، وأنه كلّ الوجود، تكون من قبيل الوحدة الجنسية أو النوعية، التي تملو عليها صفة الوجوب والإمكان وتفاوتها، وهي أيضاً وحدة عددية، فلا يتم قوله: ﴿لَيْسَ كَمِثْلِهِ شَيْءٌ﴾ (٤) بل أشياء مثله، ولو بحسب الفرض والوهم، وإن منع وجود فرد زائد في الخارج، لصيرورته من قبيل الكلّي، وهو باطل بديهية وإن كان عليه حكماء النظر.

قال: «وذلك لأنّ وحدة كلّ شيء ليست إلا نفس وجوده الخاصّ به، وإذ ليس لوجوده

(١) في «أ»: «وربته».

(٢) «شرح أصول الكافي» طبعة حجرية، ص ٣٥٣، بتفاوت يسير.

(٣) «هدي العقول» ج ٣، باب حدوث العالم وإثبات المحدث، شرح ح ٤.

(٤) «الشورى» الآية: ١١.

مثل، لا خارجاً ولا ذهنياً، فكذلك لوحده وسائر صفاته الحقيقية، إذ كلُّها ذاته، فوحدة علمه وحدة مجهولة الكنه، ليست من باب الأهداد، فلا ثاني لعلمه خارجاً ولا ذهنياً، وكذا وحدة قدرته وإرادته وغيرها من الصفات»^(١).

أقول: هل على قوله من وحدة الوجود، وأنَّ بسيط الحقيقة كلُّ الوجود، لكون نفي الثاني عنه والشبه ومجهولية ذاته؛ لأنَّ كلَّ الوجود هو، فوجود كلِّ موجود ثابت له في رتبة أزله، والمنفي عنه نقائص وأهدام، وهذا باطل، بل لغيره وجود في مرتبته: مطلق ومقيّد، على أقسامه، ولم يظهر له بذاته، بل بتجليه الفعلي.

وما هو كلُّ الوجود ليس وحدته حقيقية، ولا يلزم مباينة العزلة، ولا كون فرض وجود غيره عدماً، فتكون الأشياء مستجئة فيه أو لازمة له، وهو ينافي وحدته، ويدخلها في الوحدة العددية، إذ كلُّ وحدة ممكنة، أو فيها جهة وجهة عددية، وحكمه بعينية الإرادة، سبق^(٢) بطلانه، وعرفت^(٣) بطلان ما اختاره في علمه.

إحاطة الله بخلقه إحاطة قيومية فعلية - كالتكلم بالكلام، والسراج بالأشعة، والشمس بالأشعة - لا ذاتية، ولا ذكر للمخلق في مقام الذات بوجه أصلاً، لا بمعلومية ولا بمجهولية، لا عدم ولا وجود.

نعم، هو بحسب الفعل داخل فيه، فأثرة في كلِّ شيء، وما يدلُّ الخلق عليه نظره تعالى لهم، وهو ما تجلّى لهم بهم، تجلّى فعلي، لا ذاتي، وهو الذي ينظر به العبد إلى الله، تعالى الله علواً كبيراً.

قال: «وقوله: (والمخالق لا بمعنى حركة) لأنَّ خلقه الإيداع والإفاضة، لا المباشرة والتعمّل؛ ولأنَّ الحركة من عوارض الأجسام وما يتعلّق بها، وهو منزّه عن الجسمية وعن التعلّق بها»^(٤).

أقول: مراده نفي المباشرة والعلاج عن ذات الله، مع قوله في الوجود ما سمعت ويأتي، وكذا يقول بالمناسبة واللزوم والذات، فكيف يتمّ هذا؟

ولا ذكر للمخلق - بوجه - في الذات أو معها، والتعمّل والحركة الزائدة والكيف منفية وأمثالها عن فعله، لغلبة الفاعلية [عليه]^(٥)، وإن خفي في الذات لنهاية البساطة، وظهر في

(١) «شرح أصول الكافي» طبعة حجرية، ص ٣٥٣. (٢) (٣) «هدي العقول» ج ٥، الباب الرابع عشر.

(٤) «شرح أصول الكافي» طبعة حجرية، ص ٣٥٣. (٥) في «أ»: «غلبه»، وفي «ب»: «تجليه».

الآثار، فافهم.

والله منزّه عن الزمان والذهر والسرمد، والمراد بالمخالقية هنا - بما يشمل الذهر - مقام العقول والنفوس، والسرمد: مقام الفعل والمشیئة، والإبداع الأول المجمول بنفسه، لا بمادة زائدة، أو كيف أو حدود، وإلا كانت في ذاته تعالى، ولم يُدَلَّ عليه ويُعرف بصفته التي بيّنها، ويلزم التشبيه وحصول المثل له تعالى. وبإثبات لوازم الذات، كما زعمه المملأ في غير موضع، يلزمه حصول التعلّق للذات ببعض الممكنات، ولا قوام لها عندها، أو تعدّد القدمات، ونفي الاختيار.

قال: «(البصير لا بأداة، والسميع لا بتفريق آلة)، أمّا إجمالاً؛ فلأنه بذاته خالق ما سواه تعالى، فما سواه - سواء كان آلة أو مماسة - مخلوق له، فلا يفتقر في إيجاده لشيء إليها»^(١). أقول: لو كان فاعلاً بذاته كان خالقاً كذلك، فلا يصح: أنه خلق كذا، ولا خلق كذا، كما ورد وثبت عقلاً، فإذا الخلق صفة فعل، وخلق نفسه بالتجلي الظهوري، وبه خلق غيره، بما أودع فيه، ولم يرفع يده عنه، وليس مقام المخالقية مقام الذات، إذ لا ذكر لغيرها فيها. وأول الذكر للمشاءات المشیئة، وليست عارضة للذات ولا حينها، ولا مناسبة بينهما؛ لأنه تعالى خلقها بنفسها، في مقام السرمد الذي لا يزيد عليها، ولا يلزم من نفي الخلق في الذات ثبوت المعجز، فإنه فرع ثبوت شيء، وهو خلاف الفرض.

نعم، له حقيقة المخالقية إذ لا مخلوق بوجه أصلاً، وجوده وكمالها الذاتي ليس إلا، وخلق فعله بظهوره وتجليه الفعلي له بنفسه.

قال: «وأما تفصيلاً، فلأنه لو صدر عنه شيء من الآثار بألة، فإن كانت تلك الآلة من فعله، فإمّا بتوسط آلة أخرى، أو بدونها، فإن كانت بدونها فقد صدق أنه فاعل بالذات، لا بألة، وإن كان فعله لها بتوسط آلة أخرى فالكلام فيها كالكلام في الأولى، ويلزم التسلسل، وإن لم تكن تلك الآلة من فعله ولم يمكنه الفعل بدونها، كان الباري مفتقراً في تحقق فاعليته وقدرته إلى الغير، والمفتقر إلى الغير ممكن بالذات، هذا خلف»^(٢).

أقول: لا يلزم من بطلان التسلسل وتعدّد القدمات كون فعله بذاته، بل نقول: [أول] (٣) إبداعه وخلق المشیئة بنفسها، لا بمشيئة زائدة، ولا آلة زائدة، ولا بذاته تعالى، وخلق غيره

(١) «شرح أصول الكافي» طبعة حجرية، ص ٣٥٢. (٢) «شرح أصول الكافي» طبعة حجرية، ص ٣٥٣.

(٣) في النسختين: «أو».

بها، فإنه ركن لها، ولا يكون شيء إلا بمشيئة، وتكون المشيئة متممة للمشاء، كالشرط والوقت والكمّ والمادة، لذاتها لا لنقص في القدرة، والذات في فاعليتها، وأي كمال ومخالفة تمكن فوق الإيداع بنفس المبدع.

ولو كانت بنفس الذات وجعله - وكثيراً: أن الذات هي الفاعلة، بحقيقة ذاتها تجلّت وظهرت - أوجب القول بالمناسبة والربط بينها والخلق.

وتفرّقا في وجه المناسبة، إما أنها القدر المشترك المعنوي أو اللفظي، أو لوازم معه تعالى، أو الأعيان الثابتة، أو كونه كلّ الوجود، أو أنّ له ضميراً، إلى هذه الأقوال الباطلة، ويلزم جميعها سيرورة المفعول ذات الفاعل وبالعكس، وحصول التغير واختلاف الأحوال عليها، وهو سمة الإمكان المبطل للوجوب.

وكله لما عجزوا عن صدور الشيء بنفسه بتجلّي الذات، فهو نفس التجلي، لا نفس الذات، وصدرت الأشياء بفعله، وأنه أتم لها وأكمل، ولكونه [آيته] ^(١) الدالة عليه، فافهم. قال: «وقوله: (لا بتفريق آله) أي لا بالآلة مغايرة لذاته، وهي من لوازم كون للآلة آله» ^(٢). أقول: انظر إلى صريح الخطأ، لما تفرّع من ذلك الأصل الباطل، ولزوم الفقر والنقص وغيرهما، من كون [له] ^(٣) آله هي ذاته، لا خفاء فيه إن اعتبرت مغايرة بوجه ما، وإلا فلا آله. ومراد الإمام نفي الآلة عنه في فعله، بل أبدعه بنفسه، وكذا مفعوله؛ لأنه خلقه بالمشيئة لتتميمه، لا للاستعانة بها، كيف وهي خلقه وفعله المخلوق؟ وبحسب نفسها ومن دونها أقوى الذوات وأشرفها وأجمعها، ولا يكون ذلك آله له للاستعانة، كالصانع بها، ولا بدّ من كونها من غير خلق الصانع، فلو كانت منه لا يصدق صنعته بها، لأنها منه.

وكأنه يريد أن يثبت نسباً في ذات الله، مستجئةً ظهرت بتجلّي الذات، فهي كالمرآة لها، فهذا وجه المناسبة، وهذا مفرّج على القول بأن الفاعلة الذات بذاتيتها، لا بالظهور، وهو غيرها، بل [آليتها] ^(٤) بغير مثال وحد وكيف، ولا مناسبة بين ذات الفاعل ومفعوله، بل هي بينه وفعله، وله مناسبة ظهورية، لا ذاتية بالنسبة إلى الذات، كالسراج والأشعة، وليس هو مقام الذات، فنقول: لم يكن العالم ثم خلقه.

قال - بعد كلام يعرف ما فيه ممّا سبق، كما يظهر لمن وقف عليه - : «وقوله: (الباطن لا

(٢) «شرح أصول الكافي» طبعة حجرية، ص ٣٥٣.

(١) في «أ»: «آيته».

(٤) في «ب»: «آليتها».

(٣) من «ب».

باجتنان) أي باستتار، بل بطونه لأجل شدة ظهوره، كما سبق. قوله: (والظاهر) لأن وجوده مجرد عن الفواشي الساترة، والوجود نفس النور والظهور^(١).

أقول: هو جعله كل الوجود، وغيره عدماً ونقصاً، ليكون هو الذوات، ولا ظهور حينئذ، فإنه غير ذات الظاهر، وإنما ظهوره بالآثار والقيومية الحادثة، والإمداد الذي لا غنى عنه، والصفة الدالة، وبها استر ويطن، لا بذاته، وهذا منه تفريع على ما سبق، وكله خطأ، وهو نفس النور، أي الوجود بذاته، لا كل وجود.

وفرق بين ظهور الذات والذات، وإن كان ظهورها بها، فإنها صفتها وقائمة بها قيام صدور، لا قيام عروض، ولا ركنية ولا لزوم، وأسمائه: (الخالق) و(الظاهر) و(الباطن) و(المجيب) و(المصور) ومالها من النسب، فإنما هو بعد الخلق وظهور الدلالة والوصفية الدالة، والدهاء والنداء، لا في مقام الذات، فلا وجود لها معها أو فيها، بل معدومة بغير عدم فرضي، أو محقق فيها أو معها، ولا تكون الذات مادة لها، فهي بفعله ومنه.

قال: «وقوله: (البائن لا يتراخي مسافة) لأنه منزّه عن الأبعاد والأجرام، والمسافات والحركات، بل مباينته للأشياء لكمال ذاته وشدة وجوده، ونقص وجود الأشياء وضعفها»^(٢).

أقول: لما قال بوحدة الوجود، أو بالشيخ والظل، فوجود الممكن والواجب واحد، نظرنا عليه صفة الإمكان والوجوب، والشرف والنقص، ونحو ذلك، ويكون كالكلّي، وبهذا فسر بينونة الصفة، ونفي بينونة العزلة، والمباينة بالمقابلة، ومباينة العزلة باطلّة، وكذا قوله، ولا ذكر للأشياء في الذات ومعها، بل معدومة، ومباينتها للأشياء حينئذ يلزم كونها مباينة صفة، ولا يكون للصفة ثبوت في مقام الموصوف، بل منقطعة دونه.

والوجود صفة ظهوره، ومعرفته بهذا يعني بينونة الصفة، لا كما أشار له في كلامه وصرّح به في غير موضع من كتبه، ويحتمل إرادة البين الظهور، لا المباينة، وظاهر كلامه أن التفاوت بينها وبينه بالشدة والضعف، والضعف يرجع إلى الإمكان، وهو اعتباري، وتجمعها حقيقة واحدة، وجوده تعالى؛ لأنه عنده كل الوجود، كما صرح به في كتبه^(٣).

وأيضاً لما قالوا بالربط والمناسبة بين ذات الصانع وصنعه، وأدخلوه في المفاهيم الكلّية، يلزمهم كون وحدته عددية، وأن يتحوّل في خلقه عمّا كان عليه قبل، لحصول

(١) «شرح أصول الكافي» طبعة حجرية، ص ٣٥٣. (٢) «شرح أصول الكافي» طبعة حجرية، ص ٣٥٣.

(٣) «كتاب المشاهر» ص ٤٩، «الشواهد الربوبية» ص ٤٧، «الأسفار الأربعة» ج ٢، ص ٣٦٨، ج ٦، ص ١١٠.

الكثرة الاعتبارية وحدودها القائمة بالذات، ولغير ذلك، على قواعدهم المجتثة، وإلى باقي الصفات، ولو من جهة ما قالوه - فيما يوهم التشبيه -: إنَّ نسبتَه له من جهة ظهور الحق بمرايا الخلق^(١).

قوله: ﴿أزله نهياً^(٢) [لمجاول]^(٣) الأفكار، ودوامه ردد لطامحات

العقول، قد حسر كنهه [نوافذ]^(٤) الأبصار، وقمع وجوده جوائل الأوهام﴾.

أقول: قد عرفت امتناع ذاته من جميع ما يمكن في الإمكان بعضه، مجرد أو غيره، حتى تجرّده ليس تجرّداً إضافياً، كتجرّد العقل، فقد قطعت مجاول - أو محاول - أفكار القلوب، وانقطعت دونه، وكذا بصائر القلوب والأبصار، وكذا (جوائل الأوهام) أو (الأفكار) على بعض النسخ.

و (الأفكار) - هنا - : أوهام، فكلّ مميّز مدرك بوجه، مخلوق مثلنا، مردود إلينا، كيف وشعاع الشمس إنما ينتهي إلى أسفل فعل الشمس، وهو فوّارة النور، وانتهاء فعلها لنفسه، وسبق لك: (خلق الله المشيئة بنفسها، وخلق الخلق بالمشيئة)^(٥) فانتهاه الممكن لمثله. وأيضاً أزله ودوامه لا يسع غيره، فلا مجال فيه لمخلوق مطلقاً، لأنّه حين ذاته تعالى، بكلّ وجه واعتبار، والتقديم لا يسع الحادث وبالعكس، وأيضاً هو مجهول مطلق ذاتاً، ولا تعلم ذاته بوجه، ولا يعرف إلا بما عرف به نفسه.

وإنما وصف ذاته لنا بما ظهر لنا، وعرف معرفة توصيف، فلا يخرج من الأزل شيء ولا يدخل فيه داخل، لأنّه نفس الذات، فلا يدرك أحد كنهه، ولا يعرف حقيقة ذاته غير ذاته بغير مغايرة، وقصارى ما يمكن في التعبير لنفي الاثنية - وأنه ليس في مقام الذات إلا الله - ذلك، فوجب من ذلك قصور العقول وغيرها، وانقطاعها دونه، كما قال الله: ﴿وَأَنْ إِلَى رَبِّكَ الْمُنْتَهَى﴾^(٦)، وعنهم ﴿يُنْتَهَى﴾: (إذا انتهى الكلام إلى الله هزّ وجلّ فأمسكوا)^(٧). والخلق لا يدرك

(١) انظر: «مفاتيح الغيب» ص ٣٣٥، نحوه.

(٢) في «ب»: «لهاول».

(٣) في «أ»: «نوافذ».

(٤) في «ب»: «لهاول».

(٥) «الكافي» ج ١، ص ١١٠، باب الإرادة، ح ٤، وسبق في: «هدي العقول» ج ٥، باب ١٤، ح ٤، وفيه: «ثم

(٦) «التنجم» الآية: ٤٢.

خلق الأشياء» بدل: «وخلق الخلق».

(٧) «التوحيد» ص ٤٥٦، ح ٩.

إلا مثله، ولا تشير الآلة إلا إلى نفاثرها وأشكالها.

والله منزّه عن ذلك، فلم يتغيّر عمّا هو عليه بخلقه الخلق، وإنما يُنزل بما تعرّف لهم بهم، وهي معرفة توصيف، بما ظهر لهم بهم، لا على ما هم عليه من الصفة، وإلا تساوى الخالق والمخلوق، والدليل والمدلول، وهو محال، فلا تدرك ذاته بوجه، ولأنه ليس من جنس الممكن، والشّيء إنما يدرك ويحيط بما كان من جنسه، فلا يعرفه أحد ويصفه إلا بما وصف نفسه له به، فالكلّ منقطع دونه.

ثم نرجع ونقول: نسخة التوحيد هكذا: (الظاهر لا يتّحاذ، الذي قد حَسرت دون كُنْهه نواقِد الأَبصار، وامتنع وجوده [جوائِل الأوهام] ^(١) ^(٢) ولم يذكر هاتين الجملتين.

وأكثر النسخ التي رويناها: (نهي) - بفتح النون وإسكان الهاء - والمعنى: أن (أزله نهي)، ومنع [المحاول] ^(٣) - بالحاء المهملة - | الأفكار | أي لاحتياها، فلا احتيال لها فيه، وكذا دوامه الذي هو عين أزليته، بمعنى عدم صحّة الزوال عليه، هذا في التعبير، وإلا ففي نفس الأمر عبارة عن كون الذات على ما هي عليه أولاً، بلا كيفية، ولا كمية قاطع لما تطمحه العقول، فلا غاية له بوجه أصلاً، فليس أزله وأبده عبارة عن الأزمنة المتطاولة، كما قيل، وإلا لم تنقطع، [وتعدّي - بالتشديد] - كقولهم: *تعدّى*

ف (كنهه) فاعل و (نواقِد) مفعول، وذلك لعدم دخول كنهه في فكر أو بصر، وكذا (قمع) بمعنى قطع ومنع.

وفي نسخة محمد صالح: (أزله نهي لمجاوِل الأفكار) ^(٤)، وقال: «التهية - بضم النون وسكون الهاء وفتح الياء المثناة من تحت - اسم من: نهاء، ضد: أمره» ^(٥). وجعل ^(٦) هذه النسخة في بعض النسخ، ولا تأثير في المعنى.

والحاصل: أن الواجب مع صفاته لما انقطع الكلّ دونه، وعلا على الكلّ، فلا مدخل لجولان الفكر - أي زمانه أو مكانه - في ذاته ولا صفاته، بل (نواقِد الأَبصار)، أي الأَبصار

(١) من المصدر.

(٢) «التوحيد» ص ٥٧، ح ١٤.

(٣) في «أه»: «مجاوِل».

(٤) (٥) «شرح المازندراني» ج ٤، ص ٢٣٧، ٢٥١.

(٦) حيث قال: «وفي بعض النسخ: نهي، بدون التاء». «شرح المازندراني» ج ٤، ص ٢٥١.

الناقدة القوية النقد. فإضافة (مجاول) و [طامحات] ^(١) و (نواقذ) و (جوائل) إلى مضافاتها، من قبيل إضافة الصفة إلى موصوفها. حاسرة: قاصرة دونه، وقد عرفت ذلك.

قوله: ﴿فَمَنْ وَصَفَ اللَّهَ فَقَدْ حَدَّهُ، وَمَنْ حَدَّهُ فَقَدْ عَدَّهُ، وَمَنْ عَدَّهُ فَقَدْ أَبْطَلَ أَزْلَهُ﴾.

القول: إذ كل موصوف محدود؛ لاقتضائها ذلك، وكل محدود معدود، فمن حدّه فقد هدّه؛ لتناهيه - حينئذٍ - فيعدّ، فهذا لازم العدد، وكل معدود ليس بأزلي، فهو حادث، فما كان واجباً، هذا خلف.

وكلامه ﷺ هنا من قبيل الأقيسة المتلاحقة، المحذوفة النتائج، وفي خطب النهج ^(٢) وغيرها مثله كثير.

فنفي ﷺ بذلك زيادة الصفات مطلقاً، حتى اعتباراً، والألزم الحدّ، حيث كان معه غيره، كما هو لازم المغايرة، فقد قال في موضع آخر: (من وصفه فقد قرنه) ^(٣).

قوله: ﴿وَمَنْ قَالَ: أَيْنَ؟ فَقَدْ عَيَّاهُ، وَمَنْ قَالَ: عَلَامَ؟ فَقَدْ أَخْلَى مِنْهُ، وَمَنْ قَالَ: فِيمَ؟ فَقَدْ ضَمَّنَهُ﴾.

القول: خير خفي أن المكان محدود متناه، وكذا الزمان، وكذا ما حلّ فيه، فلا يسأل من الله بـ «أين»، والأكان له غاية، وهو موجب التناهي والحدوث، والله لا غاية له، ولا ينافي إبطال المكان بالنسبة له بدليل آخر، كلزوم الإخلاء، وهو لا يدخل منه مكان، والافتقار وغير ذلك. وكذا من قال: علامّ استقراره؟ يلزمه خلو مكان منه، بل أمكنة، وهو تعالى لا يدخل منه مكان، بل يلزم أن تخلو جميع الأشياء منه، أمّا غير الشيء المعتمد هو عليه [فظاهر، وأمّا المعتمد عليه] ^(٤) فهو أقوى منه، فهو مُمدّه ومقرّبه، فليس اعتماده على شيء، بل على

(١) في النسخين: «طوامح». (٢) «نهج البلاغة» الخطبة: ١، ١٥٢.

(٣) «نهج البلاغة» الخطبة: ١، وفيه: (من وصف الله سبحانه فقد قرنه).

(٤) ليست في «ب».

قدرته، وقدرته ذاته بلا اختلاف الذات والمعنى.

وكذا لا يُسأل عنه بـ «في» الظرفية، فإنه في كل شيء، ومن يكون كذلك لا يقال: [فيه:]^(١) في جهة أو شيء، والآن لم كونه في ضمنه، ومحاطاً به، وهذا أهم من المكان. فاستبان أنه تعالى لا يُسأل عنه بشيء من هذه الأشياء جميعاً، لاستلزامها الحدوث المنزّه عنه، وذلك من وجوه ظاهرة، فلا يحدّ في قلب، ولا يكون جزءاً من غيره، والآن كان في ضمن الغير محاطاً به، وكذا لا يحيط به شيء، ولا يعتمد على آخر، ولا مكان له ولا زمان له.

□ الحديث رقم ﴿٦﴾

قوله: ﴿عن فتح بن عبد الله - مولى بني هاشم - قال: كتبت إلى أبي [إبراهيم] ^(٢) أسأله عن شيء من التوحيد، فكتب إلي بخطه: الحمد لله الملهم عباده حمده - وذكر مثل ما رواه سهل بن زياد إلى قوله: وقبح وجوده جوائل الأوهام - ثم زاد فيه - : أول الديانة به معرفته، وكمال معرفته توحيده، وكمال توحيده نفي الصفات عنه، بشهادة كل صفة أنها غير الموصوف، وشهادة الموصوف أنه غير الصفة، وشهادتهما جميعاً بالثنائية، المستتبع منه الأزل، فمن وصف الله فقد حدّه، ومن حدّه فقد حدّه، ومن حدّه فقد أبطل أزلّه﴾.

أقول: ورواه الصدوق في التوحيد^(٣) عن الفتح بن يزيد الجرجاني، عن أبي الحسن الرضا^(ع).

وقد أفاد^(٤) فوائد:

اللدالة الأولى: أن أول الديانة - وهي ما يدان به* ويخضع له، وهي الشريعة الواردة من النبي ^(ص) عن الله تعالى، فهي طاعة مخصوصة - معرفته تعالى، وهي أول خطب النهج: (أول الدين معرفته، وكمال معرفته التصديق به، وكمال التصديق به توحيده، وكمال توحيده

(١) ليست في «ب».

(٢) في النسختين: «عبد الله».

(*) «أي ما يجعله من دينه. ب».

(٣) «التوحيد» ص ٥٦، ح ١٤.

الإخلاص له، وكمال الإخلاص له نفي الصفات عنه، لشهادة كل صفة أنها غير الموصوف، وشهادة كل موصوف أنه غير الصفة، فمن وصف الله سبحانه فقد قرّنه، ومن قرّنه فقد ثنّاه، ومن ثنّاه فقد جزّاه، ومن جزّاه فقد جهّله، ومن جهّله فقد أشار إليه، ومن أشار إليه فقد حدّه، ومن حدّه فقد عدّه، ومن قال: فيم؟ فقد ضمّنه، ومن قال: علام؟ فقد أخلّ من منه، كائن لا عن حدث، موجود لا عن عدم^(١)... إلى آخره.

وفي غير النهج - كالميون^(٢) وغيرها - كثير في التصريح منهم عليهم السلام بأن أول الدين المعرفة، كما هو مذهب جماعة^(٣).

والمراد بها المرادف للمعلم هنا، فمقابلها الجهل البسيط، لا التي مقابلها الإنكار، التي لا تكون إلا بعد اليقين، وحصول الانشراح للقلب والاتساع له، فهذا ليس بأول الدرجات، فإنها - بهذا المعنى - العلم شماعها؛ لأنه صورة، وهي أعلى منه.

وقال جماعة^(٤): إن أول الواجبات هو النظر؛ لتوقف حصول المعرفة عليه، فيكون هو الواجب أولاً.

وغير خفي أن النظر شرط لها، فيكون أوليته أولية الشرط، فالعبارة بالمشروط، وهو المعرفة، فيصح أنها أوله، هذا مع أن المعرفة ليست بمتوقفة على النظر، الذي هو حركة الذهن من المبادئ إلى المطالب، وترتيبها بالنسبة إلى كل فرد فرد، فإن حصول المعرفة للمعصوم ليس بمتوقفة على ذلك، ولا مكتسبة به، وكذا قد تحصل المعرفة لغيره بسياق المسألة مع برهانها كالسائح، أو بإفاضة أو تعليم معلم، من غير حركة ذهن ونظر من السامع.

فحصول المعرفة في جميع ذلك ليس بمتوقف على النظر، الذي هو حركة الذهن من المبادئ إلى المطالب، وترتيبها بالنسبة إلى كل فرد فرد، فلا تكون مطلقاً متوقفة عليه، فلا يصح جعلها ثانية، والنظر أولاً.

(١) «نهج البلاغة» الخطبة: ١. (٢) «عيون أخبار الرضا» ج ١، ص ١٥٠، ح ٥١.

(٣) انظر: «مناهج اليقين» ص ١١٢، «إرشاد الطالبين» ص ١١٣، «الجلي» طبعة حجرية، ص ٥٧.

(٤) هو مذهب معتزلة البصرة وأبي إسحاق الاسفرائيني والسيد المرتضى وابن نوبخت، انظر: «إرشاد الطالبين»

وقيل: ^(١) أول الواجبات القصد إلى النظر، إذ النظر فعل اختياري، وكل فعل اختياري مسبق بالقصد، فيكون هو الواجب أولاً.

وتقضت الكبرى بالقصد نفسه، فإنه فعل اختياري، وليس بمتوقف على قصد، وإلا لزم التسلسل.

وأجيب بأنه ليس بفعل اختياري، والحق أنه ليس كل فعل اختياري متوقفاً على قصد - أي نية - بل ما سواه متوقف عليه، أما هو فموجود بنفسه، كالتنية ليست بمتوقفة على نية أخرى وهي فعل اختياري، وكصورة العلم، وكذا الإرادة، دفعا للتسلسل. هذا، وما يتوقف عليه الشيء - أي الأمور السبعة - لا يكون شيء إلا بها، وإن اختلفت فيها باعتبار التمييز، وهي: المشيئة، والإرادة، والتقدير، والقضاء، والإمضاء... إلى آخره. لا يقال: إنها خارجة عنه، وهي أول بالنسبة له، كيف وهي مقامات وجود له، وإن اختلفت إبهاماً وتخصيصاً؟ كما سيوضح ^(٢) لك آخر الأبواب إن شاء الله تعالى.

أما ما نقل عن بعض المتكلمين، كما في المجلي ^(٣) وغيره ^(٤): أن أول الواجبات الشك - تشبهاً بأن المطلوب بالنظر لا يكون معلوماً، وإلا لزم تحصيل الحاصل، وهو محال، ولا مجهولاً؛ لاستحالة توجه النفس إلى المجهول المطلق، وما لا شعور لها به، فلا بد من كونه معلوماً ببعض الاعتبارات، مشكوكاً في حصوله وتصوره، أو في ثبوت الحكم أو سلبه، فكان النظر مسبقاً بالشك - فساقط؛ لأنه لا يلزم [تدرج المعرفة، وحينئذ لا شك، كما في ذي القوة القدسية.

وأيضاً لا يلزم] ^(٥) حصوله في غيره أيضاً، لجواز كونه خالي الذهن، وتصوره بوجه لا يلزم شكّه فيه بكذا وكذا.

وقيل ^(٦) في دفعه أيضاً: بأن الشك ليس بداخل تحت الاختيار، فلا يقع التكليف به، فليس هو أول الواجبات، فتمين أن أولها المعرفة.

(١) هو مذهب إمام الحرمين، انظر: «مناهج اليقين» ص ١١٢، «إرشاد الطالبين» ص ١١٣، «الجلي» طبعة حجرية، ص ٥٧.

(٢) «هدى العقول» ج ٧، باب أنه لا يكون شيء في السماء والأرض إلا بسببه.

(٣) «الجلي» طبعة حجرية، ص ٥٧. (٤) انظر: «مناهج اليقين» ص ١١٢.

(٥) ليست في «ب». (٦) «الجلي» طبعة حجرية، ص ٥٨.

وفي حواشي المجلي، بخط ابن أبي جمهور: «وفي الاستدلال بقول أمير المؤمنين عليه السلام، على كون المعرفة أول الواجبات، نظر: إذ لا يلزم من كون المعرفة أول الدين كونها أول الواجبات؛ لأنَّ للقاتل أن يقول: الواجبات ليست بداخلة في الدين، وإلا لكان من ترك شيئاً من الواجبات يلزمه الخروج من الدين، وذلك إنما يتم على مذهب المعتزلي، ومن قال بمقاتته؛ لأنَّ المراد بالدين هنا الإسلام والإيمان»^(١) انتهى.

أقول: وغير خفي ضعفه لمنع هذا القول، فإنَّ الواجبات داخلة، وعدم خروج التارك لبعض، إذا لم يكن عن استحلال، وإلا فيخرج إجماعاً ونصاً، ولا تلزم الوسطة مع جواز إرادة الإيمان، هذا مع أن مراتب الإيمان متفاوتة.

وورد: (لا يزني الزاني حين يزني وهو مؤمن)^(٢) في كتب الأصول غير خفي، ومعلوم أن المعصية ليست من روح الإيمان.

تنبيه: قال الشيخ مبني في شرح النهج - بعد أن ذكر احتمال كون المعرفة هي المرتبة الأولى من مراتب المعرفة التامة، التي هي غاية المعارف ونهاية مراتب السلوك - : «وحينئذ يكون المراد من كونها أول الدين أوليتها عقلاً، وهو إشارة إلى كونها حلةً خائية، إذ العملة الغائبة متقدمة عقلاً على ما هي حلة له، وإن تأخرت وجوداً»^(٣).

أقول: وغير خفي بعده عن العبارة، فإنه عليه السلام جعلها أولاً ولها كمال، ويعدده درجات أيضاً، وكل واحدة كمال لما قبلها، وذلك إشارة إلى اختلاف مراتبها، وهذا لا ينطبق مع إرادتها بالمعنى الذي هو غاية الدرجات.

ثم وكونها خاية، وهي متقدمة عقلاً، غير مفيد ودال على التقدم الوجودي أولاً، كما هو ظاهر كلام الإمام عليه السلام، كيف وأول ما تبدو المعرفة إنما هي كاللمحة [واللحظة]^(٤) الضعيفة، وإن ازدادت بعدً وانشرحت، حتى تدور على نفسها، إذ حركتها دورية، فتدبر.

الفائدة: الثانية: أثبت عليه السلام مراتب خمسة، وجعل كمال كل سفلى بالدرجة التي فوقها،

(١) لم نثر عليه في حواشي نسخة «المجلى» المتوفرة لدينا.

(٢) «الكافي» ج ٢، ص ٣٢، ح ١.

(٣) «شرح نهج البلاغة» للشيخ مبني البحراني، ج ١، ص ١٢٠، باختصارٍ ما.

(٤) في «أ»: «واللمظة».

وفي خطبة الأصل جعل المراتب ثلاثاً، بإدخال التصديق في الأولى، والاخلاص في مراتب التوحيد، والأمرهين. وهذا يدل على أمرين:

أحدهما: أن كمال كل مرتبة بما بعد، وهو ظاهر؛ لأنها بالنسبة لها كالمادة والصورة، وتخرج بها من القوة إلى الفعل، كيف، وكل سافل فاضل طينة العالي؟
ثانيهما: أن معرفته تعالى مقولة بحسب التشكيك، قابلة للشدة والضعف - كما يؤمن إليه لفظ (أول) و(كمال) - في الدرجات، وهو مما لا شبهة فيه.

أما نقلاً فظاهر، نصاً وقرآناً، كقوله تعالى: ﴿لِيُزَادُوا إِيْمَانًا مَعَ إِيْمَانِهِمْ﴾^(١) ﴿وَالَّذِينَ اهْتَدَوْا زَادَهُمْ هُدًى﴾^(٢) ﴿فَأَمَّا الَّذِينَ آمَنُوا فزَادَتْهُمْ إِيْمَانًا﴾^(٣).
وعنه عليه السلام: (لو علم أبو ذر ما في قلب سلمان لقتله)^(٤).

وفي كتاب الشيخ حسن الحلبي في الرجعة: «سلمان في الدرجة العاشرة، وأبو ذر في التاسعة»^(٥)... إلى آخره، وعنه عليه السلام: (لا يعرف الله إلا أنا وأنت يا علي)^(٦).

وأما عقلاً، فلكونه تعالى غير معروف بذاته من حيث هي، إذ ليس هو بمحسوس ولا موهوم، وإنما يعرف بآياته، وأعلام الشهود التي أقامها عليه تعالى، وهي مختلفة الدلالة، شدة وضعفاً - وإن اشتركت فيها - لاختلاف مراتبها، وفعاليتها حسب درجتها، وكذا الناظر يختلف حسب القوة، وكذا التصديق الحاصل له.

والنور القلبي من الكيفيات النفسانية، وهي مما تقبل الاشتداد والضعف، فهم درجات عند الله، والله عزيز من أن يحيط به ممكن، أو ينتهي له في حد، حكيم في أفعاله، فلا يمنع أحداً ما في وسعه من معرفته تعالى، وهو بالدليل الدال عليه، الذي هو غيره في جميع مراتب السير والتفكير، في المملك والملكوت، جملةً وفردى.

فأوضح أنها مراتب متفاوتة، سواء قيل بأنها التصديق وحدها، كباقي الصفات النفسية

(١) «الفتح» الآية: ٤. (٢) «محمد» الآية: ١٧.

(٣) «التوبة» الآية: ١٢٤.

(٤) «بصائر الدرجات» ص ٢٥، ح ٢١، «مختصر بصائر الدرجات» ص ١٢٤.

(٥) «مختصر بصائر الدرجات» ص ١٢٥، باختصار.

(٦) «مشارك أنوار اليقين» ص ١١٢، «مختصر بصائر الدرجات» ص ١٢٥، بتفاوت، ونحوه في: «بهار الأنوار»

التي تقبل الشدة والضعف، أو للعمل مدخل، فإنه متفاوت، فأين تصديق ذي الدرجة الأولى من السبع، أو ذي الجزء الأول من الأربعين، بل [ذي] (١) حشر من أخصار الأجزاء، وما فوقهم ١٩

وهذه الأحاديث في باب الطينة وغيرها من الكافي (٢)، وفي البصائر وغيرها.
وقال تعالى: ﴿وَلَا تَيْمَنُوا النَّخِيَّتَ مِنهُ تُنْفِقُونَ﴾ (٣) - وورد في تفسيرها (٤) بنقصان المؤمن روحه * حال المعصية - ﴿وَقُلْ رَبِّ زِدْنِي عِلْمًا﴾ (٥) ﴿وَفَوْقَ كُلِّ ذِي عِلْمٍ عَلِيمٌ﴾ (٦) وظهر وجه الحصر في: ﴿إِنَّمَا الْمُؤْمِنُونَ الَّذِينَ إِذَا ذُكِرَ اللَّهُ وَجِلَّتْ قُلُوبُهُمْ﴾ (٧).
وفي حديث الطينة: قلت: إن الإيمان يزيد وينقص؟ قال: (نعم) (٨).

وفي حديث بث الإيمان في الجوارح *، إلى أن قال السائل: قد فهمت نقصانه، فأين زيادته؟ فقال ﷺ: (قوله تعالى: ﴿وَإِذَا مَا أَنْزَلْنَا سُورَةً فَمِنْهُمْ مَن يَقُولُ أَلَيْسَ هَذَا الَّذِي آمَنَّا بِمَا قَالُوا الَّذِينَ آمَنُوا فَرَادَتْهُمْ إِيمَانًا وَهُمْ يَسْتَبْشِرُونَ﴾ وأما الذين في قلوبهم مرض فزادتهم رجساً إلى رجسهم) (٩) وقال: ﴿نَحْنُ نَقُصُّ عَلَيْكَ نَبَأَهُم بِالْحَقِّ إِنَّهُمْ فِتْنَةٌ آمَنُوا بِرَبِّهِمْ وَزِدْنَاَهُمْ هُدًى﴾ (١٠)، ولو لم يكن فيه زيادة ونقصان، لم يكن لأحد فضل على الآخر، وتساوى الناس وبطل التفضيل، ولكن بتمام الإيمان دخل المؤمنون الجنة، وبالزيادة فيه تفاضل المؤمنون في الدرجات عند الله... الحديث (١١).

أقول: ويصرح بذلك أيضاً مرتبة علم اليقين وحقه وعينه، وأشير لها في سورة التكاثر

- (١) من «ب».
- (٢) «الكافي» ج ٢، ص ٤٤ - ٤٥، ح ٢ - ٣.
- (٣) «البقرة» الآية: ٢٦٧.
- (٤) «الكافي» ج ٢، ص ٢٨٤، باب الكبائر، ح ١٧.
- (٥) «طه» الآية: ١١٤.
- (٦) «يوسف» الآية: ٧٦.
- (٧) «الأنفال» الآية: ٢.
- (٨) لم نعثر عليه في أحاديث الطينة، وفي: «بحار الأنوار» ج ٦٦، ص ٢٠٩، نقلاً عن «شرح المقاصد» ج ٥، ص ٢١٢: «ومن ابن حمر، قلنا: يا رسول الله، إن الإيمان يزيد... إلى آخره».
- (٩) «فكل جارحة عصت ذهب إيمانها، أو ضعف علمها، ضعف إيمانها، وهو ما ورد: (الإخلاص روح العمل)» [حاشية «أ»].
- (١٠) «الكهف» الآية: ١٣.
- (١١) «الكافي» ج ٢، ص ٣٧، باب في أن الإيمان مبثوث لجوارح البدن كلها، ح ١، نقله بالمعنى، صححناه على المصدر.

وغيرها، فلا تركز إلى قول من قال - كما حكاه الشهيد في رسالة الإيمان وغيره - : «إن الإيمان إذا قلنا: إنه التصديق، لا يقبل الزيادة - سواء أتى بالطاعات أو لا - ولا النقيصة، والآن لم يكن ثابتاً. وأيضاً لو قبلت حقيقة الشيء الزيادة والنقصان لم تكن حقيقة واحدة، بل حقائق، وللزم الشارع بيانها؛ لأنه حينئذ مراتب بحسب كل مكلف، ولم يُعهد ذلك»^(١).

أقول: وردّه ظاهر، إذ التصديق من الكيفيات النفسانية، وهي قابلة لهما عقلاً ونقلًا ووجداناً، وكيف لا تزيد بالطاعة، وهي أطراف عقلية مقربة ومكملة للنفس، ولكن إن وقعت عن إقبال ومعرفة، وكذا المماضي مُبعدة ومسوّدة، والآن لم يُنَّه عنها، وساوت الطاعات، وليس قبوله لهما باعتبار أخذ أول الدرجات، فدخول الإيمان إنما يكون بتمامه، بل في كماله وسيره، إذ هو متزايد حسب حركة السائر؟

مع أنا نقول: وحدته نوعية، ويُنَّ الشارع الدرجات وأمر بالاستباق، وكيف لا تكون والإنسان دائماً في الحركة، بل ذلك الأمر الإجمالي البسيط الأولي ينشرح ويتسع بالتفصيل، فلا يلزم شيء مما ذكر.

وقول بعض المفسرين في قوله تعالى: ﴿لَيْسَ عَلَى الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ جُنَاحٌ فِيمَا طَعِمُوا إِذَا مَا اتَّقَوْا وَآمَنُوا﴾ إلى ﴿الْمُخْسِنِينَ﴾^(٢): «إن الإيمان المكرر معناه واحد، لا زيادة فيه، وإنما هو بحسب الأزمنة»^(٣) ساقط، وضعفه ظاهر، فاستبقوا الخيرات، وتنافسوا في الدرجات.

الفائدة: الثالثة: مراتب المعرفة خمس، وإن كانت باعتبار الأفراد غير محصورة، إذ لكل فرد مقام ورتبة تخصه، من حيوان ومعدن ونبات وملك ﴿لَا تَلْبَسُوا كُلَّ ثَوْبٍ هَذَا﴾^(٤).

المرتبة الأولى: الإقرار به، وبما جاء به محمد ﷺ لساناً، سواء كان القلب بخلافه - وهو معنى الإسلام - أو لا يكون كذلك، بل مسلماً بظاهر اللسان، وهي أول مراتب الإيمان، ولهذا خوّف بعض أهل هذه المرتبة بقوله تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لِمَ تَقُولُونَ مَا لَا تَفْعَلُونَ﴾ كَبُرَ مَقْتًا جِنْدًا أَلْمِ ﴿الآية﴾^(٥)، فإنها نزلت في منافق كُتِّبَ بعض الصادقين بأبي

(١) «حقائق الإيمان» ص ٩٦. (٢) «المائدة» الآية: ٩٣.

(٣) انظر: «تفسير البيضاوي» ج ١، ص ٢٨٢، نحوه. (٤) «السجدة» الآية: ١٣.

(٥) «الصف» الآية: ٢ - ٣.

الملاهي، وهو من أهل قوله تعالى: ﴿ وَجَعَدُوا بِهَا وَأَسْتَيْقَنَتْهَا أَنفُسُهُمْ ظُلْمًا وَعُلُوًّا ﴾^(١) مع أنه سمّاه مؤمناً بالإقرار اللساني.

وقال في بعض آخر: ﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا آمِنُوا ﴾^(٢) فوصفهم به أولاً وأمرهم به ثانياً، ويجري على الأول أحكام المؤمنين ظاهراً، (وهو عند الله كافر)، كما في رواية حفص^(٣)، ورواية العليل^(٤) المبيّنة لبعض حلال جلوس علي^{عليه السلام}، ورواية شاذان في الفضائل، والروايات به - في الأصول والفقيه وغيرهما - كثيرة.

وكمال هذه المرتبة بالمرتبة الثانية: وهي ما سبق، مع التصديق القلبي واعتقاد جميع ذلك.

وفي رواية محمد بن مسلم، عن أبي عبد الله^{عليه السلام} قال: سألته عن الإيمان، فقال: (شهادة أن لا إله إلا الله، وأن محمداً رسول الله، والإقرار بما جاء من عند الله، وما استقر في القلوب من التصديق بذلك) قال: قلت: الشهادة أليست عملاً؟ قال: (بلى)، قلت: العمل من الإيمان؟ قال: (نعم، الإيمان لا يكون إلا بعمل، والعمل منه، ولا يثبت الإيمان إلا بعمل)^(٥).

فالإقرار وإن كفى في الأولى - كما دلّت عليه صحيحة جميل^(٦) - لكن أردفه بالثانية ضمناً بقوله: (الإيمان لا يكون) ويلزمه حينئذ أن ينزه الله التنزيه، بل لكل مرتبة تنزيه. وكمال هذه المرتبة بالثالثة: وهي جميع ما سبق مع جذب العناية من القيام بالأعمال، وتنزيهه عن الشركاء، ويعرف ذلك بالبرهان القاطع للشبهات.

وكمال هذه بالرابعة: وهي ما سبق، مع زيادة الورع بترك ما لا يسرّ به، وكمال تنزيهه والإخلاص له مطلقاً، فهو - حينئذٍ - في نهاية الرضا والتسليم، فالرخاء والشدة والصحة والمرض واحد.

وكمال هذه بالخامسة: وهي ما سبق، مع زيادة العمل خياً وشهادة، مع شدة المراقبة، وتنزيهه عن كلّ الصفات، فلا صفة وموصوف، بل ذات أحدية هي كلّ الكمال والوجود

(١) «الغل» الآية: ١٤.

(٢) «النساء» الآية: ١٣٦.

(٣) «الكافي» ج ٢، ص ٤٠، باب في أن الإيمان مبثوث لجوارح البدن كلها، ح ٨.

(٤) «حلال الشرائع» ج ١، ص ١٧٧، ح ٣.

(٥) «الكافي» ج ٢، ص ٣٨، باب في أن الإيمان مبثوث... ح ٣.

(٦) «الكافي» ج ٢، ص ٣٨، ح ٦.

الواجبي، وما سواه فعله وظهوره، فهو دالٌّ، ولا محالة مقهور تحت حيطته وسطوته، ويظهر له حينئذٍ معنى: ﴿وَاللَّهُ مِنْ قَدَائِهِمْ مُجِيبٌ﴾^(١).

وليست هذه الصفات المنفية التنزيه الأولي، فهو من الكمالات السابقة، فقوله ﷺ قياس موصول، وهو المركب الذي [يُطَوَّى فِيهِ]^(٢) ذكر النتائج، وإذا ذكرت ظهر أنَّ النتيجة المرادة أخيراً: أنَّ كمال المعرفة نفي الصفات، وذلك ظاهر، أو تأخذه من حيث اللزوم، إذ كمال كمال الشيء كمال لذلك الشيء، وهو ظاهر أيضاً.

وقد سبق لك عدم منافاة سلب الصفات - لوروده بها، وأمره تعالى بها، كيف وطباع الوجود تشهد به؟ ولكن لا نفي تعطيل - مع بيان ما في كلام العلماء هنا.

أما مرتبة معرفة محمد ﷺ وآله ﷺ فهي فوق هذه الرتب كلها، لا يبلغ أحد لمعرفتها، وكذا معرفته ﷺ وآله ﷺ متفاوتة رتبة، كمعرفته تعالى.

ففرق بين معرفتهم بالبشرية، [أو بها]^(٣) مع الإقرار بعصمتهم، وأنهم رسل الله، أو مع البرهان عليه وعلى معجزاتهم، أو مع معرفتهم بالنورانية وكمال التصرف الغيبي، كما قالوا لجندب وغيره: (لا يكون المؤمن مؤمناً حتى يعرفنا بحقيقة النورانية)^(٤) و«يستكمل»: تنزيه مناسب أيضاً، وإن كانوا في جميع هذه المراتب لا يخرجون عن حدود العبودية [وكلاً]^(٥)، وبسط ذلك ممَّا يطول ويحتاج إلى مجلد خاص، والإشارة كافية للفظن الناظر بنور الله، المطلع على الروايات.

القاعدة الرابعة: استدلُّ على أنَّ كمال معرفته تعالى نفي الصفات | عنه | بقياس ظاهر جلي، مناف لكونه واجباً، وهو أنَّ مدلول كلِّ صفة وموصوف دون الآخر، فمن قرن معه صفة، ولو بالمغايرة الاعتبارية - كما زعمه بعض الإمامية^(٦) محاماة على المعنى اللغوي - (فقد نأه)؛ لأنه حينئذٍ اثنان، فيكون [متجزئاً، والتجزئة تستلزم الجهل به، لأنه ليس بمتجزئ... إلى آخره.

ومن وصفه أيضاً (فقد حدّه) بالموصوفية، وجعل له حدَّ الاثنينية، فيكون [٧] حينئذٍ

(١) «البروج» الآية: ٢٠. (٢) في «ب»: «يطرى عليه». (٣) في «أ»: «أولها». (٤) «بحار الأنوار» ج ٢٦، ص ١، ح ١، نقله بالمعنى. (٥) ليست في «ب». (٦) انظر: «هدى القول» ج ٥، ص ٣٠ - ٣٢. (٧) ليست في «ب».

ممدوداً، وهذا يبطل أزاله الثابت، فليس ما يوصف به قائماً به، أو دالاً على أنه معه شيء معلوم أو مجهول، بل على ذات كاملة.

ومعلوم - بلا شك - أننا إذا قلنا: ذاته صفاته، وأنه أحدي خالص، لا صفة وموصوف، وما نميزه وتوهمه مخلوق مثلنا، ومن أنوار وجوده الدالة عليه، ومرّ البيان في أبواب الصفات مشروحاً.

ومراده بشهادة الصفة: أي دلالتها بنفسها على المغايرة، حيث يقال: صفة وموصوف، وذلك ظاهر.

قوله: ﴿ومن قال: كيف؟ فقد استوصفه، ومن قال: ليم؟ فقد ضمته، ومن

قال: علام؟ فقد [جهله]»، ومن قال: أين؟ فقد أدخل منه، ومن قال: ما

هو؟ فقد نعته، ومن قال: إلى م؟ فقد غاياه».

أقول: قد عرفت استحالة السؤال عنه بـ «أين» و«كيف»، و«على» و«إلى» و«متى» و«ما» للحقيقة، وشرحها مبرهنأ، فسبحان من لا يخلو منه شيء، ولا يفوته ولا يحويه ولا ينتهي، والأحدُ وزاد، فيكون حادثاً، ولا كيفية له، والأكانت معه واقتقر.

وأيضاً ممّا يبطل جميع ذلك - وما مائله عنه ﷻ - إيجابها التحول والانتقال والمشابهة، وهو محال عليه تعالى.

وأيضاً هو تعالى إنما ظهر ظهور صفة دلالة لا إحاطة، فلا يجري عليه شيء من ذلك، ولا فرق في ذلك بين كونه قبل العالم ولا معه ولا بعده، لا كما قاله الملائكة والكاشاني ومحمد صادق، كما سبق ويأتي، فسبحان من كان ولا شيء معه مطلقاً، وهو على ما كان فيما لم يزل، وعرفت أن أزاله يقطع جميع ذلك، فتفطن.

قوله: ﴿عالم إذ لا معلوم، وخالق إذ لا مخلوق، وربّ إذ لا مربوب، وكذلك

يوصف ربنا، وفوق ما يصفه الواصفون».

أقول: سبق^(١) معنى جميع ذلك، ومعلوم قصور الكلّ عن وصفه، إذ لا كيفية لها ولا حدّ، وأيضاً لا يحاط بذاته، وكذا صفاته الذاتية، وإنما يوصف ويُعبد بما ظهر لخلقه به، وهمّ فهم في آيات وجود الأشياء، فكلّ ما يوصف به هو فوقه، فإنّ انتهاء الممكن إلى الإمكان. وأسماءه تعبير، وصفاته تفهيم، وصفها لخلقه لدعائه وندائه، وهي صفات فعل ودلالة، دالة عليه تعالى.

وبوجه آخر: العبد قاصر عن أداء ما عليه من جهة الواجب، والألم يكن له عليه فضل، فيساويه، ويخرج من رتبة العبودية، وهو محال. قال ﷺ: (لا أحصي ثناء عليك، أنت كما أثنيت على نفسك)^(٢).

□ الحديث رقم ﴿٢﴾

قوله: ﴿عن أبي إسحاق السبيعي، عن الحارث الأعور، قال: خطب أمير المؤمنين ﷺ [يوماً]^(٣) خطبةً بعد العصر، فعجب الناس من حسن صفته، وما ذكره من تعظيم الله جلّ جلاله. قال أبو إسحاق: فقلت للحارث: أو ما حفظتها؟ قال: قد كتبتها، فأملأها علينا من كتابه﴾.

أقول: الضمير في (صفته) هائد إلى أمير المؤمنين ﷺ، ولا شك في قصور العقول عنه، فهو خزانة العلم والحكم والفصاحات، والمراد بـ (ما ذكره) ما ستسمع من كلامه، فقد اشتمل على تنزيهه تعالى وتمجيده، على أبلغ وجه وأتمّه. وجعل محمد صالح^(٤) ضمير (صفته) هائداً للربّ أيضاً، وما قلناه أتم، كما هو ظاهر.

قوله: ﴿الحمد لله الذي لا يموت ولا تنقضي عجائبه، لأنه كلّ يوم [هو]^(٥) في شأن، من إحداث بديع لم يكن، الذي لم يلد فيكون في العزّ

(١) راجع: «هدي العقول» ج ٥، باب صفات الذات، شرح ج ١.

(٢) «بهار الأنوار» ج ٩٤، ص ٢٢٨. (٣) ليست في المصدر.

(٤) «شرح المازندراني» ج ٤، ص ٢٦٢. (٥) ليست في «ب» والمصدر.

مشاركاً، ولم يرلد فيكون موروثاً هالكا، ولم تقع عليه الأوهام فتقدّره
شبحاً مائلاً، ولم تدركه الأبصار فيكون بعد انتقالها حائلاً ﴿١﴾.

أقول: أثبت لله - بعد الحمد - الأزلية، لسلبه الموت عنه، المقتضي للتنقل من حالة إلى
أخرى، والاستكمال بعد النقصان، ثم أثبت عدم تناهي وجوده، بل (كُل يوم) - والمراد به
مطلق الوقت - (في شأن، من إحداث) أمر (بديع) مستبدع حسن، (لم يكن) حاصلًا قبل، كما
يشاهد من تغيّرات العالم وزيادته صفة وذاتاً، ولا إحداث إلا لأمر لم يكن.
فبطل قول من قال: ﴿يَدُ اللَّهِ مَغْلُوبَةٌ خُلَّتْ أَيْدِيهِمْ﴾ - وهم اليهود القائلون بأن الله أمسك
عن الجود وفرغ - ﴿بَلْ يَدَاؤُا سَبَّوْطَانِ يُنْفِقُ كَيْفَ يَشَاءُ﴾^(١). وكيف ينقطع جوده وهو غير
متناه؟ وإلا لتناهى ذاتاً، وهو يقتضي الحدوث.

واعلم أن الذي أوجب لليهود والنظام الخروج عن الاستقامة، هو أن الله تعالى متعال
عن الزمان والتجدد والمكان، فنسبة الصنع التدريجي البديع إما أن يكون بالتدرج، فيكون
متجدد الذات زمني الذات، وهو منزّه عنه، أو يكون نسبتها له تعالى دفعة واحدة لا على
التدرج، فلا يفعل شيئاً بعد شيء، فلهذا ذهبت اليهود^(٢) إلى أن الله فرغ من الأمر، وذهب
النظام وجماعة من أصحابه المعتزلة^(٣) إلى أن الله تعالى أخرج جميع الموجودات من
العدم إلى الوجود دفعة، بلا تقدّم ولا تأخر.

قال صاحب الملل والنحل: «من مذهبه أن الله خلق الموجودات دفعة واحدة، على ما
هي عليه الآن، معادن ونباتاً وحيواناً وإنساناً، ولم يتقدّم خلق آدم ﷺ على خلق أولاده، غير
أن الله تعالى أكرم بعضها في بعض، والتقدّم والتأخر إنما يكون في ظهورها في مكانها، دون
حدوثها ووجودها، وإنما أخذ هذه المقالة من أصحاب الكمون والظهور من الفلاسفة»^(٤).
فاستمع لإيضاح الحال وهو: أن الله تعالى منزّه عن التجدد والتقصّي، ذاتاً وصفة وفعلًا،
لوجوب تنزّهه عن الحدّين في جميع ذلك، وأن معيته للأشياء ليست معية زمانية، أو
مكانية أو إمكانية بذاته تعالى، لتنزّهه عنها، كما عرفت في غير موضع.

(١) «المائدة» الآية: ٦٤. (٢) انظر: «الملل والنحل» ج ١، ص ٢٦٢.

(٣) انظر: «شرح المواقف» ج ٨، ص ٣٨٠.

(٤) «الملل والنحل» ج ١، ص ٧٠، بتفاوت يسير، صححناه على المصدر.

وقد عرفت أيضاً أن [حقيقة] ^(١) الزمان هي التقضي، وهي نسبة المتغير إلى المتغير. أما نسبه إلى الدهر، فجميع الحدود حاضرة لا تجدد فيها، [نسبة] ^(٢) الماضي والحال والاستقبال نسبة واحدة، فضلاً عن نسبتها [للمنزه] ^(٣) عن الزمان والدهر والسرمد، الذي أبدع مجموع العالم من غير مدة ومادة، وله حينئذ الحدوث الذاتي، لا الزماني، وأوجد الممكنات التكوينية، كلاً في أمكنة حدوده غير المتناهية ﴿وَاللَّهُ مِنْ وَرَائِهِمْ مُحِيطٌ﴾ ^(٤).

فالتجدد إنما هو بملاحظة الزمان؛ لأن الأشياء حاضرة عنده، لا دفعة زمانية، بل وغيرها، كل في مقامه، قبل تكوينه عند نفسه وغيره وبعده واحداً، وليس فعله دفعةً زمانياً ولا تدريجياً ولا انطباقياً، [بل] ^(٥) بمحض مشيئته، وإمداد الوجود له في نفس الأمر، وهو ما يحصل له. وظاهراً هو الزمان الذي هو صفة الجوهر الهولاني المتصور بالصور، بواسطة ما تجلّى له به في مقامه، لا في الأزل، والله خالق بفعله ومنزه عن المعالجة.

وهذه الوحدة الفاعلية الإمكانية، بحسب مقارنات ظهورها، تأتي على الدهر والزمان إلى ما لا نهاية، وما في الإمكان يزيد على الكون، وجفّ القلم وفرغ من الأمر بوجه، لا مطلقاً، ولا يتصور بالنسبة لفعله فراغ وانقطاع، لعدم انقطاع إمداده، فضلاً عن ذاته، والنسبة مع الفعل، والله مع الأشياء بما هو دونها، من غير مازجة ومداخلة ذاتية، وهذه النسبة ترجع لفعله، ولا رابطة بينه وبين خلقه، وفعله واحد لا نهاية له، بإمداده له به، ولا نهاية لما فيه، فإنه الخزانة [الفعلية] ^(٦) بين الكاف والنون، ويزيد على ما في الكون.

فجميع شؤونه يصدق عليها أنها شؤون يبديها، لنص: ﴿وَإِنْ يَنْ شِئْءٌ إِلَّا حِسَابُنَا حَافِئَةٌ﴾ ^(٧) وشؤون يبتدئها، قال: ﴿كُلُّ يَوْمٍ هُوَ فِي شَأْنٍ﴾ ^(٨) ﴿يَمْحُو اللَّهُ مَا يَشَاءُ وَيُنْثِثُ﴾ ^(٩) والأبطل الدهاء والتكاليف، والخلق بمقتضى الأسباب.

فوجود فعل الشمس - وهو شمس النور - واحد، دفعة سرمدية لا نهاية لها، ولها شؤون ظهورية، وله أسباب كثيرة، فهو كالمفعولات والمشاءات، ونورها كالأمر الفاعلي بوجه، أو المفعولي بوجه، ومتجددات منسوبة إليه بجهة السفلى، لا بنسبة الأمر الفاعلي.

- | | |
|-------------------------|---------------------------------------|
| (١) في «أ»: «حقيقية». | (٢) في «أ»: «نسبته»، وفي «ب»: «نسبة». |
| (٣) في «أ»: «للمفسرة». | (٤) «البروج» الآية: ٢٠. |
| (٥) من «ب». | (٦) في «ب»: «الظلي». |
| (٧) «المحجر» الآية: ٢٦. | (٨) «الرحمن» الآية: ٢٩. |
| (٩) «الرحم» الآية: ٣٩. | |

فبطل القول بالنسبة والرابعة، ولزوم التعميل، وأنه فرغ من الأمر، كما تقوله اليهود، وكذا الدفعة النظامية، فالواقع وما عليه الخلق بخلاف ذلك.

أو نقول: تعلق الأمر بإيجاد الكائنات إلى ما لا نهاية عند الله واحد، كل حين وجوده، [ولانسبة استقبالية وماضية بالنسبة له، فكل موجود عنده تعالى حين وجوده] (١) قبل وجوده، والتجدد والزوال نسبة بعضنا لبعض، فصح: (جف القلم) (٢) من غير لزوم ما ذكره اليهود وأشباههم، ولا لزوم الدفعة، أو أنها شؤون إبدائية مطلقاً، كما زعمه الكاشاني (٣) في رسالة العلم وغيره، ولا نفاذ لفيضه ولا انقطاع، ولا مضي فيه وحال واستقبال، فلا يتصور: قرغ ومضى.

والأشياء نسبتها له منقطعة عند فعله، لا بحسبها في نفسها، وتتجدد الإمداد فلا نهاية له، وهذا البحر الجاري بين الكاف والنون، وهو أقرب من لمح البصر، أو هو أقرب. ولا شيء أقرب إليه من شيء، ولا أبعد أيضاً، والاختلاف [والتعدد] (٤) والقرب والبعد راجع لغير ذلك، وقد سبق منا، فراجع.

[ولم يسند التغير للجليل، بل في مقامات الوجود] (٥) كل في أمكنة حدوده وحدوده أو مكانه، كما في عالم الإبداع، أما إذا نسب إلى الله فليس معه شيء، وليس إلا الله الحق، وما سواه باطل، فلا نسبة، بل الله القاهر فوق عباده ذاتاً وصفة، لكونها بفعله الصادر عنه في مقامه، وأين الفعل من ذات الفاعل؟ وحينئذ فلا إشكال أصلاً.

ثم نزهه عن الوالد، وألزم المشاركة ذاتاً (ولم يؤلد) وألزم جواز الزوال عليه، وانتقال كماله لغيره، الذي هو ولده، (ليكون موروثاً)، وإن أريد بالولد كمال القرب فلا مشاركة وبنوة، ومر (٦) لك شرح جميع ذلك في تفسير: ﴿قُلْ هُوَ اللَّهُ أَحَدٌ﴾. فسبحان من ليس معه غيره، كان على ذلك لم يزل، وهو الآن على ما كان، ولا يزال كما عليه كان. ومر دليله نصاً وبرهاناً، وهذا يوضح لك الجواب الثاني، فافهم.

(١) من «ب».

(٢) «التوحيد» ص ٣٤٠، ح ١٠، ص ٣٤٣، ح ٣، بتفاوت يسير.

(٣) انظر: «كلمات مكنونة» ص ١٥٢ «الوأي» المجلد ١، ص ٣٥٤.

(٤) في «أ»: «والبعد».

(٥) ليست في «ب».

(٦) انظر: «هدي العقول» ج ٤، ص ١٣٤.

ثم نفى عليه السلام عنه تعالى تقدير الوهم له وتصويره، كما يتصور الأشباح والأمثال الخيالية،
والأقام فيها قيام الشبح [الممثل] ^(١) للذهنيات، وكذا الأبصار لا تدركه، وأثبت الحائل
بعد انتقالها عنه، فتقطع الرؤية، فتختلف عليه الحالات والتنقلات، وهو عليه غير جائز.
وفي بعض النسخ: (خائلاً) - بالخفاء المعجمة - أي يكون بعد انتقاله متخيلاً في الخيال،
إلى غير ما ذكر، مما يبطل توهمه وإدراكه، كما سبق.

قوله: ﴿الذي ليست في أوليته نهاية، ولا لأخريته حدٌ ولا غاية، الذي لم
يسبقه وقت، ولم يتقدمه زمان، ولا يتعاوره زيادةٌ ولا نقصان، ولا يوصف
بأين ولا بيم ولا مكان، الذي بطن من خفيات الأمور، وظهر في العقول بما
يرى في خلقه من علامات التدبير، الذي سُئلت الأنبياء عنه فلم تصفه
بعُد ولا ببعض، بل وصفته بفعاله، ودلت عليه بآياته﴾.

أقول: قد استبان لك أن أوليته تعالى ليست بزائدة على ذاته، إذ ليست أمراً نسبياً
ملاحظاً فيها الغير، ولا بأمر قائم بذاته، قديم معه، فلا يصح أن يكون له أولية، لا حقيقية
ولا تقديرية. وكذا أخريته التي هي أوليته، والأل كان له أولية، فلا حدٌ ينتهي إليه، كآخر
المسافة والزمان، و(لا غاية) كما للمبرأة عنه، الخارجة عن حيطته، و(لم يسبقه وقت)،
والأ كان زمانياً متناهيًا، فهو قبل القبل بلا قبل.

وحيث كان واجباً ذاتياً، وكماله كذلك فعلياً، فلا تكون فيه جهة إمكانية، فلا يجوز عليه
التغير، لا ذاتاً ولا صفةً ولا فعلاً، إذ ما بالذات لا يزول، ليس بفاقد كمال بذاته، ولا قاهر له،
ولا يُسأل عنه بـ «أين» ولا: ما، ولا مكان - وكأنه أريد بالأين الزمان - ولا: إلى، إذ لا غاية له،
وجميع ذلك مرّ بيانه.

ثم بعد أن حدد صفاته السلبية، ونزه ذاته القدسية، أشار إلى كماله؛ لئلا يلزم التشبيه
والمشاركة، إذ لا مشاركة بين الممكن والواجب أصلاً، فأشار إلى أن معنى بطونه: استبطانه
للخفيات، أي علمه، وكذا ظهوره، أي بالآيات للمقول والدلالات [لا] ^(٢) بنفس ذاته، كما
تزهمة المتصوفة والنصارى، بل بعلامات الصنع والتقدير، وكمال النظام والتدبير، وقد

سمعت: (بها تجلّي صانعها للعقول) (١)، و (تجلّي لها بها) (٢)، وقال ﷺ:

وفي كلّ شيء له آية [تدل على أنه الواحد] (٣)

والآيات والروايات الدالة عليه كثيرة مرّ جملة منها.

ومعلوم أنّ الصنعة لو لم تدلّ على صانعها، كما لا وتنزيهاً، لم تكن صنمته، وهذا ظاهر، ولهذا بيّنت الأنبياء بها السبيل منه، إذا سُئلوا عن المبدأ والمعاد، كما سمعت من الباب الأول (٤) وغيره، حيث أمر الله (بالرجوع إلى الآثار)، كما في دعاء الحسين (٥) ﷺ في حرفة وغيره.

وقال تعالى: ﴿ قُلِ انظُرُوا مَاذَا فِي السَّمَوَاتِ ﴾ الآية (٦) ﴿ سَتَرِيهِمْ آيَاتِنَا ﴾ الآية (٧)، ولم يجيبوا عن الذات ببيانها، لاستحالة، كما سلك إبراهيم الخليل ﷺ مع النمرود، لما سُئل عن الحقيقة (٨).

ومعلوم عدم إدراك المكيف المحدود المنزّه عنه، ولا نسبة بينه وبينه بوجه أصلاً، وإنما ظهر له به، فلا يتجاوز نظره غير مقام وجوده، وفرضه التفكير والنظر في نفسه وباقى آيات الوجود وشهود الدلالة، فلذا قال ﷺ: (الذي سُئلت الأنبياء)... إلى آخره، إذ كلّ ما يعرف بحقيقته محاط به، وهو حادث ليس بواجب وجوده، والله لا يوجد بحقيقة، بل بصفة، وكذا توحيد، ولذا أحال على آياته في الكتاب والسنة، ولا يُعرف إلا بها، وكيف لا ينظر لها وهي أوّل السير؟ بل كلّ فرد مقيد لا يخرج، وإن كان مطلقاً بوجه.

وأيضاً مقام التجلّي إنّما يكون بالتقييد، ولكن فرق بين النظر بجهة دون جهة، فإنّ الدليل الإلهي في نفس الأمر لم ي بوجه وبالعكس.

وليس معنى اللَّمّي كما زعمه أهل النظر، كما عرفت في باب: أنه لا يعرف إلا به (٩)، وقد عرفت أنّ أدلة المتكلمين وحكماء الطبيعة والمشائين لا تخرج عن النظر إلى المخلوق،

(١) «نهج البلاغة» الخطبة: ١٨٦. (٢) «نهج البلاغة» الخطبة: ١٨٥.

(٣) «ديوان أبي العتاهية» ص ١٢٢، ولم نجد مصدراً ينسبه للإمام ﷺ.

(٤) «الكافي» ج ١، ص ٨١، باب حدوث العالم، ح ٥، وسبق في: «هدي العقول» ج ٣، باب: ١، ح ٥، وفيه:

(وجود الأفاعيل دلّت على أن صانعاً صنعها). (٥) «إقبال الأهل» ص ٦٦٠.

(٦) «يونس» الآية: ١٠١. (٧) «فصلت» الآية: ٥٣.

(٨) إشارة إلى قوله تعالى في: «البقرة» الآية: ٢٥٨. (٩) «هدي العقول» ج ٣، الباب الثالث.

ولا استدلال به، كما مرّ متفرّقاً في أبواب إثبات الذات والصفات.
 أمّا الجواب عنه تعالى بوصف محدود، أو مكان أو تجدّد أو غير ذلك، كما أثبت له
 أهل الأهواء الضالة المضلّة، فغير مطابق للواقع، وغير قائم بالذات الواجبة، فهو
 بخلاف ذلك، فلم يجيبوا به الأنبياء، وحاشاهم عن الخروج عن الاستقامة، وأن يغلب
 عليهم الشيطان.

قوله: ﴿ لا تستطيع عقول المتفكرين جمعه ﴾ لأنّ من كانت السموات
 والأرض فطرته، وما فيهنّ وما بينهنّ، وهو الصانع لهنّ، فلا مدفع لقدرته،
 الذي نأى من الخلق فلا شيء كمثلته، الذي خلق خلقه لعبادته، وأقدرهم
 على طاعته بما جعل فيهم، وقطع عذرهم بالحجج، فمن بيّنه هلك من
 هلك، وبمنه نجا من نجا، والله الفضل مبداً ومعيداً ﴿١﴾.

أقول: غير خفي أنّ دلالة الصنعة على صانعها دلالة ذاتية لا تتخلّف، فمن فكر فيها -
 بما دلّته عليه الحواس - لا يمكنه إنكاره، وكيف ينكره وهو بنفسه دالّ؟
 ثمّ استدلّ على ذلك بظهور خلق السماوات والأرض، وعلى ما هي عليه من الأحكام
 والإتقان، وهو ظاهر (فلا مدفع لقدرته) وهذه آثارها، مشاهدة محسوسة، فلا محيص عن
 إثباته تعالى، أمّا عقل غير المفكر فيجمعه عناداً، وإلا فأهلام وجوده دالة عليه، وإن لم يقرّ
 بها لسانه، وكيف يدفع ما هو عام لجميع حالات الإنسان، وكذا الآفاق؟
 ثمّ أردفه ﴿٢﴾ بما يدفع توهم الممازجة والمداخلة من شدة الظهور ووضوحه، بقوله:
 بائن من كلّ شيء، فلا مثل له ولا شبه^(١)، بل بأنّ بغير مزايلة، وإلا كان له مثل وشبيه، فلا
 تكون مزايلة فصل، ويلزم منه أن لا يكون قربه بممازجة، وإلا كان له مثل.

ثمّ بيّن الحكمة في خلقه عباده، لا لغاية كانت فتعود له، و﴿ لا ﴾^(٢) ليستكثر به أو يأنس
 به، بل لعبادتهم المقتضية لنقلهم، فخلقهم مختارين، وأقدرهم على السبيلين، وقطع
 أهدارهم بإرسال الرسل ﴿ رُسُلًا مُّبَشِّرِينَ وَمُنذِرِينَ لِئَلَّا يَكُونَ لِلنَّاسِ عَلَى اللَّهِ حُجَّةٌ بَعْدَ

(١) معنى قوله ﴿٢﴾ في المقطع السابق: (الذي نأى من الخلق فلا شيء كمثلته).

(٢) في النسختين: «إلا».

الرُّسُلِ ﴿^(١) فَأَبَانَ الْحَجِجَ بِهِمْ وَبِالْعُقُولِ، فَهُوَ شَرَعٌ دَاخِلٌ^(٢)، وَهُمْ وَاسِطَتُهُ خَبِيئاً أَيْضاً. وَأَمَهْلٌ وَلَا [يَعَاجِلُ]^(٣)، وَإِنَّمَا يَعْجَلُ مَنْ يَخَافُ الْقَوْتَ، فَهَلْكَ مَنْ هَلَكَ عَنْ ظَهْوَرِ الْحَبَّةِ وَوَضُوحِهَا، وَتَنَكُّبِهِ الرِّشَادِ عَنْ اخْتِيَارِ وَاتِّبَاعِ لِلنَّفْسِ وَأَهْوِيَّتِهَا، (وَبِمَنَّةٍ نَجَا مِنْ نَجَا)، حَيْثُ مِنْهُ الْبَيَانُ، وَهُوَ أَوْلَى بِالْحَسَنَةِ [مَنَّا]^(٤)، وَكَانَتْ نَجَاتِنَا مِمَّا يَسَّرَ وَشَرَحَ وَبَيَّنَّ، (وَفِي الْفَضْلِ) وَالْمَنَّةُ (مَبْدُئاً وَمَعِيداً) لَهُ، حَالِ إِيجَادِ الْعَالَمِ وَنَقْلِهِمْ، كَيْفَ وَالْحَبَّةُ قَبْلَ الْخَلْقِ وَمَعَهُ وَبَعْدَهُ؟ فَتَدَبَّرْ.

قوله: ﴿ثُمَّ إِنَّ اللَّهَ - وَلَهُ الْحَمْدُ - افْتَتَحَ الْحَمْدَ لِنَفْسِهِ، وَخَتَمَ أَمْرَ الدُّنْيَا، [وَمَعَلَّ]^(٥) الْآخِرَةَ بِالْحَمْدِ لِنَفْسِهِ، فَقَالَ: ﴿وَقَضَىٰ بَيْنَهُمْ بِالْحَقِّ وَقِيلَ الْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ﴾^(٦).

أقول: إذ الحمد إظهار الثناء على الجميل، وأول الإيجاد دال عليه؛ لأنه جود محض لا [يَعْرَضُ]^(٧)، بل حلة صنعه صنعه. وكذا آخره، وكذا أول الكتاب الرقمي ﴿الحمد لله﴾ وكذا آخره الثناء، وإن لم يكن بلفظ الحمد، وكذا هو محمود لذاته، فهو كما أنشئ على نفسه، وهذا بداية ونهاية بلا فرق.

ثم أشار بقوله تعالى: ﴿وَقِيلَ الْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ﴾ إلى ختم أحوال الناس بالحمد، فإن ذلك بعد الحساب واستقرار أهل الجنة فيها، وكذا أهل النار، ولهذا افتتح الإمام أولاً بالحمد والثناء، وختم به، وهكذا سيرتهم في الخطب [والكلمات]^(٨) الجامعة، وقد ورد: (كُلُّ أَمْرٍ ذِي بَالٍ لَمْ يَبْدَأْ فِيهِ بِحَمْدِ اللَّهِ فَهُوَ أُبْتَرٌ)^(٩).

ومعلوم أن بدء الثناء منه، وإليه تنتهي الغايات، وجوده أولاً وأخيراً.

(١) «النساء» الآية: ١٦٥.

(٢) إشارة إلى قول الإمام أبي الحسن الكاظم عليه السلام: (إن لله حجتين: حجة ظاهرة، وحجة باطنة، فأما الظاهرة فالرسول والأنبياء والأئمة عليهم السلام، وأما الباطنة فالعقول). «الكاظمي» ج ١، ص ١٦، كتاب العقل والجهل، ح ١٢.

(٣) في النسختين: «تعاجل».

(٤) في «ب»: «ومجل».

(٥) في النسختين: «تمرض».

(٦) في النسختين: «والكلمات».

(٧) «الدر المنثور» ج ١، ص ٢٣٥ «كنز العمال» ج ١، ص ٥٥٨، ح ٢٥٠٩، ٢٥١٠، بتفاوت يسير.

والمجلة: الصحيفة التي فيها الحكمة، والمجل أيضاً - بكسر الجيم وسكونها - : ما يجتمع من الماء بين اللحم والجلد، من شدة العمل وكثرته^(١)، ويقال له: [بثرة]^(٢)، وهو عبارة عن الشدة، ولفظ الحديث لا ياباهما، وكذا معناه.
وفي نسخة التوحيد: (الفتح الكتاب بالحمد لنفسه)^(٣).
وفي بعض نسخ الكافي: (مجل) بالجيم، ثم لام مشددة.

قوله: ﴿الحمد لله اللابس الكبرياء بلا تجسيد، والمرتدي بالجلال بلا تمثيل، والمستري على العرش بغير زوال، والمتعالي على الخلق بلا تباعد منهم، ولا ملامسة منه لهم، ليس له حد ينتهي إلى حده، ولا له مثل فيعرف بمثله، ذل من تجبر غيره، وصغر من [تكبر]^(٤) دونه، وتواضعت الأشياء لعظمته، وانقادت لسلطانه وهزته، وكلت عن إدراكه طرف العيون، وقصرت دون بلوغ صفته أوهام الخلائق﴾.

أقول: قد سبق لك معنى كبريائه وعظمته في باب معاني الأسماء^(٥)، ومعنى العرش والاستواء، وفي الملامسة والمباينة، وكذا نفي المثل والباقي، وبيان الوجه في وصفه بصفة الإضافة وملاحظة الغير، في غير موضع.
ولمحمد صادق هنا كلام سابق، وهكذا كلامه، فلنذكره، وردّه ظاهر ممّا سبق، فلنكتف به اختصاراً.

قال: ﴿اللابس الكبرياء﴾... إلى آخره، عبارة عن ذاته الأقدس، وهو لابس التعينات الخلقية، وكان ذاته الأقدم بلا جسد، وليس إرداء الجلالة حال كونه كان له مثل؛ لأنه وجود صرف، ولا مثل له، وهو مستور (على العرش)، أي جميع الخلق (بلا زوال) في أصل ذاته، ففي إحاطته بخلقه هو هو، لا يزيد ولا ينقص، وهو محيط بهم بالعلم الحضورى، وإذا أحاط بالخلق ظاهراً وباطناً، فهو أقرب إليهم من حبل الوريد، بلا ملامسة أو تباعد؛ لأن

(١) انظر: «المغرب» ص ٤٢٤، «لسان العرب» ج ١٣، ص ٣٢: «مجل».

(٢) في النسختين: «بثرة».

(٣) «التوحيد» ص ٣٢، ح ١.

(٤) في النسختين: «تجبر».

(٥) انظر أوائل هذا المجلد، الباب ١٦.

اللامسة بين المتباينين في الوجود، والله ليس مبايناً خلقه من وجه؛ لأنهم شؤونات ذاته وأشعة نوره وظلاله، فهو منه وليس الله، لبعده مرتبة الإمكان عن الوجود».

أقول: وهكذا باقي كلامه في الخطبة وغيرها، يرجعه إلى الذات وتعيينها وإحاطتها، واختلاف الوصف بالتعينات الذاتية، وسقوطه ظاهر ممّا سبق.

قوله: ﴿الأول قبل كل شيء، ولا قبل له، والآخر بعد كل شيء، ولا بعد له، الظاهر على كل شيء بالقهر له، والمشاهد لجميع الأماكن بلا انتقال إليها، لا تلمسه لامسة، ولا تحته حاسة، هو الذي في السماء إله وفي الأرض إله، وهو الحكيم العليم﴾.

أقول: سبق لك معنى الأسماء في باب معاني الأسماء^(١) ونفي الانتقال والنفي عنه في باب التنزيه، والآية في عنوان منفرد^(٢).

قوله: ﴿أتقن ما أراد من خلقه من الأشباح كلها، لا بمثال سبق إليه، ولا لغوب دخل عليه في خلق ما خلق لديه، ابتداء ما أراد ابتداءه، وأنشأ ما أراد إنشائه، على ما أراد من الثقلين الجن والإنس، ليعرفوا بذلك ربوبيته، وتمكن فيهم طاعته. نحمده بجميع محامده كلها، على جميع نعمائه كلها، ونستهديه لمرشد أمورنا، ونعوذ به من سيئات أعمالنا، ونستغفره للذنوب التي سبقت منا﴾.

أقول: اعلم أنّ من أتقن أو أحكم فعله بمثال سبقه، وعلى طريق [تحذاه]^(٣) وتبعه، فليس بمتقن، بل صانع المثال هو المتقن، والتابع عاجز، فلا يصح نسبة ذلك لله تعالى في خلقه، بل خلق ما خلق إبداعاً واختراعاً، بغير مدّة ومادّة، وعلى غير مثال خلا من غيره، ولم يدخل عليه من خلقه الخلق عجزاً، كيف ولا يؤوده حفظهما ولا ينقصه شيئاً؟

(١) (٢) انظر الباب: ١٦، ١٩، من هذا المجلد. (٣) في «ب»: «جعدان».

(ابتدا ما أراد [ابتداه، وأنشأ ما أراد] ^(١) إنشاء علي ما أراد) إذ لا خالق معه فيضادَه، ولا ممتنع عنه من خلقه، فيخلقهم كما أراد، وأراد الأكمل، فجعلهم مختارين، فبمشيئته شأؤوا، ويقوته طاعرا وعصوا.

وغير خفي ظهور الربوبية وتصاريفها - حينئذٍ - ظهور أفعاله، حسب إرادته فيهم، من صحّة وسقم، وغنى وفقر وهزم ونقض، وغير ذلك، وليعرفوا كمال تربيته لخلقهم أيضاً، فيعرفوه كمال معرفته، وتتمكّن فيهم طاعته كمال التمكّن.

وغير خفي أن كلّ ممكن سواهم يحمده تعالى بجهة، وإن كان الحامد ذا جهات، أمّا محمد ﷺ وآله ﷺ، أشرف الكلّ، فيحمدونه بجميع المحامد التي يحمده بها الخلائق وزيادة، لنص: (فسبحنا فسبحت الملائكة) ^(٢).

وفي كتاب الفضائل لابن شاذان وغيره أيضاً: (خلقت الملائكة من تسبيح علي ﷺ) ^(٣).
وعنهم ﷺ: (نحن الملمّون للملائكة) ^(٤) فهم ﷺ يسبحونه ويحمدونه بكلّ لسان، على جميع النعم الظاهرة والباطنة التي لا تحصى، كيف والحمد نعمة، وكذا غيره؟
أمّا استغفارهم لما يورثهم وقوع الذنب منهم، فإمّا لأجل التعليم، أو لسزولهم في هذه القوالب البشرية، وإن كان للإهداء ولم يثبوتوا بها، ولكنّه مقام [معصية] ^(٥)، وشاهدونها من غيرهم، وكذا تراحم الداهين فيستغفرون.

أو أنهم لكمال قربهم ومعرفتهم بخالقهم، وكمال علمهم الذي يعجز عن أقلّه الثقلان، لا يجدون له قدراً بالنسبة إلى الربّ تبارك وتعالى، وأبى الممكن والواجب؟ فيرونه ناقصاً فيستغفرون، لكن الاستغفار حينئذٍ ليس بمعناه عيياً أي مرجوعاً مخالفاً لله تعالى، ولا مشاحّة فيه.

(١) الزيادة من المقطع السابق في ح ٦ من هذا الباب.

(٢) «الاختصاص» ضمن «سلسلة مؤلفات الشيخ المفيد» ج ١٢، ص ٩١ «بحار الأنوار» ج ٢٥، ص ١، ح ٢.

(٣) «مائة منقبة» ص ١٤٢، المنقبة: ٨٠، وفيها: (إن الله خلق من نور وجه علي بن أبي طالب ملائكة يسبحون ويقدمون).. ونحوه في: «إرشاد القلوب» ج ٢، ص ٢٣٤ «مقتل الحسين» للخوارزمي، ج ١، ص ٧٠، ح ١٠.

(٤) «إرشاد القلوب» ج ٢، ص ١٢٩٧ «بحار الأنوار» ج ٢٦، ص ٣٤٥، ح ١٨، وفيه: (إن الملائكة تتعلم منا

التسبيح والتهليل). (٥) في «أ»: «معصيته».

أو لأن أهمال شيعتهم تعرض عليهم من زمن آدم إلى الساعة، [فما] (١) يلحقهم من التألم لما يرون من معاصيهم، فيستغفرون.
 أمّا الجواب (٢) المشهور بأنه من قبيل: «حسنات الأبرار سيئات المقربين» فغير قاطع، وإن اشتهر وقنع به جماعة (٣)، كما يظهر للفظن، وله وجه.
 أو من شدة قربهم، كما قال تعالى: ﴿ هُمْ مِنْ خَشِيَةِ رَبِّهِمْ تُشْفِقُونَ ﴾ (٤) لعدم خروجهم عن القدرة والإمكان، فدائماً هم في التقصير.
 أو لجمعهم أنواع جميع العبادات في كلِّ مقام، بحيث لا يسبقهم سابق إلى الغير في كلِّ مقام، وما ذكر من ذلك.
 أو لأجل التعليم كما قيل (٥)، لكن هذا لازم أقوالهم وأفعالهم، ولهم نصيب منه بحسب أنفسهم.

فاختر ما تشاء - من هذه الوجوه - ويحسن منها لديك، ولللبسط محلّ آخر.
 فزال القناع عن قوله ﷺ: (ونستغفره للذنوب)... إلى آخره، وقول السجّاد ﷺ في سجدة الشكر آخر الليل: (وعصيتك برجلي، ولو شئت وهزتك لخدمتني، وعصيتك بفرجي، ولو شئت وهزتك لعقمتني) (٦)... إلى آخره، وما ورد أنه ﷺ يستغفر الله في اليوم والليل سبعين مرة، بعد أن قال: إنه ليران على قلبه (٧)، وقوله تعالى: ﴿ لِيَغْفِرَ لَكَ اللَّهُ ﴾ الآية (٨)، وغير ذلك لتواتر البرهان والنص (٩) - سنة وقرآناً - على عصمتهم ﷺ مطلقاً، في كلِّ وقت، من أن الولادة، كما أوضحناه في غير موضع، وسيأتيك إن شاء الله تعالى في محلّه.

(١) في النسختين: «فلم».

(٢) «كشف الغمّة» ج ٣، ص ٤٧.

(٣) انظر: «الأربعون حديثاً» للشيخ البهائي، ص ٣١٣ «شرح أصول الكافي» طبعة حجرية، ص ٣٦٦.

(٤) «المؤمنون» الآية: ٥٧.

(٥) «وسائل الشيعة» ج ٧، ص ١٨.

(٦) «الكافي» ج ٣، ص ٣٢٦، باب السجود والتسبيح، ح ١٩، ضمن دعاء الإمام الكاظم ﷺ في تعقيب صلاة

الظهر، وهو ساجد، ونحوه في دعاء الإمام السجّاد ﷺ يوم عرفة، المروي في «إقبال الأعمال» ص ٦٧٢، وقد

صححناه عن المصدر الأول.

(٧) «كشف الغمّة» ج ٣، ص ٤٧، ولفظه: (إنه ليران على قلبي، وإني لأستغفر بالنيابة سبعين مرة).

(٨) «الفتح» الآية: ٢.

(٩) انظر: «بحار الأنوار» ج ١٧، ص ٣٤، باب: ١٥، ج ٢٥، باب: ٥.

قوله: ﴿ونشهد أن لا إله إلا الله﴾.

أقول: هنا فوائد:

العائدة الأولى: الشهادة إقرار وإخبار عما انمقد عليه الضمير وتيقنه، ووجوب الإقرار بالشهادتين ظاهر لمن تمكن منه ووسع الوقت، لامرية فيه، نصاً وإجمالاً، وخير خفي ثوابه حينئذ، وهذه أفضل الكلمات.

ففي التوحيد عن رسول الله ﷺ: (ما قلت ولا قال القائلون قبلي مثل لا إله إلا الله) (١).
وفيه عنه ﷺ: (خير العبادة قول: لا إله إلا الله) (٢).

وعن أبي جعفر ﷺ: (ما من شيء أعظم ثواباً من شهادة أن لا إله إلا الله، لأن الله عز وجل لا يعدله شيء، ولا يشركه في الأمر أحد) (٣).

وعن النبي ﷺ: (بشر الناس أنه من قال: لا إله إلا الله وحده لا شريك له، فله الجنة) (٤).

وعن الصادق ﷺ: (من ختم صيامه بقول صالح أو عمل صالح، تقبل الله منه صيامه)، ف قيل له: يا بن رسول الله، وما القول الصالح؟ قال: (شهادة أن لا إله إلا الله، والعمل الصالح إخراج الفطرة) (٥).

وعن النبي ﷺ: (من قالها مخلصاً استوجب الجنة، ومن قالها كاذباً عصمت ماله ودمه، وكان مصيره إلى النار) (٦).

وعنه ﷺ: (من قال: لا إله إلا الله، في ساعة من ليل أو نهار، طلست* ما في صحيفته من السيئات) (٧).

وعنه: (إن لله عز وجل عموداً من ياقوتة حمراء، رأسه تحت العرش، وأسفله على ظهر الحوت في الأرض السابعة السفلى، فإذا قال العبد: لا إله إلا الله، اهتز العرش وتحرك العمود

(١) «التوحيد» ص ١٨، ح ١، صحناه على المصدر.

(٢) «التوحيد» ص ١٨، ح ٢، صحناه على المصدر.

(٣) «التوحيد» ص ١٩، ح ٣، صحناه على المصدر.

(٤) «التوحيد» ص ٢٢، ح ١٥، صحناه على المصدر.

(٥) «التوحيد» ص ٢٢، ح ١٦، صحناه على المصدر.

(٦) «التوحيد» ص ٢٣، ح ١٨.

(*) الطلست: المر. انظر: «لسان العرب» ج ٨، ص ١٨٢، «طلست».

(٧) «التوحيد» ص ٢٣، ح ١٩، صحناه على المصدر.

وتحرك الحوت، فيقول الله تبارك وتعالى: اسكن يا حرشي، فيقول: كيف أسكن، وأنت لم تغفر لقائلها؟ فيقول الله تبارك وتعالى: اشهدوا سكان سماواتي أنني قد غفرت لقائلها^(١)،
 وعنه عليه السلام: (يقول الله جل جلاله: لا إله إلا الله حصني، فمن دخله أمن من عذابي)^(٢).
 وفي حديث آخر عن الرضا عليه السلام، إلى أن قال الراوي: فلما مرت الراحلة نادانا:
 (بشروطها، وأنا من شروطها)^(٣).

أقول: وجميع هذه الروايات في التوحيد مسندة، ولنكتف بذلك، وإلا فالروايات الدالة على ذلك متواترة من وجوه، حتى ورد أنه (لا يعدلها شيء)^(٤) في الميزان، وهو معلوم، فإن التوحيد لا [يعدله]^(٥) ويقابله شيء، فضده الشرك، وهو منحط عنه بكل وجه. وكذا كل طاعة، فإنه شرطها وروحها، والروح أفضل وأشرف من الجسم، وكذا مقام الشرط، وهو بحسب المتعلق، فلا يعدلها شيء، أو لعدم دخولها الميزان والوزن، فلا يعدلها شيء، أو لشمول التوحيد مرتبة الصفات والأفعال، وجميع أنواع العبادات والطاعات، فإن التوحيد يأتي عليها كلاً، فكل واحد منها توحيد في مقامه، أو به يقع [التمييز]^(٦) بين الموحّد وغيره، وكذا بين مراتب الموحّدين، في توحيد الذات، وتوحيد الصفات، والأفعال، والعبادة.

فصح القول - كما روي - بأنه (لا يعدلها شيء)، لعلوها بحسب الرتبة والقدر والثواب، والطبع والشرف، والترتيب، والعموم لجميع الطاعات، فهي هي في مقامات الظهور، وروحها وشرطها، وكلها مرادة، وبعكس ذلك الشرك، فتدبر.
 وهب بضمير [نحن]^(٧) في (شهد) لأن شهادة الشاهد بالتوحيد وإقراره شهادة جماعة، لترتبها وللملائكة الموكّلين به.

أو لرؤيته هذه الشهادة وسماعها من غيره، فأدخل المقرّ بها الشاهد نفسه مع غيره، ليدخل في سلكهم، ولو بالتبعية.

أو كونهم كالواحد، وإذا تكلم الإمام عليه السلام فهو يريد منها سبعين معنى أو أكثر، له من كل

(١) «التوحيد» ص ٢٣، ح ٢٠، صحناه على المصدر.

(٢) «التوحيد» ص ٢٤، ح ٢١، صحناه على المصدر.

(٣) «التوحيد» ص ٢٥، ح ٢٣.

(٤) «نواب الأهل» ص ١٧، ح ٦.

(٥) في «أ»: «التمييز».

(٥) في النسختين: «يعدل».

(٧) في النسختين: «نا».

المخرج، فهو كل العالم، لكن بحسب الفرعية وهكذا.
 أو للأشياء وجودات متعددة متصلة في مقاماتها، لا في رتبة ذاته القدسية.
 فلا تتوهم من قولي ما عليه الشيرازي^(١) وأهل التصوف، من أن كل بسيط الحقيقة كل
 الوجود، فإنه ضلال ظاهر، فتوحيد الخلق من فاضل توحيدهم، فهو صفة، أو قل:
 توحيدهم في مقام فروجهم وأشعتهم، كالشمس وأشعتها، فقال: (ونشهد).
 أو لأنه بمقام العظمة، فقال ذلك، وهم الحاملون لها والظاهر بها، والمظهرون لها،
 المبيّنون لسرها وجهرها.

أو لمراعاته باقيهم ﷺ، فهم في رتبة واحدة، وطبقتهم وفضلهم واحد بمقام.
 أو لتشريكة الحاضرين، أو لحملهم على الإقرار، فمتمتهم بذلك؛ لعموم رحمته ولطفه.
 ويقولون ﷺ تارة: (أشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له)^(٢)، في الخطب والزواجر
 وغيرهما، ولا منافاة، فإن لهم مقام الوحدة، وظهورهم في الكثرة بمراعاتها، وسرّ سريانها،
 وهذه [الوحدة]^(٣) الصفاتية الدالة على الأحدية الذاتية لله تعالى، التي لم تكنه ولم تظهر
 لأحد، ولا يحيط بها أحد، ولا يعدلها شيء، ولا يقارنها أو يباينها؛ لأنها عين ذات الله تعالى
 المنزهة عن جميع ذلك.

فالموضوع والمصدوق واحد، وإن تعدد الاعتبار والملاحظة، فتعدّد الضمير تارة
 بالمتكلم وحده، وتارة بالمشارك غيره، أو المعظم نفسه.

الفائدة الثانية: شهد - كَعَلِمَ وَكَرَّمَ - شهوداً، أي حضر وعلم، وإذا قلت: نشهد أو
 أشهد بكذا، فالمعنى: أنني أعلم به عن دليل قطعي أو رؤية أو سماع، وأقرّ به وأشهد به
 على غيري من كل جاحد. ولا بدّ في الشهادة من حضور المشهود عليه وبه، وإدراكه بالرؤية
 أو السمع، وجميع ذلك حاصل هنا في الشهادة بالتوحيد، فإنّ النظر إلى الأدلة الأفاقية
 والأنفسية تدلّ على أنه تعالى واحد لا شريك له، فلو تعدّد الواجب ذهب كل بما خلق،
 [ورفعت]^(٤) التفرقة، ولقلا بعض على بعض في الخلق، وصفات الكمال، والمراد، والإرادة.
 والمرجوح ليس بإله، وكذا التساوي يدفع الإله، فليس من صفاته المساواة، مع أنه إن

(١) انظر: «الحكمة المرشدة» ص ٥، «الشواهد الربوبية» ص ٤٧.

(٢) «نهج البلاغة» المنطوية: ٢، ٣٥، «التوحيد» ص ٧٣، ح ٢٧.

(٣) في النسختين: «وحدة». (٤) في «أ»: «ورفعت».

كان من كل وجه فهو واحد، وألجاء التركيب، وسبق البحث في ذلك في المجلد السابق، فراجعه^(١).

وبديهية أن ظل الشخص لا يكون إلا واحداً، فإن تعدد فأحدهما داخل في الآخر، وهذا ليس خارجاً عن الوحدة، وكذا الوارد النفساني، وانتظام العالم الكبير، الدال على أنه واحد، فيكون فاعله واحداً، لاستحالة اجتماع علمتين [تامتين]^(٢) على معلول واحد شخصي، وإثبات فضل زائد، وهو يبطل ألوهية كل منهما، وبطلان كون الظل الواحد ظللاً لشخصين، كما أن الظلين لا يكونان لواحد، فقد اتفقت الألسن الحالية والمقالية - ولا عبرة ببعض السنة المقال أهل العناد - على ثبوت الوحدة لله تعالى، وأنه واحد لا شريك له، فحصل العلم بتوحيده، والمعينة القطعية في أدلة شهوده.

الفاصلة الثالثة: يجب توحيد الله تعالى في الذات والصفات والأفعال والعبادة، [فنفي الشريك]^(٣) عنه تعالى في جميعها، فلا إله إلا الله، ولا واحد في الصفات غيره، وكذا في الخلق والرزق والإحياء والإماتة، ولا معبود سواه، وكل عبادة [غيره عبادة]^(٤) شرك، ولا تكون الوحدة الكاملة - وفوقه الوجوبية من غير مشاركة - إلا كذلك في المواطن الأربعة. فتوحيد الله أن يُعتقد أن ذاته تعالى أحدي خالص، لا شريك له في الوجوب، ولا جهة كثرة فيه بوجه من الوجوه، لا ذاتاً ولا فرضاً ولا اعتباراً، فجميع الكثرات والاهتبارات منقطعة دونه، فلا تعتبر في الذات بوجه، وهو الذي دلّت عليه أعلام الوجود، وعرفه خلقه في أنفسهم، من الصفة الدالة عليه تعالى، فلا شريك لله في ذاته وأزله.

والتوحيد يحصل لك من توجهك له بنظرك إلى آية الوجود الدالة عليه، كما الحال في الاستدلال على ثبوته وعلى وصفه، وهذا المصدر والدليل الدال عليه اشتق منه اسم وصفة، كـ «توحيد» و«موحيد»، كما في غيره، ولا يجري في الذات، لوجوب تنزيهاها عن ذلك؛ لأن هذا التوحيد توحيد دلالة، وظاهر توحيد الذات نفسها لنفسها.

والإشارة لا تقع إلا على ممكن، ولا ينتهي نظر الممكن في أعلى مراتبه والثقات إدراكه إلا إلى ممكن، وكذا الحكم في جميع المشتقات من الأسماء والصفات، وكلها مشتقة، كما

(١) انظر: «هدي العقول» ج ٣، الباب الأول. (٢) في «أ»: «ثابتين» وفي «ب»: «ثابتين».

(٣) في «ب»: «فيني الشركة». (٤) من «ب».

سبق في بابه^(١).

والتوحيد هو الأصل لجميعها، والوحدة الأصل، وبها الألفة والمحبة، وخلاف ذلك في الكثرة.

وجميع الأسماء والصفات إنما تحصل من التوحيد والوحدة، فهو الأصل لكل قريب وبعيد، وضعيف وشديد، ولهذا لا يوازيه شيء ولا يعدله.

وتعدّد التوحيد في مراتب أربع إنما هو بحسب المتعلق - بصيغة المفعول - والنظر إلى تفصيل الأدلة الدالة، والدليل مركّب، لا بحسب المدلول وأصل التوحيد، وإذا لحظته لا تجد تعدّداً، بل توجّهاً لوحدة، واعتقادها بما ظهر لك، بأصل صدورك بما ظهر لك بك، وهذا الأصل [محقق] ^(٢) متأصل، لا اعتباري مفهومي خاصة:

مراتب التوحيد

الأول: توحيد الذات، بنفي الشريك - بكل وجه واعتبار له، في الأزل والقدم - أو الكثرة بوجه ولو اعتباراً، أو من جهة شركة في أمر عرضي مفهومي، فإنه يوجه في الذات، فهو دليل عليها ومصدوقها، وألاً فإمّا هو كذب، أو مباين لا يصدق عليه، والمعرفة التي عرفها خلقه تنفي عنه ذلك بكل وجه واعتبار ^(٣) ولو عرفها
وكل من قال بأن مع الذات - أزلاً - شريك آخر، موجود لازم أو مباين، فغير موحد هذا التوحيد، سواء كان صفة، كالمعتزلة والأشاعرة وبعض النصارى، أو ذات، كالثنوية وعبدة الأصنام وسائر فرق المشركين.

وكذا من يجعل الوجود مشتركاً معنوياً بين الواجب والممكن، أو أن مفهومه كلي والواجب فرد منه، لكن غيره مستحيل، فهذا مائز سائر الكليات الممكنة.

وكذا من يقول بوحدة الوجود، فالممكن مركّب من وجوب خالص وعدم خالص، هو الممكن، وهو حدود اعتبارية قائمة بالله، ولا وجود إلا لله تعالى، وهو الخلق كالبحر والأمواج، أو هو نفس الموجود، أو أن بسيط الحقيقة كل الوجود والأشياء، أو أن الأشياء ثابتة له في الأزل، أو مخفية فيه، هي الأهيان الثابتة الغير المجمولة، والصور الأسمائية

(١) انظر: «هدي العقول» ج ٣، باب المعبود، شرح ح ٢، وراجع أوائل هذا المجلد، باب معاني الأسماء واشتقاقها.

(٢) في «ب»: «متحقق».

شرح ح ١.

والعلمية، وأن مشيئته أحدية، وكذا متعلقها، وتعددها بحسب ما عليه الممكن.
وكذا مذاهبيهم في العلم وغيره - وسمعتها - وكذا قولهم بوقوع الخالقية في نفس الذات، وظهورها بها، وأن بين الواجب والخلق ارتباطاً ذاتياً، أو مناسبة لهما، يصح صدور الخلق من الذات، واختلفوا في هذه الرابطة والمناسبة هل هي أقوال، وكلها عقائد ضلال، وما شابهها، تنافي هذا التوحيد وتبطله، وهرفتها متفرقة، وهي مذاهب أهل التصوف، وتبعهم بعض منا اشتبهاً، كالملا الشيرازي وتلاميذه، الكاشاني ومحمد صادق.

وكذا يبطل قول بعض المتكلمين بوجود زمان موهوم قبل خلق الخلق، ثم خلق الله الخلق في بعض حدوده، فهذه فاصلة زمانية. ويعض إلى أنه تعالى رجع إليه شيء واستكمل بخلقه الخلق، وكان معه، وبعد الفناء يعود إلى الله، كما كان عليه قبل، ونحوها كثير من مذاهب أهل الضلال من العامة وغيرهم، كما يظهر للمتتبع.

الثاني: توحيد الصفات، بأن تجعل صفاته ذاته، من غير فرق بينهما بوجه من الوجوه، لا مصدوقاً ولا اعتباراً ولا فرضاً، ولا يشاركه غيره فيها بوجه، لا حقيقة ولا معنى ولا فرضاً ولا تشكيكاً، أو بحسب التباين بينه وغيره تعالى، لوجوب أحديته وعدم مشاركة الغير له وبالعكس، والنسبة والمقابلة، لا معنى ولا مفهوماً ولا لفظاً، وإذا | عرفت ذلك كذلك، بآيات شهوده، فقد وحدته في صفاته.

نعم، إذا نظرت إلى الآثار والدليل، وعبرت بالعبارة اللفظية عنها للدعاء والنداء، ولحظت المفهوم، حصل لك التغاير، لكن ليس هذا في الذات وصفاتها الذاتية، بل في دلالتها والآثار الدالة عليها.

وإذا كان غير ذاته تعالى خلقه وآثاره الدالة عليه، ذاتاً أو معنى أو عرضاً أو لفظاً - ومن البديهي استحالة وصول الأثر والاسم إلى مقام المسمى والمؤثر، أو تجمعهما رابطة أو مناسبة - فإذن ليس إلا ذاتاً أحدية دل عليها بذلك، ولا يشارك غيره في صفة، لا شركة تواطؤ أو تشكيك، ولا يباين غيره، ولا يقابل غيره بوجه مقابلة، لا مباينة ولا غيرها، ولا رابطة بينه وبينها، فكيف يمكن فرض شركة بوجه فيما هو كذلك؟

وبهذا بطل قول كثير من أهل الكلام والنظر، في قولهم باشتراك الوجود بين الواجب والممكن اشتراكاً معنوياً، مواطأة أو تشكيكاً أو اشتراكاً بحسب المفهوم، ومتفقون على الاشتراك في العلم بحسب المفهوم أو المعنوي، ومتى جرى في المفهوم حكم جرى في

المصدوق؛ لأنه آيته ومحل انتزاعه، ولا مباين لله ولا مقارن.

الثالث: توحيد الأفعال، بأن تعتقد أنه لا معين له في خلقه، ولا شريك له، ولا مناف له ومناذب في الخلق، بل الله خالق كل شيء، وهو الواحد القهار في أفعاله تعالى وأفعال غيره، بإقداره لهم وتهيئة الأسباب والشروط وإمدادهم، ولم يرفع يده عنهم، فأمدهم بأمره في أفعالهم، ولا يقطعهم ويمنعهم، وفعلوا به، فنسب له ولهم من جهة المقبولية وعدمه.

وهذا التوحيد يبطل القول [بقدم] (١) الأعيان الثابتة الغير المجمعولة في غيبه، وأن لها اقتضاء ولوازم: سعادة وشقاوة وغيرهما، ولم يتعلّق بها جعل، ولا تُعمل؛ لأنها ذاتيات والذاتي لا يعمل، وما من الله إنما هي حلية الوجود لا جعل الشقي شقياً*. وكذا القول بأن الإمكان له اقتضاء ذاتي، وأنه ليس بمجمول من الغير، أو هنا وجود مطلق لا يوصف بقدم ولا حدوث، ولا كلي ولا جزئي، فهو مع القديم قديم، ومع الحادث حادث، وهكذا، أو هو رابطة بين الذات والصفات. وكذا من يثبت أفعالاً لغيره بالاستقلال، أو التفويض في حكم من أحكام الخلق، ذاتاً أو صفة.

والمطابق للتوحيد الخالص نسبة الكل إليه تعالى، بما لا ينافي اختيار العبد، ولا نسبة الفعل إليه، طاعة أو معصية، بل هلّ ما أشاروا إليه من الأمرين، وسيأتي في موضعه (٢) إن شاء الله.

الرابع: توحيد العبادة، بأن لا تشرك معه في جميع أنواع العبادة غيره، ولا تعبد سواه في فرض أو ندب، بل لا ترى تحققاً لغيره [وتدون] حالتها بحسب نفسه، ولا تشركه أيضاً دونك - ومن ذلك ما تستعمله أهل التصوّف من تصوّر المرید صورة أستاذه وقت العبادة، فتكون مقرّبة له ومعبودة أولاً - فلا تخف غيره ولا ترجوه، ولا تعدل به غيره.

وخلاصة الحكم: أن المعبود بالحق يجب فيه أن يكون لا أهلي منه ولا أقهر وأكمل وأبقن وأقدر، بحيث يعجز الكل عنه وينقص دونه، بل الإنسان أول دخوله في العبادة، وتوجهه بنفسه لها ولمعبوده، يستشعر ذلك وتصوره، فلا تصحّ عبادة غيره، استقلالاً أو تشريكاً، فإنه سافل ولا يُمدّل عن العالي إليه، ولا عن الكامل إلى الناقص.

نعم، قصارى الأقرب للدلالة عليه، فإنه من أسمائه العظام، وهو باب معرفته، وبه حُرّف

(١) في النسختين: «بعدم».

(*) «والسعيد سعيداً، كما قالوا: ما جعل الله المشمش مشمناً، بل أوجده» [حاشية «أ»].

(٢) انظر: «هدي العقول» ج ٧، باب الجبر والقدر والأمر بين الأمرين.

وعُبد، وهذا لا يوجب عبادته، فإذا عبد غيره فقد جعل غير المستحق مستحقاً، والسافل عالياً بزعمه أو عمله، وعمل بخلاف فطرته الأولية وغيرها، باهو جاج نفسه وشيطانه، والكافر والمشرك عابد غيره، والمعاصي متبع لهواه، تارةً يعمل لغير الله ويعبد غيره، وتارةً يعبد الله.

وهذا القسم من التوحيد له مراتب، بحسب العوام، والخواص، والخواص الخواص. وشركهم ينقسم إلى: جلي، وخفي، وأخفى، والخلق فيه متفاضلون. وعبادة الصور كثيرة، مثل أهل التصوف واستنادهم كما عرفت، وكثير يتصور أحد أهل البيت حال العبادة، يعبد أو يشرك به، وغير ذلك. عصمنا الله وإياكم من الزلل، وجنبنا الزيغ والخطل، في الاعتقاد والقول والعمل.

تسمة: هذه الأربع مراتب التوحيد، وأما الموحد المقر به العارف:

فإما يوحد بحسب ذاته، باكتناه، وهو محال، ولا يحاط بها أصلاً، بل عجز الكل وانقطع دونه، وعنهم ﴿١﴾: (تُوْحِدُ بِالتَّوْحِيدِ لِي تُوْحِدَهُ، ثُمَّ أَجْرَاءُ عَلَى خَلْقِهِ) (١).

وهذا هو التوحيد الصفاتي الذي علمه خلقه، وأجمعه آيته ودليله، وذكر القسمين في قوله تعالى: ﴿شَهِدَ اللَّهُ أَنَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ﴾ إشارة إلى توحيد الذات ﴿وَالْمَلَائِكَةُ وَأُولُو الْعِلْمِ قَائِمًا بِالْقِسْطِ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ﴾ (٢) إشارة إلى الثاني.

وهو الوجه الذي وصفه لخلقته، وفطرهم عليه - والمخاطبون به بما عرفوه - بقوله: ﴿إِلَهِي أَنَا اللَّهُ رَبُّ الْعَالَمِينَ﴾ (٣)، ﴿أَنَا اللَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا أَنَا﴾ (٤)، لاستحالة الخطاب بالمجهول المطلق، والذات لا تدرك حقيقتها ولو بوجه، لعدم التركيب فيها وعدم اختلاف الجهة.

فتمين أن يكون بجهة الظهور ونفس الخطاب، [فهو الخطاب] (٥) الشفاهي، والصفة الظاهرة في الأشياء بالأشياء وحقائقها، لا في محل قديم، أو غير دالة عليه، وهذا التوحيد له أفراد كثيرة، فالطرق إلى الله بعدد أنفاس الخلائق، ولكل فرد توحيد، وله آية تدل على ذلك بحسب مقامه، قال الله: ﴿أَعْطَى كُلَّ شَيْءٍ خَلْقَهُ ثُمَّ هَدَى﴾ (٦) وقال ﴿٧﴾:

(١) «الكافي» ج ١، ص ١٢٣، باب تأويل الصمد، ح ٢، وسبق في هذا المجلد، الباب: ١٨، ح ٢.

(٢) «آل عمران» الآية: ١٨.

(٣) «التقصص» الآية: ٣٠.

(٤) ليست في «ب».

(٥) «طه» الآية: ١٤.

(٦) «طه» الآية: ٥٠.

ونفي كل شيء له آية تدل على أنه واحد^(١)

[بإعادة]^(٢) الضمير للشيء، وكلا الأمرين حق، إلا أنه لما كان الإنسان - بحسب الكليات - مركباً من طينات عشرة، أو قل: قبضات - كلاهما مروى^(٣) - كانت كلياته عشرة، وللإنسان بحسب بدء وجوده ونوره الظاهر من ربه - وبه ينظر ويتفرس، وهو الفؤاد - توحيد وقبضة، بل هي الأصل لما بعدها ومنشؤها، وأصل مواده وصوره، وباب ظهور إمكانه لكونه، ويكون له ثلاث مثل الثلاث السابقة، بما يناسبه، والحاصل من ضرب أحد عشر في ثلاث: ثلاث وثلاثون، وحاصل ضربها في مراتب التوحيد الأربع السابقة: مائة واثنان وثلاثون.

وأما الكلام على اسم الإله والله، من جهة الاشتقاق والوضع الذاتي أو الصفاتي، فسبق في موضعه^(٤).

وتوحيده بمراتبه الأربع هي العبادة التي تدب الخلق إليها في قوله تعالى: ﴿وَمَا خَلَقْتُ الْجِنَّ وَالْإِنْسَ إِلَّا لِيَعْبُدُونِ﴾ الآية^(٥)، أي يعبدونني مخلصين في توحيد الذات والصفات، والأفعال والعبادة، بما دل عليه وحرف من الوجه المعلوم، ليستدل به على المجهول المطلق - وهو توحيد الذات نفسها لنفسها، وهو الأحديّة - دلالة تعريف، لا إحاطة واكتناء؛ لأنه أحدي خالص لا يقوم به شيء ولا يدانيه.

ولا توهم تعددًا - ولو بحسب المفهوم - من قولنا: توحيد الذات للذات حين الذات، والذات حين التوحيد، وكذا نقول في الوجود، وذاته أزله، وأزله ذاته، وكذا فيما سبق: علم وهالم بذاته، وبالعكس.

فالمراد من تكثير العبارة في هذه المقامات إنما هو نفي التعدد والمغايرة، حسب الإمكان، لأجل الإفهام والتفهيم، وإبطالاً لما تحدثه الأوهام الشيطانية من إجراء حكم

(١) «ديوان أبي العتاهية» ص ١٢٢، وفيه: «الواحد» بدل: «واحد». ولم نجد مصدراً ينسبه للإمام عليه السلام.

(٢) في «أه»: «بإيجاده».

(٣) «الكافي» ج ١، ص ٣٨٩، باب خلق أبدان الأئمة، ح ٣، وفيه عن أمير المؤمنين عليه السلام: (فإن الله عز وجل خلقنا

من العشر طينات).. وفي «الكافي» ج ٢، ص ٥، ح ١٧، ص ٧، ح ٢، ورد التعبير بالقبض من التراب، بدون

ذكر العشر قبضات. (٤) انظر: «هدي العقول» ج ٣، باب المعبود، شرح ح ٢.

(٥) «الذاريات» الآية: ٥٦.

الممكن عليه بوجه، لا لإثبات كثرة اعتبارية، وأنها تصح هذه المفاهيم؛ إذ لا اثنية فيه بوجه، وقصارى ما يمكن لإثباته في القلوب - ووصفه ودفع الأوهام عنه - ذلك، وهو تحديد لغيره وتمييز له عنه، من غير مباينة.

والله أحدي في الذات والصفات، منزّه [عن الكثرة] ^(١)، بحسب الحقيقة والاعتبار [والفرض] ^(٢)، في الأزل وفي الظهور أيضاً، إذ لم تختلف عليه الأحوال، ولا يعود له من خلقه، وحقيقة الخلق هي نفس ظهوره، بما تجلّى لهم بهم، فإذا شهدنا أن لا إله إلا هو، فقد أقررنا بأحدية مجهولة لنا - ولا يحيط بها غيره تعالى - بما عرفنا ودلنا عليه من آية توحيده، وهي وحدة الدلالة الدالة عليه، وهو التوحيد الذي أجراه على خلقه، ومراتبه متفاوتة حسب التوحيد والموحد - بكسر الحاء - والطرق إلى الله بعدد أنفاس الخلائق، وكلّياتها سمعتها ^(٣). وهذه المراتب، التي تجمعها صفة الشهادة الظاهرة، هي التي استشهد بها وعرف، وحملها الغير وأشهدهم، كلّاً بحسب مقام وجوده، وطلبها بعد، فشهدوا وأقروا، وأقوى الكلّ شهادة - بحسب الاطلاع والقرب والجامعية - شهادة محمد والأئمة والزهراء عليهم السلام، وجميع شهادات غيرهم وتوحيدهم في قصور عن توحيدهم وشهادتهم، ولهذا تلحقهم وصفه، ولو من باب «حسنات الأبرار سيئات المقربين» ^(٤). بخلافهم عليهم السلام فإنهم أشرف الكلّ، ومنزهون عن نقائص ما خلق، وأشهدهم الكلّ واستشهد بهم على الكلّ، وتجلّى لهم التجلّي الأتمّ الأكمل، بما لا نهاية له في الإمكان، وكلّه من غير إحاطة وتجلّي ذاتي، أو قرب بحسب الذات، تعالى الله علواً كبيراً، بل كلّه بما ظهر له بفعله في مقامه، وهو حقيقة الصدور، ولا ذكر له في مقام الذات، لا بنفي ولا إثبات، بل معدوم مطلق.

قوله: ﴿وَأَنْ مُحَمَّدًا عَبْدَهُ وَرَسُولَهُ﴾.

أقول: نشهد أيضاً بنبوة محمد، ورسالته بالتبليغ لجميع الخلق أجمع، عن الملائكة والجنّ والإنس والشياطين والأفلاك والعناصر، والمعادن والنبات والحيوان، وسائر

(١) في النسختين: «حسبها لكثرة».

(٢) في النسختين: «والفرض».

(٣) مرّ ذلك في ج ٣، الباب الأول، وكذا في هذا الباب.

(٤) انظر: «كشف الحفاء» ج ١، ص ٣٥٧، الرقم: ١١٣٧.

المعالم، في التكوين والتشريع، إماماً مع هيئته وظهور غيره بالأمر، كحال الماضين، أو حال ظهوره.

ومستند هذه الشهادة الدالة على المعاينة [التعظيمية] ^(١)، إماماً بالنظر إلى فطرة الوجود وأدوار النبوات وأفلاكها، أو بالمعاجز، بالنقل المفيد للقطع، أو استمرارها كالقرآن، وهذه معجزة خاصة به، أو بالنظر إلى شريعته وحال كتابه، المتفق على نسبتها له، وأنه إذ صدق بالكتاب، أو بما رسم في التوراة والأنجيل وسائر الكتب الماضية، على ما هي عليه من التحريف، فإنها مبشرة به وموضحة لدولته إجمالاً، كما وقفت عليه في هذه الأزمان، وسيأتي بعضها في مجلد النبوة.

ولم تجتمع آيات دالة على نبوة نبي ورسالته مثل محمد ﷺ، ولهذا سمي بمحمد، مقام الحمد، فيه الفتح والختم، وهو كذلك، وكذا من جهة الصدور؛ فإنه يجب أن يكون الأشرف الأقرب والواسطة الكلية، ويجب أن يكون له الرئاسة العامة الجامعة، وليس إلا محمداً. وتفصيل هذه البراهين يحتاج إلى مجلد ضخم، وسيأتي إن شاء الله جملة منها في المجلد السابع، ونرجو أن نوضحه في رسالة منفردة، والله ولي التوفيق.

وحقيقة العبودية - كما قال الصادق عليه السلام - مركبة من ثلاثة حروف: فالعين معرفة الخالق، والباء [بونه من] ^(٢) الخلق، والذال دنوه من الخالق، من غير إشارة ^(٣). وهي (جوهرية كنهها الربوبية) - كما في حديث مصباح الشريعة ^(٤) - ولكن إذ مربوب إمكاناً أو كوناً وعيناً. وكان نبياً بالعبودية لما قام بحقيقتها، وكان بها رسولاً مبلغاً، (أقامه في التبليغ في جميع هوالمه، حيث لم تدركه الأبصار، ولا تحوم حوله الأفكار)، كما في خطبة علي عليه السلام في الجمعة والغدير ^(٥).

وهذه الرسالة والولاية المطلقة العامة، تفاصيلها بعلي وبنيه المعصومين على مراتبهم

(١) في «ب»: «الظلمية». (٢) في «أ»: «بعنه إلى».

(٣) «مصباح الشريعة» ص ٨، وفيه: (وحروف العبد ثلاثة: فالعين علمه بالله، والباء بونه عتن سواء. والذال دنوه من الله، بلا كيف ولا حجاب).

(٤) «مصباح الشريعة» ص ٧، وفيه: (جوهر) بدل: (جوهرية).

(٥) «مصباح المتجهد» ص ٦٩٧، ونظفه: (أقامه في سائر حاله في الأداء مقامه، إذ كان لا تدركه الأبصار، ولا تحويه خواطر الأفكار).

والزهراء، والرسول هو المخبر عن الله بغير واسطة بشر. ولَمَّا كان الله لا يحاط به ولا يُعرف إلا بما عرّف نفسه لخلقه ودلّهم عليه، وجب أن يكون [رسولاً مبلغاً] ^(١) لخلقه، وأن يخلقهم على الخلقة الجامعة، الحاكية لصفة دلالاته، بل هم حقيقة الصفة.

ومقام النبوة مقام جمع وائتلاف، ولذا كان مقامه الإجمال، ويظهر أولاً بحكم الظاهر، وتفصيله بوصيته، وبه الفرق والتمييز، وبظهور محمد عاد العود على البدء، وأول نضوح العالم، وختم به النبوات، فلا شريعة بعد شريعته.

نعم، يبقى الصمود في مراتب الكمال إلى ما لا نهاية في العوالم، إذ لا نهاية لعطاء الله، كلما صعد بعطاء ظهرت زيادة، وهكذا، ولا خروج عن الإمكان.

تنبيه: للعبودية ظاهر وباطن، وظاهر استدلال | ما | بالأثر، وهو النظر إليه بحسب نفسه، وهو المسمّى بالدليل الإني. وغيبها [و] هو النظر له بجهة الظهور والدلالة، وهو نور المعرفة وصورتها الملقاة، وهو الدليل اللّمي، وهو في مقامه إني.

وليس المراد باللّمي كما يعنونه أهل النظر وغيرهم، من الاستدلال بذاته تعالى على غيره، [إمّا بالوجود العام] ^(٢) له وللممكن وتقسيمه، أو بأخذ حقيقة الوجود الذاتي، وأنه كلّ الوجود، ومراتب الظهور والتنزلات تعيّنات للذات الأحادية، وأنّ الظهور لها، كما عليه المتصوّفة.

وكلّ ما يُعرف بحقيقته فليس بواجب وجود، وكذا ما يشمله وغيره المفهوم، فيكون قسماً لغيره، والمقسم يشمله وغيره، ولو بحسب الاعتبار والمفهوم، وهو كافٍ في إدخاله في نظام الممكنات.

وكلّ ذلك من توهم المناسبة بين ذات الله والمخلوق، في محاولتهم إثبات الدليل اللّمي بزعمهم، وتعالى الله، فلا مناسبة - لا موافقة ولا مباينة - حتّى بحسب الصلوح والفرص، كما سبق في غير موضع، وإنما المناسبة بين فعله والمفعول، أو قل: الصفة والموصوف، أو الحركة والمتحرك، فالكتابة تجلّي صفة حركة يد الكاتب، من حُسن وغيره، لا ذات الكاتب. وظهور الذات ليس في مقام الذات، وإن كان لها ملكاً في مقامه، وقائم بها قيام صدور، كاستنارة الحاصلة للمجدار من الشمس.

(٢) في «أ»: «ما با وجود عام».

(١) في النسختين: «رسولاً مبلغاً».

ومقام الربوبية إذ مربوب [ذكرأ وصلوحاً إجمالياً، مقام الرسول، وهو باطن الربوبية إذ مربوب] ^(١) عيناً وذكرأ تفصيلاً، وهو مقام علي عليه السلام، وهو تفصيل ذلك الإجمال؛ فالرسول مُنذر، وظهور هداة وتفصيل دينه بعلي عليه السلام، وعلي هادٍ بالرسول ممدّ له تقويماً ركناً. وباطن الربوبية الإجمالية هي الربوبية إذ لا مربوب، لا ذكرأ ولا كوناً ولا عيناً، ولكن إذ مربوب إمكاناً، وهو مقام المشيئة، والكاف المستديرة على نفسها، في ظهور شؤونها وكمالاتها، وهي الخزانة العظمى.

فهذه الربوبية التي هي كنه العبودية بحسب الأول، وشؤونه، والكمال المتفرّع منه. وأمّا مقام الربوبية إذ لا مربوب، لا ذكرأ ولا كوناً ولا عيناً، ولا تقديراً وإمكاناً، فهو مقام الذات الأحدية، والواجب الذاتي منقطع الإشارات والتعيّنات، وما سبق إنّما هو ظهورها في مقامها على مراتبها، وليست هذه كنه العبودية المشار لها في الحديث ^(٢) السابق.

مقامات الربوبية

وتفصيل ما سبق: أنّ للربوبية مقامين، أو ثلاثة، أو خمسة، بحسب اختلاف الاعتبار:

المقام الأول: مقام الربوبية إذ لا مربوب مطلقاً بكل وجه واعتبار، ولا دالّ ومدلول، بل ذات هي نفسها، ودالاتها بمعنى عدم جهلها لنفسها.

المقام الثاني: آية هذه الربوبية ودليلها الأتمّ الأعمّ، ووجهها الكلّي الأعمّ، وصفتها العليا، وهي الربوبية إذ لا مربوب لا ذكرأ ولا عيناً، بل إمكاناً بجهة العليا، إذ للمشيئة مقامان.

المقام الثالث: مقام الربوبية إذ مربوب ذكرأ لا عيناً، وفيها للمربوبين ذكر إجمالي.

المقام الرابع: ثمّ مقام الربوبية إذ مربوب تفصيلاً، وهو مقارن للمربوب العيني، غير واقع [عليه] ^(٣)، مقابل ذلك الإجمال.

المقام الخامس: مقام الربوبية إذ مربوب عيناً وذكرأ و قوفاً، ووجه هذه الربوبية هو الملقى في العبودية، كلية أو جزئية، (لما فقد من العبودية وجد في الربوبية، وما خفي عن الربوبية أصيب في العبودية) ^(٤)، وكلّ ربوبية لاحقة وجه للسابقة.

(٢) «مصباح الشريعة» ص ٧.

(١) ليست في «ب».

(٤) «مصباح الشريعة» ص ٧، صححناه على المصدر.

(٣) في «أ»: «كلية».

وعند الأولين ينقطع الذكر والكثرة، وعند الأولي ينقطع حتى الاسم والرسم والاعتبار، بكل اعتبار، والثالثة: مقام مجمع القوسين.

والحامل لتلك الربويات محمد ﷺ وآله ﷺ، لكنه الأصل، وهم مبلغون عنه تفصيلاً في جميع المقامات، فهو الناشر بنشرهم، وهم لهم السؤال في كل مرتبة، ولا منع في [جوده] (١) ولا بخل، فعرّفهم نفسه في جميع هذه المقامات، ذاتاً ورضاً، في الجزئي والكلي، وبعث لهم رسله، محل بيانه ومعانيه وأبوابه، وأهل الإمامة في جميع مقامات الربويات، فحملوا ما حملوا، ورعوا ما استحفظوه، وأدّوه إلى كل بقدر طاقته وما يستحقّه، ولم يكلفوهم شططاً.

قوله: ﴿بعثه بالحق نبياً، دالاً عليه وهادياً إليه﴾.

أقول: بعث محمد ﷺ بالحق، فهو من مقام [ثبوت] (٢) الثبوت، وهي دون رتبة أزل الأزال، مقام الأزل الموصوفين به في الخطبة اليتيمة (٣) والأحاديث (٤)، وهو الأزل الإضافي، قال الله: ﴿هَذَاكَ الْوَلَايَةُ لِلَّهِ الْحَقِّ﴾ (٥). فأصل البعثة له، وهو المبعوث والمعني، وبعثة غيره من سائر الأنبياء من فاضل بعثته، وعلى نسبة الحقيقة للتابع في مقامه بعد المتبوع، ونسبة الشعاع لمن دونه، وباقي الشرائع مقدّمات، وفي الحقيقة هو الناشر لجميع الشرائع خيباً، بالأنبياء السابقين، وشهادة في وقته، فهو ناشر شرائع الوجود الكونية والتشريعية.

ولما كانوا الحاملين للولاية المطلقة، وكذا النبوة والرسالة، في المقامات الأربعة السابقة، الأصل هو ﷺ، وآله ﷺ محل الظهور؛ لنشر التفاصيل بهم، فكان دالاً عليه تعالى بجميع الدلالات والطرق، بأدلة الحكمة والموعظة، والجدال بالتي هي أحسن، وبما دلهم عليه من معرفتهم ﷺ، وبيان واجب حقهم ومقاماتهم الغيبية والشهادية، فإنها توجب

(١) في «أ»: «وجوده».

(٢) ليست في «ب».

(٣) «شرح العرشية» ج ٣، ص ٣٠١.

(٤) «مشارك أنوار اليقين» ص ١٦٨، وفيه في خطبة أمير المؤمنين ﷺ: (أنا صاحب الأزلية الأولية).

(٥) «الكهف» الآية: ٤٤.

زيادة في معرفة الله، بل هي معرفته، فإن بمعرفتهم عُرف الله، وهو ﷺ وآله لم يدهوا لأنفسهم، بل لها من حيث كونهم سبيله ودليله الدال عليه، وكذلك أقاموا الدليل، ودلوا عليه في الوجود، بحسب الذوات والصفات، فإن جميع خيرات الوجود، ذاتاً وصفة، وفِعلاً وقولاً، من فاضل ذواتهم، وفاضل صفاتهم، وفاضل عقائدهم وأحوالهم، فكل خير يدل على آخر - أو هو دليل - فمنهم وبهم وفيهم وإليهم.

فصَحَّ: أنهم أدلاء لكل موجود بكل وجه، وُستدل بهم ويهتدى [من] الضلال، فلا يتأه بالسالك إذا تمسك بهم في العقائد والأقوال والأفعال، فهم المرشدون وحبّة قاطعة، وُستدل بهم، واستدل الله بهم واحتج على خلقه، ولأنّ إله | الولاية المطلقة والرسالة العامة الشاملة، فيكون محلّ مشيئته ولسان [إرادته] (٢)، وأشهده خلق الخلق طراً وخلق نفسه، فوجب من ذلك أن تكون [له الهداية والدلالة العامتين، ولأنّه الأصل في خلق العالم، فهو حلة له ماديّة وصوريّة وغائيّة، وكذا المدد به، فيجب من ذلك أن يكون] (٣) أعلى الكل، ودليلاً له، السائر أمام كل سائر، فافهم.

ولمّا كان بعته ورسالته بالحق، ووجب أن يكون دالاً عليه، وهادياً لما يوصل إليه ويبعده عن الشيطان، وبراءة الطريق - يستعمل متمدياً بنفسه، وباللأم، وبإلى - والهدى نور الحكمة، وهو الذي ينظر به العقل، وبه التوسّم، وهو أيضاً هادٍ إليه، ولا يكون إلا بالهدى، وهي ولاية علي ﷺ، وهي الأصل، الشاملة لجميع العلم والعمل، وهو كذلك، وهدايته العامة التامة الجامعة، ظهر بعضها ولم يظهر كلها، وبتمّ ظهورها وبعمّ إذا استجمعت الشروط، وزالت الموانع بظهوره ﷺ.

وعن الصادق ﷺ في قوله تعالى: ﴿يُظهِرُ عَلَى الَّذِينَ كَفَرُوا لَوْ كَرِهَ الْمُشْرِكُونَ﴾ (٤): (والله ما نزل تأويلها بعد، ولا ينزل تأويلها حتّى يخرج القائم) (٥).

وهذا وغيره ممّا يدل على أنه من المحتوم، وهداية الناس [بظهورهم] (٦)، فهم متفاوتون على مراتبهم، بحسب القرب والبعد، أو قل: قلّة المزج وكشورته، وأولها البيان

(١) في النسختين: «في».

(٢) في النسختين: «إرادة».

(٣) من «ب».

(٤) «التوبة» الآية: ٣٣.

(٥) «كمال الدين» ص ٦٧٠، ح ١٦، صححناه على المصدر.

(٦) في النسختين: «ظهورها».

والتعريف والإرشاد، والترغيب والترهيب العام لكل مخلوق، وهو كذلك، ووقع وتقع الزيادة في الهداية، واختصاص بعض ببعض أصنافها أو نوعها بعد العمل، بمقتضى القبول، سرعة وبطأ، وتفصيل ذلك مما يطول.

قوله: ﴿فهدانا﴾^(١) به من الضلالة، واستنقذنا به من الجهالة ﴿﴾.

أقول: الهداية به لا بد وأن تقع، لأنها مرادة الله، وأمره بعد تحميله لها، و ﴿الله ولي الذين آمنوا يخرجهم من الظلمات إلى النور﴾^(٢) ظلمات الشبه وظلمات أهل الجاهلية، وظلمات كتم العدم والخفاء في المادة، والاتصاف بالوجود بعد عدم كونه، وإن كان في الإمكان، وهو ﷺ الواسطة في جميع ذلك، واستنقذ الله بهم - أي بفعلهم - سائر خلقه، لأنه بولايتهم وتبعهم والافتداء بهم، وهي ولاية الله وطاعته، ومتابعته متابته، لأنها صفة فعل، فهم الحاملون لفعله؛ ولأن فعلهم وتبليغهم بأمره الفاعلي - وهم القائمون به الفاعلون - والمفعولي، فبهم وقع الاستنقاذ، ولا خفاء فيمن يكون كذلك [جملة] ^(٣).

قوله: ﴿من يطع الله ورسوله فقد فاز فوزاً عظيماً﴾. ونال ثواباً جزيلاً، ومن

يعص الله ورسوله فقد خسر خسراناً مبيناً، واستحق عذاباً اليماً ﴿﴾.

أقول: لما كان الرسول المبلغ والدال على الهدى، كانت طاعته سبب السلامة، كطاعة الله، وفي مقامهم الرابع تكون طاعتان: طاعة الله، وطاعتهم عن طاعة الله وعن أمره، فهي تبع، ويكونون بمقام نفس طاعتهم طاعة الله، فإن الله جعل طاعتهم طاعته، وكذا متابعتهم متابته، تنويهاً بهم وتشريفاً وتعظيماً، فإن الطاعة والمعصية من صفات الأفعال، وهم القائمون بها قياماً دلالة وظهور، و | قياماً | ركنياً، وبالله قيام صدور.

ولما كانت الطاعة لا نهاية لها، إذ لا نهاية لمدده، فلا نهاية للفوز ولا للمعظمة، ولذا أكد بلفظ (عظيماً) لأنه المفعول المطلق، الذي هو بمنزلة إعادة الفعل. وبضد ذلك نقول في

(٢) «البقرة» الآية: ٢٥٧.

(١) في المصدر: «فهدى».

(٣) في النسختين: «جملة».

معصيته، فإنها معصية الله، فطاعته ومعصيته هما الفارقان، وأصل الطاعة وماذتها، منها خلقت الجنة، وأصلها الولاية، ومن المخالفة وإنكارها خلقت النار، فتكون الطاعة السبب القوي الموصل لها، وهو الإقرار بهم واعتقادهم ولايتهم وطاعتهم فيما يطلب منهم، ومخالفتهم وإنكارهم السبب في خلاف ذلك، ولهذا كان عليٌّ عليه السلام القاسم بين أهل الجنة والنار^(١)، ومنزل كل واحد درجته من الجنان، أو دركته من النيران^(٢).

قوله: ﴿فَأَنْجِعُوا بِنَا﴾ [يحق] ^(٣) عليكم من السمع والطاعة، وإخلاص النصيحة، وحسن المؤازرة، وأهينوا على أنفسكم بلزوم الطريقة المستقيمة، وهجر الأمور المكروهة، وتعاطوا الحق بينكم وتعاونوا به دوني ﴿﴾.

أقول: النجاع: الفلاح، وفي القاموس: «أنجع: أفلح»^(٤).

وحق العباد على الله - بمقتضى حكمته وسعة رحمته - إعطاؤهم ما سألوا، لما عرّف لهم - أولاً - وبين في ذواتهم، وما به يصحّ لهم أن يسألوه، فلولا ما دلّهم عليه ما عرفوه ولا اهتموا لمعرفة، وعلى المكلف بعد ذلك السمع لما يلقي له الرسول وخلقاًؤه، ويطيعه في أوامره ونواهيه، بحسب نفسه، وأهل بيته وإخوانه المؤمنين، وأعظم أوامره ما حث عليه من إخلاص النصيحة، بأن تكون نصيحتك خالصة لله، لا مشوبة بغيره، وهي نصحك إخوانك فيما يستشيرونك فيه، ويجعلونك أميناً أو قِيماً.

كيف والمؤمن أخو المؤمن لأبيه وأمه؟ فلا بدّ من وجوب النصح له، ولزوم معاونته في الشدائد والعسر واليسر، ويصحّ إرادة ذلك بالنسبة إلى سائر المسلمين، لدواعٍ خاصة أوجبها التقية والمداراة الظاهرية في دار المزج قبل [التزليل]^(٥).
و (المؤازرة) حمل الثقل بقدر الإمكان، وسُمّي الوزير: وزيراً؛ لحمله الثقل.

(١) انظر: «التفسير المنسوب إلى الإمام العسكري» ص ٤٠٦، ح ٢٧٦؛ «الصواعق المحرقة» ص ١٢٦.

(٢) انظر: «كشف اليقين» ص ٤١٠، ح ٥٢١؛ «مناقب علي بن أبي طالب» لابن المغازلي، ص ٣٢٣، ح ٣٦٩.

(٣) في النسختين: «يستحق».

(٤) «القاموس المحيط» ج ٣، ص ١٢٤.

(٥) في «أ»: «التزليل».

وتفريع (فأنجموا) على ما تقدم يقتضي كونها بالنون أولاً بعدها جيم منقوطة.
وقال محمد صالح في الشرح: «(فابخعوا) البخع - بالباء الموحدة ثم الخاء المعجمة -
المبالغة في الشيء، والإقرار به والخضوع له»^(١).

ثم نقل كلام الفائق^(٢) في تفسير لفظ الحديث، ثم كلام ابن الأثير^(٣).

أقول: وفي الصحاح: «بَخَعَ نفسه بَخْعاً، أي قتلها ضماً... ومنه قوله تعالى: ﴿ قَلَعْنَاكَ
بِإِخْتِ نَفْسِكَ ﴾^(٤)، وَبَخَعَ بِالْحَقِّ بُخْرَعاً: أقرَّ به وخضع له، وكذلك بَخِعَ - بالكسر -: بُخْرَعاً
وَبَخَاهَةً^(٥). مع دخوله في باقي الألفاظ.

وما تضمنه كلامه ﷺ من الأمر بالمعونة وحسن النصيحة للغير، خصوصاً المستشير،
فمما ورد الترهيب فيه كثيراً والحث، وهو اللازم من الاشتراك في الدين و (المؤمن أخو
المؤمن لأبيه وأمه) كما روي^(٦)، فمعاوته ونصيحته ومؤازرته - أي حمل ثقله مع الإمكان -
واجب، وهذه من أعظم الحقوق المعدودة للمؤمن على أخيه.

قوله: (وأعينوا على أنفسكم) ... إلى آخره، حث منه لهم على ملازمة الطاعة بلزوم
الطريقة المستقيمة، وهجر المكروه، كما بينوه، وتعاطي الحق بينهم في المعاملات
وغيرها، والمعونة كما قال الله: ﴿ وَقِفُوهُمْ إِنَّهُمْ مَسْئُورُونَ ﴾ مَالِكُمْ لَا تَنَاصَرُونَ^(٧).

وقوله ﷺ هنا كما قال ﷺ: (أعينونا بورع واجتهاد، وأعينونا بأعمالكم)^(٨). فإنه مما
يوجب [تخفيف] الأمر عليهم بالنسبة لنا الاستقامة منا والطاعة لهم، والأخذ بطريقتهم.
بخلاف العمل بخلاف ذلك، فإنه مما يوجب زيادة الأمر عليهم بالنسبة لنا، والشفاعة في

(١) «شرح المازندراني» ج ٤، ص ٢٨١، صحناه على المصدر.

(٢) «الفائق في غريب الحديث» ج ١، ص ٧٤. (٣) «النهاية» ج ١، ص ١٠٢، «بخع».

(٤) «الكهف» الآية: ٦.

(٥) «الصحاح» ج ٣، ص ١١٨٣، «بخع»، باختصار، صحناه على المصدر.

(٦) «الكافي» ج ٢، ص ١٦٦، باب إخوة المؤمنين، ح ٢، ٧.

(٧) «الصفات» الآية: ٢٤ - ٢٥.

(٨) لم نثر على حديث عن الرسول ﷺ بهذا اللفظ، لكن ورد في كلام أمير المؤمنين ﷺ: (أعينوني بورع
واجتهاد، وعفة وسداد). «نهج البلاغة» الكتاب: ٤٥. وفي حديث عن الباقر ﷺ: (أعينونا بالورع). «الكافي»
ج ٢، ص ٧٨، باب الورع، ح ١٢. (٩) في «أ»: «تحقيق».

زيادة الثواب أسهل منها في إسقاط العقاب بالنسبة إلى العامل، ومفارقتة لازم خطيئته بسرّ الشفاعة، وهذا يدلّ على فرحهم عليه السلام وانتفاعهم بأعمالنا، لكنّه انتفاع في مقامهم الفرعي، وملاحظة كوننا من أشعة أنوارهم، لا بحسب ذواتهم وحقائقهم، ودليله من الروايات والأدلة العقلية كثيرة، فالقول بأنهم لا تحصل لهم زيادة بها - مطلقاً - باطل.

وقوله: (وتعاطوا الحق بينكم) يرادّ به الدين وما فيه من الأحكام، فإنّه لا يفتنى به ويُذكر عند المخالف، حذر هتك التقيّة والتعرّض لأذاهم.

وفي الحديث، بعد أمره عليه السلام بالكتمان عنهم، في بعض مسائل الحيض، قال: (وارضوا لهم ما رضي الله لهم) ^(١) أي أقرّوهم، لا الرضا اللازم للطاعة، ويحتمل إرادة بعض مسائل الحكمة، وما لا يحتمله العوام متّاء، فإنّه خاصّ ببعضنا، ولا يفتنى به للتقصير. عجّل الله بوقت ظهور صاحب.

قوله: ﴿وخذوا على يد الظالم السفيه، وثمّوا بالمعروف، وانهوا عن المنكر، واعرفوا لذوي الفضل فضلهم﴾.

أقول: الأخذ على يد الظالم بمعنى من ظلمه ورده عنه، وهو أعظم أنواع النهي عن المنكر، ولذا خصّ، وإن دخل عمومياً في اللاحق؛ زيادة في الحثّ عليه، لكنّه مشروط بشروط، كالأمر بالمعروف، والنهي عن المنكر. والحثّ عليه كتاباً وسنةً، ووجوبه وبيان ما يترتب عليه من الحسن والثواب، وبخلاف ذلك في خلافه وعدمه، يطلب من موضعه.

وقوله عليه السلام: (واعرفوا لذوي الفضل) ... إلى آخره، إمّا يرادّ بهم الأصل وعنصر الفضل، وهم محمد عليه السلام وآله عليهم السلام، ففضل غيرهم من فاضل فضلهم، وبالاعتداء بهم وتعليمهم، إمّا غيباً أو شهادة، ومعرفة لهم باعتقاد أنّهم أئمة معصومون واجبو الطاعة، وهداة بأمره وبه يعملون، فهم أصل كلّ خير وفرع ومعدنه ومنتهاه، ومعرفة كونهم عليهم السلام أهل الفضل على جميع الخلق، من الدرة إلى الدرة في الذوات والصفات والأفعال، وفي جميع الحالات الناس فيه متفاوتون حسب تفاوت معرفتهم؛ لأنّها حالات ومقامات، كما صرّحت به

(١) «الكافي» ج ٣، ص ٩٣، باب معرفة دم الحيض... ح ١.

الروايات، وقامت به الأدلة، [وليس هنا موضع بيانه] ^(١)، وسيأتيك إن شاء الله نشر بعضه في مجلد الحجّة.

ويحتمل إرادة الأهمّ من أهل الفضل، فيكون لهم أصالة، ولغيرهم تبعاً وفاضلاً، كالنور والمستتير، وهكذا متنازلاً، كتنازل الأشعة، ولا منافاة.

قوله: ﴿عَصَمْنَا اللَّهَ وَإِيَّاكُمْ بِالْهُدَىٰ، وَثَبَّتْنَا وَإِيَّاكُمْ عَلَىٰ التَّقْوَىٰ﴾.

أقول: العصمة في اللغة: المنع ^(٢).

وعند جماعة ^(٣): لطف خاص يفعله الله مع المكلف، يختار معه فعل الطاعة وترك المعصية.

والأرجح أنّها لطف خاص يفعل به لما هو عليه، بسبب قبوله الانوجاد وعمله بمقتضاه، وهي لا تمنع القدرة على المعصية، وإن لم يفعلها ولا يعزم عليها في جميع حالاته وأقواله، لا في التبليغ خاصّة.

وأثنى بضمير «نا» الدالّ على تعظيم المتكلم، وهو كذلك، [لأنّه ظاهر بمقام العظمة، ولكن] ^(٤) إذ معظّم - بكسر الظاء - ومعظّم - بالفتح - وتعظيم ومعظّم به، لا بحسب الذات، فهذه تنقطع دونها، ولا اعتبار لغيرها معها، [أر لمشاركة غيره له، ولكن منهم، فإنّهم سابقو] ^(٥) الكل، ومن سواهم من فاضلهم، كالشعاع والمستتير، ولم يخلق أحداً سواهم من طيبتهم، [بل من فاضلها النوري] ^(٦) وذكر أحدهم يدخل فيه باقيهم عليهم السلام ويشاركون غيرهم في الإمكان والحدوث والافتقار، فتكون عصمة غيرهم من فاضل عصمتهم، كأعمالهم وعقائدهم بالنسبة لأعمالهم وعقائدهم.

(١) ليست في «ب».

(٢) «لسان العرب» ج ٩، ص ٢٤٤، «عصم».

(٣) انظر: «تصحیح الاعتقاد» ضمن «سلسلة مؤلفات الشيخ المفيد» ج ٥، ص ١٦٢٨ «كشف المراد» ص ٣٦٥ «إرشاد الطالبين» ص ٣٠١.

(٤) في «ب»: «لقيامهم بظاهر الأكوهية بأمر الله في مقام العظمة، في مقام».

(٥) في «ب»: «بوجه، لا نفيّاً ولا ثبوتاً، نعم لسبقتهم».

(٦) من «ب».

فحكّم الصفات والأفعال للصفات والأفعال كحكّم الذوات للذوات، [ولهم: أيضاً المشاركة] ^(١١) في مقام الفرعية، وظهور استنارتهم لغيرهم بهم، بأمر الله، وهم ^(١٢) لا افتقارهم وزيادتهم بالأعمال [وأمره لهم بطلب الزيادة] ^(١٣) يطلبون العصمة منه تعالى، ولولا عصمته لهم وفضله ورحمته، ما زكى أحد أبداً. [ولم] ^(١٤) ينقطع عنهم هذا الافتقار له تعالى في كل آن و [أقل، والله] ^(١٥) لم يرفع يده عنهم [سبحانه وتعالى، وكل شيء بأمره قائم] ^(١٥).

[قال تعالى:] ^(١٦) ﴿إِنَّ اللَّهَ يُمِصُّكَ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضَ أَنْ تَزُولَا﴾ ^(١٧) ﴿وَلَوْلَا فَضْلُ اللَّهِ عَلَيْكُمْ وَرَحْمَتُهُ مَا زَكَا مِنْكُمْ مِنْ أَحَدٍ أَبَدًا﴾ ^(١٨) ﴿وَبِئْسَ آيَاتِهِ أَنْ تَقُومَ السَّمَاءُ وَالْأَرْضُ بِأَمْرِهِ﴾ ^(١٩)، وقال ^(٢٠): (كل شيء بأمره قائم) ^(١٠) [١١].

ففي كل | أن | متجدد يطلبون العصمة فيه، وهي تجري لهم بإمدادٍ وعطاءٍ جديد غير مقطوع، من إمكانهم إلى كونهم.

وأنى ^(٢١) باسم الله الجامع، و [معناه:] ^(٢٢) المستولي (على ما دق وجل) ^(٢٣)، كما عرفت، وهو مقام الألوهية إذ مألوه إمكاناً وكوناً [رهيناً] ^(٢٤).

وإذا قلنا: بأنهم معصومون بحسب الفؤاد والأمر والمعاني والأبواب، والإمامة والخيال والأجسام، وظاهر البشرية، وفي جميع أطوارهم - من الميل للمنافي، والشك والتردد والتوقف، وسائر أنواع الرجس في المقامات، ظاهراً وباطناً، قائماً هو بحسب ما عرفناه، بما ظهر لنا بناءً من معنى العصمة من المنافيات إجمالاً، لا بحسب معرفتها أصالة

(١) في «ب»: «ويلزم من ذلك أن لهم».

(٢) من «ب».

(٣) في «ب»: «ولا».

(٤) ليست في «ب».

(٥) من «ب».

(٦) «فاطر» الآية: ٤١.

(٧) «النور» الآية: ٢١.

(٨) «الروم» الآية: ٢٥.

(٩) (١٠) «نهج البلاغة» المنطبعة: ١٠٩، وفيها: (وكل شيء قائم به). وفي «البلد الأمين» ص ٩٧: (كل شيء سواك قام

بأمرك).

(١١) من «ب».

(١٢) ليست في «ب».

(١٣) انظر أوائل هذا المجلد، باب معاني الأسماء، ح ٢٣، «التوحيد» ص ٢٣٠، ح ٤.

(١٤) من «ب».

بحسب مقامهم، ورجوعها إلى الولاية المطلقة، واستحقاقه لقبول الفيض، فلا بد أن يكون القائم بها المظهر الأتم والكامل الأعم، أجمع الأدلة الدالة عليه تعالى وأشرفها، وسيأتي بسط الكلام في معنى العصمة وتحقيقها، زيادة على ذلك، على غير ما هو مرسوم في الصحف المتداولة، في مجلدات الحجّة إن شاء الله تعالى.

وفي قوله ﷺ: (وإياكم) يريد بهذا الضمير كل من أخذ عليه العهد لهم بهم، وجرى عليه القلم والتكليف، من كل موجود من أجناس المخلوقات وأنواعها وأصنافها وأشخاصها، في الذاتي والمرضي، والأصول والفروع، لعموم الوجود وصفته للكل، في كل بحسبه، وإن تفاوتوا في ذلك تفاوتاً كثيراً، في الذوات والصفات.

وإن أردت به الجنّ والإنس والملائكة، يكون دخول غيرهم تبعاً، وخصّوا بالذكر؛ لأنهم الأقوى في ذلك [ولكن ذكرهم يوجب ذكر غيرهم - ممّا أشرنا له - ولو تبعاً، كتبعية الاستنارات للنور، وهو لفعل المستنير] (١).

والوجه في طلبه ﷺ والتثبت والبقاء على ما هو عليه - بأن لا يزول - ظاهر، فإنّه في الحاجة والافتقار إليه وبحسب الإمكان يمكن أن يزول قلبه وتغيّر، على أنه ممن لا يقول: إنّه قام بما يجب عليه من حقّ الله، وإنّ جميع الخلق لا يقومون بمشر معشار عشر ما يقوم به بمقام من مقاماته، بل النسبة أقل بكثير، وهذا لا ينافي العصمة.

والوجه في أفراد الغير بالضمير - هنا - ظاهر من الوجه السابق.

والتقوى مراتب: تقوى يخصّ بهم ﷺ، وما لغيرهم: تقوى عوام، وخواص، وخواص خواص، وبيان ذلك وبسط الكلام فيه يأتي إن شاء الله في مجلد الإيمان، وفقنا الله إلى بلوغه.

قوله: ﴿ وأستغفر الله لي ولكم ﴾.

أقول: استغفارهم ﷺ [لأنفسهم] (٢)، لا من ذنب وقع منهم [في مرتبة من أكوانهم ولو سهواً وخطأً] (٣)، لما عرفت [في] (٤) عصمتهم من مقام عالم الأمر، ولم يعرض لهم مناب، وسيأتي بيانها في مجلدات الحجّة.

(٢) من «ب».

(١) من «ب».

(٤) في «أ»: «من».

(٣) من «ب».

بل [إِنَّمَا لِمَحْضِ التَّعَبُّدِ، وَلَا يَسْبِقُهُمْ سَابِقٌ إِلَى فِعْلِ خَيْرٍ فِي كُلِّ مَقَامٍ.
أَوْ لِدَفْعِ الرِّبَوِيَّةِ وَالْإِذْعَانِ بِالْعِبُودِيَّةِ.

أَوْ لِمَا يَعْضُرُ لَهُمْ مِنَ التَّأَلُّمِ مِنْ أَعْمَالِ الْمُقْصِرِينَ مِنْ أُمَّتِهِمْ.

أَوْ لِمَا يَرُونَ أَنْفُسَهُمْ فِيهِ مِنَ التَّقْصِيرِ عَنِ الْقِيَامِ بِمَا يَجِبُ عَلَيْهِمْ بِالنِّسْبَةِ لِمَخَالَفَتِهِمْ، فَهُمْ دَائِمًا ^{مُخَالَفُونَ} فِي مَقَامِ التَّقْصِيرِ، فَهُمْ يَسْتَغْفِرُونَ لِأَنْفُسِهِمْ وَلِغَيْرِهِمْ مِمَّنْ قَابَلَهُمْ وَأَعْرَجَ، وَيُظْهِرُ الثَّانِي بِاخْتِلَافٍ، بِحَسَبِ الْمَقَابِلِ، وَفِيهِ الْمَعْلُوقُ وَغَيْرُهُ ^(١)، وَسَيَأْتِي بِسَطِّ ذَلِكَ إِنْ شَاءَ اللَّهُ تَعَالَى.

تَمَّ الْمَجْلَدُ السَّادِسُ، وَيَتْلُوهُ إِنْ شَاءَ اللَّهُ الْمَجْلُدُ السَّابِعُ، أَوَّلُهُ: «بَابُ النُّوَادِرِ». وَصَلَّى اللَّهُ عَلَى مُحَمَّدٍ وَآلِهِ الْأَطْهَارِ.



مركز تحقيق وتطوير علوم إسلامية

(١) في «ب»: «لَمَّا يَرَوْنَ أَنْفُسَهُمْ مِنَ الْقُصُورِ، مَعَ مَا هُمْ عَلَيْهِ، وَلِتَفَاوُتِ مَقَامَتِهِمْ، وَكُلِّهَا كِهَالِ وَطَاعَةِ.

أَوْ مِنَ التَّحْتَلِّ مِنَ الْفَيْرِ، أَوْ لِتَأْذِيمِ بَعْضِ أَهْمَالِ أُمَّتِهِمُ الْقَبِيحَةِ. وَسَيَأْتِي بِسَطِّ ذَلِكَ فِي مَجْلَدَاتِ الْحِجَةِ إِنْ شَاءَ اللَّهُ.

أَوْ يَكُونُ لِمَحْضِ التَّعَبُّدِ، أَوْ لِنَسْبَتِهِمْ إِلَى الْخَيْرَاتِ فِي كُلِّ مَقَامٍ، أَوْ لِدَفْعِ الرِّبَوِيَّةِ.

وَاسْتَغْفَارِهِمْ لِغَيْرِهِمْ بِقَوْمِ الْبُرُوجِ مَعَ صِحَّةِ الْعَقِيدَةِ لَا يَقْلِبُ الْحَقَائِقَ، وَظُهُورِهِ بِحَسَبِ الْمَقَابِلِ مُخْتَلَفٍ، وَيَكُونُ فِي بَعْضِ ظَاهِرًا خَاصَّةً، أَوْ بَاطِنًا.



مرکز تحقیقات کامپیوتر علوم اسلامی

فهرس

■ مدخل..... ٩

الباب السادس عشر معاني الأسماء واشتقاقها، وأحاديثه اثنا عشر

- أضواء حول الباب ١٣
- الحديث الأول: تفسير (بسم الله الرحمن الرحيم) ١٧
- قول الملا الشيرازي: اما تفسيره للحروف فذلك بالتوقيف، ومناقشته ١٨
- قول محمد صادق: البهاء بمعنى الحسن، والسناء بمعنى الضوء ٢١
- قول الكاشاني: علم الحروف علم شريف، يستنبط منه جميع العلوم والمعارف ٢٢
- تحقيق المؤلف ٢٣
- بيان: تفسير الحروف بهذه الطريقة، وارد في أوائل السور ٢٥
- ويقع الكلام على البسمة في مقامات: ٢٨
- المقام الأول: إنها آية من كل سورة ٢٨
- في عدد آيات الفاتحة ٣١
- المقام الثاني: في فضلها ٣١
- المقام الثالث: في الكلام على تفسيرها ومعناها، ويقع في مسائل ٣٣

- ٣٣ ■ المسألة الأولى: الباء فيها للاستعانة.
- ٣٤ ■ قول الشهيد الثاني: الباء للملابسة.
- ٣٨ ■ المسألة الثانية: في الاسم.
- ٣٩ ■ تنبيه: فوائد إدخال الباء على الاسم.
- ٣٩ ■ المسألة الثالثة: في لفظ الجلالة.
- ٤٠ ■ المسألة الرابعة: «الرحمن» صفة عامة.
- ٤٤ ■ المسألة الخامسة: «الرحيم» مزلك معناه وأنه خاص.
- ٤٤ ■ إشارة وإبطال: دلالة البسمة والأمر بالاستعانة على بطلان مذهب الجبرية.
- ٤٥ ■ إشارة وإنارة: الرحمة حقيقة رقة القلب.
- ٤٦ ■ قول السامفاني: وهذا أشبه للتدقيق.
- ٤٦ ■ قول بهاء الدين: الرحمة رقة في القلب وتأثيرها.
- ٤٧ ■ وجوه ضعف لسان أهل العرفان:
- ٤٧ ■ الوجه الأول: أن الاستناد إلى «أخذ الغايات وأترك المبادئ» غير مفيد.
- ٤٧ ■ الوجه الثاني: أن استفراء الممكن دال على أن الرحمة معناها كذلك.
- ٤٧ ■ الوجه الثالث: عدم دلالة الآيات على المجاز.
- ٤٨ ■ الوجه الرابع: كيف يكون الممكن أصلاً لا اشتقاق الواجب ووصفه.
- ٤٩ ■ الوجه الخامس: إذا كان الرحمن مختصاً به، فما فائدة الوضع؟
- ٤٩ ■ الوجه السادس: الأصل في الاستعمال الحقيقية.
- ٥٠ □ الحديث الثاني، (يا هشام، الله مشتق من إله، وإله يقتضي مالوهاً).
- ٥١ ■ قول محمد صادق: التناضل التنازع.
- ٥١ □ الحديث الثالث، سئل عن معنى الله فقال: (استولوا على ما دنى وجل).
- ٥٢ □ الحديث الرابع، في آية «الله نور السموات والأرض» وشرحه.
- ٥٥ ■ الكلام في الآية فيه مسائل.

- المسألة الأولى: غير خفي وصفه بالنور، من القرآن والنص ٥٥
- المسألة الثانية: مناقشته لآراء العلماء ٥٧
- قول ملا خليل: إن بين لفظ الحديث، ووصف الله به، من قبيل المجاز المرسل ٥٧
- قول محمد صالح: النور وهو ينكشف به الأشياء، إما جسم أو عرض ٥٧
- المسألة الثالثة: التقابل بين النور والظلمة تقابل العدم والملكة ٥٨
- والملا الشيرازي فسر النور بالذات ٦١
- تنبيه: وجب من كونهم نور الوجود أنهم أئمة الهدى ٦٢
- تقرير المؤلف ٦٣
- بيان: في تضمن الحديث لمعاني النور، وعموم نورهم الوجود ٦٥
- من هفوات محمد صادق قوله: الهداية إرادة الطريق ٦٦
- الحديث الخامس: في آية «هو الأول والآخر» ٧٢
- قول محمد صادق: «والآخر» كونه تعالى غير متغير ٧٢
- قول الملا الشيرازي: في «هو الأول والآخر» ٧٩
- تقرير المؤلف: ٨٢
- إشكال ورد ٨٣
- قول الجوهري: ٨٥
- الحديث السادس: (الأول لا هن أول قبله، ولا عن بدء سببه، والآخر لا عن نهاية) ٨٦
- تحقيق حكيم ٨٧
- فائدة: سأل رجل أبا الحسن عن (الجواد) ٨٩
- الحديث السابع: أخبرني عن الرب تبارك وتعالى ٩٠
- تكملة الحديث: (فقال أبو جعفر عليه السلام: إن هذا الكلام وجهين) ٩٠
- تكملة الحديث: (وإن كنت تقول هذه الصفات) ٩١
- قول شارح المواقف: كيف يتصور كون الصفة عين الحقيقة الموصوفة ٩٤

- ٩٤ ■ قول من لا رفيع: وإن كان أن هذه الأسماء والصفات له سبحانه لم تنزل ٩٤
- ٩٦ □ تكلمة الحديث: (هل كان الله ولا خلق) ٩٦
- ٩٨ ■ بيان: جميع ما سواه أسماء وصفاته تدل عليه ٩٨
- ٩٩ □ تكلمة الحديث: (فتوكل إن الله قدير) ٩٩
- ١٠٣ □ تكلمة الحديث: (فقال الرجل فكيف سمينا ربنا سمياً) ١٠٣
- ١٠٤ □ تكلمة الحديث: (وكذلك سمينا لطيفاً لعلمه بالشيء اللطيف) ١٠٤
- ١٠٥ □ تكلمة الحديث: (وكذلك سمينا ربنا قوياً) ١٠٥
- ١٠٥ ■ أقول: أبطل المعنى المعروف ببرهانين ١٠٥
- ١٠٥ ■ البرهان الأول: لزوم التشبيه بالمخلوق ١٠٥
- ١٠٦ ■ البرهان الثاني: لزوم احتمال قوته الزيادة ١٠٦
- ١٠٧ □ الحديث الثامن: في رجل قال: الله أكبر (فقال: الله أكبر من أي شيء) ١٠٧
- ١٠٧ □ الحديث التاسع: (أي شيء الله أكبر) ١٠٧
- ١٠٨ □ الحديث العاشر: عن قول سبحانه الله (فقال ﷺ: أنفة الله) ١٠٨
- ١٠٩ □ الحديث الحادي عشر: «سبحان الله» (قال تنزيهه) ١٠٩
- ١٠٩ □ الحديث الثاني عشر: ما معنى الواحد (فقال: إجماع الألسن عليه بالوحدانية) ١٠٩

الباب السابع عشر

باب آخر

وهو من الباب الأول

- ١١٣ ■ أضواء حول الباب ١١٣
- ١١٤ ■ إبطال وتحقيق: في إجراء الحكماء المفاهيم اللفظية على الذات المقدسة ١١٤
- ١١٤ ■ قول العلامة: كل مفهوم إما أن يكون واجب الوجود، أو ممكن، أو ممتنع ١١٤

- وفي المنجى: قسمة المتصور إلى الموجود والمعدوم قسمة حاصرة ١١٤
- الحاصل: أن منشأ اللفظ نظرهم لأنوار صفات المخلوقات فجعلوها عامة ١١٦
- الحديث الأول: (وهو اللطيف الخبير السميع البصير...) ١١٧
- مناقشة محمد صادق في شرح الحديث ١١٧
- والظاهر من المازندراني: (فرق) أي بين مجموعاته ومبشرين مخلوقاته ١١٨
- أما ملا محسن: فاحتمل في (فرق) التنوين وكونه ماضياً ١١٩
- تكملة الحديث: (قلت: أجل جعلني الله فداك) وشرحه ١١٩
- كلام محمد باقر: في المراد بالتشبيه ١٢١
- ما قاله الملا هنا: (إنما التشبيه في المعاني) أي متماثلة المعنى ١٢١
- تكملة الحديث (وذلك أن الإنسان وإن ليل...) وشرحه ١٢١
- قول الصادق عليه السلام في حديث الأهلجة ١٢٢
- تكملة الحديث: (فلولك: اللطيف الخبير فشره لي...) وشرحه ١٢٣
- وفي حديث الرضا عليه السلام للزندق ١٢٤
- الحديث الثاني: عن علي بن محمد ١٢٥
- تكملة الحديث: (قال: اعلم علمك الله الخبر...) ١٢٥
- وقال بعض الأفاضل: متعلق الإقرار محذوف، والمعجزة اسم مفعول ١٢٧
- ومما احتمل ملا رفيع: ١٢٧
- تكملة الحديث: (وذلك أنه لو كان معه شيء...) وشرحه ١٢٧
- تكملة الحديث: (ثم وصف نفسه تبارك وتعالى...) وشرحه ١٢٨
- ثم اعلم: في كلام بعض الغالين ١٣٠
- تكملة الحديث: (قيل لهم: إن الله تبارك وتعالى...) وشرحه ١٣٠
- قول المازندراني: معنى الأسماء في الواجب مخالف لمعناها في غيره ١٣٣
- ومن أعجب المجائب ما نقله ملا خليل عن محمد أمين: أنه توهم أن المعاني اللغوية لتلك

- الأسماء مفقودة ١٣٥
- تكملة الحديث: (وإنما سمي الله تعالى بالعلم بغير علم حادث) وشرحه ١٣٥
- تكملة الحديث: (وسمي ربنا سميّاً لا بغير فيه يسمع به الصوت...) وشرحه ١٣٧
- تكملة الحديث: (وهو قائم ليس على معنى انتصاب وقيام...) وشرحه ١٣٨
- تكملة الحديث: (وأما اللطيف فليس على...) وشرحه ١٣٩
- تكملة الحديث: (وأما الظاهر، فليس من أجل أنه علا الأشياء...) ١٤١
- ذكر للظاهر معان: ١٤١
- أما الأول: الظاهر بمعنى تشبهه على الشيء ١٤١
- الثاني: الظاهر بمعنى قاهر لها ١٤٢
- تكملة الحديث: (وأما الباطن فليس على معنى الاستيطان للأشياء) وشرحه ١٤٣
- تكملة الحديث: (وأما القاهر فليس على معنى علاج ونصب...) وشرحه ١٤٤
- تكملة الحديث: (وهكذا جميع الأسماء وإن كنا لم نستجمعها كلها...) وشرحه ١٤٥

الباب الثامن عشر

تأويل الصمد، وفيه حديثان

- أضواء حول الباب ١٤٩
- الحديث الأول: (ما الصمد؟ قال: السيد المصمود إليه في القليل والكثير) ١٤٩
- الحديث الثاني: (إن الله تباركت أسأوه التي يدعى بها) ١٤٩
- روايات حول الصمد ١٥٠
- جواب الإمام الباقر عن الصمد ١٥٠
- جواب الإمام الصادق عن الصمد ١٥١
- مسائل اشتمل عليها الحديث ١٥٣
- فمنها: أنه قدم لهم النهي عن تفسير القرآن بالرأي ١٥٣

٥٧٩	الفهرس
١٥٣	■ ومنها: مخالفة النفس للبدن
١٥٣	■ ومنها: أن الإبصار بخروج الشعاع
١٥٣	■ ومنها: تفسير الصمد بالتأويل
١٥٣	■ ومنها: الإشارة إلى الظهور والخفاء بمثال
١٥٣	■ ومنها: الإشارة إلى عدم جواز إظهار العلم لغير أهله
١٥٣	■ تقرير المؤلف
١٥٤	■ قول محمد بن يعقوب الكليني، في تأويل الصمد

الباب التاسع عشر

الحركة والانتقال، وأحاديثه عشرة

١٥٩	■ أضواء حول الباب
١٥٩	□ الحديث الأول: (إن الله لا ينزل ولا يحتاج إلى أن ينزل..)
١٦٠	■ تنزيه الخالق عن الحركة
١٦٤	■ قول محمد صادق: القوم رويوا أنه تعالى ينزل إلى السماء الدنيا
١٦٥	□ الحديث الثاني: (لا أقول: إنه قائم، فأزيد عن مكانه..)
١٦٥	■ نفي التنقل والتحول
١٦٦	■ قول محمد صادق: أن الله تعالى مرتبتين، التنزيه والإحاطة
١٦٨	■ تنمة بيانية: إنما الصفات والأسماء تدل عليه تعالى
١٦٨	■ ثم نرجع ونقول: روى الصدوق في التوحيد مثله
١٦٩	□ الحديث الثالث: حوار ابن أبي العوجاء مع الامام الصادق
١٧٠	■ التنقل والتحول
١٧٢	■ تنبيه: حول ما اعترض به الزنديق على أهل الحج وأفعالهم

- ١٧٢ ■ قول محمد صادق: إحاطة الله بالكل، يعني: ليس موجود خالياً عنه تعالى
- ١٧٣ □ الحديث الرابع: (في نزوله تعالى إلى السماء الدنيا)
- ١٧٤ ■ قول محمد صادق: قد علمت أنه تعالى في التنزيه صرف الوجود
- ١٧٦ ■ قول الكاشاني: إنما أجمل في الجواب، لغموض سر النزول
- ١٧٧ ■ في قوله تعالى ﴿ما يكون من نجوى ثلاثة إلا هو رابعهم﴾
- ١٧٧ □ الحديث الخامس: (هو واحد واحدي الذات، بائن من خلقه...)
- ١٧٨ ■ قول محمد صادق: كانوا أربعة بالاعتبار
- ١٨٣ ■ قول الشيرازي: دال على قولنا بأن فاعل الأشياء هو الطبيعة الجسمانية
- ١٨٤ ■ قول المجلسي: في معنى النجوى
- ١٨٦ ■ بيان: معنى حديث (لم يزل بلا زمان ولا مكان)
- ١٨٧ ■ قول محمد باقر: (غير خلقه) أي ليس الحجاب بينه وبين خلقه
- ١٨٨ ■ مختصر ما قاله الشيرازي في أسرار الآيات: والنور والوجود، حقيقة واحدة
- ١٩٠ ■ في قوله تعالى ﴿الرحمن على العرش استوى﴾
- ١٩٠ □ الحديث السادس: (استوى على كل شيء، فليس شيء أقرب إليه من شيء)
- ١٩٠ □ الحديث السابع: (استوى على كل شيء)
- ١٩١ □ الحديث الثامن: (لم يبعد منه بعيد، ولم يقرب منه قريب)
- ١٩٤ ■ تقرير المؤلف للآية
- ١٩٨ ■ قول الكاشاني: وأما اتصافه بما يوهم التشبيه وإنما ذلك من حيث أسمائه
- ١٩٩ ■ قول الكاشاني: فسر الإمام الاستواء باستواء النسبة
- ٢٠٠ ■ قول محمد صادق: الرحمن لما كان مجرداً قلبه في حد ذاته حكم
- ٢٠١ ■ وقال في شرح حديث محمد بن مارد: (التعيين عارض على الوجود في المفهوم)
- ٢٠١ ■ تنمة لما سبق: في تنزه الذات عن الحركة
- ٢٠٢ □ الحديث التاسع: (من زعم أن الله من شيء... فقد كفر..)

- قوله: (أعني بالحواية من الشيء له...) أوجه الكفر يعني: من قصد أنه تعالى محاطٌ من شيءٍ من مخلوقاته ٢٠٣
- قول الملا الشيرازي: إن إطلاق هذه الألفاظ، مستلزم لاعتقاد التجسيم في حقّه تعالى ٢٠٤
- في قوله تعالى ﴿وهو الذي في السماء إله وفي الأرض إله﴾ ٢٠٤
- قول محمد صادق: في بيان الآية كل ذلك في حد ذاته تعالى ٢٠٥
- بيان: في نفي المكانية عنه تعالى بالذات ٢٠٦
- الحديث العاشر، في الآية (وهو الذي في السماء إله.....) ٢٠٦
- بيان: في القبلية والبعدية ٢٠٨
- تشبيه: في مبدأ اشتقاق الأسماء والصفات ٢٠٩
- خاتمة تشتمل على مقامين ٢٠٩
- المقام الأول: تحقيق يتضح به وجه ما سبق من الأحاديث وما سيأتي ٢٠٩
- المقام الثاني: قول محمد صادق: أن كل شيء مظهر لاسم من أسماء الله تعالى ٢١٥
- قول الملا الشيرازي في شرح الحديث ٢١٧
- بيان: معنى حديث (أين وجه النار) ٢١٩
- بيان: من أحد وجوه الآية ٢٢٠
- بيان: تأويل ما يوهم التشبيه ٢٢٠
- قول الكاشاني: أما اتصافه تعالى بما يوهم التشبيه ٢٢٠

الباب العشرون

العرش والكرسي، وأحاديثه سبعة

- أضواء حول الباب ٢٢٣
- معاني العرش ٢٢٤
- بيان: أن إطلاق العرش على العلم لا يراد به العلم الذاتي ٢٢٦

- ٢٢٨ بيان: أن العرش هنا ثالث رتبة للحقيقة المحمدية
- ٢٢٢ كشف ظلمة: فيما قاله المؤلف الجبلاني أن العرش مظهر العظمة، ومناقشته
- ٢٢٥ تقرير المؤلف
- ٢٣٧ فائدة (من زار رسول الله كمن زار الله فوق عرشه) وكذلك زيارة الحسين عليه السلام
- ٢٣٨ بيان: معنى زيارة الله في عرشه
- ٢٣٩ فائدة: في تفضيل زيارة الحسين عليه السلام
- ٢٤٠ الحديث الأول، سأل الجليلي أمير المؤمنين (أخبرني عن الله عز وجل)
- ٢٤١ مناقشة ما قاله بعض الشراح في مسائل الحديث العظام
- ٢٤١ قول محمد صادق في معنى العرش، ومناقشته
- ٢٤٦ قول الملا صدرا: العقل وما فوقه كل الأشياء، ومناقشته
- ٢٥٢ وللملا الشيرازي في شرح الحديث كلام طويل
- ٢٥٥ معنى حمل الشيء وأقسامه
- ٢٥٥ القسم الأول: القيام الصدوري، كالمطول بعته
- ٢٥٥ القسم الثاني: القيام المضدي أو الركني
- ٢٥٥ القسم الثالث: قيام لزومي
- ٢٥٥ القسم الرابع: قيام عروضي
- ٢٥٥ القسم الخامس: قيام وحمل ظهوري
- ٢٥٩ قول السيد الداماد: إذا كان شيء باطل الذات، ثم تقر، فالذي منه ذاتاً نفس هذه الذات
- ٢٦١ تنبيه تلخيصي
- ٢٦١ رجم شياطين: في من قال أن الحادث بعد حدوثه مستغن عن المؤثر
- إبطال وإيضاح: فيما قال السيد الداماد بأن من الفاعلة من مؤه بأن بقاء الذات مع بطلان العلة
- ٢٦٣ ليس يوجب استثناء الطباع الفاقرة
- ٢٦٥ تكملة الحديث، في قوله تعالى: ﴿ويحمل عرش ربك فوقهم يومئذ ثمانية﴾

- قول ملا خليل القزويني: في الأنوار الأربعة ٢٦٥
- ولا يخفى ما فيه من البعد وعدم التمامية ٢٦٦
- فأولاً: أن احمرار الحمرة منه، وكذا الباقي، يقتضي كونه بذاته كذا ٢٦٦
- وثانياً: يكون الأبيض والأخضر شيئاً واحداً بلا تفاوت حقيقةً ٢٦٧
- وثالثاً: إذا كان الأصفر عبارة عن الجهل، والأحمر من القبائح، فما معنى تحميل سائر القبائح
الشملة ٢٦٧
- قول بعض الأفاضل: قد تحيرت الأنظار في فهمهم هذا الحديث ٢٦٧
- قول الفيض الكاشاني: الأنوار الأربعة هي الجواهر القدسية العقلية التي هي وسائط جوده
تعالى ٢٦٩
- تذكرة وتحقيق: معاني العرش ٢٦٩
- بسط البيان بعبارة أخرى ٢٧٢
- صوم التريبع ٢٧٢
- الأنوار الأربعة ٢٧٤
- النور الأبيض ٢٧٤
- النور الأصفر ٢٧٤
- النور الأخضر ٢٧٥
- النور الأحمر ٢٧٥
- تنبيه: في الأنوار الأربعة ٢٧٩
- تلمة نقلية: في قول المازندراني إن الموجود إما شر، أو خير، أو مشوب ٢٨٠
- تكلمة الحديث: (لبعظمته ونوره أبصر قلوب المؤمنين) وشرحه ٢٨١
- تكلمة الحديث: (قال له: فأخبرني عن الله عز وجل أين هو) وشرحه ٢٨٣
- قول الملا الشيرازي: في معنى ذلك بما يعود إلى وحدة الوجود ٢٨٣
- تكلمة الحديث: (فالكروسي محيط بالسموات والأرض) «وما بينها وما تحت الثرى»

- ٢٨٣ وشرحه
- ٢٨٥ □ تكملة الحديث (فالذين يحملون العرش هم العلماء)
- ٢٨٥ ■ امتناع حمل جملة العرش لله ببرهانين
- ٢٨٥ ■ البرهان الأول: أن بحياته ووجوده يحيي كل شيء منه
- ٢٨٥ ■ البرهان الثاني: أن بنوره اهدوا إلى معرفته
- ٢٨٦ ■ قول الملا الشيرازي: في إحاطة علمه تعالى بجميع الموجودات الكلية والجزئية ومناقشته
- ٢٩٢ ■ تنمة «وكذلك تُرى إبراهيم ملكوت السموات...» إلخ
- ٢٩٦ ■ رجع وتلخيص: في أن العرش هو العلم
- ٢٩٧ ■ فأتضح لك حينئذ ما قاله الصدوق: أما العرش الذي هو العلم، فحملته أربعة من الأولين وأربعة من الآخرين
- ٢٩٩ □ الحديث الثاني (كل محمول مفعول به، مضاف إلى غيره محتاج)
- ٣٠٠ ■ أبو قرة المحدث هو صاحب شبرمة، كما صرح به الطبرسي
- ٣٠٠ ■ مسأله مع الرضا عليه السلام
- ٣٠٣ ■ تنبيه: حمل الله الأشياء بفعله
- ٣٠٣ □ تكملة الحديث: (قال أبو قرة، فإنه قال: «ويحمل عرش ربك»)
- ٣٠٥ ■ لا حاجة إلى قول ملا محسن
- ٣٠٦ ■ ولا إلى ما قاله الشارح محمد صالح
- ٣٠٧ ■ تنمة: سيأتي أن وصفه تعالى بفوق... من الصفات الاضافية
- ٣٠٧ □ تكملة الحديث: (قال أبو قرة: فتكذب بالرواية التي جاءت: أن الله إذا غضب...)
- ٣٠٨ □ تكملة الحديث: (كيف تجزيء أن تصف ربك بالتغيير من حال إلى حال)
- ٣٠٩ ■ قول محمد صادق: إن الله تعالى مرتبتين
- ٣٠٩ ■ أحدهما: أنه تعالى وجود من حيث إنه وجود صرف

- وثانيهما: أنه تعالى مع جميع الأسماء والصفات ٣٠٩
- والملا الشيرازي: فسر الحديث بظاهره، وهو حق، لكنه جعله جارياً على فهم أبي قزة، لقصوره ٣١٦
- وقال بعض: إن الرابطة كون الوجود واحداً، هو واجب الوجود ٣١٨
- وقال بعض: وجه المناسبة كون الوجود حقيقة واحدة، شاملة للممكن والواجب ٣١٨
- وقال بعض: الاشتراك في المفهوم لا في المصدوق، أو أنه لفظي ٣١٨
- وقال الفيض الكاشاني: إن كل لفظ ليس هو من الألفاظ الكمالية، ومناقشته ٣١٨
- الحديث الثالث: ﴿وسع كرسيه السموات والأرض﴾ يا فضيل، كل شيء في الكرسى ٣١٩
- الحديث الرابع: ﴿وسع كرسيه﴾ السماوات والأرض وسمن الكرسى؟ ٣٢٠
- الحديث الخامس: ﴿وسع كرسيه﴾ ٣٢٠
- بيان: أن الكرسى بمعنى العلم أقوى رتبة ٣٢١
- بيان: المعروف من الروايات تعدد معاني الكرسى ٣٢٢
- بيان: بعض ما في آخر الحديث ٣٢٥
- الدائرتان المشهورتان ٣٢٥
- الأولى: عقل الكل، ونفس الكل... الخ ٣٢٥
- الثانية: جهل الكل والثرى والطمطم... الخ ٣٢٥
- فتحقق من ذلك أن الحمل قسمان: ٣٢٦
- حمل إمداد وتمكن من العلة الفاعلية ٣٢٦
- وحمل قبول لشؤونه وتفاصيلها ٣٢٦
- قول محمد صادق: يمكن أن يكون المراد من الكرسى الوجود المحيط بالكل ٣٢٧
- وقال في شرح الحديث الرابع: الأولى أن يقال: المراد من الكرسى قلب العبد المؤمن ٣٢٨

- ٣٢٨ قول ملا خليل القزويني: المراد بالكرسي نوره وعظمته
- ٣٢٩ قول الملا الشيرازي: «السموات والأرض» أي كل شيء غيرهما تفصيل لكل شيء
- ٣٣٠ قوله في شرح الحديث الرابع: والعرش عطف
- ٣٣٠ تنبيه نقلي: أقوال العلماء في معنى الكرسي
- ٣٣١ الحديث السادس: (حملة العرش ثمانية)
- ٣٣١ قول ملا خليل في تفسير الأربعة
- ٣٣٢ قول محمد صادق: إن العلم التفصيلي لله تعالى وجودات الأشياء وصفاتها
- ٣٣٣ أقول: كلامه ظاهر، والعرش يطلق على معان:
- ٣٣٣ منها العلم الأمور بتبليغه إلى المكلفين
- ٣٣٣ وتارة يطلق على الدين
- ٣٣٣ وتارة على الملك
- ٣٣٣ وتارة على الملك الباطن
- ٣٣٤ الحديث السابع: «وكان عرشه على الماء» فقال: ما يقولون؟
- ٣٣٤ الأكوان الستة:
- ٣٣٤ الأول منها: الكون النوراني
- ٣٣٥ والكون الثاني جوهرى
- ٣٣٥ الكون الهوائى
- ٣٣٥ الكون المائى
- ٣٣٥ الكون النارى
- ٣٣٥ والكون السادس: الأظلة عالم المثال
- ٣٣٦ استدلال الإمام على إبطال ما فاته المشبهة بثلاثة براهين
- ٣٣٦ البرهان الأول: أنه صيره محمولاً



مركز تحقيق كتب أمير علم سدي

- البرهان الثاني: لزوم التشبيه ٣٣٦
- البرهان الثالث: لزوم كون غيره أقوى منه ٣٣٦
- تكملة الحديث: (قلت: بين لي جعلت فدالك) ٣٣٦
- من هفوات محمد صادق قوله: إن المراد من العلم: العلم النظري والمعملي ٣٣٨
- تشبيه: الماء الذي حمل علمه ٣٤٣
- قول ملا خليل: كأنه إشارة إلى ما سيجيء في الباب الثاني ٣٤٣
- تشبيه: قد عرفت فيما سبق دوران الوجود على الخلق والرزق... الخ ٣٤٤
- وللملا الشيرازي كلام طويل ٣٤٥
- ما ذكره الفيض الكاشاني: أن المراد بالماء المادة الجسمانية ٣٤٦
- تكملة الحديث: (ثم قال لبي آدم: أفزوا لله بالرهوية...) ٣٤٨

الباب الحادي والعشرون الروح، وفيه أربعة أحاديث

- أضواء حول الباب ٣٥٣
- المراد من الروح ٣٥٣
- بيان: الروح ما به حياة الأنفس ٣٥٦
- واعلم أن أعلى الأرواح روح القدس ٣٥٦
- بيان في أن المراد بالنهر: الوجودات المقيدة ٣٥٧
- أولها: من عقل الكل: مقام المعاني ٣٥٧
- الثاني: واسطة بين العقل والنفس الكلية ٣٥٧
- المراد بالروح، وفي أقسامها النفس ٣٥٧
- الحديث الأول: «فإذا سوّيته ونفخت فيه من روحي» قال: هذه روح مخلوقة ٣٥٩

- ٣٥٩ □ الحديث الثاني: «وروح منه» قال: هي روح الله مخلوقة
- ٣٦٠ ■ قول محمد صادق: لا توهمن أن تسوية البدن قبل خلق الروح
- ٣٦٢ ■ قوله في الحديث الثاني: علمت جامعة الإنسان للوجودات عموماً
- ٣٦٣ ■ قول الملا الشيرازي: يمكن أن يكون في الأرواح روح غير مخلوق
- ٢٦٣ ■ ثم نرجع ونقول: كلام المؤلف
- ٣٦٥ ■ وجملة القول
- ٣٦٦ □ الحديث الثالث: «ونفخت فيه من روحي» كيف هذا النفخ؟
- ٣٦٧ ■ تنبيه: نفخ الروح في البدن يختلف مدةً والروح
- ٣٧٠ ■ رجع وتلخيص وإفادة
- ٣٧١ ■ قول ملا محسن في شرح الحديث: الروح له مظاهر ومجالي في الجسد
- ٣٧١ ■ قول الشارح ملا خليل: توهم السائل أن الروح مجردة
- ٣٧٢ ■ تنمة: في سؤال الخضر لعلي عليه السلام عن روح النائم
- ٣٧٢ ■ ما ذكره السيد الداماد: أن النفس جوهر مفارق مجرد
- ٣٧٤ □ الحديث الرابع: (هي صورة محدثة مخلوقة)
- ٣٧٤ ■ كلام المؤلف
- ٣٧٤ ■ الحديث والتجسيم
- ٣٧٦ ■ فعمل ابن طاووس على حديث الميون
- ٣٧٦ ■ قول محمد صالح: إن الرواية لا دلالة فيها على مطلوبهم
- ٣٧٦ ■ أقوال العلماء في الحديث وهي عشرة
- ٣٧٧ ■ روايات خلق آدم عليه السلام
- ٣٨٠ ■ القول العاشر: وهو المختار، ويحتاج إلى تقديم مقدمات
- ٣٨٠ ■ المقدمة الأولى: أن الصورة تطلق على المحسوس الخارجي
- ٣٨٠ ■ المقدمة الثانية: وجوب تنزيهه تعالى عن الضد والندى

- المقدمة الثالثة: أن الموجودات مختلفة إحاطة وجامعية ٣٨١
- المقدمة الرابعة: أشد الموجودات إحاطة الإنسان ٣٨١
- المقدمة الخامسة: أفراد الإنسان مختلفة في هذه الإحاطة وفعاليتها ٣٨٢
- نتيجة البحث: إن الإنسان الكامل له ارتباط بالكل ٣٨٤

الباب الثاني والعشرون جوامع التوحيد، وأحاديثه سبعة

- أضواء حول الباب ٣٨٩
- الحديث الأول، (الحمد لله الواحد الأحد) خطبة للإمام علي عليه السلام ٣٩٠
- قول محمد صادق: الذات مع صفة العلم مرتبة الغيب، وهي مرتبة الأحدية ٣٩٢
- وقال في شرح الحديث: الله اسم للذات، بشرط كونها مقصودة للغير ٣٩٢
- فائدة: في تعبيرة عليه السلام عن نفي حدوده تعالى كونه غير محدود ٣٩٥
- تكملة الحديث: (قدرة بان بها من الأشياء) وشرحه ٣٩٦
- ومن هفوات محمد صادق أن قال: قوله عليه السلام (قدرة) كأنه استثناء ٣٩٧
- تكملة الحديث: (كل دون صفاته تهبير اللغات) وشرحه ٣٩٧
- تكملة الحديث: (وچار في ملكوته عميقات مذاهب التفكير) وشرحه ٣٩٧
- تكملة الحديث: (وانقطع دون الرسوخ في علمه) وشرحه ٣٩٨
- تكلمة الحديث: (وحال دون غيبه المكنون) وشرحه ٣٩٨
- تكملة الحديث: (فأنت في أدن أدانيها طامحات العقول) وشرحه ٣٩٩
- تكملة الحديث: (فتبارك الله الذي لا يبلغه بعد المهم) وشرحه ٤٠٠
- تكملة الحديث: (حد الأشياء كلها عند خلقه) ٤٠١
- قول محمد صادق: يعني لكل ما خلق الله حد لا يتجاوزه ٤٠١

- قول ملا خليل القزويني: (حد الأشياء) استئناف ٤٠٢
- قول الملا الشيرازي: إنه تعالى جعل لكل شيء حداً، ومناقشته ٤٠٣
- تقرير المؤلف ٤٠٧
- والحاصل: أن نفس المخلوقة تقتضي حدوداً ٤١١
- بيان: أثبت عليه السلام بقوله: إنه خلق الخلق بتحديد وتقدير ٤١١
- تكملة الحديث: (لم يخلُ فيها فيقال: هو فيها كائن) وشرحه ٤١٢
- واعلم: أن تحقيق هذا الدخول والخروج، يحتاج إدراكه إلى لطف ٤١٢
- قول محمد صادق: إحاطة الله ليس كإحاطة الظرف بالمظروف ٤١٧
- قول الملا الشيرازي: الله تعالى جعل لكل شيء حداً محدوداً ٤١٧
- ثم نرجع ونقول: إن عمران الصابي لما سأل، عن له الإمام الحق بمثال ٤١٨
- بيان: لقد أوضح عليه السلام له بذلك كمال الإيضاح ٤١٩
- ثم اعلم: الروايات مختلفة في سبب الرؤية ٤٢٠
- ثم نرجع ونقول: إنك بالتفاتك ينفصل من مثالك صورة تدل عليك ٤٢٠
- واعلم أن الاستدلال بشيء على شيء لا يوجب المناسبة الذاتية ٤٢٢
- فائدة توضيحية: معرفة جميع أحكام المبدأ تعرف من ظهور الوجه في الصورة ٤٢٢
- تكملة الحديث: (لم يخل منها، فيقال له: أين) ٤٢٣
- ومن هفوات الملا الشيرازي: ما قاله في شرح هذا الجملة، بمد وصفه ٤٢٤
- تكملة الحديث: (لكنه سبحانه أحاط بها علمه، وأتقنها صنعه، وأحصاها حفظه) ٤٢٦
- ومن هفوات محمد صادق: قال في (لكنه أحاط بها علمه) ٤٢٧
- وقال الملا الشيرازي: قوله عليه السلام: (لكن أحاط بها علمه، وأتقنها صنعه) ٤٢٩
- الملا أطال الكلام ٤٣٠
- تكملة الحديث (لم يعزب عنه خفيات غيوب الهواء) ٤٣١
- قول محمد صالح: العالم يحيط بعضه ببعض ٤٣٢

- الفهرس ٥٩١
- تكملة الحديث (الواحد الأحد الصمد) ٤٣٣
- قول محمد صادق: اللازم يتبع الملزوم ٤٣٣
- تكملة الحديث: (ابتدع ما خلق بلا مثال سبق) وشرحه ٤٣٤
- تكملة الحديث: (وكل صانع شيء فن شيء صنع) وشرحه ٤٣٥
- تكملة الحديث: (وكل عالم فن بعد جهل تعلم) وشرحه ٤٣٥
- تكملة الحديث: (لم يكونها لتشديد سلطان، ولا خوف من زوال ولا نقصان) ٤٣٦
- حلة خلق الخلق ٤٣٨
- واعلم أيضاً أنه لا نسبة ورابطة بين الله وخلقه ٤٣٩
- ولنعيد الكلام بعبارة أخرى في الحديثين ٤٣٩
- قال محمد صادق في الشرح: قوله: (لم يكونها) إلى قوله: (مكابر) ٤٤٢
- وقال الملا الشيرازي: في قوله عليه السلام: (لم يكونها لتشديد سلطان) ٤٤٢
- شرح حديث عمران مع الإمام الرضا عليه السلام ٤٤٥
- تكملة الحديث: (فسبحان الذي لا يؤوده خلق ما ابتدأ) وشرحه ٤٤٨
- تكملة الحديث: (توخذ بالربوبية، وخص نفسه بالوحدانية) وشرحه ٤٥٠
- تكملة الحديث: (وعلا عن اتخاذ الأبناء) ٤٥٢
- تكملة الحديث: (بذلك أصف ربي) وشرحه ٤٥٢
- الحديث الثاني: (إن الله تبارك اسمه وتعالى ذكره...) ٤٥٤
- الحديث الثالث: (من اتقى الله يتق، ومن أطاع الله يطاع) ٤٥٥
- تكملة الحديث: (فتلطف في الوصول إليه) ٤٥٦
- تكملة الحديث: (وإن الخالق لا يوصف إلا بما وصف به نفسه) ٤٥٦
- ثم نرجع ونقول: إن الله لا يوصف ويعرف بما وصف به غيره ٤٥٨
- قول محمد صادق: إن الله تعالى أحاط بظاهر العباد وباطنها ٤٥٩
- قول ملا خليل: (نأى) أي يمتد عنا ذاتاً ٤٥٩

- ٤٦٠ ■ توضيح بياني: لقوله ﷺ (نأى في قربه)
- ٤٦١ ■ وكذا قول بعض المتكلمين:
- ٤٦٣ □ تكملة الحديث: (كيف وكيف، فلا يقال: كيف)
- ٤٦٣ ■ ومن هفوات محمد صادق: ما قاله هنا: وأن الله أحاط بظاهر العباد وبياطنها
- ٤٦٤ □ الحديث الرابع: في سؤال ذعبل اليماني لعلي ﷺ: (هل رأيت ربك)
- ٤٦٤ ■ قال الملا محسن: هذا الحديث مشهور بين الخاصة والعامة
- ٤٦٥ □ تكملة الحديث: (ويلك يا ذعبل، إن ربي لطيف اللطافة)
- ٤٦٥ ■ الصفات الذاتية والتنزيهية والأفعال
- ٤٦٦ □ تكملة الحديث: (موجود لا بعد عدم، فاعل لا باضطرار) وشرحه
- ٤٦٦ ■ لا يعرف بصفة خلقه
- ٤٦٨ □ تكملة الحديث: (بتشعره الشاعر عرف أن لا مشعر له)
- ٤٦٩ ■ جملة من الأدلة الآفاقية دالة على عدم اتصافه بها:
- ٤٦٩ ■ منها: أنه لا مشعر له، وهو ما به الشعور
- ٤٦٩ ■ ومنها: أنه ليس بجوهر
- ٤٦٩ ■ ومنها: أنه لا ضد له
- ٤٦٩ ■ ومنها: أنه لا قرين له
- ٤٧٠ ■ ولا يخفى حيثئذ ما في كلام محمد صالح: في شرح الحديث
- ٤٧١ □ تكملة الحديث: (ضاد النور بالظلمة) وشرحه
- ٤٧٢ □ تكملة الحديث: (والليس بالليل) وشرحه
- ٤٧٢ □ تكملة الحديث: (والخشن باللين) وشرحه
- ٤٧٢ □ تكملة الحديث: (مؤلف بين متعاداتها) وشرحه
- ٤٧٣ □ تكملة الحديث: (دالة بتفريقها على مفزقها) وشرحه
- ٤٧٤ □ تكملة الحديث: (لفرق بين قبل وبعد) وشرحه

- الفهرس ٥٩٣
- تنمة: لتاكان وجود الله أحداً خالصاً ٤٧٥
- تكملة الحديث: (عجب بعضها عن بعض) وشرحه ٤٧٥
- تكملة الحديث: (كان رباً إذ لا مربوب) وشرحه ٤٧٦
- خاتمة: في مجمل الحديث وطريق معرفته تعالى ٤٧٧
- قول محمد صادق: الأبصار لا تدرك إلا ما كان في مقابل ٤٧٩
- واعلم: إذا أطلق على الله لفظ «كان» فيجب تجريدتها عن الزمان ٤٨٢
- ومن هفوات محمد صادق: ما قاله في شرح الحديث ٤٨٣
- قول الملا الشيرازي: في شرح (كان رباً إذ لا مربوب) بيانه مبني على مقدمات ثلاث ٤٨٤
- أولها: أن لكل ماهية نوعاً خاصاً من الوجود يستحيل خلافه ٤٨٤
- الثانية: أن الزمان والدهر والسرمد أوعية الوجود ٤٨٤
- الثالثة: أن الباري جميع صفاته وحيثياته راجعة إلى نفس ذاته ٤٨٥
- قول ملا خليل القزويني: شرح (رباً إذ لا مربوب) ٤٨٨
- قول محمد أمين: (إذ لا مالوه) أي لم تحصل العبادة بعد ٤٨٩
- قول ملا خليل: ويحتمل أن يراد بالمألوه: المعبود ٤٩٠
- الحديث الخامس: (عجباً لأقوام يدعون على أمير المؤمنين عليه السلام) وشرحه ٤٩٠
- تكملة الحديث: (خطب أمير المؤمنين عليه السلام الناس بالكوفة) ٤٩١
- قول محمد صادق في (الحمد لله الملهم) ٤٩٣
- تكملة الحديث: (الذال على وجوده بخلقه) ٤٩٤
- قول محمد صادق: بوجوده بخلقه يدل على إحاطته تعالى على خلقه. ومناقشته ٤٩٤
- تكملة الحديث: (المستشهد بآياته على قدرته) ٤٩٧
- قول الملا في شرحه (المتنعة من الصفات ذاته) أراد بالصفات الأحوال الزائدة ٤٩٨
- قول محمد صادق في شرح (المستشهد بآياته على قدرته) آياته الممكنات ٥٠٣
- تكملة الحديث: (والحجاب بينه وبين خلقه) ٥٠٥

- ٥٠٧ ■ تنبيه تميمي: ما به الحجاب به الظهور.....
- ٥٠٨ ■ قول محمد صادق: (والحجاب بينه وبين خلقه) هو ذواتهم.....
- ٥٠٩ □ تكملة الحديث: (لا متاعه مما يمكن في ذواتهم).....
- ٥١١ ■ واعلم: كل ما امتنع في الممكن حصل في الواجب.....
- ٥١٢ □ تكملة الحديث: (ولا افتراق الصانع من المصنوع).....
- ٥١٢ ■ الأدلة على تنزيه الله عما عدده من الصفات.....
- ٥١٢ ■ الدليل الأول: افتراق الصانع من المصنوع.....
- ٥١٣ ■ الدليل الثاني: افتراق الحاة من المحدود.....
- ٥١٣ ■ الدليل الثالث: افتراق الرب من المربوب.....
- ٥١٣ ■ ثم اعلم: أنك إذا تبقت أن معرفته معرفة دلالة.....
- ٥١٤ □ تكملة الحديث: (الواحد بلا تأويل عدد) وشرحه.....
- ٥١٥ ■ تحقيق المؤلف: لا يمكن أن تكون وحدته بتأويل العدد.....
- ٥١٧ ■ من هفوات محمد صادق قوله: وحدته تعالى لبست عددية بل معنوية.....
- ٥١٩ ■ قول الملا الشيرازي: وحدته التي تحصل بتكرار أمثاله الموجودة أو الموهومة.....
- ٥٢٤ □ تكملة الحديث: (أزله نهي لجأول الأفكار) وشرحه.....
- ٥٢٦ □ تكملة الحديث: (من وصف الله فقد حده) وشرحه.....
- ٥٢٦ □ تكملة الحديث: (ومن قال: أين فقد هتأه) وشرحه.....
- ٥٢٧ □ الحديث السادس: (الحمد لله الملهم عباده حمده) وفيه فوائد.....
- ٥٢٧ ■ الفائدة الأولى: إن أول الديانة معرفته تعالى.....
- ٥٢٨ ■ وقال جماعة: إن أول الواجبات هو النظر.....
- ٥٢٩ ■ ما نقل من بعض المتكلمين: إن أول الواجبات الشك.....
- ٥٣٠ ■ وفي حواشي المجلي: في الاستدلال بقوله عليه السلام على كون المعرفة أول الواجبات، نظر.....
- ٥٣٠ ■ تنبيه: في قول الشيخ ميشم: المراد من كونها أول الدين أوليتها عقلاً.....

٥٩٥	الفهرس
٥٣٠	■ الفائدة الثانية: أثبت ﷺ مراتب خمساً
٥٣٣	■ الفائدة الثالثة: مراتب المعرفة خمسة
٥٣٥	■ الفائدة الرابعة: كمال المعرفة نفي الصفات عنه تعالى
٥٣٦	□ تكملة الحديث: (ومن قال: كيف، فقد استوصفه) وشرحه
٥٣٦	□ تكملة الحديث: (عالم إذ لا معلوم) وشرحه
٥٣٧	□ الحديث السابع: (الحمد لله الذي لا يموت ولا تنضي عجائبه)
٥٣٨	■ قول صاحب الملل والنحل: إن الله خلق الموجودات دفعة
٥٤١	□ تكملة الحديث: (الذي ليست في أوليته نهاية) وشرحه
٥٤٣	□ تكملة الحديث: (لا تستطيع عقول المتفكرين جمده) وشرحه
٥٤٤	□ تكملة الحديث: (ثم إن الله وله الحمد التتح الحمد لنفسه) وشرحه
٥٤٥	□ تكملة الحديث: (الحمد لله اللابس الكبرياء بلا تجسيد) وشرحه
٥٤٥	■ قول محمد صادق: (اللابس) عبارة عن ذاته الأقدس
٥٤٦	□ تكملة الحديث: (الأول قبل كل شيء)
٥٤٦	□ تكملة الحديث: (أتئن ما أراد من خلقه من الاشباح كلها)
٥٤٩	□ تكملة الحديث: (ونشهد أن لا إله إلا الله) وفيها فوائد
٥٤٩	■ الفائدة الأولى: الشهادة إقرار وإخبار عما انعقد عليه الضمير وتيقنه
٥٥١	■ الفائدة الثانية: شهد شهوداً، أي حضر وعلم
٥٥٢	■ الفائدة الثالثة: يجب توحيده في الذات والصفات والأفعال والعبادة
٥٥٣	■ مراتب التوحيد:
٥٥٣	■ الأولى: توحيد الذات
٥٥٤	■ الثانية: توحيد الصفات
٥٥٥	■ الثالثة: توحيد الأفعال
٥٥٥	■ الرابعة: توحيد العبادة

- ٥٥٦ ■ تنمة: في مراتب الموحّد
- ٥٥٨ □ تكملة الحديث: (وأن محمداً عبده ورسوله) وشرحه
- ٥٦٠ ■ تنبيه: للعبودية ظاهر وباطن
- ٥٦١ ■ مقامات الروبية:
- ٥٦٢ □ تكملة الحديث: (بمنه بالحق نبياً، دالاً عليه وهدياً إليه) وشرحه
- ٥٦٤ □ تكملة الحديث: (فهدى به من الضلالة) وشرحه
- ٥٦٤ □ تكملة الحديث: (من يطع الله ورسوله فقد فاز فوزاً عظيماً) وشرحه
- ٥٦٥ □ تكملة الحديث: (فأجمعوا بما يحق عليكم من السمع والطاعة) وشرحه
- ٥٦٦ ■ قول محمد صالح: (فاجتمعوا) البخع: المبالغة في الشيء
- ٥٦٧ □ تكملة الحديث: (وخذوا على يد الظالم السفيه) وشرحه
- ٥٦٨ □ تكملة الحديث: (عصمنا الله وإياكم بالهدى) وشرحه
- ٥٦٨ ■ معنى العصمة لغةً واصطلاحاً
- ٥٧٠ □ تكملة الحديث: (وأستغفر الله لي ولكم) وشرحه
- ٥٧٣ ■ الفهرس